**اللذَّة التَارِيْخُ المَلْحَمِيُّ لِلإيطَالِيِّينَ وَطَعَامِهِم جون ديكي لأجل سارة، إليوت، وشارلوت ترجمة: زياد طارق نعيمة**

**مُحْتَوى الكتَاب:**

1. توسكانا: لا تخبر الفلاحين...ص1

**الجزء الأول: مائدة العصور الوسطى**

2. باليرمو: عام 1154،المعكرونة ومجسم الكرة الأرضية. ص13

3. ميلان: عام 1288،القوة،العناية الإلهية، الجزر الأبيض. ص29

4. البندقية: عام 1300،همسات صينية. ص45

**الجزء الثاني: الطهو لأجل بابوات وأمراء عصر النهضة**

5. روما: عام 1468، متعة جديرة بالاحترام. ص61

6. فيرارا: عام 1529، السلالة الحاكمة على المائدة. ص77

7. روما: 1549-1550،الخبز والماء من أجل نيافتهم. ص100

**الجزء الثالث: طعام الشارع**

8.بولونيا: عام 1600،لعبة الكوكائين. ص129

9.نابولي: أواخر القرن السابع عشر، متناولو الماكاروني . ص146

10. تورينو، عام 1846، تحيا إيطاليا! ص167

**الجزء الرابع: طعام الأمة الجديدة**

11. نابولي: عام 1884،بينوكيو(الطفل الخشبي ذو الأنف الطويل) لا يحب البيتزا. ص183

12. فلورنسا: عام 1891، الكاتب بيليغرينو أرتوسي . ص196

13. جنوة: 1884-1918، المهاجرون والسجناء . ص216

**الجزء الخامس: الحقائق في المطبخ**

14. روما: 1925-1938، قرية موسيليني الريفية. ص 243

15. تورينو: عام 1931، الذوق المقدس في تافيرن. ص249

16. ميلان: 1936، ربات البيوت وذوو التذوق المرهف. ص256

**الجزء السادس: أرض الوفرة**

17. روما: عام 1954، معجزة الطعام. ص269

18. بولونيا: عام 1974، تورتيليني الأم . ص290

19. جنوة: 2001-2006، الريحان المعيب. ص303

20. تورينو: عام 2006، الفلاحون المنقذون! ص311

شكر وتقدير. ص323

ملاحظات على المصادر. ص327

المراجع. ص333

الفهرس. ص355

**اللذَّة**

**--**

**1**

**--**

**توسكانا**

**-----------------------------**

**لَا تُخبِر الفَلاحِين...**

في يَومٍ مِن أيَّام فَصْلِ الخريف، قَرَّرْنَا أَنْ نَقُومَ بِرحْلَةٍ عَبْرَ البِلَاد، فَانْطَلقنَا بالسَيارةِ، بَينَ مَدِينَةِ "سيينا" والبَحر، تَحْتَ أَشِعَّةِ شَمْسِ الغُروبِ الخَرِيفِيَّةِ، حيْثُ أَصبحَت الهِضابُ التوسكانيَّة المُتمَاوجَةُ خَلفَ نافذَةِ السَيارةِ تَبْدو أشَدَّ قَسَاوًة، إِذْ أَلقَت الكرومُ وَبساتِينُ الزَيتونِ ظِلالهَا عَليهَا فَغَدَت كتجَاويفَ فِي غَابَةٍ مُظْلِمَةٍ. كَانَت وِجْهَتُنَا صَوبَ مَنطقَةٍ نائيَةٍ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فبوسْعكَ سماعُ لَهَجَاتٍ ولغَاتٍ محليَّةٍ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ إيطَاليا، فَهُنَا يَخْتَلِطُ سُكَّانُ فينيسا مَعَ نابولي، وَأَهْلُ باليرمو مَعَ التورينويين، فِي هَذِهِ البُقْعَةِ الهَادِئَةِ مِن توسكانا، حيْثُ يأتِي أُناسٌ منقسمِونَ وفْقَ منافسَاتٍ محليَّةٍ قديْمَة، ليُقدِّموا الولَاءَ سويًة علَى مذبَحِ ثقافَتهِم المُشتركَةِ للطَعَام.

يقَعُ المبْنَى في قلْبِ الوادِي أسْفلَ بلدَةِ "كيوسيدينو" التِي لَازالَت تُحافظ ُعلَى طابِعِ العصوْرِ الوسْطَى تمَامًا، إلَّا أنَّ العثوْرَ عليْهَا ليْسَ بالأمْرِ السَهل. فمنْذُ فترةٍ غيْرَ بعيدَة، فُقدَ الطريْقُ المؤدِّي إليْهَا تقريبًا ضمْنَ أجمةٍ كثيفَةٍ، وحتَّى الآن يَغْفَل العَديْدُ منَ الناسِ الانتبَاهَ لعلامَةِ الطريقِ السريَّة، وعندمَا يتغلَّبُ الزائرونَ شَدِيْدو الانتباهِ علَى الزاويَةِ المُنحدرَةِ الوعِرةِ ويَستديرونَ بطريقةٍ خاطئةٍ فَوقَ الجسْرِ الضَيقِ الذِي لَا حواجِزَ لَه؛ فإنَّهم يُكافَؤون بمنْظرِ حقْلٍ عنْدَ جانبِ النهرِ، تناثرَت فيهِ نباتاتُ خرشوفِ القدْسِ—بأزهارِهَا الصفراءِ التِي تمَدُّ أعنَاقَهَا نحْوَ الشمْسِ الغاربَةِ.

------------- \*توسكانا: هو إقليم في إيطاليا تبلغ مساحته حوالي 23,000 كِيلومِترٍ مُربَّعٍ ويبلغ تعداد سكانه حوالي 3,750,000 نسمة. العاصمة الإقليمية هي فلورنسا. تعرف توسكانا بمناظرها الخلابة وتراثها الفني الغني وتأثيره الواسع على الثقافة العالية.

\*فينيسا: هم مواطنون من جمهورية البندقية وهي دولة وُجدت لما يزيد عن الألف عام من أواخر القرن السابع حتى سنة 1797. ضمت معظم أنحاء شمال شرق إيطاليا، وسواحل وجزر البحر الأدرياتي وتوسعت حتى شرق البحر الأبيض المتوسط، كانت عاصمتها مدينة البندقية. وكانت القوة الاقتصادية والتجارية الأوروبية.

\*نابولي: هِي ثالث أكبر مدن إيطاليا، تقع في جنوب البلاد، على ساحل البحر الأبيض المتوسط. نابولي هي عاصمة إقليم كامبانيا ومقاطعة نابولي. يبلغ سكان المدينة حوالي مليون نسمة، وهي أكبر مدن جنوب إيطاليا وبالقرب منها يقع بركان فيزوف. صنفها اليونسكو في قائمة التراث العالمي. نابولي تعتبر مدينة سياحية.

------------

\*باليرمو: وهي مدينة إيطالية، وعاصمة إقليم صقلية الذاتي الحكم وكبرى مدنه، وكذلك عاصمة مقاطعة بلرم. يبلغ عدد قاطنيها 666,542 ساكن، وهو الخامس بين المدن الإيطالية بعد روما وميلانو ونابولي وتورينو، والثلاثين على المستوى الأوروبي. وهي المركز الثقافي والتاريخي والاقتصادي-الإداري الرئيسي في صقلية.

\*خرشوف القدس: أو أرضي شوكي أورشليم أو تفاح الأرض: موطنه أمريكا الشمالية ولا علاقة له بأنواع الخرشوف، وينتمي إلى عائلة عباد الشمس، لب الثمرة الأبيض ذو مذاق جوزي، حلو ومقرمش كالكستناء.

2 وقَد أوحَى منظرهَا في البدايةِ بأنَّها غير مُرحَّبٍ بهَا؛ حيثُ تُدير بإصرارٍ ظهورهَا المرهقةَ للعَالمِ الخارجِي، وكأنَّهَا تُخفي وجوهَها الشهيرةَ بيْنَ أشجَارِ الحورِ، بيْدَ أنَّ هذَا الاعترافَ يَتنَاغَمُ معَ اللَّحظةِ التِي تزولُ فيْهَا الصِعَاب: ليظْهرَ هيكَلٌ حجريٌّ وَقرميدٌ بَسِيطٌ معَ سقْفٍ خفيْضٍ وبُرجٍ مُتواضعٍ، وعلَى جانبهِ تديرُ المياهُ الرائقةُ لنَهر "ميرس" عجَلةَ طَاحونةٍ برقَّةٍ، تمَّ بِنَاؤهَا من قِبَل رُهبانِ "دير سان غالانو" القريبِ بأوائِلِ القرنِ الثالثِ عشَر، وبوسْعِ المرْءِ إلى اليومِ أَن يتخيَّل بسهولةٍ راهبًا يخرجُ منَ المطبخِ ذِي العوارضِ الخشبيَّةِ معَ ملءِ ذراعيهِ جُبنًا وسجقًا لأخوتِه، أَو رَبَّ عائِلةٍ فَلَّاحًا، وقَد ناءَ كتفهُ بحِملِ معولِه، وراحَ يمشِي بتثاقُلٍ في فسحَةٍ محيطَةِ بالغابةِ بنهايَةِ كدْحِ يومِه، ولعَلَّ ربَّة منزلهِ قامَت بوضْعِ الصحونِ والكؤوسِ على الطاولةِ تحْتَ العريشَةِ لأجْلِ أسرتهِمَا الكبيرَةِ. لايزالُ وقتُ العشاءِ بعيدًا إلى حدٍّ مَا، إلَّا أنَّ الهواءَ قَد غرِقَ مسبقًا بالروائِح المُشهِّية.

أَمَّا تلْكَ الطاحونَةِ البيضاِء فَبَدَت للزائرِ الأجنبيِّ رمزًا لكلِّ مَا ينبغي أنْ يكونَ عليهِ الطعَامُ الإيطاليُّ، وبالنَسبةِ للإيطاليِّين، فهِيَ واحدةٌ مِن أشهَرِ المبَانِي في البَلَد. رغْمَ أنَّها لاتزَالُ أيضًا واحدًة مِن أكثَرِ الخِدَعِ المَحْبوبَةِ في إيطَاليا.

اعْتَادَ الإيطاليُّونَ على تنَاوُلِ الكثيرِ منَ البسكويْتِ (الرقائِقِ المُحلَّاة) على الفطورِ بشكْلٍ خاصٍّ، وفي عَامِ 1989 كانَت العلامَةُ التِجاريَّةُ الرائدَةُ للبَسكويْت، مولينو بيانكو (الطاحونَةُ البيضَاء)، تبْحثُ عَنْ مَوقعٍ لحمْلتِهَا الإعلانيَّةِ الجديدَةِ، وباتَتِ الطاحونَةُ البيضَاءُ التِي تظهَرُ على عُلَبِ البسكويْتِ علَى وشْكِ أَن تُصبحَ مكانًا حقيقيًّا. إنَّ وَادِي "بو" الصنَاعِي يُعطِي انْطباعًا غَير مُرضٍ بشكْلٍ واضِحٍ- إِذ أنَّه مُسطَّحٌ ولَا ملامِحَ تُميِّزُهُ—ولهذَا تمَّ استبعَادُ المواقِعِ في المنطقةِ حَولَ "بارما"، وهِيَ المكانُ الذِي تَتِمُّ فيهِ صناعَةُ البسكويْتِ فعليًا، وبدلًا من ذلِكَ اكتشفَتْ مجموعَةٌ منَ الباحثْينَ الشَيءَ الذِي كَانوا يتطلَّعونَ لَهُ، مهْجورًا ومنْسيًا تقْريبًا، قبالَةَ طريْقِ "ماسيتانا" قُربَ "كيوسدينو" في توسكانا؛ وهوَ مبْنَى قدِيم تمَّ كِساؤهُ بحُلَّةٍ منَ الطِلاءِ الأبيَضِ، ومُنحَ عجلةَ طاحونَةٍ جديدةٍ يُديرهَا مُحرِّكٌ كهربائِي، وخلالَ وقتٍ قصيرٍ باتَ جَاهزاً لاستقبَالِ عائلةِ مالكِيهِ الزائفِين؛ وَتتألَّفُ مِن رَبِّ الأُسْرَةِ وهو صحفِيٌّ ذُو فكٍّ عريضٍ، أمَّا الأمُّ فحسنَاءٌ تعملُ معلمًة في المرحلةِ الابتدائيَّةِ، وطِفْلاهُمَا "ليندا" ذاتُ الشعْرِ المُجعَّدِ وتضَعُ قلنسوًة مربوطًة تحْتَ ذقْنِها، و"آندريه" يَرتدِي بِنطالًا ورَبطَة عُنُق، فبَدَت ثيابَهُمَا أنيقًة ولكِن ليسَت رسميًّة كحَالِ أبوَيْهِما، ليُكمل الجَدُّ المجموعَةَ بنَظَرَاتِهِ الوَاهِنَةِ والمُرْتَعِدَة. وهذَا ما عرضَهُ موقعُ الشركةِ على الإنترنِت: "عائلةٌ عصريَّةٌ تُغادِرُ المدينةَ وتُقرِّرُ العيْشَ بصحَّةٍ جيدةٍ مِن خلَالِ العوَدةِ إلى الطبيعَة". وقَد جسَّدَت قصتُهُم التِي تَمَّ عرضُها في سلسلةٍ منَ الحلقاتِ القصيْرةِ، تطلُّعاتٍ لملايينِ المستهلكين في المناطقِ الحضريَّةِ نحوَ منزلِ العطلةِ الذِي يحْلمونَ بهِ. ولسرْدِ هذهِ القصَّة، استأجرَت الوكالَةُ اثنيْنِ مِن أكثَرِ الموهوبيْنَ في السينَما: "جيوزبي تورنتوري"، بعْدَ أَن فازَ مؤخرًا بجائزَةِ الأوسكَار لدورِهِ عَن أفضَلِ فيلمٍ أجنبيٍّ معَ سينما باراديسو؛ و"إنيو موريكوني" الذِي اشتُهرَ بمقطوعاتِهِ الموسيقيَّةِ بفيلمِ سباغيتي ويستيرنس (مِن ضمْنِ أشيَاءِ أُخرَى).

وثمَرةُ هذَا ربَّما تكونُ الحَملةُ الأكثَرُ نجَاحًا في تاَريخِ التِلفزيونِ الإيطاليِّ بيْنَ عَامَي 1990 و 1996، في الوَاقعِ لقَد حظيَتْ بنجَاحٍ مُنقطِعِ النَظِير، حتَّى أنَّ جمُوعًا هائلًة منَ النَاسِ يَنتَمُونَ لمدُنِ مُزدحمَةٍ مروريًا كـ"نابولي"، "روما" و"ميلانو" بدَأوا البحَثَ بيَن تلَال توسكانا عن الطاحونَةِ البيضَاءِ التِي شاهَدوهَا في إعلانَاتَ البِسكويتِ، فامتدَّتْ طوابيرُ السيَّاراتِ حتَّى وصلَتْ إلى أنقَاضِ دَير "سان غالانو"، واقْتربَ الناسُ من الموقعِ بصْمتٍ مُوقَّرٍ وكأنَّهم يدخلوْنَ ضريحاً. يسترجِعُ مالكُ الطاحونَةِ الذكريَاتِ قَائلًا: "كانَ هناكَ مواكِبٌ حقيقيٌّ، فقَد قَدِمَ مئاتُ الأشخاصِ لزيارةِ الطاحونةِ في عطلَةِ نهايَةِ الأُسبوعِ، غَيرَ أَنَّ معظمَهُم قَد أُصيْبَ بخيْبَةِ أمَلٍ؛ فمِنَ الواضحِ أنَّها لَم تَبدُ شَبِيهًة بِتِلكَ التِي عُرضَت على التِلفَاز، والأطفالُ وحدَهُم فقَط مَن كانَ سَعيدًا بِتِلكَ الرِحلَة، فَرَاحوا يَركضُونَ في الأرجاءِ بحَماسةٍ بينَ ألواحِ الجِبسِ والموَادِّ العَازلةِ للحرارَةِ".

تَغيَّرت الطاحونةُ البيضاءُ مرًة أخرَى بعْدَ أنْ تمَّ تصويْرُ آخِرِ إعلَانٍ لهَا عَام 1996، لتأخُذَ مظهرًا آخَر أكثَرَ جاذبيَّةً للمنظَرِ الريفيِّ الإيطاليِّ البَهِيجِ، فأمْضَى المالكُ أربعَةَ أَعوامٍ لإعادتِهِ إلى شكلهِ السابقِ وتحويلهِ لمزرعةٍ للعُطلات- ذلكَ النوعُ منَ المطاعِمِ الفندقيَّةِ الريفيَّة الذِي باتَ

3

رائجًا للغاية في إيطاليا على مدَى السنوَاتِ العِشرين الماضِية. عادَ للمبنَى اسمهُ القديمُ "مولينو ديللي بيلا"— طاحونةُ البطاريَّة (لقَد كانت تُستخدمُ لتزويدِ قريَة كيوسدينو بالكهرُباءِ إبَّانَ الحَرب)، ووُضعَ فيهَا حوضُ سباحٍة وسُفعتِ الأجزاءُ الحجريَّةُ منْهَا بالرمالِ لإزالةِ الطِلاءِ عنْهَا، ولكِنَّها وإِن لَم تبقَ بيضَاء حتَّى الآن، فلَازالتِ الطاحونةُ البيضاءُ تَستَجيبُ بذَاتِ الحنينِ صَوبَ الطعامِ الريفيِّ كمَا فعلَت العلامةُ التجارَّيةُ التي جعلتْهَا شهِيرَة، واستمَرَّت بجَذْبِ العديدِ منَ الناسِ الذينَ يرغبونَ بإقامَةِ مأدباتٍ احتفاليَّةٍ بزواجِهِم، أعيَادِ ميلادِهِم، والذكريَاتِ السنويَّة حيثُ انْطلقَتْ الإعلانَات، ولازَالَ الأطفَالُ يَعمدُونَ إلَى سُؤالِ المالِكِ عمَّا إذَا كانَ هوَ الشخْصُ الذِي يصنَعُ كُلَّ البِسكوِيتْ.

تَتوافَقُ الغُرَفُ في مزرعَةِ عطُلَاتِ "طاحونَةِ البَطاريَّةِ" معَ المثاليَّةِ في الأناقَةِ الريفيَّةِ البَسيطَة، أمَّا قائمُة الطعَامِ في مطعمِهَا "أولد غريندستون" فتَحتَوي علَى جَميعِ الوجبَاتِ المُمتَازَةِ المَشْهورَة: "أسلوبُ طهْيٍ توسكانِيٍّ نموذجيٍّ أصِيلٍ، أساسُهُ المنتجَاتُ الموسميَّةُ الطازجَةُ". فتَجدُ المقبِّلاتِ فيهِ، شرائِحُ السلامِي ولحْمُ الخنزيْرِ أو جُبنَةُ البيكورينو مَعَ العَسَل، النَوعيَّة الممتازَة مِن معكرونَةِ التالياتيلي مَعَ صلصَةِ راغو الخنْزيرِ البرِيِّ—إنَّ لحْمَ الخنزيْرِ البريِّ هوَ مَيِّزةٌ بهذَا المكَان. الجزْءُ السُفلِيُّ مِنْ لحْمِ عجْلِ مُقاطعَةِ "سيينا"، أَو لحْمِ البقَرِ المطهوِّ على نارٍ هادئةٍ في نبيذِ موريلينو، أو السجَائِقِ المحليَّةِ مَعَ الفَاصوليَاء. أمَّا التَحلِيَة، فَهِيَ نبيْذُ فين سانتو مَعَ بسكويْتِ الكانتو.

إنَّه ليْسَ أفضَلَ مطعَمٍ بوسعِكَ أَنْ تحْظَى بِهِ في إيطاليا، ولَا قائمَةَ طعَامهِ أصيْلةٌ كمَا يدَّعِي، فهنَاكَ بعْضُ التنازُلَاتِ لآخِرِ صيحَاتِ الطعَام (شَرائِحُ لحْمِ البقَرِ بالخَلِّ البلسَمِي مَعَ الفُليْفِلَةِ الخَضْراء).

الموطِنُ التاريخِيُّ للطَعَامِ الإيطَالِي؟ المعروْفُ لملايِيْنِ الإيطاليِّين باسْمِ الطاحونَةِ البَيضَاء، طاحونَةُ البطاريَّة، والتِي تقعُ بوادٍ جميلٍ في توسكانا، حيْثُ يُقدِّمُ مطعمُهَا "أولد غريندستون" أصنافًا متنوعًة مِنَ الأطعمَةِ المحليَّةِ اللَّذيذَةِ، بَيْدَ أَنَّهَا لَا تُجَسِّدُ التقَاليَد الريفيَّةَ تمامًا كمًا يُدَّعى،

صورة ص 4

ولِبعْضِ الأطعمَةِ المفضَّلةِ سَواءً الوطنيَّةَ أو العَالميَّة، مثْلُ معكرونَةِ بيني بصلصَةِ الأرابيتا، والباذِنْجَانِ بجُبنةِ البارميزان، وشرائحِ لحْمِ العجْلِ المقليَّةِ. لعَلَّ الذاكرةَ المتكرِّرةَ لتلْكَ الإعلانَاتِ التجاريَّةِ الشهيرَةِ للبسكويْتِ تجعَلُ الأمْرَ كلُّهُ مجرَّدَ شَيءٍ يتِمُّ تلميْعُ صورتِهِ، لكِنْ يسعُنِي الإِدْلَاءُ بشهادتِي الشخصيَّةِ أنَّ الطعَامَ في مطعَمِ "أولد غرندستون" شَهِيٌّ، بمَا لَا يَدَعُ مجَالًا للشَكٍّ أو السُخْريَة، وبوسْعِ المرْءِ أنْ يَتَنَاولَ هنَا أيْضًا ضِعفَي الكميَّةِ التِي قَد يتناولُهَا بأيِّ مكانٍ يجدُهُ بـ"لندن" بأربعَةِ أضْعَافِ السِعْرِ هُنَا، فهَذَا المطعَمُ دَليلٌ على حَقِيقةٍ لَا جِدالَ فيْهَا، بأنَّ معاييْرَ تذوُّقِ الطعَامِ في إيطاليَا راقيَةٌ شأنُهَا شَأْنَ أيِّ مكَانٍ آخَرَ في العَالَم.

كيْفَ وصَلَ الإيطاليُّونَ إلى مرحلةٍ يتناولوْنَ فيْهَا طعامًا مُعَدًا بشكْلٍ جيِّدٍ؟ تُقَدِّم لنَا قصَّةُ الطاحونَةِ البيضَاءَ درسًا بسيطًا لأيِّ أحَدٍ يُحاولُ أَنْ يجِدَ الإجابَةَ التاريخيَّةَ لهذَا السُؤَال؛ فمِنَ الممْكنِ أَنْ تُحِبَّ الطعامَ الإيطاليَّ دوْنَ أن تتأثَّرَ بالخرافَاتِ التِي تُنسَجُ حولَه، سواءً في إيطاليَا أو خارجَهَا. لقَد أمسَتْ إيطاليَا نموذجًا يُحتذَى بهِ عندمَا يتعلَّقُ الأمْرُ بإعدَادِ المكوِّنَاتِ، وطهيِهَا وتناولِهَا سَويًة، ولعَلَّ بعْضَ النَاسِ يعتقِدُ أنَّ صحتَنَا، بيئتنَا، ونوعيَّةَ الحيَاةِ التِي نعيشُهَا قَد تعْتمدُ على إمكَانيَّةِ مَقدرتَنَا لتعلُّمِ القَلِيلِ مِن دُروْسِ الطعَامِ التِي تُقدِّمهَا إيطاليَا، إنَّه أكثَرُ شَيءٍ يدفعنَا للتسَاؤلِ عَن سبَبِ احتياجِنَا لقصَّةٍ أقَلَّ إثارًة حَولَ كيفيَّةِ وصوْلِ الطعَامِ الإيطاليِّ إلى مكانتِهِ اليَوم، مقارنًة بذاكَ الذِي رُوِّجَ لهُ عَن طريْقِ الإعلانَاتِ وكتُبِ الطَهي.

--------------

\*البيكورينو: هو جبن صلب من المطبخ الإيطالي، يستخدم مبشوراً عادةً، ويصنع من حليب الغنم.

\*التالياتيلي: كلمة اشتقت من الكلمة الإيطالية بمعنى "القَطْع" و التالياتيلي هي الباستا الكلاسيكية لإقليم إميليا رومانيا في إيطاليا.

\*راغو: صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم أحيانا إضافة لحم الخيل، تعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا كما أنها موجودة أيضاً في منطقة كامبانيا.

\*بسكويت الكانتو: كعكات اللوز من توسكانا، وتعد بدون إضافة للسمن أو الزيت وتخبز مرتين لإعطاء قرمشة مثالية.

\*معكرونة بيني: معكرونة بشكل أنابيب قصيرة عريضة.

4

ربَّما تكونُ الطاحونةُ البيضاءُ بحدِّ ذاتهَا غيْرَ معروفةٍ خارجَ إيطاليا، إلَّا أنَّ عائلةَ الصُوَرِ التِي تنْتمِي لهَا شهِيرةٌ للغايةِ في أجزَاءَ كثيرةٍ منَ العَالمِ الغربيِّ: تلْكَ الحانةُ في بسْتانِ الزيتونِ، وشَرائحُ لحْمِ الخنْزيرِ المدخَّنِ المعلَّقةِ بالعَوارضِ الخشبيَّةِ لسَقْفِ مطْبخِ منزلٍ ريفِي، وذاكَ البريْقُ في عينَي فلَّاحٍ عجوْزٍ قَد لفحَتْهُ الشَمس، والعائلَةُ الصاخبةُ التِي تجْتمعُ تحْتَ العريشةِ بينمَا تُقدِّمُ الأمُّ المعكَرونَة. إنَّ هذهِ الصورةِ النمطيَّةِ تتكرَّرُ في وصفاتٍ لَا حصْرَ لهَا، وإعلانَاتٍ لَا تُحصَى عَن زيْتِ الزَيتُون، أو جِرارِ صلصَةِ المعكرونةِ التِي تعْجزُ الكلماتُ عَن وصفِهَا، لتحِيكَ مَعَ بعضِهَا أسطورًة ريْفيًة عظيمًة تجدُ مكَانهَا المفضَّل في توسكانا، فأُسلوبُ الطهْيِ المعَدُّ مِن آلافِ التقَاليدِ الريفيَّةِ القديمةِ هوَ مَا تستحضرْهُ لنَا تلْكَ الأُسْطورَة؛ إنَّه الطَعامُ الإيطاليُّ باعْتبارهِ طعامًا ريفيًا. إنْ كانَت صورةُ الطَاحونةِ البيضاءِ لتوسكانا قَد ساعدَتْ بإعطاءِ الطعامِ الإيطاليِّ دليلًا مُعْتبرًا بأنَّه المطبخُ الأكثرُ شعبيًة في العَالَم، إلَّا أنَّها كذَلِكَ أيْضًا قَد أسهمَتْ بجعْلهِ أَكثرَ مطبَخٍ يُسَاءُ فهمَهُ على نطاقٍ واسعٍ، ومَا يُثيْرُ الدَهْشةَ أنَّ أسلوبَ الطهْيِ الإيطاليِّ الذِي نالَ إعجَابَ العالمِ إلى درجَةٍ كبيرةٍ ليْسَ لهُ علاقَةٌ تُذكَر بالفلَّاحين.

في إيطاليَا، باتَ الحنيْنُ إلى الطريقَةِ الريفيَّةِ للحيَاةِ يُعَدُّ تطوُّرًا حديثًا، فلَمْ يتحقَّق النجَاحُ لعَلاماتٍ تجاريَّةٍ مثْلَ "مولينو بيانكو" إلَّا عندمَا أدارَتْ الغالبيَّةُ العُظمَى مِن الإيطاليِّينَ ظَهرهَا بسَلامٍ لمشقَّةِ العيْشِ في الريْفِ، وفي توسكانا كانَ نظامُ تضميْنُ الأراضِي يَحمِي أهْلَ الريْفِ مِن أسوَأِ مَا في الجوْعِ والكدْحِ، والذِي كانَ يُمثِّلُ تلكَ الأراضِي السَرمديَّةِ للجُموعِ الريفيَّةِ المنتشِرةِ أعلَى وأسْفلَ شِبهِ الجَزيرةِ الإيطاليَّة حتَّى أواخرِ الستِّينيات. ولكِنْ حتَّى هنَا، فإنَّ الإسْهامَ الذِي قدَّمتْهُ الأطباقُ ذاتُ الأصلِ الريفيِّ الفلَّاحِي على وجْهِ الخصُوصِ ليْسَ عظيْماً مثلمَا سيَحمِلُنا المذهَبُ الحَديثُ للطعَامِ الريفِيِّ على الاعتِقَاد، فقائمَةُ الطَعامِ لمطعمِ "أولد غريندستون" لا تمثِّلُ المأكوْلَ الريفيَّ كمَا في الأيَّامِ السالفَةِ، وكذَلِكَ فَإنَّ عدَدًا قليْلًا من الوصفَاتِ بكتُبِ "مطبَخِ الفقرَاءِ بـ"توسكانا" لا تفْتَقِرُ لشَيء، بمَا في ذلكَ شريْحةُ لحْمِ الخاصِرةِ من البَقَر (وهيَ شريحَةُ لحْمٍ بقريَّةٍ ورديَّةٍ على شكْلِ حرْفِ T أو شريحَةُ لحْمٍ سميكَةٍ)، أو شرائِحُ الخبْزِ مَعَ معجوْنِ الكَبِدِ وكأْسٍ مِن نبيْذِ مارسالا، فلَا يسَعُ سوَادُ النَاسِ مِن أهْلِ الريفِ إلَّا أَنْ يحْلمُوا بهَذهِ المسرَّات، وَحتَّى الطهْيِ الريفيِّ الأصيْلِ قَد أمْسَى موضُوعَ مُمارسَةٍ تجْديديَّةٍ. وكحَالِ طاحونَةِ العصوْرِ الوسْطَى بالقرْبِ مِن "كيوسدينو"، فقَد تمَّ بنَاؤهَا وإعَادةُ النظَرِ بهَا على نطَاقٍ وَاسعٍ مِن قبَلِ الإيطاليِّينَ المَعاصِريْن.

حتَّى منتصَفِ القرْنِ العشْرينِ، كانَ الناسُ العاديُّون في الريفِ الإيطاليِّ يأكلوْنَ علَى نحوٍ سيءٍ للغايَة—فهناكَ عدَد لا يُحصَى منَ الوثائِقِ تُعلمنَا بالكثيرِ عن هذَا الأَمر. فعلَى سَبيلِ المثَال، خلُصَت العديْدُ من تحقيقَاتِ الحكومةِ إلى إقْرارٍ موحَّدٍ حوْلَ حالةِ الريفِ الإيطاليِّ والتي تمَّ إجراؤهَا في العُقودِ التِي تلَتْ تحَوُّلَ إيطاليا إلى دولةٍ موحَّدةٍ عَام 1861، ولازالَتْ رداءَةُ غذاءِ الفلَّاحينَ تتردَّدُ بعدَدٍ من الأمثالِ المتناقلَةِ عبْرَ الأجْيَال.

عندمَا يتناوَلُ الفَلَّاحُ دجاجًة، فإمَّا أنَّه مريْضٌ أو الدجَاجةُ مريضَة. لقَد كانَ الدجَاجُ أمْرًا نَادرًا ومكْلفًا يُدَّخرُ للمرضَى وسْطَ فقرِ الريْفِ، وفي الغَالبِ لَم يكُنْ بوسْعِ الفلَّاحينَ أنْ يَأكْلوا سوَى الحيواناتِ النافقِة بسببِ مرضِهَا.

إنَّ الثومَ هو خزانةُ تَوَابلِ الفلَّاحِ، ومنذُ العصورِ الوسطَى اعتُبرتْ البهارتُ ضروريًة لأسلوْبِ الطهْيِ الراقِي وحتَّى القرْنِ السَابعِ عشَرَ على الأقَل، بَيْدَ أنَّها كانَتْ باهظةَ التكلفةِ على الجموْعِ الريفيَّة، وعلى النقيضِ من ذلكَ فالثومُ والكرَّاثُ والبصَلُ تنفثُ الرائحةَ الكريهةَ للفُقر، وهذَا لا يعْنِي ضِمناً أنَّ الأغنياءَ رفَضوا تناولَ هذهِ الخضْرواتِ النفَّاذةِ- سوَى أنَّهم نظروا باستعلاءٍ لأيِّ أحدٍ لا يمتلكُ بديلاً عندمَا يتعلَّق الأمرُ بإضْفاءِ نكهةٍ على الطعَامِ.

إنَّ صلْصةَ سانت برنارد تجْعلُ الطعَامَ يبْدُو جيِّدًا، فصَلصةُ سانت برنارد-الجوعُ- عُدَّت أهمَّ عنصرٍ في النظامِ الغذائيِّ للفلاحِين خلَالَ معظمِ الألفيَّةِ الماضيَةِ، ولحسْنِ الحظِّ فقَد تلاشَتْ الوصفَةُ الآنَ منَ الذاكرَةِ.

5

منَ المُحتَمَلِ أَنْ يُصبحَ تاريخُ الطعامِ الإيطاليِّ الذي كُتبَ بوصْفهِ قصًة لمَا تناولَهُ الفلَّاحونَ فعليًا مجرَّد قراءَةٍ مملَّةٍ، إذ ستُخصَّص العديدُ من الصفحاتِ لشوربةِ الخضرواتِ، وسيكونُ هناكَ قسْمٌ جوهريٌّ عن العصيدةِ. إنَّ الخبْزَ الذي يُصْنعُ من حبوبٍ رديئةٍ أو حتَّى من أشياءَ مثْلَ جوْزِ البلُّوط ِ بأوقَاتِ الشدَّةِ سيحتَاجُ إلى تغطيةٍ متعمِّقةٍ بالتفَاصِيل، وذلكَ ليْسَ التاريْخُ الذِي أُعيدُ بنَاؤهُ هنَا.

يُقترَح مثَلٌ آخرٌ مفضَّلٌ لدَيَّ؛ يتَوَجَّبُ علينَا البحْثَ في مكانٍ آخرٍ عن التاريخِ الحقيقيِّ للطعامِ الإيطالِي (لا تُخْبر الفلَّاحَ كَمْ أنَّ تناولَ الجبْنِ لذيْذٌ مَعَ الكُمَّثرى). بمعْنَى آخَر، لَا تُعِطِ أيَّ شخْصٍ معلومَاتٍ إنْ كانَ بوضْعٍ يُتيْحُ لَه الاستفادَةَ منْهَا أكثَرَ مِنكَ. أَو، احتفِظْ بأوراقِ وصفاتِكَ قريبًة من صدرِك. بالإمْكانِ أيْضًا تفسيْرُ هذهِ القطعةِ السَاخرةِ مِنَ الحكمةِ على أنَّها مثَلٌ بسيْطٌ عن اخْتِلَالِ التوازُنِ بينَ القوَّةِ والمعرفَةِ التِي تقومُ عليْهَا أقدَمُ تقاليدِ تذوُّقِ الطعامِ في إيطاليَا، ولعَلَّ أهْلَ الريْفِ هُم مَن أنتجَ الجبْنَ والكمَّثرَى؛ لكنَّ الناسَ الذينَ يمتلكوْنَ القدرةَ على ملاءمَةِ هذهِ المكوِّناِت، ولديهِم المعرفَةُ لتحويلِهَا إلى طعَامٍ شهِيٍّ بواسطَةِ مزيْجٍ بسيْطٍ ولكنَّه بارِعٌ، هُم سُكَّانُ المدُن.

الطعَامُ الإيطاليُّ هوَ طعامُ المدُن.

تمتلِكُ إيطَاليا أغنَى تقَاليدِ الحيَاةِ الحضَاريَّة على هذَا الكوكَب، والطريقَةِ التي يتناولُ بهَا الإيطاليُّونَ الطعامَ والتِي يُحسَدون عليهَا، هِيَ جزْءٌ من هذَا التقْلِيد، فليْسَ مِن قبيْلِ الصدفَةِ أَن تتمَّ تسميَةُ العديْدِ منَ المنتجَاتِ والأطبَاقِ الإيطاليَّةِ على أسمَاءِ المدُن: بيستيكا آلا فيورينتينا (شريحَةُ لحْمِ بقَرِ فيورينتينا)، بروسيتو دي بارما (بروشوتو بارما)، سالتيمبوكا آلا رومانا (بروشوتو لحْمُ العجْلِ روما)، بيزا نابوليتانا (بيتْزَا نابولي)، روزيتو آلا ميلانيس (أرز ميلانو)، بيستو جنوفيسة (صلْصَة جَنوَة)، بيستو ترابانيسه (صَلْصَة تراباني)، أوليف أسكولاني (زيَتُون أسكولي)، موساتاردا دي كريمونا (خَردَل كريمونا)...ومنْذُ أوائلِ الألفيَّةِ الثانيَةِ، استأثرَتْ مئاتُ المدنِ الإيطاليَّةِ بمنتجاتِ الريفِ واستخدمتْهَا لبناءِ ثقافَةِ طعامٍ غنيَّةٍ. ولعدَّةِ قروْنٍ، كانَت مدنُ إيطاليا تتركَّزُ فيْهَا كلُّ الأشيَاءِ التِي تُهِمُّ صناعةَ الطهْيِ الرائِعِ: المكوِّناتُ والخِبرةُ الغذائيَّة، بالطبْعِ، ولكِن أيضًا القوَّةُ، الثروَةُ، الأسواقُ، والتنافسُ على المكانةِ الاجتماعيَّةِ.

ولذَلِك فهَؤلَاءِ الحجَّاجُ الحضريِّونَ إلى الطَاحونَةِ البيضَاءِ لا يتَّجهوْنَ إلى الموطنِ التقليدِي للطعَامِ الإيطَالي، بَل يبْتعِدونَ عَنه، فأفضَلُ مَا يعبَّرُ عَن الطعامِ الإيطاليِّ ليسَ في المزرعِة بَل في السوقِ الحضريِّ، و المغامرَةِ الحقيقيَّةِ للطعامِ الإيطاليِّ لا تكمَنْ بالارتحَالِ إلى تِلَالِ توسكان، بَلْ أنْ تجوْبَ شوارِعَ المدينِة لتذوُّقِ الطعامِ المطهيِّ وتنشُّقِ الحكَايَا.

قَد يُشيْرُ الإيطاليُّونَ ببعْضِ الأحيَانِ إلى عبارةٍ خاصَّةٍ بهِم وهِيَ: "حضارَةُ المائِدَةِ"، وهذَا المصْطلَحُ يتبنَّى كلَّ الأوجُهِ العديدَةِ المختلفَةِ للثقافَةِ التِي يُعبَّر عنْهَا بالطعَام، بدْءًا من الاقْتصادِ الزراعيِّ وحتَّى وصفاتِ المخلَّلاتِ، ومِن أواصِرِ القَرابةِ إلى بصْقِ نواةِ الزيتونِ في يدِك. إنَّ الطعاَم بحَدِّ ذاتِهِ رائِعٌ، لكنَّهُ في النهايةِ أقلَّ روعًة منَ الناسِ الذينَ يُنتجونَهُ، يطهونَهُ ويأكلونَهُ، ويتحدَّثونَ بشأنهِ. ذلكَ هو سبَبُ اعتبارِ هذَا الكتابِ تاريخًا لحضارةِ المائدةِ الإيطاليَّة، وليسَ فقَط ما يضعَهُ الإيطاليُّونَ على موائدهِم.

كتَبَ الفيلسوفُ الألمانيُّ "والتر بنيامين" ذاتَ مرَّة: "لا تُوجَد وثيقةٌ للحضارةِ إلَّا ويُنظَرُ لهَا كوثيقةٍ بربريَّةٍ بذاتِ الوَقت". ومَا قصدَهُ أنَّه حتَّى أكثرَ أعمالنَا الثقافيَّةِ قداسًة مثلَ كوميديَا دانتي الإلهيَّةِ، أو لوحَاتِ "مايكل أنجلو" في كنيسةِ سيستين، أو ترنيمة ستابات ماتير لبيرغوليس، تتميَّزُ بشكْلٍ لَا لبْسَ فيهِ بصراعَاتِ السلطَةِ غيرِ المقدَّسةِ في الوقتِ الذِي ابتُكرَت فِيه. وهذَا لا يعْنِي أنْ يُلام "مايكل أنجلو" على الجشَعِ والفسَادِ والوحشيَّةِ التي أظهرهَا أربابُ العملِ الذينَ قدَّموا لهُ المواردَ التِي يحتاجُهَا لصنْعِ الفنِّ العظِيم، غيْرَ أنَّ ذلكَ يُوحِي لنَا ضمنًا أنَّنا قَد أغفلْنَا الكثيْرَ من حدَّةِ وليَاقةِ الفنِّ إنْ قمْنَا بإخْراجِهِ مِن إطارهِ التَاريخِي- إذا أغلقْنَا أبصارنَا أمامَ القوَّةِ التِي تجعَلُ من ذلِكَ ممكنًا، والمخاوِفُ مستمرَّةٌ حولَه.

----------- \*بروشوتو :هو طبق هام مقدد إيطالي عادةً ما يُشرَّح تشريحا رقيقا ويُقَدَّمُ نيئا غير مطبوخ، وهذا الأسلوب اسمه "بروشوتو كرودو" ويختلف عن الهام المطبوخ والمعروف محليا باسم "بروشوتو كوتو".

6

والمبدأُ ذاتهُ ينطبِقُ على الطَبْخِ. في الحقيقَةِ، ونظرًا لكَونهِ فنًّا يُنجَزُ بأكثرِ الموادِّ الخامَّةِ التي يحتاجُهَا البَشرُ للاستهلاكِ لكَي يعِيشوا، فإنَّ الطهْيَ قَد يكونُ مرتبطًا بالهمجيَّةِ بشكْلٍ أعمَقَ أكثرَ من أيِّ نشاطٍ متحضِّرٍ آخَر، فليسَ بالمقدورِ تجاهلُ ذلكَ البعْدِ المظلِمِ في تاريخِ الطعامِ الإيطالِي. ولهذَا السبَب، لابدَّ من وجودِ شيءٍ يتَّسمُ بالشراهَةِ نوعًا ما مُتعلِّقٍ بالتاريخِ الذي لا يَعدو كونَهُ مجرَّد مهرجانٍ طويلٍ من الولائمِ والوجباتِ الفاخرةِ، للأطعمةِ الشهَّيةِ التِي لا حصْرَ لهَا من الأيَّامِ السالفَة.

وباخْتصارٍ، فإنَّ حضارةَ المائدةِ الإيطاليَّةَ هيَ نِتاجُ التاريخِ الإيطاليِ، الذِي يتَّسمُ بالتفرقةِ والعُنفِ بقدْرِ مَا يتميَّزُ بالجمَالِ والإبدَاعِ، الهمجيَّةِ والحضارَة. وجميْعِ هذهِ الأشياءِ هيَ مكوِّناتُ ما دوَّنتهُ هنَا. لقَد لعبَتْ المجاعةُ، الجوعُ، وسوءُ التغذيةِ دورًا جوهريًا في قصَّةِ الطعامِ الإيطالِي، وإنَّ هذَا الكتَاب أيضًا يُسلِّطُ الضوءَ على طعامِ المتنفِّذينَ وطعامِ المغلوبِ على أمْرهِم، مَا بيَن مَا يتناولهُ الناسً يوميًّا وعشَاءِ النُخبَة. وبصيغةٍ مختلفةٍ، فهوَ يضمُّ عناصرَ من تاريخِ النظامِ الغذائيِّ الإيطاليِّ وعناصرَ من تاريخِ المطبخِ الإيطالِي.

ولكِن وكمَا يقترح العنوانُ، فهذَا الكتابُ بهجةٌ للباحِث، وتَفسحُ صفحاتهُ مساحةً وافرةً لمسرَّاتِ تناولِ الطعام- في الأغلبِ لأُناسٍ آخَرين، وبينَ الحيْنِ والآخَرِ لِي. بالرغْمِ من أنِّي أمضيْتُ سنواتٍ عديدَةٍ أدرسُ الإيطاليَّةَ وأعيْشُ هنَاكَ، إلَّا أنَّ العملَ على هذَا الكتابَ قَد عادَ عليَّ بالكثيرِ منَ المُتَعِ التِي لَم أختبرْهَا قبْلًا؛ مثْلَ "بان سكوراتو" في بلدةِ مارسالا (وهوَ عبارةٌ عَن خبْزٍ لذيْذٍ يجِبُ مضغهُ، حيْثُ يُغلَى قبْلَ أنْ يُخبزَ مثْلَ كعْكِ البيغل، ثُمَّ يُنكَّهُ ببذوْرِ الشَمَّر)، أو "أنيميل" في روما (وهوَ خبزٌ حلوٌ شهيٌّ، يُقدَّمُ معَ الخَرشوف) أو "كابيلاكسي دي زوكا" في مدينةِ فيرارا (معكرونةٌ تُغطَّى بحَشوةِ اليقَطينِ بحيْثُ يكَادُ أَن يغدُوَ مذَاقُهَا حلوًا لتترُكَ رشًة خفيفًة من جوزةِ الطيبِ أكثرَ أثَرٍ رقيقٍ ولذيذٍ لهَا). كلَّما تحرَّى المرءُ عن الطعامِ الإيطاليِّ وجدَ تنوعًا غنيًّا ليكتشفَهُ- ليَبْدو أنَّ لكلِّ طبقٍ قصتهُ التِي تستحقُّ أنْ تُروَى، ولذلِك كانَ لابُدَّ لِي أنْ أُقاوِمَ العديدَ مِن الإغراءَاتِ، فتمَّ استبعادُ القهوةِ، النبيذِ والمشروباتِ الأخرَى، نظرًا لأنَّ تاريخهَا لهُ قوانينٌ مختلفةٌ عن السِيَاق. لقَد حاوَلتُ ألَّا أُجَرَّ إلى المهارةِ في المنافسَةِ الطعاميَّةِ، أَي نحوَ تنَافسٍ للبحْثِ عن أكثَرِ أسَاليبِ الطهْيِ الغَامضَةِ المُثيرَةِ للانْتِبَاه، وانصبَّ تركيزِي على أفضلِ الأطباقِ المعروفةِ، لذَا فلَم يعُدْ هناكَ داعٍ أنْ تعرفَ مَا الفرقَ بينَ جُبنةِ الكاتشوكافالو وجُبنةِ الكاستيلماغنو لتستمتِعَ بالقصَّة، أمَّا المعكرونَة فهِيَ أفضَلُ طعامٍ إيطاليٍّ معروفٍ من بينِها جميعًا، وهيَ تحتَلُّ أكثَرِ مدارَاتِ الحَديثِ أهميًّة في هذَا الكَتاب! ابتداءً منَ الدليلِ الأوَّلِ على الشعيريَّةِ المصنوعةِ من القمْحِ القاسِي المُجفَّفِ على التربةِ الإيطاليَّةِ عَام 1150 إلى التقلُّباتِ الاستثنائيَّةِ التِي مرَّتْ بهَا معكرونَةُ التورتيليني منْذُ عَام 1970، فتاريخُ المعكرونَة وتاريخُ الطعَامِ الإيطاليِّ كَكُل يسيْرُ بذاتِ التَناغُم.

إنَّ الشموليَّة هيَ إغواءٌ آخَر اضُطررْتُ لمقاومتِه، فالطعامُ الإيطاليُّ قد أمسِى طعامًا عالميًّا، والدراسَةُ المفصَّلةُ لتاريخهِ ستشمَلُ بريطانيا، الولاياتُ المتَّحدة، أمريكا الجنوبيَّة وأستراليَا بالإضافةِ لإيطاليَا. تُظهِرُ العديدُ منَ القصَصِ التِي رُويَت هنَا أنَّ الطعامَ الإيطاليَّ قد تمَّ تشكِيلَهُ بذات القَدْرِ على الأقَل مِن تنقُّلهِ العَشْوائِي كمَا ذُكِرَ عَنه بسبَبَ جذُورهِ الراسخَةِ في تُربةِ شبْهِ الجَزيرةِ الإيطاليَّة. إلَّا أنَّ الأطعمَةَ الإيطاليَّةَ كانَت قَد ارتحلَتْ إلى مسافةٍ بعيدةٍ لدرجةِ أنَّها دخلَت تاريخَ بُلدانٍ أُخرَى غَير إيطاليا، فتوقَّفتُ عن تحديدِ مسارِهَا. والسبَبُ وراءَ هذَا التركيزِ الإيطاليِّ الحازمِ هو التَالي، ففِي أفضلِ حالاتِهِ فلِلطعَامِ الإيطاليِّ جاذبيَّةٌ وفتنةٌ مُستَمدَّةٌ مِن علَاقةٍ شبْهِ شِعريَّةٍ معَ المكانَ والهويَّةِ، والسبَبُ الرئيسيُّ وراءَ

7

إعدَادِ الإيطاليِّينَ لطعَامٍ جيِّدٍ للغَايَة هوَ أنَّه يعمَدُ إلى إثارةِ إحساسهِم بالمكانِ الذي جَاؤوا منهُ ومَنْ هُمْ. إنَّ المدُنَ الإيطاليَّةَ هيَ المكانُ الذِي تمَّتْ فيهِ صياغَةُ هذهِ الروابطِ بينَ الطعامِ والهويَّةِ.

الكاتشوكافالو: وتعْنِي حرفيًّا "جُبنةَ الحِصان" ولكنَّ الترجمةَ الأكثرَ دقًّة لهَا "الجُبنة المنفرجَة"، ولَا طعْمَ لهَا إلى حدٍّ مَا، مصدرهَا جنوبُ البِلَاد، وتأتِي على قطعتَينِ دائريَّتينِ يتِمُّ تشكيلهُمَا عَن طريقِ تعليقهِمَا بخيْطٍ عبرهُمَا أو بِعصًا "مُنفرِجَة".

الكاستيلماغنو: هيَ جُبنةٌ أسطوانيَّةٌ صلبَةٌ من الجزءِ الشماليِّ لمدينةِ بيدمونت، و إحدَى سِماتِها المُميَّزةِ هيَ مَسحَةُ العفَنِ الأزرَقِ.

ليْسَ مِن قبيْلِ المصَادفَةِ أيضًا أنَّ المدُنَ كذلِكَ هيَ المكانُ الذِي يتجلَّى فيهِ تنوُّعُ الطعَامِ الإيطالِي، أو أنَّ التفاعُلَ الأكثرَ إثارًة بينَ الحضَارةِ والهمَجيَّةِ قَد شهِدتْهُ المدُنْ، وبالتَالِي فمَصادِرُ الوثَائقِ الأَكثَر إقْناعًا موجودَةٌ في المدُن، تلْكَ المصَادِرُ التِي تُظهِرُ كيْفَ أنَّ الأطباقَ الإيطاليَّةَ الرائِعةَ قَد سجَّلت انْحسَارَ و ارتفَاعَ التَاريخِ الإيطالِي، لذلِكَ فالمدنُ هي مَن تمنحُ كتَابَ اللذَّة هيكَلهُ المميَّز. وبإتِّباعِ المسَارِ الذي تُمليهِ المصادِرُ، يَرويِ كلُّ فصْلٍ بدَورهِ قصًّة قائمًة بذاتِهَا تَجْرِي في مَدينةٍ وَاحدةٍ، لتَتحوَّلَ شرائِحُ الحَياةِ الحَضريَّةِ معَ بعضِهَا إلى قصَّةٍ فرديَّةٍ تمتَدُّ عبْرَ القُرون، منَ العصورِ الوسْطَى وحتَّى يومِنَا هذَا، والتِي تَهدُفُ بالنهَايَةِ إلَى أَنْ تَكُونَ تَاريْخًا للطَعَامِ الإيْطَاليِّ وتَاريْخًا لإيطَاليَا مِن خِلَالِ طعَامِهَا.

**مائدَةُ العصورِ الوسْطَى**

**2**

**باليرمو 1154**

**------------------------------**

**المعكرونَةُ وخَارِطَةِ الكُرَةِ الأرضيَّة**

"لَاوجودَ لِلطعَامِ الإيطَالِي"

إنَّ الشَيءَ الوحيْدَ المألوفَ في خُبْزَ الفوكاتشيا هوَ أقراصُ خبْزِ بذورِ السُمسُمِ، فصاحِبُ الكشْكِ يقومُ بشَطرِهِ إلى نصفَينِ ليُزيلَ المرَكزَ اللَّينَ، ويضَعَ بداخلهِ حشوًة تمَّ طهْيُها وقليُهَا في دهنِ الخِنزيرِ، وتتضمَّنُ شرائِحَ مِن طُحالِ العجْلِ وشرائِحَ مِن الرئَةِ المغطَّاة بالغُضروفِ النَاعمِ مِن حُنجرةِ العِجلِ. لابُدَّ من عصْرةِ لَيمُونٍ، فهِيَ تَتغَلغَلُ بشكْلٍ محبَّبٍ عبْرَ العُصاراتِ الدهنيَّةِ، لتَرشحَ في الخُبزِ لتُعِدَّ الحشوةَ اللَّحميَّةَ، ولكنَّها تمنَحُ ذلكَ الإحسَاسَ بالكَميَّةِ التِي تمْلأُ الفَم.

بالنِسبَةِ لخبْزَ الفوكاتشيا أو باني كا ميسا (الخبْزُ معَ الطُحَال) فَهوَ الرمْزُ المقدَّسُ لتقليْدِ باليرمو المبجَّلِ لتناولِ طعَامِ الشَارعِ. فِي مطاعمِ "أنتيكا فوكاشيريا فرانشيسكو" الشهيرةِ يُقدِّمونَ مُقبِّلاتٍ مُلائمَةٍ كعيِّناتٍ لمثْلِ هذهِ الأطعمَةِ الحضريَّةِ الشهيَّةِ: آرانسين (كُراتُ الأرُزِّ المقليَّةِ، معَ البازلَّاءِ، وصلصَةُ الراغو معَ اللَّحمِ) وأيْضًا هناكَ البيتْزَا الصقليَّة ( وهيَ مربعَاتٌ سميكَةٌ من البيتْزَا الخفيفَةِ والدهنيَّةِ والمنكَّهةِ بالبصَلِ بطُرقٍ مختلفَةٍ، الجبْنُ، الأوريغانو والزَيتُونِ وغيرَهَا)، وأيْضًا المينيتشور فوكاتشيا ماريتاتا – وهيَ باني كا ميسا "مُكلَّلة" بجُبنةِ الريكوتا.

------------

\*خبز الفوكاتشيا: هو نوع من الخبز الإيطالي المفلطح المصنوع من الخميرة وزيت الزيتون ومنكه بالأعشاب.

\*صلصة الراغو: هي صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم أحيانا إضافة لحم الخيل، وتعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا.

\*جبنة الريكوتا: هي إحدى منتجات الألبان الإيطالية وتصنع من مخلفات مصل حليب الأغنام من عملية إنتاج الجبن.

8

لعلَّ المطْبخَ الصَقليَّ هو الأكثرُ تميُّزًا بعمومِ إيطاليا، ففِي عَالمٍ يَزدادُ اعتيادهُ على ما يُسمَّى بالنظامِ الغذائيِّ للبحْرِ الأبيضِ المتوسِّطِ، لَايزالُ هنالِكَ شيءٌ لا يمكِنُ التنبُّؤُ بِهِ وغريْبٌ إلى حدٍّ كبيْرٍ بشأْنِ مَا يتناولهُ الصَقليُّون. عنْدمَا تَعْمَدُ إلَى تَنَاولِ الطَعَامِ في "صقلية" فهَذَا يعنِي أنَّكَ تُقَدِّرُ التنوُّعَ المذهلَ للطعامِ الإيطالِي، وتُحَاولُ فَهْمَ السببِ الذي جعَلَ عبارةَ "لاوجوْدَ للطعامِ الإيطالِيِّ" حقيقًة شَائعًة ومسَّلمًة بهَا بَينَ النَاس.

إنَّ أكثرَ ملامحِ الطعَامِ الصقليِّ غرابًة هيَ تلْكَ الألوانُ العَجيبَةُ التِي تُعرَضُ في مَحَالِ المُعجَّناتِ: على سَبيلِ المثَالِ الكاساتا، وهيَ كعْكةٌ إسْفنجيَّةٌ معَ جُبنةِ الريكوتا المُغطَّاةِ بشَرائحٍ مِن معْجونِ اللَّوزِ والسكَّرِ المثلَّجةِ بلونِهَا الأبْيضِ والأخضرِ الفيروزِيِّ الشَاحِبِ، لتُزيَّنَ بأشْكالٍ متعدِّدةٍ من الفاكهَةِ المُسكِرةِ. أمَّا "مارتورانا الفاكِهَة"- فهيَ عِبارَة عَن معْجونِ اللَّوزِ والسُكَّرِ وقَد صُبِغَ بألوانٍ صَارخةٍ كالأخضَرِ والأحمَرِ والأصفَرِ، حيْثُ تُنْحَتُ وتُسوَّى لتأخُذَ أشْكالَ شرائحِ البِطيِّخِ الأحمَرِ، التينِ، والصبَّار. وقد تبْدُو المارتورانا للعَينِ غيْرِ الخَبيرةِ جميلًة للغايَةِ لأَجْلِ تنَاولهَا، وبِرَغْمِ ذلِكَ فَهِيَ طفوليَّةٌ وفيهَا تكَلُّفٌ- وكأنَّ تلكَ الكعْكَاتِ قَد دخلْنَ بصندوْقِ مكيَاجٍ ولطَّخنَ أنفسَهُنَّ بأحمَرِ الشِفَاه.

ويَالَ العَجَب! فَحَتَّى بعْضُ الأطبَاقِ الصَقليَّةِ اليوميَّةِ قَد تَبدو غريبًة، ومعكرونَةُ كوليه خَيرُ مثَالٍ علَى ذلِك: فهِيَ عبارَة عَن معكرونَة بوكاتيني مكسوََّةٍ بهَرِيسٍ يتضمَّنُ أسمَاكَ السَردينِ الطَازجَةِ، الشمَّرِ البريِّ، الأنشوفةِ المملَّحةِ، الزعْفَران، جَوزِ الصَنوبرِ، والزَبيبِ الصَغِير. في الواقِعِ يحْتفِظُ أسْلوبُ الطهيِ في الجزيرةِ بجاذبيَّتهِ الخَاصَّةِ لكَونهِ بسِيطًا إلى درجةِ التواضُعِ، كمَا هوَ الحَالُ معَ العَنزةِ المشْويَّةِ، الأُخطبوطِ المسْلوقِ، أو حبوْبِ الفاصولياءِ العريضَةِ الجَافَّةِ المغليَّةِ على نارٍ هادئةٍ، لتُسحَقَ ويُشكَّلُ منْهَا هريْسٌ محبَّبٌ (يُقدَّمُ ببعْضِ الأحْيانِ مَعَ المعْكرونَةِ، أو قَد يُحضَّرُ منمَّقًا أكثَرَ معَ الفلفُلِ الحَريفِ، أو البندورَةِ اليانعَةِ الغريْبَةِ، أو طَعْمِ الشمَّرِ البرِيِّ الخَالِي من اليَانسُون).

وكوَاحدةٍ منَ الحُدودِ الجُغرافيَّةِ لشبْهِ الجَزيرةِ الإيطاليَّةِ، تُقدِّمُ جَزيرةُ صَقليَة مثالًا لَافتًا للنظَرِ على التنوُّعِ الهَائلِ للأطْباقِ التِي تتَّخذُ مَكانًا لهَا فِي قَائِمَةِ الطَعَامِ "الإيطالية"، فكَيفَ يُعقَلُ أنْ ينتَمِي الطَعامُ الصَقليُّ، بأطْباقهِ منَ الكُسكسِ، وسَمكِ أبو سَيف، وسَلطةِ الحِمضيَّاتِ، إلى نفسِ عَالمِ الطَهيِ لمرتفَعاتِ أشْجارِ الصَنوبرِ الجَبليَّةِ لمقَاطَعةِ "بيدمونت"، بكَمأتِهَا، وأطْباقِ لحُومِها المنقوعَةِ بالخُمورِ ذَات النَكهَةِ الغنيَّةِ، وطَبقِ الأنيولوتي (قِطَعُ المعْكرونةِ المَحشيَّةِ)؟ سيَقولُ العَديدُ منَ الإيطاليِّين الذينَ يفتخروْنَ بتَقاليدِ الأَكْلِ المَحليَّةِ الخَاصَّةِ بهِم بأنَّه ببسَاطةٍ لَا يمكنهُم التَمييزُ بَينَهَا. ففِي إيطاليا، حتَّى شَيءٌ بسِيطٌ كالخبْزِ قَد يتغيَّرُ مِن بلدةٍ صغيرةٍ إلى أخْرَى. إنَّ الفِكرةَ الواسَعةَ الانتشَارِ بأنَّ الطَعامَ الإيطاليَّ هو مَناطِقِيٌّ، ليسَت سِوَى اختصَارٍ كَسولٍ جدًا لنَماذجِ التَنوُّعِ التِي يمكِنُ العثورُ عليهَا في مسْتوياتٍ أكثَر اتِّساعًا بطابعِهَا المحَليِّ ضمْنَ مناطقَ مثْلَ "صقلية" أو "بيدمونت"، ناهيكَ عن ذكْرِ إقليمِ "إميليا رومانيا". أمَّا التعميْمُ بشَأنِ الطريقةِ التي يتناولُ بهَا الإيطاليُّونَ الطعامَ، فهو أمْرٌ ينطَوِي على المخَاطِر.

ومَع ذلِك يُقَالُ إنَّ الطعامَ الإيطاليَّ لَا وجودَ لَه، وهذَا البلَدُ لَا يتكوَّنُ مِن مجموعةٍ من أساليْبِ الطهيِ القديمةِ المصَغَّرةِ التِي لَا ترابُطَ بيْنهَا. في إيطاليا تتشاركُ عدَّةُ أقاليمٍ الكَثِيرَ من الأطعمَةِ، على سبيلِ المثالِ عَصيدةُ دقيْقِ الذُرةِ في جزْءٍ كبيْرٍ مِنَ الشَمَال. تنطَبِقُ العادَاتُ الأخْرَى على البلَدِ بأكمَلِهِ، مثْلُ تَوحيدِ وجَباتِ الوَليمةِ وفْقًا للمُقبِّلات، الطَبقِ الأوَّلِ، الثانِي، والتَحلِيَة. إنَّ تنَاولَ الطَعامِ الصقليِّ يجْعلُ المرءَ يُقدِّرُ ما يَربطُ بيْنَ أساليبِ الطَهيِ الإيطاليَّةِ ويمنَحهُم تاريْخًا مشْتركًا.

إنَّ طبَقَ الكسكس الذِي يَفتخِرُ بهِ الصقليُّون كثِيرًا، مَعروفٌ أيضًا في توسكانا، حيثُ كانَ يُعتقَدُ بأنَّهُ طعامٌ يهوديٌّ جلبَهُ اليَهودُ الإسبانُ والبرتغاليُّونَ الذينَ وصَلوا إلى مدينة "ليفورنو" السَاحليَّةِ في القرنِ الخَامسِ عشَر. أمَّا باني كا ميسا- لفائِفُ الطُحَال- فقَد تبْدو طبقًا محليًّا متفرِّدًا، حيثُ يحرَصُ معظمُ السُيَّاحِ الذين يُحبُّونَ بطونَهُم أَن يَضَعُوا علامًة على قائمةِ مخطَّطاتهِم بأنَّهم قد تنَاولوهُ، رغْمَ أنَّ هذهِ الأطبَاق متاحةٌ أيضًا في "تورينو" عاصمةِ الإقليمِ الشماليِّ لـ"بيدمونت"، وذلِكَ منْذُ زمنِ المًعجزةِ الاقتِصاديَّةِ التِي حدَثَتْ في إيطاليا إبَّانَ الحرْبِ، عندمَا هاجَرَ آلافُ العُمَّالِ الصقليِّينَ إلى هنَاك.

ومِن أعلَى إيطاليا إلى أدْناهَا، أدَّت التغييرَاتُ الثقافيَّةُ الوَاسعَةُ إلى تعديْلٍ بعادَاتِ تنَاولِ الطعامِ بطُرقٍ مُماثِلة، فالعديْدُ منَ الأطبَاقِ الخَاصَّةِ المحليَّةِ التِي كانَ يتمُّ التحفُّظُ عليْهَا ذاتَ مرَّة لأجْلِ مناسَباتٍ دينيَّةٍ معيَّنةٍ قد أصْبحَت عِلمانيًّة في هذهِ الأوقَاتِ، ومُتوافِرَة على مدَارِ العَام. ------------

\*الكسكس أو الكُسْكسي: هو وجبة مغربية تقليدية. يصنع الكسكس من طحين القمح أو الذرة في شكل حبيبات صغيرة، ويتناول بالملاعق أو باليد. يطبخ بالبخار ويضاف إليه اللحم، أو الخضار، أو الفول الأخضر المقور، أو الحليب، أو الزبدة والسكر الناعم حسب الأذواق والمناسبات.

\*معكرونة بوكاتيني: المعروفة أيضا باسم بيرتشوتيلي، هي معكرونة تشبه السباغيتي لكنها أكثر سماكة، مع ثقب مستمر في وسطها. اسمها مأخوذ من كلمة بوكو بالإيطالية وتعني "الثقب" في حين أنَّ الأسماء الإخرى لها، بيرتشاتو أو بوكاتو تعنيان "المخروم". هذه المعكرونة، بوكاتيني، مشهورة في جميع أنحاء لاتسيو، وخاصة في روما.

\*آنيولوتي: هو نوع من المعكرونة التقليدية في منطقة بييمونتي في إيطاليا، حيث تصنع من قطع صغيرة عجينة الباستا المسطحة ومن ثم تطوى على حشوة من اللحم المشوي أو الخضار. كلمة آنيولوتي هي جمع كلمة الإيطالية أنيلولوتو.

\*إميليا رومانيا: هي منطقة إدارية في شمال إيطاليا تضم منطقتي إميليا ورومانيا التاريخيتين. عاصمة الإقليم هي بولونيا وتبلغ مساحته 20124 كيلومتر مربع وسكانه حوالي 4.3 مليون نسمة. يعتبر إقليم إميليا رومانيا اليوم واحدًا من أغنى المناطق وأكثرها تطورًا في أوروبا ويمتلك ثالث أعلى حصة للفرد من الناتج المحلي الإجمالي في إيطاليا.

\*الفاكهة المسكرة: أو سكاكر الفاكهة أو الفاكهة المتبلورة هي نتاج عملية حفظ فاكهة يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر. تُوضع الفاكهة، أو قطع الفاكهة، أو قطع قشر الفاكهة، في شراب سكر ساخن، يمتص هذا الشراب الرطوبة من داخل الفاكهة مما يؤدي إلى حفظها.

9

وطَبقُ الكاساتا مِثالٌ على ذلِك: فهوَ لَا يُؤكَلُ إلَّا مرًة واحدًة في عيدِ الفصْحِ، وقَد شهِدَتْ المارتورانا التحوُّلَ عينَه، وكذلِكَ الانطبَاعُ الطفوليُّ الذِي يتركهُ لِيسَ مصادفًة، فهذَا الطبَقُ كان يُستخدَمُ في الأصلِ كطريقَةٍ لإشرَاكِ الأطفَالِ في عيدِ الموتَى، إذ تقومُ الأمَّهاتُ بإخفَاءِ هدايَا صغيرةٍ حولَ المنزِلِ، كالفاكهةِ والحَلوياتِ ودُمَى السكَّرِ التي من المُفترضِ أَن تكونَ هدايَا للأطفَالِ من الأقَاربِ المتوفِّين. والآنَ باتَ كلٌّ من فاكهةِ المارتورانا وطبقِ الكاساتا معروفًا على المستَوى الوطنيِّ على أنَّها شِعاراتٌ لطُهَاةِ المعجَّناتِ الصقليِّين.

لقد قُسِّمتْ شِبهُ الجزيرةِ الإيطاليَّةِ بين سلطَةِ حُكَّامٍ مُختلفِينَ حتَّى النصْفِ الثانِي من القرنِ التاسِعِ عشَر، وذلكَ التاريْخُ من الانقسَامِ يُحمَل على عاتقهِ الكثيرُ من التنوُّعِ الذي حدثَ في أساليبِ الطهيِ الإيطاليَّة، ولكِن إلى جانبِ الهجرةِ والعَلمَنةِ، فقد أدخلَتْ قوى تاريخيَّة أخرَى أجزاءَ من إيطاليا جنبًا إلى جنبٍ في حِوارِ ثقافةِ تذوُّقِ الطعامِ الجيِّد-وهذَا ليْسَ حِكرًا على السَنواتِ الأخيرَة، لكنَّه يشمَلُ جزءًا كبيرًا مِن الألفيَّةِ المنصرِمَة. إنَّ هذَا الحِوَار هو الذِي يُقدِّمُ معنًى مفيدًا لمُصطلَحِ "الطَعامِ الإيطَالي". ومدُنٌ مثْلُ "باليرمو"، أمسَت المكانَ الذِي يُعقَد فيه هذَا الحِوَار، لكونِها مراكِزَ تبادُلٍ كُبْرَى.

إِذَا تناولْتَ الطعامَ في "صقليَة" فسَتشْعرُ بالبِداياتِ المبكِّرةِ لتَاريخِ الطَعامِ الإيطَالِي. إنَّ هذِه الجَزيرةِ قد تمَّ فَتْحُها فعليًّا مِن قبَلِ كُلِّ قوَّةٍ مُهيمنَةٍ على البحْرِ المتوسِّطِ خلَالَ الألفَينِ أو الثَلاثةِ آلَافِ عامٍ الماضِيَة، ومِن بينِ هؤلاءِ الفاتحِين المُختلفِين، يُعَدُّ إرْثُ تذوُّقِ الطعَامِ الجيِّدِ لدَى المسلمِين هوَ أكثرُ ما يُحتفَى بهِ في أيَّامنا هذِه- فقَد فتَحوا الجَزيْرةَ طِوالَ القَرنِ التَاسعِ والعَاشرِ والحَادِي عشَر.

إذَا امتازَت العَديدُ من الأطْباقِ الصقليَّةِ بالغَرابةِ، على الأقَل بالنسبةِ لحِسِّ التذوُّقِ عنْدَ الأُوربييِّن الشَمالييِّن، فذلك يُعزَى جُزئيًّا لتَأثيرِ شَمالِ إفريقيا والشَرقِ الأوسطِ عليهَا، ولَا تخفَى بعْضُ علاماتِ الإرثِ الإسلاميِّ على المائدةِ الصقليَّةِ، مثْلَ طبقِ الكسكس، أو الياسَمينِ الذِي يُضفِي نكهًة على الآيسِ كرِيمِ والمثلَّجات. وفي الحَقيقةِ، هناكَ طبقٌ أكثرَ وضوحًا ولكنَّه أقلَّ غرابَة: إنَّه السباغِيتِي.

تَاريْخُ الطَعامِ الإيطاليِّ يَبدأُ بِوصُولِ السباغيتي، والذِي أُحْضِرَ إلى "صقلية" بوَاسطةِ المسلِمِين الفاتحِين. وبتعبيْرٍ أدَق، فإنَّ تاريخَ الطعَامِ الإيطاليِّ يبدأُ بدُخولِ السباغيتِي جِوارَ الطعامِ بينَ المدنِ الإيطاليَّة، ليتوقَّفَ عن عمليَّةِ كونهِ مادَّة مسْتوردَة غريْبَة.

وَأفضلَ شرْحٍ لكيفيَّةِ حدوثِ ذلك هو عَبْرَ سَرْدِ قصَّةِ أحدِ المسلمينَ الصقليِّين الاسْتثنَائيِّين، والخَارطَةُ التِي رسمهَا- مُجسَّمُ الكُرةِ الأرضيِّةِ. إنَّها الخَارطَةُ التي تمدُّنا بأوَّلِ دليلٍ حَاسمٍ في تاريخِ الطَعامِ الإيطَالي، عدَا عَن كَونِها واحدةً مِن أكثرِ الكنوزِ الإبدَاعيَّةِ جمَالًا لحضَارةِ القرونِ الوسْطَى، ووَثيقةً عَن الهَمجيَّة.

**نُزهَةُ المُشتاقِ في اخترَاقِ الآفَاقِ**

لابُدَّ أنَّ مُجسَّمَ الكُرةِ الأرضيَّةِ كانَ أعجوبًة للرجَالِ الذِينَ وقعَت أبْصَارهُم علَيه أوَّلَ مرَّةٍ عَامَ 548 للهِجرَة- أو بسنَةِ 1154 حسْبَ تقويمِ الملوكِ المسيحيِّن: إنَّها قُرصٌ مثاليٌّ من الفضَّةِ الصَلبةِ، يَقربُ قطرهُ منَ المتريَن، وبوزنِ رجُلَين، وقَد نُقشَ على سطحِهَا الصَقيلِ معالِمُ العالَمِ الصالِحِ للسَكَن، لقَد كانَت بحينِهَا أكثَرَ خَارطَةٍ مُتكاملَةٍ قد تمَّ إنشَاؤهَا.

لقَد أمَرَ الملكُ النورمانديُّ "روجر الأول" حاكِمَ صَقليَة بصُنعِها في أوْجِ قوَّتهِ، ومَعَ هزيمةِ أعدائهِ أو تحوُّلهِم لحُلفَاء، أطلقَ العنانَ الكَاملَ لتعطُّشهِ للمَعرِفَة- ليسَ من مملَكتهِ فحَسْب، بَل مِن جَميعِ أصقَاعِ العَالَم. فَأَرسَلَ بطلبِ العَالِمِ الجغرافيِّ الأوَّلِ على عصْرهِ "الشريف الإدريسي" وعرضَ عليهِ ثروًة مُقابِلَ إجراءِ مسْحٍ للخَرائطِ، ومن شأنِ ذلكَ أن يتفوَّقَ على جميعِ الآخَرين.

10

درسَ "الإدريسيُّ" لخمسةَ عشَرَ عَام، وجابَ أصقاعَ الدُنيا، واستشارَ المسَافِرين، واستخدمَ بوصلًة حديديَّةً كبيرًة ليتتبَّعَ بدقَّةٍ خطوطَ الطولِ والعَرضِ والمسَافاتِ على لوْحِ الرسْمِ. وعندمَا انتهَى من ذلِك، كُلِّفَ أكثرُ صائغِي الفضَّةِ مهارةً في المملكَةِ بنقْلِ الخُلاصةِ الناتجةِ إلى قرْصٍ فضيٍّ سُبِكَ خصِّيصًا لهذَا الغرَض.

وعنْدَ الحدِّ الغربيِّ للخريطةِ رُسمَت علامَةٌ لكلتَا الجزيرتَينِ المحظوظتَين، وقد قِيلَ إنَّه على كلِّ جزيرةٍ، تمَّ نصْبُ تمثالٍ منَ البرُونز فوقَ كومَةٍ من الحجَارةِ بعلُوِّ مئةِ ذراعٍ، وهو يُشيْرُ إلى مسَاحةٍ مجْهولةٍ وراءَه.

وإلى الشَرقِ تقَعُ أقصَى منْطقةٍ في الصِين، حيْثَ نمَتْ شجَرةٌ وسْطَ النَهر، لقَد كانَ الصينيُّونَ على قناعةٍ تامَّةٍ بأنَّ النهرَ يتدفَّقُ نحوَ الجنَّة، فتجتمِعُ الحشودُ المتضرِّعةُ بالصلاةِ لتُشاهِدَ الرجَالَ المبْتهجِينَ للغايَةِ وهُم يقذِفونَ أنفُسَهم من الفروعِ العُليا للشجرةِ إلى المياهِ الواسعةِ أسْفلَ منهُم.

أمَّا السودان فيَقعُ صَوبَ الجنوبِ، والذِي تكوَّنَ معظمهُ من رمالٍ تعصفُ بهَا الرِيحُ من هنَا وهنَاكَ إلى هذَا المَكان، وقَد أحرقَتِ الشمْسُ جلْدَ شَعبهِ حتَّى أمْسَى بلونٍ أسوَدَ قاتِمٍ.

وفي ذلكَ المُحيطِ من الظلامِ إلى أقصَى الشَمال، حُدِّدتْ الجَزيرةُ المُقفِرةُ لأسكتلندا، وقَد سَادَ اعتقادٌ بينَ الجغرافيِّينَ فيمَا مضَى بوجُودِ ثلَاثَةِ مدنٍ في أسكتلندا، إلَّا أنَّها أصْبحَت مهْجورًة وخرِبًة بعْدَ أَن نشَبَ القتالُ بينَ سكَّانِهَا حتَّى أوشَكوا على الفنَاء، وهوَ يحتَوِي على معْلومَاتٍ عَن الأعْرَافِ، المُنتجَاتِ، التِجَارةِ، اللُّغةِ، والسِمَة المميَّزةِ لكُلِّ المواقعِ على مُجَسَّمِ الكُرةِ الأرضيَّة.

وبينَ هذهِ النقاطِ النائيِة، نُقِشَتْ كلُّ المناخَاتِ والبِحارِ السبعَةِ في نصْف الكرةِ الشمَالِي، معَ أسماءِ البُلدانِ، المدنِ، الموانئِ، الأنهارِ والطرقِ التي كُتبتْ بخطٍّ عربيٍّ جمِيل، وبوسْعِ أيِّ شخْصٍ لم يكتفِ منَ التَحدِيقِ بدهشةٍ نحْوَ هذَا العالَمِ المعروضِ، أنْ يُراجِعَ كتابَ الجُغرافيَا العظيمِ للإدريسي، والذِي تمَّ الاحْتفاظُ به إلى جَانبِهَا- وترجمةِ عنوانهِ هي "نزهَةُ المشتاقِ في اختراقِ الآفَاق".

إنَّ كلَّ مَن وقَعَت عَينَاهُ علَى خَارطةِ الإدريسي الفِضيَّةِ، انْجذَبَ صوبَ الجَانبِ الغربيِّ من المناخِ الرَابِع، وَأَصبَحَ بوسْعِهِ العثُورُ على سيسيلي- أو صقليَة كمَا يلفظهَا العَديدُ منَ الناطقينَ بالعربيَّةِ ويدْعونهَا بالجَزيرةِ الوطَن، فَضْلًا عَن أَنَّهَا كانَت مَشْهُورًة في العَالمِ بأسرِهِ نظرًا لخُصوبَةِ تُربتِهَا وجُودَةِ بضَائعِهَا، أمَّا مَدينَةُ "باليرمو" فتُعتبَرُ سَيِّدَةَ القِلاعِ والبَلداتِ الـ130 الموجُودةِ في صقلَية، "تلك المدِينةُ الكَبيرَةُ الفَاتِنَة، أعظَمُ وأروَعُ مكَانٍ تطِيبُ الإقَامةُ فيهِ بصقليَة" كمَا وصَفَهَا كتابُ الإدريسي. ولَا عجَبَ إن أَمكنَ مُقارنتها بـ"بغدادَ" فقَط، إِنَّها المدينةُ التِي تنتَصبُ بمُحَاذَاةِ البحرِ نحوَ الغربِ من الجَزيرَة، يحْرسُهَا طَوْقٌ من الجبَالِ، وتشْطرُ ربُعَيهَا الرئيسيَّينِ قنَواتٌ مائيَّةٌ، لتَحوطُهَا البساتينُ والقصورُ الأنيقةُ التي ترويهَا الينابيعُ الوفيرَة، وبجوارِ الميناءِ هُنَاكَ حَيٌّ يُعرَفُ بـ"الحاليسة" (المميَّز) حيْثُ كانَ يعيشُ الأميْرُ بهذَا المكَان. أمَّا الجزءُ الآخرُ من المدينةِ، القصْرُ (القلعَةُ) فهوَ عِبارَة عَن شبْهِ جَزيرةٍ مُكتظَّةٍ بـ"القصورِ الشَاهقةِ، والمنَازلِ الفَخمةِ، معَ الجَوامعِ، الحمَّاماتِ، المسْتوَدعاتِ والمتَاجرِ التِي تعودُ لِكبَارِ التُجَّارِ"، وتُروَى حَدائِقُها العَديدةُ بقنَواتٍ من المياهِ العَذبةِ التِي يُؤتَى بهَا منَ الجبَالِ. أَمَّا الحِصنُ القَديمُ فَيَلوحُ لَكَ مِن أعلَى نقْطةٍ فِي القَصرِ، وهيَ الأبعَدُ عَنِ البَحر، فيمَا باتَ مؤخرًا يمتلكُ ملامحَ قلعةٍ جديدةٍ متألِّقةٍ. وفي إِحْدَى قاعاتِ هَذِهِ القَلعَةِ، التِي زُيِّنتْ كلٌّ منْهَا بالمنْحوتَاتِ الرائعَةِ واللَّوحاتِ ونقوشَاتِ الخَطِّ العربِيِّ؛ يقبَعُ مُجسَّمُ الكُرَةِ الأرضيَّةِ ذَاتهُ.

11

دَعُونَا نَتَحدَّث عَن الإدريسي قليلًا، وُلِدَ الإدريسيُّ مُخترِعُ مُجسَّمِ الكُرةِ الأرضيَّةِ في المغربِ حوَاليِ عَام 1100 مِيلَادي، وربَّما تلقَّى تعليمَه في إسبانيَا المُسلمَة، لقَد سَافَرَ إلى البلقَانِ والبوسفورِ قبلَ أنْ يَحُطَّ رحالَهُ في صقليَة لتنفيذِ أوامرِ الملِكِ، وتُشِيرُ أدلَّةُ كتابهِ إلى أنَّه ربَّما أبْحرَ حتَّى إلى إنكلتَرا (لعلَّ هذا يُفسِّرُ الطَابعَ المُميَّزَ الذِي كوَّنهُ عن الأسكتلنديِّين).

إنَّ الإدريسيَّ ذُو نسَبٍ رفيعٍ: فبالإمْكانِ تتبُّعُ نسَبهِ وصُولًا إلى عائلةِ الرسولِ محمد صلَّى الله علَيِه وسلَّمَ مباشَرًة، وإلى جَانبِ كَونِه جُغرافيًّا، فهوَ أيضًا صيدليٌّ وطَبِيب- إنَّه نجْمُ فكْرٍ عالميٍّ. رغْمَ أنَّ المصادِرَ المتبقِّيةَ تُعطِي صورًة ضبابيًّة عَنه، ربَّما بسببِ الأجْيالِ اللَّاحقةِ من العُلماءِ المسلمِينَ الذيْنَ كبَتوا ذِكْرَاه. ودَوافعَهُم لذلِك، لَو صحَّت هذهِ النظريَّة، هوَ أنَّ الإدريسِي كاَن يعملُ لصالحِ شَخْصٍ كافرٍ: إذْ أنَّ الملك "روجر الثاني" هو مَن كلَّفهُ بإنشَاءِ مُجسَّمِ الكُرةِ الأرضيَّةِ.

كانَ والدُ المَلِكِ "روجر"، هوَ الابنُ الثانِي عشَر لأحَدِ النُبلَاءِ غيرِ المُهمِّين في النورماندي، والذِي وضَعَ حدًّا لمئتَي عامٍ من القوَّةِ الإسلاميَّة في صقليَة، وعندمَا ورِثَ الصغيرُ مملكةَ والدِه، أثْبتَ "روجر" أنَّه لا يقِلُّ عن والدهِ إثارًة للإعجَاب، وكحَالِ أبيهِ فقَد نفَّذَ سياسًة تجْمَعُ الحفاوَةَ معَ الحُلفاءِ والوحشيَّةَ العنيفةَ إِزَاءَ الأعدَاءِ، فامتدَّ نفوذهُ من حدوْدِ أراضِي البابا وسْطَ إيطاليا، نحْوَ المغَرِب وصُولًا إلى الأراضِي المقدَّسةِ البَعِيدَة. لقد نَقشَ على سَيفهِ عبارَة: "إِنَّ كُلًّا مِن بوليا وكالابريا، صقليَة وإفريقيَا تُقدِّمُ فروضَ الطاعَةِ لِي".

صاغَ "روجر" الانطباعَ عنْهُ بحيْثُ يتركُ أثرهُ في الناسِ الذينَ أصبَحوا رعايَاه، فأطلقَ لقبَ "الأُمراءِ" على كِبَارِ مسؤوليْهِ واقْتبسَ المظلَّةَ من العربِ كرمْزٍ للسُلطَة، و عباءَةُ حفْلِ تَتْويجهِ الحمراءَ الحريريَّةَ المذهلَةَ، المطرَّزةَ بخيْطٍ ذهبيٍّ، ومرصَّعًة بالمينَا ومئاتِ اللَّآلئِ، لايزالُ بالإمْكانِ اليومَ رؤيتهَا في "فيينا". ومِن وسْطِ العباءَةِ، تنشرُ نخلًة سعفهَا وهي شجرَةُ الحيَاةِ عنْدَ العرَب، وعلَى كِلَا الجانبَينِ يُهاجِمُ أسدٌ متوعِّدٌ جملًا، كرمْزٍ لإخضاعِ النورمان لشمَالِ إفريقيا، وحوْلَ حوافِّهَا نقْشٌ يُعلِنُ عَن فضَائلِ "روجر" بأحرُفٍ عربيَّةٍ كوفيَّةٍ أنيقَةٍ.

أمَّا تاجُ "روجر" فعلَى النَقيضِ من ذلكَ تمَّ تصْميمهُ وفْقًا لِلطرازِ البيزنطِي، علمًا أنَّ معظمَ مواثيقِهِ قَد أصْدرهَا باللُّغةِ اليونانيَّة. إنَّ الصورةَ الأكثرَ شُهرًة للملكِ نفسهِ هي رسْمٌ بالفُسيفسَاءِ على النمطِ اليونانِيِّ في كنيسَةِ باليرمو المعروفةِ باسْمِ "لا مارتورانا": حيثُ تُظهِرهُ مرتديًا زيًّا احتفاليًّا لإمبراطُورٍ بيزنطِيٍّ، ولَهُ لحْيةٌ وشعرٌ طويلٌ كالمَسيحِ عليهِ السَلَام.

إنَّ مُجسَّم الكُرِةِ الأرضيَّةِ هوَ جزْءٌ من ذَاتِ سياسَةِ "روجر" فِي ادِّعاءِ الملكيَّةِ بأيِّ لغةٍ وشكْلٍ فنيٍّ مُمكِن، فالغرَضُ مِن عملِ الإدريسيِّ هو الإعْلانُ عنِ الحَياةِ الرغيدَةِ بصقليَة والتِي تديْنُ بهَا الجزيرَةُ بدَرجةٍ كَبيرةٍ لسنَواتِ حُكْمِ المسلمينَ الطويلةِ قَبْلَ الغزْوِ النورماندِي، ومِنَ المَعروفِ أَنَّ الموادَّ الغذائيَّةَ الجَديدةَ هي واحدةٌ من الإرثِ الهامِّ لهَيمنةِ المسلمِين، ومن خلَالِ جلْبِ تقنيَّاتِ الريِّ التِي نشَأَت في الَشرقِ الأوسطِ، قامَ سكَّانُ شمَالِ إفريقيا الذيْنَ وصَلوا لأوَّلِ مرَّةٍ بأَواخِرِ القرنِ التَاسِعِ بإدْخَالِ تنوُّعاتٍ أحدثَتْ تغيْيرَاتٍ جذريَّةٍ في الزراعَةِ. يالجَمَالِ صقليَة التِي وثَّقهَا الإدريسيُّ! فقَد كانَت جزيرًة تُسقَى بسَاتينُهَا وحَدائقُهَا بعنَايةٍ، حيْثُ ورَّثتْ أجْيالٌ من المسلمينَ ذاتُ خِبرةٍ تقنيَّةٍ ومعرفَةٍ تجاريَّةٍ زراعًة وافرًة باللَّيمون، اللَّوز، الفستُق الحَلَبِي، قصَبُ السُكَّر، التمُور، التِين والخَرنُوب وغيرَهَا.

نَسْتَخلصُ مِن كُلِّ ذَلِكَ أَنَّ المُنْتَجَ هوَ شَيءٌ مُهِمٌّ لِلغَايَة، فَمنَ المستحيْلِ تخيُّلُ أسلوبِ الطهْيِ الصقلِيِّ المُعاصرِ دوْنَ المنتَجِ الذِي يُسوِّغُ للإدريسِي وروجَر الثَاني أنْ يكونَا فخورَينِ للغايَة. ولهذَا السبَب وحْدَه، باتَت للإدريسِي مكانةٌ هامَّةٌ في تاريخِ الطعَامِ الإيطَالِي، بَيد أنَّها لَم تكُنْ سوَى بضْعَةَ أسطُرٍ ملحُوظَةٍ من كتَابِ "نزهَةِ المشتَاقِ في اخترَاقِ الآفَاق"، التِي جَعلَت عالِمَ جغرافيَا في بلَاطِ "روجر" مديْنًا للشُهرةِ التي اكتسبَهَا مؤخَّرًا في إيطاليا- ولنَعلَمَ أَنَّ هَذِهِ الأَسْطر استثنائيًّة وأسَاسيَّة.

----------

\*بوليا: هي منطقة في جنوب شرق إيطاليا مطلة على البحر الأدرياتيكي في الشرق و البحر الأيوني إلى الجنوب الشرقي و مضيق أوترانتو و خليج تارانتو في الجنوب. جزءها الجنوبي يعرف باسم سالنتو وهو شبه جزيرة تشكل كعب "الجزمة" الإيطالية. تبلغ مساحة الإقليم 19345 كيلومتر مربع و تعداد سكانه حوالي 4 ملايين.

\*كالابريا: قلَوْرِيَة أو كالابريا إقليم في إيطاليا، يقع أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وتبلغ مساحته 15.082 كيلومتر مربع وعدد سكانه يتجاوز مليوني نسمة، وهو على شكل شبه جزيرة يحيط به شرقًا البحر الأيوني وغربًا البحر التيراني يحده من الشمال إقليم بازيليكاتا ويفصله عن صقلية مضيق ميسينا، عاصمته كاتنزارو، وتتكون من خمس مقاطعات.

\*المينا المزجج: عبارة عن مزيج مركب من عدة مواد لا عضوية، غالباً من السيليكات والأكاسيد والتي تصهر لدرجات عالية تصل إلى حوالي 900 °س ثم تسكب على ركازة من معدن أو زجاج، وذلك ضمن شكل معيّن ذي بريق خاص. تعد تقنية المينا المزجج إحدى الصناعات التقليدية القديمة والتي استعملت في صناعة الأواني والمجوهرات والفنون التشكيلية، لأنَّها تُشَكِّلُ أوَّلَ وأفضلَ دليْلٍ على أصْلِ المعْكرونَة، الطَبقِ الإيطالِيِّ الأكثَرِ شُهرًة بينَ الأطباقِ جميعَهَا.

12

**الإتيريَّة (الشعيريَّة)**

إنَّ إيطاليا مِنَ الناحيَةِ الجغرافيَّةِ والتاريخيَّةِ بلَدٌ مقسَّمٌ بحسَبِ الطعَامِ المشتَركِ، والمعْكرونَةُ هِي إحْدَى الزَخَارِفِ العَظيمةِ الموحَّدةِ في فُسيفسَاءِ فَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ الإيطَالي، والمتغيِّرةِ باسْتمرارٍ، غَيرَ أنَّ السبَبَ من ورَاءِ هذَا ليَس أَنَّ جميْعَ الإيطاليِّينَ يتَناولونَ الطَعامَ حتَّى التُخمَة- الأمْرُ أبعدَ مَا يكونُ عَن ذلِك. المعْكرونةُ طَبَقٌ شَهِيٌّ علَى مَائدَةِ المَأكولَاتِ الإيطَاليَّة، وَهِيَ تأْخذُ أشْكالًا متنوِّعةً بأجزاءٍ مُختلفةٍ من البِلَاد، ولكِنْ لَم يَعتَدْ بعْضُ الإيطاليِّين على مَذاقِهَا إلَّا في الآونةِ الأَخِيرةِ فقَط.

إنَّ أيَّ شخْصٍ يسْعَى لمَعْرِفَةِ أصوْلِ عادَةِ تنَاولِ المعكَرونةِ في إيطَاليَا، سَيَلقَى الكثِيرَ منَ المآزقِ بمَا في ذلكَ التحدِّياتُ اللغويَّة، فالمعنَى الأسَاسيُّ لكَلمةِ مَعكرونَة اليَوم لَيسَ أكْثَرَ مِن "عجِينَة" أو "عَجِين"، ومعَ ذلكَ فالعَالمُ يعْرفُ الكلِمةَ كمَا يسْتخدمُهَا الإيطاليُّونَ أيضًا، حَيثُ يقْصُدوا بِهَا فئًة واسعًة منَ الأطباقِ المصنوعةِ منْ عجينٍ تمَّ غليهُ بعدَ أن تغيَّرَ لهيئةٍ أُخرَى بطرقٍ كثيرَةٍ: القصُّ، تشكيلُهُ على شكْلِ خيوط، الحَشو...الخ. إنَّ مُعظمَ هذهِ الأسَاليبُ كانَت قَيد الاسْتخدامِ في أواخِرِ القرونِ الوسْطَى، ولقَد تحدَّث إيطاليُّو العصورِ الوسْطَى بقدْرٍ كبيرٍ عَن الماكروني، اللَّزانيا، الشعيريَّة والرافيولي، ومَا شَابَه- هذَا هوَ الوقْتُ الذي بدأَتْ فيهِ عادَةُ تناوُلِ المعكَرونةِ تطغَى حقًّا في المدُنِ الإيطاليَّةِ، ولكِن إذَا طلبْتَ منْ طاهٍ بزمانِ "دانتي" أو "جيوتو" أن يُعِدَّ لكَ طبقًا منَ المعكرونةِ فإنَّه على الغَالِبِ سيغْدُو بحَيرةٍ مِن أمْرهِ؛ فهذهِ الفئةُ المسْتقلَّةُ من الأطعمَةِ والتِي تُدعَى بالمعكَرونةِ لم تكُنْ موجودًة آنذَاكَ قَط، وإنْ تمَّ اسْتخدَامُ هذَا المصْطلَح، فقَد احتضَن جمِيعَ أنْواعِ الأطباقِ التِي أسَاسُهاَ العَجِين، بمَا في ذلك المعجَّناتِ والكَعْكِ، لذلِك بحلوْلِ القرنِ الرابعِ عشَر، بَاتَ الإيطاليون وبكُلِّ تَأكيدٍ يأكْلونَ "المعكرونة" بذَاتِ المصْطلَحِ الذِي نستَخدِمهُ، لكِن ولسوْءِ الحَظ لَم يكونُوا على درايَةٍ بأنَّهم يفعلوْنَ ذلِكْ.

وبناءً على هَذَا فإنَّ تاريخَ المعكَرونةِ الإيطاليَّةِ يبْدأُ في العُصور ِ الوسْطَى، بيْدَ أنَّ أُناسَ ذلكَ العصْرِ لَم يَسْتطِيعوا رؤيَةَ أو تسْميةَ هذَا التَحوُّل في عادَاتهِم الغذائيَّةِ والتِي أخذَتْ تنْتَشِرُ ببُطء، إذ رَاحَت العَديدُ منَ التقَاليدِ المميَّزةِ تجْتمِعُ لتشكيْلِ هذَا الضَرْبِ من الطعَامِ الذي سيُطلَق علَيهِ فيمَا بَعد اسْمُ المعكَرونَة. إذَا أَمْعَنَّا النَظَرَ بهَذهِ التقَاليدِ فَيُمكنُ رؤيَتُهَا وكَأَنَّهَا أُسَرٌ مخْتلفةٌ تزاوجَتْ فيمَا بيْنهَا لتُشكِّلَ زمْرةَ معكَرونةٍ واسعَةٍ ومتنوِّعةٍ: مثْلَ النوكي، زلَابيَة اللَّازانيا، التالياتيلي، أو قِطَعِ شَرائِحِ التورتيليني، أو لفَائفَ صَغيرَةٍ.

كانَ طبَقُ النوكي أَوَّل صِنْفٍ تَمَّ انْتَاجُهُ- فِعليًّا كلُّ ثقافةِ طعَامٍ قَد أنتجَتْ نوعًا منَ الفطَائرِ المطْبوخَةِ في الماءِ أو المرَقِ أو الحَسَاء. ثمَّ تَبِعَهُ طَبَقُ اللَّازانيا الرَائِعْ، ويُعتقَدُ أنَّ أصولَ هذِهِ الكَلمِة هو المصْطَلحُ اللَّاتينيُّ القَدِيم "لَاغَانوم"، وهِيَ صَفيحةٌ من العَجينِ تُقلَى لصُنعِ المُعجَّنات. وخِلالَ العصورِ الوسْطَى، اندَمجَت عائلةُ النوكي معَ عائلةِ اللَّازانيا: فيمْكنُ أَن تكونَ لازانيا اليَوم مَغليَّةً مثْلَ النوكي، أو مقطَّعَةً إلى شَرائِحَ ومغليَّةً مثْلَ التالياتيلي. أمَّا التورتيليني فهوَ ابْتكارٌ عظيمٌ آخَرٌ مِن حُقْبَةِ العُصورِ الوسْطَى الإيْطاليَّة، ويعْنِي حَرفيًّا "الَفطيرةُ الصَغيرَة" -وهيَ الطَريقةُ التِي خَرجَ فيهَا طَبقُ التورتيليني للحَيَاة، كفطائرَ صَغيرةٍ مطهيَّةٍ بالغلْيِ أكثرَ من كَونِها مخْبوزَة. لدَيْنَا عَائلةٌ خَامِسةٌ أيْضًا في علْمِ أنسْابِ عشِيرةِ المعكَرونَة تَسْتَحِقُّ الذِكْر، وأصُولهَا التاريخِيَّةَ تجْعَلُ منْهَا خائنًة، إلَّا أنَّهَا الآنَ الأكثرَ شُهرًة وإيطاليًّة على نْحوٍ خاصٍّ من بيْنهِم جميْعًا. وَهَكَذَا فإنَّ العَديدَ من سُلاَلاتِ النوكي، اللَّازانيا، التالياتيلي، التورتيليني، يتِمُّ تصْنِيفُها الَيومَ تحْتَ عنوانِ "المعكَرونةِ الطَازجَةِ"، وهذا يَعنِي أنَّها تُطهَى حَالما يتمُّ إعدادُهَا بينمَا لاتزَالُ نديَّة، والعَدِيدُ من أنْواعِ المعكَرونةِ الطَازجةِ تحْتوَي على البَيضِ. دَعُونَا نَعُودُ إلَى العَائلةِ الخَامِسةِ وهِي "المعكَرونةِ المُجفَّفة"، وتُشِيرُ إلى رُزَمِ الْسباغيتِّي، البيني، والفوسيلي والتِي تمْلأُ الآنَ رُفوفَ المتَاجرِ الكَبيرةِ في جَميعِ أنْحاءِ العَالمِ الغَربِي. في بعْضِ الأحَيانِ يتجنَّبُ الإيطاليُّون هذَا الالتِباسَ باستْخدامهِم لكلمةِ "باستا سيكا" ليُشِيروا إلى ذَلِكَ المُنتجِ المُجفَّف.

------------

\*دانتي وجيوتو: الأول شاعر والآخر رسام ومهندس معماري، إيطاليان من زمن العصور الوسطى ساهما في النهضة الإيطالية.

\*نوكي: هي أكلة دامبلنغ باستا إيطالية تصنع من السميد مع طحين القمح و البيض و الجبن و البطاطا و فتات الخبز و دقيق الذرة ومكونات متفاوتة أخرى من الخضروات والمنكهات والأعشاب والكاكاو والخوخ والسبيناخ. يختلف طبق النوكي حسب مناطق إيطاليا في طبخه كما يختلف في اسمه.

\*تالياتيلي: هي كلمة اشتُقت من الكلمة الإيطالية بمعنى "القَطْع" و التالياتيلي هي المعكرونة الكلاسيكية لإقليم إميليا رومانيا في إيطاليا. بشكل منفرد و متميز ظل هذا النوع من المعكرونة لمدة طويلة كأشرطة مستوية مماثلة في الشكلِ لمعكرونة فيتوتشني، لكن الحجم النموذجي لهذه الباستا حوالي 0.65 سنتيمتر إلى 1 سنتيمترِ عرضاً.

\*التورتيليني: هي معكرونة على شكل حلقات، وأحيانا يتم وصفها أيضا كشكل السرة، وبذلك سُميت بأسماء بديلة مثل سرة البطن. وعادةً ما تكون محشوة بمزيج من اللحوم أو الجبن. تأتي في الأصل من منطقة إيميليا الإيطالية وعادًة ما يتم تقديمها مع المرق، إما من اللحم أو الدجاج او كليهما.

\*البيني: هي معكرونة على شكل أنابيب قصيرة عريضة.

\*الفوسيلي: قطع معكرونة على شكل حلزونات صغيرة.

13

والذِي عَادًة مَا يُصنَعُ من القمْحِ القَاسِي أو "الحُبوبِ الصَلبَة" كمَا هوَ معروفٌ في إيطَاليا. لنَأخُذ لَمحًة عَن "الحبُوبِ الصَلبَة"، هيَ مجْموعَةٌ متنوِّعةٌ ذَاتُ محْتَوَى عَالٍ مِن الغْلوتِين، ممَّا يجعَلُ تجْفيفَهَا وتخْزينَهَا أسْهَل، ويمْنحَهَا قوامًا قابلًا للمَضْغ عندمَا تُعَدُّ كمعكَرونَةٍ حتَّى بدوْنِ البَيض.

لقَد بدَأَ الإيطاليّونَ أيضًا بتَناولِ المعكرونَةِ المُجفَّفةِ في العُصورِ الوسْطَى. ولكِن مرًّة أُخرَى، لَم يُلقوا بالًا لِلجلَبَة الكَلَاميَّة حَولَ هذَا الموضُوعِ الماكاروني- الذِي تمَّت تهجِئتهُ بطُرقٍ متنوِّعةٍ- وهوَ أكثَرُ مصطلحَاتِ المعكَرونةِ شهرةً في العصُورِ الوسْطَى، ومصدرُهُ كلمَةَ "مكَارِي" وتعْنِي الضَربَ بقوَّةٍ أو السَحْق، إلَّا أنَّه وبشكْلٍ مُربكٍ للمؤرِّخين فقَد استُخدمَ هذَا التعبِيرُ للإشَارةِ إلى كُلٍ من معكرونَةِ نوكي الطَازجَة وأنابِيبِ المعكرونَةِ المصنوعَةِ من القمْحِ القاسِي المُجفَّف، وهكَذا أمسَت مهمَّةُ تتبُّعِ التطوُّرِ المبكِّر للمعكرونَة الإيطاليَّةِ الجَافَّةِ المُميَّزةِ صعبًة للغَايَة.

لذَلِك يمكنُنَا أن ْنُدركَ بسهولَةٍ لماذَا وقعَتْ أعيُنُ مؤرِّخِي الطعامِ الإيطاليِّ الأوائلِ على الصفحَاتِ التاليَةِ من كتابِ الإدريسي "نزهةُ المشتاقِ في اختراقِ الآفَاق" بتَوقٍ شَديْدٍ عندمَا عثَروا عليهِ صدفًة، فبعْدَ بضعَةِ أسطُرٍ من انتهَاءِ احتفالهِ بأمْجادِ "روجر الثاني"، يسْتعرضُ لنَا الإدريسي وصْفًا عَن "طرابية" التِي تقَعُ على بُعْدِ حَوَالِي ثمانيَةَ عشَرَ ميلًا على امْتدَادِ السَاحلِ إلى الشَرق.

إنَّ "طرابيا" مستوطنةٌ رائعةٌ تقعُ غرْبَ مدينةِ "تيرميني"، وتمْتازُ بجداولِهَا المتدفِّقِة باسْتمرارٍ والتِي تُديْرُ عددًا من الطواحِينِ، حيْثُ تنتصِبُ بهَذا المكَانِ من الريفِ مبانٍ ضخمًة يصنعونَ فيْهَا كميَّاتٍ هائلةٍ من الإيترية (الشْعيريَّة) والتِي يَتمُّ تَصْدِيرهَا إلى كلِّ مكانٍ: كالابريا، والبُلدَان الإسلاميَّة والمسيحيَّة، عَبر إرسَالِ الكثيْرِ من حمُولَاتِ السُفُن.

كلمَةُ الإيتريَّة (الشعيريَّة) هيَ عربِيَّة وبوسْعِنَا أَنْ نعْتمِدَها، وهنَاكَ نَصٌّ من العصُورِ الوسْطَى باللُّغِة العربَّيةِ كتبَهُ طبيبٌ يهوديٌّ يعيْشُ في "تونس" بأوائلِ القرْنِ العاشِرِ يشرَحُ فيهِ، أنَّه قبْلَ ابْتكَارِ "الإدريسي" مُجسَّمهُ للكرةِ الأرضيَّةِ الفضيَّةِ بمئتَي عَامٍ، كانَت الشعيريَّة تعْنِي مسْبقًا خيوطًا رفيعًة طويلًة من العَجينِ المُجفَّفِ يتمُّ طهيهُ بواسطةِ غليهِ بالمَاءِ.

لقَد تمَّ صنْعُ الإيتريَّة (الشعيريَّة) في "صقلية" منَ القمْحِ القاسِي، وصُدِّرَت للخَارجِ، ومنْذُ أن قامَ الرومانُ بهزيمةِ "هانيبال" باتَت هذهِ "الحبوبُ الصلبةُ" أكثرَ محَاصيلِ الجزيرةِ قيمًة. وبعدَ زمانِ "الإدريسي"، تبنَّى الإيطاليُّون كلمةَ (الإيتريَّة) وقامُوا بتعديلِهَا وتسميةِ هذا المُستورَدِ العجيْبِ: فأصبحَتْ كلمةُ "تري" تعنِي شرائِحَ رقيقَة من المعكَرونة مثلَ التالياتيلي، ولازالَت كذلِك. وكَبديلٍ عن هذَا فإنَّ الإيتريَّة قد تُشيرُ إلى كلمةٍ إيطاليَّةٍ أكثَر واقعيًّة وهي الشعيريَّة التي تعنِي "الديدانُ الصغيرةُ"، (أمَّا كلمَة السباغيتي تعنِي "الخيطانُ الصغيرةُ" وتُشيرُ إلى نفسِ النَوعِ من الأشْياءِ، لكنَّها لَم تَغْدُ شائعًة حتَّى أوائلِ عَام 1800).

وهكَذا فقَد قدَّم لنَا "الإدريسي" المرجِعَ الأوَّلَ على الإطلَاقِ للمعكَرونةِ المجفَّفةِ في إيطَاليا، إلَّا أنَّ هناكَ مُعضلًة أخرَى، وهي أنَّ المسلمين هم من أحضَروا الإيتريّة إلى "صقلَية"، أفلَا يعنِي هذَا أنَّ العربَ هم مَن ابتكَروهَا؟ لايزالُ هناكَ عددٌ لابأسَ به من كتبِ الوصفَاتِ يُواصِلُ سرْدَ هذهِ القصَّةِ، مُشيرًة أنَّ أقوامًا من البَدو الرُحَّلِ كالعَربِ قَد وجَدوا أنَّ طعامًا جافًّا كالمعكَرونة قابلٌ للنَقلِ ومغذٍّ.

تتمتَّعُ هذهِ النظريَّة بلَا شكٍّ بسحرٍ رومانسيٍّ، لكنَّها ولسوءِ الحَظ مبنيَّة على فكرٍ مشوَّشٍ. لسببٍ واحدٍ، هو أنَّ قابليَّةَ المعكَرونةِ للنقْلِ وفقًا لنمَطِ حياةِ البَدو ستكونُ مناسبةً فقَط بحالِ كانَت جِمالُكَ قويًّة بمَا يكْفِي لحمْلِ أحجَار الرحَى الضخمَة اللَّازمة لإعدَادِ دقِيقِ القمحِ القاسِي. أمَّا السبَبُ الآخَر، فهو يُشيرُ بوضوحٍ إلى أنه ليسَ جميعُ المسلمينَ أو الناطقينَ بالعربيَّة هم عرَبٌ، فالناسُ الذيْنَ فتَحوا "صقلية" لمئتَي عَام قبْلَ النورمانديين كانَ معظمهُم من المغاربَة، إنَّهم بربرٌ وليسُوا عربًا، وهم تُجَّارٌ وليسُوا بدوًا.

14

وفي النهَايةِ يتَّضحُ أنَّ الإيتريَّة ليسَتْ في الأصْلِ كلمًة عربيًّة، بَل إنَّها نقْلٌ حرفيٌّ عربيٌّ من اليونانيَّة، فهِي بالنسْبةِ إلى الناطقِينَ باليونانيَّةِ تُشِيرُ إلى شَيءٍ ما أسَاسهُ عَجِينٌ مطهيٌّ في سائلٍ- "شَيءٌ" مُلتبَسٌ في أمرِهِ مُنِحَ مكانًة بيْنَ سُلَالةِ السباغِيتي. ونستَنتجُ مِن كُلِّ هذَا أنَّهُ لَا يُمكنُ تتبُّعُ أصوْلِ السباغيتي إلى بقعةٍ واحدةٍ في الزمَانِ والمكَانِ قبْلَ أنْ تصِلَ إلى إيطاليا، وأيًّا كان الطريقُ الذي نتَّبعْهُ، فإنَّ عصْرَ ما قبْلَ المعكرونةِ المجفَّفةِ يُعيدُنا إلى مياهِ البحْرِ المتوسِّطِ المزدحِمَةِ بالتجَارةِ.

**3**

**مِيلان، 1288م**

**---------------------**

**القوَّة، العنايَةُ الإلهيَّة، والجزَرُ الأبيَض**

**مركبَةُ الحرْبِ وجُبْنَةُ البَارمِيزَان**

**----**

إنَّ لكُلِّ مديْنَةٍ إيطَاليَّةٍ مَا تتمَيَّزُ بهِ عَن سَائِرِ المُدُنِ الأُخْرَى، فَعنْدمَا يتناوَلُ أهْلُ مديْنَةِ "جنَوَة" المعْكرونَةَ فمَا المَذَاقُ الذِي يشعُروْنَ بهِ حقًّا؟ لَا بُدَّ وأنَّهُ رائِعٌ للغَايَة. ولماذَا يَجِدُ سكَّانُ "نابولي" مزيْجَ ونكْهَةَ بيْتزَا مَدينَتهِم مُثيرًا للأحَاسِيسْ؟ إنَّ كُلَّ مَا يتَطلَّبهُ الأمْرُ للإِجَابَةِ علَى هَذِهِ التَسَاؤلَات بَحْثٌ سَريْعٌ على الإنتِرنِت لإيْجَادِ وصْفَةٍ للبَاجَاتا، بيْدَ أنَّهَا وَبكُلِّ تأكيْدٍ تتَطلَّبُ أكْثرَ مِن أمعَاءِ عِجْلٍ غيْرِ مَفطُوم، لَاتَزَالُ تَحْتَوي علَى حَليْبِ أُمِّهِ المَهضوْمِ جُزئيًّا، فتُطْهَى في صَلصَةِ البندوْرَةِ، لإعدَادِ طبَقِ باجَاتَا كَمَا اخْتَبرَ مذاقَهَا شَخْصٌ رومَانِي.

دائمًا مَا يُوجَدُ مكوِّنٌ إضَافِيٌّ فِي الطعَامِ الذِي يتَناولَهُ الإيطاليُّون، لَا يستطيْعُ الغربَاءُ تمييْزَه، فالكورني كمَا قَد يبْدُو وَقْعُهُ على الأذْنِ، هوَ مُكَوِّنٌ يَحْظَى بفَخْرٍ مَحَلِّي، فالعَديْدُ منَ الإيطاليِّينَ وعلى نحْوٍ مَعروْفٍ، مُرتبطِونَ بشَكْلٍ وثيْقٍ بالمدينَةِ التِي وُلِدُوا فيْهَا أكثَر مِن ارتبَاطِهِم ببَلَدهِم، فهُم بولونيُّون، كاتانيُّون\*، وتورينيُّونَ في المقَامِ الأوَّل، وإيطاليُّونَ بالمرتَبةِ الثَانيَة، ولعَلَّ الطَعامَ هو أكْثرُ تعبيْرٍ مُثيرٍ للمشَاعرِ لذلِكَ الشعوْرِ بالانتِمَاءِ المحَلِّي المُتجذِّر تارِيخيًّا.

فالمَعكرونَة، البيْتزَا، الباجَاتا هيَ أمثلَةٌ رئيسيَّةٌ لمَا قَد يُشيْرُ إليْهِ الإيطاليُّونَ كأطبَاقٍ مثاليَّة، وهيَ تُمثِّلُ كُلًّا مِن "جنوة"، "نابولي" و"روما" على التوَالِي. "تيبيسيتا" وتعْنِي (مِثاليَّة)؛ هيَ كلمَةٌ إيطاليَّةٌ تصِفُ الهَالةَ السحريَّةَ التِي يكتسبُهَا الطعامُ حيْنَ تُستثمَرُ الهويَّةُ المحليَّةُ فِيه، وهكَذَا تعذَّرَ عليْنَا تميْيزُ كلمَةِ تيبيكو (مثَالِي) عن كلمةِ البونو- الجيِّد، الصحِّي، اللَّذيذ.

----------

\*كاتانيا أو قَطَانِيَة: ثاني أكبر مدن جزيرة صقلية جنوب إيطاليا. في تاريخها، دُمـّرت سبع مرات جرّاء الثورات البركانية والزلازل. أدرجت منظمة اليونسكو وسط كاتانيا التاريخي ضمن مواقع التراث العالمي.

\*تورينو: هي مدينة تقع في شمال غرب إيطاليا، وتقع تحديداً على الضفة الغربية لنهر بو، وتُعد مدينة تجارية وثقافية مهمة.

29 إنَّ كلِمةَ تيبيسيتا (مثاليَّة) بحَدِّ ذاتِهَا مُستَنْبطَةٌ حَديثًا، لكِنْ لهَا جذورٌ أقدَمَ بكثِير، وهِي حصْريَّةٌ بإيطاليَا دوْنَ أدْنَى شَك: هُنَاكَ أماكِنُ محدَّدةٌ مُتَمَيِّزَة بإنْتَاجِ أطْعمَةٍ مُعيَّنةٍ بشكْلٍ خَاص. ولقصَّةِ كيفيَّةِ اكتسَابِ تلكَ الفكْرةِ البسيْطةِ صدًى مُميَّزٌ فيِ إيطاليَا، يُوحِّدُ العَديْدَ مِن فُصوْلِ هذَا الكِتَاب.

لَا يُمِكنُ لأيِّ مُنتَجٍ أنْ يغْدوَ مثاليًّا دوْنَ أَنْ يكوْنَ وراءَهُ تقليْدٌ قَدِيم—فِي الحَقيقَةِ كلَّمَا كَانَ التقلِيدُ أقدَم فهُوَ أفْضَل. ونادِرًا مَا يُشكِّلُ مُجرَّدُ دليْلٍ تاريخِيٍّ عقبًة أمَامَ قناعَةِ مُتذوِّقٍ إيطالِي، بأنَّ هذَا الطعامَ مذاقهُ ألذُّ عندمَا يَنْحدِرُ مِن أصْلٍ طاعنٍ بالقِدَم يربِطْهُ بمنْطقةٍ محليَّةٍ مُعيَّنة، ولهذَا يزْخَرُ مشْهَدُ فنِّ التذوُّقِ الإيطاليِّ بتقَاليدِ الطعَام- بعْضُهَا واقعِيٌّ، والآخَرُ مُبالَغٌ فيْهِ، وقسْمٌ منْهَا خيالِيٌّ بالكَامِل.

فالكَاسْاتَا، تلْكَ الحَلوَى الصقليَّة التِي ذُكِرَت فِي الفصْلِ السَابِق، هيَ قضيَّةُ تقليْدٍ مُستحْدَثٍ قائمٍ على ادِّعَاءٍ بأنَّ جذورَهَا مُمتدَّةٌ فِي العصوْرِ الوسْطَى الإسْلاميَّة، كمَا تدَّعِي العديْدُ مِن تقاليْدِ الطعَامِ المحليَّةِ الأخْرَى بأنَّ لهَا القِدَمَ عيْنَهُ، ولكِن مِن بيْنِ جمِيعِ الأطبَاقِ المثاليَّةِ الإيطاليَّةِ العديْدَةِ، قلَّةٌ قليلَةٌ بوسْعِهَا التَباهِي بجُذورهَا الأصيْلةِ التِي تعوْدُ للقروْنِ الوسْطَى. وأحَدُ المنتجَاتِ التِي يحِقُّ لهَا التفاخرُ بِلَا شَك، وعلى أيِّ حَالٍ، هِيَ الأثْمَنُ مِن بينهِمْ جميْعًا: جُبنَةُ البَارميزَان.

لنَتَحَدَّث عَن نَوعٍ آخَرٍ مِنَ الجُبْنَة، وهِيَ جُبْنةُ بارميجيانو-ريجيانو إنَّهَا العنصرُ الغذائيُّ الذِي تتِمُّ سرقتَهُ اليوْمَ بكميَّاتٍ صغيْرةٍ فِي أغلَبِ الأحْيَانِ مِنَ المتَاجِرِ الكُبْرَى الإيطاليَّة—ووفْقًا لمسْحٍ أُجْرِيَ حديْثًا، تُغادِرُ المتْجَرَ قِطْعةٌ مِن أصْلِ عشَر قِطَعٍ دوْنَ سمَاعِ صَافرَةِ الموافقَةِ مِن الماسِحَةِ اللَّيزريَّةِ لصنْدوقِ الدَفْع، يعوْدُ تاريْخُ هذَا التطَابُقِ بيْنَ مَديْنةِ "بارما" والجُبْنِ القَاسِي المَرمُوقِ المنَاسبِ لبَشْرِهِ فوْقَ المعْكَرونَةِ، إلى القرْنِ الرابِعِ عشَر على الأقَل، أمَّا ذِكْرُ جُبْنةِ البارميزان الأكثَرِ شُهرًة وقِدَمًا فيَعوْدِ إلى العَام 1350، ونحْنُ مدِينوْنَ لهَا إلى جَانبِ المُنتَجِ المثَاليِّ للحَيويَّةِ التجَاريَّةِ للمدُنِ الإيطاليَّةِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى: وخَيْرُ مثَالٍ علَى ذَلِكَ هوَ "جيوفاني بوكاتشيو"، ابْنُ أحَدِ التُجَّارِ المَصْرفيِّين الفلورنتيِّين. ففِي أحَدِ مجْموعَاتِهِ العَظيْمةِ منَ القِصَصِ القَصيْرَةِ "الديكاميرون" يُخبرنَا "بوكاتشيو" كيْفَ احْتالَ على رسَّامٍ اتَّسعَتْ مُقلتَاهُ حيْنَ أخَذَ يُصْغِي بلهْفَةٍ لقِصَصِ أرْضِ الوفْرَةِ؛ حيْثُ

هنَاكَ جبَلٌ مصنوْعٌ بأكْملهِ مِن جُبْنَةِ البَارميزَان المَبْشُورَة،

وعلى قمَّتهِ يقِفُ أناسٌ لَا يفعلوْنَ أيَّ شَيءٍ سِوَى تَحضيْرِ

المعْكرونَةِ والرافيولي، ويطْهونَهَا في مرَقةِ الدِيَكَةِ المُسَمَّنَة، ثمَّ يرْمونَهَا

مِن فَوْقِ المُنْحدَرَات، وكلَّمَا أخذْتَ أكثَر حصَلْتَ علَى المَزِيْد.

علاوًة على كونِهَا شهادَةٌ هامَّةٌ قديمَةٌ لاقتِرَانِ المعكرونَةِ وجُبنَةُ البارميزان، فإنَّ قصَّةَ "بوكاتشيو" القصيرَة تأخُذْنَا على مَقرُبَةٍ مِن أصُوْلِ الثقافَةِ الإيطاليَّةِ للمعْكرونَةِ الطازَجَةِ.

30 لعَلَّ المعْكرونَة التِي أشَارَ إليْهَا كانَت في الغَالبِ فطائِرَ صغيرَةً تمَّتْ إضافَةُ البيْضِ لهَا، أكثَرَ مِن كونِهَا خيوطُ المعْكرونةِ الجافَّةِ المصْنوعَةِ مِنَ القمْحِ القاسِي، لقَد كانَت صُرَرُ المعكرونَةِ المحشيَّةِ مثْلَ الرافيولي التِي ذكَرهَا "بوكاتشيو" بمثابَةِ نِتَاجٍ مُبكِّرٍ هَامٍّ آخَرَ لتلْكَ الثَقافَة، لابُدَّ وأنَّهم مَدينوْنَ بابتكَاراتِهِم تِلْك للشَغَفِ الإيطاليِّ بالفَطائرِ في العصْورِ الوسْطَى، سواًء الكبيْرةَ منْهَا أو الصغيْرَة- الكَعْكُ ومعكرونَةُ التورتيللي.

أمَّا جُبنَة البَارميزَان وتُوضَعُ فوْقَ المعْكرونَةِ التِي تناولهَا "بوكاتشيو" ومَن عاصَرَهُ، فقَد كانَت نتيجًة لشَيءٍ أشبَهَ بعلامَةٍ تجاريَّةٍ حضَريَّةٍ فِي العُصوْرِ الوسْطَى، ففِي أيَّامِ "بوكاتشيو" كانَت البَارميزَان تُصنَعُ بمنطقَةٍ واسِعَةٍ مِن البلادِ الخَصْبةِ في وادِي "بو"، غيرَ أنَّ التُجَّارَ بالمناطقِ الحضريَّةِ هُمْ مَن قامُوا ببيْعِهَا وتوزيعِهَا فِي الأسْواقِ الحَضريَّةِ، ولأنَّ الإيطالييِّنَ يملكوْنَ خريْطًة فكريًّة لأرضِهِم المكوَّنةِ مِن المدُنِ عِوَضًا عَن تلكَ الامتدَادَاتِ المَجْهولَةِ للمنَاطِقِ الريفيَّة، فقَد باتَ الاعْتقَادُ السَائِدُ بأنَّها جُبنَةُ مَدينةِ "بارما"، وبدَا الأمْرُ غالبًا على هذَا النَحو؛ معَ انتِشَارِ صِيْتِ جُبْنَةِ البَارميزَان، فإنَّ شُهرتَها قَد تمَّ استغْلالهَا مِن قِبَلِ التُجَّارِ الذيْنَ طَالبُوا بصُنعِ المزيدِ منَ الجُبن باسْتخدَامِ الطريقَة نفسِها، ولهذَا وبحُلوْلِ الوقْتِ الذِي بدأَ فيهِ "بوكاتشيو" بكتابَةِ قصَصِهِ، باتتْ المعْكرونَةُ والبَارميزَان طَبَقًا مُفضَّلًا راسِخًا عبْرَ شمَالِ ووسَطِ إيطاليَا.

وبالطبْعِ لَم يُسْتعمَل مُصطَلح "علَامةٌ تِجَاريَّة" بالنسْبةِ لجُبنة البَارميزَان إلَّا بشَكْلٍ ضَعِيفٍ فِي أوَاخِرِ العصوْرِ الوسْطَى. لسبَبٍ واحِدٍ، فالعلامَاتُ التجاريَّةُ المُحدَّدةُ بشكْلٍ صارمٍ اليَوم، وهويَّةُ المنتَجاتِ المثاليَّةِ التي تمَّ التعَاملُ معهَا بتشَدُّدٍ بشَكْلٍ مُتسَاوٍ، موجودةٌ فقَط لأنَّها مَحميَّةٌ بالقَانونِ مِن تلكَ الرخيْصَةُ المزوَّرة، ولِهذَا تُعَدُّ جُبنة بارميجانو-ريغانو اليَوم (سُمِّيَتْ تِبعًا لمدينةِ بارما ومقاطعةِ ريغو إميليا) واحدةً مِن الأطْعمَةِ الإيطاليَّةِ المُتزايدِ أعدَادُهَا وتتمتَّعُ بتشريعاتِ الـ دي أو بي في الاتِّحادِ الأوروبِّي—حِمَايةَ المَنْشَأ. فعلَى أيَّامِ "بوكاتشيو"، لَم يمتلِكْ المُستهلِكُ سِوَى الأعيُنِ المُتشكِّكةِ والثِقةِ الشخصيَّةِ بالتاجرِ ليضْمنَ أنَّ جُبنةَ البَارميزَان التي يشتريْهَا هي الشَيءُ الحقِيقِي، فالسِلَعُ المزوَّرةُ والمزيَّفةُ حاضِرةٌ بشكْلٍ دائمٍ في أسْواقِ العصوْرِ الوسْطَى، ولعدَّةِ قرونٍ تلتْهَا. ولهذَا السبَب، مِن بيْنِ الكثيْرِ، لَا يسَعنَا معرفَةُ كَم أنَّ المنَتجَ الذِي ذُكِرَ فِي قِصَصِ "ديكاميرون" مُشابِهٌ حقًّا للنوعيَّةِ المُوحَّدَةِ مِن جُبْنِ البَارميزَان القاسِي الحُبَيبِي المَصنوعِ بأيَّامِنَا هذِه.

إنَّ مُعظمَ الأطْباقِ المثاليَّةِ تُعتبَرُ حَديْثةَ العَهْدِ بكثيْرٍ مُقارنًة بجُبنةِ البَارمِيْزَان، لكنْ هُناكَ شعورٌ حَقيقيٌّ عليْنَا العَودةُ وِفْقَهُ إلى العُصورِ الوسْطَى لنَعثُرَ على جذورِهَا، فالجَانِبُ الأكثَرُ تأثيْرًا للمثَاليَّة، وفَخْرُ الإيطالييِّن بمُدنِهِم، قَد وُلِدَ فِي العصُورِ الوسْطَى، حيْثُ يميْلُ المؤرِّخونَ للإشَارةِ إليهِ بالوطنيَّةِ المدَنيَّة، عندمَا بدأَت مدُنُ شَمَالِ ووَسَطِ شبْهِ الجَزيرةِ الإيطاليَّةِ بإحْرازِ نَجَاحٍ تِجَارِيٍّ، وحَاربَتْ لأجْلِ

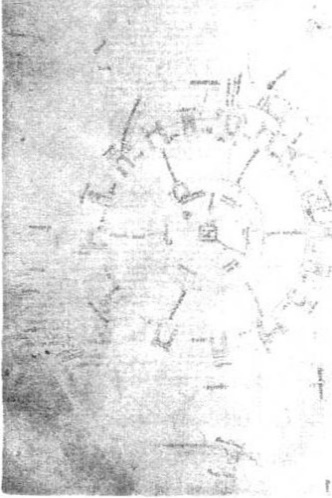
----

\*الرافيولي: صرر معكرونة صغيرة محشية باللحم والجبن أو الخضروات.

31 استِقْلالِهَا السِيَاسِي فِي القرْنِ الحَادِي عشَر، وبَاتوا فَخُورينَ للغَايةِ بأنْفُسهِم، وأمْسَى مَجْدهُم يعْتمِدُ على المنَافسةِ ببنَاءِ كاتدرائيَّاتٍ، ساحَاتٍ رائعةٍ، أمَاكنَ وأسْوارٍ دِفاعيَّة. ولكِنْ عنْدمَا اشتمَلَتْ المنافَسةُ التي اشْتعلَت بيْنَ المدُنِ على الأسْواقِ والمنَاطقِ بدَلًا مِن فنِّ العمَارَة، غالبًا مَا تحوَّلت إلى عُنفٍ، ليَمْنحَ الصِراعُ الناتِجَ بيْنَ المدُنِ زخمًا أكْبرَ للوطنيَّةِ المدنيَّة، فشَهِدَ مُنتصَفُ القَرنِ الحَادِي عشَر أوَّلَ ظهُورٍ لعَربَاتِ الحَرْب، التِي مثَّلتِ الرموزَ الأساسيَّةَ لفخْرِ المَدينَة، وبدأَت كَرايَاتٍ عسْكريَّةٍ مثبَّتةٍ على عربَاتٍ تجرُّهَا ثِيرَان، غيرَ أنَّهُ ونظرًا لكونِ المزيدِ منَ المكانةِ المحليَّةِ قَد استُغلَّتْ مِن خلَالهَا، فقَد تنامَتْ لتُصبحَ مجْموعَاتٍ متنقِّلَةً قويَّةً جدًا تشْتَمِلُ على معَابدَ، صُلبانٍ، وصوَرٍ فنيّةٍ للقدِّيسين الرُعَاة، وسُرعَانَ مَا باتَت كلُّ مدينةٍ تحتشِدُ في ساحةِ المعْركةِ والاحتفَالات المدنيَّة حولَ مركبةٍ حربيَّةٍ مُزيَّنةٍ بالرموزِ المطليَّةِ بالذهَبِ، المِظلَّاتِ الكبيرةِ، واللَّافتاتِ والأعْلَامِ ذاتِ الألوَانِ الزاهِيَة.

لقَد خلَّفَت الوطنيَّةُ المدنيَّةُ تُراثَهَا، بذَاتِ الطريقَةِ التِي يشْعرُ بهَا الإيطَاليونَ تِجاهَ طعامهِم اليَوم، لكِنَّ سكَّانَ المدنِ الإيطاليَّةِ في العصورِ الوسْطَى، لَم يحْتَفلوا بأطبَاقهِم المحليَّةِ بالطريقةِ التِي مجَّدوا بهَا عرباتِهِم الحَربيَّة، فلَا وجوْدَ لتجْسِيدٍ صَالحٍ للأكْلِ يُعبِّرُ عن الهويَّةِ المدنيَّةِ في العصورِ الوسْطَى، أثَارَ موجةً منَ الفخْرِ بينمَا كانَت تُحمَلُ بمهْرجَانٍ مِن المَطبخِ إلى المائِدَة. لابُدَّ أنَّ الإيطاليِّينَ فِي المدُن قد شَعروا بالفَخْرِ بطعَامِهم، إلَّا أنَّ لفَخْرهِم معَالِمَ مُخْتلفَةً.

ولتَتبُّعِ هذهِ الملَامِح، فنحْنُ بحاجَةٍ لتفحُّصِ نوْعٍ نادرٍ مِنْ مادَّةِ المصْدَرِ التاريخيَّة. إنَّ أوَّلَ كتُبِ الطهْيِ الإيطاليَّةِ، كمجموعَةِ الوصفَاتِ مِن القرْنِ الرابعِ عشَر، والتِي سيتِمُّ التركيْزُ عليْهَا فِي الفصْلِ القَادِم، تُقدِّمُ لنَا دليْلًا قيِّمًا، لكنَّهم في العصورِ الوسْطَى، يعلِّمونَنا فقَط عَن عاداتِ تنَاولِ الطعامِ عنْدَ الطبقَاتِ الراقِيَة، وحتَّى تلكَ المصَادرِ الأكثَرِ نُدرًة مِن كتُبِ الطَهي الأولَى، تتجَاوزُ الوصفاتِ لتُخبرنَا عمَّا يتنَاولهُ الناسُ الأقَلُّ ثرَاءً، أمَّا الأنْدرُ مِن كلِّ هذَا فهِيَ تلكَ الوثائِقُ التِي تسمَحُ لنَا بإلقَاءِ نظرَةٍ خاطفَةٍ على شعوْرِ الإيطاليِّينَ في العصورِ الوسْطَى تجَاهَ طعَامهِم- تلكَ الأحاسِيسُ التِي بوسعِهَا تحْويلُ موضوعِ التغذيَةِ البسيطِ إلى أشياءٍ مُتعلِّقةٍ بالهويَّة، ولهذَا فعندمَا وقعَت يدُ أُستَاذِ اللغةِ اللَّاتينيةِ في العصورِ الوسْطَى المُحاضِر في جامعةِ ميلَان، وبمحْضِ الصدفَةِ في خريْفِ عَام 1894، على المخطوطَةِ الوحيدَةِ المتبقِّيَةِ عَن دي ماجنوليبوس ميديولاني (عجائبِ ميلَان) فِي المكتَبةِ الوطنيَّةِ بـ"مدريد"، فإنَّ ذلكَ قَد منحَ مؤرِّخي الطعَامِ الإيطاليِّينَ شيْئًا ثمينًا للغايةِ في الحقيْقةِ.

32 

خريطةٌ مثاليَّةٌ لمدينةِ "ميلان" عامَ 1300، ووفقًا للأخِ "بونفيسين دي لا ريفا"، فتلكَ "الاستدارَةُ العجيبَة" للمدينَةِ، هيَ مثلُ نظامِهَا الغذائِي الغنِي تمامًا، حيْثُ يُظهِرُ عمَلَ العنايَةِ الإلهيَّة.

**الأَخُ بونفيسين، موَاطنُ ميلَان**

يُعتبَرُ كتابُ "أعَاجيبُ ميلان" الذِي كُتِبَ بأوَاخرِ ربيْعِ عام 1288، أحدَ الدلَائلِ العظيْمةِ عَنِ الفَخْرِ بالمديْنةِ في العصورِ الوسْطَى، فهوَ يحْتَوي على العديْدِ من الأشْياءِ، ومِن بينِهَا وصْفٌ مُفصَّلٌ لعربةِ الحرْبِ الميلانيَّة: التِي لُفَّتْ بالكَاملِ بقُماشٍ قرمزيِّ اللَّون، وقَد بدَت ضخمًة جدًا لدرجَةِ أنَّه توجَّب سحبُهَا مِن قِبَلِ ثلاثِ أزوَاجٍ مِن أكبَرِ وأقوَى الثِيرَان، وكُسِيَ كلٌّ منْهَا بغطاءٍ مُزركَشٍ أبيَضِ اللَّونِ رُسِمَ عليهِ صليْبٌ أحمْر، حملَتْ المركبَةُ رايًة طويلًة بيْضاءَ وصليبًا برونْزيًّا مطليًّا بالذهَبِ ثُبِّتَ أعلَى ساريَةٍ ثقيلَةٍ للغايَة تطلَّبَت أربعَة رجَالٍ لرفْعِهَا إلى مكَانِهَا.

إنَّ كتابَ "عجَائبُ ميلَان" مُبَالغٌ بوطنيَّتِه المدنيَّةِ كشَأْنِ عربَةِ الحرْبِ الميلَانيَّة، ومؤلِّفُ الكتَابِ "بونفيسين دي لا ريفا" لهوَ خيْرُ مثَالٍ على الأنمَاطِ الجديْدَةِ التِي راحَت تفْرِضُ نفسَهَا فِي المدُنِ الإيطاليَّة، فهوَ عضْوٌ مَيْسُور الحَالِ غيْرُ مؤهَّلٍ فِي جماعَةٍ مِن الرُهبَانِ تُدعَى "أوميليالي"(33) لعلَّه كانَ "مُحتقَرًا"، إلَّا أنَّه قدَّمَ نفْسَهُ لقُرَّائهِ بزُهُوٍّ: "الأخُ بونفيسين دي لا ريفا، موَاطِنُ ميلَان". كانَ "بونفيسين" يُقارِبُ الخمْسِينَاتِ مِن عمُرهِ عندمَا ألَّفَ كتَابَ "عجائِبُ ميلَان"، لكنْ ذلكَ الفخْرُ الصبيَانِيُّ بدَا وكأنَّه يتفجَّرُ مِن كُلِّ سَطْرٍ خطَّه؛ فيُخْبِرنَا أنَّ "ميلَان" مُمَجَّدَة بيْنَ المدُن " كالورْدَةِ أو الزنْبقَةِ على سَائِرِ الأَزْهَارِ الأخْرَى" و "كمَقَامِ النَسْرِ بيْنَ الطيُورِ" و "الأسَدِ على كُلِّ ما يسيْرُ على أرْبَع"، وحتَّى أنَّ "ميلَان" فريْدًة بشَكْلِهَا: "خَارِطةُ ميلَان مُسْتديرَة، فلهَا شكْلُ الدائرَة، وهذهِ الاسْتدَارَة العَجِيْبَة هيَ علامَةٌ على كمَالِهَا". إنَّ هَذهِ المُلَاحظَةِ البَسيْطَةِ (التِي لاتزَالُ تحْمِلُ الحَقيقَةَ إلى يَومِنَا هذَا) تتَضمَّنُ تفاخُرًا روحَانِيًّا جَسُورًا: فالقدْسُ، تلْكَ المدينةُ الدُنيويَّةُ المثاليًّة، قد صُرِّحَ عنْهَا عبْرَ التقَاليدِ بأنَّهَا تتَمتَّعُ بنفْسِ "الاسْتدارةِ العَجيبَة"- انعِكَاسٌ للنِظامِ الإلهِيِّ المُتجَلِّي في الأَجْرَامِ السمَاويَّة، ويقْترِحُ "بونفيسين" أيْضًا دوْنَ مُبالَاةٍ بأنَّ مسْقَطَ رأسِهِ هوَ المكَانُ الأمثَلُ لمقرَّاتِ البَابويَّة.

ليسَتْ تلكَ بكلمَاتٍ مَدْروسَةٍ يُرادُ بهَا اكتِسابُ صدَاقَاتٍ في فلورنسا، جنَوَة، البندقية، ناهيْكَ عَن روما. إنَّ "بونفيسين "غَافلٌ كحَالِ أيِّ شَخْصٍ وطَنيٍّ آخَرٍ كَمْ أنَّ إطْلَاقَ الهُتافَاتِ الوطنيَّةِ مُضْجِرٌ للنَاسِ الآخَرين، وبرغْمِ وجوْدِ عدَدٍ مِن الأشْياءِ التِي تجْعلُ مِن كتَابَ "عجائبُ ميلَان" مُثيْرًا للاهتِمامِ وغنيًّا بالمعْلومَاتِ بذَاتِ القدْرِ الذِي يَصْعبُ فيهِ تحمُّلَه. وذلكَ لسَببٍ وَاحدٍ؛ وهو أنَّ الأخَ "بونفيسين" قَد جَمَعَ كميًّة هائِلًة مِنَ الأدِلَّة الإحْصائيَّة، فَهو يُعْلِمُنا أنَّه تمَّ الذوْدُ عَن المدينةِ بواسِطَةِ مِترَاسٍ وخنْدَقٍ مائيٍّ مُحَاطٍ بسُورٍ يبْلغُ طولهُ 10.141 ذِراعًا ميلانيًّا بالضَبْط، وضمْنَ هذَا المُحِيطِ الدائِرِي- أَي مَا يُعادِلُ 3.78 ميْل- هُنَاكَ ستَّةُ أدْيِرَةٍ وثمَانيَةُ أدْيِرَةٍ للرَاهِبَات، وأرْبعٌ وتسْعونَ كنيْسًة صغِيرًة، وأُفُقٌ للمَدينةِ يتَخلَّلهُ بيْنَ الحينِ والآخرِ مَا مجْموعهُ 120 بُرْجًا يحْمِلُ ناقوسًا.

ووسْطَ هذهِ المجْموعةِ مِن الأرْقَامِ، تحدَّثَ "بونفيسين" بمُتعةٍ إلينَا وصَلتْنَا عبْرَ القرُون، عَن َثراءِ مديْنَتهِ وتنوُّعِهَا وصَخبِهَا اليَومِي الوَاضِح، فهُناكَ 12500 بَابُ دَارٍ فِي "ميلَان"، ومِن بينِ أصْنَافِ البشَرِ العديْدةِ التِي عاشَتْ ورَاءَ هذهِ الأبْوابِ (غالبًا ما تُوجَدُ عدَّةَ عائلَاتٍ فِي المبْنَى) هناكَ 120 مُحَاميًا، وأكثرَ من 1500 كَاتبِ عَدْل، 28 طَبيْبًا، ومَا لَا يقِلُّ عَن 120 جرَّاحًا عاديًّا،80 حدَّادَ حدَوَات،440 جزَّارًا، و6 مِن عَازفِي الأبْوَاقِ مَدْفوعِي الأجْرِ بسَخَاء، ومَا يتَجاوَزُ الألْفَ بكثيْرٍ مِن أصْحَابِ الحَانَات،14 مِن أسَاتِذَةِ الغِناءِ المُتخَصِّصينَ في التَرانِيمِ الأمْبروزيَّة\*، ومَا يزيدُ عَن 30 حِرَفيًّا ماهِرًا أسَّسوا صِناعًة حيًّة للعَلَامةِ التِجاريَّةِ الفريدةِ بميلَان، مِن خلَال صُنْعِ أجْرَاسِ الأحْصِنَة. يُصرِّحُ "بونفيسين" قائِلًا: "إنَّ أيَّ أحَدٍ يتفكَّرُ مليًّا بكُلِّ هذهِ الأشْياءِ، حتَّى وإِنْ سَافرَ عبْرَ جميْعِ أنْحَاءِ العَالَم، لنْ يجِدَ نعيمًا مُماثلًا لتلْكَ المسَرَّات". لقَد كانَ متَواضِعًا على نحْوٍ شخْصِي، حيْثُ لَم يذْكُر أنَّه واحِدٌ مِن ثمَانيةِ أساتِذَةٍ لقَواعدِ اللُّغةِ فِي المَدينَة—أَيْ اللَّاتينيَّة، أو أنَّه فِي الوَاقِعِ المتخصِّصُ الوحِيْدُ بهَا والكاتِبُ الوحيْدُ لِلسِجِلَّات. ---------- \*الطقس الأمبروزي: ويعرف أحيانًا باسم طقس ميلانو، وهو طقس ديني من تقاليد الكاثوليكية الغربية وسميّ على اسم أمبروز، وهو قديس حسب التقاليد المسيحية وأحد الرموز المؤثرة في تاريخ الكنيسة في مدينة ميلان.

34 إنَّ مثْلَ هذَا التدَفُّق الهَائِلِ مِن المُعْطيَاتِ بدَا مُذِلًّا للغَايةِ بالنسْبَةِ لمؤلِّفِي الأدَبِ اللَّاتينِي الأوائِلِ، الذيْنَ أُعْجِبَ بهِم "بونفيسين" لِكَي يُسلِّموا بفَحْوَى مخْطوطَةٍ مصْنوعةٍ مِن جلدِ البَقَر، بيْدَ أنَّ الأرْقامَ كانَت بمَثابةِ نبَضَاتِ القلبِ للمدُنِ الإيْطاليَّةِ المُكْتظَّة، لأنَّ النَاسَ المُتوسِّطين الذيْنَ يتمتَّعوْنَ بموَهبةٍ حِسَابيَّةٍ قَد قَدِمُوا إلى المدُنِ بَحْثًا عَن الأعمَالِ التِجاريَّةِ والنَجَاح، وقَد وصَلَ آخَروْنَ أيْضًا، منْهُم الحِرَفيُّونَ، العُمَّال، الخَدَم الذيْنَ وجَدوا مكَانًة لهُم في سوقِ العَملِ الحَضَري الذِي ساعدَتْ التِجَارةُ على تنوُّعِه، فجَاءَ الرُهبَانُ والراهبَاتُ لتذكيْرِ رفَاقِهِم الموَاطِنين المولَعِيْنَ بالكَسْبِ؛ بمخَاطِر الجَشَع. وقَدِمَ المَعوزُونَ والمُقعَدونَ للحُصُوْلِ على الصَدَقَة مِن خِلَالِ التمَلُّقِ بالكَلَام، وكذلِكَ الأشْخَاصُ المُشينونَ للعِبِ القِمَارِ والشُربِ فِي الحَانَات، وجمعِ فُتَاتِ قوْتِ يَومِهِم بالسَعْي دوْنَ جدْوَى بيْنَ الأزِقَّةِ الضَيِّقة، وجاءَ النُبلَاءُ لتذكِيْرِ الجَميْعِ بأنَّهُم لَازَالوا يُمثِّلونَ منارَةَ الوضْعِ الاجْتِمَاعِي.

في ميلَان والمدُنِ الإيْطاليَّةِ الأخْرَى بالعُصوْرِ الوسْطَى، عَاشَ هؤلَاءِ النَاسُ المُخْتَلفون، بتَقارُبٍ جَسَديٍّ لَافِتٍ للنَظَر، فتَنافَسوا جَميْعهُم على الحَيِّزِ في الشَارعِ معَ الخنَازيْرِ، الكِلَاب ،الدَجَاج، مُتنقِّلينَ بنفْسِ التَناغُمِ الذِي تفْرِضْهُ دوْرَةُ الشَمْس، وقَرْعِ أجْرَاسِ الكنِيسَة. فعلى سَبيْلِ المِثَالِ، الطَابِقُ الأرْضِيُّ لمنْزلِ جزَّارٍ ناجِحٍ، يُخَصَّصُ كُليًّا للمَطْبَخِ والدُكَّان—الذِي لَم يكُنْ على الأرْجَحِ أكْثَرَ مِن طَاولَةٍ كبيْرَةٍ مفْتوحَةٍ على الشَارَع، ويَتضمَّنُ أهْلَ بيتهِ زوْجتَهُ وأطْفالَهُ والصَبِيَّ المُتمَرِّنَ عنْدَه والخَدَم، فكانَ مِن عَادَتهِم جَميْعًا أنْ يتشَارَكوا ذَاتَ السَريْرِ الكبيْرِ، وبطَبيْعَةِ الحَالِ يتقَاسَمُوا الوَجْبَاتِ التِي أعدَّتْهَا زوْجَةُ السَيِّد، يقوْمُ الجَزَّارُ بصَرْعِ الحَيوانَاتِ وإخْرَاجِ أحْشَائِهَا خَارِجَ المنْزلِ تمَامًا، ليَخْتلِطَ ثُغَاءَهَا وصُراخَهَا الحَادَّ معَ صَيحَاتِ البَاعَةِ الجوَّالِين، وصَوْتِ صَريْرِ وجَلجَلةِ العَربَات، وقعْقعَةِ مَطَارقِ صَانعِي الحَدَوَات، ودَويِّ الأبْوَاقِ الرَسْميَّةِ التِي يتَردَّدُ صدَاهَا مِنَ السَاحَة.

لقَد اسْتَطَاعَ "بونفيسين" الوصوْلَ إلى موَاردِهِ الإحْصَائيَّةِ لأنَّ نظامَهُ الرَهْبَانِي كانَ جُزْءًا مِن الحيَاةِ الصَاخِبَةِ المزْدَحمَةِ للمديْنَةِ، وباتَتْ تصَرُّفاتُهُ ضَرْبًا مِن الخِدْمَةِ المدنيَّةِ فِي ميلَان، وبَدلًا مِن دَفْعِ الضَرائِبِ فقَد اهتمُّوا بخَزيْنَةِ المديْنَةِ وجمَعُوا الرسوْمَ المفروْضَةَ على استيْرَادِ الحُبوْبِ والسُلَعِ الأخْرَى المنقوْلةِ على طوْلِ القنوَاتِ العَديْدَة للمديْنَةِ، ومِن حيْنٍ لآخَر يقوْمُ "بونفيسين" بجَمْعِ ضَرائِبِ المُمتلكَاتِ أو إدَارَةِ مشَاريْعَ هنْدسَةٍ عامَّة. وَبذَاتِ الوَقْت، وبشكْلٍ جَلِيٍّ وفْقًا لعادَاتهِم الكئيْبَةِ الفظَّة، كانوا حاضِريْنَ فِي جميْعِ المرَاكِزِ الحسَّاسَةِ بحيَاةِ المديْنَة. لقَد بدَا بحلوْلِ الوقْتِ الذِي تمَّ فيْهِ تألِيفُ كتَابِ "عجَائبُ ميلان" أنَّ الأشْخَاصَ العادييِّنَ المُنتَميْنَ إلى النظَامِ الثَالثِ مِن أمثَالِ "بونفيسين" كَانُوا مَعنِيِّينَ بالميْدَانِ العَام تحْتَ سُلطَةِ بابَا الفَاتيكَان. ---------- \*النظام الثالث: هي رابطة الأشخاص الذين يعيشون وفقًا للمثل العليا وروح النظام الديني الكاثوليكي أو الأنجليكاني أو اللوثراني، لكنهم لا ينتمون إلى "ترتيبهم الأول".

35 لقَد انْعزَلَ الرُهبْانُ فِي أدْيِرَتهِم لشَغْلِ أنفُسهِم بالأموْرِ الروْحيَّة، بيْدَ أنَّ "بونفيسين" ورفاقَهُ كَانُوا مفْعمِينَ بالحَيويَّةِ لتَسْيِيرِ أموْرِ المدينَةِ بسَلَاسَة، مُتَّخذًا مِن إدارَةِ الخدمَاتِ الصحيَّةِ تخصُّصًا يقَعُ على عَاتقِه: ليُخْبرنَا أنَّه يوجَدُ فِي ميلَان وضَواحِيهَا عشْرَةُ مُستشْفيَاتٍ مُجهَّزةٍ جيِّدًا وثلَاثَةَ جرَّاحِينَ تمَّ تمْويلهُم مِنَ القطَّاعِ العَام- وجَميعهُمْ مُكرَّسونَ لخِدمَةِ الفُقرَاء.

**ثمَارُ العنَايَةِ الإلهيَّة**

لَو فكَّرْنَا بالمَطبَخِ المِيلَانِيِّ النَمُوذَجِيِّ اليَوم لتبَادَرَ إلى أذْهَانِنَا اللَّحْمَ فِي الدرجَةِ الأوْلَى؛ مِن شَرائحِ لحْمِ العجْلِ المُغطَّاةِ بفُتَاتِ الخُبْزِ والمَقليَّة، أو طبَقِ الأوسو بوكو—ساقُ العجْلِ المطهيَّةِ على نَارٍ هادئَةٍ معَ القليْلِ مِنَ البندورَةِ المَفرومَة حتَّى يُصبِحَ اللَّحمُ طريًّا وينْفصِلَ بسُهولَةٍ عَنِ العَظْم، لتُوضَعَ اللَّمسَاتُ الأخيْرَةُ على الطبَقِ بزينَةٍ مِنَ الثُومْ، البَقْدونِس، قشُورِ اللَّيمُون، ويُقَدَّمُ مَعَ الروزيتو الميلَاني الدَافِئ الذِي يعْبَقُ بالزعْفَرَان، أو طبَقِ الكَازُولَا: وهوَ عِبَارَة عَن أقدَامٍ وقشْورِ جلْدٍ وأضْلَاعِ الخِنْزِير، حيْثُ تُطْهَى معَ ملفُوْفِ سافوي حتَّى تغدُوَ ذاتَ قوَامٍ لزِجٍ، وإِنْ لَم يَبْدُ طبقكَ الكازولا لحْميَّا كِفَايًة فبوسْعِكَ أَنْ تُضِيَف النقَانِقَ أيْضًا. أمَّا البانشيتا (المُعَدُّ مِن لحْمِ الخِنْزيرِ المُقَدَّدِ) أو حتَّى أذُنُ الخِنْزير، فهوَ طعَامٌ دافِئٌ سيُرضِيك، ويُبقِيكَ بعيْدًا عَن ضبَابِ ميلَان السَيِّء الصِيتْ، لكِنَّكَ لَنْ تَجِدَ أصْلًا لهَا فِي كتَابِ "عجَائبُ ميلَان".

ويبْدُو مِن بيْنِ جميْعِ فصوْلِ كتَابِ "عجَائبُ ميلَان" المُختَصِّ بالطعَامِ أنَّ القسْمَ الأطوَلَ مِنْهُ، قَد كُرِّسَ لأصْلِ المَدِيْنَةِ التَاريْخِي والدِيْنِي، ومعَ ذَلِكَ فـ"بونفيسين" لَم يَكُنْ مُتحمِّسًا للَّحْم بِلَا رَيْب، فَقَد دوَّنَ بشَكْلٍ مُسْهَبٍ عامَ 1288، أنَّ أهْلَ ميلَان يتنَاولونَ الخنَازيْر، الخِرَاف، الحِمْلَان والمَاعِز وَ"جميْعَ أنوَاعِ الحيَوانَاتِ البريَّةِ الأُخْرَى وكلَّ مَا يسيْرُ على أربَعٍ فِي المَزَارِع"، ولَم يبْدُ أكْثَرَ تجَاوبًا معَ الدَوَاجِن حَيْثُ عدَّدَ مِنْهَا بإيْجَاز: "تُزَوَّدُ المدينَةُ أيْضًا بوفْرَةٍ مَنَ اللَّحْمِ المُمْتَازِ مِن الدِيَكَةِ المُسَمَّنة، الدجَاج، الأًوَز، البَط، الطَاووس، الحمَام، طائِرِ التَدْرَج، الدرَّاج، الغُرَّة، القُبَّرَة، الحَجَل، السمَّان، الطُيورِ السَودَاءُ، وغيْرِهَا منَ المَخْلوقَاتِ ذاتِ الأجْنحَةِ، المُناسِبَةِ لإشْبَاعِ شهيَّةِ الرِجَال"، ليَبْدو مِن الوهْلَةِ الأوْلَى، أنَّ هذَا العَرْضَ لأسمْاءِ الطيوْرِ يُظْهِرُ أنَّ الإيطاليْيِّنَ فِي العصوْرِ الوسْطَى قَد وَرِثوا ذوْقَ الرومَانيِّينَ القُدمَاء للطيوْرِ البريَّةِ الصَغيْرَةِ –وهوَ مَذَاقٌ مُستَمِرٌّ إلَى اليَوم.

أمَّا الأسمَاكُ فقَد وَلَّدَت لديْهِ حماسًا أكثَر، إذْ أوْرَدَ "بونفيسين" سِجِلًّا عَن البُحيرَاتِ والمَجَاري المائيَّةِ المُنتِجَةِ للأسْمَاك، ودوَّنَ بفرَحٍ أنَّه تمَّ استيْرَادُ أكْثَر مِن 264 غالونًا مِن الروْبيَان إلى المدينَةِ فِي كلِّ يومٍ مِن أيَّامِ المَوسِم، وحتَّى خنْدَقُ المدينَةِ المَائِيِّ الذِي قاسَهُ "بونفيسين" بنفْسِهِ ليَجِدَ أنَّ عرْضَهُ يبْلغُ ثمانيًة وثلَاثيْنَ ذِرَاعًا، يَعجُّ بالأسْماكِ والقريْدِس، وبَشكْلٍ لَافِتٍ للنظَرِ يبْدُو أنَّ "بونفيسين" يُفضِّلُ أسمَاكَ المِيَاهِ العذْبَةِ على مَا ندعوْهُ بـ"المَأكولَاتِ البحْريَّة"، وهوَ تفضيْلٌ ليْسَ مُسْتَغربًا،(36) فِكْرَةُ أنَّ أسمَاكَ المِيَاهِ العذْبَةِ كانَت صِحيًّة أكْثَر وذاتَ مذَاقٍ ألذَّ مِن أنواعِ المياهِ المالحَةِ، قَد استمرَّتْ لفترَةٍ طويلَةٍ، ولذلِكَ لَم يُشَكِّل بُعْدُ ميلَانَ عَن البحْرِ عائِقًا، بَل على النقِيْض، إذْ اعتُبِرَ قربُهَا مِن البُحيْرَاتِ والأنْهَارِ التِي تُغَذِّيها جبَالُ الألْبِ مَيِّزًة كبيْرًة.

----------

\*الغُرَّة: أو الغَرَّاء هي جنس من الطيور تتبع الفصيلة المرعات من رتبة الكركيات. وهي طائر مائي متوسط الحجم، يتميز بلونه الأسود أو الرمادي الغامق، وبوجود علامات بيضاء مميزة على الجبهة.

فِي هذهِ الأيَّام، تُعتبَرُ ميلَان المدينةَ غيْرَ الساحليَّة واحِدًة مِن أفضَلِ الأماكِنِ فِي إيطاليَا لتنَاوُلِ الطعَامِ البَحْرِي؛ لأنَّها تضمُّ أكبرَ سوْقٍ لبيْعِ الأسمَاكِ بالجُمْلَةِ فِي جنوْبِ أوروبا، إلَّا أنَّها لَم تكُنْ دائمًا على هذَا الحَال، فأطبَاقُ الأسمَاكِ التِي ذُكِرَتْ فِي مجْموعَاتِ الوصفَاتِ الميلَانيَّةِ التقليديَّةِ قلِيْلَةٌ للغَايَة- باسْتِثْنَاءِ ثُعبَانِ البَحْرِ المَوجُودِ بكُلِّ مكَانٍ وسمَكِ القَدِّ الُممَلَّح—لدرجَةِ أنَّها اشتمَلَت فِي الغَالبِ على أرْجُلِ الضفَادِعِ والقَواقِعِ، وكأنَّهَا بحاجَةٍ لتعويْضِ الأرقَام. لقَد كانَ "بونفيسين" يكْتُبُ قبْلَ فترةٍ طويْلةٍ مِن ولَادةِ هذهِ التقَاليدِ الميلَانيَّة، لكنَّ حماستَهُ بالكَذِبِ بشَأْنِ الأسماَكِ هيَ لذَاتِ السبَبِ الذِي صُنِّفَت فيْهِ أرجلُ الضفادِعِ والقواقِعِ معَ ثعبانِ البحْرِ وسمكِ قَدِّ الميَاهِ المالحَةِ: قيوْدٌ دينيَّةٌ صَارمَةٌ بشأْنِ تنَاولِ اللَّحم، فعنْدَمَا أصبحَتْ إيطَاليَا أرْضًا مسِيْحيًّة ،قَسَّمتْ التَقويْمَ مَا بيْنَ أيَّامِ "الدُهْنِ" و "الأيَّامِ الخَاليَة مِن اللَّحمِ الذِي يحْوِي دُهْنًا"—فبَاتَ اللَّحمُ، وشَحْمُ الخِنزِيْرِ، والمُنتجَاتُ الحَيوانيَّة محْظورًة بتشدُّدٍ وِفْقَ القَانونِ السَابِق، ورغْمَ أنَّ القواعِدَ أصبحَتْ أقلَّ حِدًّة بمروْرِ الزمَنِ بحيْثُ احتُسِبَتْ الجُبنَةُ والبيْضُ معَ مطبَخِ "الخاليَةِ مِن الدُهنِ واللَّحم"، فلَايزَالُ هناكَ أكثَر مِن مئَةِ يوْمٍ فِي السنَةِ تُعتبَرُ فيهِ الأسمَاكُ العنصُرَ الأساسِيَّ وبوسْعِ المؤْمِنِ وضعُهَا على مائِدَتِه، ووسْطَ الإعْلَانِ العصْريِّ الذِي لَا فائِدَة َمنْهُ عَن التقَاليدِ القديمَةِ للمطبَخِ الإيطَالي، فغَالبًا مَا يغيْبُ عَن الذهْنِ أنَّ عادَاتِ تنَاولِ الطعَامِ الإيطاليَّةِ الآنَ لا تُظهِرُ سِوَى الآثَارِ المُتبقِّيَةِ للمبَادِئ الدينيَّةِ التِي شكَّلتْها حتَّى أواخِرِ عَام 1960، عندمَا تخلَّصَ الفاتيكَان مِن تعَهُّدِ تنَاولِ سمَكِ السَلُّوِر يوْمَ الجُمْعة. إنَّ أحدَ هذهِ الآثَارِ المُتبقِّيَةِ هيَ الضفَادِعُ والقواقِعُ التِي وُجِدَت ضمْنَ وصفَاتِ الأسمَاكِ الميلانيَّة التقليديَّة وسُمِحَ بِهَا فِي الأيَّامِ الخَاليَةِ مِنَ اللَّحمِ والدُهْن.

ومعَ ذلِك، فليْسَت الأسمَاكُ هيَ التِي تُغَذِّي حقًّا الوطنيَّةَ المدنيَّةَ لـ"بونفيسين"، بَلْ الفَاكِهَةُ والخُضْروَات، فالبقوْلُ والأعْشَابُ العِطريَّةُ، الفَاكِهَةُ والخُضْروَات تشْغَلُ معَ بعْضِهَا تَقريْبًا ثمَانيَةَ أضْعَافِ المسَاحَةِ التِي يحْتلُّهَا اللَّحمُ فِي كتَابِ "عجائِبُ ميلَان"، إنَّها نِتَاجٌ مُتَواضِعٌ للأرْضِ مثْلَ الخَسِّ والمِيدلَارس (فاكِهةٌ حِمضيَّةٌ أكبَر بقليْلٍ مِنَ الجَوزِ بلوْنِهَا البُرتقَالِي الشَاحِب ونُواتِهَا الكبيْرَةِ المَلسَاء)، والإجَاصِ والمريميَّةُ وهيَ مَن أوْصلَت الحقَائِقَ التِي جمَعهَا "بونفيسين" إلى أعْلَى نبَراتِهَا وأكثَرِهَا نشْوًة، فقَوائِمُ جَرْدِهِ الطَويْلةِ تجْعَلُ أكْثرَ القواميْسِ ثقْلًا تتوسَّعُ إلى أقْصَى حدُوْدِهَا، فبعْضُ المَوَادِّ التِي يُسمِّيها تُعَدُّ غريْبًة للغَايَةِ فِي إيطاليَا اليَوْم: قروْنُ البَيقَة العَريْضَة، التِينُ المبَكِّر، البَرقوْقُ الدِمَشْقِي، حَشيْشَةُ الكلَاب(37) البَقْلَة، زوْفَا، وحتَّى الجَزَرُ الأبْيَض (ممَّا يدْعو للغَرابَةِ، أنَّه يستَحيْلُ العثوْرُ على الجزَرِ الأبيَضِ الشَهيِّ لدَى البقَّالينَ الإيْطاليِّين اليَوم، رغْمَ أنَّه أحَدُ مُكوِّنَاتِ المَرَقِ في عَشَاءِ ليْلَةِ عيْدِ المِيلَادِ البْريطَانِي).

إذَا أخذْنَا بعيْنِ الاعْتِبَار أنَّ "بونفيسين" لَم يَكُنْ على مَعْرفةٍ بالرَكَائِزِ العَديْدَةِ للنِظَامِ الغذَائِيِّ الإيْطَاليِّ العَصْري، مثْلُ البطَاطَا، الفُليفِلَة الحُلْوَة والبنَدورَة، والتِي لَم تكُنْ قَد وصلَتْ بعْدُ مِن العَالَمِ الجَديْد؛ فإنَّ التنوُّعَ بالفَاكهَةِ والخُضرَواتِ التِي جعَلَتْ "بونفيسين" يفْخَرُ بميلَان لهوَ أمْرٌ لافِتٌ للنَظَر، إنَّها تَذْكِيرٌ أيْضًا بكَيفيَّةِ قضَاءِ الزراعَةِ الحديْثَةِ بلَا هوادَةٍ على جَميْعِ التنوُّعَاتِ المَوْجودَةِ فِي موائِدِنَا باسْتثنَاءِ القَليْلِ منْهَا.

هُنَاكَ ميِّزةٌ أُخْرَى للنِظَامِ الغذَائِيِّ لميلَان فِي العصوْرِ الوسْطَى، كمَا هو الحَالُ بأيِّ مكَانٍ آخَر، يجْعَلهُ مُخْتلفًا للغايَةِ عَن الطعامِ الإيطاليِّ اليَوم، وهو أنَّه غالبًا مَا لعِبَ دوْرَ الدَوَاء؛ ففِي أوروبَّا العُصوْرِ الوسْطَى ومَا قبْلهَا، لَمْ يكُنْ ثمَّةَ فرْقٌ وَاضِحٌ بيْنَ الغذَاءِ والعَقَار، فدَائِمًا مَا عنَى تنَاولُ الطعَامِ وبشَكْلٍ غيْرِ مُنْفَصِلٍ، بأنَّه تَنظيْمٌ لعَمليَّةِ الاستقْلَابِ فِي الجِسْمِ ومقاومَةٌ للأمْرَاض. ولهَذَا السبَب، يُشيْرُ "بونفيسين" باستمْرَارٍ إلى أنَّ الكَرزَ الأحْمرَ مُفيْدٌ لآلَامِ الدَوْرَةِ الشَهْريَّة، والزوفَا تُخفِّفُ النَزْلَة الصَدْريَّة، والرُمَّان يُكافِحُ الحُمَّى.

خِلَالَ الوقْتِ الذِي قامَ فيهِ "بونفيسين" بتَجمِيْعِ كِتَابهِ المُصوَّرِ، توقَّفَ أيْضًا ليَعْرِضَ عِدَّةَ تلميْحَاتٍ ثميْنَةٍ عَن الكيْفيَّةِ التِي طَهَى بِهَا الأشْخَاصُ الميلَانيَّونَ العَاديُّونَ الطَعَامَ معَ تلكَ الهِبَاتِ المُتاحَةِ لديْهِم؛ ففِي فَصْلِ الشِتَاءِ كانَ الجَوزُ يُخلَط معَ الجُبْن، البَيْض والفُلفُل لصُنعِ حشْوةٍ للْحُوم، وعلى مدَارِ العَام كانَ يتمُّ تنَاولهَا عندَ نهَايةِ الوجْبَة، كحَالِ الكسْتَنَاءِ الخَضْراءِ المشْويَّة، ولدَى تجْفيفِهَا وطَحْنِها، بالإمْكانِ أيْضًا استخْدَامُ الكسْتَنَاءِ لإعْدَادِ الخُبزِ بوقْتِ الحَاجَة. هُنَاكَ نَوْعٌ مِن الدُخْنِ يُدعَى بانيكو—وهوَ أحَدُ البَواكيْرِ العَديْدةِ لعَصِيْدةِ الذُرَة. إنَّ مثْلَ هَذهِ التَحضِيْراتِ الشَبيْهةِ بالعَصيْدةِ قَد بقِيَتْ ثابِتًة منْذُ العُصوْرِ الرومَانيَّةِ القديْمَة على الأقَل.

لقَد وجَدَ "بونفيسين" أنَّ عادَاتِ الطَهْيِ اليوْميَّةِ هَذهِ جَدِيْرةٌ بالملَاحَظَة، وَيُشِيْرُ ذَلِكَ إلى أنَّ الأشْخَاصَ الميلانيِّينَ النَاجحِينَ عَادًة كحَالهِ، ليْسُوا خُبرَاءَ رَفيعِي المسْتَوَى بتذوُّقِ الطَعَام. فُتِنَ "بونفيسين" أيْضًا بمَدَى اتِّسَاعِ المكوِّناتِ فِي المدينَة، لكنَّه استثْمَرَ القليْلَ مِن الفخْر ليتَحدَّثَ عَن مَدَى مهَارةِ موَاطِنيْهِ باسْتخْدَامِ تلكَ المكوِّنَات. مِن خِلَالِ كُلِّ هَذَا يتَبَيَّنُ لنَا وَبِشَكْلٍ جَلِيٍّ أنَّ "بونفيسين" ليْسَ مِن عُشَّاقِ الطعَام، وفِي الوَاقعِ كانَ مُتَذوِّقًا بالجُمْلَة، فرِسَالتهُ الجَوْهَريَّة عَن الطَعَامِ الميلَانِي على مِقْدَار وفْرَة الغِذَاء: لقَد أرَادَ أَنْ يُبْهِرَنَا بالْكَمِّ الهَائِلِ منَ الاستِهْلَاك- الذِي يُعَدُّ المؤشِّرَ الموثوْقَ لثروَةِ المديْنَة. ولهذَا السَبَب فإنَّه يُخْبِرُنَا أنَّ مَا يُقَارِب السَبْعينَ ثورًا كانَ يُذبَحُ يوْميًّا مِن قِبَلِ الجَزَّارين الميلَانيِّين، وأنَّ سِتُّينَ عَربًة مُحمَّلًة مِن الكَرَزِ تَصِلُ إلى المدينَةِ بأيَّامِ الذَرْوَة (38) لتَصِفَ نشَاطَ التدَاولِ في ميلَان، ليبْدُو أنَّ "بونفيسين" قَد وصَلَ إلى فَشَلٍ إحْصَائِي: "هناكَ عددٌ مذْهلٌ يفوْقُ الحَصْرَ مِنَ البَاعَةِ والمشْتَريْن الذِيْنَ يمْلَؤوْنَ الأسْوَاق، ويَقوموْنَ بِجَلْبِ البَضَائِعِ مِنَ المنَاطِقِ الدَانِيَةِ والقَاصِيَة".

تمَّ تأليْفُ كتَابَ "عجَائِبُ ميلَان" في عصْرٍ كانَت فيْهِ المَجَاعَةُ تلوْحُ فِي الأفُقِ بالنسْبَةِ لعُموْمِ سُكاَّنِ أوروبَّا، حتَّى فِي أوْقَاتِ الحَصَادِ الجَيِّد، ولعَلَّ عدَدَ سُكَّانِ المدينَةِ التِي أحبَّها "بونفيسين" كانَ يُقارِبُ مئًة وخمْسِينَ ألْفَ نسَمَة، وليسَتْ فلورنْسَا والبندقيَّة بِبَعِيْدةٍ عَن هذَا الرَقَم، فـ"بَاريس" هيَ الوحيْدَة، مِن بيْنِ جميْعِ مدُنِ أوروبَّا التِي يُمْكِنُ مقارنَةُ حجْمِهَا بالعمَالقَةِ الإيْطَاليِّين. وفِي هَذهِ المُجْتَمعَاتِ الحَضَريَّةِ الكبيْرَةِ، كانَ النِظَامُ الغِذَائِيُّ للطَبقَةِ الوسْطَى الغنِيُّ بِبروتيْنِ الحَيوانَاتِ؛ متميِّزًا بمعَايِيرِ العَصْر، فبَاتَ الجَزَّارون، بائِعُو الأسْمَاك، والخبَّازوْنَ رجَالًا ذَوِي مَنْزِلَةٍ، فنَظَّموا أنفُسَهم فِي نقَابَاتٍ قويَّةٍ، أمَّا الطَبَقَاتُ الدُنْيَا فقَد تمَكَّنَت بشَكْلٍ دَائِمٍ مِن اقتِنَاءِ رغيْفِ الخُبْزِ الجيِّدِ إلى حَدٍّ مَعْقول، وهَذَا مَا يُفسِّرُ قيَامَ "بونفيسين" بجَعْلِ طبَقٍ بَسِيْطٍ كعَصيْدَةِ الدُخْن، مَوضوْعَ وطنيَّتهِ المدَنيَّة، كانَ هذَا الطبَقُ البَسيْطُ رائِجًا لدَى النَاسِ العَادييِّن فِي كِلَا المدَيْنةِ وَالريْفِ. لكِن وبشَكْلٍ أسَاسِي، صارت لدَى المواطنيْنَ إمدَادَاتٌ أكثَرَ يُعَوَّلُ عليْهَا مِنْه، فحَقِيْقَةُ أنَّ ميلَان سَمَحَتْ لمثْلِ هذهِ الوفْرَةِ الثابتَةِ أَنْ تَكوْنَ مُتَاحًة دَاخِلَ أسْوارهَا الدائريَّة هوَ أعجوْبَةٌ فِي الوَاقِع، فكَانَ المواطنوْنَ الفَخورونَ مِنَ المدُنِ الإيطاليَّةِ الأخْرَى يتبَاهوْنَ بإنجَاَزاتٍ مُكافئَةٍ لهَا- فميلَان مثاليَّةٌ أكثَرَ ممَّا سمَحَتْ وطنيَّةُ "بونفيسين" المدنيَّةُ برؤيَتِه.

لقَد جعَلَتْ السُلْطَةُ السِيَاسيَّةُ مِن هَذهِ المُعْجِزَاتِ مُمْكنَةَ الحُدوْثِ، فطَبَقَةُ النُبلَاءِ التِي أدَارَت المدُنَ الإيطاليَّةَ قَد اكتَسبَتْ المقْدِرَةَ على تَقريْرِ مَصيْرِهَا المشْترَك بشَكْلِ حكُومَةٍ تُدْعَى البَلديَّة، يُعَدُّ هذَا تطوُّرًا سِيَاسيًّا استثنائيًّا على أوروبا التِي تُهيْمِنُ عليْهَا الحُكوماتِ الملَكيَّةِ الإقْطاعيَّة، وبمُجَرَّدِ إنْشَاءِ البَلديَّة، باشَرَتْ بمُمارسَةِ سلْطَتَهَا على الريْفِ مِنْ حَولِهَا—المنطِقةُ المعْروفَةُ باسْمِ كونتادو (الريف)، كانَ الكونتادو فِي عقْليَّةِ حُكَّامِ المدُنِ هوَ المكَاُن الذِي تُجْبَى منْهُ الضَرائِبُ ويُجَنَّدُ الجُنود، وللذَهابِ لصَيْدِ الطَرائدِ والصَيْدِ بالصقوْرِ، وهوَ مصْدَرُ الطعَامِ بالطَبع. وتَدريْجيًّا، سَواًء باسْتخدَامِ قوَّةِ الجُيوْشِ، الصَفقَاتِ، أو المُعَاهدَات، انْتقَلَ مُعْظَمُ الريْفِ مِنْ تحْتِ سُلطَةِ سادَاتِ الإقْطَاعِ ورِجَالِ الكَنيْسَةِ إلى مُلَّاكِ الأرَاضِي الحَضَريِّينَ ومَسْؤولِي المديْنَة. ولمصْلحَةِ المديْنَة، قَد يُفرَضُ على الفلَّاحينَ أَن يَزْرَعوا مَا علَيْهِم وإجْبَارُهُم على بيْعِ الفَائِضِ لدَيْهِم، وخُصوْصًا الحبُوْب، فِي أسْوَاقِ المَديْنَة، والسبَبُ ورَاءَ هذهِ السيَاسَةِ كانَ بَسِيْطًا: فالأمْنُ الغذائيُّ فِي المدينَةِ هوَ أسَاسُ الأمْنِ السياسِيِّ لدَى حُكَّامِهَا. وتحْتَ دِرْعِ البَلديَّةِ، خَرَجَ المواطنوْنَ الأثْريَاءَ الجُدُدَ وابْتَاعوا قِطَعَ أرَاضٍ فِي الريْفِ لأجْلِ زرَاعَةِ محَاصِيْلٍ تجَاريَّةٍ (39) أو ضَمَانِ إمْدادَاتهِم الغِذَائيَّةِ الخَاصَّة. فنبَاتُ الدُخْنِ، القْريدِس، الجَزَرُ الأبيَض، وجُبنَة البَارمِيزَان: وكلُّ مِقْدَارٍ ضَئيْلٍ يُستَهلَكُ في المدُنِ الإيطاليَّةِ هوَ ثمَرَةُ تفَوُّقِهِم على الأرْضِ مِن حَولهِم.

لَم يتَحَدَّث "بونفيسين" إلى هَذهِ الدَرَجَة، فبِالنسْبَةِ لَهُ، كانَتْ ثَرْوةُ المَدينَةِ الصَالحَةُ لِلأكْلِ مُجرَّدَ علَامًة على "إحْسَانِ القَادِرِ الأَحَد"، وبِنِهَايَةِ فَصْلهِ عَن الطَعَامِ يَنْسَلُّ "بونفيسين" بسَلَاسَةٍ مِنْ قَوَائِمِ المُنْتجَاتِ ليَتَحَدَّثَ عَنْ خُرَافَةِ كيْفَ أنَّ الأسْقُفَ الأوَّلَ للمَدِيْنةِ "الرَسُوْلُ برنَابَا" قَد زرَعَ بُذوْرَ الوَفْرةِ الروْحِيَّةِ فِي المَديْنَة. "رويْدَك! مِنْ أجْلِ ذلِك، وفَّرَتْ العِنَايَةُ الإلهِيَّةُ المُقدَّسَةُ لهَذهِ الأرْضَ خُصوْبًة مُمْتَازًة مِنَ الثِمَار!". رُبَّما يُفَسِّرُ ذلِكَ سبَبَ حَمَاسِ "بونفيسين" للخُضْروَات: إنَّ كلَيهِمَا أكبرُ دليْلٍ صَريْحٍ علَى خُصوبَةِ الريْفِ، واسْتِعَارَةٌ جَاهِزَةٌ لمَكَانِ مديْنَتهِ الاستِثْنائِي فِي تَدَابيْرِ القَدِير، فأَنْ تَكُوْنَ مَسِيْحِيًّا ومُوَاطِنًا هو مُرادِفٌ تَقريْبًا لِلعَديْدِ مِمَّن عَاصَروا "بونفيسين". مَا تعلَّمْنَاهُ مِن كتَابِ "عجَائِبُ ميلَان" أنَّ كُلًّا مِنَ الدِيْنِ والوَطَنيَّةِ المَدَنيَّةِ يمنح الولَائِمَ الإيْطاليَّةَ مذَاقَهَا.

ومعَ ذلِكَ فقَد عنَتْ فكْرَةُ "الطعَامِ الإيْطَاليِّ" القَليْلَ بالنسْبَةِ لـ"بونفيسين". وحتَّى عَصْرُ النَهْضَةِ، لَم يُدْرِك الإيْطاليُّونَ أنَّهُم كَانوا يتنَاولوْنَ الطعَامَ بأسلوْبٍ يُميِّزهُم عَن الأجَانِب. وبِرَغْمِ هذَا، فَدوْنَ شَبكَةِ الرَوابِطِ التِجَاريَّةِ بيْنَ المدُنِ الإيْطاليَّةِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى، والتَركيْزِ الهَائِلِ على السُلطَةِ، الموَاردِ، والوَطنيَّةِ المدنيَّةِ مِن ضِمنِهِم، مَا كانَ ليَتسَنَّى لأسلوْبِ الطَهْيِ الإيْطَالِيِّ أَنْ يَخْرُجَ إلى الوجُوْدِ.

**لَا تَأْكُل بسُرْعَةٍ كَبيْرَة**

مِنْ بيْنِ الأعْمَالِ الأُخْرَى للأَخِ "بونفيسين" لدَيْنَا "خَمسُوْنَ تَصَرُّفًا لَائِقًا على المَائِدَة"، وهِيَ لَائِحَةٌ طَويْلَةٌ مِنَ النصَائِحِ حوْلَ الآدَابِ اللَّائقة، مَكْتوبةٌ بلُغَةٍ شِعريَّة، ففِي التَصَرُّفِ اللَّائقِ رقَم 19، بشَكْلِ نَمُوذَج مُترْجَم على نَحْوٍ غَيْرِ مُقَيَّد، تسيْرُ الأموْرُ وفْقًا لِهَذَا النَحْو:

لَا تَنْتَقِد الأطْبَاقَ عِنْدَ العَشَاء

فقَطْ أَخْبِر الجَميْعَ أنَّ مذَاقَهَا رَائِع

فبهَذِهِ العَادَةِ الرهيْبَةِ أمسَكْتُ بالكَثيْرِ مِنَ البُلهَاء

وهُمْ يقُولوْنَ "هذَا مَطبوْخٌ بشَكْلٍ سَيِّء" أَو "هذَا يَحْتاَجُ مِلْحًا"

يستنْكِرُ "بونفيسن" بأُسْلوبٍ شِعْرِيٍّ بعْضَ المُخالفَاتِ مثْلُ تنَاولِ الطَعاَمِ بسُرعَةٍ، العُطَاسِ على الطَبَق، إقْحَامِ أصَابِعِكِ فِي أُذنَيكَ أو بالتَجَاويْفِ الجَسَديَّةِ الأُخْرَى ،ونَفْخِ أنْفِكَ علَى أصَابِعِكَ، هُنَاكَ نصَائِحٌ أيْضًا (40) عَن كيفيَّةِ تَصَرُّفِكَ إذَا وجَدْتَ نفْسَكَ جَالِسًا بجَانِبِ أسْقُفٍ على العَشَاء، إنَّهَا نصِيْحَةٌ معْقولَةٌ للغَايَةِ بكُلِّ جُزْءٍ منْهَا، ولكِن مَا هوَ مُهِمٌّ حوْلَ "الخمسيْنَ تَصرُّفًا لَائقًا على المائِدَة" هوَ اقْتِصَارُ هذهِ اللَّائِحَةِ على (افْعَلْ هذَا ولَا تَقُمْ بذَلِك) بدَلًا مِنَ الجمْهُورِ الموجَّهَةِ لَه.

لقَد ألَّفَ "بونفيسين" كتَابَ "عجَائِبُ ميلَان" باللُّغةِ اللَّاتينيَّة، لفِئَةٍ مَحدوْدَةٍ من القُرَّاء تتَمتَّعُ بثَقافَةٍ راقِيَةٍ بمَا فِي ذلِكَ طُلَّابَهُ، لكنَّه أيْضًا كتَبَ بِبَعْضِ الأحْيَانِ بمَا يُمكِنُنا أَنْ ندْعوَهُ اللُّغةَ المَحَليَّة—للمِيلَانيِّين العَاديِّيْن. إنَّ مُتطلَّبَاتِ التِجَارَةِ وحيَاةِ المديْنَةِ بِصُورَةٍ أعَم، وتَعْنِي معْرفَةَ القِراءَةِ والكِتابَةِ فِي إيطَاليَا؛ كانَت بأعْلَى مُسْتويَاتِهَا مِن أيِّ مَكَانٍ ثَانٍ. فِي حِيْنِ أنَّهُ، وبأمَاكِنَ أخْرَى مِن أوروبا، كانَ الدِيْوَانُ المَلكِيُّ هوَ المكَانُ الوَحيْدُ الذِي يُؤخَذُ فيْهِ السُلوْكُ اللَّائِقُ بَعَيْنِ الاعْتِبَار، ففِي إيْطَاليَا العُصوْرِ الوسْطَى بَدَت المدينَةُ مَسْرحًا أسَاسيًّا لآدَابِ السُلوْك، ولذلِكَ فقَد كُتِبَ "خمْسُونَ تصرُّفًا لَائِقًا على المَائِدة" كحَالِ العَديْدِ مِنْ كُتُبِ النَصَائحِ فِي إيطَاليا؛ بلُغَةِ العِلَاقَاتِ اليَوميَّةِ لأجْلِ جمهوْرٍ حَضَريٍّ أوْسَع مُتَّسِمٍ بامْتِزَاجِ الفِئَاتِ الاجْتمَاعيَّة. وبِكلَامٍ أدَق، لَم يُخْبِر "بونفيسين" قُرَّاءَهُ متَى يَكونُوا مُهذَّبِين بَلْ كيْفَ يُصْبِحوا مدَنيِّين ومُتَحَضِّرين. بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، لقَد شرَعَ بإعْطَاءِ تعْليمَاتٍ بِعَدَمِ التَصَرُّفِ "كَالفلَّاح".

بيْنَ الأسْطُرِ المَنظوْمَةِ لقَوَاعِدهِ الخَمْسِين عَن السُلوكيَّاتِ اللَّائقَة، قدَّمَ "بونفيسين" لنَا لمْحًة عَن كيفيَّةِ تنَاولِ النَاسِ الطَعامَ على المَوائدِ المُحْترمَة فِي ميلَان القرْنِ الثَالثِ عشَر، فقَد قامَ الناسُ بتشَارُكِ الكؤوسِ والأطبَاقِ الكَبيْرةِ الخَشَبيَّة، وهذَا هوَ سبَبُ أنَّ العُطَاسَ في صَحْنِكَ ممْنوعٌ، ولمَاذا أنَّ الأحمَقَ فقَط هوَ مَن يُهْمِلُ مَسْحَ فَمِهِ قبْلَ تنَاولِهِ جُرعًة مِنَ النَبيْذ. كانَ كلُّ ضَيْفٍ يُزَوَّدُ بمِلعَقَةٍ (وهيَ بهَيئَةٍ جيِّدَةٍ للاحْتفَاظِ بهَا بيْنَ الوَجَبَات)، لكِنْ يتَوجَّبُ على الضَيْفِ إحْضَارُ سكِّينهِ معَه (واعْتُبِرَ وَضْعُ السِكِّينِ فِي غِمْدِهَا قبْلَ أَنْ ينْتَهِيَ الجَميْعُ مِن تنَاولِ الطَعَام أمْرًا فَظًّا).

لَم يَذْكُر "بونفيسين" الشَوْكَات، بِرَغْمِ أنَّها مَعْروفةٌ فِي إيطَاليا منْذُ قَرنَيْن، وخِلَال بضْعَةِ أجْيالٍ بعْدَ "بونفيسين"، بدَأ الإيْطاليُّونَ بتنَاولِ الطعَامِ باستخْدَامِ الشَوكَة بشَكْلٍ مُنْتَظَم- ولَعلَّهُ الإسْهَامُ الوحيْدُ مِن شبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطاليَّة للإتِيكِيْت الغَربِي. فِي الوَاقِع، إنَّ السبَبَ ورَاءَ تنَاولِ الإيْطالييِّن الطعَام بالشَوكَةِ بوَقْتٍ أبْكَرَ بكَثيْرٍ مِن أيِّ أحَدٍ آخَر، يُعْزَى على الأرْجَحِ لولَعِهِم بالمَعْكَرونَة.

وفِي بعْضِ مُذكَّراتِهم الأوْلَى بالأدَبِ الإيْطَالي، تمَّ اسْتخدَامُ الشَوكَةِ لتنَاولِ المعْكرونَة، ليَأتِي أحَدُ الأمْثلَةِ بأوَاخِرِ القرْنِ الثَالثِ عشَرَ مِن قلَمِ نِتَاجٍ نَموذَجِيٍّ آخَرَ للمُدُنِ الإيْطَاليَّة، وهوَ ابْنُ تَاجِرٍ مِن فلورنْسَا، السيَاسِيُّ وكاتِبُ القِصَصِ القصيْرةِ "فرانكو ساكيتي" ويُخبِرْنَا(41)عَن أحَدِ الشخْصِيَّاتِ الفَطِنَةِ، "جيوفاني كاسيو"، الذِي أُجْبِرَ على مُشَارَكَةِ طَاولَةٍ معَ الشَرِهِ الشَهِيْرِ "نودو دانديرا"، كانَت خُدْعَة "نودو" المُفَضَّلة أَنْ يقوْمَ ببَلْعِ الطعَامِ السَاخنِ المَغْليِّ بسُرْعَةٍ، قبْلَ أَنْ يتَمكَّنَ رفَاقَهُ على العشَاءِ حتَّى مِن تحَمُّلِهِ ووَضْعِهِ فِي أفْواهِهِم—إنَّ هذهِ الحيْلَة باتَتْ شَنِيْعًة بشَكْلٍ أكبَرَ عندمَا تمَّ تنْفِيذُهَا على طبَقٍ كبيْرٍ لاقَى تَقديْرَ الجَميْعِ مِنَ المعْكرونَةِ بالصَلصَة. فِي هذهِ الحَادثَة، مَا إِنْ قَامَ بطَلُ القصَّةِ "كاسيو" بلَفِّ أوْلَى خُيوْطِ المعْكرونَةِ التِي يتصَاعَدُ منْهَا البُخَارُ حَوْلَ شَوكتِهِ حتَّى كانَ "نودو" قَد التَهَمَ مُسْبقًا نِصْفَ حِصَّتهِ وفِي طريْقهِ لأكْلِ نَصيْبِ رفيْقهِ أيْضًا (المعْكرونَةُ التِي كانَت على المِحَك هُنَا هِيَ بكُلِّ تأكيْدٍ تلكَ الأنَابيْبِ الطَويْلَةِ الرفيْعَةِ المَصنوْعَةِ مِنَ القمْحِ القَاسِي، ويُحْتَمَل أنْ تُدْعَى اليَوْمَ بوكاتيني)، ولذَلِكَ مُقَابِلُ كُلِّ شَوكَةٍ مُمتلئَةٍ بالمعْكرونَةِ التهمَهَا "نودو" بلَمْحِ البَصَر، قامَ "كاسيو" برَمْيِ إحْدَاهَا للْكَلب، كانَ الشُعوْرُ بالذَنْبِ لإهْدَارِ المعْكرونَةِ اللَّذيْذَةِ كَافِيًا لإبْطَاءِ رفِيْقِهِ النَهِم.

**افْتقَارُ الانْسِجَامِ بيْنَ الموَاطنِين**

إنَّ لــ"بونفيسين" جَانِبًا مُظْلمًا، كَحَالِ قصَّةِ الإدْريسِي، ففِي صفَحَاتِ كتَابِ "عَجَائبُ مِيلَان" وجَدْنَا أنَّهُ يُلحَق بالقسْمِ الخَاصِّ برخَاءِ المدينَةِ تاريخٌ مُوجَزٌ، بيْدَ أنَّ هُنالِكَ شيْئًا غَريْبَا حَوْلَ ذلِكَ التَاريْخِ الذِي انْقطَعَ باكِرًا جِدًّا، إذْ أنَّه يتَوقَّفُ في الوَاقَعِ لأربَعيْنَ سنًة كَامِلًة قبْلَ رَبيْعِ عَام 1288 عنْدَمَا شرَعَ "بونفيسين" بالعَمَلِ على كتَابِ "عَجَائبُ مِيلَان"، علَيْنَا الاعْتِرَافُ أنَّهُ ربَّما أرَادَ أنْ يُتمَّهُ علَى أحْسَنِ وَجْه: ففِي عام 1248 ساعَدَت القُوَّاتُ الميلَانيَّةُ بإلحَاقِ هزيْمةٍ نكْرَاءٍ بإمبْراطورِ رومَا المُقدَّس، وصدَحَتْ أغَانِي النَصْرِ فِي المدينَةِ لدَى عَرْضِ مَركبَةٍ حَربيَّةٍ مُعَاديَةٍ تمَّ الاستيْلَاءُ علَيْها—وهِيَ تَعوْدُ للنِدِّ القَدِيم، مدينَةُ "كريمونا"، التِي دعَمَتْ الإمْبِراطُور الرومَانِي المُقدَّس.

ولكِنَّ تَجَاهُلَ "بونفيسين" لِأَحْدَاثِ العقُوْدِ التاَليَة، ليْسَ بسَبَبِ افْتِقَارِهَا للوَقَائِعِ المُثِيرَةِ، فبِالكَادِ ظهَرَتْ عَرَبَةُ الحَرْبِ الميلَانيَّة فِي الوَقْتِ الذِي كَانَت تسْعَى فيْهِ جيُوْشُ المَدينَةِ لإخْضَاعِ المنْطقَةِ المُحيْطَةِ والتَدخُّلِ بصِرَاعَاتِ القوَّةِ الدوليَّة، وعلَّقَ أحَدُ المؤرِّخيْنَ بقَولِهِ: "لَا أحَد قَد تَكَلَّفَ العَنَاءَ بأخْذِ حَرْبِ ميلَان بعَيْنِ الاعْتبَارِ خِلَالَ الرُبْعِ الثالثِ مِنَ القَرْنِ الثَالثِ عَشَر".

يُمكِن اعتِبَارُ الأحْدَاثِ الأهْليَّةِ أقلَّ دمَويًّة إلَى حَدٍّ مَا؛ ففِي عَامِ 1252 قامَ مُهَرطِقوْنَ ميلَانيُّونَ بذَبْحِ مُحقِّقٍ كنَسِيٍّ عنْدَ منْطِقَةٍ ضَحْلةٍ بنَهْرٍ في الريْفِ القَريْب، وعندمَا دفَعَ القاتلوْنَ رشْوًة لنيْلِ حُريَّتهِم، حَدثَتْ أعمَالُ شغَبٍ وتمَّ إعْدَامُ المُحَافظِ دوْنَ مُحَاكمَةٍ تَقريْبًا. وفي عَام 1252 طُرِدَ الأسَاقِفَةُ والنُبلَاءُ البَارِزيْنَ لِخَارِجِ المَدينَةِ مِن قِبَلِ خُصُومِهِمُ السِياسِيُّون.

42 وزُهاءَ مَا يَنِيْفُ عَن النصْفِ قَرنٍ التَالِي، ستتورَّطُ "ميلَان" بأكثَرِ قتَالٍ متَواصلٍ تَقريْبًا ضِدَّ جيُوشِ المنفيِّينَ السِياسيِّين، وفِي عَامِ 1257 خضَعَ كبيْرُ مُحَصِّلي الضَرَائبِ للمُحاكمَةِ وقُطِّع إرَبًا حتَّى المَوتِ مِن قبَلِ حَشْدٍ غوغَائِيٍّ وأُلقيَتْ جُثَّته فِي خَندَقٍ مَائِيٍّ لإطعَامِ القْريدِس، وكحَالِ المُحَافظِ فلَم يَكُن الرَجُلُ سَيءَّ الحَظِّ حتَّى ميلَانيًّا، فقَد تمَّ استقْدَامَهُ مِن بولونيا على أمَلِ أنْ يستطيعَ توفيْرَ شيءٍ مِن الحِيَاديَّةِ لتنظيْمِ الأموْرِ الماليَّةِ المحْفوفَةِ بالمخَاطِرِ للمَدينَةِ.

فِي عَام 1259 ولدَى مَقْتَلِ أحَدِ الخُصوْمِ بأعْمَالِ شغَبٍ أخْرَى، انْتُخِبَ النَبيلِ "مارتينو ديلا توري" زعيْمًا للشَعْب، وهوَ اخْتيَارٌ تمَّ مِنْ قِبَلِ المنَظَّمة ِالسيَاسيَّةِ والعَسْكريَّةِ للحِرَفيِّين، التُجَّار وأصْحَابُ متَاجِرِ المَديْنَة—بمَا في ذلِكَ الخبَّازونَ وبائعِو الأسْمَاكِ المُحْتَرمُون، فَضْلًا عَن أرْبعَةٍ وأربَعِينَ جزَّارًا مُدرجيْنَ مِن قِبَلِ "بونفيسين". شرَعَ "مارتينو ديلَا توري" بالاستيْلَاءِ على "ميلَان" بالقوَّة، مُتَقلِّدًا السُلطةَ الدِيْكتَاتوريَّةَ، ومُرسِلًا أعْدَاءَهُ إلى المنْفَى. خلَالَ السَنَواتِ التَاليَة، سيُساعِدُ بالحِفَاظِ على الشُروْطِ المُناسبَةِ للتجَارَة، ولسُلطَتِهِ؛ عبْرَ رَصْفِ الشَوارعِ وحَفْرِ القنَوَات، وجِبايَةِ الضَرائِبِ مِنَ الرِيفِ، وضَمَانِ إمدَادِ المدينَةِ بالمَوادِّ الغذائِيَّة.

وفي عَام 1263 قَادَ رئيْسُ أسَاقِفَةِ الكَنِيسَةِ الجَديْدِ "أوتون فيسكونتي" قوًّة مِنَ المنْفيِّينَ ضِدَّ المَدينَةِ بمُحَاولَةٍ للاسْتيلَاءِ على مَنْصِبِه، غَيْرَ أَنَّهُ أَخفقَ بذلِك. وفي سنَةِ 1266 وخلَالَ ثلَاثَةِ أيَّامٍ مُتتَاليَةٍ تمَّ قَطْعُ رأْسِ أرْبعَةٍ وخَمسيْنَ منَ النُبلَاءِ بفَنَاءِ كنيسَةِ "سان ديوجيني" وذلِكَ لدَورهِمْ في الجَريمةِ الوَحْشيَّةِ التِي طَالَت أحَدَ أفرَادِ عائلَةِ "مارتينو ديلَا توري". بعَامِ 1277 وبَعْدَ حَرْبٍ انطَوَتْ على أعْمَالٍ وحْشيَّةٍ مُتَصَاعِدَةٍ مِن كِلَا الجَانِبَين، هزَمَ الأسْقفُ "فيسكونتي" أخِيْرًا قبيْلةَ "مارتينو ديلَا توري" وتَحقَّقَتْ رؤْيَاه، أمَّا مَن نَجَا مِن آلِ "مارتينو ديلَا توريس" فقَد واصَلَ القِتَالَ مِنَ المنْفَى. وبِدَوْرهَا، قامَت عائلةُ الأسْقفُ "فيسكونتي" بتأسيْسِ سِيادَةٍ لهَا على المدينَةِ، وطَرَدَتِ الأعدَاءَ المُتعَصِّبين كمَا فعَلوا هُم آنِفًا، وهَكَذَا بَاتَ مِنَ الصَوَابِ لأيِّ شخْصِ يجِدُ نفسَهُ جَالِسًا بجِوَارِ رئيْسِ الأسَاقِفَةِ "فيسكونتي" على العَشَاءِ أَن يتحَلَّى بالآدَابِ التِي أوْصَى بهَا "بونفيسين".

لقَد تكرَّرَت نمَاذِجُ العُنْفِ المدَنيِّ الفَوْضَويِّ الشَبِيهِ بذلِكَ عبْرَ شمَالِ ووَسَطِ إيطاليَا، وكَحَالِ العَديدِ مِن المدُنِ الإيطاليَّة في القَرنِ الثَالثِ عشَر، فقَد تمَّ تَقسيْمُ "ميلَان" إلى سلَاسِلَ من مُجْتمَعاتِ الأبْنيَةِ المُحَصَّنةِ، فقَد مثَّل النُبَلَاءُ ومُوَالُوْهُم المُتَعَطِّشون للدِمَاءِ تَهدِيْدًا دَائمًا للقَانُونِ والنِظَامِ، فقَاموا بالإرْهَابِ ليَتَحرَّروا مِنَ الالتزامَاتِ الضَريبيَّةِ وسيْطَرةِ المَحَاكِمِ بِذَاتِ الوَقت. وردًّا على ذلِك، حصَّنَ التُجَّارُ والحِرَفيُّونَ شوَارِعَهمُ الخَاصَّة، وجنَّدوا قوًّة عسْكَريًّة، وأطلَقُوا يَدَ الجُمُوعِ الغَوغائيَّةِ لفَرْضِ العدَالَةِ الاجْتِمَاعيَّة،(43) فبَاتَ بوِسْعِ أيِّ شَخْصٍ النُزوْلِ إلى الشَوَارعِ مُرْتَدِيًا دِرْعًا ليَقوْمَ بذَاتِ الشَيء، وَعلَى جَمِيْعِ الأصْعِدَةِ سَرَى الولَاءُ للعَشِيْرَةِ أو القَسَمُ للمَجْموعَةِ بِشَكْلٍ أعْمَقَ منَ الوَطَنيَّةِ المدَنِيَّة، وباتَت اللُّجَانُ الثَوريَّةُ مُنقَسِمًة للغَايَة لتَتمَكَّن مِنَ البَقَاءِ. وفِي النِهايَةِ ظهَرَ النُبَلَاءُ الانْتِهَازيُّون، كعَائلَةِ "فيسكونتي" الذيْنَ بَرَزوا ليُصْبِحوا عَنْ طريْقِ الوِرَاثَةِ أسْيَادَ المُدُن.

فلَا عجَبَ إنْ وجَدَ "بونفيسين" الكتَابةَ عَن الطَعَامِ أسْهَلَ مِنَ الكتَابَةِ حَوْلَ التاريْخِ، فتَلمِيْحُهُ الوَحِيْدُ بأَنْ لَا شَيء يَسِيْرُ على مَا يُرام وَسْطَ الوَفْرَةِ المُتَاحَةِ فِي "ميلَان" يُعبَّر عنْهُ بِبِضْعِ كَلِمَاتٍ عَاجِزَةٍ، "افْتِقَارُ الانْسِجَامِ بيْنَ الموَاطِنِيْن". وهَذِهِ العِبَارَة قَد تمَّ تفسِيْرهَا كدِعَايَةٍ سيَاسيَّةٍ لقَضِيَّةِ عَائِلَةِ "فيسكونتي": لقَد أحَبَّ آلُ "فيسكونتي" فكْرةَ السَلَامِ والوِفَاقِ كحَالِ جميْعِ المُنتصِرين، أَو لعَلَّ هُتَافَ "بونفيسين" لمَسْقَطِ رَأسِهِ كانَ سَذاجًة متعمَّدًة؛ فمِنَ الحكمَةِ تجنُّبُ خلْقِ أعداءٍ سياسيِّين. وبكلتَا الحالتَين، فالوطنيَّةُ المدنيَّةُ بكتَابِ "عَجَائِبُ ميلَان" تبْدو متكلِّفًة وصَاخِبًة - وكأنَّ "بونفيسين" يُحَاولُ جاهِدًا اقْنَاعَ نفسهِ بأنَّه عاشَ في مدينةٍ تحْظَى برغَدِ العِنايَةِ الإلهيَّة، ولَن يكوْنَ آخِرَ إيطاليٍّ يجِدُ عزَاءً لمشَاكلِ بلَادهِ على المائِدَة.

44

**4**

**مدينَة البندقيَّة عَام 1300**

**-----------------------------------**

**همسَاتٌ صِينيَّةٌ**

**مَا الذِي وجَدَهُ ماركو بولو فِي الصِين**

عَادَ "ماركو بولو" إلى مَوْطِنِهِ للمَرَّةِ الأخِيْرَةِ عَام 1299، أَي بعْدَ أحَدَ عشَر عَامًا على تَألِيفِ "بونفيسين" لكِتَابِهِ "عجَائِبُ ميلَان". كانَ المُغَامِرُ العَظِيمُ في حِينِهَا بمُنْتَصَفِ الأرْبَعِينيَّات مِن عمُرِه، كمُحَاربٍ مُخَضْرَمٍ لسَبْعَةَ عَشَر عَامًا قضَاهَا في الصِين، وعدَّةِ سَنَواتٍ أخْرَى كَأسِيْرِ حَرْبٍ في "جنَوَة"، لقَد أمْضَى آخِرَ خَمْسَة وعِشريْنَ عامًا مِن عمُرهِ مُسْتَمتعًا بِهُدوْءٍ بثَروتِهِ وعَائِلتهِ الجَديْدَة، وخَدَمَاتِ عبْدِهِ المَغُولِي.

إنَّ المدِيْنَةَ التِي توَجَّبَ على "ماركو بولو" أَنْ يتَعلَّمَ فيْهَا الاتِّصَالَ بالوَطَنِ مرًّة أُخْرَى كانَت مَرْكزًا تِجَاريًّا لبَضَائِعِ العَالم، مدينةٌ تزْخَرُ بالتُجَّارِ وأصْحَابِ الحِرَف، حيْثُ اعْتَادَ أهْلُ "البندقية" البَيْعَ والشِرَاءَ في المعَارِضِ التِجَاريَّةِ للشمْبانيَا وعَبْرَ موانِئِ البُلدانِ المُنْخَفِضَةٍ وإنكلتَرا، في القسطنطينِيَّة وأنْهَارِ جَنوبِ روسيا، وفي قبرص ودمشق والإسكندرية. وبحُلوْلِ وقْتِ "بولو"، اسْتَضَافَت جَزيْرةُ "ريالتو" أهَمَّ سوقِ بَيْعٍ بالجُمْلةِ بالعَالَم، في ذلِكَ التقَوُّسِ الشَهيْرِ بالقنَالِ الكُبْرى، حيْثُ بالإمْكانِ المُتاجَرَة بالحَريرِ، الأدْويةِ القَادمةِ مِنْ جَنوبِ بَحْرِ الصينِ، القُماشِ الفلمنكي، والقَصْديرِ الضَاربِ للصُفرةِ وسْطَ حَفْلٍ بلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. ولَاتزالُ المديْنَةُ المعْروفَةُ لاسيرينسيما (البندقية) تَقِفُ اليَومَ كتَذْكِيرٍ بأنَّ الاقْتِصَادَ العَالميَّ ليْسَ بالأمْرِ الجَديد، فمَا كانَ ذاتَ يومٍ مجْموعَاتٍ مُتَفكِّكةٍ من المُجتمعَاتِ تعْتَاشُ على أحْواضِ الملْحِ وسمكِ البحيرَةِ، قَد باتَت أعْظمَ قوَّةٍ بحريَّةٍ في البحْرِ المتوسِّط.(45) ووفْقًا لمَعاييْرِ أيِّ مكَانٍ على الأرْضِ، فقَد كانَ مسَارًا اسْتِثنَائيًّا.

-----

\*البلدانُ المنخفضَة: هي الأراضِي التاريخيَّة حَول الدلتا المنخفضةِ لأنهَار الراين وسخيلده والميز، وتضمُّ حاليًّا بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ وأجزاءٌ من شمَالِ فرنسا وغربِي ألمانيا.

هُنَاكَ تاريْخَانِ للبندقيَّة، وتفسيرَانِ مُتَناقِضَان لنُهوضِهَا، في الوَاقِعِ بَقِيَت الآرَاءُ حَوْلَ "البندقية" مُتعَارِضًة بشَكْلٍ جذْرِيٍّ حتَّى هذَا الوَقْت، ولَايزَالُ المؤرِّخونَ الحَديثوْنَ مُنقَسمِينَ وفْقًا للأُسُسِ المَوْضوعَةِ فِي القُروْنِ الوسْطَى.

إنَّ التَاريْخَ الأوَّلَ لنَهْضَةِ فينيسيا (البُندقيَّة) هوَ حِكَايَةُ مَديْنةٍ كانَ جمَالُهَا، ثرْوتُهَا، وقوَّتُها كمُكافأَةٍ لتلْكِ الشُراكَةِ الفَريْدَةِ بيْنَ الحُكومَةِ الجيِّدةِ وريَادَةِ الأعْمَال. وعلَى نَقيْضِ المدُنِ الإيْطاليَّةِ الأُخْرَى، لَم تَنْسَقْ البُندقيَّةُ إلى صِرَاعٍ مَدَنيٍّ مَأسَاوِي أو تخْضَعَ أبدًا لحُكْمِ طاغيَةٍ مِثْلَ "ديلا توري" و"فيسكونتي". أمَّا طبَقَةُ النُبَلَاءِ التُجَّارِ الذيْنَ أشْرَفوا على ذلِك الاسْتِقلَالِ فقَد تَميَّزوا بإحْسَاسهِم تجَاهَ الخِدْمَة العَامَّة، واحْتِرَامِهِم للمُؤَسَّساتِ العَامَّة، وسيَاسَاتِهِم البِيْئيَّةِ السَليمَة؛ فقَامَت السلُطَاتُ بتَشيِيْدِ القَنَاطِرِ، حَوَاجِزِ الأمْوَاجِ، المنَارَات، وحَمَت الأشْجَار التِي تَعمَلُ على تشْبِيثِ الضِفَافِ الرمليَّة ببَعْضِهَا، وقامَت بمُراقبَةِ المِلَاحَةِ ورَفْضِ الشُحْنَات، ونظَّمَت المنَاطِق الصِنَاعِيَّة. ولقَد اعتمَدَ مُسْتقبَلُ مَدينَةِ البندقية خِلَالَ المدَى الطَويلِ على مَوقِعِ بُحَيْرَتِها الدَقِيق، والذِي لَا يُمكِن التَضْحيَةُ بهِ لأجْلِ مكَاسِبٍ تِجَاريَّةٍ قصِيرَةِ الأمَد.

أمَّا التَاريْخُ الآخَرُ للبُندقيَّة فلَهُ طَابع أكثَرَ شَرًّا، فالهَيْمنَةُ التِجَاريَّةُ للمَدِينَةِ تَدِيْنُ للعُنْفِ أكْثرَ مِنَ المشَارِيع، فقَد أَجْبِرت السفُنُ الشِراعيَّةُ المُدَجَّجةُ بالسِلاحِ الأرَاضِي القَريبَةِ بإحْضَارِ بَضَائِعَها إلى البندقيَّة، حيْثُ فرَضَت الحُكومَةُ ضَرَائبَ عليْهَا وتمَّ المسَاومَةُ حَوْلهَا مِن قِبَلِ الوُسَطَاء: كانَ الريْفُ التَابعُ للبندقيَّة هو فعْليًّا كَامِلَ الجُزءِ العلويِّ منَ السَاحِلِ الأدريَاتِيكي، وقَد شَارَكَت هَذهِ السُفُن ذَاتهَا بأعمَالِ القَرْصَنةِ والنَهَبِ عبْرَ البَحْرِ الأيوني، بَحْرِ إيجه، والمتوسِّط. جَاءَتْ نُقْطَةُ التَحوُّلِ في ثرَوَاتِ البُندقيَّةِ كدَولةٍ تِجَاريَّةٍ فقَد كانَت في عَامِ 1204 عنْدَمَا شنَّت قوَّةٌ مُشْتَركةٌ منَ البندقيَّة وفرنسا اعتِدَاًء غيْرَ مُبرَّرٍ على القِسْطَنطِينيَّة، فسَطَوا عليْهَا وسْطَ نوبَةٍ من النَهْبِ والاغتِصَابِ والقَتْل، لتَسْقُطَ أفضَلُ القوَاعدِ البَحريَّةِ للإمْبِراطوريَّةِ البِيْزَنطيَّةِ بيَدِ البندقيَّة.

ازْدَادَ ثرَاءُ البُندقيَّةِ بسبَبِ العبوديَّة، ولعِدَّةِ قرُونٍ، وحافظَ تُجَّارُ البُندقيَّةِ على جُزْءٍ كَبيْرٍ من البَحْرِ المتوسِّط مُزوَّدًا بالرجَالِ لاسْتِخدَامهِم كمُرتزقَةٍ وعُمَّال، وبالصِبيَةِ والفَتيَاتِ ليكونُوا بمَثابَةِ خَدَمٍ وخلِيلَاتٍ. وبهَذهِ المسْألَةِ، وكحَالِ المسَائلَ الأُخرَى، فقَد اعْتُبِرَ حُكْمُ أقليَّةِ البندقيَّة مُنافِقًا حتَّى وفْقَ المعَايِير المتدنِّيَةِ لذَاكَ العَصْر. ومُخالِفًة لتعَاليمٍ صَريْحَةٍ مِن بابَا الفاتِيكَان، فقَد تاجَرَتْ البندقيَّةُ بالعَبيْدِ المسِيحييِّن، بالإضَافَةِ إلى المُهَرْطقيْنَ والكُفاَّر. وبكُلِّ سَعَادَةٍ زوَّدَت أعْدَاءَ المسيحيِّين (46) بالأخْشَابِ والمعَادنِ المخَصَّصةِ لتَصْنيعِ الأسْلحَة. إنَّ هذَا السَطْوَ الفَظيْعَ على مَدينَةِ القسْطَنطِينيَّةِ المَسِيْحيَّةِ عامَ 1204 قَد تمَّ ارتِكَابهُ بمُسَمَّى الحَرْبِ الصَليْبِيَّة.

------------ \*البحر الأيوني: هو أحَدُ أفرُعِ البحْرِ المتوسِّط ويتَّصلُ من شمالِهِ بالبحْرِ الأدرياتيكي.

لعَلَّ هَذَا التَنَاقُضَ بيْنَ تارِيْخَي البُندقيَّة لَم يَكُن أكْثَر حِدًّة ممِّا كانَ عليْهِ في حَيَاةِ "ماركو"، فخِلَالَ فتْرةِ وجُودهِ في الشَرقِ، بدَأَتْ ثَورَةٌ في التَبَادُلِ التِجَاريِّ البَحرِي، مَدْفوعًة بالابْتكَار، فبَاتَ البَحَّارةُ الفينيسيُّونَ يسْتَخدِمُونَ بهَذَا الوَقْت المُخَطَّطاتِ البَحْريَّةِ وجَدَاولِ انْحِرَافِ خُطُوْطِ العَرضِ (والتِي سمَحَت لهُم برَسْمِ مَسَارٍ حَقيقِيٍّ على الرَغْمِ من التَغيِيْراتِ العَديْدَةِ في الاتِّجَاه) والبُوصْلَاتِ الأولَى. كانَ تُجَّارُ البُندقيَّة الأكْثَرُ ذَكاًء يُراقِبوْنَ مُمْتلَكَاتهِم والتِزامَاتهِم عبْرَ أكْبَرِ حَافظَاتٍ اسْتثمَاريَّةٍ على الإطْلَاق معَ التقنيَّةِ الثوريَّة لحِسَابِ صَفَقَاتِ القيُودِ المُزدوجَة، وكَانوا أيْضًا يشْتَرونَ السَنَداتِ الحُكوميَّةِ لتَعزيْزِ ثرَوتِهِم ومَنْحِ الدوْلَةِ المروْنَةَ المَاليَّةِ التِي تحْتَاجُهَا.

لقَد تزَامنَت عَودَةُ "ماركو بولو" إلى مَسْقَطِ رأسِهِ معَ أحْدَاثٍ صَاخِبَةٍ تنْتمِي بشَكْلٍ كَبيْرٍ إلى الجَانِبِ المَشؤوْمِ مِن تاريْخِ البُندقيَّة، ففِي عَام 1308 وبانْتِهازيَّةٍ نمَوذَجيَّةٍ، خاضَتْ البُندقيَّةُ الحَرْبَ لتَفوْزَ بالسَيْطرَةِ على مَدينَةِ "فيريرا" القريْبَة، والتِي كَانَ البابا "كليمنت الخَامس" السيِّدَ الإقْطَاعِيَّ الأعْلَى فيْهَا، فسَخِطَ للغَايَةِ لدَرَجَةِ أنَّهُ عزَلَ البُندقيَّةَ عَنِ الكنيسَةِ وأصْدَرَ حُكْمًا يقْضِي بإمْكَانيَّةِ اسْتعبَادِ مُوَاطنِيهَا في الخَارجِ وكَأنَّهم وَثَنِيِّونْ، وأدَّتْ أزْمَةُ "فيريرا" إلى تفَاقُمِ التَوتُّرِ بيْنَ العَائِلَاتِ والفصَائِلِ بحُكومَةِ مدينَةِ البُندقيَّة. بسنَةِ 1310 وفِي مؤامرَةِ "تيبولو-كويريني"، سلَكَتْ البُندقيَّةُ تَقريْبًا الطريْقَ الذِي اتَّبعَتْهُ الكَثيْرُ منَ المدُنِ الإيْطاليَّةِ الأُخْرَى عنْدَمَا أوشَكَتْ علَى الوقُوعِ تَحْتَ سُلطَةِ الطَاغِية، حيْثُ حَدَثَتْ محَاولَةٌ للاسْتِيلَاءِ على قَصْرِ رئيْسِ القُضَاةِ وقتْلهِ هوَ بالذَات، غيْرَ أنَّ التَصَدِّي لهَا بعْدَ قتَالِ شَوارِعٍ دَامٍ في سَاحَةِ "سان ماركو" و"ميرسيري" حَالَ دوْنَ ذَلِك، ويبْدو أنَّ مسَارَ المَعْركَةِ قَد تحَوَّل عنْدمَا أسقطَتْ امْرأَةٌ قِدْرَ طَهْيٍ ثَقيْلٍ مِن شُرفَةٍ عَاليَةٍ فَوقَ رأْسِ حَامِلِ رايَةِ المُتآمِرين.

خِلَال هَذهِ الفَتْرَةِ مِنَ التَغيُّرِ المُحَيِّر، بدَأَتْ تنْتَشِرُ أخْبَارُ مغامَرَةِ "ماركو بولو"، فبيْنمَا كانَ سَجِيْنًا في "جنوة"، قَصَّ حِكَايتَهُ على نَزيْلٍ آخَرَ مِن مَديْنَةِ "بيزا". وبالَعودَةِ إلى مسْقَطِ رَأسِهِ بعْدَ إطلَاقِ سَراحِهِ، ربَّما يكونُ "بولو" قَد روَى تفاصيلَ إضَافيًّة عن الوقْتِ الذِي أَمْضَاهُ فِي خِدْمَةِ الإمْبرَاطور "قوبلاي خان" وكُتَّابِ دِيوَانٍ آخَرِين. ظهَرَتْ نُسَخٌ وترْجمَاتٌ لحِكَايَاتِه بلُغَةِ أهْلِ البُندقيَّة وتوسْكَان، الفرنسيَّة واللَّاتينيَّة وحتَّى الألمانيَّة، فأَسَرَت العَديْدَ منَ الأوروبيِّين ليُصبِحَ "ماركو بولو" مَشْهُورًا أثنَاءَ حيَاتِه، ومعَ ذلِكَ ترَدَّد العَديْدُ مِن سُكَّانِ البندقيَّة بتَصْديقِهِ. ووفْقًا لطُرْفَةٍ تقليديَّةٍ، فقَد راحَ الأطْفَالُ يَلحَقُونَ بِهِ ويَصرخوْنَ مِنْ حَولِه: "توَقَّف يا سيِّد ماركو وقُصَّ علَيْنَا كِذْبًة أُخْرَى".

-----------

\*المحفظة الاستثمارية: وهي تجميع للاستثمارات تقوم بها مؤسسات أو أفراد، أي أنها مجموع ما يمتلكه الفرد أو المؤسسة من أسهم أو سندات في شركات مختلفة. يكون الهدف في الغالب من المحفظة الاستثمارية الحد من المخاطر أو ما يعرف بالتنويع، وذلك من خلال امتلاك أكثر من أصل واحد.

\*الإمبراطور قوبلاي خان 1260-1294: إمبراطور الإمبراطورية المنغولية الخامس وإمبراطور الصين وتولى الحكم خلفا لأخيه منكو خان،وهو قوبلاي خان بن الإمبراطور تولوى بن الإمبراطور جنكيز خان وشقيق كلٍ من الإمبراطور هولاكو خان والإمبراطور إريك بوك.

47 إنَّ بعْضَ البَاحِثِينَ اليَوْمَ مُتَشَكِّكونَ كحَالِ هَؤلَاءِ الصِغَار، ومِنَ السَهْلِ تفَهُّمُ ذلِك، فلَا يوْجَدُ أيُّ أثَرٍ لروَايَةِ "بولو" التِي تتحَدَّث عَن مَا فَعَل وشَاهَد، سَواءً تلْكَ التِي خَطَّهَا بيَدهِ أو مَا تعوْدُ لزَميْلهِ فِي السِجْن. لقَد تبقَّتْ حوَالِي مئَةٌ وخَمْسونَ مَخْطوطًة مُتَداولًة بيْنَ الأَيْدِي في أحْسَنِ حَالَاتِها، وهيَ غالبًا مُخْتلفًة بشَكْلٍ مَلحوْظ ٍعَن بعْضِهَا البَعْض، لِذَا فقِصَّةُ "ماركو بولو" كمَا نعْرفُهَا اليَوم، نتيْجَةٌ للعْبَةِ همَسَاتٍ صِينيَّةٍ. ولهَذَا السَبَب، فِي كَثيْرٍ مِن الأحْيَانِ يُعَادُ إشْعاَلُ فتِيلِ الجِدَالِ الأكَاديمِيِّ حَولَ ذهَابِ "بولو" إلى الصِين على الإطْلَاق: وربَّما مغامَراتُهُ ليْسَت أكْثَر مِن إشَاعَات. تتَّحِدُ المخْطوطَاتُ التِي بحَوزتِنَا لتُنْتِجَ سَرْدًا مُضلِّلًا أحْيانًا ومُثيرًا للحَيرةِ غالبًا. فلمَاذَا لَم يذْكُر السُورَ العَظيمَ أو الوخْزَ بالإبَرِ أبدًا؟

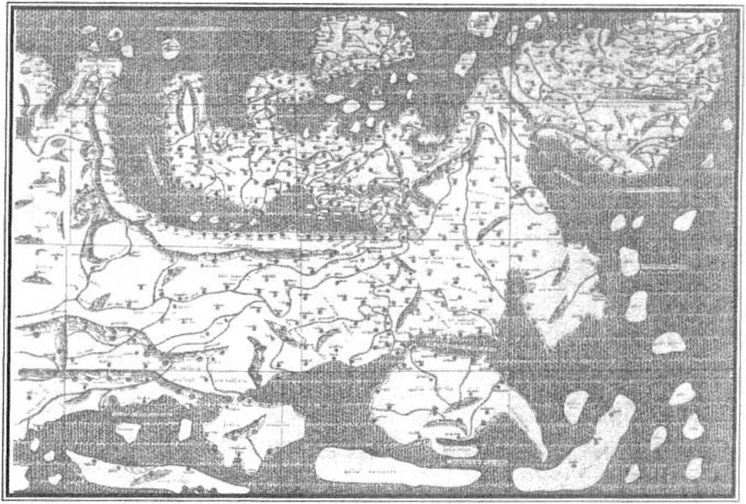
أَوفِي الواقِعِ، يأتِي على ذِكْرِ المعْكرونَة؟ إنَّ قصَّةَ اسْتيرَادِ المعكرونَةِ إلى إيطَاليا مِنْ قِبَلِ "ماركو بولو"، وبالتَالي ولَادَة ثقافَةِ المعكرونَة في البِلَاد، هيَ الأسْطورَةُ الأكثَرُ انْتشَارًا فِي تاريْخِ الطَعَامِ الإيْطَالي. إنَّ حقِيْقَيةَ الأمْرِ لَا يمْكِنُ أنْ تكوْنَ أكثرَ وضوْحًا، فالصينيُّونَ وبكلِّ تأكيْدٍ قَد تنَاولوا المعْكرونَةَ قبْلَ الإيطاليِّين بآلَافِ السنِيْن. في خَريْفِ عَام 2005 اكتَشَفَ علمَاءُ الآثارِ الذيْنَ قَاموا بالتَنقيْبِ في "لاجيا" على ضِفَافِ النَهْرِ الأصْفرِ في الصِين وعاءً مَقْلوبًا مِنَ المعْكَرونَةِ التِي تَعوْدُ لأواخِرِ العَصْرِ الحَجَرِي؛ وبَدَتْ طويلًة، صفْرَاءَ ومصْنُوعًة مِن نبَاتِ الدُخن، ولكِن مهْمَا كانَ قِدَمُهَا، فإنَّ ثقَافةَ المعْكرونَةِ الصينيَّةِ تخْتَلفُ برغْمِ ذلك عَن الإيطاليَّة؛ ويعُودُ ذَلِكَ لِعَدَمِ قِيَامِ الصينيُّون بِزِرَاعَةِ القمْحِ القَاسِي الصَلبِ أبدًا. وَوفْقًا للإدريسي، فإنَّ المعْكرونَةَ الجَافَّة كانَت موْجُودًة في "صَقَليَة" مُسْبقًا قبْلَ وِلَادَةِ "ماركو" بقَرْنٍ على الأقَل، لهَذَا فنظريَّة شروعِهِ بإحْضَارِ المعْكرونَةِ عائِدًا مِن الشَرقِ هوَ أمْرٌ غيْرُ مَقْبول.

وبِرَغْمِ الشُكوْك، فالأمْرُ يبْدو شِبْهَ مُؤكَّدٍ أنَّ "بولو" قَد ذهَبَ بالفعْلِ إلى الصِين، ومِنَ المُرجَّحِ أنَّهُ خدَمَ هنَاكَ كموظَّفٍ مدَنِيٍّ ثانَويٍّ فِي الإدارَةِ المَغوليَّة، أكثَر مِن كونهِ مَبْعوثًا أو مُسْتَشارًا ذا نفُوذٍ كمَا ادَّعى، ولقَد انْغمَسَ في الثَقافةِ المغوليَّةِ بدلًا مِن الصينيَّة-والمَغولُ لَم يأْكُلوا المَعْكرونَة.

وحتَّى إِن لَم تكُنْ البُندقيَّة هيِ المينَاءُ الذِي دخلَتْ منْهُ المعكرونَةُ إلى إيطَاليا، فقَد كانَ لمدينةِ "ماركو بولو" تأثِيْرٌ كَبِيْرٌ على مطْبَخِ العصُورِ الوسْطَى الإيْطَالي. فِي الوَاقِع، إنَّ المكَانةَ العَظِيمةَ التِي احتلتْهَا البُندقيَّة فِي تاريْخِ الطعَامِ، واستِمْتَاعِ أهْلِهَا بروَايَاتِ "بولو" عَن الصِينِ كَحِكَايَاتٍ مُثيْرةٍ للغَايَة، وانْدِفَاعُ تُجَّارِ البُندقيَّة إلى الجشَعِ والشُعوْرِ بالعَظمَةِ، مَا هوَ إلَّا سبَبٌ واحِدٌ على حَدٍّ سوَاء: فالتوَابِل، البهَار، الزنْجَبِيل، جوزَةُ الطِيب، القرنْفُل والقِرفَة قَد جعَلَتْ مُسْبقًا هواءَ جَزيرةِ "ريالتو" يعْبَقُ بروائِحِهَا حتَّى قبْلَ أنْ ينْطَلِقَ "ماركو بولو" ذو السبعَةَ عشَر ربيْعًا بمُغامراتِهِ.

---------- \*الدُخن: هو أحد أنواع النباتات التي تنمو على شكل سنابل وعناقيد تشبه القمح، وتنتشر هذه النباتات في قارتي آسيا وأفريقيا، وتستخرج من هذه النباتات حبوب أو بذور كروية صغيرة الحجم.

\*لاجيا: هو موقع أثري يقع في مقاطعة منهي، بمقر ولاية هايدونغ شمال غرب الصين، حيث ترتبط مع ثقافة إقليم كيجيا.

48 

خريطَةٌ تُوضِّحُ المكانَ الذِي وصلَت إليهِ المعكرونَة على الأراضِي الإيطاليَّة، ويظهَرُ أطلَسُ الإدريسي مَقْلوبًا رأْسًا على عَقْب ومُشوَّهًا عندمَا شُكَّل وفْقًا لاتفاقيَّاتِنَا. حيْثُ تظْهَرُ جزيرَةُ صَقَليَة التِي تأخذُ شكْلَ المُثلَّثِ فِي أعْلَاه.

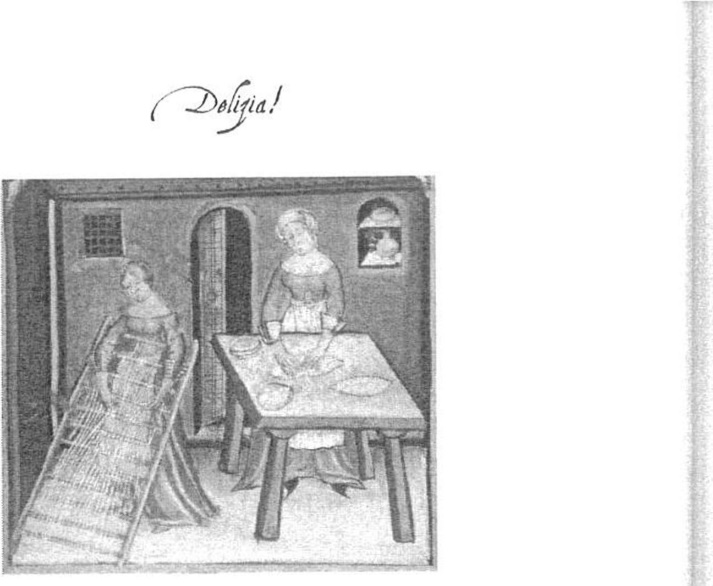
كانَت المديْنةُ الوَاقِعَةُ على البُحَيرةِ أكبَرَ مرْكزٍ لتجَارةِ التوَابِلِ فِي أوروبا، فقَامَ تُجَّارُ البُندقيَّةِ بمُقَايضَةِ حِزَمِ التَوَابِلِ بشَكْلٍ مُسْتَمِرٍّ فِي أسْوَاقِ دِمَشق، عكَّا والإسكنْدريَّة. ومعَ ذلِك، لَم يُشَكِّل الفينيسيُّونَ سِوَى حَلقًة واحِدًة فقَط مِن أَصْلِ سِلسِلَةٍ طويْلَةٍ قادتْهُم إلى مَا ورَاءِ سائِسِي الإبلِ العَرَب الذيْنَ جلَبُوا التوَابِلَ مِن موَانِئِ البَحْرِ الأحْمَر، ومِن التُجَّارِ الآسْيويِّين الذيْنَ نقَلوْهَا بالسُفُنِ قبْلَ ذلِك. إنَّ "ماركو بولو" هوَ أوَّلُ رَجُلٍ غَرْبِيٍّ زوَّدنَا بصُورَةٍ مُغريةٍ للأمَاكِنِ التِي تُنْتَجُ فيْهَا التَوابِل فِعْليًّا، فوجَدَ القِرْفةَ وفيْرًة في "التيبت" و"ماليبار"، ورَأَى الزنجبيْلَ ينْمُو على طوْلِ النهْرِ الأصْفَر، ورَوَى عَن تِجَارةٍ نشِطَةٍ للزنْجبِيل، السُكَّر، والخولنجان في موانِئِ البِنْغاَل، وشاهَد الفُلفل، جَوزَة الطِيب، الكبَابَة، والقُرنْفُل المَزروْعَة محَليًّا، مُتاحًة للبيْعِ في "جاوة". وبمَكانٍ مَا عِنْدَ أَصْلِ مَسَارِ "ماركو بولو" الطَويْلِ للهَمَسَاتِ الصينيَّةِ تكْمنُ ثروَةٌ تفُوْقُ الخَيَال. ومِن خِلَالِ قرَاءَةِ قصَصِ "ماركو بولو"، اسْتلهَمَت الأجْيَالُ اللَّاحقةُ منَ التُجَّارِ والغُزاةِ الأوربييِّن اللَّحاقَ بطُرُقِ التَوَابلِ إلى المُحِيطِ الهِنْديِّ وبحْرِ الصِين الجَنوبِي، ليتغيَّرَ تاريخُ العالَمِ وأسَاليْبُ الطَهيْ عبْرَ هذهِ العَمليَّة.

------------

\*منطقة ماليبار :هي منطقة في جنوب الهند، تقع بين غاتس الغربية و بحر العرب. وهي تقع الآن وسط ولاية كرالا. وتشمل الأقاليم الأربعة وهي: مالابرم وكاليكوت و ترشور وبالاكاد. وهذه المنطقة يسكن فيها كثير من المسلمين.

\*الخولنجان: هو عبارة عن نبات يتبع لفصيلة الزنجبيل، تمّ اكتشافه لأول مرّة في المناطق الجنوبية الشرقية من القارة الآسيوية، وبدايةً كان يستخدم كأحد التوابل لإضفاء نكهة مميزة على الأكلات. وتستخدم النبتة نفسها أو بذورها أو زيتها في كثيرٍ من الأغراض الطبية والصحية.

\*الكبابة: حب العروس أو الكبابة الصيني وهي نبات من جنس الفلفل، تزرع لثمارها وزيتها العطري. تنبت غالبا في جاوة وسومطرة وبالتالي تسمى أحيانا فلفل جاوة. تجمع ثمارها قبل أن تنضج وتجفف بعناية. تشبه في مظهرها الفلفل الأسود إلا أن البذرة لها زائدة في طرفها.

49 

امرأَتان تُعِدُّان المعكرونَة. مِن نَصٍّ طِبيٍّ فِي القَرنِ الرابعِ عشَر



سِحْرُ وحُظْوَةُ التَوابِلِ الشرقيَّة، حيْثُ يحْصدُ الفُلفُل ويُقدَّمُ للمَلِك، مِن مجموعَةِ مخطوطَاتٍ فرنسيَّةٍ لكتابَاتِ السَفَر(1410-1412) بمَا فِي ذلِك رحلَةُ "ماركو بولو" إلى الصين.

**كتابٌ للطهي**

لقَد تَبِعَ المُنْحَنَى المُتَزَايدِ لإدْمَانِ أوروبَّا على تنَاولِ الطعاَمِ المُتَبَّلِ؛ صعوْدُ البندقيَّة لسُلَّمِ النُفوْذِ، حيْثُ أنَّ المدَى الوَاضِحِ لهذَا الإدْمَانِ فِي إيطَاليَا يتَجَلَّى بالمَخْطوطَاتِ التِي بدأَتْ تنْتَشِرُ بذَاتِ الوَقْتِ تَقْريبًا الذِي ازْدَادَتْ فيهِ القِصَصُ عَن مآثِرِ "ماركو بولو"، وأُوْلَى كُتُبِ الوصَفَات.

50 إنٍّ كُتُبَ الوصَفَات الأوْلَى التِي تمَّ تألِيفُهَا بأوَاخِرِ العُصوْرِ القديْمَةِ في أوروبا، قَد بدأَتْ بالظُهوْرِ بأوَاخِرِ القرْنِ الثَالثِ عشَر، وإجمَالًا فقَد بقِيَ منْهَا حوَالِي المِئَة، إمَّا كامِلًة أو مُجزَّأًة مِن عَصْرِ مَا قبْلَ الطِبَاعَة.

تتَنافَسُ مجْموعتَانِ مِن وصَفَاتِ المَخطوطَاتِ الكامِلَة، وكلَاهُما مجْهولُ الاسْمِ على شرَفِ كَونِهِمَا أقدَمَ كتُبِ الطَهيِ المُتَبَقِّيَةِ، وقَد تمَّتْ كتَابتُهُما باللُّغةِ الإيطَاليَّةِ العَاميَّةِ بَدلًا منَ اللَّاتينيَّة، إحْداهُمَا باللُّغةِ التوسكانِيَّة وهِيَ اللُّغةَ الأصليَّةَ لـ"دانتي" الذِي يُعَدُّ مُعاصِرًا لـ"ماركو بولو"، والأخْرَى باللُّغةِ الفينيسيَّةِ (البُندقيَّة) وهي اللُّغةُ التِي كانَ "ماركو بولو" يتحدَّثهَا بذاتِه. مِنَ الصَعْبِ تحديْدُ تاريْخٍ دقيْقٍ لكتَابِ ليبرو بير كوكو (كتَابٌ للطَهْي) كمَا أصْبَحَت هذهِ المَخْطوطَةُ الفينيسيَّة تُعْرَفُ بهِ، ولكِن ربَّما كُتِبَتْ فِي مُنتصَفِ القرْنِ الثَالثِ عشَر. إنَّ "كتابٌ للطَهي" عبَارَة عَن مُجَلَّدٍ صغيْرٍ سَهْلِ الاسْتعمَالِ تبْلغُ أبْعَادهُ 4×3 بوْصَة –أصْغَرَ بقليْلٍ مِنْ نصْفِ حَجْمِ ِروايَةٍ لِكتَابِ جَيْب- وقَد دُوِّنَ بخَطٍّ واضِحٍ مُتباعِدٍ علَى نَحْوٍ جيِّدٍ، ورُتِّبَتْ وصفاتُهُ بشَكْلٍ مُساعِدٍ بالتَرتيْبِ الأبجَدِيِّ ورُقِّمَتْ من 1 إلى 135. وتُشِيرُ هذهِ الحَقائِقُ إلى أنَّ مَجْموعةَ الوصفَاتِ قَد تمَّ تصمِيمُهَا ليُراجِعُها بشكْلٍ مُنْتظَمٍ، النَاسُ الذيْنَ يَهوُوْنَ الطهْيَ حقًّا، وإنَّ وصَفاتِهِ عمُومًا مُتْقنًة أكْثَرَ مِن تلكَ المَوجوْدَة فِي المخطوطَةِ التوسكَانيَّة؛ فهِيَ بشكْلٍ أسَاسِيٍّ تُحدِّدُ كميَّة كلِّ عنْصُرٍ وبطريقَةٍ تجعَلُ مِن السهْلِ إعادَةُ إنتَاجِ العَديْدِ مِن تلْكَ الأطبَاقِ اليَوم. "كتابٌ للطَهي" يعْرِضُ لنَا أقدَمَ وأفْضَل تصَوُّراِتنَا حوْلَ كيفيَّةِ إعْدَادِ الطعَامِ لتُجَّارِ الرقِيق الفينيسيِّين، وكَذلِكَ لتُجَّارِ التوَابِلِ في القرْنِ الرَابعِ عَشَر.

إنَّ الوصْفةَ رقَم 73 هيَ واحِدًة مِن أقصَرِ الوصَفَاتِ فِي الكِتَاب- ربَّما يَعوْدُ ذلِكَ جُزئيًّا لأَنَّ مُؤلِّفهَا المَجْهولِ قَد اعْتبَرَ بشكْلٍ بديْهِيٍّ أنَّ جمِيعَ مكوِّناتِهِ الثميْنَةِ يجِبُ أَنْ تُدَقَّ بالهَاوِنِ حتَّى تُصبِحَ غُبَارًا ناعِمًا، ومعَ ذلِكَ فتأثِيْرُ الوصْفَةِ 73 نجِدُهُ بكلِّ مكَانٍ فِي المجْموعَة، فلَا يُوجَدُ مَوضِعٌ آخَرٌ للبدْءِ عنْدَ وصْفِ مُحتويَاتِ الكتَابِ بـ:

**تَوابِلٌ رائعَةٌ لكُلِّ شَيء**

قُم بأَخْذِ أُونْصَة فُلفُل، ومثْلهَا مِنَ القِرفَة، وأخْرَى مِن الزنْجَبِيل، وثُمْنُ أُونْصَة مِن القُرنْفُل، وربْعُها مِن الزَعْفَرَان.

--------------

\*اعتاد إيطاليو العصور الوسطى قياس توابلهم، والأشياء الأخرى بالأونصة، وقد قدَّرَت كل مدينة قيمة مختلفة قليلًا للأونصة، إلا أنَّ جميعها كانت حوالي 30 غرامًا.

\*دانتي: دانتي أليغييري وهو شاعر إيطالي من فلورنسا، أعظم أعماله: الكوميديا الإلهية المكونة من ثلاثة أقسام الجحيم، المطهر والفردوس. يعتبر البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجته أوروبا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة.

51

إنَّ "كتابٌ للطَهي" قَد اشْتمَلَ على التَوَابلِ بمَا يُقارِبُ ثلَاثةَ أرْباعِ وصَفَاتِه، وبالإضَافةِ إلى الوصْفةِ رقَم 73 التِي تمَّ نسْخُهاَ فِي الأعْلَى، فالكتَابُ يُرشِدْنَا إلى طريقَةِ صُنْعِ مُركَّبينِ إضَافيَّين، الوصْفةُ رقَم 74 "البَهَاراتُ الحُلوَةُ للكَثيْرِ مِنَ الأشيَاءِ الجيِّدةِ والرائِعَة" لَا تحْوِي أيَّ فُلفُل- وبالتَالي فهِيَ "حُلوَة" وعِوضًا عَن الزَعْفرَان فإنَّهَا تتَضمَّنُ شَيْئًا يُدْعَى بـ"الوَرقَة" والتِي لَم يتَمَكَّن أيُّ باحِثٍ مِن تحديْدِ ماهيَّتها بشَكْلٍ مؤكَّدٍ، بالرغْمِ مِن أنَّ تخْمِينًا مُطَّلعاً يقْترِحُ باحتِمَاليَّةِ أَن تكوْنَ "الباتشولي"\*، وبغَضِّ النَظَرِ عَن هويَّةِ هذهِ "الورقَةِ" فقَد استُخدمَت لإنتَاجِ مزيْجٍ يُوصَفُ بأنَّه "رائعٌ للغايَة" وخاصًّة مَع اللَامبْرِي\* وأسمَاكِ الميَاهِ العَذْبَةِ الأخْرَى. يُمزَج الخَليْطُ الثَالثُ وهوَ "التوابِلُ السَودَاءُ القويَّةُ" (الوصْفَة 75) معَ العَديْدِ مِن الصَلصَات المتَنوِّعَة؛ ويتِمُّ تَحضيْرهُ بخَلْطِ أونْصَتَينِ منَ الفلفُلِ معَ اثنتَينِ مِن جوزَةِ الطيْبِ وثُمُنِ أونصَةٍ مِن القرنْفلِ وأونصتَينِ مِن الفلفُلِ الطَويلِ (إنَّ هذَا المُكوِّنُ الأخيْرُ هو تنوُّعٌ إضافِيٌّ مِنَ الروائحِ العطريَّةِ منشَؤهَا الهند وماليزيا)، وكُلٌ مِن التَوَابلِ في الخَلطَاتِ الثلاثَةِ تظَهرُ في أمْزجَةٍ أخْرَى، وبعْضُ الوصَفَاتِ تَسْتخدِمُ أيْضًا بذوْرَ الكُزبرَة والهَيل، بالإضَافةِ إلى التوابلِ التي تَبْدو أكثَر غَرابًة اليَوم ممَّا كانَت عَليهِ في بنْدقيَّة القَرنِ الرَابعِ عَشَر، مثْلَ الخولنجان والهَال الذكَر. مِن الوَاضِحِ أنَّ الأطْباقَ المرْمُوقةَ في البندقيَّةِ بالعُصوْرِ الوسْطَى يبْدُو مذاقُهَا أكثَر شَبهًا بقَاورْمَة الدَجاج\* ودوبيازَه لحْمِ الخَروف\* أكثَر مِن شبَهِهَا بالأطبَاقِ الكلَاسيكِيَّة الحَديْثَة مثْلُ الكَبدِ المطْهِي على الطَريقَةِ الفينيسيَّةِ أو ريزي إي بيسي (حَسَاء الروزيتو معَ البَازلَّاء- بالإمكَانِ اسْتخدَامُ قروْنِ البازلَّاءِ لجَعلِ المرَقِ أكثَر لذَّة).

تُعَدُّ الإرشَادَاتُ المُفصَّلةُ لـ"كتابٌ للطَهي" حوْلَ كيْفيَّةِ اسْتِخدَامِ التوابلِ أمْرًا غيْرَ عادِيٍّ فِي العُصوْرِ الوسْطَى- فمُعظَم المصَادرِ الأخْرَى تَرْوي لنَا عَن استعْمَالِ التوابِل، لكنَّها لَم تشرَح كيفيَّة استخْدَامِها. قَد لَا يبْدو مفاجِئًا أَنْ نجدَ مثلَ هذهِ العنايةِ الدقيقةِ بمجْموعةِ وصفَاتٍ تداولتْهَا الأيْدِي فِي سوْقِ التوابلِ الكبيرِ على البُحَيرة. يفخَرُ أهْلُ البندقيَّةِ بطعَامهِم وهُم بكُلِّ تأكيْدٍ يَعُوْنَ أهميَّةِ هذهِ الحقيْقَة، كمَا وتستشْهِدُ العديْدُ مِن كتُبِ الطَهْيِ الفينيسيَّةِ التِي نُشِرَت بعَام 1970 بـ"كتابٌ للطَهي" كنقْطةِ انْطِلَاقٍ لتقَاليْدِ الطَعَامِ المُميَّزةِ في البُندقيَّة. ولنَقْتَرِحْ التَالِي، بتَتَبُّعِنَا مسَارَ التوَابلِ بالعودَةِ إلى زمَانِ "ماركو بولو"، فسيكوْنُ بوسعِناَ رؤيَةُ الصَفْوةِ الأوْلىَ لنبوْغِ فَنِّ تذوُّقِ الطعَام، والتِي تمْنحُنَا أطباقًا فينيسيًّة نمُوذَجيًّة بيسيه إن ساور (سمَكٌ مقليٌّ يُوضَعُ بنقيْعٍ مكوَّنٍ منَ البصَل، الزَيت، الخَل- وتُضَافُ أحْيَانًا حبَّاتُ الصَنُوبَر، الزَبِيْب والقَليْلُ مِنَ التَوابِل).

إنَّ فكرةَ ابْتكَارِ طُهاةِ البندقيَّة في العُصوْرِ الوسْطَى أسْلوبًا محليًّا مُميَّزًا حَوْلَ طعَامٍ يتعَلَّقُ بالتَوابلِ هوَ أمْرٌ مُغْرٍ، إلَّا أنَّها لَن تصمُدَ قبَالَةَ الدَليْلِ التاريخِيِّ "كتابٌ للطَهي"، وعلى الرغْمِ مِن المشاركَةِ العميقَةِ للبُندقيَّةِ بتِجَارَةِ التَوابِلِ، إلَّا أنَّ نسْبةَ الوصَفَاتِ التِي تحْتَوي على توَابلٍ فِي "كتابٌ للطَهي" هيَ ذاتُهَا تقريْبًا في مجموعَاتِ الوصفَاتِ الأخْرَى من القرنِ الثالثِ والرابعِ عشَر- ليْسَ في إيطاليا فحَسب، بَل عبْرَ أوروبا الغربيَّة "التوابِلُ الرائِعةُ لكُلِّ شَيء" هيَ خُلاصَةٌ جيِّدةٌ بسَطْرٍ واحدٍ بوسْعِ المرْءِ الوصُولَ إليْهَا عَن فنِّ الطبْخِ الراقِي فِي ذلِكَ الوَقت.

-----------

\*الباتشولي: هو نبات عطري، منتصب، متشعب، أو شجيرة يمكن أن تنمو إلى ارتفاع 50 - 150 سم وهي أعضاء في عائلة النعناع، يتم استخدام أوراق الباتشولي الطازجة كتوابل، والأوراق المجفَّفة من هذا النبات تُعتبر طاردة للحشرات، يعتبر الزيت العطري من الأوراق مكونًا مهمًا في العديد من العطور.

\*اللامبري: أسماك فقارية بدائية مستديرة الفم تفتقر لوجود فك، بينما تمتلك فمًا ماصًا قمعي الشكل يحتوي على أسنان، بحيث يتعلق بأجساد أسماك أخرى، ويمتص دماءها.

\*الهال الذكر: نوع من الهال يأتي بعد الهال الصغير والمتوسط والكبير. ثمارُه بقدر حبة الحلبة، مُحمرة إلى مُسمرة اللون، مُزَوَّاة، تضم لوزة بيضاء، طعمها حامض ولاهب، مُماثل لطعم البهار، رائحتها مُستحبة تجعلها مرغوبة في صناعة العطور. مهده أفريقيا الشرقية ومدغشقر.

\*القاورمة: أو القورمة هي طبق من جنوب آسيا. وتختلف القورمة من ثقافة لأخرى فتوجد في المطبخ التركي والإيراني والهندي والباكستاني. تتكون القاورمة من اللحوم أو الخضروات المطهوة ببطء في صلصة التوابل المصنوعة من اللبن والقشدة والجوز أو عجينة البذور. تُقدّم القاورمة التركية في عيد الأضحى.

\*دوبيازه لحم الخروف: هو طبق جنوب آسيوي، ويحضر بإضافة كمية كبيرة من البصل إلى لحم الضأن أو السمك ويطهيان بعد إضافة التوابل والكاري ويزين بالبصل النيء أو المقلي.

52 فمَا يُعْتَبَرُ هامًّا ولَافتًا للنَظَرِ في هذهِ المخْطوطَةِ الفينيسيَّةِ هوَ كَمْ أنَّها تنْتَمِي للعُصوْرِ الوسْطَى أكثَرَ مِن كَونِهَا تعوْدُ للبُندقيَّة. وكمَا يتَّضِح، فقَد سَعَى روَّادُ الأعْمَالِ وربَابِنَةُ السُفُنِ لتَنَاولِ الطعَامِ الذِي اتَّسمَت نكَهَاتُهُ بالطَابعِ المَحَلِّي، وهذَا هوَ السبَبُ الذِي يَجْعَلُ صفَحَاتَها المنْسُوخَةَ بعنَايةٍ تسْتَحِقُّ التصفُّحَ بتمعُّنٍ أكثَر.

**الطَهْيُ بالتَوابِل**

لقَد سَئِمَ مؤرِّخُو الطعَامِ منْذُ فتْرةٍ طويْلةٍ من دَحْضِ الافْتِراضِ القَائلِ بأنَّ كلَّ أنْواعِ التوَابلِ التِي دخَلَتْ في طَهْيِ العُصورِ الوسْطىِ قَد استُعملَتْ لإخْفَاءِ مذَاقِ اللَّحمِ والسَمَكِ المُتحلِّل. ففِي المدُنِ الإيْطاليَّة، كانَت الأسْمَاكُ تعْنِي في الغَالبِ تلكَ الأنْواعَ الموجودَةَ في المياهِ العَذبَةِ، مِن الأنْهَارِ القَريبةِ، البُحَيرَات، والخَنَادِق المائيَّةِ- كمَا رأيْنَا بكِتَابِ "عجَائبُ مِيلَان"- أو الأنوَاعِ المُدخَّنةِ والمملَّحةِ كسَمَكِ الرَنْكةِ والقَدْ التِي تَأتِي مِن شَمَالِ أوروبا، أمَّا اللَّحمُ فقَد كانَ طازَجًا للغَايةِ بالنسْبةِ لأولئكِ القَادرينَ على تحَمُّلِ تكْلفَتِه، كمَا تمَّ تربيَةُ العَديْدِ من الحيَوانَاتِ داخِلَ أسْوَارِ المدينَةِ أو بالقُربِ مِنْهَا، وحتَّى البَهَائِمُ التِي تمَّ إحْضَارُها مِن أنْحَاءِ البلَادِ إلى السُوقِ وهِي على قيْدِ الحَيَاة، لتُذْبَحَ بالقُرْبِ مِن مكَانِ وزمَانِ الاستهْلَاك.

ولهَذا فَإنَّ تنَاولَ النَاسُ طعَامَهُم مُتبَّلًا بدَرَجةٍ كَبِيرةٍ يُعزَى لكَونهِم أحبُّوا مذَاقَه، وذَلِكَ لسبَبَين: الأوَّلُ، لأنَّهم تَعلَّموا كيْفَ يسْتمتِعونَ بالأصْلَحِ لهُم، والثَانِي لأنَّ التَوابلَ غاليَةُ الثَمَن.

لقَد أوْصَى الأطبَاءُ بالتوابلِ كوَسيلةٍ لتنْظيْمِ الهَضم- وهيَ الفِكْرةُ التِي كانَت مُتجذِّرًة فِي الطبِّ الرومَانِي والإغْريقِي، وخاصًّة بمُؤلَّفَاتِ غَالين (جالينوس)، الذِي كانَ كاتبًا غزيْرَ الإنتَاجِ ومروِّجًا لنَفْسِه، لقَد طوَّر "جالينوس" نظريَّاتهِ الطبيَّةِ كطَبيبٍ فِي مدْرَسةٍ للمُصَارعَةِ، ثمَّ كالطَبيبِ الخَاصِّ للإمْبِرَاطور "ماركوس أوريليوس" وابنه كومودوس (مثَّل دَور هاتَين الشخصيَّتين كُلٌ مِن ريتشارد هاريس وجواكين فينيكس في فِيلم المُصَارع)، ترتكِزُ نظريَّة جالينوس على الخَلَائطِ الجَسديَّةِ الأربعةِ – السَودَاء، الدَم، الصَفْرَاء، والبَلغَم. ولكِي تبْقَى صَحِيحَ الجسَدِ، عليْكَ المُحَافظَة على التوازُنِ بينَهُم، والطَريقَةُ الرئيسيَّةُ لتحقيْقِ ذلِك هيَ بتناولِ الطعَامِ وهضْمهِ بشَكْلٍ صَحِيح. في الوَاقعِ يتدَاخَلُ الطَعامُ والدَوَاءُ مع بعْضِهِمَا بدرَجَةٍ كبيْرَةٍ، حتَّى إنَّ "جالينوس" حَثَّ الأطِباءَ على تذوُّقِ مُفْرزَاتِ مرضَاهُم.

------------ \*غالين: أو جالينوس وهو طبيب إغريقي ولد في بيرغامون عام 129 و توفي سنة 216. مارس الطب في أنحاء الإمبراطورية الرومانية و عالج العديد من الأباطرة الرومان. كان أكبر أطباء اليونان وأحد أعظم أطباء العصور القديمة.

53 وبعْدَ "جالينوس"، تصوَّرَ أخِصَائيُّو التَغذيةِ في العُصورِ الوسطَى أنَّ المِعدَةَ هيَ وعاءٌ خزفيٌّ لحْمِيٌّ يتوجَّبُ المُحَافظَةُ عليهِ عنْدَ درجَةِ حرارةٍ منَاسِبةٍ إذَا أردْنَا إبْقَاءَ الخَلَائطِ سليمًة. علَاوًة على ذلِكَ، ولكوْنِ الخلَائطِ مُسْتمدًّة مِنَ العَنَاصرِ الأربعَةِ المُكَوِّنَةِ للمَادَّة-التُراب، الهَوَاء، المَاء، النَار- فبوسْعِكَ تَحديْدُ كيْفَ أنَّ أيَّ مادَّةٍ صَالحةٍ للأكْلِ ستؤثِّرُ عليْكَ وِفْقَ شَبكَةٍ مُنَاظِرَةٍ للخوَاصِّ الأربَعِ: الحَار والبَارِد، الرَطْب وَالجَاف. إنَّ جميْعَ التوابِلِ تقْريبًا حارًة وجَافًّة، ولذلِكَ فهِيَ الدِرْعُ المثاَلِيُّ ضِدَّ الأخْطَارِ الهَائِلَةِ المُتمَثِّلةِ بتنَاولِ الأطْعمَةِ المُصنَّفةِ كبَارِدَةٍ ورَطْبَة.

إنَّ الثمنَ البَاهِظَ للتوابلِ قَد جعَلهَا تحْتَلُّ مكانًة مَرْمُوقًة، فحَفنَةٌ نفيْسَةٌ مِن جَوزَةِ الطيْبِ والقرنْفُلِ بعْدَ دَقِّهَا بالهَاونِ تجْعَلُ الطَبقَ مُميَّزًا عَن مَا يتَناولهُ النَاسُ العَاديُّون، فالوَصْفَةُ 55 مِن "كتابٌ للطَهي" تَحْتَوي على مثَالِ جَوهَرِيٍّ للقِيمَةِ المُتعاظِمَة المُغَيِّرَة\* التِي احتلتْهَا التَوابلُ في العُصورِ الوسْطَى، فالبانيتشاتا هِي عَصِيْدةٌ مَصْنوعةٌ مِن ذلكَ النَوعِ مِن نباتِ الدَخن الذِي ذكرَه "بونفيسين" بكتابِ "عجَائبُ ميلَان"، لكنَّ الوصْفةَ الفينيسيَّةَ تمْنحُ المكانةَ الحَقيقيَّةَ لهذَا المُكِّونِ المُتواضعِ عنْ طَريْقِ طَهْيهَا في حَليْبِ اللَّوز، ويُضَافُ الدُهنُ السَاخِن، ثمَّ تُقدَّم مع أُوزَّةٍ مشويَّةٍ وصَلصَةٍ بلوْنِ الكَرَاميل مَصْنوعًة مِن كبدِ الأوَزِّ المهْروسِ مع صَفَارِ البَيض، الخَل و الآغريستو (مَاءُ الحُصْرُم)- وهوَ تابِلُ العنَبِ الحَامِضِ المعروْفِ بفيرجوس بالإنكليزيَّة، كمَا تَحتَوي الصَلصَةُ أيْضًا على "توَابلَ رائعَةٍ للغَايَة".

تُرَشُّ البانيتشاتا أيْضًا بالسُكَّر- وهو سُلعةٌ أجْنبيَّةٌ أخْرَى باهِظَةُ الثمنِ بوسْعِهَا أنْ تُضْفِي قيْمًة على أيِّ شَيءٍ تقريْبًا يخْرجُ مِن مطبَخِ العُصورِ الوسْطَى. إنَّ أحَدَ الأسْبَابِ ورَاءَ استِعْمَالِ طُهَاةِ العُصوْرِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهضَةِ للسُكَّر بحُريَّةٍ كبيْرةٍ هو أنَّه يُخفِي مذَاقَ الملْحِ الذي استُخدِم بكثيْرٍ منَ التقنيَّاتِ لحِفْظِ الطَعَامِ فِي عَصْرٍ يَخْلو مِن التَبْرِيد، التَعْلِيب أو تَفريْغِ الهَوَاء. فِي أشْهُرِ الشتَاء خصْوصًا، تَتْركُ الملوحَةُ أثرهَا بكلِّ شَيءٍ مَالَم يكُن بوسْعِكَ تحمُّل تكْلفَةِ السُكَّر لتَحيِيْدِ مذَاقِهَا، إنَّ هذَا النَوعَ مِن الصَلصَةِ التِي يتِمُّ تنَاولهَا معَ الأوزِّ في وصْفَةِ البانيشاتا هيَ سِمَةٌ شائِعَةٌ للطَريقَةِ الأوروبيَّةِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى معَ اللُّحوْمِ، سَواًء المغليَّةِ منْهَا أو المشْويَّة، ويُعلِمُنا "كتابٌ للطَهي" بطَريقةِ إعدَادِ بعْض الصَلصَاتِ الكلَاسيكيَّةِ، مثْلَ أغلياتا (صلصَةُ الثومِ، الوصْفَة رقَم 3).

**صلصَةُ الثوْمِ لكُلِّ أنوَاعِ اللُّحوم**

خُذ الثوْمَ واطههِ في الجَمْرِ، ثمَّ اهرسْهُ جيِّدًا وأضِفْ الثوْمَ النَيءَ وفُتاتَ الخُبز، التَوابلِ الحُلوَة والمَرَق. قُمْ بفَرْمِ كُلِّ شَيءٍ معَ بعْضٍ ودعْهُ يغْلِي لفتْرَةٍ مِن الوَقت، وقدِّمْهُ سَاخِنًا. ---------- \*القيمة المتعاظمة المغيِّرَة: هي القيمة المرتبطة بشيء لقوته، للإشارة إلى التفوق الاجتماعي المفترض أي مكانته.

54

"الصلصَةُ الخضْرَاء" وهيَ الوصْفَةُ 81 وتتَضمَّنُ البَقْدونِس المَفروْم معَ التوابِل والمِلح، ثمَّ تُمزَجُ بالخَل. ومثْلُ صلصَةِ الأغلياتا فهِيَ صَلصةٌ للتغْمِيس، تُقدَّمُ بزبديَّةٍ صغيْرةٍ توضع فيْهَا قِطَعٌ مِن شَرائِحِ اللَّحمِ حَيْثُ تُغَمَّسُ باليَد.

إِذَا كانَ بوسْعِ التَوابِلِ إضْفَاءُ الرُقِي على عَصِيدَةِ الدُخنِ، فبإمكانِهَا وبشكْلٍ لَا يقبَلُ الجَدَل منْحُ هالَة الملَكِيَّةِ إلى ذلكَ العنْصُرِ الأسَاسِيِّ فِي الطَهْيِ بالعُصوْرِ الوسْطَى، وهوَ الفطيْرَة. أمَّا الوصْفَةُ 109 مِن "كتابٌ للطَهي" فقَد حَملَتْ عنْوانَ "فَطِيرَةُ الفوْلِ الطازَجِ للمَلكِ مانفريدي\*" وقَد تضمَّنَتْ الحَشْوَة على قروْنِ الفوْلِ الغَيْرِ مَقشوْر والمَطْهيِّ في الحَليْب، ثمَّ يُصفَّى ويُمزَج بـ "بانشيتا"\* مقليَّة، وتُضَافُ إليْهَا التَوابِلُ الحُلوَةُ والقَويَّة، الزعْفرَان، والجُبْنَة المَصنوْعَة حَدِيثًا. يُمَدُّ الخَليْطُ بعْدَ ذلِكَ على شَكْلِ طَبقَةٍ في الفَطيْرةِ ويُغلَّفُ بشَرائِحَ مِنَ الجُبْنِ الدُهْنِي الطَرِي، وفِي جميْعِ المنَازلِ الإيْطاليَّةِ باسْتثنَاءِ تلْكَ الثريَّةِ منْهَا، يَتِمُّ أخْذُ هَذهِ الفَطائِرِ على جَنَاحِ السُرعَةِ إلى فُرْنِ الخبَّازِ لتُطْهَى.

يَحْتَوِي "كتابٌ للطَهي" على مَجْموعَةٍ مِن الأطبَاقِ تُعَدُّ رَاقِيًة حتَّى بِدوْنِ إضَافةِ التَوَابِل. إنَّ الوَصْفةَ 45 مُخَصصَّةٌ لـ"مورتارولو"، وهِيَ فَطِيرةٌ حُضِّرَتْ بعِنَايةٍ ودِقَّة، وتَحْتَوي على دجَاج، تُمُورٍ كامِلَة، وكُراتٍ مقليَّةٍ مصْنوعَةٍ مِن الجُبنِ المَبشُور، بَيضِ، تُمورِ، حبَّاتِ الصَنوبرِ، وبانشِيتَا. وبما أنَّ التَوابلَ تدْخلُ بكلِّ مرْحَلةٍ من مرَاحلِ طهْيِ المورتارولو، فحَتَّى التمورُ تُحشَى بالزَنْجَبيلِ، القرفَةِ والقُرنْفُل. "ينْبَغي أنْ يُصْبِحَ هذَا الطبَقُ أصْفَرَ اللَّونِ وحَادًّا بالتوَابِلِ" تُختَتمُ الوصفَةُ- فاللَّونُ الأصْفَرُ مثْلَ الأبيَضِ يُشيْرُ إلى الترَفِ.

إنَّ وصَفَاتِ المعْكَرونَةِ هيَ أفضَلُ مقيَاسٍ لكُلِّ مَا هوَ مألوْفٌ وغريْبٌ فِي طهْيِ العصوْرِ الوسْطَى مقارنًة بمَا يتمُّ تنَاولَهُ الآنَ فِي إيطَاليا، ففِي الوصْفةِ 58 "الرافيولي العَاديَّة معَ الأعْشَابِ العِطريَّةِ المُعزَّزة"- والرافيولي المَقْصُود هوَ، نفْسَهُ المَوجُود اليَوْم- صُرَرٌ صَغِيْرةٌ مِنَ المعْكَرونَة، ويُوْصِي "كِتَابٌ للطَهي" بالنسْبَةِ لحَشوَةِ الأعشَابِ بأَنْ يتِمَّ غليُهَا قليلًا قبْلَ أنْ تُفرَم أخِيْرًا وتُمزَجَ بالجُبْنِ الطازَجِ والبيْضِ المخْفُوق، وحِيْنَهَا يُطهى الرافيولي فِي المَرقِ ويُغطَّى بالجُبْنِ المبْشورِ لإعْدَادِ طبَقٍ يمْكِنُ أنْ يظهَرَ بشَكْلٍ مَعقوْلٍ على المائِدَةِ الإيْطاليَّةِ اليَوم- باستثْنَاءِ احْتِوَاءِ الحَشْوَة على "توَابلَ حُلوةٍ وقَويَّة"، وتُرَشُّ "الَكثيْرُ مِنَ التَوابلِ" فوقَهَا قبْلَ تنَاولِه. واللَّازانيَا هيَ مِثالٌ آخرُ علَى ذلِك: حيْثُ تُحضَّرُ بالصَوْمِ الكبِير\* معَ الجَوزِ المَطْحُونِ فِي الوصْفَةِ 38، حَيْثُ تُغطَّى في الدَقَائقِ الأخِيرةِ بمِعْطَفٍ منَ التوابلِ والسُكَّرِ، فبِدونِهِمَا لَن يُعْتَبَرَ طبَقُ معْكَرونةٍ كاِملًا في العُصورِ الوسْطَى. ينْبغِي التوضيْحُ أنَّ السُكَّر الذِي تمَّ رشُّهُ على اللَّازانيا والرافيولي لَن يُحوِّلهُما إلى حلوَى بودنغ، فالمذاقَاتُ الحُلوَةُ والمالحَةُ لَم تكُن بَعْدُ قَد مُيِّزَت عَن بعْضِهَا.

---------- \*مانفريدي: هو هنشتاوفن ملك صقلية، ابن الامبراطور فريدريك الثاني. كان الوصي سنة 1250 و بعد ذلك مَلَكَ صقلية سنة 1258. مات خلال معركة بينيفنتو التي خسرها أمام قوات كارلو الأول أنجو. ارتبط اسمه باسم مدينة مانفريدونيا، المدينة التي أسسها عام 1256.

\*بانشيتا: هو عبارة عن بيكون إيطالي يحضر من لحم بطن الخنزير المجفف ويُضاف إليه الفلفل الأسود وغيرها من التوابل في بعض الأحيان. عادةً ما يتم تناول البنانشيتا في إيطاليا نيئاً دون طهي.

\*الصوم الكبير: هو أحد فترات الصيام حسب الديانة المسيحية يبدأ في يوم أربعاء الرماد حسب الطقس اللاتيني، أما حسب الطقس الشرقي يبدأ يوم الاثنين. وتستمر فترة الصيام المسيحية إلى حوالي ستة أسابيع قبل عيد القيامة.

55 والتسَلسُلُ الذِي تمَّ وفقَهُ تقديْمُ الأطبَاقِ كانَت لهُ أهْدَافٌ مُخْتَلفَة، أمَّا الهَدَفُ الجَديرُ بالثَناءِ للتَرتيْبِ الإيطَاليِّ المُعَاصرِ: المُقبِّلات، الطبَقُ الأوَّلُ، والثَانِي، طبَقٌ جانبِيٌّ (خضْروَاتٌ مصاحِبَة)، والتحليَةُ؛ فهوَ لفصْلِ المذاقَاتِ وتَرتِيبهَا بِحيْثُ تَخلقُ شًعوْرًا مَألوْفًا ومُمتعًا للتَقدُّمِ من بِدايةِ الوَجْبَة إلى نِهَايتها. فِي العُصورِ الوسْطَى، فَرَضَتْ نظَريَّة جالينوس التَرتيْبَ الذِي قُدِّمَ بهِ الطَعَام، بالإضَافَةِ إلى الطَريقَةِ التِي تمَّ وفْقَها دمْجُ الأطعِمَة. كانَت الغَايَةُ، التِي استَحقَّتْ الثنَاءَ بذَاتِ القَدر، تهْدفُ لموازنَةِ الخَصَائص الحَارَّةِ والبَاردَةِ، الجَافَّةِ أو الرطبَةِ للمَقاديْرِ الفَرْديَّة، لقَد تمَّ إعْدادُ وجْبةِ العُصوْرِ الوسْطَى مِن أنمَاطِ الخلَائطِ المُتضادَّة بدلًا مِن التَطوُّرِ القصَصِيِّ للأطبَاقِ المُميَّزة، ولَاتزَالُ بعْضُ مجْمُوعَاتِ الأطعِمَةِ المُتَناقِضَةِ التِي أَوصَى بهَا طهَاةُ نظريَّة جالينوس، تُقدَّمُ اليوْمَ فِي إيطاليا: ومثَالُ ذلِكَ لَحْمُ الخِنزيرِ المُقدَّدِ البَارمِي معَ الشَمَّامِ، أو الجُبْنُ مَعَ الكُمَّثرَى.

**مِلْحُ كيودجا**

كانَت التوَابِلُ علَامًة تدلُّ على عشَاءٍ راقٍ، ليْسَ في البُندقيَّةِ فحَسْب بَلْ بجَميعِ أنْحاءِ أوروبَّا الغَربيَّة. لَم تَبتكِرْ البُندقيَّةُ كحَالِ مِيلَان والمدنِ الإيطاليَّةِ الأخْرَى أُسْلوبًا خَاصًّا بهَا لتذوُّقِ الطعَامِ حتَّى وقْتٍ متأخِّرٍ مِن تاريْخِهَا، ويُقدِّمُ النَصُّ ذاتهُ مِن "كتابٌ للطَهي" الفينيسِي دَليْلًا على تلكَ الحَقِيقَة، لأنَّهَا الحَصِيلَةُ الأَخِيرَةُ للعبَةٍ أخْرَى مِن الهَمسَاتِ الصينيَّة، فيقتَرِحُ التحليْلُ العلمِيُّ الأكثَرُ دقًّة لوصَفاتهِ وجُوْدَ نُسَخٍ كَثِيرَةٍ تمَّ نسْخُها مِن تلكَ الأصْليَّةِ المكتوبَةِ باللُّغةِ التوسْكانيَّة، والتِي بدَورهَا قَد نُسِخَ بعْضُها منَ الوصَفَاتِ اللَّاتينِيَّة التِي تداولتْهَا الأيْدِي في نابولي، وهيَ المدينَةُ التِي حُكِمَتْ حِيْنهَا مِن آل آنجو الفَرنْسيِّين. وفِي كُلِّ مرْحَلةٍ مِن هذهِ الرِحْلَةِ، حُفِظَتْ الوصَفاتُ عَن ظَهْرِ قَلبْ، وأُدْخلَت تعديلَاتٌ عليْهَا، ثمَّ أُسِيءَ تذكُّرهَا، وأُعيْدَ سَرْدُهَا للآخَرِين، ثُمَّ دُوِّنَت مرًّة أخْرَى، وربَّمَا تكُونُ محَاولةُ اكْتشَافِ متَى وأيْنَ اخْتُرعَت أوَّلُ وصْفةٍ فرْديَّة أمْرًا مُحَالًا. وإنَّ "كتابٌ للطَهي" هو مقْتطفَاتٌ من قُصَاصَاتٍ ورقيَّةٍ لأطبَاقٍ تفتَقِرُ بشَكْلٍ عَامٍّ إلى النكَهَاتِ المُميَّزةِ لمكَانٍ واحِد. فِي الحَقيقَةِ تشْتَرِكُ كلُّ مخْطوطَاتِ الطَهْيِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى بالسِمَة نَفْسِها، وعلَى الرَغْمِ مِن أنَّها ذَاتُ أهميَّةٍ بالغَةٍ لتاريْخِ الطعَامِ الإيطَاليِّ- فذلِكَ لَا يُعْزَى لكَونِهَا تُشِيرُ إلى مِيلَادِ أُسْلوبِ الطَهْيِ المحَلِّي "المِثَالِي".

هَلْ هنَاكَ أيُّ شَيءٍ فِي وصَفَاتِ "كتابٌ للطَهي" ذو طَابعٍ فينيسي؟ ثمَّةَ حَاجَةٌ لتوَخِّي الحذَرِ هنَا، فحتَّى بعْضُ الوصَفَاتِ التِي تبْدُو مَألوفًة ليْسَت فينيسيًّة كمَا يَظْهَرُ عَلَيْهَا، وعلى سبيْلِ المِثَالِ الوصْفَةُ رقَم 18 هيَ لتَحضيْرِ طبَقٍ يُدْعَى "هير سيفيريو": حَيْثُ يُسلَقُ اللَّحمُ المَفرومُ قليْلًا ويُقْلَى فِي شَحْمِ الخِنْزيرِ قبْلَ أنْ يُطهَى فِي مَزيْجٍ مُعَدٍّ مِن فُتَاتِ الخُبزِ المُحمَّصِ حتَّى الاسْوِدَاد، والبَصَلِ المبْشُورِ ناعِمًا، الخَل، هَريْسِ الكَبِدِ (كبِدِ الأرنَبِ، هذَا هوَ المَقصُود)، العَسَل والتَوَابِل.

-----------

\*كيودجا: مدينة شمال إيطاليا وفي الجزء الجنوبي من إقليم فينيتو، تقع في مقاطعة فينيسيا على ساحل البحر الأدرياتي.

56 إنَّ مزيْجَ النَكهَاتِ الحُلوَةِ والحَامضَةِ هوَ تفضيْلٌ نموذَجِيٌّ آخَرٌ منَ القروْنِ الوُسْطَى، يَنصَحُ "كتابٌ للطَهي": "عندمَا يَغْلَي جيِّدًا، ضَعْهُ جَانِبًا ليَبْرُد وسيُصْبِحُ هنيْئًا ومِثاليًّا". ولعَلَّ نسْخًة معَاصرًة مَن السيفيريو، المعْروْفِ بالسَالمي\*، قَد تجِدُ طريْقهَا إلى المطَاعمِ الفينيسيَّةِ اليَوْم، لكنَّها ليْسَت حصْريًّة على الإطْلَاق بالبُنْدقيَّة- إنَّها نَوْعٌ مِن طَاجَنِ الأرَانِبِ البَريَّةِ أو اللَّحْمِ المطْهوِّ على نارٍ هَادئةٍ (الكونفيت)، تنْطَبقُ وِجْهَةُ النَظَرِ ذاتُها على الوصْفةِ رقَم 80 من أجْلِ تَحْضِيرِ صَلصَةِ السمَك، المُشَابهَةِ لوصْفةِ البُندقيةِ الحَديثَةِ للأسمْاكِ المقليَّةِ بعْدَ نقْعِهَا "بيسيه إن ساور"، غيرَ أنَّ السَمَكَ في النَقِيعِ مُماثِلٌ لـطَريقَةِ آلا سكابسيه المُسْتَخدمةِ في جَنُوبِ إيطاليا المطَابقةِ لوَصَفاتِ إسكوباش\* المَوْجودةِ في إسبانيا، جنوبِ فرنْسَا، البُرتغَال وشَمالِ إفْريقيَا. وكلُّ هَذهِ الأطْباقِ متَساويًة بقدمِهَا، وأصْلُ منْشَئِها جَميْعًا هو الحَسَاءُ الفَارسيُّ الحُلو ذو النَكْهةِ المُميَّزةِ والمُسَمَّى "سيكبدج"، الذِي باتَ شَائِعًا للغَايةِ في مُعْظمِ العَالمِ الإسْلَامِي (لَم تكُنْ صَقليَة هِيَ المَكَانُ الوَحيْدُ التيِ مَارسَتْ الثقَافةَ الإسْلَاميَّة فيْهِ نفُوذَهَا).

مازالَ لديْنَا القليْلُ من التلمِيْحَاتِ الأصْليَّةِ عَن البُندقيَّة بكتابِ "كتابٌ للطَهي"، وأيًّا كانَ مَن صنَّفَ المَجْموعَةَ فإنَّهُ وبكُلِّ تأكيْدٍ يعْرفُ ماذَا يفعَل. فعلَى سَبيْلِ المثَال، تمَّ تعديْلُ بعْضِ الوصَفَاتِ التِي تظهَرُ في الأجْزَاءِ الأقْدَمِ مِن كتَابِ الطَهْيِ لتَسْهِيلِ مُتَابَعَتِهَا، حتَّى إنَّ بعْضَ الوصَفَاتِ تُخْبرنَا بأَنْ نُضِيفَ زيادًة مِنَ المِلْحَ إذَا كانَ المِلْحُ المُشَارُ لهَ يأتِي مِن أحوَاضِ "كيوجيا" عنْدَ الطرَفِ الجَنوبِيِّ للبُحيْرَة (لقَد باعَتْ الُبندقيَّةُ المِلْحَ إلى المدُنِ وصوْلًا إلَى وادِي بو مثْلُ ميلَان). إنَّ التَرتيْبَ الأبْجَدِيَّ المُفيْدَ للوصَفَاتِ فِي "كتابٌ للطَهي" هوَ إبْدَاعٌ أيضًا، وبمُجَرَّد انْتِهَاءِ القائمَةِ الأبْجَديَّةِ للأطْبَاقِ بالوَصْفةِ رقَم 121 زوش (النُخَاع) يُضِيفُ المُصَنِّفُ الفينيسِيُّ بعْضَ الوصَفَاتِ الخَاصَّةِ بهِ، لتَظْهرَ إحْداهَا فجْأًة بشَكْلٍ مَلحوْظٍ وهيَ الوَصْفةُ 128، لأجْلِ إعْدَادِ البِسكويْتِ البَسيْطِ مِن خليْطٍ يُخبَزُ برفْقٍ وهوَ مُكوَّنٌ مِنَ البيْضِ والطَحيْنِ والسُكَّرِ أو العَسَل ويُدْعَى "نان بوزولَاتي" بوسولَاي، وهي كَلِمَةٌ فينيسيَّةٌ مُعاصِرةٌ مُشتقَّةٌ مِن "بوزولَاتي"، وتَعْنِي أيْضًا نوْعًا مِن البِسكويْتِ الذِي يُمكِنُ تحضيْرَهُ بطُرُقٍ مُتنوِّعَةٍ، والتِي يُشْبِهُ بعْضُهَا بدرَجَةٍ كبيْرةٍ هذهِ الوَصْفَةِ العَائِدَةِ للقرْنِ الرابِعِ عشَر، ولكِن حِينَهَا سَيَجْعَلُ البِسكويْت الأصْلِي حجَرَ الأسَاسِ لتَقاليْدِ الطَهْيِ ضَعيْفًا.

بمعْنًى آخَر، فإنَّ النصيْبَ الأكبَرَ مِنَ الطعَامِ الذِي تمَّ تنَاولَهُ فِي المدُنِ الإيطاليَّةِ بالعُصوْرِ الوسْطَى سيَغْدو محَليًّا إلى أبْعَدِ حَد، وقَد أُنْتِجَ داخِلَ أسْوَارِ المدينَةِ والريْفِ المُحيْطِ بَهَا، كمَا رأيْنَا بكتَابِ "عجَائِبُ ميلَان"، لكِنَّ الوَعْيَ الذَاتِيَّ اليَومَ المُمَيِّزِ لأساليْبِ الطَهْيِ المحَليَّةِ بعيْدٌ عَن عقليَّةِ العُصوْرِ الوسْطَى.

----------- \*إسكوباش: طبق إسباني يتكون من سمك مقلي تم نقعه وتتبيله ويقدم باردًا.

57

لَم يطمَحْ تُجَّارُ البندقيَّة لتنَاولِ الطعامِ الفينيسي: بَل رغِبوا بالمذاقَاتِ الصحيَّة، الحصْريَّة والتَابِلِيَّة كحَالِ سَائرِ الإيطاليِّين الأثْريَاء، وهذَا سبَّبَ عودَةَ جميْعِ كتُبِ الطهْيِ الإيطاليَّةِ المُعَاصِرَةِ التِي تتبَعُ أثرَ أصوْلِ طعَامهِم المَحَلِّي إلى العُصوْرِ الوسْطَى والذِي ينْبَغِي تنَاولَهُ معَ قليْلٍ مِنَ المِلْح- رشَّة كبيْرَة بشَكْلٍ خَاصٍّ إنْ كانَ الملْحُ قادِمًا مِن "كيوجيا".

ومعَ ذلِكَ فـ"كتابٌ للطَهي" هوَ تذوُّقٌ مثيْرٌ لثقَافَةِ الطعَامِ الحَضَرِيِّ الذِي تطوَّرَ في مُعظَمِ أنْحَاءِ إيطاليَا بأوَاخِرِ العُصوْرِ الوسْطَى، فإنَّهُ لَا يُمَثِّلُ طعَامَ مدينَةٍ بعيْنِهَا، بَلْ شبكَةَ المدُنِ الإيطاليَّةِ بأكْمَلِهَا، لقَد سيْطرَت النُخْبَةُ الحضَريَّةُ الثريَّةُ على المنَاطقِ البَعيدَةِ عَن الشَاطئِ لمدُنِهَا، فقَاموا بالمُتَاجِرَةِ معَ العَالَمِ ومَعَ بعْضهِم البَعْض، وتنَافَسوا علَى السُلطَةِ السِيَاسِيَّةِ مُتبَادليْنَ الأفْكَارَ السِيَاسِيَّة، وتُخْبرنَا الهَمسَاتُ الصِينيَّةُ بمَصَادرِ مخْطوطَاتِ العصوْرِ الوسْطَى بأنَّهم كانوا أيْضًا يتبادَلوْنَ الوصَفاَت-لأطْباقِ المعْكَرونَةِ بشكْلٍ خَاص. إنَّ هذَا النمَط مِنَ التَبادُلِ ضِمْنَ شبكَةِ المدُنِ لهوَ أحَدُ السِمَاتِ المُمَيِّزَةِ لثَقافَةِ الطعَامِ الإيطَالي، فتنَاولُ طعَامٍ صِحيٍّ لذيْذٍ وبسلوْكٍ لَائِقٍ، لَم يكُنْ امْتيَازًا لبعْضِ النُبلَاء، كمَا هوَ الحَالُ بأيِّ مَكَانٍ آخَر، ولقَد باتَ الآن وِسَامًا للنجَاحِ تصْبُو إليْهِ طبَقَاتٌ أوْسَع مِنَ المواطِنِيْن.

58

**الجزء الثاني: الطهو لأجل بابوات وأمراء عصر النهضة**

**5**

**رومَا**

**-----------------**

**مُتْعَةُ لَائِقَة**

فِي إيطَاليا عَصْرِ النهْضَة، أصْبحَ النظَامُ الغِذائيُّ الحَضَريُّ أكثرَ ترَفًا وتطوُّرًا، إنَّهَا حُقبَةٌ اشتَهرَتْ بالمَسْعَى الفِكْرِي والإبْدَاع الفَنِّي، ولكنَّها أيْضًا اتَّسَمَت بالعُنْفِ والتَآمُر السِيَاسِيِّ والعُروْضِ الصَارخَةِ بالقوَّةِ والثرْوَة؛ فعصْرُ النهْضَة الإيطَالي كانَ كذَلِكَ مؤثِّرًا فِي مَطَابِخِ وقَاعَاتِ مَآدُبِ العَشَاءِ فِي البِلَاد.

إنَّ تفَجُّرَ النِتَاجِ الصُنْعِي المرْئِي والمَطبوْع خلَالَ عَصْرِ النَهْضة، يَمدُّنَا بوثَائقَ مُفَصَّلةٍ ونَابِضَةٍ بالحَيَاةِ عَن الأشْخَاصِ والوَجَبَاتِ التي خَلقَت الحَضَارة المزْدهِرَة لإيطَاليا على المَائِدة، وهكذَا فإنَّ صُورَةَ عَالَمِ الطَعَام الخَاصِّ بالنُخبَةِ باتَ أشَدَّ وضُوْحًا وحَيَويًّة-ومألوْفًا أكْثَر. وبحُلوْلِ نهَايَةِ القَرْنِ السَادِسِ عَشَر، انْتَشرَت المزيْدُ مِنَ التَخَصُّصَاتِ المَحَليَّةِ التيِ باتَت إيْطَاليا اليَومْ مَشْهورًة بسَبَبِها، فَضْلًا عَن أَنَّ شَبكَةَ الأطْعمَةِ بيْنَ المدُنِ قَد أنْتجَت أسلوْبَ طَهْيٍ إيطَاليٍّ رائِعٍ بِشَكلٍ مُميَّز.

مِن ناحِيَةٍ أُخْرَى، أصْبحَت روما مرْكزَ فَنِّ تذوُّقِ وطَهْيِ الطعَامِ الإيْطَالي خِلَالَ عَصْرِ النَهْضَة، وليْسَ ثمَّة مَدْخَلٌ مُثيْرٌ لرومَا وطعَامِهَا فِي عَصْرِ النَهْضَةِ أكثَر مِن الرَسْمِ التَصويْرِي المُنفَّذِ بصوْرَةٍ مذهِلَةٍ مِن قِبَلِ "ميلوزو دا فورلي" والذِي يُعْلِنُ فيْهِ انْتصَارُ البَابا، والمدَيْنَة وتوَاطُؤ وانْعِدَامِ ضَميْرِ رجُلٍ ذَكِيٍّ يُدعَى "بلَاتينا"، والذِي كانَ أيْضًا أوَّل وأعْظَم كُتَّابِ فَنِّ الطَهْيِ بالعَصْرِ الجَديْد.

**أَميْنُ مكتبَةِ بابَا الفَاتيْكَان**

تُشَكِّلُ عضَائِدُ مسْتطيلَةٌ مِنَ الرِخَامِ المُطعَّمِ بزخَارفٍ مُتْقنَةٍ إطَارًا للَوْحَةٍ فَنيَّةٍ لِسِتَّةِ رِجَال- أربَعَةٌ منْهُم وَاقِفوْنَ ووَاحِدٌ جَالِسٌ والآخَرُ راكِعٌ على رُكْبتَيه. وإلى الوَرَاءِ منْهُم، تتَدَاخَلُ الأعْمِدَةُ والأقْوَاسُ والدَعَائِمُ والأسْقفُ المَطليَّةُ بالذَهَبِ معَ تلْكَ الزُرْقَة السَماويَّة التِي تتقَهْقَرُ بانْسِجَامٍ صوْبَ نافذتَيْنِ مُرتفِعَتَيْن، والغَرَضُ مِن هَذهِ الهَنْدسَةِ الدَقيْقَة إقامَةَ مَوقِعٍ مَسْرحِيٍّ على مُسْتَوى عَالٍ، ومَا يقوْمُ الرجَالُ السِتَّةُ بمُحاكَاتهِ هو لَحْظَةُ وصُوْلِ عَصْرِ النهْضَةِ إلى روْمَا.

إنَّ أوَّلَ مَا تَقَعُ عَليْهُ الأنْظَارُ هوَ تلْكَ الشَخْصيَّةُ المَوجُودَةُ فِي المُقدِّمَةِ إلى أقْصَى اليَمِيْن، حَيْثُ يَجْلسُ على عَرْشٍ مُزيَّنٍ بشَرَاشِبَ مُرْتديًا ثَوبًا كَهَنوتِيًّا، يتكوَّنُ مِن تونيَّة\* شفَّافَة بيْضَاء وقُلنْسُوَة حمْرَاء: إنَّه "فرانشيسكو ديلَا روفيري البابا سيكستوس الرَابِع"، ومَا يُمَيِّزُ صوْرتَهُ الجَانبيَّة فِي اللَّوْحَة هوَ ذلِكَ الحَاجِبُ المُقَوَّسُ بطَريْقَةٍ سَاخِرَة، وأنْفهُ المُدبَّبُ بحِدَّةٍ للأَسْفَل، وفَكُّهُ المُرَبَّعُ الشَكْل، يَقِفُ خَلفَهُ تمَامًا اثْنَانِ مِن رجَالِ الكَنيْسَةِ البَارزيْنَ يرتديان ثِيَابًا كَنَسِيًّة فَضْفَاضَة، وكِلَاهُمَا حَليْقَا الرَأْس بدِقَّةٍ بالِغَةٍ وفْقَ خَطٍّ يَقَعُ فوْقَ طَرَفَي أذُنَيْهِمَا، بيْنمَا يسْتَأثِرُ زَوْجٌ مِن عَامَّةِ النَاسِ بالجَانبِ المُقَابلِ مِنَ اللَّوْحَةِ الجِدَاريَّة، فتَبْدُو سُلطَتَهُمَا وثَروَتَهُمَا واضِحًة مِن تلكَ القلَائدِ الثقيْلَةِ الذَهبيَّةِ التِي تُشِيْرُ لمَكانَتهِمَا وفَرْو حيَوَانِ القَاقم\* الذي يُبَطِّنُ ردَائَيْهِمَا الضَيِّقَينِ بشَكْلٍ رَشِيْقٍ عنْدَ الخَصْر.

الغَريْبُ فِي الأَمْر، أنَّ أيًّا مِن هَذهِ الشَخْصيَّات لَا يَنْظُرُ إلى أحدٍ منَ الآخَريْن، وبدلًا مِن ذلِكَ فَهُم يُحَدِّقوْنَ ببَعْضِ الأمَاكِنِ الهَامَّةِ على مَا يَبْدو، فلَا يُفْشُونَ بشَيءٍ سِوَى ثقتَهُم المُطْلقَة بأنفسهِم، ومَوقِفهِم فِي الصُورَةِ كُلِّهَا مُتَّسِمٌ بالعَظَمَةِ المُتَسَتِّرَة بالغَطْرسَة.

يُبْدِي الرَجُلُ السَادِسُ في المَجموْعَةِ سُلوْكًا أقَلَّ عَجْرفًة، فيَظْهَرُ راكِعًا قبَالَةَ البَابا، بشَفَتهِ المَشقوْقَة قليْلًا وشَعْرهِ الرمَادِيِّ ووَسَامَتهِ، ويَبْدو وشَاحُ ثَوْبهِ الحَريْرِي المُتمَاوجِ ذي اللَّوْنِ الأزْرَقِ الرَماَدِي وكأنَّهُ ينْسَابُ خَارِجًا مِنَ اللَّوْحَة، بمَا يكْفِي لإثَارَةِ مَشَاعِرنَا، تَبْرُزُ إحْدَى يدَيْهِ المَرئِيَّةِ للنَاظِرِ مِن نهَايَةِ كِمٍّ أحْمَرَ طَويْلٍ، مُشِيْرًة للأسْفَلِ نَحْوَ نَقْشٍ حَجَريٍّ لَاتيْنِيٍّ يُمَجِّدُ إنْجَازَاتِ البَابَا المِعْمَاريَّة فِي رومَا: الكنَائِس، الجُسُور، ونَافوْرَة "تريفي"، وقبْلَ كُلِّ شَيء، مكتَبَةُ الفَاتيكَان التِي أُعيْدَ تَرميْمهَا...

عَبْرَ ريْشَةِ رسَّامهِ الرَسْمِي، الذِي يُدْعَى "ميلوزا دا فورلي"، حاوَلَ البابا "سيكتوس الرابع" الحُصوْلَ على مكَانٍ لهُ فِي الحَيَاةِ الآخِرَة-

ولكِن ليْسَ مِن تِلْكَ الأمْكِنَةِ المَوصُوْفَةِ فِي الكتَابِ المُقدَّس، كانَت رغبَتهُ هِيَ الانْتِقَالُ إلى الأجْيَالِ القَادِمَةِ بوَصْفهِ رَاعِيًا مَجيْدًا للمَعْرِفَة، الفَنْ، والعَمَارَة. يُمْكِنُنَا القَوْلُ بسَلَامٍ الآنْ، أنَّ تلْكَ الرَغْبَة قَد تحَقَّقَت، فلَم تكُنْ روما أكْثَر مِن مَجموْعَةٍ مِنَ القُرَى قبْلَ انْتِخَابِ "سيكتوس" كبَابَا للفَاتِيكَان عَام 1471، حيْثُ تبْرزُ الآثَارُ المُهمَلةُ مِنَ الروَابِي المَكسُوَّة بالعُشْب، وقَد لَاحظَ أحَدُ الزوَّار الإسْبَان أنَّ مُعْظَمَ المِسَاحَةِ دَاخِلَ الجُدْرَانِ القَديْمَةِ كانَت مَهجُوْرَة: "هنَاكَ أجْزَاءٌ تَبْدو(62) كأنَّها غَابَةٌ كَثيْفةٌ، حيْثُ الوحوْشُ البَريَّة، الأرَانِب، الثعَالِب، الغُزْلَان وحتَّى...حيَوانَاتُ الشَيْهَم\* قَد تناسَلَت فِي الكهُوْف".

--------- \*التونية: كلمة أصلها يوناني و معناها (امش بترتيب) و هي تشير إلى ثوب المسيح الذي أُلقيت عليه قرعة وقت الصلب و هي دائماً بيضاء اللون الأبيض.

\*القاقم: ابن عرس قصير الذيل أو القاقم أو القاقوم؛ يتبع جنس ابن عرس من فصيلة العرسيات. يستوطن أوراسيا وأمريكا الشمالية.

\*الشيهم : هي عائلة من القوارض يميزها غطاء من الأشواك الحادة، التي تستخدمها للدفاع عن نفسها من الحيوانات المفترسة. موطنها الرئيسي في الأمريكيتين، وآسيا، وأفريقيا، وأوروبا. و هو ثالث أكبر نوع قوارض بعد خنزير الماء والقندس.

لَقد أدَارَتْ المدِيْنةُ ظَهْرهَا منْذُ فتْرَةٍ طويْلةٍ لماَضيْهَا الكلَاسِيْكِي: فبَاتَ سِيْركُ ماكسيموس حَديْقًة للتَسَوُّق. والأمْرُ لَم يقْتَصِر على ذَلِك، فمَنْصِبُ البَابويَّة ولمُعْظَمِ القَرْنِ الرَابعِ عشَر كانَ إمَّا مُسْتَوطنًا خاَرِجَ البِلَاد، فِي جَنوْبِ فرنْسَا، أو مُتنَازَعًا علَيهِ بيْنَ المُطَالبيْنَ المُتَنافِسِين، ولهَذا أمْسَت حتَّى أكثَر الكنَائسِ أهَميًّة بحَاجةٍ للتَرمِيْم. لقَد وَطَّدَت عَوْدَةُ البَابا "مارتن الخامس" عَام 1420، البَابويَّة في روما تارًة أُخْرَى، أمَّا "سيكتوس" فقَد انْصَبَّ هوَسُهُ على الأبْنِيَةِ الفَخْمَة، ثمَّ باشرَ بقَلبِ النَسيْجِ الحَضَريِّ للمَديْنَة: فرصَفَ الشَوارعَ وبنَى أو أعَادَ إعْمَار قائِمَةٍ طَويْلةٍ مِن الكنَائسِ والأدْيِرَة، وهوَ مَن كلَّفَ ببنَاءِ "بونتي سيستو"- أوَّلِ جِسْرٍ تمَّ إنشَاؤهُ على نَهْرِ "تيبر" منْذُ العُصوْرِ القَديْمَة. وأقَامَ كنيْسَةَ "سيستينا"\* وزَخْرفَهَا بلوْحَاتٍ جِدَاريَّةٍ لرَسَّامِين مثْلَ "ساندرو بوتيتشيلي"\*، "بينتوريكيو"\*، "بيترو بيروجينو"\*، و "دومنيكو غرلاندايو"\*. وكَمَا يُوْحِي النَقْشُ الحَجَريُّ، فإنَّه كَانَ فخوْرًا أيْضًا بشَكْلٍ خَاصٍّ بالمَشروْعِ الذِي أحْيَا ذِكْرَاهُ "ميلوزو" بتَصويْرهِ فِي لوْحَةٍ جِدَاريَّة: تَجديْد مَكتبَةِ الفِاتِيكَان، غيْرَ أنَّ "سيكستوس" يَستَذْكِرُ لأسْبَابٍ أقَلَّ نُبْلًا، برَغْمِ كُلِّ الجُهوْدِ التِي بذلهَا لإنْشَاءِ إرْثٍ مَرموْق: فالفسَادُ، المَكرُ السِيَاسِي الذِي لَا يَرْحَم، إثَارَةُ الحُروْب، العَيْشُ المُنْحَل، وفوْقَ كُلِّ شَيء، المَحْسوبِيَّة؛ قَد مَنحَ قُبَّعَةَ الكَارديْنَال الحمْرَاء لمَا لَا يَقِلُ عَن ستَّةِ أفْرَادٍ مِن أقَاربِه، ودبَّرَ المنَاصِبَ المُرْبِحَة، والعَقَارَات، ورتَّبَ زيْجَاتٍ لأجْلِ آخَرِيْن. فِي الحَقيْقَةِ إنَّ الأشْخاصَ المُهمِّينَ الأرْبَعَة الذيْنَ يَقِفوْنَ فِي خَلفيَّةِ لوْحَةِ مَجموْعَةِ "ميلوزو" جَميعَهُم أبنَاءُ أَخِ وأخْتِ البَابَا.

إنَّ أكثَر شَيءٍ وِديٍّ تمَكَّنَت أجيَالُ المؤَرِّخيْنَ مِن قَوْلهِ عَن أسلوْبِ حيَاةِ "سيكتوس"، هوَ أنَّه لَم يُقَدِّر قيْمَةَ المَالِ لأنَّهُ نشَأَ كرَاهبٍ فرنَسيسْكَانِي\*، لمَ يتَردَّد أقربَاؤهُ باستغْلَالِ هذَا الضَعْف، وبطبيعَةِ الحَال كانَت حفلَاتُ الَعشَاءِ أحَدَ أكثَرِ الطرُقِ المُمْتعَةِ لإنفَاقِ ثِمَارِ هذَا الضَعْف. كانَ الكَارديْنَال "بيترو رياريو" هوَ ابْنُ أخِ البَابَا المُفَضَّل ( أو إِنْ أمْكَن تَصديْقُ بَعْضِ الشَائعَات، بأنَّهُ ابْنُه)، أقامَ "رياريو" فِي يونيو سَنَة 1473 ، مأدُبًة امْتدَّت لسِتِّ سَاعَاتٍ على شَرَفِ ابنَةِ مَلكِ نَابولِي، والتِي جَعَلتْ حتَّى أكثَرَ الحُضوْرِ الغَيْرِ المُتحَمِّسِيْن تتمَلَّكهُم الدَهْشَة، فلقَد أُسكِنَتْ ضَيْفَةُ الكَارديْنَال فِي قَصْرٍ خشَبيٍّ ينْتَصِبُ قبَالةَ كنيْسَةِ الرُسُلِ المُقدَّسَة\*، لقَد طُلِيَ هذَا الهَيْكلُ المُؤقَّتُ الفَخْمُ بطِلَاءٍ مُتْقَنٍ ورَائعٍ ليَبْدو للنَاظرِ وكأنَّهُ بنَاءٌ حَجَري، وتضمَّنَ فنَاًء، نوَافِيرًا، مَسْرحًا، وقَاعًة واسِعًة لولَائمِ الطَعَام فُرِشَت بالسُجَّاد المُطرَّزِ بالذَهَب وبرُوكِيد الذَهَب والحَريْر والكَثِير مِن الأوَانِي الفِضِيَّة. كانَت تِلكَ الوَليْمَةُ الفَاخِرَةُ تُمَثِّلُ التُحْفةَ الرَئيسِيَّةَ التِي تُعَبِّرُ عَن أهَميَّةِ إقَامَةِ الأميْرَةِ النَابوليَّةِ فِي روما، (63) إِذْ تمَّ تَقْدِيم أكثَرَ مِن أربعيْنَ صِنْفًا مِنَ المَأكوْلَات اشتمَلَت على شرَائحِ اللَّحْمِ المشْويَّة، طائِرِ مَالكِ الحَزيْن، الطَاووس، وحتَّى دُبٍّ كَامِلَ النُمو. وبطبيْعَةِ الحَال، فالغرَضُ مِن قائمَةِ الطعَامِ هوَ الاستعْرَاض أكثَر مِن تعَلُّقِهَا باستِهْلَاكِ الطَعَام: حَيْثُ وُضِعَت شرَائِحُ رَقيْقَةٌ مِن الذهَبِ على الخُبْز. ففِي رومَا، كحَالِ سَائِرِ إيطاليا، كانَت القوَّةُ والثَروَةُ التِي تتركَّزُ بشَكْلٍ مُتزَايدٍ فِي أيْدِي قِلَّةٍ مِن الحُكَّام، يتِمُّ عرْضُهَا على المَائِدة.

------------

\*كنيسة سيستينا: هي أكبر كنيسة موجودة بالقصر الباباوي الذي يعتبر المقر الرسمي للبابا في مدينة الفاتيكان.

\*ساندرو بوتيتشيلي :ألسندرو دي ماريانو دي فيليبيبي الملقب بُوتِتْشِيلِّي الذي عاش في فلورنسا 1445-1510 هو رسام إيطالي من عصر النهضة. بدأ حياته صبيًا في حانوت صائغ بفلورنسا. ويحدثنا فازاري وآخرون أنَّ ساندرو فتن بفن التصوير في صغره فالحقه والده بمرسم فيليبو ليبي.

\*بينتوريكيو: هو رسام إيطالي. عُرف بغزارة إنتاجه، ومن أشهر أعماله: «بينيلوبا جالسة إلى نولها» و«القيامة».

\*بيترو بيروجينو.: ولد باسم بيترو فانوتشي وكان من رسامي عصر النهضة الإيطالية من المدرسة الأومبريانية. وضع بعض الصفات التي أوجدت التعبير الكلاسيكي في عصر النهضة العليا. كان رفائيل تلميذه الأكثر شهرة.

\*دومنيكو غرلاندايو: من أنجح الرسامين الإيطاليين في عصره بفلورنسا. رسم اللوحات الجصية على السقوف والجدران والنقوش على مذبح الكنيسة وفوقه بطريقة مباشرة واقعية وتفصيلية

\*الرهبنة الفرنسيسكانية: ويعرف رهبانها باسم الفرنسيسكان، هي رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس فرنسيس الأسيزي في شمال إيطاليا في القرن الثالث عشر تحديدًا عام 1208 وثبت قوانينها البابا إينوسنت الثالث عام 1209، وتعتمد على روحانية القديس فرنسيس، والقوانين التي وضعها بشكل أساسي.

\*كنيسة الرسل المقدسة: المعروفة أيضا باسم مقبرة الأباطرة، هي كنيسة أرثوذكسية شرقية في القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سابقًا. يعود تاريخ أول بناء لها في القرن الرابع، على الرغم من قيام الأباطرة البيزنطيين لاحقًا في تحسين وتجميل الكنيسة.

بدَت لوحَةُ مَجموْعَةِ ميلوزو مُذهلًة ومُخْزيَة كحَالِ المَأدُبَة، فهِيَ تُظهِرُ روعَةَ وفضيْحَةَ روما بعَصْرِ النَهْضَة فِي عهْدِ البَابَا "سكستوس الرَابِع"، لكنَّها كذلِك أفْضَلُ طَرْحٍ مُمْكنٍ لإحْدَى أكثَرِ الشَخصيَّاتِ المُحَيِّرَةِ فِي تاريْخِ الطعَامِ الإيْطَالي، والذِي سُلِّطَت عليْهِ الأضْوَاءُ بشَكْلٍ أقَلٍّ ممَّا نالَهُ البَابَا "ديلَا روفري" وأبنَاءِ أخيْهِ على مَرِّ القُروْن، ومعَ ذلِكَ فإنَّ قصَّتَهُ مليْئةٌ بالدَسَائِسِ والفَضَائحِ كحَالهِم، فالرَجلُ الأشْيَبُ الذِي رسمَهُ "ميلوزو" راكِعًا على رُكبَتيْهِ هوَ أميْنُ مكتبَةِ الفاتِيكَان، أُستَاذُ العلوْمِ الإنسَانيَّة- الإنْسَانِي كمَا سيُطْلَقُ على أمْثاَلهِ لَاحِقًا- والذِي عُرِفَ عَالمِيًا باسْمٍ لَاتِينيٍّ ابْتكَرَهُ لنَفْسِه هوَ "بلَاتينا". كانَ الإنسَانيُّونَ مِن عُلمَاءِ الأدَبِ الكلَاسِيكِي ومُدَرِّسُو القوَاعِد، البلَاغَة، الشِعْر، التَاريْخ والفلسَفَة الأخْلَاقيَّة، لكِن مِن بيْنِ الإنسَانيِّين يَحْظَى "بلَاتينا" بتَميُّزٍ فَريْد، فهوَ مُؤلِّفٌ لأكْثَرِ كُتُبِ الطَهْيِ مبيْعًا فِي عَصْرِه، فِي الحَقيْقَة كانَ كتَابهُ "متعةٌ لَائقَةٌ وصِحَّة" هوَ أوَّلُ كتَابِ طهْيٍ تمَّ إعادَةُ نسْخهِ قَط، باستخْدَامِ تقنيَّةٍ ثوريَّةٍ جَديْدَةٍ فِي الطِبَاعَة، لقَد صدرَ مِن كتَابِ "متعةٌ لَائقَةٌ وصِحَّة" عشَرَاتُ الطَبعَاتِ على مدَى العُقودِ التِي تلَتْ ذلِك، وسيُسَاعِدُ كتَابُ "بلَاتينا" فَي المقَامِ الأوَّلِ بجَعْلِ الطعَامِ الإيطَاليِّ نمُوذجًا يُحْتذَى بهِ عبْرَ أوروبا بعَصْرِ النَهْضَة.

لَايزَالُ هنَاكَ لغْزٌ مَشؤوْمٌ فِي قلْبِ حيَاةِ "بلَاتينا"، تلكَ الأُحْجِيَةِ التيِ يمُدُّنَا كِتَابُ "متعةٌ لَائقَةٌ" بمُعْظَمِ المفَاتيْحِ المُتاحَةِ لحَلِّها. ولِكَي نُدْرِكَ أبعَادهَا كامِلَة، عليْنَا أَنْ نتَبيَّنَ كَيْفَ رُسِمَ "بلَاتينا" فِي اللَّوحَةِ الجِدَاريَّةِ لـ"ميلوزو" بعْدَ عِدَّةِ سَنوَاتٍ على كتَابتِهِ لدَليْلهِ الصَغِيْرِ عَن الطَعَام.

وسَواًء أكَانَ راكِعًا أَم لَا، فليْسَ مِنَ المُعْتَادِ أَن يُرسَمَ خَادِمٌ مدَنِيٌّ معَ مثْلِ هذهِ العُصْبَةِ المُوقَّرَة، مِن المُؤكَّدِ أنَّ "بلَاتينا" أميْنَ المكتبَةِ لديْهِ ذَرَائِعُ عديْدَةٌ ورَاءَ شُهرَتهِ تتعَدَّى كتَابَهُ للطَهي والطريْقَةِ البَارِعَةِ التِي نجَحَت باستثْمَارِ تَمجيْدِ "سيكتوس" لنَفسهِ فِي الكُتُب. وبصفَتهِ مُعلِّمًا فقَد ساعدَهُ ذلِكَ على تكويْنِ عَقليَّةِ بعْضِ أقْوَى السُلَالَاتِ الحَاكِمَةِ فِي إيطَاليا، كمَا أنَّه أيْضًا أتَمَّ أوَّلَ بَحْثٍ تَاريْخِيٍّ عَن البَابوَاتِ على أكْمَلِ وَجْه، يديْنُ "بلَاتينا" بمكَانهِ فِي لوحَةِ مجموْعَةِ "ميلوزو" إلى الفكْرَةِ ذاتَهَا لـ "عَصْرِ النَهْضَةِ" أكْثرَ مِن هذهِ الإنْجَازَات، وكحَالِ غيْرهِ مِن الإنسَانيِّين فقَد سعَى لإيْصَالِ فَهْمٍ وتَثميْنِ الرَوائِعِ الفنيَّةِ المَوروْثَةِ مِنَ اليونَان ورومَا القَديْمَة.

64 لكِن عندمَا تناقَلَ الإنْسَانيُّونَ هَذهِ المَعْرفَة، جاءَت مَحْزُومًة معَ قصَّةٍ آسِرَةٍ بقَدْرِ مَا هيَ مُضلَّلًة تاريْخيًّا. لقَد حقَّق الأقدموْنَ عظمًة خَالدَة، وهكذَا انْطلقَت الخُرَافَة، تَبِعَ سقوْطُ رومَا "عصوْرُ الظلَام" و "العُصوْرُ الوسْطَى" التِي عمَّ فيْهَا الجَهْلُ والهمَجيَّة، ولكنْ الآنَ وبعْدَ مروْرِ ألْفِ عَامٍ، فإنَّ معجزَةَ الولَادةِ الجديْدَةِ ماضيَةٌ قُدُمًا، وعبْرَ دراسَةِ الأدَبِ التَقليْدِي المُناهِضِ للنمَاذجِ الأخْلَاقيَّة التِي أوْجدَهَا، صَارَ بوسْعِ الرجَالِ المُتحضِّرين أن يجْعَلوا مِن أنفُسهِم مُتمَيِّزينَ بقَدْرِ القُدمَاء، وأمْسَى بمقدوْرهِم أيْضًا إبرَازُ سمعَتهِم فِي المُستقبَلِ البَعيْدِ، بواسِطَةِ الفنَّانين، المعمَاريّين، والكُتَّاب الذيْنَ يُخَلِّدوْنَ مآثِرَهُم. وبعبَارةٍ أخْرَى، أسهَم الإنسَانيُّونَ أكثَر مِن أيِّ شخْصٍ آخَر باستحْدَاثِ "عَصْرِ النهْضَة"، ومَا ابتَدَعوْهُ كانَ قصًّة روَاهَا رجَالٌ مِن أمثَالِ "بلَاتينا" عَن مكَانتهِم فِي التَاريْخ، ووعْدًا بالعظَمَة قدَّموْهُ لرُعَاةِ الفنوْنِ والآدَابِ مِن أمثَالِ "سيكتوس الرَابِع".

إنَّ المعْرفَة وفكرَةَ عصْرِ النهْضَةِ قَد حوَّلَت "بلَاتينا" مِن فتًى لَامعٍ يَعِيْشُ بقَريَةٍ صغيْرةٍ فِي "لومباردي"، وجُنْديٍّ مرْتَزقٍ سَابِقٍ، إلى رجُلٍ لَائقٍ ليُرْسُمَ بصُحبَةِ الكَارديْنالَات والبَابوَات، مُشيْرًا بإصْبَعهِ للأَسْفَلِ نحْوَ النَقْشِ الحَجَرِيِّ الذِي خَطَّهُ بنفْسهِ تكريْمًا لإعادَةِ بنَاءِ البابَا للمديْنَةِ الخَالِدَة، لقَد كانَ "بلَاتينا" مُؤَشِّرًا على خلوْدِ "سيكتوس الرابع".

يَحْتَوِي كتَابُ بلَاتينا "متعَةٌ لَائقةٌ وصِحَّة" على بعْضِ نصَائحٍ سيَجدُها أيُّ شخْصٍ يُقَدِّمُ لحْمَ دبٍّ مَشويٍّ بإحْدَى مأدُباتِ الكَاردينَال رياريو" بأنَّهَا مُفيْدًة: ليْسَ جيِّدًا للطُحَال أو الكَبِد، لكنَّه قَد يمْنَعُ تسَاقُطَ الشَعر، وبرَغْمِ هذَا فإنَّ الكتَابَ لَا يُعَدُّ دليْلًا على إسْرَافِ البَابوَات والكَاردينالَات المُرتَشِين. وبدلًا مِن ذلِك، فإنَّه ينْتَمي بشكْلٍ صريْحٍ إلى أَجِنْدَةِ إنسَانيي عصْرِ النهْضَة لإعادَةِ الولَادَةِ الأخلَاقيَّةِ مِن خلَالِ دراسَةِ الكلَاسيكيَّات. امتَلَك "بلاتينا" هدفًا أخلَاقيًّا سَاميًا بكتَابِه "متعَةٌ لَائقةٌ وصِحَّة ": حيْثُ قَامَ بمحَاولةٍ غيْرِ مسبوْقَةٍ لتوحيْدِ مكانَةِ المَعرفَةِ القديْمةِ والفلسَفَةِ الأخلَاقيَّةِ مع أفضَلِ فَنٍّ إيطَاليٍّ لتذوُّقِ وطَهْيِ الطعَام.

65

مِنَ النَادرِ أنْ نقرَأ كتَابَ طهْيٍ تاريخِيٍّ يَطْبَعُ فِي الأذْهَانِ صورًة واضحًة عَن شخصيَّةِ مؤلِّفهِ كمَا فعَل "متعَةٌ لَائقةٌ وصِحَّة "، لسوْءِ الحَظ فتلْكَ الصورَةُ ليسَت ودودًة: فـ"بلَاتينا" كانَ مُخْتَالًا فِكريًّا وميَّالًا ليَكوْنَ وَاعِظًا غيْورًا (فأَن تكوْنَ شديْدَ الحسَاسِيَةِ ومُتغَطْرسًا، لهوَ نقَائِصُ مِهَنيَّةٌ للإنسَانيِّين الطَموْحِينَ أمثَالَه).

بيْدَ أنَّ هنالِكَ المزيْدُ ممَّا يمْكِنُ إماطَةُ اللِّثَامِ عنْهُ فِي كتَابِ "متعَةٌ لَائقَة" أكثَر مِن شخصيَّةِ الكَاتِب، فمِنَ المُحتمَلِ أَن يكوْنَ قَد أنْهَى كتابَهُ فِي عُطْلَةِ صيْفِ 1465، أَي قبْلَ خمْسَةَ عشَر عامًا مِن وقوْفهِ أمَامَ "ميلوزو" ليرسُمَه، وقبْلَ أن يُصْبِحَ أميْنَ مكتبَةِ الفاتيكَان بعشْرِ سِنيْن، وقبْلَ ستَّةِ أعْوَامٍ على انْتِخَابِ "فرانشيسكو ديلَا روفيري" كبَابَا. الأهَمُّ مِن ذلِكَ بكثيْرٍ، أنَّ كتَابِ "متعَةٌ لَائقَة" قَد أُنْهِيَ قبْلَ ثلَاثِ سنيْنَ مِن أحدَاثِ شُبَاط الاستثْنائيَّة بعَام 1468، عندمَا تمَّ اعتقَالُ "بلَاتينا" وأعضَاء آخرينَ مِن الأخويَّةِ الوثنيَّةِ المزعوْمَة والمُكرَّسَة لعبادَةِ الأصْنَام، والهرطَقَة، الفسَاد الجِنْسِي، والنَهَمْ؛ وذلك بتُهمَةِ التآمُرِ لاغْتيَالِ سَلَفِ "سيكتوس" وهوَ البابا "بولس الثاني"، وهنَا الغموْضُ فِي الأَمْر: فهَل تمَّتْ ملَاحقَةُ كِتَابِ بلَاتينا "متعَةٌ لَائقة" فِي هذهِ المؤَامَرَة الدَنيْئَة؟.



"بلَاتينا"، أعظَمُ كَاتِبٍ عَن الطعَامِ بسنَةِ 1400، تمَّ تخليدَهُ بأن رسَمَه "ميلوزو دا فورلي"، "بلَاتينا" هوَ ذلكَ الشَخْص الذي يَظْهرُ راكعًا أمَام البَابَا "سيكتوس الرابع" وأبنَاءِ أخيْهِ وأُخْتِه.

66

**مُهلبيَّة السيِّد مارتينو**

يعَدُّ "بلَاتينا" باحِثًا مُحترفًا أكثَر مِن كونِهِ طاهيًا متخَصِّصًا، وكان عقلَانيًّا بمَا يكْفِي لئَلَّا يتظَاهَر بعَكْسِ ذلِك. حوَالِي 40 بالمِئَة مِن كتَاب "متعَةٌ لَائقةٌ وصحَّة "- الوصفَاتُ بالغَالب- هوَ فِي الحقيْقَةِ ترجمَةٌ حرفيَّةٌ إلى اللَّاتينيَّة مِن كتَابِ طهْيٍ خُطَّ باللُّغَةِ العَاميَّة بوَاسطَةِ أحَدِ الطُهَاةِ المُتمَرِّسينَ ويُدْعَى "مارتينو دي روسي".

مِن المُرجَّحِ أنَّ حِرَفيًّا مَاهِرًا كـ"ماستر مارتينو" قَد شعَرَ بالسُروْرِ عوضًا عَن الاسْتيَاءِ لكوْنِ رجُلِ معْرفَةٍ مثْلَ "بلاتينا" قَد نسخَ عمَلهُ دوْنَ علْمٍ مِنْه. تقابلَ الاثنَانِ بصيْفِ سنَة 1463 فِي "ألبانو" جنوْبِ روما، حيْثُ حلَّ "بلاتينا"، تلْكَ العَلَقَة المُتأصِّلَة، ضيْفَ صَيْفٍ عنْدَ ربِّ عمَلِ "مارتينو"- وهوَ كَاردِينالٌ آخَرٌ يعيْشُ برفَاهِيَة. وربَّما ساعدَ الجَوُّ المُريْحُ ونبيْذُ تلَالِ "ألبانو" على مَدِّ جسوْرِ الخِدَاعِ الثقَافِي بيْنَهُمَا، وأثْنَاءَ تبَادُلِ أطْرَافِ الحَديْثِ، زُرِعَتْ فكرَةُ "متعَةٌ لَائقَة" فِي ذهْنِ "بلَاتينا".

لقَد وجدَ "بلَاتينا" فِي "ماستر مارتينو" توليفًة لمَا أصبَح عليْهِ الطَهْيُ الإيطَاليُّ مُذْ بدَأَت المدُنُ الإيطاليَّةُ عودتهَا إلى الصدَارَةِ السِيَاسيَّةِ والاقْتصاديَّة بمَطْلَعِ القرْنِ الحَادِي عشَر، ولقَد قدَّم "مارتينو" خدمَاتِه لأسْيَادٍ مِن "ميلَان" وصوْلًا إلى "نابولي" لهَذا فأثْنَاءَ شُروْعِ "مارتينو" بتَزويْدِ كتَاب "متعَةٌ لَائقَة" بمُعظَمِ الوصَفَات، قدَّم "بلَاتينا" إطَارَ المعْرفَةِ العلمِيَّة، الطبيَّة، التاريخيَّة، الأدبيَّة والأخلَاقيَّة لترسيْخِهَا.

يُمْكِنُ العثوْرُ لدَى "ماستر مارتينو" على العديْدِ مِن أوجُهِ تنَاولِ الطعَامِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى التِي صادَفْنَاها مسْبقًا، وبالتَالِي فِي "متعَةٌ لَائقَة". هناكَ اهتمَامٌ مُمَاثِلٌ بالفَاكِهَة، الخضْروَات، وأسْمَاك الميَاه العَذْبَة؛ وبشَكْلٍ مُشَابهٍ للفطَائِر، العصَائِد، والرَافْيُولِي. والحَالُ ذَاتهُ للصَلصَات ولنَفْسِ التَوَابِل بالطَبع، ولكوْنِهِ يَديْنُ لـ"ماستر مارتينو"، فإنَّ "متعَةٌ لَائقَة" يحْتَوي على بعْضِ أطبَاقِ المرَقِ الرائعَةِ والشوْربَات، المشَاوِي، الحسَاء وأطبَاق البَيض، جَاعِلًة منْهُ أكْثرَ دليْلٍ شامِلٍ لأَيِّ أحَدٍ يتحَلَّى بالصَبْرِ لإعَادَةِ إنتَاجِ نكَهَاتِ العُصوْرِ الوسْطَى، بدلًا مِن كتَابَةِ تاريْخِهَا.

غيْرَ أنَّ الجَوانِبَ المُتعَلِّقةَ بالطَهْيِ على وجْهِ الخصوْصِ فِي "متعَةٌ لَائقَة"- أَي وصفَاتُ "ماستر مارتينو" - لَا تتطلَّبُ منَّا تعمُّقًا كبيْرًا بدرَاسَتِهَا هُنَا، و"بلَاتينا" نفْسهُ يُوَضِّحُ السبَب، فِي سِيَاقِ مُناقَشَتهِ للمُهَلبيَّة. إنَّ البيانكومانجاري (الطعَامُ الأبْيَض) المَشْروحُ فِي "متعَةٌ لَائقَة" مُشَابِهٌ لذَلِكَ المَذْكور بـ" كتَابٌ للطَهي" قبْلَ قرْنٍ مِنَ الزمَان.

67 فهوَ عبَارَة عَن لَوْزٍ مقشوْرٍ وصدوْرِ الديْكِ المُسَمَّن منزوعَةَ العَظْم (أَي الديْكُ المَخْصِي حتَّى يغْدُوَ سَميْنًا) ويتمُّ سحْقُ المكوِّنَاتِ حتَّى تصْبِحَ كتلًة طريًّة، ثمَّ تُطْهَى بإضافَةِ التوَابلِ والسُكَّر، وغَالبًا ما تُصَبُّ فوْقَ اللَّحْم. إنَّ زلَابيَة كهَذهِ قَد حَظِيَت بتَقديْرٍ كبيْرٍ فِي أوروبا بأوَاخِر العُصوْرِ الوسْطَى- يَأتِي تشوسر\* على ذِكْرهَا أيْضًا. وللوصوْلِ إلى الدرجَةِ المُنَاسبَةِ مِن البيَاض، يتمُّ إعدَادُهَا مَع إيلَاءِ اهتمَامٍ خاصٍّ بالنظَافَة، وأحْيانًا بزَاويَةٍ منْفصلَةٍ مِن المَطبَخ.

هناكَ القليْلُ منَ الأصَالةِ بزلَابيَة "ماستر مارتين" ومعَ ذلِكَ فقَد أخذَ هذَا الطبَقُ عَقْلَ "بلَاتينا"، لدرجَةِ أنَّهُ بعْدَ طرحِهِ للوصْفَة، يتوقَّفُ بتأمُّلٍ على قدْرٍ كبيْرٍ مِنَ الأهميَّة:

"لَا يوجَدُ سبَبٌ يدعوْنَا لتفضيْلِ ذوْقِ أسلَافِنَا على ذوْقِنَا، وحتَّى إن تفَوَّقوا عليْنَا بكُلِّ الفنوْنِ تقريْبًا؛ لكِن عندمَا يتعَلَّقُ الأمْرُ بالمذَاقِ فلَا يمْكِنُ قهْرُنَا".

وبكلمَاتٍ أخْرَى، لقَد تفوَّقَ طهْيُ المدُنِ الإيطاليَّة الآنَ على طهْيِ رومَا القديْمَة. ولاعْتِبَارِ أَنَّ مصدَرَهُ شخْصٌ إنسَانيٌّ، فقَد اعتُبِرَ أسْمَى ثَنَاء مُمْكِن، فلربَّما تكوْنُ الحضَارَةُ الإيطاليَّةُ بشَكلٍ عَام قَد مرَّت عبْرَ عصْرِ النَهْضَة، غيْرَ أَنَّهُ إذَا كانَت الزلَابيَة شَيْئًا نستطيْعُ أَن نُعَوِّل علَيْه، فإنَّ تلْكَ الحضَارَة على المائِدَة لَا تتطَلَّب مثْلَ هذَا التَجْدِيد. بمِزَاجٍ احْتِفَالي، انْتهَز "بلَاتينا" الفُرْصَة حيْنَئذٍ ليُرَبِّتَ على ظَهْرِ "ماستر مارتينو" بشَكْلٍ ودِّي:" أيُّها الآلِهة الخَالدَة! يَا لَهُ مِن طَهْيٍ رائِعٍ، ذاكَ الذِي منَحْتنَا إيَّاهُ عبْرَ صديْقِي "مارتينو" مِن مديْنَةِ "كومو"!"

لذَلِكَ وبرغْمِ أنَّ "متعَةٌ لَائقَة" أوَّلَ كتَاب للطَهي فِي عصْرِ النهْضَة؛ إلَّا أنَّه لَا يحْتَوي على أيِّ وصفَةٍ تعوْدُ لذَلِكَ العَصْر. وبالمَعْنى الدَقِيق ،لَا يوْجَد شَيءٌ مِن هذَا القَبيِل فِي الحَقيْقة. بشَكْلٍ عَام، استمَرَّت مجموعَةُ المذَاقَات ذَاتهَا التِي جعلَتْ لُعَابَ متَناولِي الطعَامِ فِي العصوْرِ الوسْطَى يَسيْل، لتَتْرُكَ التأثيْر نفْسَه خلَالَ الحِقْبَةِ التِي أخذَت اسْمهَا مِن الأجِنْدَةِ المُسْتنِدَةِ للمصْلحَةِ الذاتِيَّةِ لإنْسَانيّي النَهْضَة الثقَافيَّة. لَا يتْبعُ الطَهيُ بالضَرورَةِ التسَلسُلَ الزمنيَّ عيْنَهُ الذِي تتبَعَهُ المجَالَاتُ الأخْرَى للمسَاعِي الإبدَاعيَّة، فلَم يبْدَأ الناسُ بتنَاولِ الطعَامِ بمَنظوْرٍ أكثَر خلَالَ عَصْرِ النهْضَة، ولَاهُم تنَاولوا الطعَام اسْتنَادًا لتلك القضيَّة مُزينًا أكثَر أثْنَاءَ العصْرِ البَاروكِي\*، أو بعقلَانيَّةٍ أكثَر خلَال حِقبَةِ التَنويْر، ومعَ ذلِك وقبْلَ العوْدةِ إلى موضوْعِ "بلَاتينا"، هناكَ بعْضُ الجَوانِب المُتعلِّقَةِ بفنِّ طهْيِ "مارتينو" والتِي كانَت أولويَّاتٍ إيطاليَّةً مُميَّزَة، ولهذَا فهيَ تستحِقُّ بعْضَ الاهتمَام: السكَّر والمعْكرونَة.

إنَّ الحمَاسَ الواضِحَ للسُكَّرِ فِي "كتابٌ للطَهي" يظْهَرُ بشكْلٍ أكبَر عنْدَ "ماستر مارتينو"، ---------- \*جيفري تشوسر :عاش في الـقرن 14 ما بين عامي 1343-1400 وهو شاعر إنجليزي يُعدّ أبرز الشعراء الإنجليز في العصور الوسطى، قبل عهد شكسبير، وأكبر الشعراء الهزليين في تاريخ الأدب الإنجليزي. لقب بأب الشعر الإنجليزي، ويُعدّ من أقدم الشعراء الإنجليز المعروفين.

\*العصر الباروكي: بشكل عام هو الفترة الممتدة من أواخر القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن الثامن عشر في تاريخ أوروبا. باروك هو اصطلاح مستعمل في فن العمارة والتصوير معناه الحرفي شكل غريب، غير متناسق، معوج.

68 فيُخبرنَا "بلَاتينا" بعَدَمِ وجوْدٍ شَيءٍ تقريْبًا لَا يستطيْعُ السُكَّر تَحسيْنَه، والحقيْقَة أنَّ "مارتينو" هوَ أوَّلُ مَن تعمَّدَ استخْدَامَ السُكَّر لإعدَادِ أطبَاقٍ حُلوَةٍ مثْلَ الفطَائرِ المقليَّة، بدَلًا مِن أَن تكوْنَ بسيْطًة كإضَافَةِ مزيْجِ البَهَارَات المعَروْفِ بطريْقَةٍ مُمَاثلَةٍ لإضَافَةِ المِلْح، ستتَبعُ بقيَّةُ أوروبا قريْبًا النموْذجَ الإيطاليَّ عبْرَ استهْلَاكِ المزيْدِ مِن السُكَّر، وبطُرقٍ أكثَر تنَوُّعًا.

تتجَلَّى أهميَّةُ "ماستر مارتينو" أيْضًا لكونِه قدَّمَ لنَا بعْضَ الإرشَادَاتِ الأوْلَى عَن كيفيَّةِ صُنْعِ مَا يُطْلَقُ عليْهِ "المَعكرونَةُ الصقَليَّة"، حيْثُ تُلَفُّ عجيْنَةٌ مصنوْعَةٌ مِن الدقيْقِ و بيَاضِ البيْضِ، ماءَ الورْدِ، ومَاءِ الصُنْبور، حوْلَ قضيْبٍ حديْدِيٍّ لإنْشَاءِ الأنَابيْبِ المعروْفَةِ الآنْ. يشْرحُ قائلًا: "عندمَا تجِفُّ تحْتَ الشَمْسِ، ستدوْمُ لسنتَينِ أَو ثلَاثًا". أمَّا الشعيريَّة فيتِمُّ إعدَادُهَا بلَفِّ العجيْنةِ نفْسِها إلى قِطَعٍ صغيْرةٍ باستخْدَامِ الأصَابِع. إنَّ مقترَحَاتِ "مارتينو" لتقديْمِ هذهِ الأشْكَالِ المُبكِّرَةِ من المَعكرونَة الجَافَّةِ مثَاليَّة بهَذا العَصْر: إذْ يُمْكِنُ طَهْيُ المعْكَرونَةِ والشعِيريَّة فِي المَرَق، الحَليْب أو حليْبِ اللَّوزِ ويتِمُّ تقديْمُهَا بعْدَ نثْرِ الجُبْنِ، السُكَّرِ والتوَابلِ فوْقهَا، وهيَ أيْضًا مثَاليَّة بعصْرِ "مارتينو"، لكنَّ مَا يُسبِّبُ الذُعْرَ لنَا هو أوقَاتُ الطَهْيِ المُوصَى بهَا: فسَاعَةٌ لأجْلِ الشعيريَّة، وساعتَانِ للمَعكرونَة. لعَلَّ عجينَةَ "مارتينو" معَ مَا تحويْهِ مِن بياَضِ البيْضِ، تتطلَّبُ فترَةَ غَلْيٍ أطْولَ مِن الأنوَاعِ المألوْفةِ فِي العَالمِ اليَوم، ومعَ ذلِك يبْدو أنَّ الأشْخاصَ المعَاصرينَ لـ"بلاتينا" قَد أحَبُّوا القوَامَ الطَريَّ للغَايَة لمَعكرونَتهِم، فلَايزالُ هناكَ شوْطٌ بعيْدٌ فِي المُستقْبَل للوصوْلِ لفكْرَةِ الدنتي\*.

**الطَاؤوسُ والمَاعِزُ المَشْوِي**

إنَّ أكثَر شَيءٍ واضحٍ قَد تعلَّمهُ قارئٌ فِي عصْرِ النهضَةِ مِن كتَابِ "متعَةٌ لَائقَة وصِحَّة" هوَ كيفيَّةُ تفَاخُرهِ بانجِذَابهِ لمَا هوَ معهوْدٌ حتَّى أثنَاءَ التهَامهِ للطَاووسِ والدُب، فيذكرُ "بلَاتينا" مجموعةً مِن المصَادرِ التِي تهدِفُ لإبْهَارِ قُرَّائه: مِن "أرسطو" إلى "كسينوفون"\*، مروْرًا بـ"شيشرون"\*، هوَ "ميروس"\*، "ليفي"\*، "أوفيد"، "فارو" و"فيرجيل"، أمَّا "بليني الأكْبَر"\* فقَد تمَّ الاستشْهَادُ بهِ مرَارًا، وتضَمَّنَ ذلك أيْضًا الخصَائِصَ المُغذِّيةَ للحْمِ الدُب، ومنهُ تعلَّمنَا أيْضًا أنَّ الخطيْبَ القديْمَ "هورتسنيوس" كانَ أوَّلَ مَن طهَى الطاووْسَ بمأدُبَةٍ كهنوتيَّة. لَا يوجَدُ مَا هوَ مُشَابِهُ لـ"متعَةٌ لَائقة" اليَوم، غيْرَ أنَّ أقرَبَ نظيْرٍ مُعَاصرٍ لَه سيكوْنُ دليْلًا مُخاَدِعًا بإسْقَاطِ التلميْحَاتِ المُكتسَبَةِ على وجْبَةِ العشَاء.

تُشَكِّلُ بعْضُ صفحَاتِ "متعَةٌ لائِقَة" تبَايُنًا مُتَّزنًا للأحدَاثِ اللَّاحِقَة الرَّهيْبَة التِي حدثَت في روَما بعَهْدِ البَابَا "سيكستوس" فِي روما، وسيَغصُّ أبنَاءُ أخِ البَابَا بوَعْظِ "بلَاتينا" الأخلَاقِي، فيُحذِّرنَا بغضَبٍ أنَّ الطَاووسَ طَائرٌ "مَغروْرٌ" يأكلهُ الأثْريَاء بدافِعِ الخَيْلَاء وقَد نسَوا أنَّ " مُجرَّد الحَظِّ وغبَاءِ الآخَريْن" هوَ السبَبُ الوحيْدُ لعدَمِ ملئِهِم بطونَهُم فِي" الحانَات والمَوَاخِير الرخيْصَة" معَ حُثالَةِ القَوم.

----------

\*الدينتي: هو مصطلح إيطالي لقياس درجة طهي المعكرونة بشكل رئيسي بالإضافة إلى الخضار والأرز كذلك. يصف هذا المصطلح درجة طهي الأطعمة حيث لا تكون مطهوة بشكل كامل فتكون هناك قرشة في المعكرونة والأرز الخضراوات المختلفة.

\*كسينوفون: هو فيلسوف يوناني قديم ومؤرخ وجندي ومرتزق وكان أحد طلاب سقراط. عرف كسينوفون بتأريخه لزمانه المعاصر في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد، حيث يروي عمله "هيلينيكا" السنوات السبع الأخيرة للحرب البيلوبونيسية وآثارها.

\*شيشرون: ماركوس توليوس سيسرو ،الكاتب الروماني وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق.

\*هوميروس: شاعرٌ ملحمي إغريقي أسطوري يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإغريقيتين الإلياذة والأوديسة.

\*ليفي: أحد أشهر المؤرخين الرومان. يتناول كتابه التاريخ منذ تأسيس المدينة ـ التاريخ الروماني منذ تأسيس مدينة روما حتى وفاة دروزوس عام 9 ق م. ويعتبر هذا العمل مصدراً قيماً لبيان الاتجاهات الاجتماعية والثقافية والسياسية للعديد من الشخصيات الرومانية في عهد الإمبراطور أغسطس.

\*بليني الأكبر: كايوس يلينيوس سـِكوندوس. أشتهر بأسم بليني الأكبر، كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية التي لم يتبق منها سوى 37 مجلدًا من التاريخ الطبيعي، علمًا بأن هذا العمل كان يُستخدم في العصور الوسطى، وقيمته الوحيدة الآن هي أنه يكشف عن المعرفة العلمية خلال فترة بليني، ويعتبر بليني الأكبر أشهر مؤرخ روماني.

69

وكمَا يُشيْرُ العنْوَان الكامِلُ لكتَابِه، بدَا "بلَاتينا" مُهتمًّا للغَايةِ أيْضًا بعلْمِ الصِحَّةِ الجَيِّدة: فهوَ يُلَخِّصُ فِي مَطْلَعِ الكِتَابِ نظريَّةَ جالينوس عَن الأخْلَاطِ الجسَديَّة، ويُوْلِي قدْرًا كبيْرًا منَ الأهميَّة للتَعليْقِ على كيفِيَّةِ تأثِيْرِ كلِّ قائمَةٍ مُطوَّلةٍ مِن الأطعِمَةِ الغذَائيَّةِ على عمليَّةِ الاسْتقلَاب، فيَنبغِي على سبيْلِ المِثَال تنَاولُ البَطِّيخِ الأصْفَر بحَذَر، فَفيْهِ تأثيْرٌ مُرطِّبٌ وبَارِدٌ جدًّا على خلَائطِ الجسَد ولذلِكَ فالخمْرُ هوَ أفْضلُ تِريَاقٍ لَه. يُثيْرُ الطَاؤوسُ اسْتيَاء "بلَاتينا" للأسْبَابِ العِلميَّةِ ذاتِهَا: إنَّهُ يُسبِّبُ عُسْرَ الهَضْمِ ويزيْدُ الكآبَة.

بيْدَ أنَّ النُقْطَة الأسَاسيَّة لـ"بلَاتينا" حوْلَ الطَاووس كمَا يتبيَّنُ لنَا فِي "متعةٌ لَائقة" هيَ نقْطَة أخلَاقيَّة برغْمِ ذلِك، فالشَهيَّة مثْلُ أيِّ رغْبَةٍ أخْرَى تتطلَّبُ مراقبًة وضبْطًا عبْرَ التَعليْمِ الأخْلَاقي، فمسْألَةُ كيْفَ وأيْنَ نُقيْمُ توَازُنًا بيْنَ المُتْعَة وضبْطِ النَفْسِ كانَ موضوْعَ جدَلٍ حَادٍّ فِي ذلِكَ الوَقْت، فغَالبًا مَا اعْتُبرَت المُتعَة خطَرًا بحَدِّ ذَاتهَا. فِي الحقيْقَة، بالنسْبَة لكثيْرٍ ممَّن عاصَروا "بلَاتينا"، يُعَدُّ كتَابُ "متعَةٌ لَائقة" مُتنَاقِضًا بعبَارَاتِه، ولهَذا توجَّب على كتَابِ وصفَاتهِ أَن يُوجِدَ توَازُنًا دقيْقًا بيْنَ الأخْلَاق، العِلْم، والسَعْيِ ورَاءَ المَلذَّات.

غَالبًا مَا بدَا هذَا التوَازنُ مُتزَعْزعًا إلى حَدٍّ كبيْرٍ جرَّاءَ الأسَى الذِي ألمَّ بـ"بلَاتينا" وحسَدَهُ لمَن حَولَه، وسيمْنحَهُ عمَلهُ لَاحِقًا كأَميْنِ مكتبَةِ الفَاتيْكَان عشَرَ دوكَات\* ثقيْلَة كرَاتبٍ شَهْرِي، وبعْضَ الخَدَم، حِصَانًا، وطَعامًا مَجانيًّا فِي غُرَفِ طعَامِ البَابَا المُخصَّصة لكِبَار رجَالَاتِه، لكنَّه فقَد وظيفتَهُ حديْثًا فِي الخدْمَةِ البَابويَّة المَدنيَّة عندمَا ألَّفَ كتَاب "متعةٌ لَائقة"- وهيَ مَكَانَةٌ كانَ قَد دفَعَ مبْلغًا طَائِلًا مُقَدَّمًا لتَثْبيتِهَا، لذلِكَ وبِرَغْم ِوعْظِه الأخْلَاقِي إلَّا أنَّ غضَبَ "بلَاتينا" تمكَّنَ مِن التغَلُّبِ عليْهِ مِرَارًا، كمَا فعلَ افتِتَانهُ الواضِحُ بالحيَاةِ الرَاقِيَة، فبَعْدَ أَن حذَّرنَا بشِدَّةٍ صَوْبَ خطوْرَة ِالطَاؤوْسِ مِن الناحِيَة الأخلَاقيَّة والطِبيَّة، يقوْمُ بنَسخِ وصفَةٍ لـ"ماستر مارتينو" عَن الطَاؤوسِ المَشوِيِّ وطريْقَةِ تقديْمهِ بالطريْقَةِ نَفْسِها تمَامًا التِي ستُقدَّمُ بهَا فِي مأدُبَةِ الكَاردينَال "بيترو رياريو"- بحيْثُ يَبْدو الطَاؤوسُ وكأنَّهُ لَايزَالُ حيًّا.

والحِيْلَةُ هنَا هيَ بقَتْلِ الطَائرِ عبْرَ حَزِّ حُنجُرَته، ثمَّ القيَامِ بشَقٍّ سَطحِيٍّ يمتَدُّ نُزولًا إلى الذَيل، وخَلْعِ الجِلْدِ والريْشِ وفْقَ قطْعَةٍ واحِدَة، وقطْعِ السَاقَين وإزَالةِ الرَأسِ للحِفَاظِ عليْهَا سويَّة، ويمْكِنُ حيْنَئذٍ حَشْوُ الذبيْحَةِ بالأعْشَابِ العِطريَّةِ والبهَارَات.

-------------

\*الدوكات: البندقي أو الذهب البندقي أو الدينار الأفرنتي كما كان يعرف في العالم الإسلامي و الدوقت أو الدوكات كما كان يعرف في أوروبا، هي عملة تجارية ذهبية أو فضية كانت تستعمل في أوروبا منذ أواخر العصور الوسطى حتى بداية القرن العشرين تزن هذه العملة 3.4909 غرام.

70 تُزيَّن بالثُوم، ثمَّ يُوضَع على سيْخِ الشِوَاء، يجِبُ لَفُّ العنُقِ بالكُتَّان، ويُرطَّبُ قليْلًا بشكْلٍ مستَمرٍّ خلَالَ الشِوَاء لمَنْعِ اللَّحْم مِن الجَفَاف، وحالمَا يُطهَى يُعَاد إكْسَاءُ الطَاووسِ بجِلدهِ وريْشِه، ووَصْلُ الرأسِ والسَاقَين، ويُربَط بلَوحِ التَقدِيم بوَاسطَةِ مسَامير وسِلْكٍ مَخْفِي. يُتَابعُ "بلَاتينا" ويَقْتَرِحُ مُقدِّمًا بعْضَ نصَائحِ التَقديْمِ المُذهِلة: حَاوِل رشَّ الطَيرِ بالبهَارَات ثمَّ زيِّنْهُ بشرَائحِ الذَهَب، أو احْشُ المِنقَار بالصُوفِ المَنقوعِ بالكَافور، وأَوقِد النَار فيْهِ أثنَاءَ اقتِرَابِكَ مِن مائِدَة العشَاء، يُستحسَنُ لأَيِّ شخْصٍ يرغَبُ اليَومَ بإثارَةِ إعجَابِ ضيوفِه على العشَاء بتقديْمِ هذَا الطَبق؛ أن يتدرَّبَ أوَّلًا بالدجَاجِ المُسَمَّنْ.

إنَّ المعَايْيرَ المُزدوجَة لـ"بلَاتينا" واضحًة أمَامَ مرْأَى الجَمِيع، فهوَ يريْدُ أَن نشْمَئِزَّ مِن طَاؤوسهِ ثمَّ نَأكُله، إنَّهُ يُلَاقي صعوبًة فِي التَمييْزِ بيْنَ الأخلَاقِ ومصْدَرِ الدَخْل، كمَا يوجَدُ نِفَاقٌ بأمَاكِنٍ أخْرَى فِي مُؤلَّفَاتِه، مثْلُ "دي امور"، وهيَ مقَالَةٌ عَن الحُبِّ كتبَهَا خلَالَ ذَاتِ عطلَةِ الصيْفِ عَام 1465 التِي قضَاها لإنهَاءِ كتَابِ "متعَةٌ لَائقة"، ففِي "دي امور" يُدَافِعُ ببروْدٍ عاطِفيٍّ عَن حُبِّ الزوَاجِ مقابِلَ إغرَاءَاتِ الشَهْوَة، لقَد كانَ مُتبَلِّدَ الحوَاسِّ للغَايَة فِي الوَاقِع، حتَّى أنَّه دفعَ أحدَ أصدقَائهِ ليكتُبَ قصيدًة سَاخِرًة كَرَدٍّ على ذلِكَ فاتَّهمَه بأنَّه يهْوَى" التَقبِيْلَ طَوَالَ اللَّيل" و"مُضَاجَعَة" "العَاهِرَات"، وخَلُصَت القصيْدَة إلى أنَّ "بلَاتينا" بقَدَرِ مَا كانَ جيِّدًا بالكتابَةِ غيْر أنَّهُ بالمُقَابلِ سَيِّءٌ بالجِمَاع، وقَد قِيْلَ إنَّه تزوَّجَ بـ" فتَاةٍ قَذِرَةٍ وقبيْحةٍ بشَكلٍ مَهُول" بأوَاخِر حيَاتِه، مِن الجَليِّ أنَّ "بلَاتينا" قَد أحبَّ المِثليَّةَ الجِنسيَّةَ قليْلًا.

في مَا يخصُّ الجِنس، وكمَا هو الحَال معَ الطَاؤوس، أظْهَر "بلَاتينا" فِي كتَابِهِ "متعةٌ لاَئقة"هاجِسًا بالأطْعمَة المُثيْرة جِنسيًّا وكأنَّهُ يتَستَّرُ على فِعْلٍ مُشِيْنٍ قَامَ بِهِ، فكتبَ عشَراتِ المُكوِّنات والأطبَاق التِي تُثيْرُ الشَهْوة: مِن الصَنوْبَر إلى الحجَل، ومن الحمُّصِ إلى الكُراتِ الذهبيَّة (مَا نُسمِّيه بالتُوسْت الفرَنْسِي)، والفُول يُحَفِّزُ الشَبَق لأنَّه يَبْدو مُشابهًا للخِصيتَين، والبصَلُ إن تمَّ تنَاولهُ بكميَّاتٍ بسيْطَةٍ "يُثيْر الشهيَّةَ الجنسِيَّة، ويَزيْدُ إمْدَادَها برطوْبَةٍ شهْوَانيَّة"، أمَّا المحَّار فهوَ "نافِعٌ للشبَق لأنَّه يُثيْرُ حتَّى الرغْبَة المَكبوْتَة"، لَا يتَّضِحُ مُطلقًا إذَا كانَ "بلَاتينا" يَعتبِرُ هذهِ الخصائِص المُثيْرة جِنْسيًّا خَطِرَة، أو مفيْدَة أو كِلَا الأمْرَين مَعًا.

وفِي حيْنِ أنَّ مُعظَم كُتُب "بلَاتينا" قَد أُلِّفَت لإقنَاعِ وُلَاةِ الأَمر الأثْريَاء المُتنَفِّذيْن، فإنَّ كتَاب "متعةٌ لَائقةٌ وصِحَّة " قَد خَصَّ به الأصْدقَاءَ أيْضًا.

71 فهوَ مليءٌ بالطرَائفِ السَاخرةِ والمديْحِ المُتهَكِّم الرَزيْنِ للأعْضَاءِ الآخَريْن بمَجموعَتهِ-جميْعهُم معَ اسمٍ لَاتينيٍّ يُقَابِلُ اسْمَه. فعَلى سبيْلِ المِثَال، تتضمَّنُ وصفَةُ "اللِّفْتِ فِي الصِيْنيَّة" على شرَائحٍ مقليَّةٍ مِن اللِّفت المسْلوقِ والجُبنِ الطَازَج الدَسِم. فيَصِفُ الطبقَ بصرَاحةٍ بِوِسْعِ كُتَّابِ الطَهيِ اليَوْم التَعَلُّمُ منْهَا؛ بأنَّه "ضارٌّ جدًا" ولَا يناسِبُ إلَّا صديقَهُ النَهِم "دوميتيانوس"، وصوَّرَ صديْقًا آخَر لهُ يُدعَى "بومبونيوس"، كنَموذَجٍ مثَاليٍّ للتَحفُّظِ على تقديْمِ الثوْمِ والبصَلِ والكُرَّاث فقَط فِي حفلَاتِ عشَائِه، ونصحَ صديقَهُ "كاليماخوس" بألَّا يتناولَ الماعِزَ المَشوِيَّ بالثُوْمِ لأنَّهُ مُضِرٌّ بالبصَر وجيِّدٌ للشَهْوةِ الجِنْسيَّة. إنَّ هذهِ الوصْفَة على الأقَل أكثَرَ إغرَاءً مِن "اللِّفت بالصِيْنيَّة": إِذ يتمُّ تزيِيْنُ جِدْيٍ كاملٍ بالشَحمِ وفصوْصِ الثُوم، ثمَّ يُوضَع على سيْخِ الشِوَاء، بينمَا يتمُّ صَبُّ الصَلصَةِ فوقَه والمكوَّنَةُ مِن الثوْمِ المَهْروس، صفَارِ البَيض المَخْفوق، المَرَق الدَسِم، الزعْفرَان، الفُلفُل، ومَاء الحُصْرم الذِي لَا غِنَى عَنه.

لقَد كانَ "بلَاتينا" وجميْعُ أصْدقائهِ أعضَاءَ بمَا أُطلقَ عليْهِ اسْمُ "الأكَاديميَّة" يترَأَّسُها أسْتاذٌ جامعيٌّ يتمتَّعُ بشخصيَّةٍ برَّاقةٍ يُدْعَى "بومبونيوس"- وهوَ شخْصٌ يَبْدو أنَّه لَا يُقَدِّمُ سِوَى الثوْمِ والبصَلِ إلى أصدقَائِه. أمَّا "كاليماخوس"، وهوَ الرجلُ الذِي نُصِحَ بعَدَمِ المُغَالَاةِ بإثارَةِ شهوَتهِ عبْرَ تنَاولِ المَاعزِ المَشوِي، فقَد كانَ أحدَ أكْثَرِ أعضَاءِ الأكَاديميَّةِ ذكاًء وحيويًّة. إنَّهُم شَغوفونَ إلى حدٍّ الغرابَةِ بالأدَبِ اللَّاتيْنِي والتُحَفِ الرومَانيَّة، فأخَذوا يتبادَلونَ الآرَاءَ حوْلَ المُؤلفِّين الكلَاسيكيِّين، ويُعَلِّقونَ على المؤلَّفَاتِ اللَّاتينيَّة لبعضِهِم البَعْض، مُتجوِّلينَ فِي غابَاتِ رومَا وحقُولهَا لزيَارةِ الآثَارِ حَالميْنَ بعظَمتِهَا الآفِلَة، حتَّى أنَّهم ارتدَوا زِيَّ موَاطِنِي روما الأبْيَض، وأقَاموا حفلَاتِ عشَاءٍ وشرَابٍ صَاخِبةً على الطِرَازِ الرومَاني. إنَّ كتَابَ "متعةٌ لَائقة" ينبعُ مباشرًة من الوَسَط الغريْبِ لتلْكَ الأكاديميَّة الرومَانية، فهيَ تتركُ لديْكَ انطبَاعًا بأنَّك شخْصٌ غريْبٌ وسْطَ مُحادَثَةٍ تدوْرُ بيْنَ أصْدقَاءٍ قُدَامَى: وبوسعِكَ أن تسْتشعِرَ جَوَّ البهْجَة، غيْرَ أنَّ المُزَاحَ فيمَا بيْنَهم يَفوتُك. بالمُختصَر، كلُّ ذلكَ يجعلُكَ تشْعرُ بالقليْلِ من التَآمُر، والذِي قَد لَا يكوْنُ صدفًة ؛ لأنَّ "بلَاتينا"، "بومبونيوس"، و"كاليماخوس" كانا على وجْهِ التحديْدِ الرجلين اللذيْن اتُّهِما بعْدَ ذلك بوقْتٍ قصيْرٍ بالتَآمُرِ لقتْلِ البَابا "بولس الثَانِي".

**مُؤَامَرَةُ عَام 1468**

إنَّ روايةَ "بلَاتينا" للأحدَاثِ التِي جرَت فِي الأيَّامِ الأخيْرَةِ مِن فبرَاير عَام 1468 مثيرًة ومفاجِئَة، حيْثُ سادَ روما جَوٌّ مِن الفَرَحِ (72) باقتِرَابِ نهايَةِ المهْرجَان، وأُقيمَت سباقَاتٌ بينَ قَوسِ دومِيتيَان\* وكنيْسَةِ القِدِّيس مارك- شاركَتْ فيْهَا الأحْصِنَة، الحَمير، الثيرَان والرجَال مِن سَائرِ الأعْمَار، وذلِكَ لتسْليَة الجمَاهِير، حتَّى إنَّه أُقيْمَ احتفَالٌ خَاصٌّ باليَهود، فكانَت الحِجَارَةُ والطِيْنُ تُلقَى عليْهِم أثنَاءَ مُرورهِم، وكانَ البَابا "بولس" قَد انتَهَى مِن تقديْمِ النُقودِ للفَائزيْن عندمَا تمَّ إخبَارهُ أنَّ وَاشِيًا قَد سرَّبَ خَبرًا عَن مكيْدَةٍ: سيتِمُّ اغتيَالُ قداسَتهِ فِي الثَانِي مِن مَارس، والذِي يُصادِفُ أوَّل أيامَ الصَومِ الكَبير. كانَ "كاليماخوس" هوَ زعيْمُ المؤَامرَة، بيْدَ أنَّ أعضَاءَ آخريْنَ مِن الأكاديميَّةِ وضِمنَهُم "بلَاتينا" كانوا مُتورِّطينَ أيْضًا، ووفْقاً لمَا وردَ فإنَّ منْفِيًّا ثَوريًّا مَعروْفًا قَد تمَّت مُشاهدَته فِي الريْفِ جَنوْبَ روما بصُحبةِ جيْشٍ مِن قُطَّاعِ الطُرقِ مُتأهِّبِيْنَ لاقْتِحَامِ القَصْرِ الباَبَوي.

شعرَ البَابا بالفزَعِ فهوَ مُدرِكٌ تمَامًا لتاريْخِ روما الحديْثِ فِي التَآمُرِ والتَمرُّد، فتَمَّ اعتقَالُ المُتآمريْنَ واحدًا تلوَ الآخَر، وأحَاطَ حرَسُ البَابا بمنْزلِ "بلَاتينا" ليْلًا وحطَّموا النوافِذَ والأبْوَاب، ولَم يجِدوا سِوَى الخَادمِ الذِي أعْلمَهمُ مُرتجَفًا أنَّ "بلَاتينا" يتنَاولُ العشَاء مع تلميْذٍ سَابقٍ عنْدَه يُدْعَى "فرانشيسكو غونزاغا كاردينال منتوفا"؛ وهكذَا عُثِرَ على "بلَاتينا" مُؤلِّف "متعَةٌ لَائقة" وجُرَّ مِن على المَائدَةِ وتمَّ اصْطحابُهُ مباشرًة ليَمثُلَ في حَضرَةِ قدَاسَته، كانَت تلْكَ بدايَة سنَةٍ مِن السِجْنِ والاسْتِجوَاب والتَعذِيْب لـ"بلَاتينا". كتبَ لَاحِقًا بمَرحَلةٍ مَا: "لقَد استحوَذَ عليَّ هذَا الألَمُ الشَديْد، حتَّى أنِّي أُفضِّلُ الموْتَ على تَحَمُّلِ كلِّ هذهِ الآلَامِ لأطْرَافِي المُرتَعِشَة المَسْحوقَة". وكتبَ مِن سجنهِ أنَّه مُعرَّضٌ لخطَرِ فُقدَانِ ذِراعِهِ اليُمْنَى بسبَبِ التعذيْبِ بالمِخْلعَة\*. واجَه أصْدقَاؤه مِحْنًة مُمَاثِلة؛ فماتَ أحَدُ أعضَاءِ المَجموعَةِ الشَبَاب مُتأثِّرًا بجِرَاحِه، أمَّا "بومبونيوس" زعيْمُ الأكَاديميَّة فقَد زُجَّ بِهِ أيْضًا فِي قلعَةِ "سانت أنجيلو" بعْدَ أَن تمَّ تَسليمُهُ مِن البُندقيَّة ، حيْثُ اعْتُقِلَ مسْبقًا هنَاك بتُهمَةِ اللُّوَاطة، وكانَ "كاليماخوس" قائِدَ المَجْموعَة المَزعُوم مِن بيْنِ القِلَّةِ التِي نجَحَت بالفَرَار.

اتَّجهَت الاتِّهامَات ضِدَّ أعضَاءِ المَجموعَةِ لأبْعَد مِن المؤامَرَةِ إلى الإطَاحَةِ بالحُكْمِ البَابَوي، وزُعِمَ أنَّ "كاليماخوس" كانَ مُنَجِّمًا فلكيًّا قامَ بتنبُّؤَاتٍ تحْريضِيَّةٍ لصِرَاعٍ سِيَاسِي، وقِيْلَ عَن كُلِّ الآخَريْنَ إنَّهُم مُنكِروْنَ لله والمَسيْحِ والكَنيْسَة، فتمَّ اتِّهَامَهُم بأنَّهم وثنييِّنَ يعبدوْنَ الآلِهَة الرومَانيَّة وغيَّروا أسماءَهُم المَعموديَّة إلى أسمَاءٍ وثنيَّة، وأنَّهم أبيقوريون\* مُكرَّسون للمُتعَةِ فقَط، والنَهَم ويتنَاوَلونَ اللُّحوْمَ بانْتِظَام (73) خِلَالَ الصَوْمِ الكَبِير، ويُمَارسوْنَ الانْحلَال الجِنْسي عبْرَ إشْبَاعِ شهوَاتهِم الجسَديَّة معَ النسَاء والرجَالِ على حَدٍّ سوَاء.

-------------

\*الأبيقورية: أو المذهب الأبيقوري يُنسب إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور، الذي أنشأه وقد ساد لستة قرون، وهو مذهب فلسفي مفاده أنَّ اللذة هي وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحده الشر الأقصى.

\*قوس دوميتيان: عام ٧٩ بعد الميلاد،‏ خلَف تيطس والده فسبازيان امبراطورا،‏ لكنه توفي فجأة بعد سنتين فقط،‏ فاعتلى العرش اخوه دوميتيان الذي بنى على الفور قوس نصر تكريما لتيطس.

\*المخلعة: هي أشهر أدوات التعذيب وأكثرها استعمالاً على مدى العصور، ويعود استعمالها إلى الحضارات القديمة، وتوسع الرومان في استخدامها.

فجْأًة أصْبَح كتَابُ "متْعَةٌ لَائقة" جزْءًا فاضِحًا مِن الأدِلَّة، فبَاتَ لديْنَا هنَا كتَابٌ أخْلَاقيٌّ مزعوْمٌ مُتعَلِّقٌ بالطعَام، يبْتهِلُ إلى "الآلهَةِ الخَالدَة" بشكْلٍ أكبَر بكثيْرٍ ممَّا يفْعلُ للمَسيْح، حتَّى إنَّه يسْتنكِرُ بشِدَّةٍ عادَاتِ تناَولِ الطعَامِ لدَى التسَلسُلِ الكهَنوتِيِّ للكَنيْسَة، ويُقدِّمُ نصائِحَ جمَّة عَن الأطعِمَة المُثيرةِ للشَهوة، فلَا يمْنَحُ ذلكَ الانْطبَاعَ المُنَاسِبَ عَن الإنسَانيَّة.

لقَد أحدثَ الإنسَانيُّونَ مِن أمثَالَ "بلَاتينا" نقلًة حاذِقًة بالتفْكِيرِ الأخْلَاقِي فِي المدُنِ الإيطَاليَّة، فقلَّلوا مِن أهميَّةِ الخَطيْئَة، وبدلًا مِن ذلِكَ قدَّموا توجِيهَاتٍ دنيَويَّةٍ للسُلوْكِ المنَاسِب بِنَاءً على أمْثلَةٍ كلَاسيكيَّةٍ تمَلَّقَت القوَّةَ بشَكْلٍ مُطْلَق، وفِي ظِلِّ الوضوْحِ القَاسِي لمؤَامرَةِ عَام 1468، بدَا أنَّ كتَابَ "متعةٌ لَائقة" قَد عطَفَ مسَارَ هذَا التَغيُّرِ الدقيْقِ ليُصْبحَ صَدْعًا خَطيْرًا، فهَل تعثَّرَت الأخلَاقُ الإنسَانيَّةُ لتغْدُوَ هرطَقًة وتمَرُّدًا؟ بالنسْبَةِ لأصْدقاءِ "بلَاتينا" الذيْنَ حالفَهُم الحَظُّ بمَا يكْفِي للنجَاةِ مِن الاعْتقَالِ فقَد قَاموا على عجَلٍ بشَطْبِ أسمَاءَ عديْدَةٍ مِن نُسْخَةٍ مخْطوطَةٍ باليَد، ومِن ضِمْنِهَا اسْمُ "كاليماخوس"، ويُحتمَلُ أنَّهم أتْلَفوا مخْطوطَاتٍ أُخْرَى، بمَا فِي ذلِكَ كتَابُ "بلَاتينا" الأَصْلِي (لَم تظْهَر الإصدَارَاتُ المطبوْعَةُ الأوْلَى مِن "متعةٌ لَائقة" إلَّا في سَنَةِ 1470).

اعْترَف "بومبونيوس" تحْتَ الاستجْوَاب ببعْضِ الذنُوْبِ الصغيْرَة التِي اتُّهِمَ بارْتكَابِهَا: كتنَاولِهِ أحيَانًا القليْلَ مِن اللَّحْمِ بأيَّامِ الصوْمِ الكَبير لأسبَابٍ صحيَّة، وقيَامِه بثوْرَاتٍ بيْنَ الحِين والآخَر ضِدَّ الكَهَنَة، لكنَّه نفَى وكذلِكَ "بلَاتينا" جميْعَ التُهَمِ المُوجَّهَةُ إليْهِم بشِدَّة. حاولَ السَجِيْنَانِ إلقَاءَ اللَّوْمِ على "كاليماخوس"، الذِي كانَ بذلِكَ الوقْتِ فِي "قبرص"، خارِجَ سُلطَةِ الشُرطَةِ السِريَّةِ للبَابَا، فقالَا عنْهُ بأنَّه سِكِّيرٌ مُثيْرٌ للمشَاكِل، وأنَّه هذَى بكلَامٍ لعدَّةِ مرَّاتٍ عَن مصْرَعِ البَابَا بوقْتٍ مُبَكِّرٍ وانْتِهَاءِ حُكْمِ الكنيْسَة فِي رومَا، وأنَّه لَم تكُن لديْهِمَا أدْنَى فكْرَة أنَّ أحَدًا مَا سيَأخذُ كلَامَهُ على مَحْمَلِ الجَد!.

مِن غيْرِ الوَاضِحِ إذَا كانَ هذَا الدفَاعُ عَبْرَ التضْحِيَةِ بكبْشِ فدَاءٍ هوَ مَن أمَّن فِي النهايَةِ إطلَاقَ سرَاحِهِمَا، أو مجرَّدَ نفوْذِ أصدقَائِهِمَا مِن رجَالِ الديْنِ الأعْلَى مقَامًا، فِي الوَاقعِ لَايزَالُ الغموْضُ يلُفُّ الكثيْرَ مِن الأموْرِ حوْلَ مؤَامرَةِ عَام 1468 حتَّى يوْمِنَا هذَا. ولَا يُعْرَفُ إنْ كانَ "بلَاتينا" وأصْدقَاؤهُ قَد أُلْقُوا فِي زنْزَانَةٍ رطِبَةٍ أو تمَّت استضَافتُهُم فِي منْزلٍ فَخْم- فالأسْوَارُ الدَائريَّةُ لقَلعَةِ "سانت أنجلو" تضُمُّ كِلَا الأمْرَين، يقْترِحُ بعْضُ المُؤرِّخيْنَ فكْرَةَ عدَمِ وجوْدِ مؤَامرَةٍ على الإطْلَاقِ لاغْتيَالِ البَابَا "بولس الثاني"، إنَّ حُبَّ الأكَاديميَّة العِلمِيَّة هوَ مِن بيْنِ الأشيَاءِ التِي لَم يسْتَطِع الرومَانُ ببسَاطةٍ كبْحَ جِمَاحِهِم عَنْه.

74 أرَادَ البَابَا الذِي دائمًا مَا أفزَعَهُ الفجوْرُ الجنسِيُّ للعَديْدِ مِن الشُعَراءِ الكلَاسيكيِّين، أَن يُثيْرَ الرُعْبَ قليْلًا فِي قلْبِ "بومبونيوس" ومجموْعَتِه، فتوَجَّبَ إيْقَافُ جَميْعِ حفلَاتِ ارتدَاءِ الزِيِّ الرومَانِي. أصَرَّ آخَرونَ على أنَّ المُؤامرَةَ قَد مضَتْ إلى حَدٍّ بَعِيد، أخطَرَ ممَّا نتصوَّرُ بكَثِير، وأنَّ "كاليماخوس" كانَ ضمْنَ تحَالُفٍ معَ داعمِيْنَ أقويَاءَ يتْبَعوْنَ لسُلطَان تُركيَا "محمد الثاني" الذِي رأَى نفسَه وريْثًا للأبَاطِرَة الروْمَان. فتحَتْ جيوْشُ السُلطَان "محمد" القَسْطَنطينيَّة عاصمَةَ المسيْحيَّة الأُخْرَى عَام 1453، وهوَ يتقدَّمُ الآنَ إلى البلقَان، ولَم تَقِفْ بوجْهِ الحُكْمِ الإسْلَاميِّ فِي إيطَاليا سِوَى قُوَى البَحْرِ الأدريكَاتِي والقوَّاتُ المُنقَسِمَة بشَكْلٍ مُستَمِرٍّ للمُقاطعَاتِ الإيْطَاليَّة- لقَد توَحَّدت الإمْبراطوريَّة الرومَانيَّة ثانيًة تحْتَ حُكْمِ الأتْرَاك.

تُوفِّيَ البَابَا "بولس الثاني" عَام 1471، وسُرعَانَ مَا قامَ خليفتُهُ البَابَا "سيكتوس الرابع" بتقريْبِ "بلَاتينا" وأصدقائِهِ مِنْه، ومَنْحِهِم وظَائِفَ داخِلَ مؤسَّسَةِ الكَنيْسَة.

إذَا كانَ لدَى "بلَاتينا" شَيءٌ مِنَ المُراوغَةِ قبْلَ مؤامَرةِ عَام 1468، فقَد أصْبَح بعْدهَا مُخادِعًا بشَكلٍ لَا يقبَلُ الجدَل معَ الوقْتِ العصيْبِ الذِي قضَاهُ في قلعَةِ "سانت آنجلو" قَلِقًا بشَأْنِ سُمْعَتِه، فبَاتَ ينْتهِزُ كُلُّ فرصَةٍ ليفْتَحَ القضيَّةَ مرًّة أُخْرَى للدِفَاعِ عَن نفْسِه بكتَابَاتِه، وبدَأ يشْجبُ أصدقَاءَه فِي الأكَاديميَّة على المَلَأ لأخْلَاقهِم المُنْحَلَّة، لكنَّه وصفَهُم في أعمَالهِ اللَّاحِقَة بأنَّهم عُلمَاء مُتَزمِّتوْن تعَرَّضُوا للاضْطِهَاد بشَكْلٍ جَائرٍ على يَدِ البَابَا الذِي يكْرَهُ المَعْرفَة، يَخْتَتِمُ "بلَاتينا" فِي كتَابهِ "حيَاةُ البَابوَات" بفَصْلٍ عن مُضْطَهِدِهِ البَابَا "بولس الثاني"، يقْضِي مُعظمَهُ بإخْبَارِنَا عَن مُؤامرَةِ عَام 1468، مُؤَكِّدًا على برَاءتِه، ومُلَوِّثًا سُمعَة البَابَا المَيْت. يكتبُ مؤَلِّفُ أوَّلِ كتَابٍ للطَهْيِ فِي عصْرِ النهْضَةِ بفرحَةٍ انتقَاميَّةٍ عَن عادَاتِ تنَاولِ الطعَامِ لدَى الرجُلِ الذِي اتَّهمَهُ بالنَهَم، فقال:

"لقَد أحَبَّ بولس الثاني وجُوْدَ تنَوُّعٍ كبيْرٍ مِنَ الأطْبَاقِ على مائِدَتهِ، وعادًة مَا يتناوَلُ أسْوأَهَا؛ لكنَّه سيبْدَأُ بالصِيَاحِ إنْ لم يتوَافَر مَا يُحِبُّه. لقَد أحَبَّ البِطِّيخ، سَرطَان البَحْر، الحَلوَيَّات، الأسْمَاك، ولحْمَ الخِنزيْر المُقدَّد. وباعْتقَادِي أنَّ هذَا النَوعَ الغريْبَ مِن النِظَامِ الغِذَائِي، قَد تسبَّبَ لَهُ بسَكْتَةٍ دمَاغِيَّةٍ تُوفِّيَ على إثْرِهَا، لأنَّه تناوَلَ بطِّيخَتَين كبيرَتَينِ للغَايَة فِي اليوْمِ الذِي سبَقَ وفَاتَه. ليْتَ أنَّ بولس الثَاني قَد أوْلَى اهتِمَامًا أكبَر بالتَحذيْرَاتِ المَوجُودَةِ فِي كتَابِ متعةٌ لَائقةٌ وصِحَّة".

75 كانَ "بلَاتينا" بأَوْجِ حيَاتهِ المِهَنيَّةِ عندمَا تمَّ رَسْمهُ سنَة 1480 وهو يُشِيْرُ للأسْفَلِ بذرَاعهِ اليُمْنَى التِي تعَرَّضَت للتَعْذِيب صَوْبَ النَقْشِ الحَجَريِّ فِي لوْحَةِ "ميلوزو دا فورلي" الشَهيْرَةِ للبَابَا "سيكتوس" وأبنَاءِ أخِيْه، لكنَّ الدراسَاتِ الحَديثَةِ كشَفَت عدَمَ وجوْدِهِ ضمْنَ اللَّوْحَةِ فِي الأَصْل: فقَد تمَّ رسْمُهُ فيْهَا فوْقَ صورَة ِالرَجُلِ الذِي كانَ أميْنَ مكتَبَةِ الفَاتِيكَانِ قبْلَه، ولقَد أكَّد "بلَاتينا" أيْضًا أنَّ "ميلوزو" قَد جعَلَه يبْدُو وسِيْمًا، وهَذهِ ليْسَت أوَّلَ حَادِثَةٍ يُتَلَاعَبُ بِهَا بالسِجِلِّ التَارِيْخِي، ولكِنَّ المدَى الذِي وصَلَ أعضَاءُ الأكاَديميَّةِ الرومَانيَّة بوَثَنِيَّتِهِم وفُجُوْرهِم وشَرَاهَتِهَم يَبْقَى مَوْضِعًا للتَخْمِين: والصفَحَاتُ المُرَاوِغَةُ مِن "متعَةٌ لَائقة" هِي أفْضَلُ الأدِلَّةِ المُتَاحَة. لَن يعْرِفَ أحَدٌ مُطْلقًا الحَجْمَ الحَقِيقِيَّ لمُؤَامرَةِ عَام 1468 لأنَّ كُلَّ وثَائقِ المُلَاحقَةِ القضَائيَّةِ قَد فُقِدَتْ تَقريْبًا مِن مكتَبَةِ الفَاتيْكَان- ربَّما بأوَاخِر سنَةِ 1470، ويُحْتمَلُ أنَّ هذَا قَد حدَثَ عندمَا بَاتَ "بلَاتينا" أمِيْنَ سِرِّ مكتَبَةِ الفَاتيكَان. 76

**6**

**مَديْنَة فيرارا فِي عَام 1529**

**-------------------------------------------**

**السُلَالَةُ الحَاكِمَةُ رَهْنُ الخُرَافَة**

**القِدْرُ والمِجْرَفَة**

فِي عصْرِ النَهْضَة، اقتَرنَت إقَامَةُ المَآدُبِ بالفُنُون، وامْتزَجَ الطعَامُ بالمَسْرَح، الموسِيقَا، الرَقْص، الرَسْم، النَحْت، فَنِّ العَمَارَة، وذِلكَ لإشْبَاعِ جَمِيْعِ الحَوَاس، تمُدُّنَا فلورَنْسَا وتَركيْزهَا المُفْرِطَ على المَوَاهِبِ الفَنيَّة، بصُورَةٍ عَن الطريْقَة ِالتِي تتَلَاقَى بهَا الأشْكَالُ الأُخْرَى مِن الإبْدَاعِ على مَائِدَةِ العشَاء.

فِي وقْتٍ باكِرٍ مِنَ القرْنِ الخَامسِ عشَر قدَّمَت فلورنسا أكثَرَ وجِبَاتٍ مُبتكَرَةٍ في ذَلِكَ العَصْر، فأقَامَت مجموْعَةٌ مِن الفنَّانِين الذيْنَ أَطْلَقوا على أنْفُسهِم اسْمَ "مَجموْعَةُ القِدر"، مِهرجَانَاتِ عشَاءٍ مُنتظَمَةٍ ليَحْتفِلوا ببَرَاعَتهِم الفَائِقَة، وكانَ مُضِيفُهُم النَحَّاتُ "جيوفان فرانشيسكو روستيكي"، وعلى كُلِّ عُضْوٍ أَن يُحْضِرَ طبَقًا مُبتَكرًا لَا يَخْلو مِن الإسْرَاف إلى الحَدَثِ المسَائِي. فِي إحَدى المُناسبَات الجَديْرة بالذِكْر، قامَ "روستيكي" بدعْوَةِ المجموْعَةِ لتنَاولِ العشَاءِ داخِلَ قِدْرِ طَهْيٍ عمْلَاقٍ مصنوْعٍ مِن خشَبِ بِرمِيْلِ نَبِيذ، وكانَ إسْهَامهُ بعَرْضِ الأطْباَقِ عِبارة عَن مجموْعَةٍ تضُمُّ قِدْرَ مُعجَّنات وتمثَالَين تمَّ تَصمِيمَهُما بشَكْلٍ جميْلٍ مِن الدِيَكَةِ المُسمَّنة المَسلوْقَة، فكانَ التمْثَالانِ يُمَثِّلَانِ "أوليس"\* وهوَ يغْمِسُ والِدَهُ فِي القِدْرِ السِحْرِيِّ ليَستَعيْدَ شبَابَه. فِي الأمْسِيَةِ ذَاتهَا قامَ "أندريا ديل سارتو" بإمَاطَةِ اللِّثَامِ عَن هيْكَلٍ بشَكْلِ المُثَمَّن، وكحَالِ مكَانِ التَعميْدِ فِي كنيْسَةِ "سانت جيوفاني"، بدَتْ أعمِدَتهُ الثمَانيَة مَصنوْعةً مِن الرُّخَام، غيْرَ أنَّها فِي الحقيْقَةِ ثمَاني نقَانقَ كبيْرَةٍ تعلوْهَا تِيجَانٌ منحوْتَةٌ مِن جُبنَةِ البارمِيْزَان، ودعَائمَ مُزخْرفَةٍ مصنوْعَةٍ مِن السُكَّر. وفِي وَسَطِ أرضِيَّةِ المَعْبَدِ الفُسيفِسَائيَّة المُنمَّقة المَصنوْعَة مِن الجِيلَاتِين. ارْتدَت جَوقَةٌ مِن طيوْرِ السَمَّانِ المَطهيَّةِ ثيَابَ الكهَنَةِ المَصنوْعِ مِنْ لحْمِ الخِنْزيرِ المُدخَّن وهِيَ تُغَنِّي مِن كِتَابٍ مصنوْعٍ مِن اللَّازَانيَا، وقَد سنَدَتْهُ مِنَصَّةُ قِرَاءَةٍ مصنوْعَةٌ مِن لحْم ِالعِجْلِ البَارِد.

-------------- \*أوليس: أو أوديسيوس، هو ملك إيثاكا الأسطوري، ترك بلده حتى يصبح من قادة حرب طروادة، وصاحب فكرة الحصان الذي بواسطته انهزم الطرواديون. 77

ينْتَسِبُ "روستيكي" إلى نَادٍ آخَر لحفَلَاتِ عشَاءِ "مجموْعَةِ المِجْرفَة"، وقَد أَصْدِرَت التعليمَاتُ لأعضَائِهَا أَن يَأتُوا إلى أحَدِ اللِّقاءَاتِ مُرتَديْنَ زِيَّ العُمَّال، ولدَى وصوْلهِم عُرضَتْ عليْهِم تصَاميْمُ لمَبْنَى، ودُعُوا لاسْتِخدَامِ مجَارفِهَم لبِنَائِه. ولكِن بَدلًا مِن الملَاط، تمَّ إعْطَاؤهُم جُبْنةَ الريكوتَا المُغَطَّاة بالسُكَّر، وأنوَاعَ جُبْنٍ أُخْرَى مَمْزوجًة بالبَهَارات والفُلفُل. أمَّا القَرْمِيد، وقِطَعُ الطوْبِ والبلَاط فكانَت أرْغِفًة ِمن الخُبْزِ وألوَاحَ الستياتشاتا- نوْعٌ مِن الكعْكِ الحُلو. أثنَاءَ وجوْدهِم بالعمَل، أحضَر الخَدَمُ أسَاسَ المَبْنَى المُمْتَلِئ بالفطَائِر وقِطَعِ الكَبِد المَقْلِيِّ، وعَمُودًا مَحْشِيًّا بلَحْمِ العِجْلِ والدِيَكَةِ المُسَمَّنة المَسلوْقَة. أقامَت "مجموْعَةُ المِجْرَفةَ" إحْدَى حفْلَاتِ عشَائِهَا الأُخْرَى فِي الجَحِيم- وهيَ غرفَةٌ مضَاءَةٌ بشَكْلٍ مُخيْفٍ معَ لوْحَاتٍ لأرْوَاحٍ فِي العَذَاب، كانَ هناكَ خادِمٌ يرتَدِي زيَّ شيطَان يُطْلِقُ صرخَاتٍ مُرعِبَةً تُمَزِّقُ السُكُون وأثْنَاءَ تَقْدِيمهِ الأطْباَق، وهِيَ لحُوْمٌ مُنتقَاةٌ تمَّت زخْرفَتُها لتَبدو مثْلَ الأفَاعِي، الضفَادِع، العنَاكِب، والخفَافِيشْ.

كانَ "جيوفاني فرانشيسكو روستيكي" شخْصًا لطيْفًا غريْبَ الأطْوَار يمْتلِكُ شَيْهمًا كحيَوانٍ أَليْف، هوَ ينْحَدرُ مِن عائلَةٍ نبيْلَةٍ، وهذَا مَا جعَلَهُ حُرًّا بإهْدَارِ المزيْدِ مِن الطاقَةِ على تعليْمِ غُرَابٍ أسْودَ الكلَامَ بدلًا مِن ترويْضِ غرَائزهِ الإبْدَاعيَّة لتتوَافقَ معَ نزْوَةِ السَادَةِ الأثْريَاء. إنَّ حفلَاتِ العشَاء التِي استضَافهَا وشَهِدها معَ "مجموْعَةِ القِدر" و "مجموْعَةِ المِجْرفَة" مسْتوحَاًة مِن نفْسِ روْحِ الإبْدَاعِ غيْرِ المُقيَّدةِ، لكِن لطالمَا بدَت الولَائِمُ الكبيْرةُ مُتعلِّقًة بالسُلطَةِ أكثَر مِن الفَن، مثلمَا توجَّب أَن يعْترِفَ فنَّانوْنَ آخروْنَ يفتقِروْنَ إلى ثروَةِ "روستيكي" الهَائِلة – فعَلى سبيْلِ المِثَال، تمَّ تعيِيْنُ صديْقِهُ "ليوناردو دافينشي" فِي "ميلَان" عَام 1489 للقيَامِ بمُهِمَّةِ تَنْسِيقِ المنَاظِر فِي مأدُبَةِ عُرْسِ "جيان جالَاتسو" و "إيزابيلَا" ملِكَةِ أرغون\*. كانَت حفلَاتُ العشَاءِ هذهِ تتَّسِمُ بطَابعٍ سيَاسِيٍّ كحَالِ الزيْجَات التِي احْتَفَلوا بِهَا، فإقامَةُ مأدُبَةٍ فِي البِلَاط تُمَثِّلُ فرصًة للحَاكمِ لإظْهَارِ الترَف، الرفَاهِيَة، النِعْمَة، العَظَمة، وروْحُ المُنَاسَبة- وعظَمَتُه، وهيَ الكلمَةُ المُفضَّلَةُ بذَاكَ العَصْر.

ولهَذا السَبَب، فإنَّ ليَالِي الإسْرَاف غريْبَة الأطْوَارِ فِي "فلورنسا" معَ "جيوفان فرانشيسكو روستيكي" و"مجموْعَةُ القَدَر"، لَا تأخُذْنَا إلى صَميْمِ تجرُبَةٍ لمَأدُبَةٍ بعَصْرِ النَهْضَة. الأكْثَرُ أهميًّة مِن كُلِّ ذلِك، ولأنَّها أشَدُّ روعًة، هيَ تلكَ المَأدُبَةُ التِي أُقيمَت فِي الرابعِ والعشْرينَ مَن يونيو عَام 1529 فِي "فيرَارَا"، وهيَ مديْنَةٌ تقَعُ نحْوَ الشمَالِ مِن فلورنسَا عبْرَ سلسِلَةِ جِبَال الأبنين، وسْطَ الأرَاضِي الرَطِبة لدِلتَا نَهر "بو".

----------

\*أَرَغـُون: منطقة تقع في شمال شرق إسبانيا، من سبعة عشر منطقة حكم ذاتي في إسبانيا. عاصمتها هي مدينة سرقسطة، المنطقة مقسمة إلى ثلاث مقاطعات.

78

**مُشْرِفُ المَآدب**

كانَت "فيرارا" حِصْنًا وحديْقًة في آنٍ وَاحِد، فنِصْفُها عبَارَة عَن ممَرَّاتٍ ضَيِّقةٍ مِن العُصوْرِ الوسْطَى، والآخَرُ حدَائِقُ وطُرقٌ مُشَجَّرٌة للأُمَرَاء. وفِي مُنتصَفِها، تنْتَصبُ واحدٌة مِن أكثَر القلَاعِ المَهيْبةِ فِي أوروبا. لَايزالُ جزْءٌ كبيْرٌ مِن "فيرارا" محْتفِظًا بجمَالِه، ولَا توْجَدُ مديْنٌة بإيطَاليا تحْكِي جُدرَانُها عَن قصَّةِ الطُغْيَانِ فِي عصْرِ النهْضَة، بكُلِّ مَا فيْهِ مِن روْعَةٍ وخِزْي، بالطريْقَةِ نفْسِها التِي تقوْمُ بهَا "فيرارا".

إلى جانِبِ كوْنِهَا أحَدَ أكبَرِ ولَائمِ عصْرِ النهْضَةِ التِي أُقيْمَت بوَاحدَةٍ مِن أعْظَمِ المدُنِ بعصْرِ النهْضَة، تُعَدُّ مأدُبَةُ "فيرارا" التِي قُدِّمَت فِي الرَابعِ والعشْرِينَ مِن يونيو عَام 1529 أحدَ أكبَر ترفِيْهٍ بأُمْسِيَةٍ تمَّ توثيْقُهُ بدِقَّةٍ بذَلكَ العَصْر، ومِن حُسْنِ حَظِّ مُؤَرِّخي الطعَامِ الإيْطَالي، تمَّتْ كتَابَةُ كُلِّ وصْفَةٍ لكُلِّ طبَقٍ باعْتِزَاز. إنَّنا نديْنُ بهَذا السِجِلِّ، لعَقْلٍ إبدَاعيٍّ استثْنَائِي، لشَخْصٍ أكْثرَ أهميًّة بالنسْبَةِ لفَنِّ العيْشِ فِي بلَاطِ عصْرِ النَهْضَة مِن أَيِّ رسَّامٍ أَو نحَّات- إنَّه "كريستوفورو ميسيسبوغو"، مديْرُ البِلَاطِ والمُشرِفُ لدُوقَاتِ فيرَارا.

كانَ "ميسيسبوغو" عَام 1529 فِي ربيْعِ عُمْرِه، وأوْجِ حيَاتهِ المِهَنيَّة، وواثِقًا مِن رعَايَةِ دُوْقِ فيرَارا الشَخْصِيَّة لَه.



"كريستوفورو دا ميسيسبوغو"، المُشْرِف على أحَدِ أكثَرِ حفلَاتِ العشَاءِ إسْرَافًا بعَصْرِ النَهْضَة. أُخِذَت الصوْرَة مِن دَليْلهِ المُتقَنِ للمَأدُبَات.

لقَد كانَ يَنْتَمِي لطَبقَةِ النُبلَاء الصِغَار، ورافَقَ الدُوق معَ بعْضِ أصْحَابِ المقَامِ الرَفِيع فِي البِلَاط الفِيرَاري ، بالعَديْدِ مِن البِعثَاتِ الدبْلومَاسيَّة، والصوْرَة الوحيْدَة المُتبَقِّيَة لَه، هيَ عِبَارَة عَن نقْشٍ بأوَاخِر حيَاتِه، تعْرِضُ مظْهرًا جَانِبَّيًا بمَلَامحٍ قَاسِيَة، وخدُوْدٍ جَوْفَاء، وشَعْرِ قَصِير.(79) وتحْتَ لحْيَتهِ الغزيْرَةِ، تظْهَرُ للعيَانِ سلسِلَةٌ ثقيْلَةٌ تُبَيِّنُ مكَانتَهُ فِي البلَاط، ومعَ ذلِك وبذَاتِ الوقْتِ الذِي كان يؤَدِّي فيْهِ مهَامَهُ ضمْنَ الأوْسَاطِ الرَاقِيَة، تُشيْرُ السِجِلَّاتُ المُتَبقِّية إلى أنَّ "ميسيسبوغو" كانَ يُوْلِي حِرْصًا شَديْدًا حتَّى بالمُؤَنِ البسِيْطَة الوَارِدَة يوْمِيًا إلى البلَاط، مثْلَ الكسْتنَاء، الشُموع والقَش. و كانَ يدْفَعُ روَاتِبَ جَمْهَرَةٍ مِن الخدَم، الموَظَّفين، وأعضَاءِ العَائِلةِ التِي تدوْرُ بفلَكِ دُوْقِه، و يَعْرفُ كُلًّا مِنْهُم باسْمِه: مِن الخَدم، و مُربِّي الصُقور، والمُوسِيقيِّين، إلى مُربِّي القِردَة والفُهود، ومِن المِعماريِّين، خُبرَاء الأسْلحَة، ومُنَجِّدي الفُرُش، إلى الرَاهِبات، والأرَامِل الأغْنِيَاء، واللُّقطَاء.

لَم يكُن هنَاكَ فصْلٌ بيْنَ الحيَاةِ الخاصَّةِ للحَاكِم والحيَاةِ العامَّةِ للمديْنَةِ فِي بلَاطِ عصْرِ النَهْضَة، لذلِكَ لَا يُمْكِنُ لأيِّ توصِيْفٍ وظِيفِيٍّ مُعاَصرٍ أَنْ يَلُمَّ بكُلِّ مسْؤوليَّاتِ "ميسيسبوغو" فِي البِلَاط، ومزيْجِه الغَريْب مِن الواجبَاتِ المحَليَّة الدُونيَّة وشُؤوْنِ الدوْلَة الكُبْرَى، وبالإضَافَةِ إلى دوْرهِ الدُبْلومَاسِي، جزْءٌ منْهُ كانَ يعمَلُ كمُديْرِ مخَازِن، والجُزْءُ الآخَرُ كوَزيرٍ للرَفاهِيَة، وجزْءٌ ككَبيْرِ خدَم، وجزْءٌ بالطَبْعِ كرئيْسٍ للطُهاة. ولقَد قدَّمَت حفلَاتُ العشَاءِ الكُبْرَى فُرصًة لَه كمُشْرِف، بالإضَافَة لخِبرَتهِ، لإظْهَارِ كُلِّ قدُرَاتِه، ولذَلك تمَامًا قبْلَ وفَاتهِ سنَة 1548، ألَّفَ كِتَابًا لخَّصَ فيْهِ جميْعَ الخِبْرَاتِ التِي اكتسَبَها خلَالَ ثلَاثَةِ عقوْدٍ ونِصْفٍ مِن الخِدْمَة، أَطْلقَ عليْهِ اسْمُ "المَأدُباَت".

كانَت قائِمَةُ الطعَامِ التِي ابْتكرَهَا "ميسيسبوغو" لأجْلِ المَأدُبَةِ التِي أُقيْمَت فِي الرَابعِ والعشريْنَ مِن شَهْرِ يونيو عَام 1529، عِبارَة عَن فهْرَسٍ مُصوَّرٍ لإسْرَافٍ مُبْهرٍ وحتَّى مُثيْرٍ للقَلَق. ومعَ ذلِك، فمَهْمَا بَدَت مكوِّناتُ تلكَ الوليْمَة الشَهيْرَة رائِعَة، وكانَت الطريقَةُ التِي مزَجوا بهَا إبْدَاعيَّة، فإنَّ قائِمَةَ الطعَامِ إذَا تمَّ تَحيْيدَهَا ستَظْهَرُ هَذهِ المكوِّناتُ غيْرَ واضِحَةِ المعَالِمِ مثْلَ العَصيْدَة، ولَا تكمُنُ المُشكِلةُ بتلْكَ الملحوْظَةِ منْهَا فقَط، بَل بالمذَاقَات، الرَوائِح، والمنَاظِر التِي يتمُّ فُقدانَها لدَى نقْلِ الطعَامِ مِن المَائِدَة إلى الوَرَق، ومِن الوَاقعِ إلى التَاريْخ. ولَا نَنسَى أنَّ مزيْجَ العظَمَةِ والاسْتعرَاض هوَ مَا منَح وليمَة "ميسيسبوغو" مذاقَهَا الحَقيقِي، ولإعَادَةِ تخيُّل هذَا المَزيْجِ فإنَّنا بحَاجَةٍ للدَمْجِ بيْنَ قائِمَةِ الطعَامِ فِي كتَابِ "المَأدُبَات" معَ لوْحَةٍ عائليَّةٍ لآل إيستي، وهُم حُكَّامُ فيرارا منْذُ القرْنِ الثَالثِ عشَر عندمَا خرَجُوا مُنتَصريْنَ مِن تلكَ الصِراعَات الفِئَويَّةِ بيْنَ النَاسِ وأَسَّسوا حُكْمَهُم.

احْتفَلَ دُوق فيرَارا "ألفونسو الأَوَّل" فِي الرابِع والعشريْنَ مِن يونيو عَام 1529 بطُقوْسٍ مَصيْريَّةٍ لانْتِقَالِ الحُكْمِ إلى سُلَالَتهِ، ولتَرْكِ بصْمَةٍ مُنَاسِبَة، أصبحَتْ مأدُبَةُ "ميسيسبوغو" صورًة مثَاليًّة لحيَاةِ البِلَاط، ولوحًة حيًّة مَهيْبًة كنوَافيْرِ فيرارا، ورائعًة بشَكْلٍ قَاطِعٍ مثْلَ استعْرَاضِ الأطْبَاق، إلَّا أنَّ هذَا جرَى في وقْتٍ بدأَت فيْهِ قوَّةُ المدُنِ الإيطَاليَّةِ بالتلَاشِي مرًّة أُخْرَى. فتْرَةٌ مِن عدَمِ الاستقْرَارِ المُرْعبِ وكذَلِكَ مِن الإبْدَاعِ البَاذِخ، و لذلِكَ فورَاءَ هذهِ الواجِهَةِ الهَائِلَةِ التِي ابتَكرَها "ميسيسبوغو" فِي الطعَام، تكمُنُ كلُّ المَواهِب، والغرَابَةِ، والأسْرَارِ المُظلمَةِ للسُلَالةِ الحَاكِمَة، وجمِيْعُ التنَاقُضَاتِ بذَلِكَ العَصْر.(80)

**المَسْرَحْ**

امتَدَّتْ احْتفَالَاتُ زَفَافِ "إركولي ديستي"، وريْثُ دُوْق "فيرارا"، و"رينيه" ابْنَةُ لويس الثَانِي عشَر ملِكُ فرنْسَا، بشْكلٍ اسْتثنَائِي حتَّى وفْقَ معَاييْرِ العَصْر، فقَد عُقِدَ قِرَانُ الزَوْجينِ الشَابَّيْنِ فِي فرنْسَا بحُزيْرَان عَام 1528، إلَّا أنَّ رحيْلَهُمَا عَن "فيرارا" تمَّ تأجِيْلَهُ- سَواًء أكَانَ ذلِكَ بسبَبِ تفَشِّي الطَاعوْنِ فِي شَمَالِ إيْطَاليَا، أَو لأنَّ ملِكَ فرنْسَا حَاوَلَ التَراجُعَ عَن شَيءٍ مِنَ المَهْر "كَقَرْضٍ" لتَمويْلِ جَيْشِه، وهكَذَا لَم تمْضِ سِوَى ثلَاثَةِ أشْهُرٍ بعْدَ ذلِكَ حتَّى انْطلَقَ العَروْسَانِ الجديدان إلى منْزلَهِمَا، بمَوْكِبٍ ضَمَّ خمْسَمائَةً مِنَ الخَدَمِ المُبْتَهجِيْن، وتَوَقَّفوا فِي "مودينا\*" بشَهْرِ نُوفَمْبَر لتجْدِيدِ نُذوْرِ زَوَاجِهِمَا بأسلوْبٍ مَهِيْب. برَغْمِ أنَّ الدمَارَ الذِي أحْدثَهُ الوبَاءُ الأَخِيرُ قَد اسْتَقطَبَ آلَافَ الفلَّاحيْنَ المُعْدَمِيْنَ إلى المَدِينَة، فقد تسبَّبَتْ الزيَادَةُ الهَائلَةُ بالأسْعَارِ علَى الموَادِّ الغذَائيَّةِ الأسَاسيَّةِ بشَقَاءٍ على نِطَاقٍ واسِع، ويرْوِي أحَدُ الشُهودِ قائِلًا: إنَّه برَغْمِ شُروْعِ السُلُطَاتِ بتَوزِيْعِ الصَدَقَات، إلَّا أنَّه بوسْعِكَ سمَاعَ الفقَرَاءِ وهُمْ ينتَحِبوْنَ فِي الشَوَارِعِ: "أنَا أموْتُ جوْعًا"، "يكَادُ البَرْدُ أَن يقْتُلَنِي". وهَكَذَا بَاتَت المَدِيْنَةُ تَشْهَدُ كلَّ يَوْمٍ انْتِشَالَ الجُثَثِ مِنْ بيْنِ الأَرْوِقَةِ.

استمرَّتْ الاحْتفَالَاتُ البَاذِخَةُ بالزَوجَيْنِ الشَابَّيْنِ فِي "مودينا" لعَشْرَةِ أيَّامٍ مُتتَاليَة، وهكَذَا بحُلوْلِ شهْرِ ديسَمْبَر وصَلَا إلَى "فيرارا"، فَأُمِرَ الموَاطِنوْنَ بنَزْعِ ثِيَابِ الحِدَادِ التِي ارتَدَوْهَا حُزْنًا على أحِبَّتهِم المَوتَى خِلَالَ تَفَشِّي الطَاعوْن، واكتَسَتْ شَوارِعُ المديْنَةِ بحُلَّةٍ حمراء، بيْضَاء وخَضْرَاء- الألوَانُ المُمَيِّزَةُ لعَائلَةِ "إستي\*". أَطْلَقَت المَدَافِعُ تحِيًّة مُدَوِّيًة، وقَادَ مُهَرِّجٌ إسْبَانِيٌّ يُدْعَى "دييغو" مَوْكِبَ النَصْرِ وهوَ يَمْتَطِي جَمَلًا، يتْبَعَهُ أطفَالٌ يَلبَسوْنَ الأبْيَض ويُلَوِّحوْنَ بالرَايَاتِ، وظهَرَ رِجَالُ الديْنِ والنُبلَاءُ مُرتَدِينَ أبْهَى حُلَلِهِم. لقَد كانَت انْطلَاقًة لثمَانِية أسَابيْعٍ أخْرَى مِنَ الاحْتِفَالَات. وجَرَى العَديْدُ منْهَا فِي "الـداليزا" المنْتَشِرَةِ عبْرَ ريْفِ "فيرارا".

-----------

\*مودينا: مدينة بشمال إيطاليا، تقع في الشمال الغربي لمدينة بولونا.

\*إستي: عائلة نبيلة في إيطاليا أسسها البرتو أزو الثاني (996-1097) ، والتي قامت بتمويل مدينة إستي في شمال شرق إيطاليا كإقطاعية للإمبراطورية الرومانية المقدسة. وحكمت الأسرة فيرارا (القرنين الثالث عشر والسادس عشر)، ومودينا، وريجو (القرنين الثالث عشر والثامن عشر).

81 كانَت داليزا وتَعْنِي (البَهْجَة) مَكانًا ريفيًّا للمُتْعَةِ، قلعًة على ضِفَافِ نهْرٍ، أَو قصْرًا أنِيْقًا فِي حديْقَة؛ هنَا يُمْكِنُ للحيَاةِ الحضَريَّةِ الرَغيْدَةِ أنْ تُعرَضَ بكُلِّ أُبُّهَةٍ في مكَانٍ كانَ ذاتَ مرَّةٍ يتَّسِمُ بالعظَمَةِ وأشْبَهَ بجَنَّةِ عدَن.

إلَّا أنَّ التَوَسُّع المسْرَحِي لعَائِلَةِ "إيستي" باتَ جليًّا أكْثَر في مديْنَةِ "فيرارا". فقبْلَ جيْلٍ مِنَ المَأدُبَة، قامَ والِدُ الدُوْقِ وهوَ شخْصٌ شَغوفٌ بالعَمَارةِ والمسْرَحِ على حَدٍّ سَوَاء، بمَنْحِ المديْنَةِ طِرَازًا جَديْدًا. ومَع تلْكَ الأرْوِقَةِ الحَجَرِيَّة، السَاحَات، والقَاعَات، باتَ بوسْعِ العَائِلَةِ الحَاكِمَةِ إظْهَار نفْسِهَا أمَامَ كُلٍ مِنَ الحَاشِيَةِ والعَامَّة، فاسْتُغِلَّت بَعْضُ هذهِ المِسَاحَات لتَكوْنَ مسَارِحَ بالمعْنَى الحَرْفِيِّ للكَلِمَة: ففِي عَامِ 1487، أدَّى المُمَثِّلوْنَ الكومِيدِيُّونَ التقْلِيدِيُّونَ أدْوَارًا للمرَّةِ الأوْلَى فِي فنَاءِ القَصْر، وسُرْعَانَ مَا كُتِبَتْ مسْرَحِيَّاتٌ جَديْدَةٌ للاسْتِفَادَةِ مِن نَجَاحِ التَجْرُبَة، فبَاتَتْ "فيرارا" فِي عَصْرِ النَهْضَةِ تُمَثِّلُ المكَانَ الذِي وُلِدَ فيْهِ المسْرَحُ الأوْرُوبيِّ العَالمِيِّ المُعَاصِر.

وسَّعَ الدوْقُ العَجوْزُ أيْضًا أسْوَارَ المديْنَةِ الضَخْمَة لتَتضمَّنَ حيًّا شَاسِعًا جديْدًا، وذلِكَ لأسْبَابٍ عَسْكريَّةٍ فِي المقَامِ الأوَّل، ولضَمَانِ وَلَاءِ كِبَارِ رجَالِ الحَاشِيَةِ والتُجَّار، منَحَ الإذْنَ لهَذِهِ "الإضَافَةِ الهَائِلَةِ" إلى المديْنَةِ لتشْغَلَهَا الأمَاكِنُ والحَدائِقُ المُمْتِعَة، ولضَمَانِ الإخْلَاصِ لله، أمَرَ ببِنَاءِ الكنَائسِ والأدْيِرَةِ أيْضًا، كَانَ القَصْدُ مِن هذهِ الإضَافَةُ الهَائِلَةُ أن تتَّسِعَ للمَوَاكِبِ الكُبْرَى، عبْرَ شَوارِعِهَا الطَويْلَةِ المُسْتَقِيمَةِ التِي تمْنَحُ المرْءَ مجَالَاتِ رؤْيَةٍ غيْرِ مُتقَطِّعَةٍ- مثْلَ ذلِكَ المَوْكِبِ الذِي أُعِدَّ بمُنَاسَبَةِ عَوْدَةِ "إركولي" و"رينيه" مِن زفَافِهِمَا، إلَّا أنَّه قَد بدَا وكأنَّ الحَيَّ الجَدِيْدَ تمَّ تصْمِيمَهُ وفْقَ خُدَعٍ بصَرِيَّةٍ لمَوقِعٍ مَسْرَحِي، وبدَا وكأنَّ شَخْصيَّاتِ مسْرحيَّةِ "بلوتوس" أو "تيرينس\*" سَتظْهَرُ مِن أحَدِ الأرْوقَةِ أو المدَاخِلِ في أيِّ لحْظَة وَمكَانٍ فِي المديْنَةِ.

بَلَغَتْ احْتفَالَاتُ زوَاجِ "إركولي دي إيستي" و"رينيه" نِهَايَتَهَا أَخِيْرًا عنْدَمَا حَانَ وَقْتُ الكَرنفَال تمَامًا، إِذْ أمَرَ "إركولي" المُخْلِصَ "ميسيسبوغو" بإعْدَادِ مَأدُبَةٍ، كتَعْبِيرٍ عَن الامْتِنَانِ لوَالدِهِ الدُوْق "ألفونسو". وبشَكْلٍ مُلَائِمٍ، وُضِعَتْ سِتَارَةٌ خَلفِيَّةٌ تَحْمِلُ رَسْمًا للمَديْنَةٍ، بمَكَانٍ فِي القَاعَةِ الكَبيْرَةِ بحَيْثُ يمْكِنُ أنْ تُبتَدَئَ تلْكَ الأمْسِيَةِ بمَسْرحِيَّةٍ (كانَ ميسيسبوغو مديْرَ حفَلَاتٍ مسْرحِيَّةٍ وموسيقِيَّةٍ أيْضًا).

قصَّتْ مَسْرحيَّة لا كاساريا (الخَزْنَةُ الحَديْديَّة) حِكَايَةَ الخَدَمِ المَاكِريْنَ الذيْنَ تفَوَّقوا بالحِيْلَةِ على قَائِدٍ تُركِيٍّ، وذلِكَ نيَابًة عَن أسْيَادهِم الشَبَاب الأثْريَاء المَحْبوبِين. وبالرغْمِ مِنْ أنَّ مَجْموعَة "ترول" قَد قامَت بتأديَةِ مسْرحِيَّةِ "الخَزْنَةِ الحَديْديَّة" بإحدى حفْلَاتِ العَشَاءِ فِي "فلورنسا"، لكِنَّهَا ناسبَتْ هذَا الحَدَث الفيرَارِي بشَكْلٍ أفْضَل. وذلِكَ لأنَّها أوَّلًا احتوت بشَكْلٍ كَافٍ على طرَائِفٍ مُضْحِكَةٍ لطيْفَةٍ عَن الحَيَاةِ فِي "فيرارا" لتسْليَةِ المُشَاهِد الجَاهِل، وثَانِيًا لاحْتِوائِهَا قَدْرًا وَافيًا مِن الاقْتِبَاسِ المُرْضِي مِن المسْرَحِيَّاتِ الهَزليَّةِ اللَّاتينيَّةِ لتَجْذِب المُشَاهِد المُثَقَّف، وبشَكْلٍ أكثَر أهميًّة بالقَدْرِ الذي كانَت عليْهِ سياسَةَ إجرَاءَاتِ الأُمْسِيَةِ مهِمَّة. إنَّ كَاتِبَ ومُخْرِجَ مسْرحِيَّةَ "الخَزْنَةِ الحَديْديَّة" هو "لودفيكو أريوستو"، شَاعِرٌ بَارِزٌ بعَصْرِهِ، وهذَا يُعَدُّ دليْلًا حيًّا على عَظمَةِ رعَايَةِ عائِلَةِ "إيستي".

------------

\*تيرينس: الشهير بـ تيرنتيوس أفير، ولد في قرطاجة سنه 185 ق.م . كان مواطنًا إفريقيًا من قرطاجنه جاء إلي روما عبدًا و سرعان ما قدره سيده السناتور تيرنتيوس ولذلك فقد حمل لقب سيده، وقد ذهب إلي بلاد اليونان بعد أن كتب مسرحياته الست الباقية.

82

كَانَ "أريوستو" أحَدَ رجَالِ الحَاشِيَةِ المُتنَفِّذيْن، لكنه ليْسَ شخْصًا مُنْدفعًا أبَدًا، فهوَ يعْرِفُ ويُطيْعُ مِزَاجَ الحُكْمِ المَلَكِي لأجْلِ هَذهِ الرِعَايَة، وبدأَ تَدريْجِيًّا بالشُعوْرِ بالاسْتيَاء مِنَ الوَقْتِ الذِي يُمضيْهِ بَعيْدًا عَن مِنْضَدَةِ الكِتَابَة، وبصفَتِهِ دبلومَاسِيًا وتَابِعًا فِي خدْمَةِ آل إيستي، كانَ التقَاعدُ بالنسْبَةِ إليْهِ بمثَابَةِ النِعْمَة، فسُمِحَ لَهُ بتَكريْسِ أيَّامهِ لمُراجعَةِ أورلاندو فوريوسو (أولاندو يصيْبُهُ الجُنون)، تلكَ القصيْدَةُ الملحميَّةُ قَد جَعلتْهُ مَشهوْرًا. لقَد طُلِبَ منْهُ بوليمَةِ شَهْرِ ينَايِر عَام 1529 أنْ يجِدَ مكانًا بيْنَ مُمَثِّلي مسْرحِيَّةِ "الخزْنَةُ الحديْديَّة" لأجْلِ أصْغَرِ أبنَاءِ دُوْقِ فيرارا؛ دُوْن "فرانشيسكو" الغَنِي عَن الشُهْرَة، هذَا المُمَثِّلُ المسْرَحِيُّ الصَغيْرُ المُدَلَّل، والذِي لَم يتجَاوَز الاثْنَي عشَر ربيْعًا بذلِكَ الوقْت، سيَكبُرُ ليَغْدو شخصيًّة عنيْفًة مُتهَوِّرًة: ففِي إحدى المُنَاسبَات، مزَّقَ لحْيَةَ موظَّفٍ رسْمِيٍّ بكِلْتَا يدَيْه، حيْثُ وَرِثَ حِدَّةَ الطِبَاعِ عَن أبِيْه الدُوْق "ألفونْسُو": الذِي أمَرَ رجَالَهُ ذاتَ مرَّةٍ بتهْشِيمِ عيْنَي كاتِبِ العَدْلِ الذِي أزْعجَهُ والدَعْسِ على وجْهِه. فِي بِلَاط عَصْرِ النَهْضَةِ، نادِرًا مَا غابَ التَهديْدُ بالعُنْفِ الاسْتِبدَادِي.

كانَت خُطَّةُ "ميسيسبوغو" الأصليَّة أَنْ تُؤدَّى مَسْرحيَّةٌ لـ "بلَاوتوس\*" مُترْجَمَةٌ إلىَ الفرنْسِيَّةِ قبْلَ المَأدُبَة. ولكِن ولأسْبَابٍ مَجْهولَةٍ، تمَّ إلغَاؤهَا فِي اللَّحْظَةِ الأخِيْرَة، واستُدْعِيَ "أريوستو" على عَجَلٍ مِن مَنْزلِ تقَاعُدِهِ إلى خَشبَةِ مَسْرَحِ "الخَزْنَةُ الحَديْديَّةُ"، ولَم يَكُنْ هنَاكَ دَاعٍ لتَذكيْرِه بأنَّهُ صنِيْعَةُ مَنْ.

ومَا إِنْ وصلَتْ المَكِيْدَةُ فِي مسْرحِيَّةِ "الخزْنَةِ الحديْديَّةِ" إلى حَلِّ خُيوطِهَا بشَكْلٍ مُفْرِحٍ مِنْ قِبَلِ أَحَدِ الخَدَمِ المُخَادِعِيْنَ علَى وجْهِ الخُصوْصِ، حتَّى وصَلَ جيْشٌ مِنَ الخدَمِ الحَقِيقيِّينَ لتجْهِيزِ القَاعَةِ لأَجْلِ الحَدَثِ المسْرَحِيِّ الرئِيْسِيِّ للأُمْسِيَة: المَأْدُبَة.

**هِرَقْلُ والأَسَد**

بيْنمَا راْحَ الضيُوْفُ القَادِمِونَ مِن "فيرَارَا" والأمَاكِنِ الأُخْرَى ويَبْلغُ عدَدهُم 104 شَخْصًا، يستَمتِعوْنَ بالأنْغَامِ العَذْبَة التِي يؤَدِّيْهَا الموسِيقيُّونَ، قامَ "ميسيسبوغو" وطَاقَمُهُ بتَغْطِيَةِ الطَاولَةِ الكَبيْرَةِ التِي يَبْلغُ طولهَا مئَةَ متْرٍ تَقريْبًا(80) بثلَاثِ مفَارِشِ مائدَةٍ عِمْلَاقةٍ، واحِدًة فوْقَ الأُخْرَى، وأعَدُّوا إلى جَانبِ ذَلِك خمْسَ طاولَاتٍ للخِدْمَة، وثلَاثًا للطَعَام، واثنَتَينِ للنَبِيذ. ثمَّ عمَدوا إلَى تَعليْقِ ثمَانِيَةٍ وأربَعيْنَ شمَعدَانًا عَن طريْقِ سِلْكٍ مُثَبَّتٍ بالسَقْفِ بعْدَ أَنْ حفَروا جَيِّدًا، ووَضَعوا سِكِّيْنًا أمَامَ كُلِّ مكَانٍ مُخَصَّصٍ للجُلوس، ومِنديْلًا مَطْويًّا بِبَراعَة، ولفَافَةَ خُبْزٍ مصْنوعَةً مِنَ الحَليْبِ والسُكَّر، و براتشيلا (شَيءٌ يُشْبِهُ بسكويْتِ الدونَاتِ الحَديْثِ لَه شكْلُ الحَلقَة)، الحَلوَى التِي أسَاسُهَا الفسْتُق الحَلبِي مُغطَّاًة بطبَقَةٍ رقيْقَةٍ مِنَ الذَهَب، وبعْضَ السافونيا (مَزيْجٌ دَبِقٌ مِن النَشَاءِ، السُكَّرِ ومَاءِ الوَرْد). أمَّا الزيْنَةُ فهِيَ مَحدُوْدَةٌ نسْبيًّا، إذْ خُصِّصَ لكُلِّ ضَيْفٍ بَعْضُ الخُيوْطِ الحَريْريَّة المُعَطَّرة، ووَرْدٌ بأوْرَاقٍ ذهَبيَّةٍ مَوضُوعَةٍ أمَامَهَا. امتَدَّت على طوْلِ الطَاولَةِ سِلسِلةٌ مِن خمَسةٍ وعِشريْنَ تِمْثالًا مِنَ السُكَّرِ بارْتِفَاعِ القدَمَيْنِ لكُلٍّ منْهَا وطُلِيَت بألوَانِ بشَرَةِ الجِلد، لقَد مثَّلَت الصِرَاعَ بيْنَ هِرَقْلَ و أسَدِ نِيمْيَا، كتَكريْمٍ واضِحٍ للشَابِّ "إيركولي دي إيستي". وأظْهرَت الوَفْرَةُ بالسُكَّرِ البَاهظِ الثمَن؛ الثرْوَة التِي سيَرِثَهَا الشَاب.

---------- \*بلاوتوس: تيتوس ماكيوس بلاوتوس أو "بلاوتوس" هو كاتب مسرحي روماني قديم من الحقبة اللاتينية القديمة. تُعد أعماله الكوميدية أقدم الأعمال التي وصلتنا بالكامل من الأدب اللاتيني.

أُحْضِرَت أطبَاقُ المُقَبِّلَاتِ مِنَ المطْبَخ، وبمُجَرَّد أَنْ باتَ كلُّ شَيءٍ بمَحَلِّه، صَدَحَت أصْوَاتُ الأبْوَاقِ مُعْلِنًة دَعْوةَ البِلَاطِ إلَى المَائِدَة.

**المُقَبِّلَات**

104 فطيْرَة صغيْرَة مَحْشيَّة بنبَاتِ الكَبَر\*، الكمَأَة، وهريْسِ الزَبِيْب.

104 صَحْنٍ صَغيْرٍ مِن سَلَطَةِ الهنْدبَاء، الفِجْل، اللِّفْتِ البَرِّي واللَّيمُون.

كانَت السَلطَاتُ هيَ الطَريْقةُ الشَائعةُ لبِدْءِ الوَجبَاتِ فِي إيطَاليا عصْرَ النهْضَة، إِذْ اعْتُقِدَ أنَّها تفْتَحُ المعْدَة وتُثِيرُ الشَهِيَّة.

104 صَحْنٍ صَغيْرٍ مِن سَلطَةِ سمَكِ الأنْشوفَة.

25 حبَّة فِجْلٍ كبيْرةً منْحوتَةٍ على شَكْلِ شخْصيَّاتٍ وحيَوانَاتٍ مُخْتلفَةٍ، مع 104 حبَّةَ فجْلٍ صَغيْرةٍ، 25 صَحْنًا صَغيْرًا.

104 فَطيْرَة كريْمَة صَغيْرَة ذُرَّ فوْقَهَا السُكَّر.

25 صَحْنًا مِن شَرائِحِ لحْم ِالخِنزيْرِ، ولسَانِ البَقَر المُمَلَّح، ولحْمِ مِتْنِ الخِنْزيرِ المُمَلَّح—جميْعُهَا مقْليَّة ورُشَّ السُكَّر والقِرفَةُ فوقَهَا. (84)

---------- \*القَبَّار أو الكَبَر أو الشَفَلَّح : هي شجيرة تنتمي للفصيلة القبارية تعيش في حوض البحر الأبيض المتوسط وتنمو على الجدران وفي المناطق المحجرة وعلى جوانب الطرق وعند الشواطئ الصخرية.

----

25 فطيْرَة تحْتَوي على كُفْتَةِ لحْمِ الخِنْزيرِ البَرِّي، وتتضَمَّنُ وصْفَةَ "ميسيسبوغو" لحشْوَة الفطيْرَةِ بالإضَافَةِ إلى الكُفْتَة، علَى شَرائِحِ لحْمِ الخِنْزيرِ المُدَخَّنِ مَفْرومَة، الزَبِيبْ، الفُلفُل، عصيْرِ البرْتَقَال أو الفِيرْجوس (مَاءُ الحُصْرُم)، وشَئٍ مِن دُهْنِ البقَر.

25 من نقَانِق كَبِدِ الخِنْزيرِ ، تُوْضَعُ فِي قالَبٍ مِنَ المُعَجَّنات

كانَ يُضَافُ شَرَابُ البُرْتقَال أو الفِيرْجوس (ماءُ الحُصْرُم) والقَليْلِ مِن دُهْنِ البقر إلى

النقَانِق بيْنمَا يتِمُّ تغْطيتَهَا بإحْكَامٍ في الفطيْرَةِ قبْلَ طهْيِهَا.

50 سمَكَة بوري كبيْرَة مُدخَّنة منْزوعَة الجِلد فِي 25 فَطيْرَة معَ صَلصَةٍ حُلْوَة.

15 سمَكَة أنقِلِيس كبيْرَة مُمَلَّحة، مُقَطَّعة إلى 104 قطْعَة أسْطوانيَّة، 25 طبَقًا.

لقَد اعتُبِرَت الأنْقِلِيس\* سيِّدَة الأسْمَاكِ الإيْطَاليَّةِ فِي العُصوْرِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة، إِذ يُمْكِنُ إبقَاؤهَا حيًّة لفتْرَةٍ طَويْلَة بخزَّانَاتِ المِيَاهِ العَذْبَةِ فِي المدُن، وتسَتجِيْبُ جَيِّدًا للتمْلِيحِ والتَدْخِين.

104 سمَكَة دنيس تمَّ نقْعُهَا، مُغَطَّاة بأَورَاقٍ مِنَ الذَهَبِ بشَكْلٍ جُزْئِي، ومُزَيَّنَة بأَورَاقِ الغاَر، 25 طبَقًا.

إنَّ طريقَةَ "ميسيسبوغو" للنَقْعِ بالتَوَابِلِ هِيَ بالأسَاسِ ذَاتُ تقنيَّةِ "سكيبس"ِ التي صَادفْتَهَا فِي فَصْلِ البنْدقيَّة، إذ يتم بمَزْجِ الفُلفُل، القِرفَة والزنجَبيْل، القُرُنْفُل والمِلْح والزَعْفرَان فِي الخَل.

هنَاكَ فِي القاعَةِ الكُبْرَى، خُصِّصَت أمَاكِنُ الشَرَفِ على المَائِدَةِ الرئيْسِيَّة ليَجْلِسَ عليْهَا العَريْسُ وأَخُوْهُ الأصْغَرُ "إبوليتو"- كنَجْلينِ مثَاليَّينِ للسُلَالَة الحَاكِمَة بـعَصْرِ النَهْضَة. تلقَّى "إيركولي" أفْضَلَ تَعليْمٍ إنْسَانيٍّ مُتَاحٍ، وهوَ مَاهِرٌ بالموسيْقَى كلبَاقتِهِ فِي الكلَامِ والخُلُق. وكحَالِ جَميْعِ الأُمَراءِ الإيْطاليِّين، فَقد حَصَلَ على تَعليْمٍ جيِّدٍ بفُنوْنِ الحَرْبِ-المُقارَعَةِ بالرِمَاح، فَنِّ استعْمَالِ السَيف، وركوْبِ الخَيل. وقَد اتَّجهَت كلُّ الاحتمَالَاتِ على أنَّه كحَالِ والدِهِ، سيتَكلَّفُ ثمنًا باهِظًا فِي المَالِ والمَجْدِ والنفوْذِ السِيَاسيِّ بسبَبِ خدمَتهِ في الجَيْش.

-----------

\*الأنقَلَيْس: أو الأنكَلَيْس هي نوع من أنواع الثعابين المائية و يصل عدد أنواع الثعابين البحرية إلى حوالي 55 نوعاً، بينما يبلغ عدد أنواع الثعابين شبه المائية نحو عشرة أنواع والمائية العذبة نحو 35 نوعاً.

85 أمَّا أخَوهُ "إيبوليتو" الذِي لَم يبْلُغ العشريْنَ بَعْدُ مِن عُمْرِهِ، فقَد تولَّى معَ ذلِكَ منْصِبَ رئيْسِ أساقِفَةِ ميلَان المُوقَّر مُسْبقًا، منْذُ مَا يُقَارِب العَقْدَ مِن الزمَان، وكونَه الابْنَ الثَانِي كحَالِ العَديْدِ فِي الأُسَرِ الحَاكِمَة، فقَد كانَ الهدَفُ مِن وظيفتِهِ فِي الكنيْسَةِ هو ترسِيْخُ المكَانَةِ السيَاسِيَّةِ للسُلَالَةِ الحَاكِمَةِ وتَعزيْزِ سُلطَتِهَا الأخْلَاقيَّة، ولَو اسْتطَاعَ التَرَقِّي أكثَر وأصْبَحَ كاردِيْنالًا، فإنَّ مَرتبتَهُ ستُصبِحُ مُساويًة لتلْكَ التِي يتمتَّعُ بهَا أميْرٌ في الإمْبراطوريَّة الرومَانيَّة.

أحَاطَ السُفرَاءُ الأجَانِبُ بالأَخَويْنِ الأكبَرَيْنِ بعَائِلَةِ "إيستي"، أمَّا مَبعوْثُ جلَالةِ ملِكِ فرنْسَا الأكثَرِ قدَاسَة، "فرانسيس الأوَّل"، فقَد تواجَدَ هناكَ ليضْمَنَ أنَّ العَروْسَ تُعَامَلُ بأسلوْبٍ يليْقُ بمكَانَتِهَا. لقَد تعيَّنَ على سُفرَاءِ عَدُوِّ "فيرارا" القَدِيم، مجْلِسِ شيوْخِ البُندقيَّة الموقَّر، أَنْ يبْعَثوا برسَالةٍ واضِحَةٍ عَن مدَى عَظمَةِ عائلَةِ "إيستي"، فنظْرَةٌ مُتمرِّسَةٌ مِنْ قِبَلِ هَؤلَاءِ الموفَدِيْنَ الأجَانِبَ بوسْعِهَا أَنْ تُقَدِّرَ ثمَنَ وأسلوْبَ المشْهَد، ووفْقًا لحسَاباتِهِم فبإمْكَانهِم إعْطَاءُ تشْخِيصٍ لقوَّةِ الأسْرَةِ الحَاكِمَة: فإظْهَارُ القوَّةِ واستخْدامهَا ببرَاعَةٍ هوَ فِي الحقيْقَةِ شَيءٌ واحِد.

**الطَبَقُ الأوَّلُ**

ديْكٌ سميْنٌ منْزوعُ العَظْمِ مُغطَّى بالمُهلبيَّة، يُقْلَى، ثمَّ يُغطَّى بالسُكَّرِ النَاعِم:25 صحْنًا.

كانَت الديَكَةُ والطيوْرُ الأخْرَى، البريَّةِ منْهَا خَاصًّة، هِيَ الوجبَاتُ المُفضَّلةُ بتلْكَ الحِقْبَة، وبِرَغْمِ لحَاقِ لحْمِ العجْلِ والبقَرِ بهَا، إلَّا أنَّ مكانتَهَا لَاتزَالُ أعْلَى.

104 طائِرُ سمَّان، 104 تومَاسِيلي، 104 كَبِدِ ديْكٍ مقْليٍّ فِي الكَاؤل. معَ المُلحَقَات: 25 طبقًا.

التوماسيلي هو كفْتَةُ الكَبِدِ تُحَضَّرُ بإضَافَةِ الزبيْبِ، السُكَّر، نُخَاعِ العَظْم، البهَارَات، والجُبْنِ القَاسِي، ثمَّ يُلَفُّ بالكاؤل أو الثَرَب- غِشَاءٌ شحمِيٌّ مُزدوَجٌ يتضمَّنُ الجزْءَ السُفلِيَّ مِنْ بطْنِ الحيوَان، كانَ غالبًا مَا يُستخْدَمُ كغشَاءٍ للنقَانِق.

52 طائِر درَّاجٍ مَشْويًّا معَ 100 برتقَالَة مُقطَّعة فُصوْصًا:25 طبَقًا.

كارابَشْيَا البصَل (حسَاءُ البصَل): 25 طبقًا.

لصُنْعِ الكارابَشْيَا، يُغْلَى البصَلُ معَ شرائِحِ لحْمِ الخِنزيْرِ المُدخَّنِ فِي المَاء(86) ثمَّ فِي الحليْبِ معَ ماءِ الحُصْرُمِ وكتْلَةٍ منَ الجُبْنِ القَاسِي، يُزَالُ بعْدَ ذلِكَ الجُبْنُ ويُضَافُ دُهْنُ لحْمِ العجْلِ المُذَابِ بالشِوَاءِ وصفَارِ البيْضِ، وهذَا قبْلَ نصْفِ الساعَةِ الأخيْرَةِ مِنَ الطَهْي، ويُقَدَّمُ بعْدَ رشِّهِ بسَخَاءٍ بالسُكَّرِ والقرْفَةِ المَطحوْنَة.

25 مِن مُعجَّناتِ الصَنوْبَرِ الحلوَة: 25 طبَقًا.

25 كعْكَة مُعجَّنات حُلْوَة، مَحْشيَّة بوَفْرَة بطُحَالِ سمَكِ الدنيس، السَلَمون المُرقَّط، سمَكِ الكراكي وغيْرهَا مِنَ الأسمَاك.

كانَ طُحَالُ الأسْمَاكِ يُطْهَى فِي المرَقِ وعَصيْرِ البُرْتقَال، ويُضَافُ لَهُ الزبيْبُ وصفَارُ البيْضِ القرْفَة والزنْجَبيل الزعْفرَان والقُرُنْفُل، والفُلفُل والسُكَّر، وبعْدهَا يُمَدُّ الكَاؤلُ (غِشَاءُ الأمْعَاءِ الشَحْمِي) فوْقَ هذهِ الحشْوَةِ الغنيَّةِ وذلِكَ لخَلْقِ تمَازُجٍ بيْنَ الكعْكَةِ والشَكْل.

25 مِن ذيولِ سمَكِ السَلَموْنِ التِي تمَّ نقْعُهَا وقَليُهَا، معَ شَرائِحِ اللَّيموْنِ:25 طبَقًا.

200 سمَكَة بوْرِي أحْمَر مَقليَّة: 25 طبَقًا.

125 قطْعَة مِن سمَكِ الإنْقلِيس مُعدَّة معَ حَلوَى اللَّوزِ والسُكَّر: 25 طبَقًا.

شرْحَات لَحْم 50 سمَكَة دنيس معَ المَرَق: 25 طبَقًا.

بدَأَ موسيقِيُّو البِلَاط ِعزفهَمُ خلَالَ تقديْمِ الوجْبَةِ الأوْلَى، وصدحَتْ خمْسَةُ أصوَاتٍ بالغِنَاءِ على أَنْغَامِ الموسيْقَى المُنبَعِثَةِ مِن خمْسِ آلَاتِ كمَان، وخمْسِ آلَاتِ بيَانو مُزدَوَج، وعُودٍ، ونَايَيْن. ومعَ كُلِّ مجموْعَةٍ مخْتلفَةٍ مِنَ الأطْبَاقِ بعْدَ ذلِكَ الحِين، ترنَّمَت القصَائِدُ الغَزَليَّة، الجَوْقَاتُ، والحِوَارَاتُ الموسِيقيَّةُ على وَقْعِ صَوْتِ مَزيْجٍ جَديْدٍ مِنَ الآلَاتِ الموسيْقِيَّة.

**الدُوق ألفُونْسُو**

حَلَّ الدُوقْ "ألفونسو دي إيستي" كضَيْفِ شَرَفٍ عِنْدَ ابْنِهِ الأَكبَر على المَشْهَدِ الدَائِر لمَسْرَحِيَّةِ "ميسيسبوغو". وبِرَغْمِ أَنَّ "ألفونسو" كانَ شخْصًا طويْلَ البَال و لَا يَعْرِفُ الرَحْمَة فِي المسَائِلِ السيَاسِيَّة، إلَّا أنَّه يُعَدُّ مُمَارِسًا مُعَارضًا نسْبِيًّا فِي الفَرْعِ الآخَرِ مِن فَنِّ إدَرَاةِ الشُؤوْنِ العَامَّة بعصْرِ النهْضَة: أمَّا رعايتُهُ للفنُوْنِ فهوَ أمْرٌ مفروْغٌ مِنه.

لقد اسْتخدَمَ رسَّاميْنَ مِن مَنْزِلَةٍ مَرْمُوقَة مِثْل "جيوفاني بيليني"\* و"رافائيل وتيتيان"\* لزَخْرفَةِ حُجُرَاتِهِ الخَاصَّة، إلَّا أنَّه أحَسَّ بمُتعَةٍ أكبَر نَحْوَ الدُعابَاتِ والمهَارَاتِ الوَاقعِيَّة، ويتَذكَّرُ رجَالُ الحَاشِيَةِ الأكبَرَ سنًّا ذلِكَ اليوْمَ الذِي توَلَّى والدَهُ فيْهُ الحُكم؛ فسَارَ مُتَبَخْتِرًا حوْلَ المديْنَةِ عريانًا فِي وقْتِ الظَهِيرَة. إنَّ سِلَاحَ المدفعِيَّةِ هوَ عِشْقُ "ألفونسو" الحَقِيقَي: فقَد أشْرَفَ على صَبِّ المَدَافِعِ بنْفسِه، وأطلَقَ عليْهَا ألقَابًا تَدلُّ على شِدَّةِ البَأْسِ مثْلَ "زِلْزَال" و "الشَرُّ العَظِيم". وبالعَودَةِ لعَامِ 1509 نجَحَت بطَاريَّاتُ مِدْفعِيَّتهِ بشَكْلٍ غيْرِ مُتوَقَّعٍ بإحْرَازِ مأْثَرَةٍ بطُوليَّةٍ استثْنَائيَّةٍ بعْدَ أَن أَغْرقَت أسْطوْلَ البُندقيَّةِ مِن ضِفَافِ نَهْرِ "بو". يعوْدُ تاريْخُ أشْهَرِ اللَّوحَاتِ الفَنيَّةِ التِي رُسِمَت لِلدُوق إلى الوَقْتِ الذِي أُقيْمَت فيْهِ مَأدُبَةِ كاَنوْنِ الثَانِي 1529، إِذ تُظْهِرُ رَجُلًا مُلتَحِيًا شَرِسًا، يَقِفُ مُنْتَصِبًا وهوَ يَرْتَدِي دِرْعًا أسْودَ برَّاقًا بجِوَارِ مَدْفَع، يَضَعُ سَيْفًا على جنْبِهِ الأيْسَر، ويَحْمِلُ صَولَجانًا بقَبضَتَهِ اليُمْنَى، وَيبْدُو وكأنَّهُ على وشْكِ الاسْتِدَارَةِ والانْدِفَاعِ صَوْبَ المَعْركَةِ التِي بدَتْ مُسْتعِرًة فِي مُنْتصَفِ الرُقْعَة.

لقَد حَمَّلَ الحُكْمُ عبْئًا ثقِيْلًا على الدُوْق ألفونسو، فمَوْقِعُ مدينَتِهِ الاسْتِراتِيجِي حسَّاسٌ بشَكْلٍ فَرِيدْ، ومِن "فيرارا" تمَرْكَزَ على جَانبَي وادِي "بو"، وادَّعَى أنَّ الإقْلِيمَ الذِي يُشْبِهُ حدْوَةَ الحِصَانِ باتَ تحْتَ سُلطَتِهِ. وإلى الجَنوبِ الغَربِي، امتَدَّت هيمَنَةُ عائِلَةِ "إيستي" وصوْلًا إلى "مودينا" و"ريغيو"، واتَّسَعَ نفوْذُهَا نحْوَ الجَنوْبِ الشَرقِيِّ



ضَيْفُ الشَرَفِ فِي مأدُبَةِ "مسيسيبو": دوق فيرارا "ألفونسو دي إيستي" بلوحَةٍ فنيَّةٍ للرسَّام "دوسو دوسي"، حيْثُ تتَّكِئُ يدَهُ اليُمْنَى على أحَدِ مدَافِعِهِ المُحَبَّبَة.

عبْرَ المُستنْقعَاتِ، الجدَاوِل، والقنَوَات والحُقوْلِ المَرْويَّةِ بعنَايَةٍ لدِلْتَا وَادِي "بو". مِنَ النَاحِيَةِ الرسْمِيَّة، كانَت "فيرارا" بحَدِّ ذَاتِهَا منْطِقًة إقطَاعيًّة لبَابَا الفَاتِيكَان- ولذَلِكَ فقَد احْتَفَظَ الدُوق "ألفونسو" بعَاصِمَتِهِ تحْتَ سُلْطَةٍ مُسْتَأجَرَةٍ مِن روما، وبالمُقَابِلَ كانَتْ مَدينَتَا "مودينا" و"ريغيو" خَاضِعَتَنِ لَهُ على سبيْلِ الإعَارَةِ مِن مُنَافِسٍ للبَابَا، هو الإمْبرَاطور الرومَانِي المُقدَّس ذو الأصْلِ الألمَانِي. لقَد استمرَّتْ مُحَاولَاتُ البَابَا والإمْبرَاطور باسْتِردَادِ الإقْلِيمِ الذِي تمَّ تسليْمَهُ إلى آلِ "إيستي" وفْقَ اتفاقيَّاتٍ سَابقَةٍ. ولزيادَةِ تعقيْدِ الأموْرِ، قامَتْ البُندقيَّةُ، الجارَةُ الشَماليَّةُ الشرقيَّةُ لفيرارا، بانْتهَازِ كلِّ فرصَةٍ سانحَةٍ لوضْعِ قبضَتِهَا على مُنَافِسَتِهَا للسيْطَرَةِ على دلْتَا نَهْرِ "بو"، وحتَّى فِي أفْضَلِ الأوْقَاتِ.

----------

\*جوفاني بلليني: هو مصور إيطالي من فناني عصر النهضة. ينتمي إلى أسرة من المصورين الفينيسيين. يعد هو أشهر أفرادها.. يعد بلليني محدث ثورة في فن التصوير، الذي اتجه على يده نحو المزيد من الحسية والثراء اللوني.

\*تيتيان: تيتسيانو فيتشيليو رسام إيطالي من البندقية. كان تيتسيانو فيتشيليو زعيم مدرسة البندقية في الرسم وقد نَعِمَ برعاية عدد كبير من النبلاء الإيطاليين المعروفين، وكان لفترة من الزمن امتدت بضع سنوات رسام البلاط لدى الامبراطور شارل الخامس أو شارلكان. أنتج هذا الرسام الذي عمّر زهاء 100 سنة عدداً كبيراً من الأعمال.

88 كانَتْ عائِلَةُ "إيستي" بحَاجَةٍ للدَهَاءِ السيَاسِيِّ والبَراعَةِ العَسْكريَّةِ للبَقَاءِ فِي السُلطَة، بيْدَ أنَّ تلْكَ الفتْرَةَ لَم تكُنْ بأفضَلِ الأوقَاتِ لهَا.

وقَد أخَذَتْ أطبَاقُ "مسيسيبو" تزْدَادُ بشْكلٍ ثابِتٍ برُقِيِّهَا.

**مجموْعَةُ الأطبَاقِ الثَانِيَة**

50 طَائِر درَّاج مَشْوِيًا، 50 طَائِرَ حَجْلِ الصُخوْرِ مَشْوِيَّة، 104 رغِيْف لَحْم\*: 25 طَبَقًا.

25 نقَانِق كبيْرَة بيْضَاء مقليَّة، 104 طُحَال خَروف مَقْلِي، يُرَشُّ عليْهَا السُكَّر والقِرْفَة: 25 طَبَقًا.

السِيرفِيلَاتي (النقَانِق البيْضَاء): تَحْتَوِي على حَشْوَةٍ مِنَ الحَليْب، صَفَارِ البَيض، الجُبْنِ الدُهْنِي، النَشَاء، السُكَّر، الزَبِيْب، القِرْفَة والفُلفُل. وتُغْلَى ثُمَّ تُقْلَى بالدُهْن.

25 ديْكًا مُسَمَّنًا مَطْهِيًّا وفْقَ الأسلوْبِ الألمَانِيِّ معَ النَبِيذِ الحُلو وجَوزَةِ الطِيْب.

كانَ يعْمَدُ إلَى طهْيِ الديْكِ معَ قِطَعٍ صغيْرَةٍ مِن لحْمِ الخِنْزيرِ المُدَخَّن، النَبِيذ الحُلو، حبَّاتِ فُلفُلٍ كَامِلَةٍ غيْرِ مطْحونَة، والزَبِيْب. أمَّا الصَلْصَة التِي تُصَبُّ فوْقهَا في آخِرِ مرْحَلَةٍ مِنَ الطَهْي، فيَتِمُّ إعْدَادُهَا مِن فُتَاتِ الخُبْزِ المُحَمَّص الذِي تمَّ نَقْعُهُ بالخَل، ثمَّ تصفِيَتَهُ، ليُمْزَجَ بعْدَ ذلِكَ بالسُكَّر، الفُلفُل المَطْحُون، القِرْفَة، الزنْجَبِيل، القُرنْفُل والقَليْلِ مِنَ الزَعْفَرَان لمَنْحِهِ اللَّون.

257 حمَامَة كبيْرَة مُعَدَّة فِي عَجِيْنِ الفطَائِر: 25 طَبَقًا.

89

104 مِنْ أسْمَاكِ السَلَمون المُرقَّط مِن بُحَيرَةِ "غرادا" يتِمُّ قلْيُهَا وتُرَشُّ فَوقَهَا حبَّاتِ السُمْسُم.

25 طبقًا مِن شَرائِحِ لحْمِ سَمَكِ التَرس، يُطْهَى بوَضْعِهِ تحْتَ مقْلَاةٍ مُسَطَّحَةٍ قليْلًا بعْدَ تغْطِيَتَهَا بالجَمْر.

104 مِن ذيُولِ ومخَالبِ جرَادِ البَحْر، تُقْلَى وتُرَشُّ بالخَل: 25 طَبَقًا.

25 طبقًا مِن فَطَائِرِ بيوْضِ سمَكِ السَلَمونِ المُرقَّط.

25 طبقًا مِنَ المُهَلبِيَّة الصَفْرَاء بطَريْقَةِ مديْنَةِ نَابولِي.

يحْتَوي هذَا الشَكْلُ مِنَ المُهَلبِيَّة على الخليْطِ المُعْتَادِ الذِي تمَّ طَحْنهُ مِنَ اللَّوز، صَدْرِ الدِيْكِ المَغْلِي، والسُكَّر. وبمُجَرَّدِ أنْ يُصْبِحَ لَهُ ذلِكَ القَوَامَ النَاعِمَ، يُضَافُ إليْهِ صفَارُ البيْضِ، القليْلِ مِن طَحيْنِ الأرُز، القِرْفَة، الزنْجَبِيل، وكمِيَّةٌ كافِيَةٌ مِنَ الزَعْفرَان لمَنْحِهِ صَبْغةَ اللَّون، ثمَّ تُخَفَّفُ حِدَّتُهُ بإضَافَةِ مَرَقِ اللَّحْمِ أو الدِيَكَةِ ويُطْهَى بإضَافَةِ مَاءِ الحُصْرُم، وللزيْنَةِ يُوضَعُ المزيْدُ مِنَ السُكَّر والقِرْفَةِ فوْقَه.

104 مُعجَّنَات على الطريْقَةِ الألمَانيَّة تمَّ رشُّهَا بمَاءِ الوَرد: 25 طَبَقًا.

تتَضمَّنُ حَشْوَةُ هذِهِ المُعجَّنات على المرْزبَانِيَّة \* المُكوَّنَة مِن اللَّوْزِ وحَبَّاتِ الصَنوْبَر، بالإضَافَةِ إلى حبَّاتِ الصَنوْبَرِ الكَامِلَة، الزَبِيْب، صَفَارِ البَيْض، الزُبْدَة، ومَاءِ الوَرْد.

لَم يَكُنْ الاضْطِرَابُ السِيَاسِيُّ بالشَيءِ الجَدِيْدِ بالنِسْبَةِ إلى المدُنِ الإيطَاليَّة: فلقَد اسْتمرَّت الصِراعَاتُ بيْنَهَا منْذُ القَرْنِ الثَانِي عشَر، لكنَّهَا أدارَتْ شؤوْنهَا على الأقَلِّ بدَرَجَةٍ مُعيَّنَةٍ مِن الاسْتقلَاليَّةِ بَعيْدًا عَن التدَخُّلَاتِ الخَارجيَّة. وبحُلوْلِ مُنْتصَفِ القَرْنِ الرَابِعِ عشَر، قامَتْ القُوَى الخَمْسُ الأكبَرُ فِي شِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيْطَاليَّة- نابولي، روما، ميلَان، البندقية، فلورنسا- بضَمِّ العَدِيْدِ مِن خصُوْمهِم المُجَاوريْنَ إليْهَا، ليَسوْدَ توَازُنٌ بالقوَى. وفِي ذلِكَ الهُدوْءِ النسْبِيِّ، جرَتْ تحَوُّلَاتٌ ضِمْنَ النُخْبَةِ الحَاكِمَةِ لإيطَاليَا: فبَاتَ سَادَاتُ المدُنِ أمَرَاءَ، وقادَةُ الموَاطنيْنَ أصْبَحوا مِنْ رِجَالِ الحَاشِيَة.

بيْدَ أنَّ كُلَّ شَيءٍ قَد تغيَّرَ بحُلوْلِ عَام 1494، عنْدمَا زحَفَ ملِكُ فرنسا بجَيْشِهِ عبْرَ إيطَاليَا مُطَالبًا بعرْشِ "نابولي". لَم تعتَرِضْ أيُّ قوَّةٍ أخْرَى تقَدُّمَه، واسْتقبَلَهُ سُكَّانُ "نابولي" بسَعَادَةٍ كمَلِكٍ جَديْدٍ لَهُم. وعلى إثْرِ هذِهِ الأحْدَاثِ، عمَدَ إلَى نَفْيِ الفلورنسيين عائِلَةُ ميديشي\* الحَاكِمَة. تكَشَّفَ ضَعْفُ أُمَرَاءِ إيطَاليَا أمَامَ الجَمِيْع، وبعْدَ ذلِكَ بخَمْسَةِ أعْوَام، سيْطَرَ ملِكُ فرنْسَا الجَدِيد على ميلَان بالقوَّة.

\*الحجل: هي طيور متوسطة الحجم تكون ما بين حجم طائر الدراج وطائر السمان. يضع الحجل نحو عشرين بيضة ويبني عشه على الأرض بين الأحراش والشجيرات، كما يتميز بقلة طيرانه، ويتراوح طول هذا الطائر حسب نوع السلالة ما بين 24-34سم.

\*رغيف اللحم: هو عبارة عن لحمة مفرومة، أو مقطعة ناعمًا، من لحم البقرعادة، تضاف لها التوابل ،وتوضع بقالب لتأخذ شكل رغيف خبز الصمون وتشوى.

\*سمك الترس: أو سمك الطربوت نوع من الأسماك المفلطحة الكبيرة التي تعيش على امتداد الساحل الأطلسي لأوروبا وفي البحر المتوسط. وتبدو هذه الأسماك من الجنب وكأنها مستديرة كالطبق.

\*المرزبانية: هي معجون اللوز المطحون الحلو، مع السكر، صفار البيض، غالبًا ما يضاف له ألوان وتصنع منه كعكات صغيرة أو حلويات.

\*عائلة ميديشي: أحد أشهر عائلات فلورنسا، والتي لعبت الدور الأهم في تاريخها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا. خرج من هذه العائلة ملكتان وثلاثة بابوات. مؤسسها جوفاني دي بيتشي دي ميديشي.

90 سُرعَانَ مَا انضَمَّت إسبَانيَا والإمْبراطورِيَّة الرومَانيَّة المُقدَّسة إلى سِبَاقِ الهيْمَنَةِ على التُرَابِ الإيطَالي، والتَحَقَت قوَّاتُ المُرْتزَقَةِ مِنْ جَميْعِ أنْحَاءِ أوروبا لاصْطِيَادِ الغَنيْمَةِ الدَسِمَةِ التِي يجِبُ إيْجَادُهَا بيْنَ المدُنِ الإيْطَاليَّة الأخَّاذَة. ولجِيْلَينِ كَامِلَين، ألحَقَتْ الجُيوْشُ الإسبَانية، الفِرنْسِيَّة والألمَانيَّة شكْلًا مِنَ الخرَابِ بإيطَاليَا التِي أوْجدَهَا البيْزنطِيَّون واللُّومبَارد\* قبْلَ ألْفِ عَام، وهكَذَا دخَلَ تاريْخُ إيطَاليَا الطَويْلِ المَلِيءِ بالانْقِسَامَاتِ والصِرَاعَاتِ وإرَاقَةِ الدِمَاءِ فَصْلًا جَديْدًا. لَحِقَ دمَارٌ كبيْرٌ بالريْفِ بسبَبِ الحَاجَةِ للمَوَارِد، وعَانَت مدنٌ عديْدَةٌ مِنَ الغَزْوِ والحِصَارِ الرَهِيْب، وفِي أيَّار مِن عَام 1527 استَسْلَمَت رومَا لقَدَرِهَا، فقَد تمَرَّد اللوثَريُّونَ الجِرْمَان\* الذيْنَ يُشَكِّلوْنَ الجُزْءَ الأكْبَرَ مِن جيْشِ الإمْبرَاطوريَّة الرومَاني المُقَدَّسة؛ فاقْتَحَموا أسْوَارَ روْمَا، لتبْدأَ ثمَانيَةُ أيَّامٍ مَحْمَومَةٍ مِنَ السَلْبِ والنَهْبِ للكنَائِسِ والأدْيِرَةِ وتَجريْدِهَا مِن كنُوزِهَا القَيِّمَة، لقَد دُنِّسَتْ حتَّى قبوْرُ البَابَوَاتِ السَابقِين المَوجوْدَةِ فِي كنيْسَةِ "سانت بطرس" خلَالَ بَحْثٍ عمَّا يُمْكِنُ سلبُهُ ونهْبُه، أمَّا الكَهَنَةُ فَقد قُطِّعَتْ أوْصَالهُم أو عُلِّقوا مِن أعْضَائهِم التَنَاسُليَّة، وقامَ الجُنوْدُ بتبَادُلِ الرَاهِبَاتِ الأسِيْرَاتِ أثْنَاءَ لَعِبِ نرْدِ الطَاوِلَة، وأُجْبِرَ الكَاردينَالَات على ارْتِدَاءِ ثيَابِ النِسَاءِ وتعَرَّضوا للاضْطِهَادِ أو التَعْذِيب حتَّى يكْشِفوا عَن أمَاكِنِ الأشْيَاءِ النفيْسَةِ المُخَبَّأَة، لَم يَسْلَم الموَاطِنوْنَ الذيْنَ نَجَوا مِن هذِهِ المذْبَحَةِ أيْضًا، فبعْدَ توَجُّهِهِم إلى الريْفِ قَامَ الفلَّاحوْنَ بقَتْلهِم أو سَلبِهِم على التِلَال. لَم يتَغيَّر هذَا الحَالُ فِي رومَا حتَّى بعْدَ مروْرِ عَشْرَةِ أشْهُرٍ على ذلِكْ؛ سِوَى أنَّها أصبحَتْ أرْضًا مَهجوْرًة. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْطُرَ على بَالِ أُمَرَاءِ إيطَاليَا إثْباتًا أكْثَرَ رُعْبًا عَن مدَى ضَعْفِ مدُنهِم الآنْ.

**مجموْعَةُ الأطْبَاقِ الثَالِثَة**

104 مِن طيوْرِ الحَجَلِ مَنزوْعَةُ العَظْمِ ومَشْويَّة، مَعَ "الصَلصَةِ المَلَكِيَّة" المُكَوَّنَة مِنَ السُكَّر، الخَل والتَوَابِل: 25 طبقًا.

23 أرْنَبًا، 104 يمَامَة، نقَانِقٌ صفرَاءٌ كبيْرَةٌ مقَطَّعَةٌ قِطَعًا سَمِيْكًة: 25 طبقًا.

كانَت النَقَانِقُ الصَفْرَاءُ تُحَضَّرُ مِن لَحْمِ الخِنْزِير،

-----------

\*اللومبارد: هم شعوب جرمانية حكموا معظم شبه الجزيرة الإيطالية من سنة 568 إلى 774.

\*اللوثريون: اللوثرية مذهب البروتستانتية يرجع تأسيسه إلى مارتن لوثر والذي كان راهبا حاول في القرن السادس عشر القيام بحركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية فأدى ذلك لاصطدامه مع القيادات الكاثوليكية فانفصل عنها وأسس كنائس مستقلة ذات تنظيم وإدارة جديدة عرفت بالكنائس الإنجيلية أو البروتستانتية.

------

91

جُبْنُ بيَاتشنْزَا (أحَدُ تنَوُّعَات جُبْنَة البَارمِيزَان) ، والبهاَرَات. لقَد قُسِّمَ مَا يُقَارِبُ الأحَدَ عشَرَ رطْلًا بيْنَ الـ25 طبَقًا.

25 ديْكًا مُسَمَّنًا مَنزوْعَ العَظْمِ، يُحْشَى على طَريْقَةِ اللُّومبَارد ويُطْهَى فِي المَرَقِ مَعَ 25 مِن شَرَائحِ السْلَامِي (البَاسْطِرمَة): 25 طبقًا.

تحتوي الحَشْوَةُ على الجُبْن، البَيْض، الأعْشَاب العِطْريَّة، الفُلفُل، الزَعْفَرَان، دُهْنِ الخِنْزير، وفُتَاتُ الخُبْز.

104 حمَامَة مقْلِيَّة تُوْضَعُ شرَائِحُ ثِمَارِ الأُتْرُج (الكبَّاد) فوْقَهَا: 25 طبقًا

104 مِن فياندوتشيلي نُخَاعُ العَظْم: 25 طبقًا.

إنَّ الفياندوتشيلي هو عبَارَة عَن مُعجَّناتٍ مَقليَّةٍ معَ حشْوَةٍ مِنَ الزبيْبِ المَطْهِيِّ فِي النَبيْذِ ونُخَاعِ العَظْم، الجُبْنِ القاَسِي المَبْشُور، صَفَارِ البَيْض، السُكَّر والقِرْفَة. وبعْدَ قَلْيِهَا تُضَافُ لهَا طبَقَةٌ سميْكَةٌ مِنَ العسَلِ والسُكَّر.

25 طبَقًا مِن سمَكِ الأنْقِلِيس (ثعبَانُ البَحر) الطَازَج كبيْرِ الحَجْمِ مشْوِيًّا، وتُضَافُ لَهُ القِرْفَة والسُكَّر.

150 سمَكَةُ قوبيون مقْليَّة تُضَافُ لهَا الصَلصَة الحُلوَة، وتُرَشُّ فوقَهَا حبَّاتُ الصَنوبَر والفَاكِهَةُ المُجَفَّفَة.

إنَّ ذلِكَ التنَوُّعُ اللُّغَوِيُّ فِي التَارِيْخِ الإيْطَالِي، مَضروْبًا بتَنَوُّعِهِ البِيْئِي وفَنِّ تذَوُّقِ الطَعَام، يُسَاوِي العديْدَ مِنَ الألغَازِ اللُّغَويَّةِ بالنِسْبَةِ لمُؤَرِّخِي الطَعَامِ الإيطَالِي، وغَالِبًا مَا تُمَثِّلُ أسْمَاءُ الأسْمَاكِ العِبْءَ الأثْقَل مِن بيْنِهِم جميْعًا. واجَهَ "بلَاتينا" المُشْكِلَةَ الإضَافيَّةَ للتَرجَمَة عَن اللُّغَةِ اللَّاتيْنِيَّة، الأمْرُ الذِي فاقَمَ الصُعوْبَاتِ لدَرَجَةٍ كبيْرَةٍ حتَّى إنَّهُ كادَ أَنْ يسْتَسلِم: "كنْتُ قَد اتَّخذْتُ قرَارِي بالتَحَدُّثِ عَن الطبيْعَةِ وخصَائِصِ الأسْمَاك، لكنَّهَا أربَكَتْنِي وتغيُّرُ أسمَائِهَا المُتَوَاصِلِ قَد هزَمَنِي". إنَّ أسْمَاكَ القوْبِيين المَذكوْرَة هُنَا لهَا عِدَّةُ أسمَاءَ مُختَلِفَةٍ بمنَاطِقٍ متَنَوِّعَة، ومصْطَلَحُ مسيسيبو "انْطَلِق" موجُوْدٌ فقَط فِي لهَجَاتِ البُنْدقيَّة وفيرَارَا.

25 طبقًا مِن سمَكِ السَلَمون المُرَقَّط على طريْقَةِ مديْنَةِ "كوماكيو" مطْهيَّة فِي المَرَق، لَم يُعْطِ "مسيسيبو" وصفَةَ هذَا الطَبَق(92) َغيْرَ أنَّ مديْنَةَ "كوماكيو" كانَت مصْدَرَ الكثيْرِ مِنَ الأطْعِمَةِ البَحْريَّةِ لفيرارا، وخصوْصًا سَمَكَ الإنقليس الذِي حَظِيَ بمَوْضِعِ تقدِيْرٍ كَبيْرٍ ولَاتزَالُ المديْنَةُ مَشهوْرًة بهِ حتَّى يومِنَا هذَا، كمَا أنَّ بُحَيرَاتِهَا الشَاطِئيَّة قَد زوَّدَتْهَا بالمِلْحِ لأجْلِ اللُّحوْمِ المُصْطَادَة.

25 طبقًا مِن سمَكِ الجِلْكِي\* المَشْوِيِّ وتُضَافُ إليْه صَلصَتُهُ ذاتُهَا.

كانَت الأسْمَاكُ تُزَيَّنُ بالقرُنْفُلِ والقِرْفَةِ قبْلَ شَوْيِهَا، وتمَّ إعدَادُ الصَلْصَةِ مِن مزيْجٍ سَاخِنٍ مُكَوَّنٍ مِن دِمَاءِ سمَكِ الجَلكِي، الخَل، القِرفَة، السُكَّر، المِلح، والعُصَارَاتِ التِي تسَاقَطَت أثْنَاءَ الشِوَاءَ.

**الخُبْزُ وَالثُوْم**

تنَاوَلَ الدُوْق "ألفونسو" طعَامَهُ على مائِدَةٍ مُنْفَصِلَةٍ بصُحْبَةِ "رينيه" زوْجَةِ ابنِهِ الجَديْدَة، ومعَهُمَا أخْتهُ "إيزابيلَا دي إيستي" التِي أخذَتْ مكَانَ زوجَتهِ الرَاحِلَة، أو كمَا يَدعوْهَا "ميسيسبوغو" بـ"أشَدُّ ماركيزَاتِ مانْتوفَا ألَقًا". لقَد كانَت مِنْ أكثَرِ النِسَاءِ شُهْرًة فِي عَصْرِ النَهْضَة.

حوَّلَتْ "إيزابيلَا" مديْنَةَ زوْجِهَا "مانتوفا" إلى واحِدةٍ مِن مرَاكِزِ العِلْمِ والفَنِّ فِي أوروبا، ولعلَّهَا جَسَّدَت مِثَاليَّةَ المَحْكَمَةِ الإلهِيَّةِ المُصْلِحَةِ أكْثَرَ مِن أيِّ أحَدٍ آخَرَ فِي عَصْرِهَا، لقَد كانَت رائِدَةَ المَوْضَةِ فِي الملَابِس، الأدْويَة ومُسْتحضرَات التَجْمِيل، فرقصَتْ وغنَّتْ وعزَفَتْ الموسِيقَا، وخرَجَتْ برَحَلَاتِ صَيْد. كانَتْ خَبِيرًة أيْضًا بالكتُبِ والمَخطوْطَات، المَنْسُوجَاتِ المُزَخْرفَة والسَاعَات، المُجَوهرَات والنُقُود، التُحَفِ القديْمَة وأعْمَالِ الفَنِّ المُعَاصِرة، فمَجَّدَتْهَا لوحَاتُ "ليوناردو"، "مانتينيا\*" و"تيتيان"، وكلمَاتُ "أريوستو"، "بيمبو" و"كاستيليوني\*". إنَّ "إيزابيلَا" كذَلِكَ سياسيٌّة مُحنَّكَة فغَالبًا مَا حكَمَت "مانتوفا" أثْنَاءَ غِيَابِ زوْجِهَا- بَل قَامَت بالأَمْرِ بشَكْلٍ أفْضَلَ مِنْهُ بكَثِير. عادَ حُكْمُ "مانتوفا" إليْهَا تارًة أخْرَى عنْدَمَا أوْدَى مرَضُ السِفْلسِ بحيَاةِ زوْجِهَا عَامَ 1519، فأدَارَت الحُكْمَ فِي المَديْنَةِ حتَّى بلغَ ابْنُهَا مَا يكْفِي مِنَ العُمُرِ لاسْتِلَامِ حقِّهِ الشَرْعِي.

تنقَّلَتْ "إيزابيلَا" بأسْفَارِهَا كثِيْرًا، فذهبَتْ إلى روما لمُشَاهَدَةِ الآثَارِ ومُحَاوَلَةِ تأميْنِ منْصِبِ كاردِينَالٍ لابْنِهَا الثَانِي بالوقْتِ الذِي اجْتَاحَت القوَّاتُ الجِرْمَانيَّة المَدِينَة، فَحُوصِرَت فِي منْزِلِهَا لثَمَانِي ليَالِي واقْتصَرَ طعَامُهَا على الخُبْزِ والثُوم، وقَد قَالَت إنَّ تلكَ الصَدْمَةَ ستُلَازِمُهَا بقيَّةَ حيَاتِهَا.

----------

\*سمك الجلكي: هي فقاريات بدائية مستديرة الفم تفتقر لوجود فك، بينما تمتلك فمًا ماصًا قمعي الشكل يحتوي على أسنان، بحيث يتعلق بأجساد أسماك أخرى، ويمتص دماءها.

\*أندريا مانتينيا: ولد الرّسام و النقّاش الإيطالي أندريا مانتينيا في العام 1431 في إيزولا دي كارتورا و توفي في جمهورية البندقية العام 1506, يعدّ مانتينيا الأول في شمال إيطاليا من حيث انتمائه بالكامل إلى فن عصر النهضة.

\*بالداساري كاستيليوني: كان رجل بلاط إيطاليًا ودبلوماسيًّا وجنديًّا ومؤلفًا بارزًا من عصر النهضة.

93 كانَت "إيزابيلَا" أحَدَ أهَمِّ الضُيُوْفِ على العَشَاءِ فِي التَارِيْخ، لكِنَّ "ميسيسبوغو" لَا يَرْوِي لنَا شيْئًا مِنَ الحَديْثِ الذِي تبَادَلَتْهُ معَ الدُوق "ألفونسو" و"رينيه"، ولَا سِجِلَّ بحَوْزَتِنَا عَن القوَاعِدِ العَامَّةِ للمُحَادثَة التِي جرَتْ خلَالَ مَأدُبَةِ بِلَاطِ عصُوْرِ النَهْضَة، وحتَّى أكثَر دليْلِ شُهْرَةٍ لآدَابِ السُلوْكِ اللَّائِقِ "رجُلُ البِلَاط" الذِي كتبَهُ "بالداسار كاستيجلوني\*"، وهوَ مِن نفْسِ مديْنَةِ "إيزابيلَا"، لَا يُعْلِمُنَا بشَيء. فِي الوَاقِعِ، لعَلَّ الصَمْتَ على الأرْجَحِ هوَ الذِي سَادَ المَوْقِفَ ذلِكَ اليَوْمَ بيْنَ الثلَاثَة، لَا سِيَمَا وأنَّ "رينيه" تتكَلَّمُ القَليْلَ مِنَ الإيْطَالية، أمَّا "إيزابيلَا" وأخوْهَا فلَا يتحَدَّثانِ الكثيْرَ مِنَ الفِرَنْسِيَّة.

استمَرَّ طعَامُ "مسيسيبو" بالتوَافُدِ بِلَا هوَادَة.

**مَجموْعَةُ الأطْبَاقِ الرَابِعَة**

مَاعِزٌ صَغيْرٌ كَامِلٌ مَحْشِيٌّ ومَشْوِي: 25 طَبَقًا.

25 طَبَقًا مِن حَسَاء الكابيروتا المُقَدَّمِ على حَشْيَةٍ مِن البَرشِيتَا ولَحْمِ الدِيَكَة.

إنَّ الكابيروتا هوَ مَعجوْنٌ ناعِمٌ مُعَدٌّ مِن خَليْطٍ مَطحوْنٍ ومُصَفَّى مِن الجُبْنِ القَاسِي، الثُوْم، لَحْمِ الدِيَكَةِ المَسْلُوق، صفَارِ البَيض، الزُبْدَةِ والمَرَقِ الدَسِم.

تمَّ طَحْنُ 29 ديْكًا مَسْلُوقًا حتَّى أصْبَحَتعَجِينيَّة القَوَام، وغُطِّيَت هَذِهَ العَجِيْنَة بفَطَائِرٍ صَغِيْرَةٍ مَحْشيَّةٍ تمَّ قلْيُهَا: 25 طَبَقًا.

104 حمَامَة مشْويَّة ومَحْشِيَّة على طريْقَةِ اللُّومبَارد وغُطِّيَتْ بصَلصَةٍ فرنْسِيَّة: 25 طَبَقًا.

لقَد صُنِعَت الصَلصَةُ الفَرَنْسِيَّةُ مِنَ التُفَّاحِ المَطْهِيِّ على صَاجِ الخُبْز، والبَصَلِ الذِي تمَّ طَهْيُهُ مِن تَقَاطُرِ الدُهْنِ مِنَ الشِوَاءْ، تَمَّ سَحْقُ هذَيْنِ المُكَوِّنَينِ بعْدَ ذلِك، أُضِيْفَ النَبيْذُ الأحْمَرُ والقَليْلُ مِنَ الخَلِّ قبْلَ أَنْ يُصَفَّى الخَليْطُ ويُغْلَى معَ السُكَّر، البَهَار، الزَنْجَبيل، القِرْفَة وجَوْزَةِ الطِيْب، وأُضِيْفَت شَرَائِحُ اللَّيموْنِ قبْلَ التَقْدِيم.

50 قِطْعَة مِن سَمَكِ الرُمْح (الكَراكِي) أُضِيفَت لهَا الصَلصَة المَلَكِيَّة الصَفْرَاء: 25 طَبَقًا.

94

يُخْبِرُنَا "مسيسيبو" أنَّ الصَلصَة المَلَكِيَّة الصَفْرَاء تُحَضَّرُ بخَليْطٍ وفْقَ نِسْبَةِ 1:2 مِنَ اللَّوْزِ المَطْحُونِ وفُتَاتِ الخُبْزِ المَعجوْنِ بمَاءِ الوَرْد. تُطْهَى هذهِ المقَادِير بعْدَ ذلِكَ معَ السُكَّر، القِرفَة، حَبَّات الصَنوبَر، الزَبِيب، الزَعْفَرَان، وصَفَار البَيْض المَسْلوق حتَّى يُصْبِحَ قاسِيًا، قبْلَ أَنْ يتِمَّ طحْنُهَا مرًّة أُخْرَى وتخْفِيفُهَا بالنَبيْذِ الحُلو.

50 سمَكَة سَلَمون مَطْهِيَّة بالنَبِيْذ على الطَريْقَةِ الهِنْغَاريَّة، وتُقَدَّمُ فوْقَ حَشْيَةٍ مِنَ الخُبْزِ المَنْقوعِ بالمَرَق: 25 طَبَقًا.

تُعَدُ هذهِ وصْفَةُ نَقْعٍ بالتوَابلِ أكثَرَ تطَوُّرًا، فقَد تمَّ قلْيُ السَمَكِ بالزَيتِ الجَيِّد معَ البَصَل المَفروْمِ ناعِمًا، وحُضِّرَ مَزيْجٌ مِنَ النبيْذِ الحُلوِ والمَاء، وأثنَاءَ إضَافَةِ النَبيْذِ والخَلِّ، أُزِيْلَ الزبَدُ بعِنَايَةٍ أثنَاءَ طَهْيِهَا على نَارٍ هادِئَة، ثُمَّ أُضِيفَ العَسَلُ والزَبيْبُ والقِرفَةُ، البَهَارُ والزَعْفرَان وأخْيرًا التُفَّاحُ المَفْروم.

25 سمَكَة ترس مقْليَّة مُغَطَّاة بثَلَاثَةِ أنْوَاعٍ مِنَ الصَلصَة مُلوَّنَة بذَات ألوَانِ رايَةِ الدُوْق "ألفونسو".

كانَت ألوَانُ عائِلَةَ "إيستي" هِيَ الأحْمَر، الأبْيَض، والأخْضَر. أمَّا الصَلَصَاتُ فهِيَ مِن نوْعِ صَلصَةِ تشانتي\* مُعَدَّة مِن التَوَابِل، بذوْرِ الخَرْدَلِ والسُكَّر. حُضِّرَت الصَلصَةُ البيْضَاءُ مِن اللَّوزِ المَطْحون، فُتَاتِ الخُبز، مَاءِ الحُصْرُم، مَاءِ الوَرد، وعصيْرِ اللَّيمون، والصَلصَة الثَالثَة غَيْر مَعْروفَة المَقَادِير.

150 سمَكَةُ رَنَّة كبيْرَة مقْلِيَّة، مُغَطَّاة بشَرَائِحِ البُرتُقَالِ والسُكَّر: 25 طَبَقًا.

25 كَعْكَة فاصُوليَاء.

إنَّ الحَشْوَةَ عبَارَة عَن حبَّاتِ الفَاصوليَاء، جُبْنٍ قَاسٍ، زبْدَة، سُكَّر، قِرْفَة، فُلفُل، بَهَار، زنْجَبِيل، وبَيْض. لقَد حُضِّرَت الكَعْكَةُ لتَبْدو فِي هذِهِ الحَالَة شَبِيْهًة بالفَطِيرَة وذلِكَ عَبْرَ إضَافَةِ الغِشَاءِ الشَحْمِيِّ لبَطْنِ العِجْلِ أو الخَروْف.

104 مِن فطَائِرِ المُهَلبيَّةِ المَقْليَّةِ مَحْشُوةٍ بالأَرُزِّ على الطَريْقَةِ التُرْكِيَّة.

يطهى الأَرُزُّ على الطَريْقَةِ التُرْكِيَّة على نَارٍ هَادِئَةٍ بحَليْبِ البَقَرِ والسُكَّرِ والزُبْدَة مَعَ القليْلِ مِن مَاءِ الوَرد، حَيْثُ يُضَافُ المزيْدُ مِنَ السُكَّرِ عنْدَ النِهَايَة.

-----------

\*تشانتي: طبق من خليط الخضروات والتوابل حار يستخدم كعنصر مرافق للطبق الرئيسي.

95 لقَد مهَّدَت الفَوضَى السياسِيَّة العسكريَّة التِي أعقبَت نَهْبَ روما الطريق أمَامَ توطيْدِ تحالُفَاتِ الأُسَرِ الملكيَّة، كانَ قَد سبَقَ للعَائِلَاتِ الإيطاليَّةِ الكُبْرَى أَن سَعَت ذَاتَ مرَّةٍ للتزَاوجِ في مَا بيْنَها- مثْلَ ارتبَاطِ "إيزابيلَا دي إيستي" بعَائلةِ "غونزاغا" الحَاكمَةِ لـ"مانتوفا"، وذَاتَ الحَال بالنسْبَةِ لزوْجَةِ الدُوْق "ألفونسو" الراحِلَة "لوكريزيا بورغيا" التِي كانَت ابنَة البابَا ألكسندر السادس (وعشِيقتَه، وفْقًا لبعْضِ التقَارير)، بيْدَ أنَّ العرَائِسَ الأكثَر أهَميَّة سياسيَّة فِي تلكَ الأيَّام كُنَّ يَأتِيْنَ مِن إسبانيا وفرنسا، فـ"رينيه" نفْسَها كانَت قَد عُرِضَتْ فِي سوْقِ زوَاجِ الأُسَرِ الحَاكمَة الأورُوبِّي وهِيَ في الثانيَةِ مِن عمُرهَا، وحتَى في صَيْفِ عَام 1527، عنْدمَا كانَت التفَاوضَاتُ معَ "فيرارا" على قَدَمٍ وسَاق، وصَلَ عَرْضُ مُضَارَبَةٍ مِن مَلِكِ بريطانيا "هنري الثامن".

(هناكَ قصَّةٌ تناقلتْهَا الألسُنُ كثِيْرًا، بأنَّ إحْدَى هذهِ الزيْجَاتِ الدوليَّةِ، التِي عُقِدَتْ بيْنَ كاترينا دي ميسي وهنري السابع مَلِكِ فرنْسَا في سنَةِ 1533، قَد أدَّت إلى تَصديْرِ خِبْرَةِ المطْبَخِ الإيطالي إلى فرنسا. ولهَذَا، يَدَّعِي الإيطاليُّونَ أنَّهُم مَن علَّمَ الفرنسيِّين الطَهْي. فِي الواقِع، لَا أسَاسَ لهَذهِ القِصَّة).

نجَحَ الدُوق "ألفونسو" بتَسديْدِ ضربَةٍ دبلومَاسيَّةٍ موفَّقةٍ عبْرَ تزويجِهِ لابْنهِ مِن "رينيه"، ومِن شَأنِ هذَا الزَوَاج النَاجِح كمَا أَمِلَ، أَن يَعوْدَ عليْهِ بمُقَابِلٍ مُجْزٍ- فلَن يتمَّ تأميْنُ مَنْطقَةِ نفوذِهِ فَحَسْب مِن تهدِيْدَاتِ البَابَا والامْبرَاطور، بَل قَد يُمنَحُ الزوْجَانِ حَديْثَا العَهْدِ مُقَاطعًة شَاسِعًة مِن المنَاطِقِ التِي أخْضَعَهَا الفرنسيون فِي شمَالِ إيطاليا. كانَ اقتِرَانُ "إركولي" بـ"رينيه" وَاعِدًا بمُسْتقبَلٍ مَجيْدٍ لعشيْرَةِ "إيستي"، فسَّرَتْ تلْكَ الاحْتفَالَاتُ التِي بدأَت بالصَيفِ المُنصَرم فِي باريس، وكذَلِك المسْتوَى الهَائِل للمَأدُبة التِي أُقِيمَت فِي الرابِعِ والعِشْرين مِن حُزيْرَان عَام 1529؛ آمَالَ السُلَالة الحَاكِمَة للدُوْق، والتِي أوصَلَتْهُم إلى خِتَامٍ رَائِعٍ كمَا يَجِب.

بيْدَ أنَّ آمَالَ الدُوْق "ألفونسو" ذهبَتْ مهَبَّ الرِيْح، ولَابُدَّ أنَّه أدْرَك خِلَالَ تنَاولِهِ العشَاءَ أنَّه اختَارَ الحَليْفَ الخَاطِئ؛ فأثنَاءَ عَودَةِ الزوجَينِ بمَوكبٍ بهيْجٍ مِن "باريس" إلى "فيرارا"، كانَت السُلطَةُ العسْكريَّةُ الفرنسيَّةُ تنْهَارُ بالفِعل، وأمْسَت هيمَنَةُ إمْبراطوريَّة هابسبورغ\*، واتِّحَادُ إسبانيا وألمانيا، قدَرًا مَحْتومًا على إيطاليا.

وقبْلَ انْقِضَاءِ العَام، اضْطُرَّ الدُوْق "ألفونسو" للذَهَابِ إلى "بولونيا" لتَقديْمِ فروْضِ الطَاعَةِ للإمْبرَاطور واسْتِجدَائِهِ لأجْلِ مِنْطَقَةِ "دوقيته"، شرَعَ "ميسيسبوغو" بمُرافقَتِهِ، ولتَيسِير المفَاوضَات الحَاسِمَة، قامَ الدُوق "ألفونسو" الخَادِمُ المُخْلِصُ بتَزْويِدِ البَابَا والإمْبرَاطور بـ"الأسْمَاك، الطُيور، المَوَاشِي، وغيْرِهَا مِن المَوَادِ الغذَائيَّة" خِلَالَ فتْرَةِ إقَامَتِهِمَا، فمنَحَهُ الإمْبرَاطور لقَبَ "كونت" لِقَاءَ خَدمَاتِه.

--------- \*إمبراطورية هابسبورغ: شملت ملكية هابسبورغ جميع المناطق التي حكمها الفرع الأصغر من عائلة هابسبورغ النمساوية ومن ثم من قبل عائلة هابسبورغ لورين وبين 1526 و1867. كانت عاصمة الإمبراطورية فيينا باستثناء 1583-1611 عندما نقلت إلى براغ.

96 احْتفَظَ الدُوْق "ألفونسو" بأرَاضِيه، وبالمُقَابلِ تخَلَّى عَن أموَالٍ طَائِلةٍ وعَن تحَالُفهِ مَع فرنسا، لَم تَعِ "رينيه" جيِّدًا هذَا التَبَدُّلَ المُفَاجِئ فِي الوِجْهَةِ السَيَاسيَّة، كانَت امْرأًة فَطِنًة صعْبَةَ المِرَاس، وفَخورًة إلى حَدِّ الأنفَة بخَلفِيَّتِهَا الفَرَنسيَّة المَلَكيَّة، فلَاقَى البِلَاطُ الملَكِيُّ بـ"فيرارا" صُعوبًة بدَمْجِهَا. فِي غُضوْنِ بضْعةِ أشْهُرٍ على المَأدُبَة، تجَرَّعَ الدُوْق "ألفونسو" الأمرَّيْن بسبَبِ الإنْفَاقِ المُستهْتِرِ لحَاشِيَةِ "رينيه" الجَامِحَة- دعَاهُم أحَدُ المؤَرِّخين بـ" المَافيَا عديْمَةِ الضَمِير". ستَجْعلُ عروْسُ "إيركولي" الجديْدَة مِن نفْسِهَا أدَاًة للسياسَةِ الفرنسيَّة في إيطاليا، وسَيغْدو أتبَاعَهَا فَرْعًا مِن البِلَاطِ الفَرنْسيِّ فِي المَنْفَى.

**أشْيَاءُ فلَّاحِيَّة**

يكَادُ يكوْنُ مِن المُستحيْلِ فِي أيَّامِنَا هَذِهِ ألَّا نَشْعُرَ بالاشْمِئزَازِ مِن مَأدُبَةِ "مسيسبوغو" التِي لَا طَائِلَ منْهَا. فَوِفْقًا لذَوْقِنَا، فإنَّ كميَّاتُ السُكَّرِ فِي أطبَاقهِ تُسَبِّبُ الدُوَارَ، ويَبْدو امْتِزَاجُ الحُلْوِ والمَالِحِ خليْطًا مُنَفِّرًا. إنَّ مُجرَّدَ التفْكِيرِ بسمَكِ الكراكي المُمَلَّحِ معَ الصَلصَةِ المَلكيَّةِ الصَفرَاءَ يُصيْبُ بالغَثيَان، غيْرَ أنَّ أكثَر شَيءٍ كريْهٍ فِي تلْكَ المَأدُبَة هوَ الإسْرَافُ الهَائِل، ووفْقًا لعمَليَّةٍ حِسَابيَّةٍ تَقريْبيَّةٍ، فإنَّهُ إذَا تناوَلَ الضيوْفُ البَالِغُ عدَدَهُم 104 نَصيْبَهُم كامِلًا مِن الـ104 أطبَاق المذْكورَة آنِفًا، فسَيكوْنُ كلُّ واحِدٍ منْهُم قَد استَهْلكَ التَالِي: ثمَانِي عشْرَة قِطْعَة كبيْرَة مِن إحدى عشْرَة سمَكَة مُخْتلِفَة، وثلَاثةَ طيوْرٍ كامِلَةٍ بحَجْمِ الديْكِ أو الدَرَّاج، وخَمْسَةَ طيوْرٍ أُخْرَى صَغيْرَةٍ كاليَمَام، وأربَعَ نقَانِق، أو شرَائِحِ السلَامِي، أو لَحْمِ الخِنزيْر، أربَعَ عشْرةَ فطيْرَة أو مُعَجَّنَة صغيْرَة أو أجْزَاءَ مِن الكبيْرَةِ منْهَا، بالإضَافَةِ إلى مجموْعَةٍ مُتنَوِّعَةٍ مِن المُهَلبيَّة، الفطَائِرِ المَقْليَّة، السَلطَات وغيْرَهَا.

ولَاتزَالُ هنَاكَ أربَعُ مَجمُوْعَاتٍ منَ الأطبَاقِ في طَريقِهَا إلى المَائِدَة، فَضْلًا عَن حِصَّةٍ كَبيْرةٍ مِن الحَلوَى، ووَجْبةِ طعَامٍ صبَاحيَّةٍ خفيْفَةٍ مِن الفاكِهَةِ بالسُكَّر والقَطَر.

اسْتمرَّت المأدُبَة حتَّى صبَاحِ اليَومِ التَالِي، قامَ الخدَمُ بإزالَةِ الفَوضَى عَن المَائِدَةِ مرَّتَين، ونزَعُوا قِطْعةَ القُماشِ العُلويَّة، تاركيْنَ النَظيْفةَ منْهَا مَكشوْفًة لأمَاكِنِ أطْعِمَةٍ طازَجَة. وصَلَتْ تمَاثيْلُ سُكَّرٍ أُخْرَى، لتَعْرِضَ مشَاهِدَ جَديْدًة عَن بُطولَاتِ هِرَقل. كانَت هُناكَ وسَائِلُ تَرفيْهٍ حَدِيْثَة: مُهَرِّجونَ مِن البُندقيةَّ وبيرماغو، و مُمَثِّلونَ مَشهورون ارتدَوا ثيَابَ شَخْصٍ ريفِيٍّ أخْرَقَ ورَاحوا يُغَنُّونَ أغَانِي ويُجْرُوْنَ حِوَارَاتٍ هزَليَّةٍ عَن "أشيَاء فلَّاحِيَّة" كمَا وصَف "ميسيسبوغو".

97 فِي نهايَةِ الوليْمَة، أُجْرِيَ سَحْبٌ لليَانَصِيب، تمَّ سحْبُ الأسْمَاءِ مِن قالَبِ فطَائِرَ مُذَهَّبٍ ضَخْمٍ ومُنِحَت المُجَوهرَاتُ وقِطَعُ الحُلِيِّ للفَائزِيْن، ثُمَّ بدَأَ الرَقْص.

مِنَ السَهْلِ أَن تفْزَعَ مِن تَصَرُّفَاتِ "آل إيستي" بذَاتِ القَدْرِ الذِي يجْعَلُكَ طعَامُهُم تشْعُرُ بالاشْمِئزَاز. إنَّ عظمَتَهُم التِي تبَاهوا بهَا كثيْرًا تبْدُو مُبْتذلًة ومُتَحَجِّرًة أخْلَاقيًّا مُقَابِلَ خلفيَّةٍ مِن الجُوْعِ والمُعانَاةِ الشَديْدَة. إنَّ "الأشْيَاءَ الفلَّاحِيَّة" الحَقيْقيَّة بأذهَانِ سُكَّانِ الريْفِ فِي القَرْنِ السَادِسِ عشَر مَعْنيَّةٌ بالوَضْعِ الاقْتصَادِي غيْرِ المُسْتَقِر، لقَد تدَهْورَ الوضْعُ الغِذَائِي للفلَّاحِين معَ ازْدِيَادِ عِبْءِ إمْدَادِ حيَاةِ البِلَاطِ المَلَكِي، والطلَبِ الدَائِم على المزيْدِ مِنَ الحُبوْبِ مِن الريْفِ لإبقَاءِ رَغيْفِ الخُبْزِ فِي مُتَنَاوَلِ يَدِ سُكَّانِ المديْنَةِ العَاجزيْنَ والحَسَّاسيْنَ سيَاسِيًّا. لقَد تدهْوَرَ الوضْعُ الغِذَائِيُّ للفَلَّاحِين: وأصْبَحَ اللَّحمُ ومُنْتجَاتُ الحَليْبِ أقَل، بينمَا ازدَادَ تَنَاوُلُ عَصيْدَةِ الذُرَة والخُبْزِ المَصنوْعِ مِنَ الحُبوْبِ الرَديْئَة. جرَّتْ هذهِ الاضْطرابَات السِياسيَّة أحْدَاثًا متَكرِّرًة مِنَ الحَرْبِ، المَجَاعَة، الأوبِئَة والفيَضَانَات إلى البيْئَةِ الحَسَّاسَة لدِلْتَا نهْرِ "بو" الذِي كانَ مصْدَرَ موَارِدِ "فيرارا".

لكِنَّ هذَا الفُحْشَ الجَلِيَّ بالحيَاةِ الرغيْدَةِ فِي "فيرارا" لَم يَظْهَر بالطَبْع نتِيجًة للإخْفَاقَاتِ الأخْلَاقيَّةِ فقَط لأولئِكَ المُستَفيديْنَ منْهَا أكثَر، فالعَظمَةُ تَخُصُّ نظَامَ الحُكْم، وحتَّى الحَجْمُ الهَائِلُ مِن الطعَامِ الذِي أعَدَّهُ "ميسيسبوغو" هوَ جزْءٌ مِن ذَلِك. أُجْلِسَ كلُّ ضَيْفٍ بمكَانِهِ الذِي اخْتِيْرَ لَهُ بعِنَايَةٍ وفْقًا لمنْزِلَتِه، حَيْثُ يتفَاوَتُ كلُّ مَكَانٍ حَسْبَ مَا هوَ مُقَدَّرٌ لَه بدُنُوِّهِ مِنَ الأطْبَاقِ الفَاخِرَة، لقَد طَالَ الأمْرُ حتَّى أكثَرَ الجوَانبِ التَافِهَة، إِذْ تلَاعبَ الدُوْقُ بإثَارَةِ الغيْرَةِ بيْنَ رِجَالِ الحَاشِيَةِ- النُبَلَاءِ القُدَامَى وأُولَئِكَ الذيْنَ اشْتَرَوا ألقَابَهُم لتُسَاعِدَهُم على دَفْعِ تكَالِيْفِ هَذهِ العَلَاوةِ الهَائِلَة، أمَّا بقَايَا المَأدُبَةِ فقَد خُصِّصَتْ لإطْعَامِ الأنْسِبَاء، التَّابعِين والخَدَم. إنَّ الولَائِمَ الكُبْرَى هِيَ الطريْقَةُ الأكْثَرُ حَيويًّة للاحْتفَالِ والتَهويْلِ بقُدْرَةِ الدُوْق على تَوزيْعِ المُسَاعدَات، ذلِكَ الإحْسَانُ الذِي جمَعَ مَدِيْنَةَ "فيرارا" وأُسْرتهَا الحَاكِمَة سَويًّة.

أخذَتْ عائِلَةُ "إيستي" على عَاتِقَهَا مسؤوْليَّةِ الحِفَاظِ على مَكَانَةِ مَدِيْنَةِ "فيرارا" مسْتقِلَّة، ولكِنْ برَغْمِ قوَّتِهَا إلَّا أنَّ حُريَّة قرَارِهَا هو أقَلُّ ممَّا نتَصَوَّر، كانَت هنَاكَ الكثيْرُ مِنَ الأخْطَارِ المُحْدِقَة، فعَلَى سَبيْلِ المِثَال، خِلَالَ الأسَابيْعِ القليْلَةِ التِي أمْضَاهَا الدُوْق بعِيْدًا عَن "فيرارا"، لأَجْلِ لِقَاءِ زَوْجَةِ ابْنِهِ الجَديْدَةِ عَام 1528، نجَا مِن مُحَاولَةِ انْقلَابٍ وتجَنَّب كَمِيْنًا للإيْقَاعِ بِه. فِي الحَقِيْقَة، وخِلَالَ السَنَةِ الأوْلَى مِن حُكْمِه، كشَفَ عَن مؤَامَرَةٍ لاغْتِيَالهِ دبَّرهَا اثْنَانِ مِن أُخْوَتِه، وفِي الوقْتِ الذِي أُقِيمَت فيْهِ المَأدُبَة، أَي بعْدَ خمْسَة وعِشريْنَ عامًا، كانَ الأَخَوَانِ المُتَآمِرَانِ لَا يزَالَانِ حَبِيسَا القَلْعَة ولَا تفْصِلهُمَا عَن القَاعَةِ الرئيْسِيَّة سِوَى المسَافَةِ التِي يُسْمَعُ خِلَالهَا صُرَاخَهُمَا.(98) كانَ الطعَامُ يُلْقَى إلى أعمَامِ العَريْسِ عبْرَ كُوَّةٍ صَغيْرَةٍ فِي الجِدَار، ووَسيْلَةُ ترْفِيهِهِمَا الوَحيْدَةُ هيَ المُرَاقبَةُ عَبْرَ نافِذَةٍ عاليَةٍ فِي زِنْزَانَتِهِمَا، حَيْثُ يَأْتِي ويَذْهَبُ الضُيوْفُ خِلَالَ مُناسبَاتِ الدوْلَة.

ولِكَونِهَا مُهدَّدًة مِن أعدَائِهَا الدَاخِليِّين، ومَضْغوطًة مِن جمَيْعِ الجوانِبِ مِن السُلَالَاتِ الحَاكِمَة التِي تمْتلِكُ جيُوشًا أكثَرَ عِدًّة وعَتَادًا، وصنَاديْقَ كنوْزٍ أكثَرَ سِعًة ممَّا لديْهَا؛ اضْطُرَّت عائِلَةُ "إيستي" للانصياع لقَوَاعِدَ العَظَمَةِ، أَو تنْهَارَ كأُمرَاءَ لعَصْرِ النهْضَة تنَاوَلوا عَشَاءَهُم بأَلَق، لكنَّهُم جلَسُوا علَى شَفِيْرِ الهَاوِيَة.

99

**7**

**--**

**رومَا في عَام 1549-50**

**--------------------------**

**الخُبْزُ والمَاءُ لأَجْلِ نِيَافَتِهِم**

**الطَهْيُ السِرِّي للبَابَا**

**----**

كانَ "كريستوفورو دا ميسيسبوغو" المُشْرِفُ على حفَلَاتِ عَائِلَةِ "إستيس" شَخْصِيًّة مُمَيَّزًة نِسْبيًّا نظرًا لكَونِهِ رئِيْسًا للطُهَاةِ وأَحَدَ رِجَالِ الحَاشِيَةِ لِجَدَارَتِهِ. إنَّ الطُهَاةَ هُم أبْطَالُ تَارِيْخِ الطَعَامِ الإِيْطَالِي فِي أوَاخِرِ العُصوْر ِالوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة، وَلَكِن وَعَلى نَقِيْضِ "ميسيسبوغو" فَهُم غَالِبًا مَا يَنْتَمُوْنَ لأُصُوْلٍ رِيفِيَّةٍ مُتَوَاضِعَة، عَادًة مَا تَبْقَى الأَضْوَاءُ غَيْرَ مُسَلَّطَةٍ عَلَيْهِم، ممَّا يُجْبِرنَا علَى سَرْدِ قِصَصِ حَيَاتِهِم مِن مَنْظُورٍ عَامٍّ فقَط، وقَد تمَكَّنَ هَؤلَاءِ الطُهَاة مِن كَسْبِ رِزْقِهِم عَبْرَ إِدْرَاكِهِم لِمَا يُمْكِنُ للرِيْفِ أَن يُقَدِّمَهُ للمَدِيْنَة، وَمِن مَا يَسَعُ تُجَّارُ المُدُنِ والحِرَفِيُّونَ المَهَرَةُ عَرْضَهُ علَى الطَبَقَاتِ الثَرِيَّة، إنَّهُم الوسَطَاءُ العِظَامُ لِفَنِّ الطَهْيِ الإيْطَالِي، ومَعَ تَغَيُّرِ المَوَاسِمِ والأَسْعَار وأَهْوَاءِ زَبَائِنِهِم أَو مُوَظَّفِيْهِم، فَإِنَّهُم يَعْمَدُوْنَ إِلَى التَوَاصُلِ المُسْتَمِرِّ لِلعُثُوْرِ عَلَى المُوَرِّدِيْنَ واكْتِشَافِ الوَصَفَات، وقَامُوا بِتَحْدِيدِ الأَطْعِمَةِ التِي أَفَلَ ذِكْرُهَا فِي الرِيْفِ وَلَاقَتْ انْتِشَارًا فِي المُدُن، وَمِنْ خِلَالِهِم تَمَّ التَعَرُّفُ على المأْكُوَلَاتِ الجَيِّدَة والرَائِجَةِ بَيْنَ الفُقَرَاءِ والأَغْنِيَاء، وهَذَا مَا جَعَلَ الطُهَاةَ الكِبَار مُلُوْكَ أَسْوَاقِ الأَغْذِيَةِ الحَضَرِيَّةِ الشَهِيْرَةِ فِي إيطَاليَا؛ فَهُم مَن يَحْمِلوْنَ علَى عَاتِقِهِم مَهَمَّاتِ اخْتِبَارِ العَيِّنَات، الاسْتِطلَاع، والاشْرَاف، والسَيْرُ والتَنَقُّلِ بِحِنْكَةٍ وبِخُطُوَاتٍ سَرِيْعَةٍ بَيْنَ صَالَاتِ عَرْضِ السُلَع.

فِي عَالَمٍ كَانَ الشَرَفُ يُمَثِّلُ فِيْهِ كُلَّ شَيء، مِنَ المُتَوَقَّعِ أَن يَضَعَ الطَاهِي شَرَفَ رَبَّ عَمَلِهِ وَشَرَفَهُ أَيْضًا فَوْقَ أَيِّ اعْتِبَار. لقَد تَنَقَّلَ الطُهَاةُ بَيْنَ الطَبَقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وأَرْبَابَ العَمَلِ عِوَضًا عَن صَالَات العَرْضِ الخَاصَّةِ بِهِم،(100) ولهِذَا توَجَّبَ علَيْهِم إظْهَارُ اللَّبَاقَةِ للجَمِيْعِ دُوْنَ الثِقَةِ بِهِم حَتَّى وَلَو كَانُوا أَدْنَى مَنْزِلًة مِنْهُم، أمَّا أَفْضَلُ الطُهَاةِ فيَتَحَلَّى باليَقَظَةِ والنَظَافَةِ والصَبْر، والرَزَانَةِ نظرًا لأَنَّ شُرْبَ الكحُوليَّات مَعروْفٌ بتَدَاخُلِهَا معَ التذَوُّق الطَبِيعِي للأَشْياَء، وبالتَالِي وَكَمَا هوَ مُتَعَارَفٌ الآنَ، فإنَّ إدْمَانَ الكُحُوْل هوَ مُجَازَفَةٌ مِهَنِيَّةٌ خَطِيْرَةٌ للعَامِلِيْنَ فِي مِهْنَةِ طَهْيِ الطَعَام، وعَبْرَ اكْتِسَابِهِ سَنَوَاتٍ مِن الخِبْرَةِ أَصْبَحَ الطَاهِي بَارِعًا فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ عَمَلِيَّةِ إعْدَادِ الطَعَام، مِن خَشَبَةِ الجَزَّارِ وَسَلَّةِ البُسْتَانِي وصُوْلًا إلَى مَائِدَةِ الأَمِيْر، إنَّ المَعْرِفَةَ الجَيِّدَةَ بالدُهوْنِ والزُيوْتِ هيَ حَجَرُ الأَسَاسِ لخِبْرَتِه، فزيُوتُ الزَيتُونِ التِي تتمَتَّعُ بِاللَّوْن الأَكْثَرَ خُضْرًة هِيَ الأَفْضَل، المُصَفَّاةِ مِنْهَا عِوَضًا عَن المَسْحُوقَة-ويُمْكِنُنَا أَن نَدْعُوَهَا بالزيُوْتِ الأَكْثَرِ نَقَاًء. كمَا تمَّ استِخْدَامُ الزيُوْتِ المُسْتَخلَصَةِ من اللَّوْزِ والجَوْزِ وبذُوْرِ الكُتَّانِ في أجْزَاءٍ عَدِيْدَةٍ مِن إيطَاليَا، لكِنَّ طُهَاةَ النُخْبَةِ رفَضُوْهَا لاعْتِقَادِهِم أنَّ اسْتِعْمَالهَا كمَصْدَرٍ للاشْتِعَالِ هوَ أَفْضَلُ مِن تَنَاولِهَا، بِمَقْدورِ الطَاهِي المَاهِر إعْدَادَ شَحْمِ الخِنزيْر، وبَمَقدُورِهِ أَيْضًا إنْتَاجُ السْلَامِي، الزُبْدَة، والجُبْنَةِ الطَازِجَة، حَيْثُ يُحْسِنُ انْتِقَاءَ الكَافيَارِ الأجْوَدِ ويَعْرِفُ تَمَامًا تَدَرُّجَ اللَّوْنِ الأَحْمَرِ البَاهِت المَنَاسِبَة التِي يَجِبُ أَن تَظْهَرَ علَى لَحْمِ الأَنقَلَيس المُمَلَّحِ عِنْدَ قَطْعِه، أمَّا طُرُقُ سَلْخِ وتَعْلِيْبِ وتَعْلِيقِ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ اللُّحوْمِ فَهِيَ مَيِّزَة فِطْرِيَّة ثَانِيَةُ لَهُ، وتَوْقِيعَهُ هوَ خَلِيْطُ تَوَابِلٍ خَاصٍّ بِهِ.

يَحْظَى الطَاهِي التَابِعُ للبِلَاطِ المَلَكِي بامْتِيَازَاتٍ فَاخِرَةٍ تُوازِي مَنْزِلَةَ رَجُلٍ نَبِيْل، حَيْثُ يُخَصَّصُ لَهُ حِصَانٌ، وَيَتِمُّ مَنْحُهُ غُرْفًة مَفْروْشًة، وإمْدَادَاتٍ شَتْوِيَّةٍ مِنَ الحَطَب. ولَيْسَ مُسْتَغْرَبًا أيْضًا بأنَّهُ يَحْظَى بِبَدَلِ طَعَامٍ مُعْتَبَر، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُقَدَّمُ لَهُ ثَلَاثُةَ أرْطَالٍ مِنَ الخُبْزِ ومَؤُوْنًة وَافِرًة مِن ذَاتِ النَبِيذِ الذِي يَحْتَسِيْهِ النُبَلَاءُ فِي مَنْزِلِ سَيِّدِه، وقَد نَصَّت الاتفَاقيَّة في بِلَاطَات النُبَلَاء (باسْتِثنَاء البَابَاوَات، الأبَاطِرَة، المُلوْك الذِيْنَ وَضَعُوا قَوَاعِدَهُم الخَاصَّةَ) بأَن يَحْصَلَ رئيْسُ الطُهَاةِ على حِصَّةٍ يَوْمِيَّةٍ مِقْدَارهَا رَطلَانِ ونِصْف مِن اللَّحْم البَقَري الطَازَج أَو لَحْمِ الضَأن بالإضَافَةِ إلَى الدَجَاجِ أَو الديْكِ المُسَمَّن، أَو مَا يُعَادِلُهَا مِنَ البَيْضِ والأَسْمَاكِ فِي الأيَّامِ العِجَاف، ويَتِمُّ مَنْحُ خَادمِهِ الشَخْصِي نِصْفَ هَذِهِ الكَميَّة. وبذَاتِ القَدْرِ مِنَ الأَهَمِيَّة، يَحِقُّ للطَاهِي كُلُ مَا يُهْدَرُ فِي المَطْبَخِ مِن الجُلود، الرِيْش، العِظَام، الرَمَاد، الأَقْدَام، الرؤوْس، الأَحْشَاء، ودِهْنُ الطَهْيِ الذِي تَمَّ اسْتِخدَامَهُ. لَا بُدَّ أنَّ هُنَاكَ مَا يَكْفِي مِن المَال والسُعْرَاتِ الحَرَاريَّة فِي تِلْكَ المُنْتَجَاتِ لِدَعْمِ العَدِيْدِ مِنَ العَائِلَات، لقَد حَظِيَ الطَاهِي بِمَكَانَةٍ مُهِمَّةٍ فِي المُجْتَمَعِ الحَضَرِي، ولقَد تنَقَّلَ أَفْضَلُ الطُهَاةِ ضِمْنَ شَبَكَةٍ مِنَ المُدُنِ الإيْطَاليَّة، كلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تَقَعُ فِي الرِيْف وتُقَدِّم مُنْتَجَاتٍ غِذَائِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ وغَنِيَّة.

\*السلامي: نوع من أنواع الباسطرمة تصنع بشكل شعبي من قبل الفلاحين الايطاليين حيث تتم صناعة وتحضير السلامي وحفظها بدرجة حرارة الغرفة وتخزن لمدة سنة أو أكثر. يقدم السلامي في إيطاليا كتشكيلة وإضافة إلى السباكيتي والبيتزا المشهورة في إيطاليا. يحضر السلامي بشكل أساسي من لحم الخنزير، ويمكن تحضيره من لحم البقر أو غيره.

\*الأنقَلَيْس أو الأنكَلَيْس وهي نوع من أنواع الثعابين وتشكل أنواع الثعابين البحرية والمائية نسبة ضئيلة من بين أنواع الثعابين المعروفة حيث يصل عدد أنواع الثعابين البحرية إلى حوالي 55 نوعاً، بينما يبلغ عدد أنواع الثعابين شبه المائية نحو عشرة أنواع والمائية العذبة نحو 35 نوعاً.

(101) عَمَدَت هَذِهِ الشَبَكَةُ الحَضَريَّةُ إلى شَحْذِ مَهَارَاتِ الطُهَاة وآمَالِهِم والرُوح المِهَنِيَّة فِيْهِم، وسَاعَدَت المَأكوْلَات الإيْطَاليَّة للوصُوْلِ إلى أسْمَى لحَظَاتِ رُقِيِّهِ وتَطَوُّرِه.

يُعَدُّ "بارتولوميو سكابي" بِلَا رَيْبٍ أَعْظَمَ طَاهٍ فِي عَصْرِ النَهْضَة الإيْطَالِي، وفِي عَام 1570 قَامَ بِنَشْرِ خُلَاصَةَ فَنِّهِ فِي سِتَّةِ كُتُبٍ رائِعَة، وكَرَجُلٍ عَمَلِيٍّ غَير مُتَعَلِّم فَقَد مَنَحَهَا عُنوَانًا لَم يَتَعَمَّق فِيْهِ بِسَعَةٍ كَافِيَةٍ مِنَ الخَيَال وهوَ: "أوبرا دي بارتولوميو سكابي" وَيَعْنِي "العَمَل" لبارتولوميو سكابي، ويَعُوْدُ الفَضْلُ الكَبِيْرُ لِشَهَادَتِهِ بأنَّهَا قَد مَنَحَتْنَا فِكْرًة جَلِيًّة عَن المَرْتَبَاتِ والقِيَمِ التِي يَطْمَحُ لهَا الطُهَاةُ المُحْتَرِفُوْن، إنَّ وجُوْدَ مِثْلَ هذَا العَمَل هوَ أَمْرٌ اسْتِثنَائيٌّ؛ إنَّهُ دَلِيْلٌ شَامِلٌ للطَهي ومَعْلَمٌ تِذْكَارِيٌّ مُزَوَّدٌ بالرسُومِ بشَكْلٍ مُتْقَنٍ لإحْدَى المِهَنِ النَاجِحَةِ على نَحْوٍ مُمْتَاز، بالإضَافَةِ إلى مِهَنِ المِئَاتِ مِن هَؤلَاءِ الطُهَاةِ المَجهوْلِين الذِيْنَ أَوصَلوا الطَعَامَ الإيْطَاليَّ إلى هَذِا السُمُو، لَا يُوجَدُ مَثِيْلٌ لِهَذَا الانْجَاز فِي أَيِّ مكَانٍ بالعَالَم، إِنَّ ثَقَافَة الطَهْي الرَفِيعَة لـ"بارتولوميو سكابي" وكَذَلِكَ سِعَةَ وتَفَاصِيْلَ مَعْرِفَتِهِ المَطْبَخِيَّة مُبْهِرَةٌ لِلغَايَة؛ فَهِيَ تَفُوْقُ وإلى حَدٍّ كَبِيْرٍ مَا برَزَ فِي مَخْطوطَاتِ الطَهْيِ الأوْلَى، مِثْلَ "كِتَاب للطَهْي" قَبْلَ قَرنَيْنِ مِنَ الزَمَن. إنَّ مُعْظَمَ المَعْرِفَةِ المُتَوَافِرَةِ لدَيْنَا عَن حَيَاةِ الطَاهِي فِي العصُوْرِ الوُسْطَى قَد وصَلَتْنَا مِن "بارتولوميو سكابي"، ولقَد خلَّفَ تأثِيْرًا كَبِيْرًا على تَنَاولِ الطَعَامِ الإيْطَاليِّ لِعِدَّةِ قُروْن، وغالِبًا مَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ حتَّى يَوْمِنَا هذَا لأنَّهُ أوْرثَنَا صُوْرًة لِطَهْيٍ يُمْكِنُ لنَا أنْ نَدْعوهُ وبِشَكْلٍ قَابلٍ للتَبْرِير باسْمِ " أُسْلوب الطَهْيِ الإيْطَالِي"، وبِمَعْنًى آخَر اسْتَنَدَ إلى المكَوِّنَاتِ والتِقَنِيَّاتِ التِي حَازَ عَلَيْهَا مِن مُعْظَمِ أنْحَاءِ شِبْهِ الجَزِيْرَة الإيْطَاليَّة.

وُلِدَ "بارتولوميو سكابي" عَام 1500 فِي قَرْيَةٍ صَغِيْرَةٍ تُدْعَى "دومينزا"، تَقَعُ على الشَاطِئِ الغَرْبِيِّ لبُحَيْرَةِ "ماجيوري" بالقُرْبِ مِن الحُدوْد السويْسريَّة، ويَنْحَدِرُ "بارتولوميو سكابي" مِن أُصُوْلٍ مُتَوَاضِعَةٍ كَحَالِ سَائِرِ أقْرَانِه الطُهَاة، تُظهِرُ الرسُوْمُ الوَثَائقِيَّةُ القَليْلَةُ أَنَّهُ رَجلٌ مُؤهَّلٌ وفَطِنٌ بِمَا يَكفِي للعثُوْرِ على وَظِيْفَةٍ حَالمَا تَسَنَّى لَهُ ذَلِك معَ أَحَد كِبَار رِجَال الكَنِيْسَة وَهوَ كَاردِيْنَالٌ فينِيسِي. اتَّبَعَت مِهْنَةُ فَنِّ الطَهْيِ ذَاتَ المَسَارِ الصَاعِدِ الذِي سَلَكَتْهُ الكَنِيْسَةُ الكَاثوليكِيَّة؛ حَيْثُ بلَغَت أَوْجَهَا فِي روما التِي أصْبَحَت بِحُلوْلِ ذَلِكَ الوَقْت عَاصِمَةَ الطَهْيِ بِلَا مُنَازِع، وصَلَ "بارتولوميو سكابي" إلى روما بحلُوْلِ عَام 1536، وقَد قَام بِخِدْمَةِ العَدِيْدِ مِنَ الكرَادِلَةِ الآخَريْنَ خِلَالَ العُقُوْدِ الثَلَاثَةِ التَالِيَةِ وَمَا يَزِيْدُ عَلَيْهَا، لِيَصِلَ إلى قِمَّةِ مِهْنَتِهِ عَامَ 1564 عِنْدَمَا أصْبَحَ الطَاهِي السِرِّي الخَاص للبَابَا.

ظهَرَ كِتَابُ "العَمَل" للعَلَنِ عَام 1570 عنْدمَا أَصْبَح "سكابي" رجُلًا عَجوْزًا، (103) وبِمَقْدورهِ الآن النَظَرُ لِمَاضِيْهِ بِفَخْرٍ مَمْزُوْجٍ بِاللَّهْفَةِ فِي حَادِثَةٍ خَاصَّةٍ، عِنْدمَا تمَّت دَعْوَتَهُ لإظْهَار جَمِيْعِ مَهَارَاتِه، وَفِي مُلْحَقِ مُؤلَّفَاتهِ كَتَبَ قِصًّة جذَّابًة عَن زَمَنٍ عَاشَهُ قَبْلَ عِشريْنَ عَامًا حِيْنَ كَانَ أُسْلوبهُ فِي الطَهْيِ يَلْعَبُ دَوْرًا أسَاسِيًّا فِي المَرْحَلَةِ التِي تَمَّ تَصْمِيمُهَا بِأقْصَى عِنَايَةٍ وهِيَ بِذَات الوَقْت أكْثَرَ مَرْحَلَةٍ مُتَّقِدَةٍ سِيَاسِيًّا فِي دَوْرَةِ الحَيَاةِ البَابَوِيَّة: عِنْدَ وفَاةِ أَحَدِ البَابَوَات يَعْقِدُ الكَاردِيْنَالَات اجْتِمَاعًا سِرِيًّا مُغْلقًا لأَجْلِ انْتِخَابِ شَخْصٍ آخَرَ. ---------- \*بحيرة ماجيوري أو بحيرة لاغو ماجيوري: هي بحيرة كبيرة تقع على الجانب الجنوبي من جبال الألب. تعد ثاني أكبر بحيرات إيطاليا و أكبرها جنوبي سويسرا. بحيرة لاغو ماجيوري هي الأكثر غربية بين البحيرات الثلاث الكبرى قبل الألبية في إيطاليا، فهي تمتد لحوالي 70 كيلومترا بين لوكارنو و أرونا. (102)



كيْفَ يتِمُّ إطعَامُ الكَاردِيْنَال فِي الانْتِخَابَاتِ البَابَوِيَّة عَام 1549، حَيْثُ يَظْهَرُ رِجَالٌ فِي وَسَطِ اللَّوْحَةِ وَهُم يَحمِلوْنَ الوَجَبَاتِ فِي صَنَادِيْقَ مُزَخْرَفَة، وَإلى اليَمِيْنِ يَشْرَعُ أرْبَعَةُ رؤسَاءِ أسَاقِفَةٍ بِفَحْصِ كُلِّ طَبَقٍ للتَحَقُّقِ مِن وجُوْدِ سُمٍّ أو رَسَائِلٍ مَخْفِيَّةٍ قَبْلَ السَمَاحِ لهَا بالمُروْرِ عَبْرَ العَجَلَةِ خَلْفَهُم ثُمَّ إلى الاجْتِمَاعِ الانْتِخَابِي المُغلَق. مِن مَجْمُوعَةِ الوَصَفَات التِي كتَبَهَا "بارتولوميو سكابي" الطَاهِي السِرِّ للبَابَا.



المَطْبَخُ المِثَالِي فِي عَصْرِ النَهْضَة، حَيْثُ يَتِمُّ تَحْضِيرُ قَوَالِبَ الفَطَائِرِ على الطَاوِلَةِ الطَوِيْلَةِ فِي المَرْكَز، تُصَفَّى الصَلصَاتُ فِي المُقَدِّمَةِ نَحْوَ اليَمِيْن، أمَّ المِسَاحَةُ على اليَسَار فهُوَ مَحْجُوْزٌ لأَجْلِ الصَانِع المُتَخَصِّص فِي إعْدَادِ المُهَلَّبِية. مِن مَجْموعَة مُؤلَّفَات "بارتولوميو سكابي" عَام 1570.

---------

\*المُهلَّبية: هي أحد الأطباق الحلوة التي يشتهر بها الوطن العربي، تصنع من لب شجرة المحلب وهي ذات أنواع: إما ان تكون مع الأرز أو مع القشطة أو السميد أو البسكويت، وإما أن تكون عبارة عن حليب مطبوخ مع النشا حتى يتكثف المزيج ويصبح له قوام أغلظ ثم تصب في أطباق وتزين بالمكسرات أو القرفة.

بالإضَافَةِ إلى كَوْنِهِ أَحَدَ أَكْثَرِ الوَثَائِقِ أهَمِيًّة فِي تَارِيْخِ الطَعَامِ الإيْطَالي، فإنَّ مُؤلَّفَاتِ "العَمَل" لبارتولوميو سكابي تَمْنَحُ أيْضًا نَظْرًة ثَاقِبًة اسْتِثنَائيًّة إزَاءَ حُقْبَةٍ تَعُجُّ باضطِرَابَاتِ كَارِثِيَّةٍ للكَنِيْسَة، أَلْقَت كَذَلِكَ بِظِلَالِهَا على إيْطَاليَا، فَفِي أوَائِلِ ومُنْتَصَفِ القَرْنِ السَادِسِ عشَرَ المِيْلَادِي تَسَبَّبَ ثِقَلُ العَظَمَةِ والسُلطَةِ الدُنيَويَّةِ المُتَرَاكِمَةِ حَوْلَ عَرْشِ القِدِّيسْ بُطْرُس بِتَعْرِيْضِ أسُسِهَا الروْحِيَّةِ للخَطَر.

فِي عَام 1517، بدَأَ "مارتن لوثر" حَمْلَتَهُ ضِدَّ مُمَارَسَةِ الكَنِيْسَةِ بالمُتَاجَرَةِ بالخَلَاصِ عَبْرَ مَنْحِ صُكُوْكِ الغُفْرَان لِتَغْطِيَةِ التَكلِفَةِ الهَائِلَةِ لإعَادَةِ بِنَاءِ كَاتِدْرَائيَّة القِدِّيس بُطْرُس، وتُعَدُّ أعْظَمَ مَشْروعِ بِنَاءٍ فِي القَرْنِ السَادِسِ عَشَر. تمَّ عَزْلُ "مارتن لوثر" كَنَسِيًّا عَام 1521، لَكِنَّ هَذَا زَادَ مِنْ شَعْبِيَّتِهِ ودَفَعَهُ إلى صِيَاغَةِ أفْكَارِهِ إلى نِظَامٍ عَقائِدِيٍّ مُتمَاسِكٍ مُنَاهِضٍ للتَعْليمِ الكَاثُوْلِيكِي، وَعِنْدَمَا تَمَّ نَهْبُ روما مِنْ قِبَلِ قوَّةٍ لوثَرِيَّةٍ بِشَكْلٍ كَبِيْرٍ فِي عَام 1527، مَا عَادَ بِوِسْعِ البَابَوَاتِ الاسْتِمرَار وكأنَّ مَا يُدْعَى الآنَ بـ"المَذْهَب البروتِسْتَانِي" هوَ مُجَرَّدُ هَرْطَقَة لَا أهَميَّةَ لهَا، وَبَيْنَمَا تَعَافَت المَدِيْنَةُ مِنَ الدَمَار ازْدَادَت الإنْذَارِ فِيْهَا، إِذ أَخَذَ التَعْلِيمُ البروتِسْتَانِي يَنْتَشِرُ فِي جَمِيْعِ أنْحَاءِ شَمَالِ أوربا، أمَّا فِي ألمَانيا فكَانَت الحَرْبُ ذَاتُ الدَافِعِ الدِيْنِي والتَمَرُّدُ مُسْتَعِرًة فِيهَا، وعَمَدَ الملِكُ "هنري الثامن" إلى الانْفِصَالِ عَن رومَا، وعلى غِرَار "هنري" كانَ العَدِيْدُ مِنَ الملوْكِ يَتَلَذَّذوْنَ وبِشَكْلٍ جَلِيٍّ بفُرْصَةِ الاسْتِيلَاءِ على المُمتلكَاتِ الكَنَسِيَّة، وخِلَالَ بِضْعِ أعْوَامٍ بَاتَ نِصْفُ العَالَمِ الغَرْبِيِّ مُنْفَصِلًا عَن الكَنِيْسَة الكَاثوليكيَّة، فقَامَ البَابَا "بولس الثَالِث" والذِي انْتُخِبَ عَام 1534 بإطْلَاقِ اسْتِجَابَةٍ أَخِيْرًا، وَبِرَغْمِ أنَّهُ لَم يَكُن أقَلَّ فسَادًا مِن أيِّ بَابَا آخَرَ مِن عَصْرِ النَهْضَة على الصَعِيْدِ الشَخْصِي، إلَّا أنَّه أنْشَأَ لُجْنَةَ إصْلَاحٍ في عَام 1537 ، أصْدَرَت تَقريْرًا تُلقِي فِيْهِ باللَّوْمِ على التَسَلسُلِ الهَرَمِي الكَنَسِيِّ في مشَاكلِ الكَنيْسَة، وقَد تحَرَّكَ "بولس الثَالِث" لتَصْحِيحِ بَعْضِ أسْوَأ الانْتِهَاكَات معطيًا للحَمْلَةِ زخمًا جَدِيْدًا ضِدَّ الهَرْطَقَة، وفِي عَام 1540 منَحَ موَافَقَةَ البَابَوِيَّةِ "لمُجْتَمَعِ إغناطيوس دي لويولا اليَسوعِي"-اليَسُوعِيُّوْن. والأَهَمُّ مِن ذلِك هوَ أنَّ مَجْمَعَ ترنت الذِي عُقِدَت أوَّلُ جَلْسَةٍ لَهُ عامَ 1545 بدَأَ بالعَمَلِ على تَجْدِيدٍ عَقَائدِيٍّ وتَنْظِيمِيٍّ للكَنِيْسَة، وبِحُلُوْلِ الوَقْتِ الذِي تُوفِّيَ فِيهِ "بولس" عَام 1549 كانَ أوَانُ المُصَالحَةِ بَيْنَ البروتستانت والكاثوليك قَد فَات، بَيْدَ أنَّ البَابَويَّة بَدَتْ مُستَعِدًّة أخِيْرًا للبِدْءِ بإصْلَاحِهَا المُضَاد (كمَا سيُطلَق عليْهِ لَاحِقًا).

-------- \*بطرس أو سمعان بطرس: أحد التلاميذ الاثني عشر ويحتلّ مكانة بارزة في أناجيل العهد الجديد وسفر أعمال الرسل. حسب الرواية الرسميّة فهو ابن يوحنا أبو يونا ومن قرية بيت صيدا في شمال الجليل قرب بحيرة طبرية، وهو شقيق أندراوس أحد التلاميذ الاثني عشر أيضًا.

\*مارتن لوثر: راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران.

\*كاتدرائية القديس بطرس أو بازليك القديس بطرس: وتعرف رسميًا باسم بازليك القديس بطرس البابوية، كنيسة كبيرة بنيت في أواخر عصر النهضة في القسم الشمالي من روما وتقع اليوم داخل دولة الفاتيكان رسميًا. \*بولس الثالث، وُلد باسم ألساندرو فارنيزي، البابا العشرون بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكية منذ عام 1534 حتى وفاته. دعى إلى مجمع ترينتو في سنة 1545. أكبر أبناء بيير لويجي سنيوري وزوجته جوفانيلا المنحدرة من عائلة كايتاني، والتي ينسب إليها البابا بونيفاسيوس الثامن.

\*إغناطيوس دي لويولا: هو فارس إسباني من أسرة نبيلة باسكيَّة، تنسك وتكهن منذ عام 1537، وهو عالم لاهوت أسس اليسوعية وأصبح أول قائد أعلى لها. برز إغناطيوس كزعيم ديني خلال الإصلاح ضد الطاعة المطلقة لبابا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

\*اليسوعيون أو الرهبنة اليسوعية: هي واحدة من أهم الرهبنيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية، ومن أكبرها. تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في القرن السادس عشر أيام البابا بولس الثالث في إسبانيا، كجزء من الإصلاح المضاد، وأخذت على عاتقها مهمة التبشير ونشر الديانة في العالم الجديد.

\*مجمع ترنت: ويعرف أيضًا باسم المجمع التريندي. عقد في مدينة تورنتو في إيطاليا، وتعتبره الكنيسة الكاثوليكية المجمع المسكوني التاسع عشر. عقد بين 13 ديسمبر 1545 و 4 ديسمبر 1563 على ثلاث دورات.

\*الإصلاح المضاد: وتعرف أيضاً بالإصلاح الكاثوليكي أو الإحياء الكاثوليكي هي حركة دينية استهدفت إصلاح الكنيسة الكاثوليكية وفي نفس الوقت مناهضة الإصلاح البروتستانتي، وقد بدأت مع مجلس ترنت وانتهت بنهاية حرب الثلاثين عاما عام 1648 م.

(104) كانَت انْتِخَابَات عَام 1549 بالِغَةَ الأَهَمِيَّة، كحَالِ أيِّ انْتِخَابَاتٍ تَجْرِي على مَنْصِبِ البَابَا مُنْذُ أَلْفِ عَام. إنَّ كُلَّ مَن يَخْلِفُ "بولس الثالث" سَيَحْمِلُ على عَاتِقِهِ عِبْئًا كَبِيْرًا مِن المَسؤوْليَّةِ الدُنْيويَّةِ والروْحِيَّة، فِي ذلِكَ الوَقْت، كانَ "بارتولوميو سكابي" يعْمَلُ معَ أحَدِ الكرَادِلَةِ الذيْنَ شَارَكوا في الانْتِخَابَات، وكانَ طعَامهُ أفْضَل عَيِّنَةٍ تمَّ تذَوُّقهَا مِن قِبَلِ الكَاردينالَات على خلفِيَّةٍ مِن الاجْتِمَاعِ المُغْلَق عَام 1549. إنَّ وصَفَاتَهُ التِي يَفُوْقُ عَدَدُهَا الأَلْف تُحَدِّدُ مَرْحَلَةً سَامِيًة مَجِيْدًة مِن تَارِيْخِ الطَعَامِ الإيْطَالِي، لكِنَّهَا فِي الغَالِبِ تُعَانِي وبشَكْلٍ غيْرِ مَحسُوْسٍ مِن الحَنيْنِ إلى المَاضِي، إنَّ ذَلِكَ الحَنِيْن وسُخرِيَةُ الأَقدَارِ في قِصَّةِ "سكابي" مَا هِيَ إلَّا أوَّلُ الدَلَالَات على دخُوْلٍ مُبَكِّرٍ لفَنِّ الطَهْيِ بالمُدُنِ الإيْطَاليَّةِ فِي حُقْبَةٍ مِنَ الركُوْدِ.

**بمِفْتَاح**

لَم يُعْتَبَر البَابَا "بولس الثالث" مَيْتًا حتَّى أُعْلِنَ عَن وفَاتِهِ رَسمِيًّا، فعلى عَكْسِ مَا تَقْتَضِيْهِ طقُوْسُ وَسْمِ البَابَا، لَم يَتِمَّ الاشْهَارُ عَن رَحِيْلِه حتَّى ضَرَبَهُ الكاردِيْنَال تشامبرلين على رأسِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِمِطْرَقَةٍ فِضيَّةٍ، مُنَاجِيًا إِيَّاهُ باسْمِهِ مَعَ كُلِّ نَقْرَةٍ حَادَّة، وَفِي حَالِ عَدَمِ وروْدِ أَيِّ اسْتِجَابَةٍ يَتِمُّ الإعْلَانُ رَسْمِيًّا عَن وَفَاتِهِ وَيُسْحَبُ خَاتَمُ صَيْدِ السَمَكِ مِن إصْبَعِهِ ثُمَّ يُكْسَر، وتَبْدَأُ أَجْرَاسُ روْمَا بِقَرْعِ نَغَمَاتٍ حَزِيْنَة.

ابْتِدَاءً مِن ذَلِكَ الوَقْت الوَاقِعِ بِتَاريخ 20 مِن شَهْرِ نوفمبر عَامَ 1549 فصَاعِدًا أَصْبحَت الطقُوْسُ الشعَائِريَّةُ تُتْلَى في كُلِّ مَرحَلَةٍ مِن فَاصِلِ إِعلَانِ الوَفَاة، والمَقْعَد الشَاغِر، قَبْلَ تَسْلِيمِ نَائِب المَسِيْح الجَدِيْد المَفَاتِيْحَ المُقَدَّسَة، لقَد بدَا الأَمْرُ وكأَنَّ الزَمَنَ وحَرَكَة الكوَاكِبِ قَد تَعَطَّلَت، أثْنَاءَ اخْتِيَارِ الرَجُلِ الذِي سَيُمَثِّلُ السُلطَةَ الإلَهِيَّةَ على الأَرْض، ولَكِن حتَّى أثْنَاءَ اصْطِفَافِ الكَرَادِلَةِ لِتَقْبِيلِ أَقْدَامِ البَابَا الرَاحِل للمَرَّةِ الأَخِيْرَة، وبِرَغْمِ أَنَّ جُثَّتَهُ المَكْسُوَّةِ بالثَوْبِ الأَبْيَضِ مَازَالَت رَاقِدًة بَيْنَ المَشَاعِلِ المُتَوَهِّجَةِ فِي كَنِيْسَةِ سيستينا، فَإنَّ أَصْوَاتَ ضَجِيْجِ النِقَاشِ السِيَاسِيِّ يَمْكِنُ أَنْ تُسْمَعَ خِلَالَ تمَازُجِ دُنيَوِيٍّ للصَلَوَاتِ والتَعَاويْذ، وهذَا مَا يُشِيْرُ إلى أَنَّ الانْتِخَابَاتِ البَابَويَّةِ جَارِيَةٌ بالفِعْل.

إِنَّ الغَايَةَ مِنْ ذَلِكَ هيَ مُعَالَجَةُ الفَجْوَة المُلتَبِسَة بَيْنَ الطقُوْسِ والسِيَاسَات فِي التَرِكَة البَابَويَّة، وهَذَا مَا أدَّى إلى وَضِع مَجْمُوعَةٍ مِنَ القَوَانِيْن التِي تُعْرَفُ باسْمِ الاجْتِمَاعِ المُغلَق قَبْلَ ثَلَاثمائةِ عَامٍ تَقْريبًا، بَعْدَ الانْتِخَابَات العَسِيْرَةِ لعَامِ 1271 في بلدَةِ "فيتربو" الصَغيْرَة، عِنْدَمَا أَمْضَى مَجْمَعُ الكَرَادِلَة (105) ثَلَاثة وثَلَاثِيْنَ شَهْرًا بجِدَالٍ أَفْضَى فِي النِهَايَةِ إلى انْتِخَابِ البَابَا غريغوري العَاشِر. ثَلَاثة وثَلَاثِونَ شَهْرًا، اضْطَرَّ خلَالهَا الموَاطِنوْنَ التُعَسَاءَ في بلدَةِ "فيتربو" على تَحَمُّل العِبْءِ الاقْتِصَادِيِّ الكَبِيْرِ لهَيئَةِ الكَهَنوْتِ العُليَا للكَنيْسَة. في النِهَايَةِ، فرضَت السُلطَاتُ المحَليَّة حِصَارًا على نِيَافَةِ الكَاردِيْنَالَات فِي القَصْر، وأزَالَت السَقْفَ مِن فَوقهِم ليَتعَرَّضوا لعَوامِل الطَبِيعَة، ولَم تُقَدِّم لَهُم شَيْئًا ممَّا لذَّ وطَابَ سِوى مَا يَسُدُّ رَمَقَهُم مِن خُبْزٍ ومَاء، ولَكِن سُرْعَانَ مَا ظَهَرَ. مُرَشَّحٌ تمَّ اخْتِيَارَهُ كحَلٍّ وَسَط بَعْدَ انْتخَابِ "غريغوري العَاشِر" قَامَ بِوَضْعِ بَعْضِ الأَنْظِمَة المُتَشَدِّدَة للانْتِخَابَات المُستقبَليَّة:

----------- \*الاجْتِمَاع المُغلَق: 1549-1550: هو الاجْتِمَاع الموكول بانتخاب بابا الكنيسة الكاثوليكية الجديد بعد استقالة البابا. انعقد اجْتِمَاع الكرادلة لانتخاب البابا الجديد بدءًا من 29 نوفمبر 1549 وانتهى في 7 فبراير 1550. انتُخبَ يوليوس الثالث ليكون البابا الجديد للكنيسة. عُقدَ الاجْتِماعُ في الفاتيكان.

\*خاتم صيد السمك: هو جزء رسمي من الشعارات التي يرتديها البابا رئيس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، خليفة بطرس الذي كان صياد سمك. يحمل الخاتم نقشاً بارزاً لبطرس يصيد السمك في قارب، وهي رمزية مستمدة من تقليد أنَّ الرسل كانوا "صيادي أسماك".

\*كنيسة سيستينا: هي أكبر كنيسة موجودة بالقصر الباباوي الذي يعتبر المقر الرسمي للبابا في مدينة الفاتيكان.

\*مجمع الكرادلة: هو الهيئة الجامعة لكافة الكرادلة الناخبين - أي أقل من ثمانين عاماً - في الكنيسة الكاثوليكية. ويشكل أعلى هيئة استشارية في الكرسي الرسولي. ويشغل أعضاؤه أي الكرادلة، مناصب إدارة مجامع الكوريا الرومانية، أو رئاسة الأسقفيات الكبرى أو بطاركة.

فَأَوَّلُ كَلِمَةٍ يَحْتَوِيْهَا دُستوْرهُ المدْعُو "أوبي بيركلوم" والذِي أَنْشَأَهُ عَام 1274 هِيَ كَلِمَةُ كَنكلِيف "اجْتِمَاع مُغْلَق"، وهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الكَلِمَة اللَاتِيْنِيَّة كَم كلِفيز "بِمِفْتَاح". فَرَضَ الأوبي بيركلوم قيُوْدًا صَارِمًة على الكَاردِيْنَالَات المُوْصَدِ عَليْهِم لاخْتِيَارِ البَابَا، فلَم يُسمَح لهُم بوجُوْدِ مَن يُشْرِفُ على خِدْمَتِهِم سِوَى خَادمٍ وَاحِد لِكُلٍّ مِنْهُم على سَبيْلِ الِمثَال، واضْطَروا للعَيشِ بشَكلٍ جمَاعيٍّ كَي يَتَسَنَّى لَهُم مُراقبَة تحَرُّكاتِ بعْضهِم البَعْض، ومنعوا مِن التَوَاصُلِ مَعَ أَيِّ ِشَخْصٍ فِي الخَارِج تحْتَ طَائِلَةِ العَزْلِ الكَنَسِي، وتمَّ تَقْدِيمُ الطَعَامِ لَهُم عَبْرَ فَتْحَةٍ وَحِيْدَةٍ يُمْكِنُ أَن تَصْلُحَ للتَقَصِّي عَن الرَسَائِلِ. فِي الوَاقِعْ، لَقَد اسْتَمَدَّ الأوبي بيركلوم اقْتِرَاحَهُ مِن الأَحْدَاثِ فِي مَدِيْنَةِ "فيتربو" ليُحَدِّدَ نِظَامًا غِذَائيًّا صَارِمًا بِشَكْلٍ بَارِزٍ لأَجْلِ "الاجْتِمَاع المُغلَق"، وَإذَا لَم يتَوَصَّل الكَرادِلَةُ إلى قرَارٍ في غضُوْنِ ثلَاثِة أيَّامٍ، فسيَتِمُّ تَقلِيْصُ طَعَامِهِم لوَجْبتَينِ في اليَوْم، معَ طبَقٍ واحِدٍ فقَط في كُلٍّ مِنْهَا، ولَكِنْ بَعْدَ مُرُوْرِ خَمْسَةِ أيَّامٍ دوْنَ الوصُوْلِ لِقَرَارٍ حَاسِمٍ تَمَّ التَصْرِيْحُ بِتَقْدِيمِ المَاءِ والخُبْزِ لَهُم فَقَط.

في عَامِ 1353، تمَّ تَعديْلُ قيُوْدِ "غريغوري" قليْلًا، وبَات بمَقْدُوْرِ أَعْضَاءِ "الاجْتِمَاع المُغلَق" الآن حِفْظُ مَاءِ وَجْهِهِم مِن خِلَالِ تَعْلِيقِ سَتَائِرَ عَبْرَ المَدْخَل لأَجْلِ حُجُرَاتِهِم المُتَقَشِّفَة، وحَصَلوا على إذْنٍ بِجَلْبِ خَادِمَيْنِ أَو مُوَظَّفِيْن كمُسَاعِدِيْن شَخْصِيِّين لَهُم، والأَهَمُّ مِن ذَلِكَ بَاتَ بِإِمْكَانِهِم إضَافَةُ السَلَطَة أو بعْضِ الفَاكِهَةِ إلى وجَبَاتهِم البَسِيْطَة أَو وِعَاءٍ مِنَ الحَسَاء أو القَلِيْلِ مِنَ النَقَانِق، ولَكِن بِشَرْطِ أَن يَتَنَاوَلَ كلُّ كاردِيْنَالٍ مَا يُقَدَّمُ لَهُ مِن مُوَظَّفِيْه المُخَصَّصِيْنَ لَهُ.

إنَّ كُلَّ هذَا يَجْعَلُ مِنَ التَرْتِيبَاتِ المُتْقَنَةٍ لأَجْلِ إطْعَامِ مَجْمَعِ الكَرَادِلَةِ فِي "الاجْتِمَاع المُغلَق" لعَامِ 1549 سَاحِرًا بِشَكْلٍ بَارِز. وكمَا بدَا وَاضِحًا مِن الوصْفِ المُفصَّلِ فِي عمَلِ "سكابي" فقَد كانَت لبَابويَّةِ عَصْرِ النَهْضَةِ طريْقتُهَا الخَاصَّة فِي إنْجَازِ الأمُوْر.

وصَفَ "سكابي" نِظَامَ الأَلوَانِ المُبَهْرَجِ ضِمْنَ "الاجْتِمَاع المُغلَق" الذِي عُقِدَ فِي الفَاتِيْكَان، بأنَّ كُلَّ عُضْوٍ مِن مَجْمَعِ الكَرَادِلَةِ يَقْطُنُ فِي حُجْرَةٍ كَبِيْرَةٍ مُرَمَّزَةٍ بِلَوْنٍ مُعَيَّنٍ: يُمْنَحُ اللَّوْنُ الأرْجُوَانِي لِمَن تَمَّ تَعْيِيْنَهُ مِن قِبَلِ البَابَا المُتَوَفَّى "بولس الثَالِث"، والأَخْضَرُ لِمَن مُنِحَ مَنْصِبَهُ عَن طَرِيْقِ البَابَا السَابِق، (106) لقَد بَدَا كُلُّ شَيْءٍ أُرْجُوَانيَّ اللَّوْنِ أَو أخْضَر، ابْتِدَاًء مِنَ الزَرْكَشَة الحَرِيْرِيَّة على الوَسَائِدِ وأَغْطِيَةِ الأَسِرَّة ومَفَارِشِ المَائِدَة، وَوصُوْلَا إلى الفَانُوْس والمِبْوَلَة، وكَأَنَّهَا غُرْفَةُ

-----------

\*البابا غريغوري العاشر: ولد البابا عام 1210 وتوفي في 10 يناير1276 تولى منصب البابوية من عام 1271 إلى 1276 خلفا للبابا كليمنت الرابع.

\*أوبي بيركلوم: هو منشوربابوي أصدره البابا غريغوري العاشر خلال المجلس الثاني في ليون في 7 يوليو 1274 والذي أنشأ تنسيق البابوية كوسيلة لاختيار البابا ، وتحديدًا عزل الكرادلة في ظروف مصممة لتسريع الوصول إلى توافق شامل في الآراء.

\*بولس الثالث: وُلد باسم ألساندرو فارنيزي البابا العشرون بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكية منذ عام 1534 حتى وفاته. دعى إلى مجمع ترينتو في سنة 1545. أكبر أبناء بيير لويجي سنيوري وزوجته جوفانيلا المنحدرة من عائلة كايتاني، والتي ينسب إليها البابا بونيفاسيوس الثامن.

نَوْمٍ لمُرَاهِقٍ مُشَجِّعٍ لِكُرَةٍ القَدَم، تَمَّ نَقْلُ المَزِيْدِ مِنَ المُعِدَّاتِ مِن ذَاتِ اللَّوْنَين بِوَاسِطَةِ الموَظَّفِيْنَ و الخَدَمِ الذِيْنَ سَاروْا بِمَهَابَةٍ عَبْرَ المَمَرَّاتِ المُتَتَابِعَةِ مِن للفَاتِيكَان لِجَلْبِ طَعَامِ كُلِّ أَمِيْرِ كَنِيْسَة، يَقُوْدُ الطَرِيْقَ حَامِلُ الصَوْلَجَانِ ويَتْبَعُهُ القَهْرَمان، ثُمَّ يُقْبِلُ زَوْجَانِ مِنَ الخَدَمِ يَسِيْرَانِ وَرَاءَ بَعْضِهِمَا فِي طَابُوْر، وكُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ عصًا صَلْبًة مِن إحْدَى طَرَفَيْهَا، وقَد عُلِّقَ صنْدُوقٌ خَشَبِيٌّ كَبِيْرٌ على حلَقَاتٍ حَدِيْدِيَّةٍ مِنَ عَصَا زَوْجِ الخَدَمِ الأَوَّل يُعْرَفُ باسْمِ "كارنوتا" والذِي صُمِّمَ خِصِّيْصًا لِنَقْلِ الطَعَامِ السَاخِنِ إلى "الاجْتِمَاعَات المُغلَقَة"، وبالمِثْلِ تَمَّ تَعْلِيقُ حَقِيبَةُ رِبَاطٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الجِلْد مُزَيَّنَة بِشَرَاشِيْب على العَصَا الثَانِيَة ، وكَحَالِ "كارنوتا" كَانَت إمَّا أُرْجوَانيَّةَ اللَّوْنِ أَو خَضْرَاء، وقَد زُيِّنَت من جَمِيْعِ الجِهَاتِ بِشِعَار النَبَالَةِ البَابَوي، وهِيَ تَحْتَوي على مَوَادٍ غِذَائيَّةٍ بَارِدَةٍ مِثْلَ السْلَامِي، الجُبْنِ، والحُلوِيَّات. إنَّ هذَينِ الوِعَاءئنِ نُسْخةٌ مَحْمُولَةٌ مِنَ النِظَامِ الذِي اسْتَخدَمَهُ مُشْرِفُو عَصْرِ النَهْضَةِ فِي جَمِيْعِ المَأدُبَات: فَقَد تَمَّ إحْضَارُ الوَجَبَاتِ المَطْهِيَّةٍ مِنَ المَطْبَخِ مُبَاشَرَة، وكُلُّ مَا تَمَّ إعْدادُهُ مُسْبَقًا كَانَ يُحْفَظُ جَاهِزًا دَاخِلَ بُوفِيه كَبِيْر مَوجُوْدٍ فِي قاعةِ الولَائِم، وخَلْفَ هَذَيْنِ الحَاوِيَتَيْنِ الهَامَّتَيْنِ فِي مَوْكِبِ "الاجْتِمَاع المُغلَق" يأتِي مَا يَزيْدُ عَن نصْفِ دَزِّينَةٍ مِن سَائِسِي الخَيْلِ يَحْمِلوْنَ رفُوْفَ النَبِيْذِ وأبَاريْقَ المِيَاهِ العَذْبَةِ تَحْتَ إشْرَافِ نَادِلِ النَبِيْذ.

عِنْدَ البَوَابَةِ الخَارجِيَّة يُوَاجِهُ مَوْكِبُ مُشْرِفُ المَآدِبِ مَجْمُوْعًة مِنَ الحُرَّاس الإيطَاليِّينَ والسويْسريِّين، وقَد ارْتدَى جَمِيعُهُم خُوذَاتٍ ومطَاردَ ودرُوْعًا، ويُشرِفُ علَيْهِم نَبيْلَانِ رومَانِيَّانِ تمَّت تَكلِفَتَهُم بِفَرْضِ قوَانيْنِ "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ومِن بَينهِم رَجلٌ يَنحَدرُ بشَكلٍ مُبَاشرٍ مِن أحَدِ الفَرسَان الذيْنَ كانوا حَرسًا فِي أوَّلِ اجْتِمَاعٍ مُغلَقٍ عَام 1271 بمَدينَةِ "فيتربو".وبمُجَرَّدِ اجتِيَازهِم البوَّابة، وصعُودهِم السلَالِم يَصِلوْنَ إلى رِوَاقٍ وَاسِعٍ يَتبَعُ لحُجرَةِ الانْتِظَار الخَاصَّةِ بـ"الاجْتِمَاع المُغلَق"، حَيْثُ يَتِمُّ التَرحِيبُ بالمَوكبِ مِن قِبَلِ رَسوْلٍ بَابَوِي، والذِي يتفَحَّصُ لوَائِحَ طعَامِ أولَئِكَ المُوصَدِ عَليْهِم في الدَاخِل (حُدِّدَ النِظَامُ الذِي سيَتمُّ مِن خلَالهِ خِدمَةُ الكرَادِلَة عَبْرَ سَحْبِ القُرعَةِ في الليْلةِ السَابِقَة)، ثُمَّ يُقَدِّمُ المُشْرِفُ نَفْسَهُ إلى لُجْنَةٍ مِن أربَعَةِ رؤسَاءِ أسَاقِفَةٍ يَجْلسونَ على امْتِدَادِ أحَدِ جَانِبَي الطَاولَة، وتَحتَ نَظرتهِم الجَليْلَة يَفْتَحُ مِنديلًا نظيْفًا لتَظهَرَ سكِّينَانِ وشَوْكَة-عنْدَ هَذِهِ المرْحَلَة يسْتَخدِمُهَا الأَسَاقِفَةُ لتَذَوُّقِ كُلَّ قِطعَةٍ مِنَ الطَعَامِ كإجْرَاْءٍ وِقَائيٍّ ضِدَّ التَسَمُّمِ وللتَحَقُّقِ مِن وجوْدِ رسَائلٍ مَخْفِيَّة، ولَا يُسْمَحُ بإدْخَالِ الزُجَاجاتِ غيْرِ الشَفَّافَةِ والأبَاريْقِ والفَطَائرِ والدَجَاجِ بجَميعِ أنْوَاعِه.

-----------

\*أَمِيْرُ الكَنِيْسَة: لقَب يُطْلَق على الكَرَادِلَة الكَاثولِيْك.

\*المـِطرَد: سلاح أبيض يتركب من رمح وفأس الحرب وهو سلاح قديم استخدم في الصين منذ الأزل، ونـقله ألمان والإسكندينافيون إلى أوروبا حوالي القرن الرابع عشر.

(107) وقَد توجَّب فَتْحُ جَميْعِ مفَارشِ المَائدَةِ لإخْضَاعهَا لفَحْصٍ دَقِيْق. مِن النَاحِيَة النظَريَّة على الأقَل، كانَ الكَرادِلَةُ يتوَصَّلونَ إلى قرَارهِم بمَعْزلٍ تَامٍّ عَن العَالَم. بمُجرَّد أَن يَرضَى الأسَاقفَة يتِمُّ تمريْرُ الطعَامِ عبْرَ أَحَدِ الأَقْرَاصِ الدوَّارةِ المُغلقَةِ والمثبَّتةِ في فتَحَاتٍ كبيْرةٍ بالجِدَارِ إلى يَمِيْنِهم مُباشَرًة، إنَّ هذِا هوَ السَبيْلُ الوَحِيْدُ لدخُوْلِ "الاجْتِمَاع المُغلَق" بحَدِّ ذَاتِهِ، يَبْقَى المُشْرِفُ لفَترَةٍ طويْلةٍ بمَا يكفِي للتأكُّدِ مِن أنَّ الكَارديْنَال لَا يريْدُ تغيِيْرَ أيِّ طبَقٍ؛ ثمَّ يصْطحِبُ رِجَالَهُ ويرْحَلُ بَعِيْدًا.

لقَد تمَّ تَنفيْذُ هذَا الإجْرَاءِ المفصَّلِ صباحًا ومسَاءً لأجْلِ جَمِيْعِ مِن الكرَادلَةِ السَبعَة والأربَعيْن الحَاضريْن، وخِلَالَ كُلِّ يوْمٍ ممَّا اتَّضَح أنَّهُ أَطوَلُ اجتِمَاعٍ مُغلَقٍ تمَّ عَقْدَهُ على الإطْلَاق، بعْدَ اجْتِمَاعِ "فيتربو".

**فِي المَطْبَخ**

اعتَادَت فِرَقُ الطُهَاةِ، المَسؤولوْنَ عَن أقبِيَةِ الخُموْر، صَانِعو النَقَانِق، الخَبَّازوْن وحُرَّاس المَخْزَن الذيْنَ يعمَلون فِي المطَابِخ البَابوية، تَقْدِيمَ الطعَامِ لأعدَادٍ كَبيْرة. لقَد أطعَموا أسْرةَ البَابا فضْلًا عَن الخَدَم العَامليْنَ لأجْلِ الكرَادلَةِ والذيْنَ شَارَكوا بشَكلٍ مبَاشرٍ فِي التَسْيِيرِ اليَومِيِّ لإدَارَةِ الكَنيْسَة، وحتَّى فِي الأوقَاتِ العَاديَّة تمَّ تقديْمُ مئاتِ الوجَباتِ اليَوميَّةِ فِي قاعتَي الطعَامِ بالفَاتيكَان، بيْدَ أنَّ عدَدَ سُكَّان الفَاتيكَان قَد ازْدَاد بصُورَةٍ هائلَةٍ لأَجْلِ انعِقَادِ "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ممَّا اضطَرَّ فريقُ العَمَل في المَطبَخِ على التعَاملِ معَ طلبَاتٍ تكَادُ لَا تُطَاق.

قدَّمَ "سكابي" رسُومَاتٍ تَوضِيحيَّةٍ عَن كيفيَّةِ تَرتيْبِ المَطبَخ فِي رومَا العصُور الوسْطَى؛ فِي قلبِ العمَليَّة قَبَالَةَ أحَد جُدْرَان المَطبَخ الرئيسِي أُضرِمَت نَارٌ كَبيْرَةٌ مَا يَكفِي لشِوَاءِ خِنْزيرٍ بأكْمَلِه، وفَوقَها توجَدُ أذرعُ حَديديَّةٌ مُتحرِّكَةٌ يُمكِنُ مِن خلَالهَا تَعليقُ قُدُوْرٍ بوَاسطَةِ سلَاسِل، وأمَامهَا تلتَفُّ أَسيَاخُ الشِوَاءِ بِبُطء، وإلى أَحَدِ الجوَانِب، هنَاكَ سِتَارٌ يَحْمِي السِيْخُ المُلتَفَّ مِن اللَّهَب. كانَ يتِمُّ نقْلُ قِطَعِ الجَمْرِ بانِتظَامٍ مِن النَارِ إلى صَفٍّ مِن خَمْسِة إلى سِتّة مواقدَ حجَريَّةٍ مَوضُوعَةٍ معَ مُستَوَى الأَرْضِ على طوْلِ الجِدَار، حيْثُ تَغلِي قدوْرٌ مَوضوْعَةٌ فَوْقَ الشَوَّايِات على كُلِّ مَوْقدٍ مِنْهَا، وفوْقَ المَوَاقِد عَاليًا. هنَاكَ فجَوَاتٌ يَستريْحُ فيْهَا الصِبيَةُ الذيْنَ تمَّ تَعيِينَهُم لحِرَاسَةِ المَطبَخِ لَيْلًا، منَ الوَاضحِ أنَّ مَوضُوْعَ مَنْعِ السَرقَةِ والحَوَادِثَ كَانَ منَ الأموْرِ الرَئيسيَّةِ التِي شَغَلَت المَطبَخَ بعَصْرِ النَهْضَة.

يُوجَدُ على الجِدَارِ المُقابلِ فُرنَانَ بأبوَابٍ حَديديَّةٍ، وبقُربهِمَا ماءٌ باردٌ يَجْرِي بشَكلٍ مُتوَاصلٍ بدَاخِلِ حَوْضٍ حجَريٍّ صَغِيْر، وبجانبِ ذلِكَ هنَاكَ المَدْخَلُ المؤدِّي إلى مَخْزَنِ اللُّحُوْم القَابلِ للإقْفَال، وفِي أبْرَدِ زَاويَةٍ مِنَ المَطْبَخِ تنتَصِبُ قاعدَةٌ حجَريَّةٌ صَلبَةٌ يَصِلُ ارتفَاعهَا لأقَلَّ مِنَ الخَصْرِ بقَليْل، (108) وفَوْقهَا هاوَنٌ كبيْرٌ للغَايَةِ لدَرَجَةِ أنَّ الطَاهِي بالكَاد يَستطيْعُ أَن يَلُفَّ يدَيه حَوْلَه، كانَ هذَا في أيَّامِ مَا قَبْلَ اخْترَاعِ الخلَّاطَات، حيْثُ كلُّ وَصْفَةٍ تتَطلَّبُ تَقريْبًا مُكوِّنًا وَاحِدًا على الأقَل ليتِمَّ سَحْقهَا بالمِدَقَّةِ والهَاوَن. يُظهِرُ الرَسْمُ التَوضِيحِيُّ لـ"سكابي" أيْضًا مِصْطبًة خَشَبيًّة ضَخْمًة لتَقطيْعِ اللُّحوْم، ويوْجَدُ ما يَصِلُ إلى عشرِ طاولَاتٍ قَابِلَةٍ للطَيِّ كَبيْرَةٍ وصغيْرَة، جاهزَة لنَصْبِهَا عنْدَ الحَاجَةِ للقيَامِ بمَهَام أًخرَى. لَم تُترَك أيُّ مسَاحةٍ تضِيعُ سُدًى، لحْمُ الخِنزيْرِ والأسْمَاكُ المُجفَّفةُ عُلِّقَت على كُلَّاباتٍ مِن عَارضَةٍ خشَبيَّة، وكانَت السَكاكيْنُ جَاهِزًة للاستِخْدَام، ومقَابضهَا بارزًة بكلِّ الزوَايا مِن الحَقيبَةِ المُمتلئة، كالسِهَام الظَاهِرَةِ على جَسَدِ القِدِّيْس سيباستيان.

يَحتَوي الكتابُ الأَوَّلُ مِن"العَمَل" على قَائمَةٍ لَا حَصْرَ لهَا مِن أدوَاتِ المَطْبَخ، وقَد تمَّت تسمِيَةُ وتوضِيْحٍ بالصُوَرِ لكلِّ سكِّينَةٍ، مِغرفَة، مِبشَرَة، مِصفَاة، قِدْر، كُلَّاب، وطَنْجَرَة. إنَّ الطَاهِي الذِي يعمَلُ في المطبَخِ الأَمِيرِي تَوَجَّبَ عَلَيْهِ أَن يعلَمَ جيِّدًا كيفيَّةَ استخدَامِ العشَرَات مِن القِطَع المُختَلِفَة، ابتدَاًء مِن الآيرِن ميكرونِي (صَفٌّ مِن الشفَرات الدائريَّة المُركَّبة على شكْلِ نوْعٍ مِن الشُوبَك الذي يستَطيعُ الدورَان فوْقَ طَبَقَةٍ مِن العَجيْنِ لتَقطيعِهَا إلى شرَائح)، إلى سِيخِ الشوَاء الثُلَاثِي الحَدِيْث، ويوجَدُ مَطبَخٌ ثانويٌّ بجوَارِ المَطبَخِ الرئِيسِي، بالإضَافَةِ إلى بئْرٍ، حَوْض ميَاهٍ آخَر، مَوقِدٍ، أكبَر بكَثيرٍ مِن تلكَ المَوجودَة فِي المَطبَخِ الرئِيسِي، وفُرْنَينِ إضَافيَّين. يَحتوي الرَسْمُ التَخْطِيطِيُّ الذِي أعدَّهُ "سكابي" أيْضًا على لَوْحٍ جَانبيٍّ ضَخْمٍ لهُ قُفْلٌ مَتيْنٌ لأجْلِ الموَادِّ الثَمِيْنَةِ كالتوَابلِ والسُكَّر، ويوْجَدُ وَسَطَ الغُرفَةِ طاولَةٌ طويلَةٌ صَقِيْلَةٌ مصنُوعَةٌ مِن خَشَبِ الجَوْزِ، حَيْثُ يَقُوْمُ رَجُلَانِ وامْرأَة بخَلْطِ وعَجْنِ وتَكوِيْرِ العَجيْنَة، وبأَحَدِ الجَوَانِبِ يُوجَدُ رجُلَانِ مُنشَغِلَانِ بنَخْلِ التوَابلِ، وعلى الجَانبِ الآخَرِ تمَّ تَخْصِيصُ مسَافَةٍ آمنَةٍ للحِمَايَةِ مِن أيِّ رشَقَاتٍ أو حَوَادِث، حَيْثُ صَانِعُ المُحَلبيَّةِ يعمَلُ بعيْدًا على مقلَاةٍ مُسطَّحةٍ كَبيرَةٍ وُضِعَت فَوْقَ مَوقدٍ خَاصٍّ بهَا.

يَحتَوي مطبَخُ "سكابي" النَمُوذَجيُّ أيْضًا على غُرفَةٍ باردَةٍ جَيِّدَةِ التَهويَة، حيْثُ تمَّ إظْهَار ثلَاثةِ طُهَاةٍ مُنشَغليْنَ بالحَليْبِ والجُبْنِ الطَازَج، وهناك رِوَاقٌ خَارجِيٌّ تمَّ الاحتِفَاظُ بالسَمَكِ جَاهِزًا فيْهِ دَاخِلَ برَاميلَ مفْتوحَة مُعبَّأة بالميَاه، وتُشحَذُ السكَاكيْنُ في هذَا المكَانِ أيضًا وتُسلَخُ جُلوْدُ الخَنَازيرِ والدَجَاجِ وتُغسَلُ الأطْبَاق.

**حميَّة الشَائعَات**

كمَا تُوضِّحُ تفَاصيْلُ تنظيْمِ المطْبَخ، كانَت اهتمَامَاتُ "سكابي" في مُؤلَّفَاتِهِ "العَمَل" عمليًّة بالمقَامِ الأوَّل، (109) كانَ الِكتَابُ سيَخْضَعُ لرقَابَةٍ سَاخِطَةٍ مِن محَاكمِ التَفتِيش، وهذَا مَا جَعلَهُ عَاجِزًا عَن الإبْلَاغِ عن أيِّ مِن أعمَالِ السيَاسَةِ التِي أدَّت إلى إطالَةِ فتْرَةِ الانتِخَاباتِ البَابويَّةِ حتَّى إن رَغِبَ بذَلِك، وبرَغْمِ هذَا وبينَمَا انْشغَل "سكابي" بالعَمَلِ بجَدٍّ كانَت المديْنَةُ تَتنَاقَلُ القِصَصَ التي تسرَّبَت مِن الغُرَفِ المُغلقَةِ فِي الفاتيكان.

------------

\*القديس سيباستيان أو سيباستيانوس: قديس روماني تعتبره الكنائس الكاثولوكية والأرثوذكسية شهيداً صلب بواسطة جيش الإمبراطور ديوكلتيانوس لاعتناقه المسيحية.

\*كِفْت: قدر صغيرة للطهو بالغلي البطيء.

عنْدَ وفَاةِ "بولس الثَالث"، انْقَسَمَ الكرَادلَةِ إلى ثلَاث طوَائفٍ عكسَت الجُغرافيَا السِياسيَّة لإيطَاليا في ذلِكَ الوَقت: الحِزْبُ الفرَنسِي وهوَ حِزْبٌ ملَكيٌّ وأكْثَرُ مَجمُوعَة غَير مُنَظَّمَة تضُمُّ بشَكْلٍ عَام أتْبَاعَ البَابَا المُتوفَّى حديْثًا. إنَّ العديْدَ مِن المدُنِ الإيطاليَّةِ كانَت تَنْحَازُ إلى الملكيَّاتِ الخَارجيَّةِ القويَّة، على سَبيْلِ المثَال، وقفَت مدينَة "فلورنسَا" معَ الإمْبرَاطوريَّة ومديْنَةُ "مانتوفا" إلى جَانبِ فرَنسَا، بيْدَ أنَّ طموحَاتِ الكرَادِلَة الفَرديَّةِ لعبَت دوْرًا كبيْرًا مثْلَ السِياسَة، وكذَلكَ فعَل جشَعُهُم؛ فبَعضهُم يكَادُ يجْهَرُ بالقَوْلِ إنَّهُم يأمَلوْنَ بَيْعَ تصْويتِهِم لمَن يعْرِضُ أعْلَى ثَمَنٍ علَيهِم. إنَّ ارتفَاعَ خطَرِ الرشْوَةِ قَد أشعَرَ الكثيْرَ مِنَ الدُوقَاتِ والأُمرَاءِ بعدَمِ اسْتِطَاعتهِم الاعْتمَادَ على مُمَثِّليهِم دَاخِلَ "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ممَّا اضطَرَّهُم لمُرَاقبَةِ سُلوكهِم عَن كثَب.

كمَا هو متَوَقَّعٌ إذًن، فلقَد كانَ "الاجْتِمَاع المُغلَق" الطَويْل عَام 1549 بمثَابةِ عُشٍّ للأفَاعِي يحْتَضِنُ الاقْتتَالَ والتَضْليل، وتمَّت الاسْتِهَانَة بالقيُوْدِ المَفروْضَةِ دوْنَ خجَل، فقَد وصلَ الكرَادلَةُ إلى الانْتخَابَاتِ وبرفْقَةِ كلِّ واحدٍ منْهُم أكثَرَ مِن المُساعدَينْ الشَخصِيَّينِ المَسْموحِ بِهِمَا كحَدٍّ أقْصَى. تُشيْرُ التقديْراتُ إلى أنَّ حوَالي أربَعمئَة شخْصٍ مَسجونيْن في تسعَةٍ وخمسيْنَ حُجرًة في "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ومُعظَمَهُم جوَاسيْسٌ أو حُرَّاسٌ تمَّ إرسَالهُم من قِبَلِ المُلحِدُين، إلَّا أنَّ بعضَهُم مُجرَّدَ أقَاربَ أَو نُبلَاءَ جذبَهُم الفضُوْلُ لمعْرفَةِ الشَكْلِ الذي يبدُو عليْهِ "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ولاسْتيعَاب هذَا العدَد الكبيْرِ مِن الوَافدِيْن أقَام الكرَادلَةُ مُلحقَاتٍ خشَبيَّةٍ فِي الجُزْءِ الأمَامِي مِن حُجُرَاتهِم الأرجوَانيَّةَ والخَضْراء ووضَعوْا لهَا نوَافِذَ جديْدَة.

ترتَبِطُ الانتهَاكَاتُ الفظيْعَةُ للقيُوْدِ بالتوَاصُلِ معَ العَالمِ الخَارجِي، ولهَذَا تمَّ صُنْعُ فجَوَاتٍ بالجُدْرَان، وعمَدَ مَبْعوثو المَمَالِك إلى القُدوْمِ والمُغَادرةِ عَبْرَ مَا يُسمَّى بالموقعِ المُحْكَمِ الإغْلَاق، وكَانَت أَحْذيَتَهُم محْشوًّة بالرسَائل، وقَد اشتكَى سفيْرُ "فيرارا" من عدَدِ المرَّات التِي توجَّبَ عليْهِ فيْهَا الصُعوْدُ إلى أسْطُحِ الفاتيكَانِ ليلًا للتحَدُّثِ معَ الكاردينال دي ديستي (آخِرَ مرَّةٍ شاهدْنَا فيْهَا الشَاب إيبوليتو عنْدَمَا كان جالسًا بجوَارِ شَقِيقهِ على المَائدَة التي نظَّمهَا كريستوفورو دا ميسيسبوغو في فيرارا عَام 1529، فبالنِسْبَةِ لَهُ فقَد تحقَّقت طمُوْحَاتُ عَائلَتهِ، وباتَ بمَقْدوْرِ "إستِس" الآنَ تبَنِّي طمُوحَاتٍ أعْلَى بكُلِّ تأكِيْد، كانَ "إيبوليتو" أحَد أعْضَاءِ تِلْكَ المجْموعَةِ الصغيْرَةِ مِنَ الكَرَادِلَة، والذيْنَ يُعتبَروْنَ مُرشَّحيْنَ لمَنْصبِ البَابا).

في الأيَّامِ الأولى للاجْتِمَاعِ المُغلَق، كانَت هنَاك مُحاولَاتٌ فاترَةٌ لفَرْضِ قوَاعدِ الحِميَةِ الغذائيَّةِ المنصوْصِ عليْهَا بكُلِّ تلْكَ الأعْوَامِ السَابِقَة بعْدَ فضيْحَةِ "فيتربو"، وفي الخَامِسِ مِن ديسمبر عَام 1549، كتَب وكيْلُ عائِلَةِ "غونزاغا": (110) "يُنَفِّذُ الكرَادلةُ الآنَ نظامَ الطبَقِ الوَاحِد، ويتألَّفُ هذَا الطبَقُ مِن زَوجٍ وَاحدٍ مِن الدِيكَةِ المُسَمَّنَة، قطعَة لحْمِ عِجْلٍ لذيْذَة، بعْضِ السلَامِي، حسَاءٍ شَهِيٍّ، وأيِّ شَيءٍ مَطهِيٍّ تَشْتَهِيْهِ النَفْس، هذَا مَا يُقدَّمُ لهُم في الصَباح، أمَّا مسَاًء فبمَقدورِكَ أَن تَحْظَى بكُلِّ مَا ترغَبَهُ مِنَ المَأكولَاتِ المَشْويَّة، فضْلًا عَن القَليْلِ مِن المُقبِّلَات والطبَقِ الرئيْسِي وبعْضِ السَلطَةِ والحَلوَى. إنَّ أكْثَرَ الأشخَاصِ الذيْنَ يمْتَازوْنَ بأُفُقٍ ضَيِّقٍ هُم مَن يَشْتَكُونَ مِن المَشَقَّة، وإذَا لَم تجْرِ الأحْدَاثُ بسُرعَةٍ فسيتَسنَّى لنَا مُشَاهدَةُ رَدِّ فعْلهِم عندمَا يتعلَّقُ الأمْرُ بالخُبزِ والماء".

لَم يَصِل الأَمْرُ إلى تَقْدِيمِ الخُبْزِ والمَاءِ على الإطْلَاق، وبعْدَ فَترَةٍ وجِيْزَةٍ مِن بدْءِ "الاجْتِمَاع المُغلَق" أهْدَرَ اللَّاجِئُ الانكليزيُّ الكاردينَال "ريجينالد بول" فرصَتهُ في اعْتلَاءِ العَرْشِ البَابَوي عَبْرَ صَوْتٍ وَحِيْد، ولكِنَّ الدَعْمَ الضَعيفَ لَهُ أتَاحَ السَبيْلَ لظهُورِ عدَدٍ أكبَر مِن المُرشَّحِين إنَّ السؤَالَ الهَام عَن الكَيفيَّة التِي يتوَجَّبُ على الكَنيسَةِ الكَاثوليكِيَّة أَن تَرُدَّ بهَا على التَحَدِّي البروتِستَانْتِي، قَد أدَّى إلى مَزيْدٍ مِن الخِلَافِ بيْنَ جمَاعَةِ الكرَادِلَةِ التِي كانَت مُنقَسِمًة مُسْبقًا إلى فصَائِل. خِلَالَ هذهِ الفتْرَة، تمَّ إلقَاءُ تُهَمٍ للهَرطَقَة بشَكلٍ طَفيْفٍ، وكانَت القضَايا المنطقيَّة مَحفوْفًة أكثَر مِن المُعتَاد بالأهميَّةِ السيَاسيَّة، قَامَت الجمَاعَة الامْبرَاطوريَّة بتَقدِيْمِ الدَعْمِ للعَالِم اللَّاهوتي الدومِينِيكِي الحَاقِد "خوان ألباريث دي توليدو"، أمَّا المُرشَّحُ الآخَرُ الذِي يُتوَقَّعُ فوزَهُ بمَنْصبِ البَابَا فهوَ "جيوفاني غارافا" النَبيْلُ النَابولي الذِي عَمَدَ بصِفَتهِ كَبيْر المُحَقِّقيْن إلى نَشْرِ الذُعرِ بيْنَ مُصلحِي الكنيْسَة والزنَادِقَة. يَعْتقدُ الكثيْرونَ أنَّهُ سيتِمُّ اختيَارُ كَارديْنَالٍ ضَعيْفٍ لإخْفَاءِ طمُوْحَات الشَاب الفرَنسِي القَاسِي والوَقِح " تشارلز دي جويز"، وعندمَا تضاعفَت المكَائِد، تمَّ إلقَاءُ كُلِّ أَورَاقِ المُسَاومَاتِ الخَاصَّةِ بِشؤوْنِ السُلَالَةِ الحَاكِمَةِ مِنَ الزوَاج، الأرَاضي، والأموَال في المفاوضَات، بدَأ الكرَادلةُ بإرسَالِ الهَدَايَا لبَعْضِهِم البَعض مِنَ الأطبَاقِ المُختَارَة، وقَد تمَّ إنجَازُ الأعمَالِ الانتخَابيَّة على المآدُبِ الفَخمَة، وذلِكَ لإرضَاءِ الجنرَال الرومَانِي "لوكوس" الفَاجِرِ سَيِّء السِيْط.

مِن الوَاضحِ أنَّ الفِرَقَ التِي تَنَقَّلَت بيْنَ المطَابخِ و"الاجْتِمَاع المُغلَق" قَد تقَاطَرَ العَرَقُ مِنْهَا تحْتَ وطْأَةِ ثِقَلِ الطعَام، (111) مِن بيْنِ الخَطايا العَديْدة التي ارتُكبَت دَاخِل "الاجْتِمَاع المُغلَق"، لَم تكُن الشَراهَة هيَ الأقَلَّ تأثيْرًا بإطَالَةِ أَمَدِ المُدَاولَاتِ لفَترَة طوْيلَةٍ جِدًا. مرَّ شَهرُ ديسَمبر وتوَاصَلَ انْعِقَادُ الاجْتِمَاع المُغلَقِ في العَامِ الجَدِيْد.

---------- \*السلامي: نوع من أنواع الباسطرمة تصنع بشكل شعبي بواسطة الفلاحين الإيطالين حيث تتم صناعة وتحضير السلامي وحفظها بدرجة حرارة الغرفة وتخزن لمدة سنة أو أكثر. يقدم السلامي في إيطاليا كتشكيلة وإضافة إلى السباكيتي والبيتزا المشهورة في إيطاليا. يحضر السلامي بشكل أساسي من لحم الخنزير، ويمكن تحضيره من لحم البقر أو غيره.

\*ريجينالد بول: كاردينال إنكليزي وآخر كبير أساقفة كاثوليكي في كانتربري، وكان قد تقاطع مع هنري الثامن، تدرب في إيطاليا وتزعم إحدى الكنائس الكاثوليكية التي أرادت تحديث الكنيسة لتتوافق مع البروتستانتية. \*خوان ألباريث دي توليدو: أسقف وكبير الأساقفة من الرهبة الدومينيكانية وكاردينال بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية ومحقق في روما، وُلد في طليطلة في 15 يوليو عام 1488. وتُوفي في روما في 15 سبتمبر عام 1557. \*البابا بولس الرابع ـ ولد باسم جيوفاني بييترو غارافا: هو بابا الكنيسة الكاثوليكية من 23 مايو 1555 وحتى وفاته. \*الإصلاح البروتستانتي: حركة إصلاحية قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية.

للأسَف، تجنَّب الكتابُ الحَديْثَ عَن الكرَادِلَةِ الذيْنَ عَمِلَ "سكابي" لدَيْهِم، حتَّى إنَّه لَم يذكُر إن كانَت حُجرتَهُ أرجوَانيًّة أَم خَضْرَاء، ولكِن أيًّا كانَ أميْرُ الكنيسَةِ الغَامضِ فإِنَّ حَاوِيتَه الكورنوتا والكريدنزا قَد احتوَت على بعْضٍ مِن أعظَمِ وجبَاتِ الغدَاءِ الجَاهِزَةِ التِي تمَّ تَسْجِيلهَا على الإطْلَاق. إنَّ الكِتَابَ الرَابِعَ مِن مُؤلَّفَاتِ "العَمَل" هوَ عبَارَة عَن دَليْلٍ يَضمُّ قوَائمَ الطعَامِ التِي يُقدِّمهَا الكَاردينَالُ أو البَابَا لضُيوفِه، ويُخبرُنَا "سكابي" بأنَّهُ قَد حمَلَ مأدُبَاتٍ مُمَاثلَةٍ إلى "الاجْتِمَاع المُغلَق"، ومن المُمكنِ أَن تتضمَّنَ وجْبَةَ "الاجْتِمَاع المُغلَق" المثَاليَّة أربعَةَ أطْبَاق: وجبتَانِ بارِدتَان يُؤتَى بهِمَا مِن البوفتِيْك، وأُخْريانِ يُؤتَى بهِمَا سَاخِنتَيْنِ مِن المَطْبَخ بوَاسِطَةِ حَاوِيَة الكورنوتا، ولعَلَّ كلُّ طَبَقٍ يحْتَوي بحَدِّ ذَاتهِ على ثمَانيَةِ إلى عَشْرِ أطْبَاقٍ مُتنَوِّعَة، وإنَّ التَوصِيَة بكِتَابِ "العَمَل" لِغَدَاءِ الخَامسِ عشَر مِن ديسَمبَر هوَ خَيْرُ مِثَالٍ على ذَلِك. وكحَالِ العَديْدِ مِن قوَائمِ طَعَام "سكابي" التِي احْتوَت على البسكَويْت الحُلو ضِمْنَ وَجْبَةِ الكَريدَنَزا (البُوفِيْه المَفْتُوح)؛ فإنَّ بسكويت مَدِينَةِ بيزا أو الرومَاني يُقدَّمُ معَ نَبيْذِ مالفاسيا، أو معكرونَة البِيْنِي النَابوليَّة، يَعرِضُ"سكابي" وصفًة لمَعكرونَة البِيْنِي الميلَانيَّة والتِي يَصِلُ حجْمُهَا لحوَالي الإصْبعَين، وهيَ بنَكهَة اليَانسُون معَ حبَّةٍ أو اثْنتَينِ مِن المِسْك-إنَّهُ مُكَوِّنٌ غريْبٌ للغَايَة. في "نابولي" اليَوم يتِمُّ إعدَادُ معكرونَة البِيْنِي معَ قِشْرِ البُرتقَالِ المَبْشُوْرِ والتوَابِل، وهِيَ مُشَابهَةٌ لوَصْفَةِ "سكابي"، وهُنَاك أيْضًا كعْكُ اللَّوْزِ والسُكَّر، مُعجَّنَات الزُبْدَة الرَقَائقيَّة التي تذوْبُ فِي الفَم.

يُقَدَّمُ البسكَويتُ والمُعجَّنَاتُ معَ مجمُوْعَة متنوِّعَة مِن الوجَبَات الغذَائيَّة اللُّحُوْمَ البَارِدَة والبَسيْطَة: شرَائِح لسَان الثَور المُملَّح المَطبوْخ في النَبيْذ، لحْمُ الخنزيْرِ المطهِي في النَبيْذ ويُقدَّم مع الكَبَر والزَبيْب ورشَّة مِن السُكَّر، فطيْرَةُ لحْمِ الغزَالِ البَارِدَة، ديْك مُسمَّن مَسلوْق مَطلِي بسخَاءٍ بمزيْجٍ مِن السُكَّر والفُلفُل والقِرفَة والقرُنْفُل وجَوْزةِ الطِيْبِ والشَمَّر، ويُرافِق كُل هذَا مجمُوعَة مُنتقَاة مِن العِنَب.

برَغمِ بسَاطتِهَا نسبيًّا إلَّا أنَّ هَذهِ الخُطَط البَارِعَة المفتُوحَة لقَائمَة طعَام "سكابي" هيَ أوْضَح في تَنَاقُضِهَا مِن مأدُبَة "ميسيسبوغو"، وهذَا مَا أتَاحَ لعَبقريَّةِ "سكابي" أَن تُظهِرَ نَفسهَا مِن هَذِهِ المَرْحَلَة فصَاعِدًا، ففَنُّهُ يتَألَّقُ مِن خلَال طبقَة السُكَّر السمِيكَة التِي يتَمُّ طلَاؤها على المُنتَج فَضْلًا عَن التوَابِل، فمِنَ المُستَحيلِ تَقريْبًا بالنسبَةِ لنَا أَن نُقَدِّرَ حقًّا مَا مَا استَساغَهُ النَاسُ مِن مذَاقٍ في القرُونِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة.

تصِلُ الوَجبتَان التَاليتَانِ سَاخِنتَينِ مِنَ الكارنتَا وتتكوَّنُ بالكَاملِ تقريْبًا مِن اللُّحوْم، تنَوُّعهَا لَافِتٌ للنظَر تَقريْبًا- وهذَا ينطَبقُ على جميْعِ قوَائمِ العيِّنَاتِ البَالغِ عدَدها 113 والموجوْدَة في الكِتَابِ الرَابعِ مِن العمَل"،(112) وَكُلَّ وَجبَةٍ تَعرِضُ نمَطًا بارِعًا وهَادِفًا، كمَقَاطعَ مِن قَصِيْدَةٍ بقوَامِهَا ونَكهَتِهَا تَدعُونَا للتَذَوُّقِ والمُقَارنَةِ والتأمُّلِ ثمَّ التذَوُّقِ تارًة أُخْرَى.

------------

\*بوفيتك: خزانة دولاب لتناول الطعام في غرفة الطعام، خاصًة حيث تكون الخزانة المركزية محاطة بخزائن عرض زجاجية رباعية، وعادة ما تكون مصنوعة من الخشب المصقول ومزخرفة بألواح خشبية. غالبًا ما يكون الجزء العلوي مصنوعًا من الرخام أو أي حجر مزخرف سائل ومقاوم للحرارة.

\*بيني: هي نوع من أنواع المعكرونات الإيطالية اللذيذة وكلمة بيني تعني الريشة أي الخفة والرشاقة ويمكن أن نجهز من هذه المعكرونة أشهى الأطباق والأكلات.

\*المرصبان أو معجون اللوز: هو نوع من أنواع الحلويات السكرية ويصنع من اللوز المطحون والسكر وماء زهر الليمون وبعض الملونات الأخرى.

\*الكَبَر أو القَبَّار أو الشَفَلَّح أو الأَصَف: هي شجيرة تنتمي للفصيلة القبارية تعيش في حوض البحر الأبيض المتوسط وتنمو على الجدران وفي المناطق المحجرة وعلى جوانب الطرق وعند الشواطئ الصخرية.

الفطَائرُ على سَبيْلِ المِثَالِ يتِمُّ تَقْدِيمهَا معَ كِلَا وَجبَتَي اللَّحْم؛ ففي الوَجْبَةِ الثَانيَةِ يُقدَّمُ لَحْمُ الحَمَامِ أمَّا الوَجْبَةِ الثَالِثَة فيُوضَعُ على مائدَتِها لَحْمُ البَطِّ معَ الخَوْخِ والكرَز الحَامِض المُجفَّف. وللطيُورِ الصَغِيرَةِ حَديْثٌ آخَر؛ فيَندَرجُ فِي الوَجبَتَيْنِ طَائرُ السُمنَةِ المُحَمَّرَ على سِيْخِ الشِوَاءِ بِتَرتِيْبٍ مُتنَاوبٍ معَ النَقَانقِ والبُرتقَالِ، وتحْتَوي أيضًا على طَائرِ الزَرزوْرِ المَطهِيِّ مع النَقانِقِ وجُذوْرِ النبَاتَات الشَائكَة الصَالحَةِ للأَكْل، ويُقدَّمُ معَ الجُبن المَبشوْرِ فَوْقَه.

تَتَّبِعُ الدَّوَاجِنُ أَيْضًا تَنْوِيعَاتٍ مُخْتَلِفَةً فِي هَذَا المَوضُوعِ: فَالفَرْخَةُ الصَّغِيرَةُ المَشْويَّةُ عَلَى السِّيخِ وَالمَحْشِيَّةُ بِشَرَائِحِ اللَّيْمُونِ، السُّكَّرَ وَمَاءِ الوَرْدِ فِي الوَجْبَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ، وَالدَّجَاجُ الْمُقَدَّمُ مَعَ فطَائِر الرافيولي الصَغِيرَة وَالمَحْشِيَّة بِعَجِينَةٍ مُكوَّنَةٍ مِن لَحْمِ بَطنِ الخِنْزِيرِ المَسْلُوقِ، ضِرْعِ البَقَرِ، لَحْمَ الخِنْزِيرِ المَشْوِيِّ، جُبْنَةِ البَارميزَان، الجُبْنِ الطَرِيِّ، سُكَّر، وَأَعْشَابٍ عِطْرِيَّة، التَّوَابِلِ وَالزَّبيبِ. تُرَافِقُ الصَّلْصَاتُ المُمَيَّزَةُ أَيْضًا كُلَّ وَجْبَةٍ تقريبًا: فَنَجِدُ مَعَ الوَجْبَةِ الثانِيَةِ، صَلْصَةَ تشانتي ذَاتُ النَّكْهَةِ اللَّاذِعَةِ المُعَدَّةِ مِنْ عَصِيرِ العِنَبِ المُرَكَّزِ، قِشْرِ البُرْتُقَالِ المُحَلَّى، وَكُلًّا مِنَ السَّفَرْجَلِ وَالتُّفَّاحِ البَرِّيِّ الصَغِير،ِ َالمَطْهِيَّةِ فِي النَّبِيذِ وَالسُّكَّرِ، وَمَعَ الوَجْبَةِ الثَّالِثَةِ مَزِيجٌ مِنَ الثُّومِ وَاللَّوْزِ.

لَا رَيْبَ أنَّها قَائِمَة طعَامٍ تَعُوْدُ لِطَاهٍ مَوهُوْب. طعَامٌ يُثِيرُ حِسَّ التَذَوُّقِ الرَدِيءِ وتَقرَّ بهَا أَعيُنُ خُبرَاءِ التذَوُّقِ المُتحَاملِيْن، فأَطبَاقُهَا المُتنَاغِمَةُ تسْمَحُ للمَرْءِ المُهْتَمِّ بصِحَّتهِ بالتآمُرِ على نَهجِهِ الجَالينُوسِي خِلَالَ الوجْبَةِ وإبْرَازِ المَيِّزَةِ الخَاصَّةِ القَويَّةِ للوَصَفَاتِ الأُخْرَى، تَعرِضُ الوَجْبَةُ الثَالِثَةُ مُلَاحظَاتٍ وَاقعِيَّةٍ أكثَرَ عَن الأَرْنَبِ البَرِّي المَقْلِي، ولَحمِ البقَر المَسلوْق وفْقَ الطريْقَةِ المِيلَانيَّة، والتِي تتنَافَسُ على خلفيَّةٍ مِن الأَرُزِّ المطْبُوخِ بحَليْبِ المَاعزِ ورُشَّ فوْقَهُ السُكَّر والقِرْفَة. مِن اللَّافِتِ للنَظَرِ أنَّ "سكابي" قَد عرَضَ فِي وَجبَتهِ الثَانِيَة وصَفَاتهِ المُتطَوِّرةَ على نَحْوٍ استِثْنَائِيٍّ جَنْبًا إلى جَنْبٍ معَ الاعْتِقَادِ الذِي قَد يُسَاوِرُنَا وهوَ أنَّ طعَامَهُ قَليْلُ الأهَميَّة: الخُبْزُ الحُلو المَقْلِي وكَبِدِ المَاعِزِ المَطْهِيِّ فِي عَصِيْرِ البُرتقَال، بالإضَافَةِ إلى قَدَمِ العِجْلِ التِي تمَّ سَلقُهَا أوَّلًا ثُمَّ دُهِنَت بالبَيْضِ بفُرْشَاةٍ وقُلِيَتْ.

لَم تَكُن الوَجْبَةُ الرَابِعَةُ والأَخِيْرَةُ على مَائِدَةِ الغَدَاءِ الكَاردِيْنَالِي فِي الخَامِسِ عشَرَ مِن ديسَمبَر، أكثَرَ مِن مَزيْجٍ مِن الأَطعِمَةِ المُتنوِّعَةِ القَليْلَةِ الأَهميَّةِ والمُفتَقِرَةِ للحمَاسَة، غَيْرَ أنَّ مُلَاحظَاتهَا لا يمكن أن تكون قد انتزعت بخبرة أكبر: الخَرْشُوف الشَوْكِي معَ المِلْح والفُلفُل، وتُطْهَى الكمَأَةُ على البُخَارِ معَ الزيْتِ وعَصِير البُرتقَال، الفُلفُل، الكُمَّثرَى والتُفَّاح، الأجْبَانُ مِن "توسكانا" والريفيرا الليغورنية، السفَرجَل والكَستنَاء المَشويَّة، ونوْعين مِن الفطَائرِ الصَغيْرَة (فَطيْرَة مَرزبَانية بيْضَاء، ووَاحِدَة مِن أَطعِمَة "سكابي" الرَئِيسيَّة وهِيَ فطيْرَةُ لومبارد، المُكوَّنة مِن قَالَبِ عَجِينَةٍ حُلوَة معَ حَشْوَةٍ مِن أَورَاقِ الشمَنْدَر الخَضْرَاء ، وجُبْنَة البَارمِيزَان والرِيكوْتَا).

--------- \*طائر السمنة: وهو اسم فصيلة تحت رتبة العصفوريات، تضم هذه الفصيلة 328 نوعا، وهي طيور يتراوح حجمها بين الصغير والمتوسط ومنها ما يعيش طائرا معظم وقته، ومنها ما يتغذى على الأرض ويتراوح طول الطائر من هذه العائلة ما بين 11 سم، و33 سم والوزن ما بين 80 و220 جم.

\*الزرزوريات: هي طيور صغيرة إلى متوسطة الحجم. يوجد الزرزور بشكل طبيعي في العالم القديم أوروبا وآسيا وأفريقيا، كما في بعض مناطق الشرق الأقصى وأستراليا، ولكن عدة أنواع أوروبية وآسيوية ادخلت لأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا. الزرازير متوسطة الحجم قوية القدمين. تستطيع الهروب بشكل قوي ومباشر، كما إنها اجتماعية جدًا.

\*النباتات الشوكية أو النباتات الشائكة: هو الاسم الشائع لمجموعة من النباتات المزهرة التي تتميز بوجود أشواك حول أوراقها، أغلب هذه النباتات تنتمي إلى فصيلة النجمية. وعادةً ما تتواجد الأشواك إما حول الأوراق أو الأزهار أو في أي جزء من أجزاء النبات.

\*الخرشوف الشوكي: هو نوع من النباتات يتبع جنس الخرشوف من الفصيلة النجمية. يسمى ثمره بتسميات مختلفة منها القوق في المغرب والقرنون في الجزائر والقنّاريّة في تــونــس.

\*الريفيرا الإيطالية: أو ريفييرا الليغورية هي الشريط الساحلي الضيق الذي يقع بين بحر ليغوريا والسلسلة الجبلية التي تشكلها جبال الألب البحرية وأبنينيس.

(113) سيُغفَرُ لنِيَافَتهِ أخْذُ غَفْوَةٍ بعْدَ هَذهِ الوَجْبَةِ الرَائِعَة، قَبْلَ أَن يَنْخَرِطَ قَليْلًا بحَمْلَةٍ انتِخَابيَّةٍ بَسيْطَة، ليَحِيْنَ مَوْعِدُ العشَاءِ الذِي أُعِدَّ بمُسْتوًى مُمَاثِل تمَامًا لوَجْبَةِ الغدَاءِ فِي إبْدَاعِه، ونَمَطِهَ الرَاقِي ومِقْدَارهِ الوَافِر. أمَّا الأَمْرُ الجَديْرُ بالذِكْرِ فَهُوَ أنَّ السُلطَات كانَت العُنصُرَ الغَالِبَ فِي وَجْبَةِ البُوفِيْه المَفْتُوْح- مثْلمَا بدَت فِي مُعظَمِ قوَائِم العشَاءِ لـ"سكابي": الخَس وأزْهَار الحَمحَم المَخزني، نبَاتُ الكَبار والزَبِيْب، معَ الهِنْدِبَاء البريَّة المَطهِيَّة أو الجَزَر. تُوضَعُ معَها فطَائِرَ رَضيْعِ الخِنزِيْرِ البَرِّي، ولحْمِ مِتْنِ الخِنزِيْرِ البَرِّي المُمَلَّح والمَطْهِي فِي النَبيْذِ وتُقَدَّمُ معَ عَصِيْرِ البُرتُقَال والسُكر، ومَعكروْنَة تورتيليوني على الطَريْقَةِ المِيلَانيَّة، والتِي تمَّ قَطْعُهَا مِن لُفَافَةٍ لمُعجَّنَاتٍ قَصِيرَةٍ مَكسِوَّةٍ بِقِشْرَة، وقَد لُفَّت فوْقَ حَشْيَةٍ رَقِيقَةٍ مِن الحَلوَى.

**روما:عَاصِمَةُ المَطبَخ الإيطَالِي**

لقد وُجِّهَ الكتَابُ الأوَّلُ مِن أعْمَالِ "سكابي" إلى مُتَدَرِّبٍ شَابٍّ يُدعَى "جيوفاني"، ويحْتَوِي على نصَائِحٍ عَامَّةٍ حَوْلَ حِرْفَةِ الطَهْيِ مِن النَوْعِ الذِي تمَّ تلخِيْصَهُ بِبِدَايَةِ هذَا الفَصْل، والكتَابَان الثَاني والثَالِث يَتحَدَّثَانِ عَن وصَفَاتٍ لـ"سكابي" تَعُودُ لأيَّامِ الصِيَامِ التِي يتِمُّ فيْهَا تنَاولُ اللَّحْمِ أو الامْتِنَاعِ عَنْه على التوَالِي، أمَّا الكتَابُ الرَابِع فيَمنحَنا تقويْمًا لنمَاذِجِ قوَائمِ الطعَام، ويَدوْرُ الكِتَابُ الخَامِس حوْلَ مَا يَدعوْهُ بالبَاستَا- التِي لَاتزَالُ تَعنِي المُعجَّنات والعَجِين؛ وهذَا مَا جعَلَ الفطَائِر، الكَعكَات، والفطَائِر المَقليَّة هِيَ المَوضوْعَاتُ الرَئيسِيَّةُ الهَامَّة بَدلًا مِن المَعكروْنَة، الشعِيريَّة، والرَافيوْلِي.

يُورِدُ "سكابي" تَرتِيبَاتِ تَقدِيْمِ الطعَامِ فِي "الاجْتِمَاع المُغلَق" للكَنِيسَة كمُلحَقٍ للكتَابِ السَادِس، يحتَوِي الجُزْءُ الأكبَرُ منْهُ على وصفَاتٍ للمَرْضَى المُتمَاثليْنَ للشِفَاء، والذيْنَ جذَبوا قدْرًا كبيْرًا مِن الاهتِمَام مِن قِبَلِ مُؤلِّفِي كتُبِ الطَهْيِ قَبْلَ عصْرِ الاستِهْلَاكِ والطِبِّ العِلمِي، أمَّا فيمَا يَصُبُّ لصَالحِ الكَنيْسَةِ الغيرونتُوقرَاطيَّة، فقَد كانَ |سكابي| مُدرْكًا على نَحوٍ خَاصٍّ احتِيَاجَاتَ المَرْضَى، فهوَ يُخبِرنَا أنَّ "الاجْتِمَاع المُغلَق" الذِي عُقِدَ بفَتْرَةِ 1549-1550 قَد استمَرَّ لمُدَّةٍ طَويْلَةٍ جدًّا لدرجَةِ أنَّ كَاردينَاليْنِ قَد تُوُفِّيَا، وثَالِثًا اضطُرَّ للمُغادَرَةِ بسبَبِ المرَض. وتنَوِّهُ أعمَالُ "سكابي" إلى المُنتجاتِ الغَذَائيَّة في البَلدَاتِ والمُقاطعَاتِ البَابويَّة المُجَاوِرَة، فعلَى سَبيْلِ المِثَال تَأتِي أسمْاكُ الجِلكِي والكَراكِي مِن "تايبر"، والتِيْنِ المُجفَّفِ من "سابينا"، وكَرَزُ الرَبيْعِ وجُبنَةُ المُوزَاريلَا مِن "روما". ولكِن مِن اللَّافتِ للنَظَر أنَّ مَطبَخَ "سكابي" يُموَّنُ أيْضًا مِن أمَاكِنٍ أَبعَدَ بِكَثيْر، وليْسَ فقَط بجُبنَةِ البَارمِيزَان التِي لَابُدَّ مِنهَا و إنقِليْسِ البَحْرِ المُملَّح القَادمِ مِن كوماكيو، لعلَّ الأَرُزَّ الذِي طهَاهُ "سكابي" لهَيْئَةِ الكَهَنُوْتِ الكَنَسِيَّةِ مَصْدرَهُ "ساليرنو" فِي الجَنوْبِ أو "ميلَان" بالشَمَال، وحصَلَ على السَردِيْنِ المُخلَّلِ مِن "جَنَوَة" والكَارب والشَاد المُخلَّلِ مِن بُحيرَةِ "غاردا". إنَّ مَرجِعَ مجَالِ الطَهْيِ السِرِّي وَاسِعٌ للغَايَة، بحَيْثُ يَجِدُ نفْسَهُ مُضطَرًّا لشَرْحِ أسمَاءِ المنَاطقِ المُختَلفةِ للأَسْمَاكِ التِي يطْبخَهَا: فَلِأسْمَاكِ الَقاروْسِ أسمَاءُ عَديْدَةٌ فِي كُلٍّ مِن روما، جَنَوَة، البُندقيَّة، وبيزا.

----------- \*الحمحم المخزني: أو أبو العرق أو خبز النحل هو نوع نباتي ينتمي إلى الفصيلة الحِمْحِمِيَّة، تشبه قصعين الحدائق،ولها غصون برية، مع أزهار زرقاء اللون نجمية الشكل، بطول 46سم تقريبا، وتزهر في فصل الربيع.

\*تورتيليوني: هي إحدى أنواع المعكرونة، تشبه ريغاتوني ولكنها تملك أخاديد لولبية أكثر عمقاً. أخذت من الكلمة الإيطالية توركويره والذي يعني "لوي أو لف". الاسم تورتيليون يعني الشكل المميز الناتج من المخرطة التي تستخدم في تصنيع المعكرونة بأشكال أخاديد طولية

\*الغيرونتوقراطية: هي حكم الأكبر سنًا للدولة ،المجتمع أو المجموعة،القبيلة...

\*كوماكيو : هي بلدة في مقاطعة فيرارا في إقليم إميليا رومانيا الإيطالي.

\*سمك الشاد: هي سمكة شبيهة بالرنجة ،تقضي الكثير من حياتها في البحر، وعادة ما تدخل الأنهار لتضع بيوضها، وتعد طعامًا هامًا في العديد من المناطق.

(114) يذكرُ "سكابي" الأجبانَ المُعدَّة مِن حليبِ خِرَافِ "فلورنتينا": جُبنَة المَارزولينو القاسِيَة والمُنكَّهة نوْعًا مَا، بسَطحِهَا الخَارجِي ذي اللَّوْنِ الشَمْعِيِّ الأَصْفَر، وجُبنَة الرافيجولو البيْضَاء الطريَّة، بالإضَافَةِ إلى الكُرَاتِ البَيضَويَّة الكَبيْرَة لجُبنَة الكاتشوكافالو والتِي يتِمُّ إنتَاجهَا بالقُرْبِ مَن "نابولي"، كمَا يَجرِي ذَلِك حتَّى اليَوم. يَعُوْدُ أصْلُ العَديْدِ مِن مُنتجَات لَحمِ الخِنزيرِ المُفضَّلة، كمَا هوَ الحَالُ فِي أيَّامِنَا هَذِهِ، إلى مجموْعَةِ المنَاطقِ عبْرَ وسَطِ شمَالِ إيطاليا: مِن لوكا، مودينا، بولونيا، وفيرارا. وحتَّى الموَادُ البسيْطَةُ كانَت تَجْتَازُ مسَافًة طَويْلًة، مثْلَ المَلفوْفِ والضفَادِع مِن بولونيا. في أيَّامِ "سكابي" وكذَلِك في زَمَانِنَا هذَا، يُعْتَبَرُ الطعَامُ الإيطاليُّ فُسَيفِسَاءَ لمجَالَاتِ التَخصُّصِ مِن المنَاطقِ المُختَلِفَة تجمَّعَت فِي المدُن، ثمَّ انطلقَت إلى السُوْقِ الوَطَنِي.

يَأْتِي الزَّيْتونُ عَبْرَ شَبَكَةِ الْمَؤُونَةِ هَذِهِ تَمَامًا لِأَجُلِ الْأَغْنِيَاءَ، وَتَقْريبًا يُرْسِلُ كُلُّ جُزْءٍ مِن شِبْهُ الْجَزِيرَةِ الإيطَاليَّة وَجُزرهَا شَيْئًا مِنَ العَطَايَا الخَضْرَاءِ أَوِ السَّوْدَاء إِلَى مَائِدَةِ البَابَا. وَيَسْتَشْهِدُ "سكابِي" بِالمُدُنِ الوَاقِعَةِ بِالقُرْبِ مِن رُومَا مِثْلُ "مونتيروتوندو" وَ "تيفولي"، لكنه طلَبَ الزَّيْتونُ أَيْضًا مِنْ جنوة، نابولي، وَصَقْلِيَّة، وَمِن كورتونا فِي تُوسْكَانَا وتورتونا فِي بيدمونت، حَتَّى إنَّ الزَّيْتونَ يَأْتِي مِنْ بُولُونِيَا، وَهِي المَدِينَةُ الَّتِي اشْتهَرَت في حِيْنِهَا بِالزَيْتونِ، لَكِنَّ اسْمَهَا لَمْ يَعُدْ مُرْتَبِطًا اليَوْمَ بِزِرَاعَةِ الزَّيْتونِ أَكْثَرَ مَن بُوسِطُنَ أَوْ شِيكَاغُو، (لَا يَتَّضِحُ مَا هوَ الأَمْرُ الَّذِي تَغَيَّرَ، أَهُوَ الطَّقْسُ أَمِ الطَّعْمُ، ليتَسَبَّبَ في قَطْعِ أَوَاصِرِ الصِّلَةِ بَيْنَ بُولُونِيَا وَهَذَا التَّخَصُّصُ المُحَدَّد).

يُؤْتَى بِالزَّيْتونِ أَيْضًا مِنْ إسبانيا، وَكَثِيرَةٌ هِي أَنْوَاعُ الْمُنْتِجَاتِ الغِذَائِيَّةِ الأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ تَرِدُ مِنَ الخَارِجِ: فَسَمَكُ السَّلْمُونِ والرَنْجَة المُمَلَّحَةُ مِنَ الإقْلِيمِ الفلَامندي، والإنقليس مِن مَالطَا، وَالجُبْنُ الدَسِمَ الجَيِّدُ عَلَى نَحْوِ خَاصٍّ مِن ألمانيا، حَيْثُ يَصِلُ مَحْفُوظًا فِي لِحَاءِ الشَّجِرِ.

إِنَّ الْوَصْفَاتِ أَكْثَرُ قَابِلِيَّةٍ لِلحَمْلِ مِن بَرَامِيلِ الأَسْمَاكِ وَالزَّيْتونِ، وَقَدِ اِسْتَنَدَ "سكابِي" عَلَى وَصْفَاتٍ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ أوروبا وَالبَحْرِ المُتَوَسِّط، فَاحْتَفَظَ بِمَكَانَةِ الشَرَفِ لِليَخْنَةِ الإسبَانيَّة المُشْتَمِلَة على كُلِّ شَيْءٍ وَالمَعْرُوفَة بِاسمِ " أَوَلَا بودريدا " التي تتضمَّنُ وَصْفًة كتالونيًّة لِطَائِرِ الحَجَلِ المَشْوِيِّ عَلَى الجَمْرِ. يَصِفُ "سكابِي" طَبَقًا مِنَ المَغرِبِ العَرَبِيِّ يَدْعُوهُ " سوكسو " كتَهجِئَةٍ مُحَرَّفَةٍ لِطَبَقَ الكُسْكُس، وَمِنْ ألمانيا وَردَت عِدَّةَ طُرُقٍ لِطَهيِ الخِنْزِير البَريِّ وَسَمَكِ الكَراكِي، بِالإضَافَةِ إِلَى يَخْنَةِ لَحْمِ مَتْنِ الثَّوْرِ الدَّسِمَةِ َالَّتِي تُطْهَى عَلَى نَارٍ هَادِئَةٍ لِمُدَّةِ سَاعتَين، حَيْثُ تُقَدَّمُ عَلَى أفْضَلِ وَجْهِ مَعَ البَصَلِ المَشْوِيِّ (لَقَد استَخْدَمَ سكابِي العَجِين لِسَدِّ غِطَاءِ القِدْرِ بِإحْكَامٍ، وَخَلَقَ تَأْثِيرًا لَطِيفًا لِقِدْرَ الضَّغْط). تُعْتَبَرُ أَبْرَزُ إِسْهَامَاتِ فَرَنْسَا عَلَى المَائِدَةِ البَابويَّةِ هِي تِقَنِيَّةُ تَرصِيعِ الكَبِدِ وَاللُّحُومِ الأُخْرَى بِدُهْنِ الخِنزِيرِ، لكنْ لَا تَوَجَدُ أَيُّ وَصْفَاتٍ مِن إِنكلتَرَا البرُوتِسْتَانتِيَّةَ ضِمْنَ أَعمَالِهِ. لقَد تَمَّ إِدْرَاجُ كُلَّ هَذِهِ الوَارِدَاتِ فِي إِطَارٍ مُتَمَيِّزٍ مِنَ الأَطْبَاقِ مِن جَمِيعِ أَنْحَاءِ إيطاليا، أَمَّا مَجْمُوعَةُ "سكابِي" المُخْتَارَة لِوَصْفَات التالياتلي والتورتيليتي والرافيولي، فَهِي فِي الكِتَابِ الثَانِي (التَهْجِئة لِهَذِهِ الكَلِمَاتِ تَعُودُ لَهُ). وَلِلمَعْكَرُونَةِ التِي أَعَدَّهَا "سكابِي" أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَة:

----------

\*الإقليم الفلامندي: هو أحد الأقاليم الفدرالية الرسمية الثلاثة التي تشكل المملكة البلجيكية، إلى جانب الإقليم الوالوني وإقليم بروكسل العاصمة. يحتل الإقليم الفلامندي الجزء الشمالي من بلجيكا بمساحة 13.522 كم2 أي ما يعادل 44.29 ٪ من مساحة البلاد.

\*كتالونيا: هي منطقة تقع في أقصى شمال شرق شبه الجزيرة الإيبيرية. وضعها الدستوري متنازع عليه بين مملكة إسبانيا، التي تعتبرها منطقة ذات حكم ذاتي داخل حدودها، وحكومة كتالونيا التي تعتبرها جمهورية مستقلة بعد إعلان الاستقلال عن إسبانيا من جانب واحد في 27 أكتوبر2017.

(115) فبعْضُها على شَكلِ كُرَاتِ الدَامبلنغ، وأُخرَى أشْبَه بالمَعكرونَة المُجفَّفة اليَوم، ومِنهَا مَا يُشْبِهُ "الطِرَازَ الروْمَانِي" الذِي يَصِفَهُ بأنَّهُ عِبارَة عَن شرَائطَ رَفيْعَةٍ تمَّ قَطْعُهَا باسْتخدَامِ حَديْدَةِ المَعكروْنَة مِن قِطعَةِ عَجِيْنٍ رَقيقَةٍ مَصنوْعَةٍ مِن الدَقِيق وفُتَاتِ الخُبْز الذِي أُضِيْفَ لَه حَليْبُ المَاعِز وصَفَارُ البَيْض. لقد جُفِّفَتْ هذهِ المعكرونَة لفترَةٍ مِن الوَقتِ ثمَّ غُلِيَت بالمَاءِ لنِصْفِ سَاعَة، وتمَّ تَكدِيسُها بعْدَ ذلِكَ فِي طبَقٍ خَزَفِيٍّ على شَكلِ طبقَاتٍ مُتنَاوبَةٍ مِن الجُبنَةِ المَبشوْرَة، مُكعَّبات الزُبدَة الصَغيرَة، السُكَّر، القِرفَة، وشَرائِح مِن جُبنَة حَليْبِ الجَامُوْس المَحليَّة المُسَمَّاة بروفاتورا. فِي نِصْفِ السَاعَةِ الأَخيْرَةِ فِي الفُرْنِ ومَعَ إضَافَةِ القَليلِ مِن مَاءِ الوَرد، يذوْبُ الجُبنُ بيْنمَا يتخَلَّلُهُم طَعْمُ التوَابِل. تَرِدُ وصفَاتٌ أُخْرَى مُفصَّلَة مِن "جَنَوةَ" و"لومْبَاردِي".

لَاتزَالُ أطباق عديدة فِي كِتَابِ "العَمَل" مَوجوْدًة حتَّى يَومِنَا هذَا، مِن ضِمْنِهَا بعْضٌ مِن أطبَاقِ الكونوشينتي الحَقيقِيَّة، مثْلَ الكَعكَةِ الدَائريَّة التوسْكَانيَّة- يَنسِبُها "سكابي" إلى مَديْنَة "سيينا"، ويُصِرُّ بشَكلٍ صَائبٍ تمَامًا على أَن تُؤكلَ سَاخِنًة مِن الفُرن، أو غاتافورا جنوة وهيَ عِبارَة عَن جُبنَةٍ ناَعِمةٍ ومُعجَّناتِ أعشَابٍ عِطريَّة تَبْدو سَلفًا مُباشرًا لغاتفين المَوجُوْدَة فِي أيَّامِنَا هَذِه. لقَد فقَدَت بولونيا سُمعتَها منْذُ أيَّام "سكابي"، ليْسَ بالزَيتوْنِ فحَسْب بَل أيْضًا بفطَائرِ الأَعشَاب، ومَا عَادَت "ميلان" تتمَتَّعُ بشُهْرَةِ التشيرفيلاتا ، وهوَ سِجْقٌ مُعَدٌّ مِن الجُبنِ والدَم، الدِمَاغ ولَحْمِ الخِنزِيْر.

تُشِيرُ العديْدُ مِن الأطبَاقِ المَثاليَّة فِي "العمَل"، إلى أنَّه وعلى مَرِّ القروْنِ ومنْذُ الانتِعَاشِ الاقتِصَادِيِّ للمُدنِ في العصُورِ الوسْطَى، جَرَت مُحاولَةُ تَقليْدِ قَالَبِ جُبنَةِ البَارميزَان في مَكَانٍ آخَر، لقَد أَمْسَت شبَكَةُ المدُنِ الإيطَاليَّة مَنظُومًة لخَلْقِ التنَوُّعِ بتَذَوُّقِ الطعَامِ وتخَصُّصِه، ومعَ ذلِكَ لَم يَكُن مثْلُ هذَا التَركِيْز الوَاسِع النِطَاق على المُنْتَج والمَعْرِفَةِ مُمْكِنًا بأَيِّ مكَانٍ باسْتِثنَاءِ روما، غيْرَ أنَّ قَادَة المَديْنَة الخَالِدَة بذَلوا جَهدَهُم لجَذْبِ المُكوِّناَتِ الإيطَاليَّة. وكحَالِ الزَيتُون، الجُبْن، والسلَامِي، توَافَد الطُهَاةُ ومُشرِفُو المَأدُبَات إلى "سانت بيتر" مِن الشَمَالِ والجَنُوب، فبَاتَت عَالمِيَّة تذَوُّقِ الطعَامِ ذَاتَها واضِحًة بالفِعْل على شَكْلِ صُورَةٍ مُصَغَّرةٍ فِي كِتَابِ بلَاتينا "متعَةٌ لَائقَة": مُتَتَبِّعًا المُؤلِّفيْنَ الكلَاسِيكيِّين الذيْنَ أحَبَّهُم، واستمْتَع "بلَاتينا" بالتَنويْهِ لمَصدَرِ دجَاجِ بادوان، وجُزُرِ فيتربو، وبُرتَقال نابولي، وعسَلِ صَقَليَة- مِن بيْنِ العَديْدِ مِن الأطعِمَةِ الأُخْرَى.

لقَد تحوَّلت روما بفِعْلِ السِيَاسَة إلى مِحْوَرِ الغِذَاءِ فِي إيطَاليا، فعَلى مدَى قرْنٍ أَو نَحْوِ ذَلِك، بيْنَ زمَانِ "بلَاتينا" والاجْتِمَاعِ المُغْلَق عَام 1549 الذِي خدَم فيْهِ "سكابي"، تنَامَى دَوْرُ البَابا كأَمِيْرٍ عِلمَانِيٍّ بشَكْلٍ أَكثَرَ أهَميَّة، وباتَ يتَقَاضَى مُعظَمُ دَخلهِ الآنَ مِن الأرَاضِي التَي يَحكمُهَا فِي وَسَط إيطَاليا، عِوضًا عَن المُساهَمَاتِ "الرُوحِيَّة" التِي يَتِمُّ تَقدِيمَها بأمَاكنَ أُخرَى مِن العَالَمِ المَسِيحِي.

---------- \*الدامبلنغ:هي كرات مطهوة من عجينة الخبز. وعادة ما تعتمد على الطحين أو البطاطس أو الخبز وربما تحتوي على اللحم أو السمك أو الخضروات أو الحلويات. بل وربما تطهى عن طريق الغليان أو التبخير أو الطهو ببطء أو القلي أو الخبز.

\*سيينا: مدينة بوسط إيطاليا في إقليم توسكانا، وهي عاصمة مقاطعة سيينا. تشتهر عالميا بموروثها الفني وصناعة الأثاث. وقد عدت المدينة ضمن الموروث الإنساني من اليونسكو. تشتهر بسباق الباليو وهو سباق خيول تقليدي يقام بصيف كل عام في ساحة دل كامبو، يأتي إليه سياح كثيرون من كل بقاع الأرض .

\*الغاتفين: نوع من فطائر الرافيولي المقلية محشية بأعشاب عطرية متبلة بالبصل والبيض والجبن.

(116) تراجعَت قوَّةُ تَأثيْرِ الأرستُقراطيِّين الرومانيِّين على السُلطةِ البَابويَّة، وازدَادَ حَجْمُ البِيروقرَاطيَّة فِي الفَاتيكَان، أَي مَا يُسَمَّى بالكوريا، ونتيْجًة لذَلِك أصْبحَت روما مديْنَة المُهَاجريْنَ معَ اقتِصَادٍ قَائمٍ على تِجَارَةِ الخَدَمَات: تَعوْدُ أُصوْلُ أكثَر مِن نصْفِ سُكَّانهَا لأجْزَاءٍ أُخرَى مِن إيطَاليا، فجَاء التُجَّار، المَصرفِيوَّن، وجَيْشٌ مِن صِغَارِ التُجَّار والحِرَفيُّونَ، للعَمَلِ لصَالحِ خَمسَةٍ وعِشريْنَ إلى ثلَاثيْنَ كَاردِينَالًا مُقيمِيْنَ في المَديْنَة بأَيِّ وَقْتٍ مِن الأوْقَات. ولقَد تمَركَزَ السُفرَاءُ مِن كُلِّ إيطَاليا والقُوَى الأَجنبيَّة بشَكْلٍ دَائِمٍ فِي روما أيْضًا- وقَاموا بتَوظِيفِ الوُكَلَاءِ، والخَدَم وسُعَاةِ البَريْد، وأنْفَقوا بسَخَاءٍ على المَآدُب وحفَلَاتِ الاستِقبَال. ازدَادَ عدَدُ اليَهوْدِ فِي روما، فهُم يَعِيشُوْنَ على هَذِهِ الأَرْضِ قبْلَ وصوْلِ المَسيحِيَّةِ إلَيْهَا، فقَد تزَامَنَ ذَلِكَ معَ فِرَارِ اللَّاجِئيْنَ مِن الاضْطِهَادِ بأَمْكِنَةٍ أُخْرَى، لقَد استضَافَت المَديْنَة حشُوْدَ الحُجَّاج والمُتسَوِّليْن، وجذَبَ أُسلوْبهَا المُتَرَاخِي بالآدَابِ العَامَّة مِئَاتٍ مِن البَغَايَا.

انْعَكَسَ الثَرَاءُ والتَرَفُ الذِي باتَت روما تَنْعُمُ بهِ على إيطَاليَا عَامَّة أيضًا؛ وذَلِكَ لأَنَّ البَابوَات بالطَبْعِ لَا يُمكِنُ لَهُم أَن يُقَارَنُوا بسَائِرِ الحُكَّام؛ فَهُم أَقوَى مِن نَاحِيَةٍ لاجْتِيَازِ نفُوذِهِم السِيَاسِي والرُوْحِي حُدُوْدَ أوروبا، وأضْعَفُ بالمُقَابِلِ لأنَّهُم أَشْخَاصٌ مُنْتَخَبُوْنَ فِي نِهَايَةِ الأَمْر، وهذَا مَا يُفَسِّرُ سبَبَ احتِوَاءِ مَجْمَعِ الكَرَادِلَةِ خِلَالَ عصْرِ النَهْضَة على نِسبَةٍ أَعْلَى بكَثِيْرٍ مِن الإيطَاليِّين مُقارنًة بالفَترَةِ السَابِقَة، فكَانَ الأُمرَاءُ مِن جَميْعِ شِبهِ الجَزيْرةِ الإيطَاليَّة على استِعدَادٍ لاسْتِثمَارِ جِبَالٍ مِن النُقوْدِ وسنوَاتٍ مِن المُناوَرَاتِ الدِبلومَاسيَّة ليَحْصَلَ رَجُلَهُم على صَوْتٍ في الاجْتِمَاع الانتِخَابِيِّ المُغلَق.

لقَد تَمَّ تَقَفِّي أَثَرَ خطُوْطِ الإمْدَادِ التِي يَتِمُّ جَلبُ الزَيتوْنِ والبضَائعِ الأُخْرَى عَبْرَهَا إلى المَطَابخِ البَابويَّة بوَاسِطَةِ طُرُقِ السُلطَةِ البَابويَّةِ فِي نِهايَةِ المَطَاف، فصنَعَ كُلٌ مِن الطُهَاةِ ورِجَالِ الدِيْنِ، ثَروتَهُم بسَبَبِ الاجْتِمَاع الانْتِخَابِيِّ المُغْلَق، وهكذَا بالإضَافَةِ إلى طَهْيِ "سكابي"، كانَ الكَرَادِلَةُ فِي الاجْتِمَاعِ المُغلَق يتَنَاولوْنَ وليْمًة وَافِرًة مِن الشَائِعَاتِ الحَاقِدَة ذَاتِ الدوَافِع السِيَاسيَّة.

خُذْ حَالَة الكَاردينَال المِسكِين "جيوفان ماريا ديل مونتي"، والذِي بَاتَ ضَحيًّة لأَكثَرِ القِصَصِ خبَاثًة، وربَّما هِيَ مُرتَبِطَةٌ بقبَاحَتِهِ الفَظيْعَة؛ حيْثُ لُوْحِظَ أنَّ أنْفَهُ الكَبِيْرَ المَعقوْفَ قَد جعَلَ مَظهَرَهُ الجَانِبِيُّ يَبْدو كـ"أكبَر ضِحْكَةٍ فِي العَالَم"، ولَكِن وِفْقًا للقِيْلِ والقَال فِي الاجْتِمَاعِ الانْتِخَابِي المُغْلَق (117) فإنَّ مظهَرهُ المؤسِف هذَا لَم يُثبِّط شهيَّتَه بارتِكَابِ الفَاحِشَة، وإنَّ القصَّة المُتدَاولَة عَنْهُ في العُصْبَةِ الإمبراطوريَّة هِي التالي:

---------- \*الكوريا: هي البلاط البابوي في الفاتيكان، والذي يحكم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وهي تضم مختلف التجمعات ،المحاكم وغيرها من اللجان والإدارات.

\*مجمع الكرادلة: هو الهيئة الجامعة لكافة الكرادلة الناخبين في الكنيسة الكاثوليكية. ويشكل أعلى هيئة استشارية في الكرسي الرسولي. ويشغل أعضاؤه أي الكرادلة، مناصب إدارة مجامع الكوريا الرومانية، أو رئاسة الأسقفيات الكبرى أو بطاركة.

كرَجُلٍ شَاب، فقَد كانَ الكَاردينَال "ديل مونتي" أبًا لمِئَةِ طِفْلٍ غَيرِ شَرعِي، مِن الوَاضِح أنَّ أُمُّه المُتوَفَّاة قَد أقْنَعَتْهُ بتَغيِيْرِ نَهْجِ حيَاتهِ، فركَعَ بجَانبِ سَريرِهَا، وأَقْسمَ يَميْنًا بأنَّه مِن الآنَ فَصَاعِدًا لَن يُرَافِق إلَّا الأَوْلَاد، ووفْقًا لمَا ذكَرَ "ماروي" فقَد تمسَّك "ديل مونتي" بالعَهْدِ الذِي قطَعَهُ بحَذَافِيرِهِ، وهوَ الآنَ يُبقِي مَنْزِلَهُ مَليْئًا بالغِلمَان، وقِيْلَ إنَّ مُفَضَّلَهُ كانَ شَابًا قَد وظَّفَه أيْضًا لتَدريْبِ قِردِهِ الأَليْف.

فِي الجَوِّ الدِينِيِّ المَحمُومِ بأوروبا في ذَلِك الوَقْت، كانَت الشَائِعَاتُ مِن هذَا القَبيْلِ تتقَافَزُ لكَي تَنْتَشِرَ وتَنْمُو، الأمْرُ الذِي زادَ مِن سوْءِ الصُوْرَةِ المُرعِبَةِ لبَابويَّةِ عَصْرِ النَهْضَة. فِي الوَاقِع، لقَد ولَّدَ الِبلَاطُ الأَسْقُفِيُّ دِعَايًة بروتِستَانتِيَّة معَ قِصَصِهِ الصَارِخَة الكَثِيرَة، فلقَد كانَ العَديدُ مِنْهُم مَوضِعًا لمَا تنَاقلَتهُ الألِسنَةُ حتَّى إنَّ المُؤرِّخيْنَ أدْرَكوا اسْتِحَالَةَ فَصْلِ الحَقيْقَةِ عَن الخَيَال، وبالإضَافَةِ إلى القوَانِينِ المُترَاخِيَة، الطمُوح الشَخْصِي، السِيَاسَة العِلمَانِيَّة، النِزَاع اللَّاهوتي، والوَفْرَة السَخِيَّة للطَعَام؛ فإنَّ الشَائِعَات قَد أسْهمَت بإطَالَةِ الاجْتِمَاعِ الانتِخَابِي المُغلَق الذِي عُقِدَ خلَالَ شَهْرِ كاَنوْن الثَاني- ومعَ ذَلِك لَم يَحْظَ أَيُّ مُرشَّحٍ على إِجمَاعٍ بالأَصْوَات.

**ذَيْلُ الثَوْرِ وحِسَاءُ السَمَك**

تُعتبَرُ أحشَاءُ الذبيْحَة واللُّحوْم أقَلَّ جَوْدةً؛ مِن ركَائزِ الطَهْيِ الرومَانِيِّ المِثَالِي اليَوْم، ورُبَّما كانَ ذَيْلُ الثَورِ وفْقَ "الشَكْلِ الذِي نرَاهُ عنْدَ الجَزَّار" عَرْضًا وثَنِيًا، إِذ يَجِبُ أَن يُطْهَى ذَيْلُ الثَوْرِ على نَارٍ هَادِئَةٍ ببُطءٍ فِي النَبيْذِ والبَنَدوْرَة حتَّى يُصبِحَ عُصَاريًا، وهوَ المَبْدَأُ الأسَاسِي بالعَديْدِ مِن الوصَفَات، حتَّى إنَّ البَعْضَ منْهَا يحْتَوِي على الشوكولَاتَه المَبشوْرَة لأَجْلِ إبْرَازِ جَانِبِ الحلَاوَة المُرَّة الرَقِيقَة للطَبَق، تُقدِّمُ المَطَاعِمُ الرومَانيَّة النَاجِحَةَ أيْضًا الخُبْزَ الحُلوَ معَ الخَرشُوف، وشرَائحَ مَقليَّةٍ مِن خِصيَةِ الثَوْر، الكِرشَة، والعَديْدِ مِن الأَطعِمَةِ الشَهيَّةِ الأُخْرَى. إنَّ هذَا الطَبْخَ شَعبِيٌّ على نَحْوِ وَاضِحٍ أكثَرَ مِن كَونهِ أُسلوْبَ طَهْيِ النُخْبَة، لكِنَّهُ عَصرِيٌّ وحَضَرِيٌّ بشَكْلٍ لَا لَبْسَ فِيْه، فَمِن نَاحِيَةٍ يُعَدُّ جُزْءًا مِن تَقلِيْدٍ نشَأَ على الأَغْلَبِ بالقُرْبِ مِن مَسْلَخِ القَرْنِ التَاسِع عشَر فِي حَيِّ الطبَقَةِ العَامِلَةِ فِي "تيستاشيو، ومِن جِهَةٍ أُخرَى يَعوْدُ تاَريْخَهُ إلى الوَقْتِ الذِي اكتَسَبَت لحُوْمُ البقَرِ المكَانَةَ التِي تتمَتَّعُ بِهَا اليَوْم، وعنْدمَا تمَّ استِهْلَاكُ المُنتجَات الثَانويَّة لصِنَاعةِ لَحْمِ البَقَرِ مِن قِبَلِ الأَقَلَّ ثَرَاء.

إنَّ ذَيْلَ الثَوْرِ طعَامٌ رَخِيْصٌ بكُلِّ تَأكِيْد، لكنَّه ليْسَ بفَضَلَاتٍ لَا قِيمَةَ لهَا أَبَدًا، فَفِي أَوَاخِر القَرْنِ التَاسعِ عشَر كانَ بعيْدًا عَن مُتنَاوَلِ الفُقرَاء الأَشَدَّ فَقْرًا. (118) إنَّ الجزَّارين ،عُمَّال المَسْلَخ، وعَائلَاتِهِم- وبَشْكلٍ نِسبِيٍّ الحِرَفيَّون والعُمَّال الذيْنَ يَعيشوْنَ برَغَدٍ وكذَلِكَ مَن تمتَّعوا بأَفْضَلِ قُدْرَةٍ على الوصُوْلِ إلى أحْشَاءِ الذَبيْحَة- قَد أثَاروا حِسَّ تذَوُّقِ المَسَرَّات كَالبَاجَاتا (أَمْعَاء العِجْل). هؤلَاءِ النَاس الذِيْنَ احتَفَلوا بمِثْلِ هَذهِ المُكَوِّنَات "الفَقيْرَة"؛ قَد جَذَبوا سُيَّاحًا مُوسِرِيْن ذَوَّاقين للأَطْعِمَة إلى منَاطقِ الطبقَاتِ العَامِلَة لتَذَوُّقِ عَيِّنَاتٍ مِنْهَا، وبالتَالِي لإحدى السِمَاتِ المُميَّزةِ للمَطبَخِ الرومَانِي، ولَكِن كذَلِك للمَطْبَخِ الإيطَاليِّ بشَكْلٍ أكثَر عمومًا، وهوَ ذاكَ التبَادُل المُستَمِر بالأَفْكَار بيْنَ أُولئِكَ المَوجُوديْنَ على الدرجَاتِ العُليَا والدُنيَا مِن السُلَّمِ الاجْتِمَاعِي.

مِن الصَعبِ أَن نتَخيَّل نَادِيًا لتنَاولِ العشَاء يَفُوْقُ الاجْتِمَاعَ الانتِخَابِيَّ المُغْلَقَ عَام 1549 غِنًى وخصُوصِيَّة، ومعَ ذلِك فبِوِسْعِنَا تَحْدِيْدُ الآثَارِ المُغرِيَةِ للعلَاقَةِ الحَمِيمَةِ بيْنَ النِظَامِ الغِذَائِي للنَاسِ العَاديِّين وطعَامِ النُخْبَة، لقَد سبَق أَن شَاهَدْنَا كيْفَ عرَضَ "سكابي" قَدَمَ العِجْلِ والخُبزَ الحُلو معَ بعْضٍ مِن ابتِكَارَاتهِ الأكثَرَ تفْصِيلًا، وفي مكَانٍ آخَرٍ بكِتَابِ "العَمَل" هنَاكَ الكَثيْرُ مِن وصَفَات الدَم، الضِرْع، الرِئَة، الطُحَال، الكِرشَة، الرَأْس واللِّسَان. يُعتَبَرُ "سكابي" مِن أَرقَى الطُهاة الذيْنَ عَمِلوا فِي أَكثَرِ مُدُنِ تذَوُّقِ الطعَامِ فِي أوروبا، رغْمَ أنَّ كتَابَهُ يُظهِرُ بوضُوْحٍ أنَّه كانَ يَستَمتِعُ بطَهْيِ الأَدمِغَة، الأَعيُن، والخِصيَتَين.

حتَّى أنَّه وضعَ أكثَر المُكوِّنَاتِ بسَاطًة للاستِخدَامِ الإبْدَاعِيِّ فِي العَمَل، فاقْترَحَ طَهْيَ الكُرَّاث والبَصَل فِي مَرَقٍ دَسِمٍ، فقَام بتَقطِيعِهَا، وقَلْيِهَا فِي شَحْمِ الخِنزيْر، ثُمَّ خَلطَهَا بالبَيضِ المَخْفوقِ، جُبنَة البَارميزَان، والتَوَابل. وكحَالِ جَميْعِ وَصَفاتِهِ النَباتيَّة، والتِي وُجِدَ منْهَا عدَدٌ كَبيْرٌ للغَايَة، فقَد حَرصَ "سكابي" على التَسجِيلِ عنْدمَا يكوْنُ المُنتَجُ عادًة في مَوسِمَه، وعلى سَبيْلِ المِثَال نبَاتُ القُرَّاص والخَبِيْزَة، فأَفْضَلُ وقْتٍ لكِلَيْهِمَا هوَ فَصْلَا الرَبيْعِ والشِتَاء. هنَاكَ أطبَاقٌ أُخْرَى مُعَدَّة مِن الشَعِير، ونبَات الدُخن، طَحِين الكَسْتنَاء، والحُمُّص المُكسَّر، وحتَّى المَوَادُّ الحَدِيْثَة المُستَورَدَةُ مِن العَالَم الجَديْدِ والمُعَدَّةُ لدَوْرٍ بَالِغِ الأَهَميَّة ومُخْزٍ غَالبًا فِي تاَريْخِ تنَاولِ الطَعَامِ الإيطَالي: كالذُرَة التِي أُعِدَّت على شَكْلِ عَصِيْدَة، حيْثُ أَضْفَى عَليْهَا "سكابي" نَكهَةَ المرَقِ الدَسِم، وقِطَعَ النقَانِق، الجُبنَة، القِرفَة، والزَعْفرَان.

لَم تَكُن مُكَوِّناتُ الطعَامِ الشَعبيِّ هِيَ الوَحِيدَة التِي وجَدَت طَريقَهَا إلى مَائِدَةِ البَابا، فلَا يشْعرُ "سكابي" بالخَجِل مِن الاعتِرَاف أنَّ العَديْدَ مِن وصَفاتهِ قَد ارتقَت لدَرجَةٍ كَبِيرَةٍ على المُسْتوَى الاجتِمَاعي كمَا فعَل هو، والرافيولي المُتطَوِّرة التِي

رَأيْنَاهَا تَطفُو فَوْقَ الدَجَاجِ المَسلُوْقِ فِي عَيِّنَةٍ مِن قَائِمَةِ طعَامِ 15 كانون الثَانِي؛ خَيْرُ مِثَالٍ رَئِيسِيٍّ على ذَلِك، حَيْثُ يُلفِتُ "سكابي" الانْتِبَاهَ إلى أَنَّ "عَامَّة النَاس" يُشِيروْنَ إليْهَا بالأنيولي. هُناكَ طَبَقٌ أَيْضًا "يَدعوْهُ النَابوليُّونَ بالبِيتْزَا"، وهِيَ فَطيْرَةٌ دَسِمَةٌ العُنْصُرُ الأَسَاسِيُّ فِيْهَا هوَ قِشْرَةُ مَعجوْنِ اللَّوْزِ المَليْئَةِ باللَّوْزِ المَطْحُوْن (119) وحبَّات الصَنوبَر، التَمْر، التِيْن، الزَبِيْب والبِسكوِيْت (إنَّ الدَمْجَ بيْنَ كَلِمَة بيتزا والخُبْز المُسَطَّح أو الفوكاشيا المُلطَّخة بصَلصَة الطمَاطِم قَد امتَدَّت إلى فَترَةٍ طَويْلَةٍ فِي المُستَقبَل).

ولاعْتِبَارِ أنَّ "سكابي" شَخْصٌ لومبَارديٌّ وأمْضَى حيَاتَهُ المِهَنيَّة المُبَكِّرة فِي "البُندقيَّة" و"رافينا"، فَمِنَ المَفهُومِ تمَامًا سبَبَ عَرْضِ الشَمَالِ وأَقْصَى الشَمَالِ الإيْطَاليِّ بشَكْلٍ مُفرطٍ في اختِيارَاتهِ للأَطْبَاق، ومِن بيْنِ هَذهِ الأَطبَاق الفِينيسِيَّة والمِيلَانيَّة، فإنَّنا نُلقِي نظْرًة خَاطِفًة على الكَيفيَّةِ التِي بَنَى فيْهَا خِبرَتَهُ خِلَالَ مُقابلَاتهِ المُباشَرة معَ مَن شَعَروا بالامْتِنَانِ لَه، فهوَ يُخبِرُنا على سَبيْلِ المِثَالِ أنَّ الصَيَّادينَ مِن كيودجا (البَلدَةُ الوَاقِعَةُ على البُحَيرَةِ الشَاطِئيَّة حيْثُ تُوجَدُ أَحوَاضُ المِلْحِ فِي البُندقيَّة) يَقومُوْنَ بطَهْيِ أسْمَاكِ القوبيون على شَوَّايَةٍ فَوْقَ الجَمْر، أَو يضَعونهَا فِي حَسَاءٍ معَ نَبيْذِ المَالمسي، المَاء، وقَليْلٍ مِن الخَل، و"توَابِل البُندقيَّة". أمَّا صَيَّادُو المِيَاه العَذْبَة في وَادِي "بو" فلَهُم طَريْقَةٌ مُمَاثِلَةٌ معَ أسْمَاكِ الكَارب، أمَّا أسْمَاكِ التَرْسِ مِن خَليْجِ رَافينا فَهِي الأَلَذُّ فِي الحَسَاء. فِي الحَقيْقَة، يُعِدُّ صَيَّادُو الأسْمَاكِ مِن "كيودجا" و"البندقية" أفضَلَ أنْوَاعِ الحَسَاء، ويحْظَوْنَ بنتَائِجَ أَفْضَل ممَّا يَفْعَلُ الطُهَاةُ لأنَّهُم يَطهُونهَا فِي اللَّحْظَةِ التِي يصْطَادُونَهَا فيْهَا".

لقَد تعَلَّم "سكابي" دوْنَ شَكٍّ إعَدَادَ شُوربَات السَمَك العِطرِيَّة التِي يَمتَزِجُ فِيْهَا المَذَاقُ الحُلْوَ مَعَ الحَامِضِ مِن الصَيَّاديْن الذِيْنَ عَرَفَهُم، بَيْدَ أنَّهَا قَد تَبْدو غَيْرَ عَادِيَّة وِفْقًا لمَعاَيِيْرِ اليَومْ، ولَكِن بِغَضِّ النَظَرِ عَن مذَاقِهَا فَهِيَ تُلفِتُ النَظَرَ إلى الحِوَارِ الدَائِرِ بيْنَ المُنتِجيْنَ والمُستَهلكِين الذيْنَ يَطهوْنَ بالطَريقَةِ التِي نظَّمَها "سكابي". إنَّ صَيَّادي أَسْمَاكِ بُحَيرَةِ البُندقِيَّة قدَّموا مَعرِفَتَهُم بالأَسْمَاك، وبالمُقَابِل طَوَّروا مذَاقًا غَنِيًا أكْثَر حلَاوًة وتتبيلاً، والتِي باتَت تُهَيمِنُ على مَطبَخِ النُخْبَة بشَكْلٍ مُتزَايدٍ منْذُ العصُوْرِ الوسْطَى.

**الكَعْكَةُ المَلَكِيَّةُ البَيْضَاء**

في أوَاخرِ شَهْرِ ينَايِر عَام 1550، قرَّر الكَرَادِلَةُ المُتخَمونَ بالطعَامِ التصَرُّفَ على نحْوٍ مَنطِقِي، فانتِهَاكَاتهِم للقوَانِين كانَت بكُلِّ وضُوْحٍ السبَبَ الرَئيسِيَّ ورَاءَ فَشَلِهِم حتَّى الآنَ بانتِخَابِ البَابَا الجَدِيْد، ممَّا دفَعَهُم إلى تَشْكِيلِ لُجْنَةٍ إصْلَاحِيَّةٍ دَاخِلَ الاجْتِمَاعِ الانْتِخَابِي، وفَرَضوُا نِظَامَ فيتربو تارًة أُخْرَى. تمَّ القَضَاءُ على امتِدَادَاتِ الحُجُرَات، وطَرْدِ ثمَانِينَ زَائِرًا غيْرَ مُصَرَّحٍ بهِم، ومُنِعَت الأَسْلِحَة، ولَم يُسمَح إلَّا بِطَبَقٍ وَاحِدٍ بكُلِّ وَجْبَة.

أصْبحَ بوِسْعِ الشَعَائرِ أَن تفْرِضَ نفْسهَا مُجدَّدًا على السِيَاسَاتِ والانغِمَاسِ الذَاتِي. وعِنْدَ مُروْرِ أسبُوْعٍ أَي فِي السَابِعِ مِن فبرَاير عَام 1550، وبَعْدَ مُروْرِ وَاحِدٍ وسَبعيْنَ يوْمًا على إِغلَاقِ أبْوَابِ الاجْتِمَاعِ الانتِخَابِي المُغلَق، نُصِبَ العَرْشُ البَابَوي فِي كَنيْسَة بولين، وجَلَسَ البَابَا على كُرسِيِّه للمَرَّةِ الأُوْلَى، اتَّخَذَ الكَرَادِلَةُ أمَاكِنَهُم المُعتادَة قبَالتَه- لقَد أُقِيْمَ الحَدَث بالمكَانِ ذاته الذِي جَرَت فيْهِ المُفاوضَاتُ خِلَالَ الأَشْهُرِ القَليلَةِ المَاضِيَة.

---------- \*الفصيلة القوبيونية: هي فصيلة من الأسماك تتبع رتبة قوبيونيات الشكل من طائفة شعاعيات الزعانف. وهي أكبر فصائل الأسماك فهي تحتوي على أكثر من 2,000 نوع لأكثر من 200 جنس. ومعظم هذه الأسماك صغيرة نسبيًا، حيث أن طولها لا يتعدى 10 سم.

(120) وبينمَا أخَذَ رئيْسُ التَشريْفَات يقْرَأُ اسْمًا بصَوتٍ جَهُوْر، شَرَعَ كلُّ كَاردِينَالٍ بالاقْتِرَابِ مِن العَرْشِ وتَقْبِيلِ يَدِ البَابَا، قدَمِه، وفَمِه. قَامَت لوْحَةُ استِشْهَادِ القِدِّيْسِ بُطرُس التِي رسمَهَا "مايكل إنجلو" مُؤَخَّرًا بمُرَاقَبَةِ هذَا المَشْهَد؛ حيْثُ يَظْهَرُ فيْهَا الصَيَّادُ ذو اللِّحْيَةِ البَيْضَاء مُثَبَّتًا بمَسَامِيْرَ على الصَليْبِ الذِي تمَّ إنْزَالَه رَأْسًا على عَقْب إلى الأَرْض، وقَد التَوَى جِذعُهُ القَوِيُّ الشَاحِبُ والنَحِيْلُ، فمَكَّنَهُ مِن إلقَاءِ نَظْرَةٍ مُعَاتِبَةٍ عبْرَ كَتِفِهِ الأيْمَن صَوْبَ خَلِيفتِهِ والرِجَالِ الذيْنَ اختَاروْه. أعْلَنَ البَابَا "جيوفاني ماريا ديل مونتي" أنَّ اخْتِيَارَهُ لاسْمِ "يوليوس الثالث"، كانَ إحْدَى الشَائِعَات الفَاضِحَة الكَثِيْرَة التِي تنَاقَلتْهَا الأَلُسنُ عَن "ديل مونتي "خلَالَ الاجتِمَاع المُغلق، وهو تبَجُّحٌ مفَادهُ أنَّه إذَا أصْبحَ بَابَا الفَاتيكَان فسيَمنَحُ مَحْبوبَهُ قبَّعةَ الكَاردينَال الحَمْرَاء، وقَد جَرَى ذَلِكَ بالفِعْل؛ فبعْدَ مروْرِ أسَابيْعَ على انتخَابهِ تمَّتْ تَرقِيَةُ مُدَرِّبِ قِرْدهِ ذي السَبعَة عشَر عامًا إلى مَنصِبِ الكَاردينَال الذِي ينْبَغِي أَن يكوْنَ تَقِيًا للغَايَة مِن النَاحِيَة الشَخْصيَّة. كانَ "يوليوس الثَالِث" فَاجِرًا، ومِزَاجيًا، ومُسْرِفًا وغيْرَ حَاسِمٍ سِيَاسيًّا أيْضًا. واتَّضَح أنَّ أطْولَ اجتِمَاعٍ انتِخَابِيٍّ مُغلَقِ فِي عصْرِ النَهضَة ربَّمَا قَد انتَخَب الأَسوَأَ مِن بيْنِ العَديْدِ مِن الباَبوَاتِ السَيِّئِيْن.

ومعَ ذلِك، يَبْدو أنَّ "بارتولوميو سكابي" يتذكَّرُ البَابَا يوليوس بمَحبَّةٍ لَاريْبَ فيْهَا، أو على الأَقَل هذَا هوَ الانطِبَاعُ الذِي يُوحِي بحَقِيْقَةِ أنَّه وبالرَغْمِ أنَّ "سكابي" يعمَلُ لصَالحِ البَابَا بشَكْلٍ مُؤقَّت، بيْدَ أنَّ "يوليوس" هو البَابَا الوَحِيد الذِي تَحْمِلُ اسْمَهُ وَصفَةٌ في كِتَابِ "العَمَل".

**إعدَادُ الكَعكَةِ الملَكِيَّةِ البَيْضَاء**

**كمَا يُحِبُّهَا البَابَا يوليوس**

**المَقَادِيْر:**

2 رِطْل مِن جُبنَة بروفاتورا، مصنوْعًة حديْثًا بذَات اليَوْم (كمَا هوَ الحَال الآنَ، فقَد كانت البروفاتورا جُبنًة طَازجًة، تُصنَعُ مِن الحَليْبِ الذِي يَتِمُّ تَخثِيرَهُ على الفَوْرِ مِن الجَاموْس).

2 رِطْل مِن السُكَّر النَاعِم

3 أونْصَة مِن مَاءِ الوَرْد

إما 3 أكوَاب مِن كابي دي لاتيه مُعَد بنَفْس اليَوْم، أَو كَأْسٌ مِن الحَليْبِ والكرِيْمَة (إنَّ أقرَبَ مُكَافِئٍ حديث لـ كابي دي لاتيه والذِي يَعْنِي حَرفِيًا رؤوْسُ الحَليْب هو البَانَا كوتا).

15 بيَاضْ بَيْضَة طَازَج.

زُبْدَة طازَجَة لدَهْنِ طبَقِ المُعجَّنات، وطَحِيْنٍ لرَشِّهِ عَليْهَا، وسُكر لتَشْكِيلِ قِشْرَةِ وبيَاضِ البَيْضِ لمَنْحِهَا طبَقًة رَقيْقًة لَامِعَة.

-----------

\*البانا كوتا: وتعني حرفيا بالايطالية كريمة مطبوخة، هي نوع حلوى إيطالية مكونة من كريمة محلاة ومشدودة بالجلاتين ومصوبة في قوالب. الكريمة عادة ما تاتي مضاف اليها نوع من الكحول والفانيلا والقهوة.

(121) تُدَقُّ جُبنَةُ البروفاتورا فِي الهَاوَن حتَّى يُصبِحَ لهَا قَوَامُ الزُبْدَة، ويُضَافُ السُكَّر النَاعِم، مَاءُ الوَرْد، وإمَّا الكَابِي دِي لَاتيه أو الحَلِيْب والكرِيْمَة، ثمَّ يُمرَّرُ كلُّ شَيءٍ عَبْرَ المَنْخَل، ويُسْكَبُ فِي طبَقِ المُعجَّنَات المُعَد، ويُطْهَى برِفْقٍ فِي الفُرْن، معَ حرَارَةٍ أَعلَى مِن فَوْق ممَّا هِي عَليْهِ فِي الأَسْفَل (يشْتَمِلُ دَليلُ سكابي لمُعِدَّات المَطْبَخ على قوَالِبٍ خَاصَّةٍ لوَضْعِ قِطَعِ الجَمْرِ فَوْقَ القِدْرِ أَو الطَبَق)، وعنْدمَا تُطهَى تقريْبًا تُكسَى بقِشْرَةٍ مِن السُكَّر، ثُمَّ بطبَقَةٍ لَامِعَةٍ مِن بيَاضِ البَيْض قبْلَ إخرَاجِهَا مِن الفُرْن، يُقدَّم هذَا الطبَقُ ساخِنًا أو بارِدًا، ويُعَدُّ جيِّدًا على نحْوٍ خَاصٍّ بشَهْرِ أيَّار ويُعْزَى ذَلِكَ لجُوْدَةِ جُبنَةِ البروفاتورا والحَلِيْب.

مَا سبَبُ هذَا الثَنَاءُ يَا تُرَى؟ لَا يُوجَد تَفسيْرٌ واَضِحٌ لبَادِرَةِ "سكابي" في العَديْدِ مِن التقَاريْرِ عَن حيَاةِ "يوليوس"؛ فهِيَ تقتَرِحُ أنَّ البَابَا الجَدِيْد قَد أَوْلَى اهتمَامًا بالمَآدُب؛ ولكِن ليْسَ بشَكْلٍ أقَلَّ أو أَكثَر مِن أَسْلَافِه، كانَ "يوليوس" فريْدًا بوَلَعِهِ بالثُوْمِ وبشَكلٍ أكبَر بالبَصَل، وقَد تَمَّ إحْضَارَهَا خِصِّيصًا لَه مِن "غايتا"، وهيَ بلدَةٌ ساحليَّةٌ جنوْبَ روما، ربَّمَا كانَت هَذهِ طريْقَةٌ لتَذكيْرِ النَاسِ بأُصُولَهُ المُتوَاضِعَة، نظَرًا للسُمعَةِ المُتدَنِّيَة التِي يَحْظَى بهَا البَصَل- لقَد رَغِبَ أَن يَعْلَمَ الجَمِيْعُ كَم ارتفَعَت مكَانَتُه إلى حَدٍّ كَبيْرٍ ليَصِلَ إلى العَرْشِ البَابَوي (لَايزَالُ البصَلُ يُستَخدَمُ بشَكْلٍ بَسِيْطٍ نِسْبيًا فِي إيطَاليا؛ فلَا يُوجَدُ أيُّ نَظيْرٍ إيطَاليٍّ لشُوربَة البَصَل الفَرنسِيَّة، أو فِي الحَقيَقَة الكمِيَّات الهَائِلَة مِن البَصل التِي يَميْلُ البريطَانيُّون والأَمْريكيُّونَ لتَفضِيلِهَا فِي صَلصَاتِ مَعكرونَتِهِم وفوْقَ البِيتزَا).

قُرابةَ نهايَةِ عَهدهِ الذِي دامَ لخَمسِ سنوَات، ألَمَّ بهِ دَاءُ النَقرَس ووَهَنَ جسَدَهُ بسبَبِ الإفْرَاطِ بتنَاولِ الطعَام، فدَفَعَهُ هذَا إلى تَقْلِيلِ حِصَصِ طعَامهِ حتَّى ماتَ جوْعًا أخيْرًا في مارس عَام 1555، وجرَّاءَ ذَلِكَ سُرعَانَ مَا تَعَيَّنَ على طُهاةِ مُجتمَعِ النُخبَة في روما مُواجهَةَ أزمِنَةٍ عِجَاف، وهوَ مَا قَد يُفَسِّرُ بَادِرَة "سكابي" البَسيْطَة بتَقدِيْمِ الثَنَاءِ عَبْرَ جُبنَة البروفاتورا والكابي دي لاتيه- وربَّمَا يُوضِّح أيْضًا حَنيْنَهُ البَسِيط للاجْتمَاع المُغلَق عَام 1549، وبحُلوْلِ الوَقت الذِي بدأَ فيهِ بتَأليْفِ كِتَابِ "العَمَل". لَابُدَّ وأنَّ انتخَابَ "يوليوس الثالث" قَد بدَا أشْبهَ بالوَهْجِ الأَخيرِ للشَمْسِ قبْلَ أَن يبْدأَ عَصْرُ طَهْيٍ وَافرٍ مَجِيد، وبرَغْمِ أنَّ البَابَا التَالِي "مارسيلوس الثاني" لم يَستَمِرَّ بالحُكْمِ سِوَى 22 يوْمًا؛ إلَّا أنَّه عهْدٌ طويْلٌ بمَا يَكفِي بالنسبَةِ لَه لتَدشِيْنِ نظَامٍ أكثَرَ تقَشُّفًا فِي الفَاتيكَان، عبْرَ حَظْرِهِ الأطْبَاقَ الذَهبيَّة وأدَوَاتِ المَائِدَةِ الفِضيَّة على مَائِدَتِه.

أمَّا البَابَا الذِي خَلفَهُ وهوَ "بولس الرابع" فكَانَ مَرهوْبَ الجَانِب بسَبَبِ تَعصُّبِه، وقَد عمَدَ إلى مَنْحِ الإصلَاحِ المُضَادِّ قوَّةَ دَفْعٍ جَدِيْدَةِ مُخِيْفَة، فقدَّمَ الفَهرَسَ الرومَانِي للكتُبِ المُحرَّمة ومَلَأ زِنزَانَاتِ محَاكِم التَفتِيشِ بالزَنَادِقَة، (122) فحجَزَ يهوْدَ المَدينَةِ فِي حَيِّ اليَهودِ لأَوَّلِ مرَّة، وأجبَرَهُم على بيْعِ مُمتلكَاتهِم أيْضًا وارتِدَاءِ قُبَّعَاتٍ صَفْرَاء، ومنعَهُم مِن العمَلِ بتِجَارَةِ الطَعَامِ بالتَجْزِئَة.

مِن وِجْهَةِ نظَرِ طَاهٍ، فلَم يَكُن "بولس الرابع" مع ذلك بَابَا سَيّئًا، فقَد استُؤنِفَتْ المَآدِبُ لمَجْدِ الكَنِيسَة، وكحَالِ العَديدِ مِن البَابوَات الذيْنَ تَبِعوا خُطَاهُ خلَالَ فَترَةِ الإصْلَاحِ المُضَاد، فإنَّ "بولس" نفسَهُ ليْسَ مُسرِفًا فِي الطعَامِ والشَرَاب، بَل هو مُتمَسِّكٌ بشَكلٍ صَارمٍ بفترَاتِ الصِيَامِ والامتِنَاعِ عَن المَلذَّات.

قامَ البَابَا "بيوس الرابع" المُترَبِّع التَالِي على العَرْشِ بجَعلِ "سكابي" طَاهِيَهُ السِرِّي عَام 1564، لقَد عُرِفَ عَن "بيوس الرابع" استِمتَاعَه بتنَاولِ طعَامِه، فأكلَ عَصيدَة الذُرَة بشَكلٍ أكثَر ممَّا كانَ جيِّدًا بالنسْبَةِ لَه (فهوَ مِن لومباردي بعْدَ كُلِّ شَيء)، لَاحظَ "سكابي" بشَكلٍ عَرَضِيٍّ حُبَّ "بيوس الرابع" للضَفَادِع المَقليَّة المُزيَّنة بالثُوْمِ والبَقدوْنِس (وهوَ طبَقٌ رَائِعٌ آخَرُ مِن وَادِي بو)، واسْتِهلَاكَهُ لكمِّياتٍ كَبيِرَةٍ مِن مَاءِ الشَعِير- وهوَ أحَدُ وصفَاتِ كِتَاب "العَمَل" للمَرْضَى المُتمَاثلِيْنَ للشَفَاء.

بيْدَ أنَّ المُفارقَة تَكمَنُ فِي أنَّ كتَابَ "العمل" قَد ألَّفَهُ "سكابي" أثْنَاءَ عَمَلِهِ عنْدَ أكثَرِ بابا مُنْكرٍ لذَاتِهِ بذَلِك العَصْر أَو أَيِّ عَصْرٍ آخَر، أمَّا البَابَا "بيوس الخَامِس" الذِي عزَّز مكَانَة "سكابي" التِي منَحَهُ إيَّاها "بيوس الرابع"، فَقد لَبِسَ رِدَاءَ رُهبَانٍ خَشِنًا تحْتَ ثِيَابهِ الاحتِفَاليَّة، فأَلغَى مَوَائِدَ العشَاءِ السَنويَّةِ الهَائِلَة التِي تُقَامُ بشَكْلٍ تَقليدِيٍّ للاحْتِفَالِ بانتِخَابِ البَابَا، وأَعْطَى النقوْدَ للفُقرَاء. لقَد كانَ يصوْمُ بأَغلبِ الأحْيَان، وحتَّى عندمَا يأكُل فهوَ يتنَاوَلُ اليَسِير: كِسْرَةُ خُبْزٍ مَطهِوةٌ في المَرَقِ معَ بَيضَتَينِ على الغدَاء، أمَّا عشَاؤهُ فيتَألَّفُ مِن حسَاءِ خُضرَواتٍ، سلَطَة، بعْضِ المَحَّار، وفَاكِهَةٍ مَطهِوةٍ، وكانَ الصَمْتُ مَلحوْظًا خِلَالَ هَذهِ الوَجَبَاتِ المُتَقَشِّفَة، حيْثُ تُتلَى صلوَاتٌ طَويْلَةٌ قَبلهَا وبَعْدَهَا. وبالنِسْبَةِ للَّحْمِ فلَم يَظْهَر على ماَئِدَةِ البَابَا سِوَى مرَّتَيْنِ بالأُسْبُوع. في مَا يتعلَّقُ بأَلَمِ الحِرمَانِ الكَنَسِي، فقَد مُنِعَ "سكابي" مِن إضَافَةِ أَيِّ شَيءٍ يَجْعَلُ الحَسَاءَ مُغَذِّيًا أكْثَر، وكَإهَانَةٍ أَخِيرَةٍ لمَوَاهِب الطَاهيِ حُظِرَ عَلَيْهِ حتَّى استِخدَامَ التوَابِل.

لقَد اجْتَازَ "بارتولوميو" كلَّ هذهِ المسَافَة مِن بُحيرَة "ماجيوري"، وتسَلَّق جَميْعَ تِلْكَ المسَافَةِ صُعوْدًا على سُلَّمِ العمَلِ الطَويلِ لمَطبَخِ عَصْرِ النَهْضَة، (123) ليتَرَاكَم لدَيْهِ المَزيْدُ مِن مَعرِفَةِ

------------

\*إنكار الذات: أو نكران الذات هو مصطلح يشير إلى الامتناع عن الانسحاب الايثاري - أي الاستعداد للتخلي عن الملذات الشخصية أو تحمل المحن الشخصية في إطار السعي لتحقيق زيادة الفائدة أو المصلحة. تتخذ الأديان والثقافات المختلفة وجهات نظر مختلفة عن إنكار الذات، فيعتبرها البعض سمة إيجابية فيما يعتبرها البعض الآخر سلبية.

تَذَوُّقِ الطعَامِ أَكثَر ممَّا فعَل أيُّ أحَدٍ سبَقَه؛ إلَّا أنَّه قَد قَضَى على المَكَانَةِ التِي كانَ يَطْمَحُ لهَا خِلَالَ سنوَاتِ مَجْدِهِ بِعَدَمِ فِعْلِ شَيءٍ خَلَّاقٍ أَكْثَرَ مِن صُنْعِ مَرَقٍ للقِدِّيْس (لقَد تمَّ إعْلَان بيوس الخامس كقِدِّيْسٍ عَام 1712). لقَد نُبِذ أَفْضَلُ طَاهٍ بعَصْرهِ وبِحَوزَتهِ الكَثيْرُ مِن الوَقْت، ولرُبَّما دُفِعَ لإمْضَاءِ بَعْضٍ مِن ذَلِك الوَقْت على تألِيْفِ كِتَاب "العَمَل" نَتيْجًة لضَائِقَةٍ مَاليَّة، وبالنَظَر إلى أنَّه يتَقَاضَى أَجْرَه مِن الطعَامِ بشَكْلٍ جُزئِيٍّ ومِن بقَايَا طَعَام المَطْبَخ، إلَّا أنَّ نظَامَ التَقَشُّفِ في الفَاتيكَان قَد خفَّضَ إيرَادَهُ إلى حَدٍّ كَبِير. قَد تَكوْنُ وصفَاتُ "سكابي" البَاذِخَة أيْضًا إشَارًة على التَمَرُّد، ورُبَّمَا يتسَاءَلُ المَرْءُ مَا الذِي سيَفعَلَهُ القدِّيس "بيوس الخامس" بالخُلَاصَةِ العَظِيمَة لإغْرَاءَات الجَسَد مِن كِتَاب "العَمَل".

تُعَدُّ وفَاةُ "يوليوس الثالث" البَابَا "ديل مونتي" عَام 1555، تاريْخًا جَيِّدًا مثْلَ أَيِّ تَاريْخٍ آخَرٍ ليَكوْنَ علَامًة على نِهَايَةِ عَصْرِ النَهْضَةِ الإيْطَاليِّ وبِدَايَةِ حِقْبَةِ الإصْلَاحِ المُعَاكِس. قامَ القِدِّيس "بيوس الخامس" باضْطِهَاد اليَهود، وأَحرَقَ الكتُبَ والزَنَادِقَة، وشَنَّ حرْبًا دِينِيًّة، وحَظَرَ النِقَاشَ حَوْلَ القضَايَا اللَّاهوتِيَّة مثْلَ الحَبَلِ بِلَا دَنَس. فِي المنَاطقِ الخَاضِعَةِ لحُكمِ البَابَا، هَيمَنَت الشَعَائِرُ والعَقيْدَةُ الآنَ على التَحْقِيق، ولَم تكُنْ تِلكَ بالطَريْقَةِ المُنَاسِبَةِ لجَعْلِ الحضَارَة الإيطاليَّة نَموْذجًا يُحتذَى بِه أمَامَ البُلدَان الأُخرَى، وروَيدًا روَيدًا، سَارَت إيطاليا نحْوَ هوَامِشِ الحيَاةِ الأُوروبَّية، واستَمَرَّ التَحَضُّرُ بمَكَانٍ آخَر وتخَلَّفَت المدُنُ الإيطاليَّةُ عَن الرَكْب، وهُزِمَ أُمرَاؤُهَا مِن قِبَلِ الدُوَلِ الإقليمِيَّة الكُبْرَى كفرنْسَا، إسبَانيا وإنكِلترَا. بالنِسبَةِ لتُجَّارِهَا وأصْحَابِ المَصَارف- فالذيْنَ لَم يتَحوَّلوا إلى نُبلَاءَ ومُلَّاكِ أرَاضٍ منْهُم، فقَد تجَاوزَتْهُم الطَبقَاتُ التِجَاريَّةُ الجَديْدَة التِي شقَّتْ طَريقَهَا فِي أوروبَّا الشَمَاليَّة.

تخَلَّفَ الطُهَاةُ عَن الرَكْبِ أيْضًا، لكِنَّ المَآُدِبَ استمَرَّت بالطَبْع، فلَم يَنخَفِض مُستوَى الطَهي، ولَكِن فِي الوَقْتِ الذِي أَحدثَت فيْهِ القروْنُ التَاليَةُ تَغيِيْرًا ثَورِيًا بفَنِّ تذَوُّقِ الطعَام وصُنْعهِ فِي أوروبا؛ كانَت إيطاليا بصِفَةٍ عَامَّةٍ بطِيئَةَ التَطَوُّر، وباتَ مطبَخ النُخبَة الأوروبيَّة في العصُورِ الوسْطَى وعصْرِ النَهضَة مُتمَاثلًا على نحْوٍ مُثيْرٍ للدَهْشَة. إنَّ استِخدَامَ التوَابلِ هوَ الجَانِبُ الذِي جعَلهَا مُميَّزًة بالنِسبَةِ لأًحاسِيسِنَا. وبعْدَ ذَلِك فِي الفَترَةِ بيْنَ عَامَي 1600 و1800، شَهِدَت التوَابِلُ انحِدَارًا بَطيْئًا وعَنِيدًا بِذَاتِ الوَقْت، فمِن وَسَطِ السحَابَةِ المُتلَاشِيَةِ للفُلفُل، القِرْفَة، والقُرنفُل؛ ظهَرَت مَلَامِحُ أنْمَاطِ الطَهْيِ الأَكثَر تمَيُّزًا.

-----------

\*الحبل بلا دنس أو سيدة الحبل بلا دنس: هي عقيدة مسيحية تختصّ مريم العذراء، وتندرج في إطار العلوم المريمية، أقرّت رسميًا في حبرية البابا بيوس التاسع عام 1854، وتنصّ على أنَّ العذراء مريم قد ولدت من دون أن ترث الخطيئة الأصلية، أي خطيئة آدم وحواء.

(124) ومعَ ذَلِك، فقَد بَقِيَ الطُهَاة الإيطَاليُّون مُرتَبطِيْنَ بالتوَابلِ لمُدَّةٍ أطوَل مِن نُظرَائِهِم في إنكلترا وفرنسا. خِلَالَ ذَاتِ الفَترَة أصْبحَ الطعَامُ الإيطَاليُّ أقَلَّ "إيطاليًّة"؛ إِذ سَتَمُرُّ أكثَر مِن ثلَاثمِئَة عَامٍ بعْدَ "سكابي" دُوْنَ أَن يُحَاوِلَ أَيُّ أحَدٍ استِقدَامَ نكَهَاتٍ عَدِيْدَةٍ إلى إيطَاليا ولمَائِدَةِ وَاحِدَةٍ كمَا فَعَل.

لقَد شَهِدَ القرْنان السَابِعُ عشَر والثَامِنُ عشَر أيْضًا ثورًة زراعيًّة على نِطاقِ أوروبا عادَت بطَاقَاتٍ تجَاريَّةٍ جَديْدَة، ومحَاصِيْلَ وأسَاليْبَ زرَاعيَّةٍ حَدِيْثَة- الوَارِدَاتُ الأمريكيَّة مثلَ الكَاكَاو، البطَاطَا، البنَدورَة، والذُرَة التِي بدوْنِهَا لَا يُمْكِنُ تخَيُّل النِظَامِ الغِذَائِيِّ الغَرْبِي الحَدِيْث. ونَتيْجًة لذَلِك، ضَاقَت الهُوَّةُ الهَائِلَةُ بيْنَ طعَامِ الجمَاهِيْرِ وحُكَّامِهَم. تبدَّدَت المجَاعَةُ تَدريْجِيًا، رُغْمَ بقَاءِ الجُوْع. وبدَت إيطَاليا مرًّة أُخْرَى أشَدَّ بُطْئًا باخْتِبَارِ هَذهِ التَغَيُّرَاتِ العَظِيمَة.

تُعَدُّ القروْنُ العديْدَة التِي تَلَت "سكابي" عَصْرَ الانْحِطَاطِ النِسبيِّ للطعَام فِي إيطَاليَا، إِذ راحَ الأجَانِبُ يتوَافَدوْنَ للسُخْرِيَةِ والضَحِكِ على فِكْرَةِ المَطْبَخ الإيطَالِي، ولكِن خِلَالَ هذَا الوَقْت حدَثَ التَغيِيرُ بالفِعْل، إِذ تَمَّ تبَنِّي المُكوِّناتِ الغِذائيَّة للعَالَمِ الجَديْد، والتي قرَّبَت الطعَامَ الإيْطَاليَّ أكثَر إلى شَكلهِ المُعَاصِر، استَمرَّت بعْضُ التَغيِيرَاتِ التِي ظهرَت للسَطْحِ خلَالَ العصُوْرِ الوُسْطَى وعصْرِ النَهْضَة؛ مثْلَ التَطَوُّرِ بالتَخَصُّصَاتِ المَحَليَّة المِثَاليَّة وسُمعَتِهَا.

علاوًة على ذَلِك، فَبعْدَ عَصْرِ النَهْضَة، جرَت بعْضُ التَغيِيرَاتِ الهَامَّة على صَعيْدِ النِظَامِ الغِذَائِيِّ الشَعبِي، وبِذَاتِ الوَقْت خلقَت أنوَاعٌ جديْدَةٌ مِن مَصَادرِ المَوادِّ صُوْرًة أَوضَحَ لمَا عنَاهُ الطعَامُ بالنْسبَةِ لشَرَائحٍ أَوْسَع مِن الجمَاهِيْرِ الحَضَريَّة. وهكَذَا، وخِلَالَ الفتَرَاتِ البَاروكِيَّة وعَصْرِ التَنوِيْر، أصْبَحَ الطعَامُ الإيطَاليُّ يُطْهَى في الشوَارعِ والسَاحَاتِ أَكثَر مِن البِلَاطِ وقاعَةِ العشَاء. (125)

**الباب الثالث**

**طعام الشوارع**

**-8-**

**---**

**بولونيَا، عَام 1600**

**---------------------**

**لعْبَةُ أَرْضِ الوَفْرَة**

**مَأدُبَة الأيَّامِ العِجَاف**

**-----**

لقَد سُمِّيَت بولونيا بـ لَاغراسا –"البَديْنَة" منْذُ مَطلَع القرْنِ الثَانِي عشَر، وفِي الحِقْبَةِ البَاروكيَّة عَام 1600، أصْبحَت تُعرَفُ بولونيَا البديْنَة أيْضًا بأنَّها مَوطِنُ النقَانِق الأكثَر شُهرًة فِي إيطاليَا. وبذَاتِ القَدْر مِن الأهَميَّة، كانَت واحِدًة مِن الأمَاكِن التِي اتَّخذَت فيْهَا العلَاقةُ القويَّةُ بيْنَ الطعَامِ وهويَّةِ المديْنَة أشْكالًا جَديْدًة مُختَلفة لكوْنهَا حَظِيَت بمُناصِريْنَ كُثُر. لقَد دُعِيَت بولونيَا بالبَديْنَة لسبَبٍ بَسيْطٍ يَعوْدُ لازْدِهَارِهَا: فلقَد ظلَّ الحَريْرُ، الصُوْفُ، والقُنَّب لعدَّةِ قروْنٍ يُشَكِّلونَ تجَارتَها الرئيْسيَّة. لعِبَت جامِعَة المديْنَة دوْرًا أسَاسيًّا ببنَاءِ شُهرتِهَا؛ لأنَّ عدَد الأكاديميِّينَ والطلَابَ الوَافديْنَ قَد ساهَمَ بنشْرِ سُمعَةٍ مُثمرةٍ لحُسنِ الضِيافَة والطعَامِ الجيِّد، حَرُصَ البولونيُّونَ على المُحافظَةِ عليْهَا.

وهكذَا دُعيَت "بولونيا" بالبَديْنَة قبْلَ فتْرَةٍ طويْلَةٍ مِن أَن تُصبِحَ كلمَةَ "بَديْن" تُشِيْرُ إلى الإهَانَةِ فِي هَذهِ الأيَّام، ولتَقديْرِ التَقَلُّبَات المُتنَاقِضَة التِي مرَّت بهَا دلَالَاتُ السُمْنَةِ منْذُ ذَلِك الحِين، علَيْنَا تَذَكُّرُ أنَّ جَميْعَ الإيطالييِّنَ بدَوا على درَايَةٍ كبيْرَةٍ بهَذهِ المديْنَةِ النَابِضَةِ بالحيَويَّة حتَّى مُنْتصَف القَرْنِ العشْرين، فالألوَانُ البيْضَاءُ والصَفْرَاءُ في الوَجبَاتِ التِي أعدَّها رجَالٌ مِثْلَ "ميسيسبوغو" و"سكابي" قَد بَرزَتْ بشَكلٍ زَاهٍ أكثَر أمَامَ اللَّوْنِ الشَاحِبِ للجُوْعِ والمَجَاعَة، وكانَ الجوْعُ مُلِحًّا للغَايَةِ حتَّى بَاتَ مَحسوْسًا منْذُ الولَادَة، أمَّا المجَاعَةُ فهِيَ أمْرٌ مَألوْفٌ لدَرجَةِ أنَّها بدَتْ طبيعيًّة مثْلَ تنَاغُمِ الفصُول. (129) فِي هذَا العَالَم، يستَوْجِبُ اللَّحْمُ سِعرًا أعْلَى إذَا خَالطَهُ اللَّوْنُ الأبْيَضُ بقَدْرِ كَبيْر، فلقَد حَازَ الدُهْنُ على هالَةٍ مِن الثَروَةِ، الرفَاهِيَةِ والأَمْن. غَيْرَ أنَّهُ حتَّى مدينَةُ بولونيَا البَديْنَة لم تكُنْ بمَنأًى عَن تَهديْدِ الجُوْعِ: فلقَد تعرَّضَت لمَا يزيْدُ على المئَةِ مجَاعَةٍ في الفترَةِ المُمتدَّةِ بيْنَ عامَي 1200 و 1850، بدَأت أسوَأهَا وطْأًة سنَة 1588 ولم تَخْبُ إلَّا معَ حَصَادٍ وَفيْرٍ عَام 1597، أدَّى كلُّ هذَا إلى انْخِفَاضِ التِعدَادِ السُكانِيِّ بنسبَةِ 20 بالمِئَةِ تقريْبًا، وبدَا مُعدَّلُ الوفيَّاتِ في المنَاطقِ الريفيَّةِ المُحِيطَةِ أعْلَى مِن ذلِكَ بكَثِير.

كيْفَ طهَى الجِيَاع؟ عاشَ الجَمْعُ الأكبَرُ مِن الفلَّاحيْنَ على خَطِّ الكَفَاف، ولعَلَّ أدْنَى طبقَاتِ المُجتمَعِ في المدْينَةِ أفْضَل حالًا منْهُم، ولكِن كيْفَ أعَدُّوا طعامَهُم فِي أيَّامِ الوَفْرَة؟ وهَل عرَفوا حضَارَة المَائِدة؟ لَا تتوَافرُ الأدِلَّةُ اللَّازمَةُ للإجَابَةِ على هذَا السُؤَال، بِرَغمِ أنَّ المُكوِّناَتِ الأسَاسيَّةِ مَعروْفةٌ. فِي إميليا، الإقْلِيم الذِي تقَعُ فيْهِ "بولونيا" وبعِدَّةِ أمَاكنَ أخْرَى تناوَلَ الفلَّاحوْنَ وفقرَاءُ المناطِقِ الحَضريَّةِ الفَاصوليَاء، اللِّفت، البصَل، الكُرَّاث والثُوم. أمَّا الكَستنَاء فخُصِّصَت كطعَامٍ رَئيسيٍّ في الأمَاكنِ الجبليَّةِ منْهَا: حيْثُ تُغْلَى وتُشْوَى أو تُجفَّف، وتُطحَن لتُصنَع منْهَا العَصيْدَة، ولكِن بالنسْبَةِ لمُعظَمِ تاريْخِ تنَاولِ الطعَامِ الإيْطَاليِّ، فلَا يسعَنَا إلَّا أَن نُحَاوِلَ تصَوُّرَ تلك المهَارَاتِ التِي حوَّلَت جوْزَ البَلُّوطِ إلى خُبز، واسْتحضَرَت الحسَاء مِن الأوْرَاقِ والجُذورِ البَريَّة.

تكْمَنُ المُشكِلة بالطَبعِ في أنَّ الفُقرَاء ظَلُّوا عَاجزيْنَ عَن الكتَابَة لفترَةٍ امتدَّتْ طويْلًا، وهذا مَا منَعَهُم عَن نَقْلِ وصفَاتِ الطَعَام إلى الأجْيَالِ اللَّاحِقَةِ حتَّى إِن امْتَلَكوْهَا، على نَقِيْضِ الطُهَاةِ والمُشْرفِين المُحتَرفيْن مِن أمْثَال "مارتينو" و"سكابي" الذيْنَ تعَلَّمُوا وحَظَوا بمكَانةٍ مرموْقَةٍ بمَا يكْفِي ليُخَلِّفُوا أدِلَّتهِم المُستقَاة مِنْهُم مبَاشَرة، والتِي يَعوْدُ لهَا الفَضْلُ بأنَّهَا قَد أتَاحَت لنَا وبَعْدَ عدَّةِ قروْنٍ إعادَةَ تخيُّلِ كيفيَّةِ تنَاوُلِ الطبقَاتِ الثريَّةِ بالمُدُنِ الطعَامَ فِي عَالَمِ غِذَاءٍ مُتكَاملٍ مِن المشَاعِر والقوَاعدِ والحَكَايَا. وإذَا قُمْنَا بالمقَارنةِ فسَنُدرِكُ أنَّ عالمَ الغِذَاءِ الخَاصِّ بالفُقرَاءِ لَه وجوْدٌ تاريْخِيٌّ شَبيْه، وأنَّ أيَّ مجموْعَةٍ قصَصيَّةٍ مِن "أدَبِ الجِيَاعِ" فِي القرْنِ الحَادِي عشَر وحتَّى السَادسِ عشَر ستبْدُو مُجلَّدًا هزيْلًا على نحْوٍ رَهيْب.

وهذَا هوَ السبَبُ الذِي جعَلَ مِنَ الشَاعرِ الأديْبِ المسْرَحِيِّ البولونِيِّ الشَهيْرِ "جوليو سيزار كروتشي" مِثَالًا لهذهِ الحدَاثَةِ في تاريْخِ الطعَامِ الإيطَالي. وُلِدَ "كروتشي" الذي عَاصَرَ "شكسبير" كابْنِ حدَّادٍ فِي ريْفِ بولونيا، وأوَّلُ مَن سَمِعَ نقْرَاتِهُ الأُوْلَى على وتَرَي عوْدٍ، هُم عائِلَةُ فانتوزي الأرُستقراطيَّة، عندمَا كَانوا مُقِيمِيْنَ في مُنتجَعٍ للابْتِعَادِ عَن حَرارَةِ المديْنَةِ المُرهِقَة، حيْثُ قَامُوا بدَعوَتهِ لتَسليَتِهِم وقدَّمُوا لَهُ بقايَا الطعَامِ كمُكافَأةٍ لَه. مِنَ الجَليِّ أنَّ "كروتشي" في ذلِكَ الصَيف فِي "فيلَا فانتوزي" قَد شَهِدَ مِن سَعَةِ العيْشِ مَا يكْفِي ليُدْرِكَ أنَّه سَيهْجرُ كِيْرَ حِدَادَةِ والدِهِ عنْدَ قدوْمِ الخَريْفِ ليتَّجِه صوْبَ بولونيا. (130) وقبْلَ مِضِيِّ مُدَّةٍ طويْلَةٍ، باتَ وجْهُ "كروتشي" النَحيْلِ الأسْمَرِ مَعروْفًا كأيِّ وجْهٍ في المديْنَة، وعبْرَ أدَائهِ فِي السَاحَاتِ العَامَّةِ، جعَلَ مِن نفْسهِ شاعِرَ الحيَاةِ اليوميَّةِ الروتينيَّةِ البولونيَّةِ ومُناسبَاتِهَا العَظيْمَة، فتَغنَّى بشِجَارِ النِسَاء وهُنَّ يغسِلْنَ الثيَاب، والسُكَارَى، وتُجَّارِ السُوْقِ، ورَثَى الأرُستقراطيِّينَ والبَابوَات الذيْنَ وافَتهُم المنيَّة-كانَت بولونيا خلَالَ هذهِ الفَترَة تَتْبَعُ لسُلطةِ بابا الفَاتيكَان. كمَا نشَر "كروتشي" كتابَاتهِ أيْضًا فِي الصحُفِ والمنشوْرَاتِ التِي أصبَحَتْ رائجًة لأوَّلِ مرَّةٍ في النِصْفِ الثَانِي مِن القرْنِ الخَامسِ عشَر- وهذَا مَا يُشيْرُ إلى اتِّسَاعِ مَعرِفَةِ القِراءَةِ والكِتَابةِ فِي المُدن، فتحدَّثَت عَن التاريْخِ البولونِيِّ والقضَايَا الإيْطاليَّةِ الحَاليَّة، وعَن عِصَابَاتِ الشوَارع ِوالزلَازِل، وعمليَّاتِ الإعْدَام والطَقْسِ، والبِطِّيخِ والبرَاغِيث، والحُبِّ والدِيْن.

لقَد جعَلَت كُتيِّبَاتُ "كروتشي" الصَغيْرَةُ منْهُ شَخْصًا شَهيْرًا وبشَكْلٍ يَفوْقُ كثيْرًا مَا كانَ عليْهِ ببَلدَتِه، إلَّا أنَّها لَم تُغْدِق علَيْهِ بالثرَاء، ورُبَّما لو عَاشَ حيَاًة أقلَّ فجُورًا فِي شبَابهِ، أو حَظِيَ بعَدَدِ أوْلَادٍ أقَلَّ من كِلتَا زوجَتَيهِ، لجعَلَهُ ضَرْبُ الشِعْرِ الرَائِجِ الذِي يُنَظِّمْهُ بمَنْأَى عَن العَوَز. فحتَّى فِي أفْضَلِ الأوْقَات، كانَ دائمًا مَا يُعَوِّلُ على رَاعِي فُنوْنٍ ثَرِيٍّ عَابرٍ لأجْلِ بارِقَةٍ مِن الحَيَاةِ الجَيِّدة. وكمَا جَرَى، فقَد تزَامنَت مَسيْرتُهُ المِهنيَّةُ معَ المَجاعَة ِالكُبْرَى سنَة 1590، وحتَّى وفَاتَهُ سنَة 1609 مَا هيّ إلَّا فَصْلٌ آخَرٌ يُعَبِّرُ عَن الفَقْرِ الذِي حَلَّ بِهِ.

لو حَظِيَ الفُقرَاءُ بأُسلوْبِ طَهْيٍ خَاصٍّ بهِم، لترَكَ علَامَاتٍ بارِزَةٍ فِي أعْمَالِ "جوليو سيزار كروتشي"، غيْرَ أنَّ المُؤشِّرَاتِ تدُلُّ على أنَّ هذَا الطهْيَ كانَ بِدَائيًّا فِي أفْضَلِ حالَاتِه، وخيْرُ مِثَالٍ على ذلِكَ هوَ أعْظَمُ أعمَالِ كروتشي "حِيَلُ بيرتولدو المَاكِرَة" التِي تَرْوِي حكايَةَ فلَّاحٍ بَسيْطٍ لكنَّهُ مُخَادِعٌ يَجِدُ نفسَهُ فِي البِلَاط، وفِي نهَايَةِ القِصَّةِ يَموْتُ "بيرتولدو" جرَّاءَ عُسْرِ الهَضْم، حَيْثُ رفَضوْا مَنْحَهُ الأَجْرَ الزَهيْدَ الذِي طلبَهُ، وبدَلًا مِن ذَلِكَ قدَّمُ الأطبَّاءُ الملكيُّونَ لَهُ وجْبًة دسِمًة جِدًّا تسْتَعصِي على استقْلَابهِ البَسِيْط، فقَامُ المَلِكُ الذِي ملأَهُ الندَمُ بنَقْشِ أسْطُرٍ مِن المَديْحِ على قبْرِ الفلَّاحِ وبأَحْرُفٍ ذهبيَّةٍ، تنْتَهِي بـ

أطبَقَ عليْهِ الموْتُ وسْطَ صَرخَاتٍ رهِيْبَة

لأنَّه لَم يْستَطِع تَحويْلَ اللِّفْتِ والفَاصوليَاء إلى هُلَام.

وفِي وصيَّتهِ، تركَ "بيرتولدو" قُبَّعتَه القِشيَّة للبُستانِي كشُكرٍ لَه على الكُرَّاث الذِي أحْضَرَه معَ وجْبَةِ الإفْطَار، وهو أيْضًا يَذكُرُ الطَاهِي الذي أعَدَّ اللِّفْتَ المَطهِيَّ فِي الرمَاد، وقُدوْرِ حسَاءِ الفَاصوليَاء بالبَصَل. (131) بالكَادِ تُشَكِّلُ هذهِ الأسْطُر الهَزليَّةُ صورًة وثائقيًّة عَن عادَاتِ تنَاولِ الطعَامِ عنْد الفلَّاحين، لكنَّها تُلقِي الضَوْءَ على الأدوَاتِ والتِقنيَّاتِ المَحْدودَةِ التِي كانَت مُتاحةً لمُعظَمِ هؤلَاءِ النَاس: فالوعَاءُ المُعلَّق فوْقَ النَار، والرمَاد المُسْتَخدَم للخَبز، لَا يَنِمُّ عَن الكثيْرِ مِن الإبْدَاع. كانَت النِسَاءُ اللَّوَاتِي يَطهيْنَ الطعَامَ فِي مُعظَمِ الأُسَرِ الفلَّاحِية يشُكِّلنَ أيْضًا جُزْءًا مِن القُوَّةِ العَامِلَة الريفيَّةِ أكْثَر مِن كَونِهِنَّ يُعنِيْنَ بالحِفَاظ على الحيَاةِ والدِفْء فِي المَنزِل- يُحْتمَل أَن تَكوْنَ الكميَّاتُ الكَبيْرَة والبَسَاطَةُ هِي المَبادِئُ التَوجيْهيَّةُ لفَنِّ الطبْخِ لدَيْهِن. لم يَكُن مكَانُ عَيْشِ الموَاطنيْنَ يَبْعُدُ عَن الريْفِ المفتوْحِ سِوَى مسَافَةٍ قصيْرَة وهذَا مَا جعَلَ موَارِدَ الحُقوْلِ والغَابَاتِ جُزءًا حيَويًّا مِن النِظَامِ الغِذَائِيِّ للجَميْع، وَفصُوْل السَنةِ تَفْرِضُ مَا هوَ مُتَاح. لقَد كتَبَ "كروتشي" عِدَّة مَنشوْرَاتٍ يَحْتَفِي فيْهَا بقُدوْمِ الرَبيْع، ومَعَهُ الخُضَارُ الذِي يُشْعِرُ المرْءَ بالارتِيَاح مِن رتَابَةِ وعَوَزِ الشِتَاء، فغَنَّى على سَبيْلِ المِثَال عَن زوَاجِ الفِجْلِ واللِّفْتِ بشَهرِ نَيسَان بقَصيْدَةٍ تَضُمُّ مِئَاتَ المَدعوِّيْنَ مِنَ الخُضَار، الأوْرَاق، النبَاتَات والأزْهَار. وفي قَصيْدَةٍ أُخْرَى عَن شَهْرِ أيَّار، تَروْيِ كيفِيَّة اقْتِرَانِ جَميْعِ الأعْشَابِ بَبعْضِهَا البَعْض لتُكَوِّنَ السَلطَة، مِن الوَاضِح أنَّ الجُوعْ قَد علَّم "كروتشي" الكَثيْرَ حَوْلَ المَعْرفَةِ بالنبَاتَات، كمَا فعَل مَع غَيْرهِ مِن البولونيِّين، لكنَّه لَم يُعلِّمهُم "أُسلوْبُ الطَهْي".

وهكذَا سَجَّل "كروتشي" بعْضًا مِن المكوِّنَات التِي كانَت مَوجوْدًة على الموَائدِ المُتوَاضعَةِ فِي زمَانِه، بيْدَ أنَّ قِيمتَهُ الحَقيقيَّةَ بالنسْبَةِ لمؤرِّخِي الطعَامِ الإيْطاليِّين تكْمَنُ بجَوَانبٍ أخْرَى مِن عمَلِه، فكَحَالِ مُعظَمِ الموَاطنيْنَ العَاديِّين، عانَى "كروتشي" مِن شَظَفِ العَيْشِ لكنَّهُ أمْضَى حيَاةً قريبةً مِن العَيْشِ الرَغِيْد، فعَرَف كُلًّا مِن الجُوْعِ الذِي يُخدِّرُ الحَوَاسَّ والإسْرَافِ المُثيْرِ للدَهْشَةِ في حَفلَاتِ عَشَاءِ الطَبقَةِ الأرُسْتُقراطيَّة، فمَخَاوفُ التضَوُّرِ جوْعًا وأحلَامُ الرخَاءِ كانتَا تُمثِّلَانِ أطْرَافَ الصِرَاعِ مِن مَنظُوْرِ "كروتشي" للعَالم- وهي نظْرَةُ الغالبيَّةِ العُظمَى مِن الإيْطاليِّينَ على مدَى قُروْنٍ عَدِيْدَة. فمَا أوْصلَهُ "كروتشي" عبْرَ القروْنِ ليْسَ نِظَامًا غِذائِيًّا للفُقرَاء، بقَدْرِ مَا هوَ خيَالهُم الغِذَائِي.

خُذ قائِمَة الطعَام التَاليَة التِي سَجَّلها "كروتشي" فِي عَامِ المَجَاعَة الرهيْبِ سنَة 1950

نكهَة قروْنِ الحَلزوْن

فطيْرَة رأْسِ الذُبَاب

كُرَاتِ لحْمِ الدبُّورِ وأمْعَاءِ طَائرِ النَمْنَمة\*

أضْلَاعُ وكليَةُ النَحل

حسَاءُ قدَمِ ذبَابةٍ صَغيْرَة

ربْعُ دَبُّورٍ مَطهوٍ على نَارٍ هَادئَةٍ معَ مِعدَته، غشَاءِ معدَتهِ الشَحْمِي، وأمعَائهِ

كَبدِ ذُبَابةٍ مَقليٍّ ودِمَاغِ بَرغُوْث هُلَامي، قدَم وطْوَاط مَطهيَّة

طُحَالُ ضِفدَعِ الرَبيْعِ وعيْنُ صِرصَار اللَّيل

حسَاءُ فطيْرَة لِسَانِ ذبَابَةِ الخَيْل.

-------------

\* طائر النمنمة: طائر مغرد يستوطن كلا نصفي الكرة الأرضية، وهو عذب التغريد، و يعرف بصغر حجمه.

(132)

ومَا إلى ذَلك، مِن رئَةِ الجَرَاد المَطهوةِ فِي المرَق إلى قِطَع لَحْمِ زِيْزِ الحَصَاد ومِعْدَة الصَرصُور، ومِعْلَاق الخُلدِ المَطْهو في دُهْنِ دوْدَة العَلَق. إنَّهَا ليْسَت وجْبًة حقيقيًّة بالطَبْع، فمَصْدَرُهَا كتَاب كروتشي "مأدُبَةُ الأيَّام العِجَاف" وهيَ مسْرحيَّةٌ مجَازيَّةٌ حَوْلَ زوَاجِ السيِّدَة مَجَاعَة ابنَةُ السيِّد حصَادٍ زَهِيْد مِن السيِّد الشَاب قَحْط. إنَّ قائمَة الطعَامِ هَذهِ هِيَ مُحَاكَاةٌ سَاخِرَةٌ لمَطْبَخِ الطَبقَاتِ الرَاقِيَة، ذلِكَ النَوْعُ مِن الوَلَائمِ الذِي يُعِدُّه كِبَار مُشْرفِي المَأدُباتِ فِي عَصْرِ النَهْضة. لَابُدَّ أنَّ جُمهُوْرَ "كروتشي" الشَعْبِي قَد عرَف عَن مِثْلَ هَذهِ الولَائمِ أيْضًا- حتَّى وإن كَانَ ذَلِكَ عَبْرَ الشَائعَةِ فقَط. لقَد استَخْدَم ذَاتَ الدُعابَةِ بأعمَالٍ أُخْرَى، مثْلَ: "القَاعِدةُ الصَحيْحَةُ للبقَاءِ نحيْفًا وإنْفَاقِ القَليل" والتِي ظهَرَت كدَليلٍ شِعْريٍّ مُصوَّرٍ عَن الأطْعِمَةِ الفَارهَةِ التِي يجَبُ تجَنُّبهَا، ومِن ضِمْنهَا الدِيكَة المُسمَّنة، الفَطَائِر، المَعكروْنَة المُعدَّة معَ الكَثيْرِ مِن الجُبْن. والغَايَةُ الفُكاهيَّةُ لهَذِهِ القَصيْدة هوَ إقْنَاعُ النَاسِ بعَدَمِ وجوْدِ عَاقلٍ يَوَدُّ البقَاءَ نحِيْلًا.

تُشِيْرُ روْحُ الدُعَابةِ لدَى "كروتشي" إلى أنَّ أبْسَطَ النَاسِ قَد شارَك بالحَضَارَةِ الغَنيَّةِ للمَائدَةِ فِي إيْطَاليا عبْرَ مُخيِّلتهِم بشَكْلٍ أسَاسِي، فحيْنَ لَا يسَعَهُم تنَاولُ الطعَامِ فإنَّهُم يُطلقوْنَ العَنَانَ لمُخيِّلتهِم. تُظْهِر العَديْدُ مِن مُؤلفَاتِ "سكابي" اهتمَامَهُم بالقِصَص، التَرفِيه، والألعَاب التِي سمَحَت لهُم بتَجرُبَةِ أفْضَل مَا هوَ مُتَاح- حتَّى إذَا كانَ بشَكلٍ غَيْرِ مُباشَر. وهكذَا فثقافَةُ الطعَامِ للأثْريَاءِ في بولونيا العَصْرِ البَاروْكِي، وكمَا هوَ الحَالُ بأمَاكنٍ أَخْرَى، غالبًا مَا صَاغَتْ مشَاعِرَ الفُقرَاء.

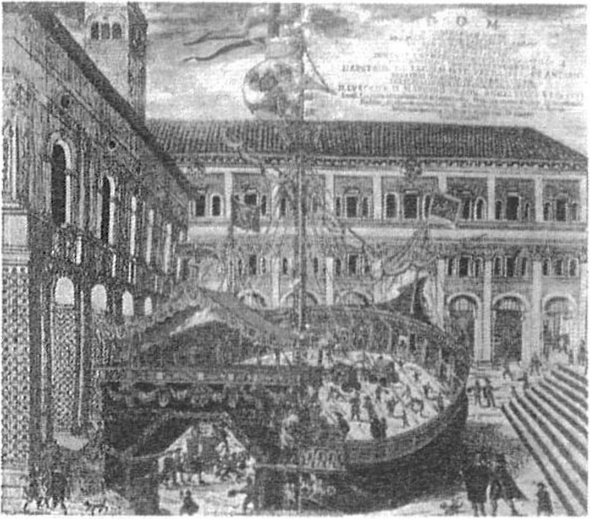
تَروِي لنَا الصَفحَاتُ التاليَةُ حِكايتَيْنِ مِن بولونيَا فِي العَصْرِ البَاروْكِي، يتمَحْوَرُ مَوضوعَهُما الرَئيْسِي حَوْلَ الخيَالِ الجَائِع: فتُرَكِّزَانِ على الخِنزيْرِ بوَصْفهِ التَجسِيْدَ الأقرَبُ لسُمْنَة بولونيا. إنَّ أحَد الأدوَارِ الرئيسيَّةِ لـ"كروتشي" هو إعادَةُ عرْضِ أحدَاثِ احتفَالَاتِ المديْنَة الكُبْرَى للنَاسِ الذيْنَ اختبَروْهَا، ولقَد أسهَمَتْ العديْدُ مِن المَهرجاناَتِ ولَاسِيمَا الصَوْم الكَبيْر والكرنَفَال؛ بجَعْلِ ذَلكَ التَأرجُحَ بيْنَ العَوَزِ والتُخمَة اللَّذَينِ هيْمنَا على حيَاةِ مُعظَم النَاسِ أمْرًا مُثيْرًا، فالوليْمَةُ البولونيَّة الفريْدَةُ لرضِيْعِ الخِنزيْرِ، والتي شَهِدهَا "كروتشي" وروَاهَا عدَّةَ مرَّاتٍ هيَ موضوْعُ القصَّةِ الأوْلَى، أمَّا القصَّةُ الثانيَة فتَتعقَّبُ نشوْءَ الطعَامِ المثاَليِّ الذِي احْتفَى بهِ "كروتشي"، حيْثُ يَرْمزُ هذَا الطعَام إلى المطْبَخِ البولونِي اليَوْم أكثَر مِن أيِّ شَيءٍ آخَر: نقَانِق المَرتَديلَا. (133)

**وليْمَةُ الخِنزيْرِ الرَضِيْع**

يُعَدُّ الخِنزيْرُ في بولونيا مَلِكًا، ويُبَجَّلُ وِفْقَ طقُوْسِ تذَوُّقِ الطعَام. تَحْظَى الخَنَازيْرُ بمنطِقَةِ بولونيا بشُهرَةٍ منْذُ العُصوْرِ الرومَانيَّة، ولكنَّها في القرنَيْنِ الخَامسِ عشَر والسَادسِ عشَر بدَت وحوْشًا تخْتَلِفُ تمَامًا عَن تلكَ التي قَد يرَاهَا المرْءُ اليوْمَ في المزَارعِ الشَاسِعة لمديْنةِ إيميليا، فهِيَ أصغَرُ حَجْمًا وذَات لوْنٍ أغْمَقَ وشَعْرٍ أكثَر خشوْنَة، غيْرَ أنَّها تَعْنِي أيْضًا أُموْرًا مُختَلِفَة؛ ففِي تلكَ الأيَّامِ نَالَت الخَنَازيْر أهميًّة أكبَر فِي الحيَاةِ الرمزيَّةِ للمديْنَةِ ممَّا هيَ عليْهِ اليَوم، وأحَدُ الأسْبَابِ الجليَّةِ لذَلِك يُعْزَى لكوْنِ النَقَانقِ ولَحْمِ الخِنزيْرِ المُدخَّنِ تَمْتَلِكُ جاذبيًّة فِطريًّة أكثَر لدَى أيِّ شَخْصٍ يعيْشُ على هَامشِ الفَقر، بيْدَ أنَّ هنَالِك العَديْدُ مِن الجوَانبِ لثقَافَةِ خِنزيْرِ بولونيا. أمَّا الزمَانُ والمكَانُ المُنَاسبَيْنِ لمَعرفَتِهَا فهوَ السَاحَةُ الرئيسيَّةُ للمديْنَةِ بعِيْدِ القدِّيْسِ بارثولوميو فِي 24 آب عَام 1597.

في ذَلِكَ العَام، تمَّ الاحْتِفَال بالوَليمَةِ السَنويَّةِ لرَضيْعِ الخِنزيْرِ بحمَاسَةٍ أكبَر ممَّا يتذكَّرَهُ أيُّ شَخْص، فلقَد شَهِدَ شَهْرُ تَمُّوز الحصَادَ الأفْضَلَ منْذُ عَقْدٍ مِن الزمَان، ذلِكَ الحصَادُ الذِي تبيَّنَ أخيْرًا أنَّهُ يُطارِدُ شبَح الجوْعِ مِن شوَارعِ بولونيا، وبمُجرَّد أَن أُوصِدَت البوَّابَات لأَجْلِ الوَليْمَة، شَعَرَ كلُّ شَخْصٍ بالمديْنَة بشَيءٍ يدفَعهُ لإيْجَادِ مكَانٍ في ساحَةِ "ماجيوري" مهْمَا كلَّفَ ذَلك من سلَامَتهِ ورَاحَتهِ الشَخْصيَّة، فكانَت كلُّ طبقَةٍ مِن المُجتمَعِ البُولونِي حَاضِرًة فِي مكَانِهَا المُخصَّص: ابْتِدَاءً مِن كِبَارِ رجَالِ الدِيْن والقُضَاةِ، حتَّى رجَالِ النقَابَات وأعْضَاءِ الأخَويَّاتِ وصوْلًا إلى عامَّةِ النَاس. اكتظَّتِ الساحَةُ بالعربَاتِ والأحْصِنَة والحيوَانَات الأُخْرَى لدَرجَةِ أنَّ الناسَ حُشِروا عِنْدَ عتبَاتِ الأبْوَابِ والنوَافِذ، أو أُجْبِروا على تسَلُّقِ المَصَاطِبِ والشُرُفَات بعُجَالَة. أَمَّا فَوْقَ الأسْطُحِ، فقَد حصَلَ الأشْجَعُ والأكْثَرُ رشَاقًة كمُكافَأةٍ لَهُ على منْظَرٍ شَاملٍ للحَشْد يبْعَثُ على الدُوَار، وذلِكَ مِن مقَاعدهِم فِي فتَحَات الأسْوَار، أو فَوْقَ زخَارفِ الهيَاكِل. أمَّا سيِّدَاتُ المَديْنَةِ فَهُنَّ الأوْفَرُ حظًّا مِن بيْنِ الجَمِيْع، حَيْثُ فُزْنَ بأمَاكنَ حُجِزَت لهُنَّ على المُدرَّجَاتِ الخَشبِيَّة التِي نُصِبَت خِصِّيْصًا حوْلَ مُحيْطِ السَاحَة، وأمَامَهُنَّ فِي مرْكَزِ السَاحَةِ أُقيْمَت مِنصَّةٌ خشَبيَّةٌ بمِسَاحَةِ حوَالي ثمَانِيْنَ قدَمًا مُربَّعًا، حيْثُ وُضِعَ عليْهَا منْظَرٌ ريْفِيٌّ بِدَائِي: طريْقٌ، أجَمَةٌ مِن الأحْرَاشِ والشُجَيرَاتِ الحَقيقِيَّة، فَرْجَةٌ فِي الغَابَة، وانتصَبَت شجَرَةُ بَلُّوطٍ بكُلِّ زاويَةٍ مِن زوَايَا المِنصَّة.

وأخيْرًا، صَدرَت أصْوَاتُ صَريْرِ ودَنْدنَةِ مزَامِيْرِ القِرْبَةِ والشَاوَم (سَلَفُ المِزْمَارِ الحَدِيْث) والتِي بالكَادِ كانَت مَسموْعَةً بهَذا اللَّغْطِ المُتوَقَّع، فامْتدَّت أعنَاقٌ لَا حَصْرَ لهَا لإلقَاءِ نظْرَةٍ على العَربَةِ المُزيَّنَةِ بالوروْدِ والتِي يجُرُّهَا ثوْرٌ حيْثُ سَارَ بِهَا بجَانِبِ المِنصَّة. (134) وترجَّلَ منْهَا أرْبعَةُ رُعَاةٍ وثمَانية فلَّاحيْنَ يرتَدوْنَ ثِيَابًا مُلوَّنًة مُتمَاثِلَة، وقَد حمَلَ هَؤلَاءِ الذيْنَ لَا يَعزِفُوْنَ على آلَاتٍ موسيْقِيَّةٍ سِلَالًا مِن غِلَالِ البِلَاد، وبيْنمَا صَعَدوا الانْحِدَار مُتَّجهِيْنَ صَوْبَ المَشْهَد، وبَاتُوا على مَرْأَى الجُمهوْرِ تمَامًا، بدَأوا بالإيْمَاءِ ببَهْجَةٍ سَاذَجَةٍ إلى الجُموْعِ المُحيْطَةِ، وسُرعَانَ مَا اسْتقَرَّ الأمْرُ بهِم على القِيَامِ بنُزْهَةٍ والرَقْصِ فِي تلْكَ الفَسْحَةِ مِن الدِغْلِ- كمَا يُفترَضُ عادًة أَن يفْعَل سُكَّانُ الريْفِ بشَكْلٍ بَديْهِي، فأثَارَت قفَزَاتهُم الخَرْقَاءَ وإيمَاءَاتَهم الريْفِيَّةِ الغريْبَةِ وابِلًا مِن ضَحِكِ المُشَاهدِيْنَ



تمَّ تصْمِيمُ مكَانٍ فَخْمٍ في ساحَةِ ماجيوري ببولونيَا بمُناسَبَةِ العيْدِ السَنَويِّ لرَضِيْعِ الخِنْزِير عَام 1600.

ظلَّت ضَحِكَاتُ الجُمهُوْرِ وقَهْقَهَاتهُم تَنْبَعِثُ مِن الوَاجِهَةِ الوَاسِعَة الغَيْر مُكتَملَةٍ لكَاتدرائيَّة سان بترونيو، إلَّا أنَّ ضَوْضَاءَ أُخْرَى قَد أُضِيْفَت إلى هَذِهِ الأصْوَاتِ المُتنَافِرَةِ مِنَ الرُكْنِ الآخَرِ للسَاحَةِ: إِذ تقدَّمَت مجموْعَةٌ مِن الصيَّاديْنَ وهُم ينفُخوْنَ بالقُروْنِ بيْنمَا اندَفعَتْ كِلَابَهُم مبَاشرًة نحْوَ الجُمهوْرِ وبدَأَت بشَقِّ طَريْقٍ صَوْبَ المِنصَّة، حتَّى نَجَحوا أخيْرًا بالمروْرِ للانْضِمَامِ إلى المَشْهَد، رصَدَ عدَدٌ قليْلٌ منْهُم بشَكْلٍ تعْبِيرِيٍّ بَعْضًا مِن اليمَامِ على أشْجَارِ البَلُّوطِ الأرْبع، فتسَلَّقوا فروْعهَا ليُمسِكوا بهِا.

لَم تمْتَلكِ الطيوْرُ سِوَى فُرْصَةٍ ضئيْلَةٍ بالنَجَاة، فلقَد تمَّ قَصُّ أجْنِحَتِهَا سَابِقًا ورُبِطَت أقدَامُها بسَعَفَاتِ الأشْجَار، وهكَذَا نُزعَت هَذهِ الطيُوْر المِسْكينَةُ مِن الأمَاكِنِ الجَاثِمَةِ عليْهَا وأُلقِيَت على المِنصَّة، فتقَاذفَتْهَا الأيَادِي وتنازَعَتْهاَ القَبَضَات، لتَتَحَوَّلَ بسُرْعَةٍ إلى أجْزَاءَ مِن الريْشِ والدَم. (135) وبيْنَما حَطَّت آخِرُ خُصَلُ الرِيْشِ البيْضَاءِ المُخضَّبةِ على الأرْضِ، انضَمَّ الرُعَاةُ والفلَّاحوْنَ إلى ذلِكَ المرَح الصَاخِب وقدَّموا الشرَابَ لأصْدقائِهم الصيَّادين، ولكِن سُرعَان مَا تبدَّلَ الحَالُ وحلَّتْ جَلَبَةُ الصَيْدِ بحَدِّ ذَاتِهَا محَلَّ الاحتِفَالَات، عنْدَمَا توافَدَت أمْوَاجٌ مِنَ الحيَوَانات، فأقْبلَت الأرَانِبُ والأرَانِبُ البريَّةُ أوَّلًا، ثمَّ وصَلَت الثعَالِبُ وكلُّ مَا يَسيْرُ على أرْبَع، مَتبوْعًة بالدَجَاج، الدرَّاج، الطَاووْس، البَط، وبَطُّ الأنْهَار، الأُوَزِ والسَمَّان- فلقَد أُطلِقَت جميْعُهَا مِن أبْوَابِ الشِرَاكِ المَخْفيَّةِ في المِسَاحَاتِ الخَضْراء، وجميْعُهَا مَقصوْصَةُ الأجْنِحَة. انْدفعَت مَجموْعَةُ الفلَّاحيْن والرُعَاة، وكذَلِكَ الكِلَابُ والصيَّاديْنَ بقذْفِ أنْفُسهِم عبْرَ المِنصَّةِ لمُطاردَتِهَا، فضَحِكَ المُتفَرِّجوْنَ وهتَفُوا.

وكُلَّمَا وقعَت إحْدَى الفرَائِسَ بالشِبَاكِ، أو قُبِضَ على حنَاجِرِهَا أو طُعِنَت، تَفِرُّ أُخْرَى مِن بَيْنِ أيَادِي المُمسكِيْنَ بِهَا، وأكثَرُ حيَوَان إثارًة للشَغَفِ هوَ خِنزيْرٌ رَضيْعٌ هروَلَ مِن الأجمَةِ صوْبَ الهديْرِ المُتصَاعدِ مِن جَميْعِ أنْحَاءِ السَاحَة، واستمْتَعَ بمُطاردَةٍ طويْلَةٍ لَائقَةٍ حَوْلَ مكَانِ العَرْضِ قبْلَ أَن يتِمَّ إيقَافُه ويُطعَنَ برُمْحٍ ويُسْتَعرَضُ بهِ فِي انْتِصَارٍ مُوسِيقِيٍّ عبْرَ المِنصَّة.

سارَ المُؤَدُّون بعْدَ ذلِك نحْوَ قصْرِ كومونالي حَيْثُ أُهدِيَت ثمَرَةُ الصَيْدِ إلى نَائبِ مُمَثِّلِ البَابَا الذِي يتوَلَّى سُلطَة بَابا الفاتيْكَان فِي المديْنَة، والسُلطَاتُ المَحليَّةُ الأُخْرَى، وعنْدمَا عادَت الفِرقَةُ إلى مِنصَّةِ العَرْضِ لاستِكمَالِ النُزهَة والقَفْزِ بفَرَحٍ، ألقَى أعْضَاءُ مَجْلسِ شيوْخِ المديْنَةِ جَميْعَ الذبَائِح ِعلى الحَشْدِ ليتقَاتَلوا عليْهَا، باستثْنَاءِ الخِنزيْرِ الرَضيْعِ بالطَبع.

وفِي ذَاكِرَةِ بولونيا الشعبيَّة، فقَد كانَت السَاعَاتُ القليْلَة اللَّاحقَةُ بمثَابةِ عِيْدٍ شَعبِيٍّ لسَيلَانِ اللُّعَاب، أعْلَن "كروتشي" أنَّ الرَائِحَة المُنْبعِثةَ مِن مَطَابخِ قَصْرِ كومونالي زكيًّة بمَا يَكفِي لإيْقَاظِ المَوتَى، وصَلَ الترَقُّبُ المُثيْرُ إلى نِهَايَتهِ قَبْلَ غُروْبِ الشَمْس، ومعَ جلَبَةِ نَفْخِ الأبْوَاق والنَايَات، ظَهَر مصْدَرُ الرَائحَةِ تارًة أُخْرَى بشَكْلٍ احْتِفَاليٍّ مِن الشُرفَةِ تَحْتَ التِمْثاَل البرُونْزِيِّ الرَهِيْب للبَابا غريغوريوس الثَالثِ عشَر (كانَ بولونيًّا بطَبيعَةِ الحَال)، عُرِضَ الخِنزيْرُ الرَضيْعُ على المَلَأ بعْدَ أَن تَمَّ حَشْوهُ بالتوَابِل وشَويهُ على الجَمْرِ وتَزْيِينَهُ بالوُروْدِ ثُمَّ وَضْعُهُ فِي صِيْنِيَّة.

بدَأَت لُعبَةٌ رَائِجَة، فشرَعَ الموسِيقيُّونَ بالغِنَاءِ، واسْتعَدَّ النَاسُ بالأكيَاسِ والصَفَائِحِ المَعدنيَّة، ومشَى الخدَمُ الذيْنَ يحمِلوْنَ رَضيْعَ الخِنزيْرِ بخُطوَاتٍ وَئيْدَةٍ مِن أوَّلِ الشُرفَةِ حتَّى آخِرهَا، وبدَى مِن حِيْنٍ لآخَر وكأنَّهُم يرموْن حِمْلَهم مِن على سُوْرِ الشُرْفَة، ليترَاجَعوا في اللَّحْظَة الأخيْرَةِ فقَط.

وتحْتَهم وقفَت الطبَقَةُ الدُنْيَا مِنَ المديْنَةِ، ومُعظَمهُم مِن الحمَّالينَ أو العُمَّال المَوسمِيِّين القَادميْنَ مِن الريْف، وهُم يتدافَعوْنَ بمَرَافِقِهِم أمَلًا بالحصُوْلِ على حَيِّزٍ عِنْدَ أسْفَلِ بوَّابَةِ قَصْرِ كومونالي الضَخْمَة ذَاتِ الأعْمِدَة، وكمَا دوَّنَ "كروتشي" أنَّ هؤلَاءِ هُم "أناسٌ دونيُّونَ لَا أهميَّةَ لهُم، مِن النَوْعِ الذِي لَا يُدَقِّقُ (136) بمَا يَقوْمُ دوْنَ أخْذِ أيِّ اعْتِبَارٍ لكرَامَتهِم". وبعْدَ أَن انْدفَعوا للأمَامِ كرَدِّ فِعْلٍ على أَحَد رَمْيَاتِ رَضيْعِ الخِنزيْرِ الزَائِفَةِ والمُتهَوِّرَة على وَجْهِ الخصُوْص، أُفْرِغَ قِدْرٌ مِن المَرَقِ فوْقَ رؤوْسهِم، لكِن ولِمَعرفَتهِم بتقَاليْدِ عيْدِ القدِّيْسِ بارثولوميو، تقبَّلوا حمَّامَهم اللَّذيْذِ بروْحٍ طيِّبَة (رُبَّمَا لَم يضْحَك الموَاطِنوْنَ الأكْثَر ثرَاءً الذيْنَ يَروْنَ المشْهَد على ذَاتِ الدُعَابَة تمَامًا).

---------- \*غريغوريوس الثالث عشر: ولد في مدينة بولونيا، حيث درس القانون وتخرج عام 1530. كان من طلابه عددٌ من الشخصيات البارزة مثل اليساندرو فارنيس، ريجنالد القطب وتشارلز بورروميو.

اسْتمَرَّ خِدَاعُ الخَدَم وانْدِفَاعُ الجمَاهيْرِ لرُبْعِ ساعَةٍ مُمْتِعَة، حتَّى توقَّفَت الموْسِيقَا أَخيْرًا، وتمَّ قَلْبُ رَضيْعِ الخِنزيْرِ صَوْبَ العِرَاكِ المُحْتَدمِ ليتِمَّ تمزيْقَه إلى أشْلَاءٍ وَسْطَ القَبْضَاتِ المُتَخَبِّطَة.

تَلَا ذلِكَ عَرْضٌ مُبهِرٌ للألعَابِ الناريَّة: وخِلَالَ الأَدَاءِ أُطْلِقَ ثُعبَانٌ لَاهِبٌ مِن سَطْحِ قَصْرِ دي نوتاري ليُشْعِلَ سَفيْنًة تركيًّة، وعندمَا انْتَهَى المشْهَدُ أخيْرًا انْصَرَف أعْضَاء مَجْلسِ الشيوْخِ وضيُوفَهُم إلى قَصْرِ كومونالي لأجْلِ المَأدُبَة، وسارَع جَميْعُ النَاسِ بالمُغَادرَةِ لينَاوَلوا عشَاءَهُم مِن الخِنزيْرِ الرَضيْع.

لقَد أقامَت بولونيا مَهْرجانًا مَدنيًّا يَوْمِ 24 مِن آبِ منْذُ القرْنِ الثَانِي عشَر على الأقَل، واعْتُقِدَ أنَّه احتِفَالٌ بنَصْرٍ عسْكَري، لكنَّ جذوْرَهُ تعوْدُ إلى الحُقَبِ الرومَانيَّة، ويَبْدو أنَّ معْنَاه قَد تغيَّر فِي أوَاخرِ القَرْنِ الخَامِسِ عشَر، والمرَّة ُالأوْلَى التِي شرَعَت فيْهَا السُلطَات برَمْيِ رَضِيْعِ خِنزيْرٍ مَشويٍّ إلى الحشُودِ قَد حَدثَت عَامَ 1568- حَيْثُ خُصِّصَ هذَا الحَدَثُ كجَائزَةٍ لسِبَاقِ الخَيْلِ فيْمَا مَضَى. أمَّا الاحْتِفَالُ الهَائِلُ المُبتَكَرُ الذِي ميَّزَ نِهَايَة سنيْنَ طويْلًة مِن المَجَاعَةِ عَامَ 1597 فهوَ أوَّلُ احتْفَالٍ تضمَّنَ صَيْدًا زائِفًا وألعَابًا ناريَّة، فغَدَا نَموْذجًا لاحتِفالَاتٍ نُظِّمَت بعِنَايَةٍ أكْبَر فِي السَنوَاتِ اللَّاحِقَة، وذلِكَ مَا جَعَلَ وليْمَة رَضِيْعِ الخِنزيْرِ التِي شَهِدهَا "كروتشي" عَامَ 1597 تَأخُذُ طَابَعًا تمَّت المُحَافظَةُ عليْهِ طيْلَةَ العَصْرِ البَاروكِيِّ ومَا بَعْدَه، وقَد أُقيْمَ آخِرَ احْتِفَالٍ عَامَ 1796.

كانَت مَهْرجَاناتُ الهَوَاءِ الطَلقِ شَائِعًة فِي العَديْدِ مِن المدُنِ الإيْطاليَّة بالقَرنَيْن السَابعِ عشَر وَالثَامِنِ عشَر، فسِلسِلَةُ المهْرجَانَاتِ الشَعبيَّةِ المُعدَّةِ بعنَايَةٍ والتِي أُقيْمَت في ساحَاتِ وشوَارعِ بولونيا؛ قَد سجَّلت مروْرَ الزمَنِ بدِقَّةٍ أكْبَر مِن تعَاقُب فصُوْلِ السَنة، وفِي مُنتصَفِ فَتْرَةِ الصَومِ الكَبيْرِ مِن كُلِّ عَامٍ يتِمُّ نَشْرُ مُجسَّمٍ خَشَبيٍّ لامْرَأةٍ عَجوْزٍ تُمَثِّلُ الصَوْمَ الكبيْرَ بحَدِّ ذَاتهِ إلى نِصْفَين، ثمَّ يُحْرَق أو يُرْمَى فِي قنَاةِ رينو، وفي ليلَةِ 29 حزيْرَان مِن كُلِّ عَامٍ، يَشُقُّ طَابوْرٌ مِن التَائبيْنَ المُحْدَودَبَةُ ظهُورَهُم تَحْتَ وطْأَةِ صُلبَانهِم طريْقَهُ بسُرعَةٍ (137) عبْرَ الشوَارعِ المُظلمَةِ للاحْتفَالِ بمَأدُبَةِ القدَّيْسَيْنِ "بطرُس وبولس" .

وفِي الرَابعِ عشَر مِن آب فِي كُلِّ عَام، تَحتَفِلُ السُلطَاتُ بنَصْرِ المديْنَة على عائِلَة فيسكونتي عَام1443، عبْرَ موْكبِ فُرسَانٍ يَمتطوْنَ أحْصِنًة إلى ملَاذِ "مادونا ديل مونتي". إنَّ أعيَادَ القدِّيْسِين والموَاكِب الدينيَّة، وسِباقَات الأحْصِنَة والمُقارَعَة بالرِمَاح، قَد حوَّلَت التَقويْمَ إلى أَيقُوْنَةٍ للاسْتِقرَارِ السِيَاسِي، ذلِكَ الاسْتِقرَار الذِي يَعوْدُ تاريْخهُ لعَام 1506 عندمَا استَقَرَّ الأمْرُ بالمديْنَةِ لتُصْبِحَ تَحْتَ سُلطَةِ البَابَا. فِي الحَقيْقَة، لقَد نَعِمَت بولونيا بسُبَاتٍ سَاحرٍ لأكْثَر مِن قَرْنَين، وبرَغْمِ الترَنُّحِ المُنْحَدرِ مِن حِيْنٍ لآخَر بسبَبِ المَجَاعَةِ أو الطَاعوْن، فقَد بَقِيَ التِعْدَادُ السُكانِيُّ عنْدَ حَدٍّ أقَلَّ مِن الـ70000 نسَمَة حتَّى انْضِمَامِ المديْنَة إلى مَمْلكَةِ إيطَاليا عَامَ 1859، كمَا بقِيَ تصْمِيمُ المديْنَةِ دوْنَ تَغيِيْرٍ يُذْكَر. إنَّ أُولئِكَ المُحتَفلينَ فِي 24 آب عَامَ 1597 كَانوا سيَجِدوْنَ أنفُسَهم في ظروْفٍ مَألوْفَةٍ لو عَاشُوا لفَتْرَةٍ كافيَةٍ لحُضوْرِ العِيْدِ الأَخيْرِ لرضِيْعِ الخِنزيْر بعْدَ 199 عَام. عليْنَا الاعْتِرَافُ أنَّه فِي بعْضِ أجْزَاءِ بولونيا، ربَّما غَفِلوا عَن وجُوْدِ بِضْعَةِ أبْرَاجٍ مَبْنِيَّةٍ مُنْذُ العُصوْرِ الوسْطَى وارتَأَوا أنَّ الكنَائِسِ التِي تعوْدُ إلى أوَاخِر العَصْر البَاروْكِي وحرَكَةِ المانييريزمو مُثيْرةٌ للإعْجَابِ إلى حَدٍّ مَا، بيْدَ أنَّ سَاحَةَ ماجوري لَاتزَالُ نفْسهَا تمَامًا: وحتَّى واجِهَةُ سان بترونيو بقِيَت غيْرَ مُكتمِلَةٍ (كحَالهَا اليَوْم).

لمَ يتغيَّر الكثيْرُ في الانقِسامَاتِ الاجتماعيَّةِ المُثيْرةِ في المديْنَةِ على حَدٍّ سوَاء: فَفِي أوَاخرِ عَام 1840، لَازَالَ مَا يُقارِبُ الثلَاثِيْنَ أَلْفَ بولونيٍّ يعتَمِدوْنَ بشَكْلٍ كَامِلٍ أو جُزئيٍّ على التسَوُّلِ والإحْسَانِ لأجْلِ لقْمَة العَيْش، وبَقيِتَ سِياسَةُ المَديْنَة على حَالِهَا إلى حَدٍّ كَبيْرٍ أيْضًا: فمَجْلسُ الشُيوْخِ المكوَّنِ مِن خَمسيْنَ أرُستُقرَاطيًّا مَالكِي الأرَاضِي، والمُعيَّنيْنَ مدَى الحَيَاة، يَجتَمعوْنَ كلَّ يوْمِ ثُلَاثاءٍ وجُمْعة طوَال القرنيْنِ السَادسِ عشَر والسَابعِ عشَر، وكلُّ شَهرَيْنِ يُقَامُ احْتِفَالٌ كبيْرٌ يُرَشِّحُ مجْلِسُ الشيوْخِ خِلَالَهُ غونفالونيري (حَاملِ الرَاية) وثمَانيَةَ شيُوْخٍ لإدَارَةِ الشُؤوْنِ اليَوميَّةِ للحُكوْمَة، ويَقوْمُ البابَا كلَّ ثلَاثَةِ أعْوَامٍ بإرسَالِ حَاكمٍ جديْدٍ أو كارديْنَالٍ كمُمَثِّلٍ عَنْه، لمُمَارسَةِ السُلطَةِ الأمِيريَّةِ بالوَكَالةَ (كانَ دخوْلهُ إلى المديْنَة معَ قوَّاتٍ مِن الحرَسِ السويسري يُعَدُّ مُناسَبًة أُخْرَى للاسْتِعرَاض). اختَارَ مُوْفَدُ البَابَا بشَكْلٍ رَسْمِيٍّ أعضَاءَ مجْلسِ الشيُوْخِ وأدَارَ حُكْمَ البِلَادِ وفْقَ مَشوْرَتهِم. فِي الوَاقِع، حيْنَ أظهَرَت الطَبَقَةُ الأرُستقرَاطيَّةُ البولونيَّةُ الاحْترَامَ لمُمَثِّل البَابا المُقدَّس، بذَلَت أقْصَى جَهْدهَا تمَامًا للتَأكُّدِ مِن عدَمِ تَقييْدِ سُلطَتِهَا بصُوْرَةٍ غيْرِ مُلَائِمَة.

إنَّ التَسْويَات، الأعمَال الخَيريَّة، والمشْهَد المسرَحِي، هِيَ دعَائِمُ الاستِقْرَارِ البُولونِي: كالتوَصُّلِ إلى التَسْوِيَةِ بيْنَ حُكَّامِهَا المَدَنيِّين والدِيْنيِّين، والإحْسَانِ والمشْهَدِ المَسرَحِيِّ للعَامَّة. قَد لَا يبْدُو رمْيُ رَضيْعِ الخِنزيْرِ المَشوِيِّ وَسيْلًة حكوميًّة مُتطَوِّرًة، غيْرَ أنَّ الاستقْرَارَ السِيَاسِيَّ فِي بولونيا يُخبِرُنا أنَّها نجَحَت بشَكْلٍ جيِّدٍ بالفِعْل.

------------

\*عائلة فيسكونتي: هي واحدة من أهم السلالات النبيلة الإيطالية في العصور الوسطى، حكمت في الفترة بين عامي 1277 إلى 1447.

\*المانييريزمو: النهجية أو الأسلوبية أو التكلفية هي حركة فنية أثرت في فن عصر النهضة الإيطالي في مَرحلَتهِ الأَخيْرَة، وشمَلَت التَصوِيْرَ الزَيتِيَّ والجِدَاريَّات والنَحْت والعَمَارة، والفنُوْنُ الصُغْرَى.

(138) لقَد حَلُمَ فُقرَاءُ العصُوْرِ الوسْطَى بعَجَائِبَ كثيْرَة: كالقدوْرِ التِي تغْلِي مِن تِلقَاءِ نفْسِهَا والأبوَاقِ التِي أحيَتْ المَوْتى، والحَميْرِ التي تتَغوَّطُ ذَهَبًا خالِصًا. ولعَلَّ الخُرافَاتِ الأكثَرِ شُهرًة بيْنهَا جَميْعًا تحْكِي عَن أرْضِ الوِفْرَة، وهيَ أرْضٌ غَنِيَّةٌ بأنْهَارٍ مِن النَبيْذِ، ونوَافيْرِ الزَيْت، وجِبَال الجُبن، وحَيْثُ تُهروِلُ الخنَازيْرُ الرَضيْعَةُ المَشويَّةُ فِي الأرْجَاء مِن تِلقَاءِ نَفْسِهَا، وهِيَ بكَاملِ الاسْتِعدَادِ لتَغْدُوَ وَجْبًة لذيْذَة. ومنْذُ منتَصَفِ القرْنِ السَادِسِ عشَر، أصْبحَت الصُحُفُ التي طُبِعَت عليْهَا صُوَرٌ وحِكايَاتٌ عَن المَواضيْعِ ذاتِهَا رائِجًة فِي عدَّةِ مدُنٍ إيطاليَّة، وسُرعَان مَا رأَى الحُكَّامُ الدُهَاةُ بأرْضِ الوَفْرَةِ مَصْدرًا لحملَاتِ الدِعَايَة. ولهذَا السَبب، اختِيْرَ عِيْدُ الخِنزيْرِ الرَضيْعِ مِن بيْنِ العَديْدِ مِن الابتِكارَاتِ الأُخْرى. قَامَ مُروِّجو الدِعَايَةِ بتَحريْفِ الخُرافَةِ القديْمَةِ بإعْلَانِهِم أنَّ الحيَوانَاتِ التِي تُقذَفُ على الحَشْدِ لَم تَنْزِل مِن الأرْضِ مُفرِطَةَ الوَفْرَة الخيَاليَّة، إنَّمَا مِنَ المرْكَزِ الحَقيقِيِّ للسُلطَةِ الرَئيسيَّةِ فِي بولونيا. وفِي الوَقْتِ الذِي لَم تكُنْ فيْهِ المَجَاعَةُ بَعيْدًة عَن الذَاكِرَةِ أو التَخَيُّلِ المُخِيْف، تَوجَّبَ على المَديْنَةِ إثْبَاتَ مَقْدرَتِهَا للجَميْع على تَوفيْرِ الرَخَاء، فأَن تكوْنَ بولونيًّا وحَبيْسَ المديْنَةِ بيوْمِ القدِّيْسِ بارثولوميو، ذَلِكَ يُعطيْكَ الحَقَّ بأَنْ تُشَارِكَ بتِلْكَ الوَفْرَة- حتَّى وإِن كانَت فقَط قِسْمًة مِن لَحْمِ خِنزيْرٍ مَشويٍّ ظَفَرْتَ بِهَا فِي قِتَالٍ شَعبِيٍّ بالقَبَضَاتِ نُظِّمَ لتَسلِيَةِ الموَاطنِيْنَ الأكثَر حظًّا. يُخْبِرُنَا "كروتشي" أنَّه فِي مسَاءِ مَهرجَانِ رَضيْعِ الخِنزيْرِ، عندَمَا يذهَبُ الأثريَاءُ إلى منَازلهِم لتَناوُلِ البورشيتا، يَعْمَدُ اليَائِسوْنَ على الرِهَانِ بعبَاءَاتهِم لشِرَاءِ شَريْحَةِ لحْمٍ أو اثنتَيْنِ فِي نُزُلٍ مَا، إذَا كانَ هذَا هوَ ثمَنُ المُشَاركَةِ، كمَا ينْبَغِي على شَخْصٍ بولونِيٍّ، فِي مَهرجَانِ المديْنَةِ الكبيْرِ، فحِيْنهَا يجِبُ أَن يتِمَّ دَفْعُه.

**المَرْتَديْلَا: أحْجَارُ النَرْدِ الثَلَاثَة التِي تَحْمِلُ الرقَمَ سِتَّة**

يَسْتنِدُ المَطْبَخُ البولونِيُّ ذَلِكَ الصَرْحُ العَظيْمُ على حَجَرِ أسَاسٍ وَحيْدٍ هوَ المَرتَديْلَّا، والذِي يتميَّزُ "بمثاَليَّةٍ" كبيْرَةٍ جدًّا لدَرجَةِ أنَّه باتَ مُترَادِفًا معَ المديْنَة، وإنَّهُ وببسَاطَةٍ بَاتَ يُعرَفُ غالباً باسْمِ "بولونيا"- ومِن هُنَا جاءَت الكلمَةُ المُحَرَّفة الأمريْكِيَّة بَالوْنِي. المَرتَديْلَّا هيَ أسْطوَانَةٌ مُمتلِئَةٌ بالنقَانِقِ المَطهوَّةِ على شَكْلِ شرَائِط، عادًة مَا تكوْنُ بحَجْم طِفْلٍ صَغِير، يتَضمَّنُ ستينَ بالمِئَةِ مِنْهَا على قِطَعٍ جيِّدَةٍ مِن لَحْمِ الخِنزيْر، مَفروْمًة ثلَاثَ مرَّاتٍ لإنْتاَجِ قوَامٍ نَاعمٍ ولوْنٍ ورْدِيٍّ جَلِيٍّ يتَكَشَّفُ لدَى تقْطِيعِهَا، وتُوَزَّعُ على اللَّحْمِ بالتسَاوي مُكعَّباتٌ صدفِيَّةُ اللَّوْنِ مِن دُهْنِ حَلْقِ الخِنزيْرِ، والتِي تَجْعَلُ المذَاقَ أكثَر طرَاوًة ولذَّة. (139) إنَّ المَرتديْلَّا طبَقٌ مثَالِيٌّ مَرمُوْقُ، لكنَّ أصْلهَا البُولونِي ليْسَ نقِيًّا، لقَد جَاءَتْ كلمَةُ مرتَديْلَّا إلى الإيطَاليَّة مِن اللُّغَةِ الفرنْسِيَّةِ خلَالَ العُصوْرِ الوسْطَى ومنْهَا إلى التوسْكَانيَّة، بعْدَ أَن نشَأَت ككَلِمَةٍ لَاتينيَّةٍ للهَاوَن الذِي تُدَقُّ بهِ اللُّحوْم، يشْتَمِلُ هذَا المُصْطَلحُ في اللُّغَةِ الإيْطاليَّة على جَميْعِ أنْوَاعِ النقَانِق، فوَصْفَةُ المَرتديْلَّا فِي "كتَابٌ للطَهْي" الفِينِيسِي، يُستعْمَلُ فيْهَا كَبِدُ الخِنزيْرِ المَسلوْقِ، الجُبْنُ والبَيْض. كمَا يُخبِرنَا "بلَاتينا" فِي كتَابهِ "مُتعَةٌ لَائِقَةٌ" أنَّ "ماستر مارتينو" اعتَادَ شِوَاءَ المَرتدِيلَّا على الجَمْرِ والتِي بدَت بحَجْمِ البَيْض، وهِيَ مُعَدةٌ مِن وِرْكِ العِجْلِ الدُهْنِي ومُتبَّلةٌ بالمَردَقوْش، البَقدُوْنِس والتوَابِل ومَخْلوْطَة بصَفَارِ البَيْضِ والجُبْن. مِن المُحْتمَلِ أَن تكوْنَ مَرتَديْلَا الطَاهِي "بارتولوميو سكابي" رَاقِيًة أكثَر: إِذ أنَّها نقَانِقٌ مِن لَحْمِ الخِنزيْرِ المُعدَّةِ للقَلْيِ والمُنكَّهَةِ بثَلَاثة مَقَاديْر مضبوْطًة مِن ثلَاثة توَابلٍ مُختلفَةٍ بالإضَافَةِ إلى الشَمَّر المُجفَّف، النَعنَاع، المَردَقوْش والزَعْتر البَرِّي. باخْتِصَار، يَبْدو أنَّ الجَميْعَ قَد أعَدَّ المَرتَديلَّا بطَريقَةٍ مَا أَو بأُخْرَى.

لقد عُرِفَت بولونيا منْذُ فَترَةٍ طويْلَةٍ بمُنتَجَاتِهَا مِن لَحْمِ الخِنزيْر، برَغْمِ أنَّها لَم تَكُن مُتفرِّدًة بالمَرتديْلَّا، ومعَ ذلِك فبغضُوْنِ سنوَاتٍ قليْلَةٍ على وفَاةِ "سكابي"، كتبَ "جوليو سيزار كروتشي" في كِتَابهِ (امتيَازُ ونَصْرُ الخِنزيْر): "ماذَا عسَايَ أَن أَقوْل عَن ... المَرتديْلَّا والسْلَامِي؟ إنَّها أطعِمَةُ الأُمرَاء والأسْيَاد، وإنَّ فَخْرَ مديْنَةِ بولونيا هو قيَامهَا بصِنَاعَةِ هَذِهِ المَأكوْلَات معَ كُلِّ الفروْقَاتِ الجَديْرَةِ بِهَا". ولَم يَمْضِ وقْتٌ طويْلٌ على وفَاةِ "كروتشي"، حتَّى ارْتبَطَت كلمَةُ مرتَديْلَّا بشَكْلٍ حَصْرِيٍّ وللأَبَدِ بجَمِيْعِ أنْوَاعِ النقَانِق التِي نَعرِفُهَا اليَوْم، وبمَديْنَة بولونيا.

فمَا الذِي تغيَّر؟ تُظْهِرُ أعمَالُ "سكابي" أنَّه خلَالَ نهَايَاتِ العُصوْرِ الوسْطَى وصوْلًا إلى عَصْرِ النهْضَة، أصْبحَت مَجْموعَةٌ متزَايِدَةٌ مِن المُنْتجَاتِ مُرتبِطًة بمرَاكِزَ مُختلفَةٍ في الشبَكَةِ الحضَريَّةِ الإيْطاليَّة- كمَا حدَث معَ "العلَامَة التِجاريَّة" لجُبْنَةِ البَارمِيْزَان في العُصوْرِ الوسْطَى عبْرَ تَخصِيْصِهَا لمَديْنَةِ "بارما"، وتمَّ تَعزيْزُ العَمليَّة ذاتَهَا لَاحِقًا مِن خِلَالِ توَجُّهَاتِ الاقتِصَادِ العَالمِي، ومعَ نمُوِّ التجَارَةِ فِي القرْنِ السَابعِ عشَر والثَامِنِ عشَر ازْدَادَ التَخْصِيص، فباتَت مدُنٌ مُختَلِفَةٌ فِي أوروبا مَشهوْرًة عالمِيًّا بمُنتجَاتٍ مُحدَّدة، مثْلَ مديْنَةِ "دلفت" بصنَاعَةِ الفَخَّار و"ليون" بالحَريْر، أمَّا جُبْنُ مديْنَةِ "بارما" فقَد باتَ لَه قيْمًة كبيْرًة فِي البُلدَانِ الأُخْرَى أيْضًا: ففِي عَام 1666 قَام كاتِبُ اليَوميَّات "صموئيل بيبيس" بدَفنِ جُبنتَه "البَارميزَان" فِي الحَديْقةِ لإنقَاذِها مِن حَريْقِ لنْدُن العَظيم. وبحُلوْل نِهَايةِ القَرْن عُرِفَت المرتَديلَّا البولونيَّة في بُلدَانٍ بَعيْدَةٍ كحَال جُبنةِ البَارميزَان، برَغْمِ انطلَاقتِهَا المُتأخِّرة نِسْبيًا كتَخَصُّصٍ محَلِّي.

في الوَاقعِ تُشيْرُ الوثَائِقُ المُتاحَةُ أنَّ صعوْدَ المَرتديلَّا إلى الصَدَارةِ يُمَثِّلُ خُطوًة هامًّة نحْوَ "المِثَاليَّة" بالمَعْنَى الحَديْث.

-----------

\*دلفت: هي بلدة هولندية بمقاطعة جنوب هولندا بين لاهاي و روتردام. يعتبر مركز دلفت تاريخي، وقد تطورت في القرن 19 حتى أصبحت مدينة.

\*ليون :هي ثالث أكبر مدينة فرنسية من حيث عدد السكان بعد مدينة باريس ومدينة مارسيليا، عاصمة إقليم رون ومنطقة رون ألب في جنوب شرق البلاد.

(140) ففِي الحِقبَةِ البَاروكيَّة، يَبْدو أنَّ المَرتديلَّا قَد اكتسبَت العَديْدَ مِن العنَاصِر الأسَاسيَّة للمِثاليَّة: الوصْفَة المَضبوْطَة، تَشريْعَاتُ الحِمايَة، وأَصْلٌ مُبَالَغٌ بِه، واستِثْمَارٌ كَبيْرٌ بالوَطنيَّةِ المَدنيَّة.

أوَّلًا، الوَصْفَة: إنَّ أقدَم وَصْفٍ عَن كيفيَّةِ صُنْعِ المَرتديلَّا البولونيَّة يَعوْدُ تاريْخَهُ إلى عَام 1644، وهيَ قَرِيْبَة للغَايَة دوْنَ توَابلٍ بسبَبِ سُجقِ بولونيا الحَديْث.

**لصُنعِ مَا يُقارِب الـ100 رطْلٍ مِن المَرتديْلَّا**

المقَادِير:

33 رِطلًا و4 أونْصَات (أَي ثُلُث رِطْلٍ تقريْبًا) مِن اللَّحْمِ الدُهْنِيِّ لحَلْقِ الخِنزيْر أو بَطْنِه مُقطَّعًا إلى مُكعَّبَاتٍ بحَجْمِ البُنْدُق.

66 رِطلًا و8 أونْصَاتٍ مِن لَحْمِ الخِنزيْرِ الخَالِي مِن الدُهْنِ المُمْتَاز، للسَاقِ أو الكَتفِ معَ إزَالَةِ كُلِّ الدُهْن، العَصَب، والغِشَاء.

جُزْءٌ مِن أمعَاءِ الخِنزيْرِ المَعروفَةِ باسْمِ "المَعِي الأَعْوَر" وذَلِكَ لوجُوْدِ فَتحَةٍ وَاحِدَةٍ لهَا فقَط- عِوضَا عَن تَشبيْهِهَا بالعَيْنِ الوَاحِدَة، أَو أَيَّ أمْعَاءٍ أُخْرَى.

6 رِطْل مِن المِلحِ الذِي تَمَّ تجْفِيفَهُ على النَارِ وطَحْنَه ثُمَّ نَخْلَه، 2 أُونْصَة مِن القِرْفَة، 2 أُونْصَة مِن القُرنْفُل،2 حبَّة مِن جَوزَةِ الطِيْب.

4 حُبيْبَات مِن المِسْكَة، 12 رِطلًا مِن حبَّاتِ الفُلفُل الكَامِلة.

2 رطِل مِن الجُبنَة المَبشوْرَة والقَليْلِ مِن السُكَّر.

نَبيْذ مَالمسي، أَو أيَّ نَبيْذٍ جيِّدٍ آخَر.

خُذ اللَّحمَ الدُهنِي وأَضِف رِطْلَا المِلْح، واطْحَن التَوابِل التَالِيَة معَ بعْضِهَا وضَع القَليْلَ مِن السُكَّر: القِرفَة، القرُنْفل، جَوْزَة الطِيْب، المِستِكَة. ثُمَّ قُم بتَمْيِيعِ الخَليْط بإضَافَةِ القَليْلِ مِن نَبيْذِ مالماسي. أُمزُج كُلَّ شَيءٍ معًا واترُكْهُ على جَنْبٍ في وِعَاءٍ كَبِيْر.

-------------

\*الأونصة: وحدة لقياس الوزن، تعادل 28 غرامًا.

(141) قَطِّع ودُق اللَّحم الأحْمَر حتَّى يُصْبِحَ بقوَامٍ نَاعِم، ثمَّ رُشَّهُ بنَبيْذِ مالميسي. ضِفْ بعْدَ ذلِكَ المِلْحَ المُتبَقِّي، الفُلفُل، والجُبن المَبْشُور، وقُم بخَلْط ِالمُكوِّنَات معَ بعْضِها بعنَايَةٍ ودُقَّهَا برِفْق.

ثمَّ أُخْلط كِلَا جُزْئَي اللَّحْم معَ بَعضِهِمَا جيِّدًا، ودُقَّه قليْلاً أكثَر، امْلَأ الأمعَاء بهَذا الخَليْط، واترُكهَا حتَّى تَجِفَّ في الفُرْن أو بحَرَارةِ المَطْبَخ، قُم بتَخزينِهَا بمكَانٍ جيِّدِ التَهويَة حتَّى الرَبيْع، واحْرَص على ألَّا تُلَامِسَ المرتَديْلَّا أيَّ شَيء، حتَّى بعْضَها البَعْض. يُمكِن تخزيْنهَا حِينَئذٍ في مكَانٍ أبْرَد، طَالمَا يَتِمُّ إضَافَةُ دُهْنِ الخِنزيْرِ إليْهَا وإزَالَةُ أيَّ عفَنٍ منْهَا، بعْضُ النَاسِ يَقوموْنَ بتَخزيْنِهَا في الرمَاد.

بعْدَ بِضْعَةِ أعْوَامٍ على نَشْرِ هَذهِ الوَصْفَة، صدَرَ أوَّلُ قانوْنٍ مَعروْفٍ لحِمَايَةِ التَخَصُّص الإيْطَالي المَحَلِّي لأجْلِ المُحافَظَةِ على سُمعَةِ صَانعِي المَرتَديْلَّا البولونيِّين، وفي عَام 1661 أصْدَر الكَارديْنَال المُوْفَد والذِي كانَ يُدِيْرُ حُكْمَ بولونيَا إنابًة عَن البَابا بَلَاغًا ضِدَّ النَاس "الذيْنَ يُظهِروْنَ القَليْلَ مِن المَحَبَّة للصَالِح العَام، إِذ أنَّهُم يُعطوْنَ لأنْفُسهِم الحَقَّ بصُنْعِ المَرتديْلَّا التِي تَحْتَوِي على بعْضٍ مِن لحمِ البَقَر". أضَرَّت هَذهِ الجُنحَة على نَحْوٍ خَاصٍّ بـ "المَوهِبَةِ التِي صَنعَت مَرتديلَّا مِثَاليَّة بشَكْلٍ فَاخِرٍ استمْتعَت بهَا هَذهِ المَديْنَة منْذُ العُصوْرِ القَديْمَة. لُابُدَّ أنَّ الرومَان قَد عَرَفوا وفضَّلوا نَوعيَّاتِ الخنَازيْرِ القَادِمَةِ مِن الغَابَات الغَنيَّةِ بأشْجَار البَلُّوطِ حَوْلَ بولونيا، ولَكِن لَا يُوجَدُ دَليْلٌ بأنَّهم عَرَفوا المَرتديْلَّا أيْضًا. لذلِكَ، مِن المُفارقَات أنَّ أوَّلَ وثِيْقَةٍ تاريْخِيَّةٍ تَشْهَد على وجوْدِ مَرتديْلَّا بولونِيَّة أصْليَّة كالتِي نَعْرِفُهَا اليَوْمَ، هيَ أيْضًا أوَّلُ مَن ابْتكَرَ تقْليدًا مُوَقَّرًا للمُنتَج.

لقَد وَضعَ بيَان 1661 ضوَابِطَ صارِمًة لحمَايَة هذَا الفَنِّ الخَالدِ كمَا يَبْدو، وفرَضَ غرَامَاتٍ بَاهِظَةٍ على المُنتجِيْن غيْرِ المُصرَّحِ لَهُم، وليْسَ مِن الصَعْبِ اكتِشَاف أنَّ السُلطَة السِيَاسيَّة لنقَابَةِ صَانعِي النقَانِق هيَ مَن كانَت ورَاءَ بيَانِ الكَاردينَال، الذِي لَاقَى لأَسبَابٍ مَفهُومَةٍ حفَاوًة أكبَر مِن قِبَلِ صِنَاعَةِ المَرتديْلَّا العَصريَّة: إِذ بوِسْعِكَ رؤيَةُ نُسَخٍ مِنْه مَعروْضًة فِي نوَافِذَ المَتَاجِر.

إنَّ رَدْعَ مُزَيِّفِي المَرتَديْلَّا لَم يَكُن بالأمْرِ السَهْلِ فِي العَصْرِ البَاروْكي، وعلى أَيِّ حَالٍ فإنَّ بيَانَ الكَارديْنَال المُوفَد عَام 1661 يُنَوِّه إلى أنَّ صَانعِي البَالوْنِي (المَرتديْلَّا الأَمريْكيَّة) المُزوَّرَ يتجَاهَلوْنَ القَوَانيْنَ الحَاليَّة.

بحُلوْلِ بدايَةِ القَرْنِ الثَامِنِ عشَر، استمَرَّ البولونيُّونَ بعَادَةِ اللُّجوْءَ إلى الغموْضِ والسِريَّةِ للحِفَاظِ على نقَانقِهِم الثَمِيْنَة، وفِي ربيْعِ عَام 1706 قامَ رَاهِبٌ فَرَنْسِيٌّ مِنَ (142) الدُومِينيكَان يُدْعَى "جان بابتيست لابات" بزيَارةٍ إلى بولونيا بطَريْقِ عَودَتهِ إلى مَوطنِه بعْدَ أكْثَر مِن عَقْدٍ مِن الزَمَنِ قضَاهُ فِي المُقاطعَاتِ الكَاريبِيَّة الفَرنْسِيَّة، فأثَار المُنتَجُ الأكثَرُ شُهرًة فِي المديْنَةِ فضُوْلَه على الفَوْر، لقَد سبَق لَهُ أَن تنَاوَلَ النقَانِق البولونيَّة فِي أمريْكَا، ووجَدهَا مُثيْرًة للشَهيَّة أكثَر ممَّا هِي عليْهِ فِي بلَدِ نشْأَتِهَا، فرَاحَ يَسْأَلُ عَن كيْفِيَّةِ صُنْعِهَا، فأخْبَرَه بعْضُ البولونِيين أنَّ المَرتديْلَّا تُصْنَعُ مِن لحْمِ الحَمِيْرِ المَولودَةِ حَديْثًا (فصرَفَ النظَر عَن هذَا الكلَامِ باعتِبَارهِ سُخريًة بحَقِّه)، وقَالَ لَهُ آخَروْنَ إنَّ المُكوِّنَ الرَئيْسِيَّ هوَ لحَمُ الخِنزيْرِ البَرِّي (مِن المُحتمَلِ وجُوْدُ مُكَوِّن آخَر وهوَ سمَكُ الرنْكَة الأحْمَر، افْتَرَضَ ذلِك لأنَّ جَميْعَ الخَنازيْرِ البَريَّةِ فِي الأمْريكيَّتينِ لَن تكْفِي لصُنْعِ جِبَالِ النقَانقِ المُصدَّرَةِ مِن بولونيا). أَعْلَمَهُ رُوَاةٌ مَوثُوقوْنَ أنَّ الخِنزيْرَ المُدجَّن هوَ المُكوِّنُ الرَئيْسِي، بيْدَ أنَّهُ كَانَ ميَّالًا لتَصدِيْقِ أولئِكَ الذيْنَ قَالوا إنَّ لَحْمَ البقَرِ أو العِجْلِ يَدخُل في المَزيْجِ أيْضًا، فخَلُصَ إلى نتِيجَةٍ مفَادُهَا: "مِن الوَاضحِ أنَّ البولونيِّينَ حَكيموْنَ كفَايًة لجَعْلِ تَركيْبَتِهِ لُغْزًا، وهُم مُحِقُّونَ بفِعْلهِم هذَا، لأنَّ الجَميْعَ سيَرْغَب بتَقليْدهِم، وإذَا بَاحُوا بسِرَّهُم فستَنْهَار فِي النِهَايَة تجَارَةُ اللُّحوْمِ هَذهِ بالكَامِل".

ولاعْتِبَارِ أنَّ نقَانِق بولونيا ذاتَ أهميَّةٍ تِجَاريَّةٍ بالِغَة، وتتَّسِمُ بسُمعَةٍ عالمِيَّةٍ تُقارَنُ بشُهْرَةِ جُبنَةِ البَارمِيزَان الهَائِلَة، فقَد ارتبَطَت بالوطَنيَّةِ المدَنِيَّة على نَحْوٍ هَام، كمَا يتَّضِحُ بأكثَرِ مِن جُزْءٍ استثْنَائِيٍّ للأَدِلَّةِ فِي تاريْخِ الطعَامِ الإيْطَالِي: لعبَةُ الطَاوِلَة فِي العَصْرِ البَاروْكِي.

لقَد أصبَحَت لُعبَةُ الطَاوِلَة رَائِجًة فِي القَرْنِ السَابِعِ عشَر، وانْتشَرَت بشَكْلٍ مَحدوْدٍ فِي منَاطقِ حُكْمِ البَابا لأنَّ ألعَابَ النَرْدِ والوَرَقِ أصْبَحَت مَصْدَرَ إيرَادَاتٍ ضَريْبيَّة، وباتَ مَوضوْعُ الاسْتِهجَانِ الرَسْمِيِّ شَائِعًا فِي القرْنِ السَادسِ عشَر، وكمَا يَنُصُّ أحَدُ القَوانِيْنِ الصَادِرَةِ بروما عَام 1588: "تُظهِرُ التَجَاربُ القَديمْةُ مدَى ضَرَرِ الألعَاب، فَهِيَ تتسبَّبُ بخَسَارَةِ الثَروَةِ الخَاصَّةِ وهَدْمِ أُسَرٍ بأكْمَلِهَا". لقَد استُبْعِدَت ألعَابُ الطَاوِلَةِ بشَكْلٍ صَريْحٍ مِن نُصوْصِ القَانوْن.

تمَّ ابتكَارُ بعْضِ الألعَابِ لتَحِلَّ محَلَّ ألعَابِ الورَقِ والنَرْد، وهِيَ عِبارَة عَن مُسابقَاتٍ مَليْئَةٍ بالحَوَادِث أقرَبَ إلى لُعبَةِ الثعَابيْنِ والسَلَالِم، وأُخْرَى تضَمَّنَت مُكَافآتٍ وعُقوبَاتٍ تُوزَّعُ وفْقًا لرَمْيِ النَرْد، وتوجَّبَ على اللَّاعبيْنَ إتِّبَاعَ التَعليْمَاتِ المَكتوْبَةِ في مُربَّعِ اللَّوْحَة والتِي تتَوَافَقُ معَ العَدَدِ الذِي أَلقُوا بِه، فتَفوْزُ بَعْضُ الأرقَامِ بالمَال، وأُخْرَى تَخْسَرُه، واسْتوجَبَت بَعْضُ الأرقَامِ عِقَابًا مُحْرجًا، مثْلَ نَفْخِ التوْتِ البَريِّ على الجَميْعِ فِي الغُرْفَة، وربَّما مكَّنَت ألعَابٌ ثانِيًة مِن فَرْضِ عُقوبَاتٍ على الآخَريْن. (143) كانَ "جوزيف ماريا ميتيلي" مُصمِّمًا عَظيْمًا لألعَابِ الطاوِلَةِ فِي بولونيا البَاروكيَّة، وقَد وُلِدَ فِي المديْنَةِ عَام 1634، وهوَ الابْنُ الثَانِي لرسَّامٍ نَاجِح، أصَابَ "ميتيلي" الكثيْرَ مِن الإحْبَاطِ لأنَّ جُهوْدَه الفنيَّةَ لمَ تلقَ الاستِحْسَانَ الذِي نَالَه وَالِدُه، وهذَا مَا دفعَهُ لأَن يُصْبِحَ نقَّاشًا على الخَشَبِ، فصنَعَ لنَفْسِه مِهنًة مُعتبَرًة مِن هذَا الفَنِّ الأقَلِّ شأنًا وتَكْلِفَة، لقَد طَالَت صُوَرهُ المَطْبُوعَة جُمهوْرًا أوْسَعَ بكثيْرٍ ممَّا فعَلت لوْحَاتهُ الزيتيَّة والتصَاويْرُ الجصيَّة؛ وقَد كَانَ بوِسْعِ حتَّى الشَخْص الجَاهِلِ أَن يَسْتَمتِعَ بهَا. بدَت مَطبوْعَاتُ "ميتيلي" سَاخِرًة، لكنَّها دائِمًا مَا اسْتنَدَت إلى الأخْلَاقِ الرَسْميَّة (فأَخوْهُ، بعْدَ كُلِّ شَيءٍ يَسوْعِيَّ الدِيَانَة).

نقَشَ "ميتيلي" ثلَاثًة وثلَاثينَ مِن ألعَابِ الطَاوِلَة، مِن ضمْنِهَا لعبَةُ أرْضِ الوَفْرَة عَام 1691، حَيْثُ تَتوَافَقُ المُربَّعَاتُ المُصوَّرَةُ معَ تخَصُّصَاتٍ لمدُنٍ إيْطَاليَّةٍ مُختَلِفَة، فإذَا كانَت نَتيْجَةُ إلقَاءِ نرْدِكَ خَمْسَة عشَر، فستَحْصَلُ على الخُبْزِ مِن بادوا، وإنْ فُزْتَ بالرَقَمِ أحَدَ عشَر ستنَالُ غاتافورا مَديْنَة جَنَوَة- مُعجَّنَات الجُبْنِ التِي ذكرَهَا "سكابي". أمَّا إذَا كانَ مَجموْعُ نقَاطِ نَرْدِكَ 9 فسَتُمْنَحُ بسْكَويْتَ اللَّوْزِ مِن بيزا المَعروْفِ باسْمِ كانتوشي- يُمْكِنُ العثوْرُ عليْهِ الآنَ فِي قَائِمَةِ الحَلَويَّاتِ التوسْكَانيَّة المِثَاليَّة فِي مَطْعَمِ "أولد غريندستون" بالطَاحوْنَةِ البَيْضَاء. ارْمِ سَبْعَةَ عشَر وسَتَفُوْزُ بمُنتَجٍ مثَاليٍّ آخَر لَايزَالُ مَوجوْدًا حتَّى الآن: النُوغَة مِن كريمونا- لَكِن لَا يُسْمَحُ لكَ سِوَى بمَصِّهَا.



لعبَةُ الطَاوِلَة التِي يرْمِي مِن خلَالِهَا اللَّاعبوْنَ النَرْدَ للفوْزِ بالمُنتجَاتِ الخَاصَّةِ بالمدُنِ الإيْطَاليَّة، مِن بَيْنِهَا البروكلي مِن نابولي، السُجُق مِن مودينا، وجُبنَةُ مديْنَةِ بياتشنسا (والتِي أُطلِقَ عليْهَا بوَقتِنَا هذَا اسْمَ غرانا بادانو- أحَد أنوَاعِ جُبنَةِ البَارميْزَان)، لكنَّ الأمْرَ يتطلَّبُ رقْمَ ستَّة ثُلَاثِي للفَوْزِ بالجَائِزَةِ الأوْلَى: نقَانِقُ مَرتديْلَّا بولونيا، بولونيا عَام 1691.

---------------

\*بياتشنسا: مدينة شمال إيطاليا بإقليم إميليا رومانيا، سكانها حوالي 100,413 نسمة. وهي صلة الوصل بين منطقة إميليا التاريخية وإقليم لومبارديا، وقد تأثرت المدينة ومقاطعتها كثيرا وبشكل واضح بميلانو، حيث تنتمي لإقليمها الاقتصادي في نواح عديدة، غالباً ما ترتبط مصائرها بها.

(144) أمَّا أكثَرُ الجَوَائزِ لذًّة فهِيَ بانْتِظَارِ اللَّاعبيْنَ الذيْنَ يَرموْنَ ثلَاثَة أحْجَارِ نَرْدٍ، فتَحْمِلُ جَميْعهَا ذَاتَ الرقَم، وبالتَالِي فرَقْمُ اثنَان ثُلَاثِي، يَفوْزُ بوَجْبَةِ أمْعَاءَ على الطَريقَةِ الميلَانيَّة، أمَّا رقْمُ أرْبَعَة ثُلَاثِي فهوَ يجَلِبُ جُبنَة حَليْبِ الجَاموْسِ الطَازجَة مِن رومَا، البروفاتورا. ومَا مِن دَاعٍ للقوْلِ أنَّ رقْمَ ستَّة ثُلَاثِي يَفوْزُ بأعْظَمِ مُكافأَةٍ مِن بَينِهَا جَميْعًا، وفِي مَركَزِ سَاحَةِ اللَّوْحِ الخَشَبِي، يَظهَرُ رَجُلٌ يَقِفُ بيْنَ اثنيْنِ مِن النَقَانقِ المُعلَّقَةِ كبيْرَة بحَجْمِ رَأسِهِ، وقَد كُتِبَ أسْفلَهَا: "تحْيَا مرتديْلَّا بولونيا، لقَد فُزْتَ بكُلِّ شَيء".

إنَّ للُعبَةِ أرْضِ الوَفرَةِ أسَاسًا فِي الوطنيَّةِ البولونيَّة الشَعبيَّة، ولهَا دَوْرٌ بانْتِشَارِ فِكرَةَ أنَّ إيطاليا هيَ أرْضُ التخَصُّصاتِ المَحليَّة، لكنَّها أيْضًا أظهرَت الأخلَاقيَّات الشَغوْفَة باللَّعبِ ذاتِها مثْلَ نقوْشِ "ميتيلي" الأُخْرَى، يقوْلُ الشِعَارُ المكتوْبُ على لوحَةِ ميتيلي: "لَا أحَد يَخسَرُ مُطْلقًا والجَميْعُ يفوْزُ دائِمًا بلُعبَةِ أرْضِ الوَفْرَة". ولكِن وكمَا أُدرِكُ بكُلِّ تأكِيْد، لَا يُمكِنُ أَن تكوْنَ أرْضُ الوَفرَةِ الحضَريَّةِ الإيطَاليَّة مُتاحًة للجَميْعِ بشَكلٍ سَهْلِ المنَال، بوَفْرَةِ أطبَاقِهَا المثَاليَّة؛ إلَّا في لُعبَةٍ أو مَهْرجَانٍ عَام.

لَم تَكُن بولونيا المديْنَة الوَحيْدَة التِي اتَّخذَت فيْهَا أسطوْرَة أرْضِ الوَفْرَة مظَاهِرَ حَديْثَة واكتسبَتْ أهميًّة سِياسيًّة جَديْدَة. فِي الحَقيْقَة، إنَّ أكثَر الأمْثِلَةِ شُهرًة هوَ الكوكانا بمَديْنَةِ نابولي فِي القرْنِ الثَامنِ عشَر، فالكوكانا أو الوَفْرَة كانَت هَيْكلًا خشَبيًّا مُتعَدِّدَ الطَوَابقِ تمَّ زَخْرفتَهُ ليَبْدو كَرَابِيَة، قَصْر، مديْنَة أو شَيئًا مِن هذَا القَبِيْل. وخِلَالَ أرْبَعِة أيَّامِ آحَادٍ مُتعَاقِبَةٍ مِن وقْتِ الكَرنفَال، تمَّ تَشيِيْدُ الكوكانا فِي وَاحِدَةٍ مِن أكبَرِ سَاحَاتِ المَديْنَة، ومُلِئت بالطعَامِ والشَرَابِ ثمَّ صُلِبَ الدَجَاجُ والأُوَزُّ حيًّا على سَطْحِهَا الخَارجِي، وبمُجَرَّد أَن أعْطَى المَلِكُ الإشَارَة، شرَعَ حَشْدٌ مِن الفُقرَاءِ بمُهَاجمَتِهَا، ورَاحُوا يتقَاتَلوْنَ معَ بَعْضهِم، ويتسَلَّقوْنَ حتَّى القِمَّة للحُصوْلِ على الجَائِزَة المَعروْضَة، وكانَت الوَفيَّاتُ والإصَابَاتُ النَاجِمَةُ عِن ذلِكَ جُزْءًا مِن التَرفِيه.

فِي القرْنِ الثَامِن عشَر اكتَسبَت "نابولي" تَمثيْلًا شعَائريًّا للوَفْرَةِ والذِي يًمْكِنُ القِيَامَ بهِ بشَكْلٍ يَوْمِي: وهوَ تنَاوُلُ المَعكروْنَة. فبِحُلوْلِ مُنتصَفِ القَرْنِ الثَامِن عشَر رسَّخَت المديْنَةُ سُمعتَها بقوَّةٍ كعَاصِمَةِ المعكروْنَةِ الإيْطَاليَّة، ففِي "نابولي" أصْبَحَت المعكروْنَةُ المُجفَّفةُ لأوَّلِ مرَّة على مَا هِي عَليْهِ اليَومْ- الطبَقُ الذِي لَا يَسْتَغنِي عَنْهُ النَاس، المَجْدُ المُتوَّجُ للنِظَام الغذَائِيِّ الإيْطَالي اليَوْمِي. (145)

**-9-**

**نَابولِي، أوَاخِر القَرْن الثَامِن عشَر**

**----------------------------**

**آكِلو المَعكَروْنَة**

**بَيْضَةٌ، وضِفْدَعٌ، وخَمْرٌ رَدِيء**

إنَّ قدُوْمَ السَادَة الشَباب الأثْريَاء ومُعظمَهم مِن الإنكِليْز، إلى إيطَاليا لرُؤيَة موَاقعِ المَاضِي التَقليديَّة- وللإسْرَاف بشُرب الخُموْرِ، جعَلَ مِنَ القرْنِ الثَامِنِ عشَر عصْرًا عَظِيْمًا للسِيَاحَةِ، فزَوَّدَتْنَا دفَاتِرُ يوميَّاتهِم ورسَائِلهُم بشَرحٍ حيَويٍّ ولكنَّه مُتحَامِلٌ جدًّا على مكانَةِ الطعَامِ الإيْطَالي، حَيْثُ تُفْشِي كلُّ صَفْحَةٍ تَقريْبًا خطَّهَا أولئِكَ السُيَّاح النُبلَاء عَن غَطرسَةٍ مُتَّزنَة، فبدَت إيطَاليا التِي زاروْهَا مُجرَّد خَلفيَّةٍ للآثَارِ التِي خلَّفتْها رومَا القَديْمَة وراءَهَا. لقَد قَارنَ الزُوَّارُ الإنكليْزُ عُموْمًا بَيْنَ فَقْرِ الإيطاليِّين وطَابَعِهُم الريفِي قبَالَة المعَايِيْر المَجِيدَة للحضَارةُ القديْمَة التِي شَيَّدَت مُدرَّج رومَا القَديم والهَيكَلِ الرومَانِي، مِن الوَاضِح أنَّ إيطاليا قَد أهْدرَت تَرِكَتَهَا الإمبرَاطوريَّة، وبالتَالِي فقَدَت الأحَقِّيَة بأَن تكوْنَ وريْثَة رومَا الحَقيقِيَّة، مَا مِن أحَدٍ يستطيْعُأحَدٍ إنْكَارَ جمَالِ إيطَاليا، ولكِن حتَّى الطبيْعَة باتَت دَليْلًا على الانْحِدَارِ الإيْطَالي: وقَد اعتُبِرَتْ هذِه الأرْضُ الخِصبَة التِي لَا مَثِيْلَ لهَا، مَضِيْعًة على مثْلِ هؤلَاءِ النَاسِ الكُسَالى الغَيْرِ مُنضَبطِيْن.

بالنسبَةِ للأذَواقِ الإنكليزيَّة، فالطعَامُ الإيطَاليُّ قَد قدَّمَ أكثَر دليْلٍ مُرعبٍ عَن كيفيَّةِ إفسَادِ سخَاءِ الطبيْعَة، واتَّفقَ مُعظَمُ السُيَّاحِ النُبلَاءِ على مَا يَلِي: معَ الاستثنَاءَاتِ المُشَرِّفَة مثْلَ المَرتديْلَّا وجُبنَة البَارميزَان، فالطعَامُ الإيطاليُّ رَديءٌ بشَكْلٍ عَام، وتنَاولُ الطعَام فِي الريْفِ الإيطَاليِّ كانَ فِي الغَالبِ تجُربًة مُثيرًة للاشْمئزَاز. ومِن دَاعِي الحَذَر، فقَد فضَّلَ العَديْدُ مِن المُسَافريْنَ تنَاوُلَ أقلَّ مَا يُمكِن مِن الطعَامِ المَحَلِّي، وانْجَذَبوا نحْوَ فنَادقِ المديْنَة التي يُديْرهَا أشْخَاصٌ إنْكِليز، أَو على الأقَل إيْطَاليُّون تلقُّوا تدْريبًا على الطَهْي الإنكِليزي المُلَائم؛ مِن لَحْمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد والمَلفوْف (146) ولحْمِ الضَأنِ أو البقَرِ المَسْلوق، وخبْزِ البودِنْغ.

ولدَى العوْدَةِ إلى وطَنهِم، أخَذَ السُوَّاح النُبلَاءُ يتَسَابَقُوْنَ بسَرْدِ حِكايَاتهِم عَن مدَى ردَاءَةِ الطعَامِ الإيطَالِي. ولمُدَّةِ قرْنٍ مِن الزمَان، فدفعَ ذَلِكَ لندنَ ولمُدَّةِ قرْنٍ مِن الزمَان لاحْتِضَانِ مُنافسَةٍ غيْرَ رسميًّة باكْتِشَافِ أَسْوَإ تجرُبَةِ تنَاولِ طعَامٍ إيطَاليَّة، وذكَرَ أحَدُ الأشْخَاصِ أنَّه قَد دفَعَ مبْلغًا كبيْرًا مِن المَالِ لقَاءَ وجَبَاتِ طعَامٍ مَطهيَّةٍ (لَا يسَعُ قبَائِلُ إفريقيَا البِدَائيَّة النظَر إليْهَا دوْنَ أَن تُثيْرَ اشمِئزَازَهُم)، وتذمَّر رجلٌ آخَرٌ قائِلًا: "حتَّى وإِن توَافَرَت الموَادُّ الصَالِحَةُ للأَكْلِ، كُنَّا نتَسمَّم بسبَبِ طريْقَةِ طَهْيِهِم لهَا". لقَد تضمَّنَت الوجَبَاتُ التِي قُدِّمَت للإنكِليْزِ فِي إيطَاليا الخَردَل، الغِربَان، السَحَالي وكذَلِكَ البَيْضِ، الضفَادِع والخَمْرَ الرَدِيء، وأيْضًا حِسَاءً مثْلَ مَاءِ الغَسِيْل، معَ قِطَعٍ مِن الكَبِدِ تسْبَحُ فِيْه، وطبَقًا مليئًا بالأدْمِغَةِ المَقليَّةِ على شَكْلِ فطَائِر. ذكَرَ أحَد المُسَافريْنَ: "توجَّبَ عليَّ تنَاوُلَ مَاءِ حوْضٍ مَلِيءٍ بالشرَاغِيف مَمزوْجٍ بنَبيْذٍ يُشبِهُ دِبْسَ السُكَّر أكثَر مِن عَصيْرِ العِنَب، وبيْنمَا دنَوْتُ بِالجَرَّةِ مِن شفَتَيَّ، شكَّلْتُ سَدًّا باسْتخدَامِ سِكِّينٍ؛ لأمْنَع الضفَادِعَ الصَغيْرَةَ مِن الانْزِلَاقِ لحَلقِي". غيْرَ أنَّ الفَائِزَ بالمُسَابقَةِ كانَ على الأرجَحِ السيِّدة "ميلر"، حيْثُ قُدِّمَ لهَا بقَريَةٍ قُرْبَ "فيرارا" حسَاءُ لحْمِ خِنزيْرٍ معَ بويليه، أي رَأْسَ خِنزيْرٍ معَ العَينيْنِ، رموْشِ العَينيْنِ، والمِنْخَار. وقَد بَقِي الطعَامُ ذَاتُهُ الذِي تنَاولَهُ الحيوَانُ البَائِسُ قبْلَ أَن يَلفِظَ أنفَاسَهُ عَالقًا بيْنَ أسْنَانِه.

مِن الصَعْبِ مَعرفَةُ إِن كانَت مثْلَ هذهِ الرِوَايَات تُمَثِّلُ انعِكَاسًا حَقيْقِيًّا عَن الطعَامِ الإيطَالي، فالزرَاعَةُ الإيطاليَّةُ دوْنَ شَكٍّ مُتخلِّفةٌ فِي بعْضِ المنَاطقِ الزِرَاعيَّةِ بالمُقارنَةِ معَ تلْكَ البريْطَانيَّة، والحيَاةُ في الريْفِ أكثَر صعوبًة بِلَا رَيْب، ومعَ ذلِك فهنَاكَ عَجْرفَةٌ واضِحَةٌ ونمَطٌ أدَبِيٌّ فِي هذَا العَرْضِ هنَا أيْضًا، زِدْ على هذَا فإَنَّ الطعَام الإنكِليزِي لَه ملَامِحٌ جُغرافيَّةٌ مُختَلِفَة، فخِلَال القرْنِ الثامِن عشَر أخذَت تقَاليْدُ الطَهيِ الإنكليزيَّةِ شَكلهَا المُميَّز، وفي ذَلك الوَقْت سَادَ اعْتِقَادٌ بأنَّ الطبقَة العُليَا فِي البلَادِ هُم حَامِلو القِيَم التِي أنْتجَت الطعَام الإنكِليزِي الجَيِّد: فقَد كَانوا مُتَّقديْنَ صِحًّة وحَمَاسَة، وعفويِّيْنَ كفَطيْرَةِ طرَائِدَ، أَو لحْمِ خِنزيْرٍ جَيِّد، أَو قِطْعَةِ لحْمِ بقَرٍ لَذِيذَةٍ. لعَلَّ المكَانَةِ التِي تتمتَّعُ بِهَا حيَاةُ الريْفِ فِي إنكِلتَرا قَد ولَّدَت توَقُّعَاتٍ خَاطِئَةٍ عَن المكَانِ الذِي ينْبَغِي للمَرْءِ تنَاوُلُ الطعَامِ فيْهِ فِي إيطَاليا، فخريطَةُ الطعَامِ الإيطَاليِّ التِي يمْتَلِكهَا السُيَّاحُ النُبلَاءُ كانَت خَاطِئًة –خريْطًة ريفيَّة. وبرَغْمِ ذَلِك، عنْدمَا وصَلوا إلى المكَانِ المُناسِب ليتنَاوَلوا الطعَامَ- فِي المُدُنِ – فإنَّهم قدَّموا حيْنهَا شهَادَاتٍ زَاهِيَةٍ ومُتبصِّرَةٍ بِبَعْضِ الأَحْيَان.

**مِن آكِلِي الأوْرَاق إلى مُتنَاولِي المَعكَروْنَة**

ألمَّ هِيَاجٌ مُفَاجِئٌ بقِمَّةِ جبَلِ فيزوف فِي الوَقْتِ المُنَاسِب تمَامًا، فباتَ تَجنُّبُ السُيَّاحِ النُبلَاءِ لمديْنَةِ نابولي خلَالَ المجَاعَةِ الفَظيْعَة (147) وطَاعوْنِ سنَتَي 1763-1764 أمْرًا مفهومًا، عندمَا نفثَت المدينَةُ رائِحَة الموْتِ الكريْهَةَ وثارَت بغضَبٍ مُزْبِد، لكِن عندمَا

----------

\*خبز البودنغ: حلوى تتكون من شرائح الخبز المخبوزة مع الفواكه المجففة، السكر، التوابل، البيض والحليب.

انتهَى كلُّ ذلِكَ عَادُوا بأعْدَادٍ أكبَر مِن ذِي قَبْل، لقَد كانَت الرحْلَةُ إلى بريْطَانيا جُزْءًا مِن تَعليْمِ أيِّ شَابٍّ بريْطَانِيٍّ ثَرِي، وباتَت "نابولي" الآنَ الوِجْهَةَ النهائيَّةَ الإلزَاميَّة تَقريْبًا لتلْكَ الرِحْلَة. فبَعْدَ روما، التِي تَحمِلُ آثارُهَا عِبَرًا رَزيْنَة، تُشَكِّلُ الشَمْسُ المُمتِعَةُ لنَابوْلِي المحَطَّة التاَليَة لاسترْخَاءٍ مُنَاسِب، وكمَا اعترَف "جيمس بوسويل" على سبيْلِ المِثَال: "خلَالَ إقامَتِي فِي نابولي كنْتُ مَاجِنًا حقًّا، فلقَد طارَدْتُ الفتيَاتِ دوْنَ أيِّ تحَفُّظٍ، ولقَد تأجَّجَ دَمِي بسبَبِ الجَوِّ المُلتَهبِ، وكانَت رغبَاتِي عَنيْفَة". ولعَلَّ بُركَانَ فيزوف قَد أحسَّ بحاجَةِ السُيَّاح النُبلَاءِ للتحَرُّر، فلَم يتَرُك لهُم خِيَارًا عبْرَ ثوَرَانهِ لمَا لَا يَقِلُّ عَن ثمَاني مرَّاتٍ سنَة 1770. لَا يُمكِنُ أَن يكوْنَ المَشهدُ قَد دُرِسَ بشَكْلٍ أفْضَل لطَبْعِ صُوَرِ المديْنَة فِي أذْهَانِ الأوروبيِّين الشِمَاليِّين: مَخروْطٌ بُركَانِيٌّ ينفثُ الدُخَانَ تحْتَ أشِعَّةِ الشَمْسِ فوْقَ مُنحنَى الخَليْجِ الأزْرَق، تدَفُّقَات النِيرَان الجَهَنمِيَّة المُتوَهِّجَة ليْلًا، خَضَارُ الأرْضِ البرَّاقِ عندَمَا يغْسِلهُ المطَرُ ليُزيْلَ عنْهُ حِجَابُ الرمَادِ الأسْوَدِ الرمَادِي.

وبصَرْفِ النَظَر عَن فيزوف، يَبْدو أنَّ المديْنَة قَد بُنِيَت ليَتِمَّ تَصويْرهَا فِي المَطبوعَاتِ واللَّوحَات، وأنَّ شَيْئًا مِن هذَا القَبيْلِ هوَ استنْتاجٌ خَلُصَ إليْهِ "يوهان فولفغانغ فون غوته"، أعْظَمُ علَّامَةٍ ألمَانِيٍّ بعَصْرِ التَنويْر، والذِي زارَ إيطَاليا فِي الفترَةِ بيْنَ 1786-1787، ليهرُبَ مِن ضغوْطِ المنْصِب السَياسِي، وكانَ ردُّه على مَنَاظِر نابولي غَامِرًا بالنَشْوَة: "بكُلِّ مرَّةٍ أرْغَب فيْهَا بكتَابَةِ كلمَاتٍ تُبْرِزُ صُوَرًا مَرئيًّة، صُوَرَ الريْفِ الخَصْب، البَحْر المَفْتوح، الجُزُر التِي لفَّهَا الضَبَاب، الجبَلُ الذِي ينفُثُ الدُخَان ومَا إلى هنُالِك، غَيْرَ أنِّي أَفتَقِرُ إلى العُضْوِ الذِهْنِيِّ الذِي يَستطيْعُ وَصْفُهَا".

تكمَنُ تحَدِّياتُ العُضْوِ الذِهْنِي فِي كُلِّ جوَانبِ نابولي، فإلى الغَرْبِ منْهَا توجَدُ الآثَارُ الرومَانيَّة، وزفرَاتُ سَهْل فليغرايان البُخاريَّة اللَّاأرضيَّة، وعنْدَ قاعِدَة البُركَان ترْقدُ أجزَاءٌ مُحنَّطةٌ مِن مدُنِ "بومباي" و"هيركولَانيوم" التِي تمَّ افتِتاحهَا للزَائرِيْنَ أوَّلَ مرَّةٍ عَام 1750، وللأسْفَلِ أكثَر هُنَاكَ سَاحِلُ باستوم الذِي أصبَح مركَزَ جَذْبٍ سِيَاحِيًا شَهيْرًا عَام 1770، وتنتَصِبُ معَابدُهَا الإغريقيَّة الخَارِقَة للطبيْعَة والمحفوْظَة جيِّدًا وسْطَ الريْفِ المِثَالِي—التعريْفُ ذاتَه للمشْهَدِ الخلَّاب. وبوسْعِ الزَائرِيْنَ قُرْبَ مرْكَزِ المديْنَةِ التنزُّهُ تحْتَ ضوْءِ القمَرِ على طوْلِ حَيِّ تشيايا، كتبَ وعندمَا شَاهَدَ "غوته" أشِعَّة الشَمْسِ الغَاربَةِ تتسَلَّلُ إلى مدْخَلِ مغَارةِ بوسيليبو كتبَ قَائِلًا: "بوسْعِي الآنَ مُسَامحَةَ أيِّ شخْصٍ انفجَرَ دمَاغَهُ بسبَبِ نابولي".

ومعَ تِعدَادِ سُكَّانٍ بلغَ زُهَاءَ 400000 نسَمَة بأوَاخِر القرْنِ الثَامنِ عشَر، أصْبَحَت "نابولي" إلى حَدٍّ بعيْدٍ أكبَرَ مدُنِ إيطاليا، لأنَّها وعلى خِلَافِ جَميْعِ الأُخريَاتِ تُعْتَبَرُ عاصِمةَ المَملكَةِ بأسْرِهَا، (148) مُحتضِنًة كُلًّا مِن مَديْنَةِ "صَقَليَة" والجُزءِ الجَنوبِيِّ مِن

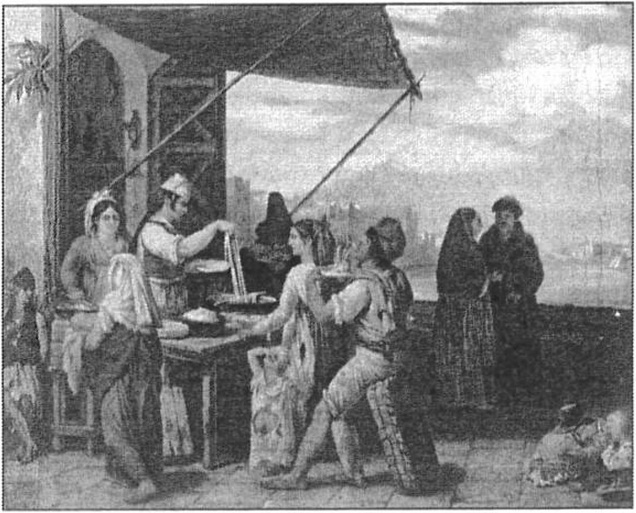
----------

\*حي تشيايا: هو حي على الواجهة البحرية لمدينة نابولي، تحده ساحة فيتوريا من الشرق ، وميرغيلينا من الغرب.

البَرِّ الإيْطَالي (لقَد كانَ هذَا آخِر تجَسُّدٍ للمَملَكَةِ التِي أُسِّسَت قبْلَ قروْنٍ على يَدِ ملوْكِ نورمَان صَقَلية). بالنسبَةِ للسُيَّاحِ النُبلَاء، فإنَّ سُكَّان المديْنَةِ المُكتَظِّيْنَ قَد جعَلوا المشْهَد مُثيرًا للعَجَب كحاَلِ الوسَطِ المُكتَنفِ للمَديْنَة، لَم يكُن "غوته" الشَخْصَ الوَحيْدَ الذِي ظَنَّ أنَّ سبَبَ شعُوْرِ النابوليِّين بالسَعَادَةِ يَعُوْدُ للطَبِيْعَةِ الخَلَّابَة المُحِيْطَةِ بهِم، وأنَّهُم مُرتَاحو البَالِ للعَيش بشَكْلٍ دَائمٍ في الهَوَاءِ الطَلق، مُستَمتعِيْنَ دوْنَ عنَاءٍ بالسخَاءِ الذِي يجوْدُ بهِ عَليْهِم وطَنَهُم الأشْبَه بالجِناَن، كانَت الضَوضَاءُ تُفْرِحهُم، والموسِيْقَا أيْضًا وفَوْقَ كُلِّ شَيْء الأَلوَان: فالزَخْرفَةُ ضَروريَّةٌ وخصوْصًا فِي الطعَام، ففِي سانتا لوسيا قامَ تُجَّار الأسمَاكِ بوَضْعِ جرَادِ البَحْرِ الصَخْرِي، المَحَّار، بلَح البَحْر فِي سِلَالٍ خاصَّةٍ على أَحْشِيَةٍ مِن الأوْرَاق، وحتَّى الجزَّاروْنَ عمَدُوا إلى طَلْيِ اللَّحْمِ الأحْمَرِ للذَبِيْحَةِ بالذَهَبِ بَعْدَ تَقْطِيْعِهَا إلى أرْبَعَةِ أجْزَاء.

يُمَثِّلُ المُشَرَّدُوْنَ المُعدَموْنَ للمَديْنَة صوْرًة مُصغَّرًة لذَلِكَ الوجُوْدِ المُشْرِق الذِي يُعَبِّرُ عَن"نَشْوَةِ نِسْيَانِ الذَات" للنَابوليِّين (غوته مرًّة أُخْرَى). فِي أوَاخرِ القرْنِ الثَامنِ عشَر، بالكَادِ يَغْفَلُ أيُّ وصْفٍ لرِحْلَةٍ إلى نابولي عَن ذِكْرهِم، فَهُم مشْهورونَ بالكَسَلِ الذِي اسْتَفحَلَ فيهم. ليْسَ لِأنَّهم أُنَاسٌ مُترَدِّدونَ بالعَمَل فحَسْب، بَل بسَبَبِ اعْتِبَارهِم التَقصِيْرَ كوِسَامِ شَرَفٍ، والعمَلَ الجسَدِيَّ كتَهدِيْدٍ غَادِرٍ لكرَامَتهِم، وهُم مُخْتَلفِونَ عَن الطبَقَةِ الدُنْيَا فِي "لندن" و"باريس"، فَقد كَانُوا يُؤمِنوْنَ بالخُرَافَات ومُتديِّنيْنَ للغَايَة، واشْتَرَكوا بشَكْلٍ مُطْلَقٍ بعبَادَةِ القِدِّيْسِ غينارو الذي تَمَّ الاحْتِفَاظُ بدَمهِ مُجفَّفًا فِي قَاروْرَةٍ زُجَاجِيَّة، ليَحْمِي المديْنَة مِن الأذَى عنْدَما يَسيْلُ بشَكْلٍ إعْجَازيٍّ بيْنَ الحِيْنِ والآخَر. أمَّا الطَابِعُ الأَكثَرُ تمَيُّزًا فَهوَ أنَّهُم ليْسُوا بالأشْخَاصِ المَخمُوريْن أَومِمَّن أثَارُوا أعمَالَ شغَبٍ أو تمَرُّد، فِي الحقيْقَةِ لقَد اعْتُقِدَ أنَّهم يُكِنُّوْنَ فرَحًا بَريْئًا دَاخِلَ قلُوبهِم حتَّى إنَّه، فيمَا بيْنَهم، اعتبَروا أنَّه حتَّى القذَارة وسُوْء التَغذِيَة اكتسَبَت سِحْرًا شَيْطانيًا، فكانَ هؤلَاء المُشَرَّدونَ رثِّي الثِيَاب، نُحلَاءَ الأَبْدَانِ، وسُعدَاء. وبدَا أنَّهم مُنتَشِروْنَ فِي كُلِّ مكَان، ومُستَرخوْنَ كالقِطَطِ فِي أيِّ بُقعَةٍ مُتاحَةٍ مِن أَشِعَّةِ الشَمْس، أَو يمْتصُّونَ الفَاكِهَة بكُلِّ تَلَذُّذٍ مُتَغَطْرِسٍ كالأبَاطِرَةِ الروْمَان.

إنَّ أكثَر أَوْقَاتِ المُشَرَّدِيْنَ سعَادًة هِيَ الدَقَائِقُ التِي يتنَاولوْنَ فيْهَا المَعكروْنَة، لقَد بدَت وجْبَةُ المَعكروْنَة فِي الحَقيْقَةِ وكأنَّها الهدَفُ الرَئِيسِيُّ لوجُودهِم. (149) إنَّهَا التَعريْفُ الدَقِيْقُ لنَعِيْمِ المُشرَّديْن، كمَا لَاحظَ أحَدُ المُشَاهديْنَ الفرَنسيِّين: "عندمَا يكسَبُ المُشرَّدُ أربعَ أو خمْسَ عُملَاتٍ معدنيَّة للحصوْلِ على بعْضِ المعكروْنَة لهذَا اليَوْم، فإنَّه لَن يقلَقَ بشَأنِ الغَد ويتوقَّف عَن العمَل". أصبَح منْظَرُ المَعوزيْنَ فِي نابولي وهُم يتنَاولوْنَ المعكروْنَة أحَد أكثَرِ المنَاظِر المُميَّزةِ فِي شوَارعِ أوروبا: رجَالٌ ضَئيْلو الحَجْم يَرتَدوْنَ ثِيَابًا بَالِيَة، رؤوْسَهُم مُنحنِيًة للوَرَاءِ، وفَاغرِو الأفواه مثْلَ فِرَاخِ الدجَاج، ويُطعموْنَ أنفُسَهم حفنَاتٍ مِن المعكروْنَة التِي ابتَاعوْهَا لتَوِّهم مِن القِدْر. إنَّها الصُورَةُ الأكْثَر أُلفًة لديْنَا مِن صُوَرِ القرْنِ الثَامِن عشَر التِي لَا حصْرَ لهَا. وفِي أحَد الأوْقاَت، حَظِيَ هذَا الأمْرُ المُبتذَلُ فِي نابولي بنَفْسِ أهَميَّةِ مَنْظَرِ جبَلِ فيزوف تَقريْبًا، وكحَالِ العديْدِ مِن الأموْرِ الأُخرَى المُبتذَلَةِ عَن المُشرَّدين ونابولي بشَكْلٍ عَام، فأصوْلُه تعوْدُ إلى النصْفِ الثَانِي مِن القرْنِ الثَامِن عشَر، عندمَا استهْلَك النابوليُّونَ المعكروْنَة بكميَّاتٍ كبيْرَة، وغالبًا مَا تمَّ ذلِك فِي الأكشَاكِ المَفتوْحَة. اكتشَفَ "غوته" أنَّ المَعكروْنَة المَطهيَّة بالإمْكَان شِرَاؤهَا مِن أَيِّ مكَانٍ وبِجَميْعِ المتَاجِر مُقابِلَ القَليْلِ مِن النقُوْد"، لذَلِك فإنَّ "غوته" والسُيَّاح النُبلَاء الآخَريْنَ كَانوا شهوْدًا على وَاحِدَةٍ مِن أكثَر التطوُّرَاتِ أهَميًّة فِي تاريْخِ النِظَامِ الغِذَائِيِّ الإيْطَالي: وهُوَ تَحَوُّلُ المَعكروْنَة إلى طَبَقٍ للجمَاهِيْر.



نابولي في القرْنِ الثامِن عشَر، حيْثُ أصبحَت المَعكروْنَة طبقًا للعَوَام.

وفِي هَذهِ الصوْرَة يقوْمُ الفُقرَاء بشِرَاءِ المَعكروْنَة مِن بَائِعٍ فِي الطَريْق، ويتنَاولوْنهَا بأيْدِيَهم.

بالإمْكَانِ رؤيَةُ بُركَانِ فيزوف فِي الخلفيَّة. إنَّ هذَا النَوْعَ مِن المنَاظِر المَأخوْذِ مِن لوْحَةٍ فرَنْسيَّة بأوَائلِ القرْنِ الثَامِن عشَر، قَد أصْبحَ مِن الأشْيَاءِ المُبتذلَة فِي الحيَاةِ بنابولي، كَما رآهَا الزَائِرون.

مَا لَم يَعرِفْهُ زُوَّارُ "نابولي" هوَ الكيفيَّة التِي حدَثَ بهَا هذَا التَحَوُّل فِي الآوِنَةِ الأخِيْرَة، فلمَ يكُن هذَا حَالُ النَابوليُّين دَائمًا بحُبِّهم للمَعكروْنَة، وبالعَودَةِ لعَامِ 1690، إذَا ظهَرَ الرَقَم ثلَاثَة على كُلِّ حَجَرٍ مِن أحْجَارِ الزَهْرِ الثلَاثَة أثْنَاءَ لعِبَكَ للُعْبَةِ أرْضِ الوَفْرَة، (150) أَي لُعبَة طَاوِلَةِ ميتيلي لتَخَصُّصاتِ المَديْنَة، فستَكوْنُ قَد حطَطْتَ على المُربَّع المُسمَّى "البروكلي النَابوْلِي". وحتَّى ذلِكَ الوَقْتِ تقريْبًا كانَت المديْنَةُ التِي تقَعُ تحْتَ سَفْحِ البُركَانِ تشْتَهِرُ بوَلَعِهَا الشَغُوْف لِأصْنَافٍ قليْلَةٍ مِن أَنوَاعِ البروكلي والمَلفُوْف – والتِي يُشَارُ إليْهَا بكَثيْرٍ مِن الأحْيَان وبأُسلوْبٍ بَسيْطٍ بـ "الورَقَة" وتُؤْكَل معَ الخُبْزِ كشَيءٍ مُرَافقٍ للَّحْم. خِلَالَ مُعظَمِ فَتْرَةِ القَرنَيْنِ السَادسِ عشَر والسَابعِ عشَر؛ لُقِبِّ النَابوليُّون بـ "آكِلِي الأوْرَاق" أو بشَكلٍ مُنتَقِصٍ أكثَر للقَدْرِ بـ"مُتَغَوِّطِي الأوْرَاق"، وهم فِي الوَاقعِ فَخورونَ بهذَا التَرَابُط، كمَا أعلنَت إحدى القصَائدِ المَكتوْبَة بلهْجَةِ المَديْنَة عَام 1621:

آهٍ مَا ألذَّ الأوْرَاق! آهٍ مَا أحْلَى الأوْرَاق!

أنْتِ مِغنَاطِيْسُنَا ومُتْعتُنَا.

وبحلوْلِ الوقْتِ الذِي وصَل فيْهِ "غوته" ، كانَ النظَامُ الغذائِيُّ قَد تغيَّرَ لدرَجَةٍ كبيْرَةٍ حتَّى إنَّ النابوليِّينَ قَد سُلِبوا لقَبًا كانَ إلى ذَلِك الوَقْتِ حِكْرًا على الصَقَليِّين: لقَد أصْبَحوا يُدعَوْنَ بـ "آكِلِي المَعْكرونَة" أو حتَّى بـ "المَعْكرونَة" فقَط. وهكذَا في القرْنِ الثامِن عشَر، باتَت المَعْكرونَة المصنوْعَة مِن القمْحِ القَاسِي المُجفَّف رمْزًا للهَويَّة الحضَريَّة الشَعبيَّة، وأصْبحَت "نابولي" عاصِمَة المَعْكرونَة المُجفَّفة الإيْطاليَّة- وهوَ لقَبٌ لَاتزَالُ تتمَتَّعُ بهِ إلى يَومِنَا هذَا. وعلى ذَاتِ القَدْرِ مِن الأهميَّة، فإنَّ المَعْكرونَة التِي تمَّ التِهَامهَا بكميَّاتٍ كبيْرَةٍ في شوَارعِ نابولي لَم تَحْمِل أثَرًا لقِرْفَةٍ أو سُكَّر، لقَد باتَت الآنَ طَبقًا سَائِغًا، مَطْهِياً فَي المَاءِ الذِي يحْتَوي على القَليْلِ مِن المِلْحِ ودُهْنِ الخِنزيْر، وقد رُشَّت فوقَهُ الجُبنَة المَبشوْرَة وربَّما البَهَار قبْلَ تَقديْمِه.

لقَد توَاطَأت العديْدُ مِن الأموْرِ لفَصْل العَاصِمَة عَن عادَةِ تَنَاولِ الأَوْرَاق، فلقَد هَيْمنَت مُلكيَّاتٌ كبيْرَةٌ على الزرَاعَةِ فِي المَملكَة، حَيْثُ كَانَت حبوْبُ المَحاصِيل هِيَ الأكثَر منطقيًّة مِن الناحِيَة الاقتِصَاديَّة- وخاصًّة بتزَايُدِ الطلَبِ مِن العَاصِمَة. ولعلَّ الأهَمَّ مِن هذَا، التَحسيْنَاتُ التقَنيَّةُ فِي الصِنَاعَة: فلقَد شَهِدَت المديْنَة بمَطلَع القرْنِ السَابعِ عشَر وصوْلَ أوَّلِ مكَابسَ لولَبيَّةٍ لضَغْطِ العَجِيْنِ عبْرَ صفَائِحٍ مُثقَبَةٍ لصُنْعِ المَعكروْنَة، ممَّا جعَلَ منْهَا أرخَصَ وأكثَر وَفْرَة، وقدَّمَت حَلًّا لَائِقًا لمُشكِلَة التَغذِيَة فِي نابولي.

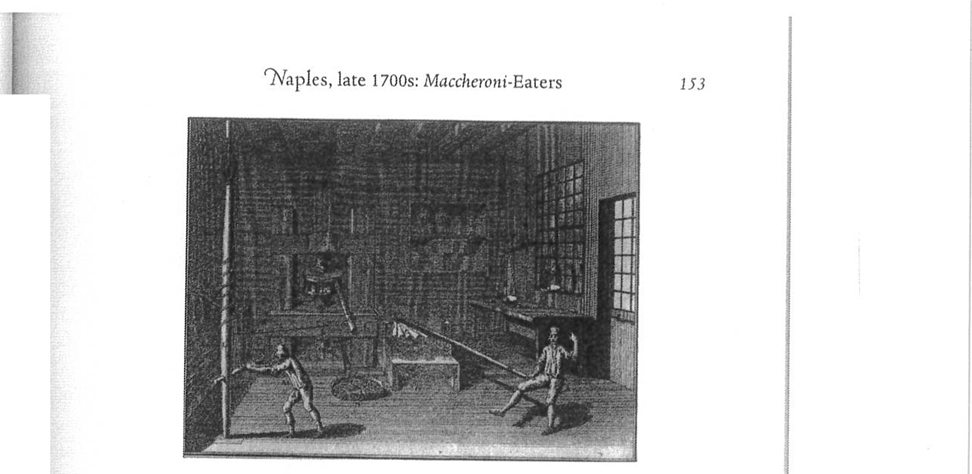
لقَد وصَلَت سُمعَةُ جِهَازِ لفْظ المَعكروْنَةِ بالمكَابسِ اللَّولبيَّةِ حتَّى الولَايَات المُتَّحدة فِي أوَاخِر القرْنِ الثَامِن عشَر. (151) إنَّ "توماس جيفرسون" هو أوَّلُ شخْصٍ قامَ باستيْرَادِ آلَةِ المَعكروْنَة إلى الولَايَات المُتَّحدة، بصَرفِ النظَر عَن كونِه الرَاعِي الرَئِيْسِي لإعلَانِ الاستِقْلَال، والرَئِيْس الثَالِث وأَعْظَم علَّامَة أمْرِيكِي فِي عَصْرِ التَنوِيْر. فِي سنَةِ 1789، أَي بعْدَ عَامٍ على مُغادَرَةِ "غوته" لإيطَاليَا، طلَب "جيفرسون" مِن شَخْصٍ مُقَرَّبٍ منْهُ كانَ مِن المُقَرَّرِ أَن يزوْرَ نابولي ، أَن يُحضِرَ مَعَهُ مِكْبسَ المَعكروْنَة، فكتبَ الشَابُّ مُعَلِّلًا أنَّ الآلةَ الغريْبةَ الشَكلِ التِي نَجَحَ بالحُصوْلِ علَيْهَا هيَ أَصْغَرُ بِكَثِيْرٍ مِنَ الحَقيْقَة: "لقَد ذهبْتُ لأرَى كيْفَ تُصنَع المَعكروْنَة، إنَّ الآلَاتِ المُسَخَّرَةَ للضَغْطِ كتِلْكَ المُستخدمَة فِي نابولي هائِلَة الحَجْم".

بدَا الأمْرُ وكأنَّ "جيفرسون" قَد طلَب مِن صديْقهِ أَن يُحضِرَ معَه جرَّارًا زِرَاعيًا فِي حقَائبِه. مِن الوَاضحِ أنَّ الرجُلَ العَظيْمَ قَد فَشَلَ بتَقديْرِ حجْمِ صَنَاعَةِ المَعكروْنَة فِي نابولي. تقَعُ أكبَر معَاملِ صِناعَةِ المَعكروْنَة النابوليَّة خارِجَ المديْنَة وبعِيْدًا عَن نِطَاقِ نقَابَاتِهَا. إن البَلدَاتِ التَابِعَةِ لنابولي مثْلَ توري أنونزياتا (الوَاقِعَةِ بيْنَ مديْنَة هركولانيوم وبومبي) وكاستيلاماري وغراغنانو (حيْثُ تلتَقِي شِبْهُ جزيْرَة سورينتو بالبَرِّ الرَئيْسِي) قَد بنَت نجَاحهَا كمرَاكِزَ لإنْتاَجِ المَعكروْنَة وِفْقَ تقَاليْدِ الطَحْنِ القَديْمَة التِي تعوْدُ لقُروْن، والمكَابِسُ اللولبيَّة ليسَت المُعِدَّات الضَخْمَة الوَحيْدَة فِي هَذهِ المصَانِع: فالعَجْنُ يتِمُّ باستِخْدَامِ عاَرِضَةٍ عِمْلَاقَة، أشْبهَ مَا تكوْنُ بأحَدِ ذِرَاعَي لُعبَةِ الأَرجَحَة- حيْثُ يجْلِسُ صَانِعُ المَعكروْنَةِ بأقْصَى نهاَيتِهَا، ويَثِبُ ويَربِضُ ليُعِيْدَ العَارِضَةَ على العَجِيْن.

صُنِعَت المَعكروْنَة المُجفَّفة أيْضًا بأمَاكِنَ أُخْرَى وفْقَ مُستوًى صِنَاعِيٍّ بِدَائِي، فِي وِرَشٍ امتَدَّت مِن "جَنَوَة" وعلى طوْلِ سَاحلِ ليغوريا، فِي الحَقيقَة لمَ يكُنْ هنَاك مِن دَاعٍ لأَن يُزعِجَ "جيفرسون" نفْسَهُ بإرْسَالِ أيِّ أحَدٍ إلى إيْطاليَا للحصُوْلِ على مكَابِسِ المَعكروْنَة، فالآلَاتُ المُستخدَمَةُ لَم تَبْعُد عَن منْزلهِ المُؤقَّتِ فِي باريس أكثَر مِن مسَافَةٍ قَصيْرَة بالعَرَبَة (حَيْثُ شغَلَ فِي حِينِهَا مَنْصِبَ وَزيْرٍ أَمريْكِيٍّ مُفَوَّضٍ فِي فرنسا). لقَد تمَّ نشْرُ أفْضَلِ دليْلٍ عَن تِقنيَّاتِ تَصنِيْعِ المَعكروْنَة بأوَاخِر القرْنِ الثَامنِ عشَر مِن قِبَلِ الخَبَّازِ وصَانعِ المَعكروْنَة الفَرَنْسِي "بول جاك مالوين" عَام 1767.

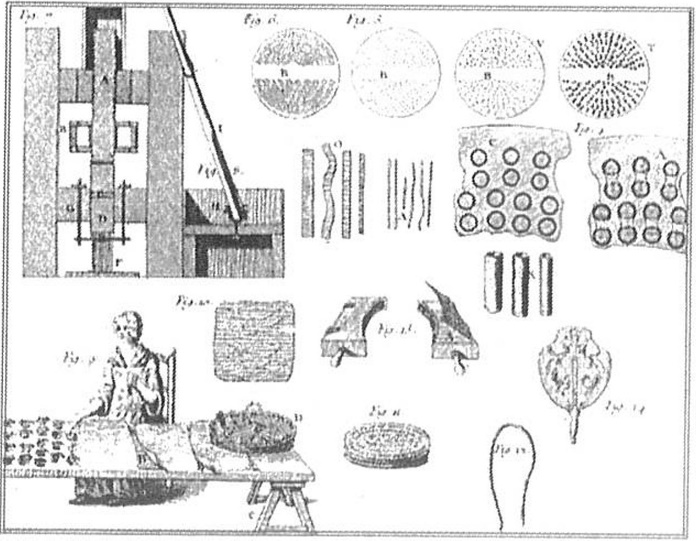
يُعَدُّ دليْلُ مالوين كتابًا شَامِلًا، حتَّى إنَّه يُقَدِّمُ المَشوْرَة بشَأنِ أفْضَلِ موَادِّ التَشْحِيم لمكَابسِ المَعكروْنَة: عِبَارَة عَن أدْمِغَةِ البقَر المَغليَّة مَمزوْجًة بالقليْلِ مِن الزَيْت، والأَهَمُّ مِن ذلِكَ أنَّ "مالوني" قَدَّمَ نظْرًة مُثيْرًة للاهتِمَام عَن الأَثَرِ الدرَامَاتيْكِي الذِي أحدَثتْهُ التكنلوْجيَا على شَكْلِ مَعكروْنَة مُجفَّفة. إنَّ أشكَالَ المَعكروْنَة الرَئيسيَّة الثلَاثَة التِي تمَّ إنْتاجهَا فِي كُلٍّ مِن باريس ونابولي هِي الشْعِيريَّة، المَعكروْنَة واللَّازانيَا والتِي تَديْنُ بشُهرتِهَا لحِقبَةٍ مُبَكِّرَة مِن تِقَنيَّاتِ المَعكروْنَة، وإلى الطرُقِ التِي استخدمَهَا طُهَاةٌ مِن العصُوْرِ الوُسْطَى

--------- \*توري أنونزياتا :مدينة إيطالية جنوب إيطاليا في إقليم كامبانيا وتابعة لمقاطعة نابولي، تقع على خليج نابولي وعلى مشارف بركان جبل فيسوفيو وقد دمرت مرتين نتيجة ثورانه في عامي 79 م وعام 1631، بها العديد من الأثار القديمة وصنفتها منظمة اليونسكو عام 1997 م ضمن مواقع التراث العالمي، عدد سكانها 48.720 نسمة. (152)



المَعكروْنَة المُصنَّعة فِي عصْرِ التَنويْر، حيْثُ يرَتَدُّ رجلٌ على أدَاةٍ غريبَةِ الشَكْلِ أشْبهَ بأرجُوْحَةِ الأطْفَال فِي القسْمِ الأيْمَن مِن الصوْرَة، ليعْجِنَ عَجيْنَ القمْحِ القَاسِي. وإلى يسَارِهِ الشعيريَّة (المُعلَّمة بالحَرْف G) بالإمْكَانِ رؤيتَهَا وهِيَ تبرُزُ مِن أسْفَلِ مكبَسٍ لولَبِي بقُطْرِ 9 إنْش.

تُظهِر الصوْرُ الأكثَر تفصِيْلًا فِي الأسْفَل القوَالب التِي يتِمُّ إدخَالهَا في المَكبَس اللَّولبِي لصُنعِ أشكَالٍ مُتعدِّدَةٍ مِن المَعكروْنَة، حيْثُ يتِمُّ إنتَاجُ خيوْطِ المَعكروْنَة (المُعلَّمة بالحَرْف X) عَن طريْقِ ضَغْطِ العَجيْنَة عَبْرَ قَالَبٍ مُبتَكر A (أعْلَى الصوْرَة) وC (فِي الأسْفَل)، أمَّا المَروحَة (الشَكْل 14) فهِي تُستخدَم لتَبريْدِ المَعكروْنَة بمُجرَّد صُنْعِها. مأخوْذٌ مِن الدَليْلِ الذِي نُشِرَ فِي باريس عَام 1767.



وعَصْرِ النَهْضَة، ولكِن بحلوْلِ النصْفِ الثَانِي مِن القرْنِ الثاَمنِ عشَر (153) بدأَت المكَابِسُ العِملَاقَة بإطْلَاقِ مُخيِّلَاتِ صَانعِي المَعكروْنَة. مِن المؤَكَّدِ أنَّ "مالوين" قَد تعلَّم تجارتَهُ في نابولي وفْقًا لمَا يعتقِدَهُ البَعْض، حيْثُ يُخبِرنَا بوجُوْدِ ثلَاثيْنَ شَكلًا مُختلفًا لإنتَاجِ المَعكروْنَة، مِثْلَ الترينيته، باتر نوستر، والستيليته. فَضْلًا عَن أنَّ هَذهِ الأسْمَاء لهَا ذَاتُ المَعْنَى التِي هِيَ عليْهِ اليَوْم، فالترينيته كانَت نوْعًا مِن السبَاغيتِي ذَاتَ مَقْطَعٍ عَرْضِيٍّ بَيْضَوِي، أمَّا الباتر نوستر فهِيَ أنَابيْبُ مُضلَّعَةٌ قصيْرَةٌ جِدًا، والستِيليتَه بشَكلِ نجوْمٍ سُداسِيَّة مُسطَّحة قليْلًا.

بيْدَ أنَّ هذَا الافتِرَاض بالطَبْعِ ينْطَوي على مُخَاطَرَة إلى حَدٍّ مَا: فتسمِيَةُ أشْكَال المَعكروْنَةِ في ذَلِكَ الوَقْت كانَ تقريْبًا عشْوائيًا كحَالِهَا اليَوم، لقَد تمَّ إدْرَاجُ 141 نوْعًا مُخْتلفًا مِن المعَكروْنَة فِي "الدليْلِ العَالمِيِّ لأشْكَالِ وأسْمَاءِ المَعكروْنَة "، والذِي تمَّ تأليْفَه مُؤخَّرًا على الإنْترنِت- فقَط لتِلكَ التِي تبْدَأ بحَرْفِ C. فِي الحقيْقَة إنَّ فِكرَة دليْلِ أشْكَالِ المَعكروْنَة هيَ شَيءٌ عَقِيم، ربَّما لَا توْجَد حدوْدٌ رياضِيَّة بِوِسْعِهَا أَن تَشْمَلَ تنوُّعَاتِ المَعكروْنَة مِن الخُيوْط ، الأنَابِيْب، التحبُّبَات ، المُضلَّعة مِنْهَا، والمُفتَّلة، الصَدَفِيَّة، والتِي بشَكْلِ القَوْس، أو العُش، الأُذُن، الطَوْق، وتِلكَ الحَلزونيَّة مِنْهَا، والتِي تمَّ قَولبَةُ العَجيْنِ، وتَكْوِيرِهِ، وضَغْطِهِ وقَطْعِه ليَأخُذَ هَذهِ الأَشْكَال، لذَلك لَن يتَفاجَأ أحَدٌ بمَعرِفَةِ أنَّ إيطاليا لَا تَمتَلِكُ نظَامًا مُوَحَّدًا لتَصنِيفِهَا، فعَلَيْهِ المَعْرِفَةُ بأنَّ حتَّى الأشْكَالَ المُتشابِهَة لهَا مجموْعَةٌ متنَوِّعَةٌ مِن الأسْمَاء المُختلِفَة: فالأسْمَاء المُتمَاثِلةُ تدُلُّ على أشْكَالٍ مُتنَوِّعة، قَد تكوْنُ نابولي عاصمَة المَعكروْنَة ولكِنَّ البَلبَلَةَ لهَا الحَقُّ بالمُطالبَةِ باللَّقَبِ أيْضًا.

وهكذَا أصْبحَت المَعكروْنَة أكثَر شيُوعًا وانْتشَارًا ومُتنوِّعًة أكثَر بأشْكَالِهَا فِي القرْنِ الثَامِن عشَر. لقَد لَعِبَ كُلٌ مِن النمُوِّ السُكانيِّ والزِرَاعَة والآلَاتِ دَوْرًا بإِحْدَاثِ هَذهِ التَغيِيْرَات، وبشَكْلٍ أوْضَح فِي نابولي على نحْوٍ خَاص- وبعِبَارَةٍ أُخْرَى، تحوَّلَ النابوليّون مِن آكِلِي الأوْرَاقِ إلى مُتنَاولِي المَعكروْنَة، رَغْمَ أنَّ القوَى الصَريْحَة للتَوَزُّع السُكَّاني، الاقْتِصَاد، التِكنولوجْيَة نَادِرًا مَا كانَت مُجتَمِعًة كلُّهَا هنَاكَ لِإِحدَاثِ أَيِّ تَحَوُّلٍ تَاريخِي، فلَم تكُن المَعكروْنَة تُعَبِّرُ عَن هَويَّةِ نابولي فقَط، بَل المُشرَّديْنَ بوَجْهِ الخُصوْص، وكمَا اكتَشَفَ السُيَّاحُ النُبلَاء الأَكثَر تَبَصُّرًا، فإنَّ المُشرَّديْنَ مَجمُوْعَةٌ غَامِضَة، فبإمَاطَةِ اللِّثَامِ عمَّن هُم حقًّا، سنَكوْنُ قَد اكتَشَفْنَا جَانِبًا أشَدَّ غرَابًة وخاصًا بنَابولِي أكثَر في قِصَّةِ المَعكروْنَة.

**المُشرَّدوْن**

نادِرًا مَا يُشَاهِدُ المُسَافروْنَ كُلَّ مَا يُمكِنُ رؤيتَهُ فِي الأمَاكنِ التِي يَزوروْنَها، فيَصِلوْنَ معَ أحمَالٍ ثقيْلَةٍ مِن الأحْكاَمِ المُسبقَةِ والتوَقُّعَات، لتتَنَاغَمَ نظرَاتهُم معَ كُلِّ مَا هوَ غريْبٌ

----------

\*ترينيته: هو نوع من المعكرونة المجففة التي تكون ذات شكل مسطح ونحيل وتأتي من من جنوة و ليغوريا.

وفَاتِن، وهذَا مَا جعَلَ الأجَانِبَ فِي نابولي (154) بأوَاخِرِ القرْنِ الثَامنِ عشَر مُتحَامِلينَ بنَظْرَتِهِم نحْوَ المَديْنَة، وإلى فُقرَائِهَا على وجْهِ الخصُوْص- لقَد أثارَ المُشرَّدوْنَ بعْضًا مِن أغْرَبِ النظَريَّاتِ والانْعِكَاسَات، فافترَضَ مُعظَم الزائرِيْنَ أنَّ (المُشرَّديْنَ) هيَ مُجرَّد تَسمِيَةٍ أُخْرَى لجُزْءٍ مِن الطبَقَةِ الدُنْيَا الحَافِيَةِ الأقْدَام فِي المديْنَة، والتِي يَصِلُ عدَدُهَا لـ 40 أَلف. تكهَّنَ آخَروْنَ بأنَّ المُشرَّديْنَ هُم فِي الحقيْقَة نُخبَةٌ محدوْدَةٌ استثنَائيَّةٌ مِن بيْنِ الأفْقَر فِي المَديْنَة، نَوْعٌ مِن الأرُستُقرَاطيَّة السُوقِيَّة. قامَت سيِّدَةٌ إنكليزيَّةٌ بزيَارَةِ إيطاليا عَام 1771-1772، وعنْدَمَا عَادَت أخبرَت والِدتَهَا أن "المُشرَّديْنَ يَحكموْنَ أنفُسَهم وْفْقًا لمَسأَلَةِ الشَرَف، وهوَ أمْرٌ مُرَاعَى بِشِدَّة"، فيَدفعَهُم ذلِكَ لعَدَمِ خِيَانَةِ الثِقَة، أو السَرِقَةِ مِن أيِّ شخْصٍ طلبَ منْهُم حَمْلَ أشيَاءٍ قَيِّمة، تدَّعِي وجْهَةُ نظَرٍ أقلَّ تعَاطُفًا أنَّ جميْعَهمُ مُجرمِيْنَ كُسَالى قَذرِيْن، وقَد كتبَ أحَدُ الزَائِريْنَ الإنكِليز المُشمَئزِّيْن قائِلًا: "إنَّ هؤلَاءِ المُشرَّديْنَ بؤسَاءُ وكَريْهونَ لدرَجَةٍ لَا يُمكِنُ أَن تَجِدَ مَثِيْلًا لَهُم بأيِّ مديْنَةٍ أُخْرَى فِي أوروبا....فهُم يتكبَّدوْنَ العنَاءِ لكَي يُشَمِّسوا أنْفُسَهم بقَدْرٍ كَبيْرٍ خِلَالَ اليَوْم، تحْتَ جُدرَانِ القَصْر، حيْثُ يَستلقُوْنَ ليتَنَعَّموا بالشَمْسِ مثْلَ الخنَازيْرِ القَذِرَة، بَل إِنَّ منظَرَهُم مُقرِفٌ كَثِيرًا". ولإضَافةِ المزيْدِ مِن الالتِبَاس، سادَ اعتِقَادٌ بأنَّهم شكَّلوا مُجْتمعًا بالفِعْل، جُمهوريًّة شِبْهَ مُستقِلَّة مِن المُتسَكِّعِيْن. ارتَأَى صَديْقٌ لـ"غوته" سبَقَ لَهُ أن زَارَ إيطَاليا في الوَقْت ذاته أنَّهم طائِفَةٌ فلسَفيَّةٌ مُكرَّسَةٌ لعَقيْدَةٍ بَسِيْطَة: لَا تفْعَل شيْئًا، ولَا تُفَكِّر بأَيِّ أَمْر، وكُن سَعِيْدًا. أمَّا القِصَصُ الأُخْرَى عَن المُشرَّدين فيَصعُبُ تَصديْقهَا. لَم يكُن "فولفغانغ أماديوس موزارت" قَد تجَاوزَ الرَابعَةَ عشْرَة مِن عُمرِهِ عنْدمَا تمَّ اصْطِحَابَه إلى نابولي ليَعْزِفَ في شَهْرِ أيَّار عَام 1770، ولهَذَا قَد يُغْفَرُ لَه ذِكْرُ إحْدَى الَشائِعَاتِ المَحموْمَةِ بخِطَابٍ إلى شَقيْقَتِه:

"لَا أدْرِي إذَا كانَت نابولي تتفَوَّقُ على لندن بإهَانَةِ النَاس أَم لَا، ففِي هَذهِ البِلَاد يُوجَدُ للمُشرَّديْنَ زَعِيْمٌ أو رَئيْسٌ لهُم، يتَلقَّى خمْسًة وعِشرينَ دوكاتًا فِضيًّا مِن المَلِكِ كلَّ شَهْر، فقَط لضَمَانِ بَقاَئِهِم خَاضعِيْنَ للأوَامِر".

أمَّا "غوته" فقَد كانَ مُرتَّابًا أكثَر، فَفِي لحظاَتِه الأقَلَّ بهْجَة، يَغْدُو فضوْليًّا بمَا يَكفِي لمُرَاقبَةِ الفُقرَاء باهْتِمَامٍ، وبدَأ الشَكُّ يُزَاوِلَهُ إزَاءَ الحِكمَةِ المُكتسَبَة، ومهْمَا بدَا المُشرَّدوْن فقَد لَاحظَ "غوته" أنَّهم ليْسُوا قَريبِيْنَ مِن أولَئِكَ الذيْنَ اتَّخَذوا التَسَكُّعَ حِرفًة لَهُم كَما اعتَقَدَ مُعْظَمُ الزائِريْن، فأَيُّ حمَّالٍ يتوقَّف لالتِقَاطِ أنْفَاسِه، أو صيَّادٍ يجْلِسُ خَارِجًا بسبَبِ ريَاحٍ غيْرِ موَاتِيَةٍ قَد يُسَاءُ فَهْمَه كنَموْذَجٍ عَن المُشرَّديْنَ مِن قِبَلِ مُسَافِرٍ غَافِل، وخَلُصَ "غوته" إلى أنَّ المُشرَّدينَ ربَّما هُم (155) مُجرَّد مَخلوْقَاتٍ أُسطوريَّةٍ تمَامًا. إنَّهُ تَلفِيْقٌ نَاتِجٌ عَن تحَامُلٍ أُورُوبِّي شِمَالي،

وهكَذا بدَا "غوته" بأنَّهُ أحَد السُيَّاح النُبلَاء القلَائِل الذِيْن يَمْتَلِكوْنَ الوَعْيَ الكَافِي ليُشَكِّكَ بالظُنُوْنِ التِي خَالَجَت فِكْرَه، والبَحْثِ عَن نابولي الحَقِيقِيَّة التِي تَكْمَنُ خَلْفَ المنَاظِر الطبيْعِيَّة المُذهِلَة، والآثَارِ الكلَاسِيكيَّة الرَائِعَة، وحيَاةِ الشَارِع اللَّافِتَة. إنَّ نهْجَهُ الصَارِم المٌتَّسِم بالبُروْدِ تِجَاهَ مُعضِلَة المُشرَّديْن، يجْعَلهُ أحَد أكْثَر العُقوْلِ إدْراكًا فِي عَصْرِه، إلَّا أنَّه لَم يكُن مُصِيبًا معَ ذلِك للأسَف، ومِن الأفْضَل لَهُ الاسْتِمَاع إلى "موْزَارت".

يكمَنُ مفتَاحُ هويَّة المُشرَّديْن فِي تلْكَ الأياَّم التِي حُكِمَت فيْهَا "نابولي" مِن قِبَل إسبانيا، وكانت تَضُجُّ بالنَاسِ المُتنَاوليْنَ للأوْرَاق. لَم تَشْتَهِر بَعْدُ فِي ذَلِكَ الوَقْت بأنَّها مديْنَةُ المُتَعِ المُشمِسَة، بَل كبُؤرَةٍ للتمَرُّد، فَفِي عَام 1648 ذُهِلَ العَالَمُ لرُؤيَةِ بَائِع أسْمَاكٍ يُدْعَى "ماسانيللو" يقوْدُ انتفَاضًة ضِدَّ الضَرَائبِ البَاهِظة المَفروْضَة على الطَعَام، وليْسَ ذلِك فَحَسْب بَل إنَّه حكَم المديْنَة لعشْرة أيَّام، فأقَامَ القَوانيْنَ والعدَالةَ الفَوريَّة ليَحْظَى بتَهْلِيلٍ وَاسِع. إنَّ ساحَةَ السُوْقِ الرَئيسِيَّة "ساحَةَ ميركاتو" هِي قَاعِدَةُ قوَّةِ "ماسانيللو"، أمَّا الجنَاحُ الأَكثَر تنظِيْمًا فِي ثورَتِه فهُم عُصْبَةٌ مِن طبَقَةِ العُمَّالِ الشَبَاب من ذَاتِ المَديْنَة، وقَد ارتَدوا قُبَّعَاتٍ حمْرَاء وتسَلَّحوا بالخَطَّافَاتِ التِي يَستَعمِلهَا الجَزَّارُوْن، لقَد نبذَتْهُم السُلُطَات الإسْبانيَّة بوَصْفهِم بكَلِمَةِ "لازدروس"، وتَعْنِي المُتسَوِّليْن أو المُصَابِيْن بالجُذَام، ولَكِن سُرعَانَ مَا تحَوَّلَت هَذهِ الإهَانَة إلَى شِعَارٍ لِمَن أطْلَقوا على أنْفُسهِم مُسمَّى المُشرِّديْن. وبعْدَ فتْرَةٍ طويْلَةٍ على وفَاةِ "ماسانيللو" وحَلِّ مِيلِيشْيَا المُشرَّدين، تسَبَّبت ذِكْرَى عَام 1648 بدَفْقٍ مِن الفَخْرِ فِي الأحْيَاءِ الفَقيْرَةِ حوْلَ ساحَةِ ميركاتو، وارْتِعَادَةٍ مِن الخَوْفِ بيْنَ الطبقَةِ الراقيَةِ فِي المَديْنَة، لقَد بَقِيَ المُشرَّدوْنَ أكثَر المَجمُوعَاتِ المُتمَاسِكَة المُتمَرِّدة ضِمْنَ الحشُوْدِ النابوليَّة الغَفيْرَة.

شكَّلَت المجَاعَةُ فِي الفتْرَةِ مَا بيْنَ 1763-1764 والتِي أخَافَت السُيَّاح النُبلَاءَ وأبعَدَتهُم عَن "نابولي" مؤقَّتًا؛ نقطَة تحَوُّلٍ فِي قصَّةِ المُتشَرِّدين، حَيْثُ عادَت أشْهُرُ مِن الطَقسِ الرَديءِ بمحَاصيْلَ زهيْدةٍ سنَة 1763، فازدَادَ شُحُّ الفَاكهَة والطَحِين فِي أسْوَاقِ "نابولي"، لكِن مَا حوَّلَ الوَضْعَ المُتأزِّمَ إلى كَارِثَةٍ هو إظْهَارُ السُلطاَت عجْزهَا التَام عَن الاستِجَابَةِ بكفَاءَةٍ للنَقْصِ الحَاصِل.

عمَدَت المدُن الإيطاليَّةُ منْذُ العصُوْرِ الوسْطَى على تَزويْدِ أنْفُسِهَا بالمُؤَنِ على حِسَابِ الريْفِ عبْرَ نظَامٍ يُعْرَفُ بــ"الأنونا". يقوم هذَا النِظَام فِي أبْسَطِ صُوَرِه بإشْرَاكِ حَكوْمَةِ المَديْنَةِ بشِرَاءِ الحبُوْبِ فِي الأوْقَاتِ العَسِيْرَة، وبَيْعِها للمَواطِنيْنَ بأسْعَارٍ ثَابِتَة. (156) ولَكِنَّ العَديْدَ مِن أنْظِمَةِ "الأنونا" بَاتَت مُعقَّدًة بشَكْلٍ سَيِّءٍ للغَايَة، حيْثُ تصَارعَت مُختَلَفُ الفصَائلِ السياسِيَّة فِي المَديْنَة على السُلطَةِ لتَوزيْعِ الطعَام؛ فتَمَّ إنْشَاءُ مخَازنَ ومرَاكِزَ تَوزِيْع، ومُفتِّشيْنَ ومحَاكِم، وخُصِّصَت أيْضًا حِصَصٌ للحبُوْبِ وقوَانِيْن على الحَجْمِ المَضبُوْطِ لرَغِيْفِ الخُبْز، وفِي بعْضِ الأمَاكِن تمَّ حَظْرُ تَخزيْنِ الذُرَة فِي الرِيْف، فأصْبحَ الخبَّازون، التُجَّار، ومَسؤوْلِو "الأنونا" أصحَابَ شَأنٍ مُتنَفِّذيْن.

كانَ نِظَام "الأنونا" فِي نابولي بِيَدِ عُصبَةٍ مِن نُبلَاءِ وأبَاطِرَة المَديْنَة الفَاسدِيْن، وضَعْفُ الحُكومَة المَلكيَّة الشَدِيْدُ جعلهَا عاجِزًة عَن مُواجَهَةِ نفُوذَهم. فِي الحَقيْقَة لقَد فاقَمَت بعْضُ المُبادرَاتِ الحُكوميَّة مِن سُوْءِ الأُموْر، فعندَما مضَى المَبعوثُوْن مِن "نابولي" إلى أرجَاءِ المَمْلكَة للِاستِجدَاء أو شِرَاء المَزيْد مِن القَمْح، بدَأ مُلَّاك أرَاضِي الإقطَاعاَت والمُتعَامِلونَ معَهم بتَخزيْنِ المُؤَن والمُضَاربَةِ بالأسْعَار التِي ارتفَعَت بسُرعَة، ومعَ تزَايُدِ انتِشَار الفَقرِ فِي نابولي، أُرسِلَت قوَّةٌ عسْكريَّةٌ لسَلبِ ما لَا يُمكِن شِرَاؤهُ بطريْقَةٍ سِلمِيَّة، ثمَّ تحوَّلَ هذَا الأَمْرُ إلى سِينَاريو مَألوْف، فقَد كانَت المَمْلكَةُ تتضَوَّرُ جوْعًا وعاجِزًة عَن إطعَامِ عَاصِمَتها، ولَا عجَب إِن تمَّ تَشبِيه مديْنَةَ "نابولي" برَجُلٍ ذي رَأسٍ مُنتَفخٍ بشَكْلٍ غيْرِ مُتجَانسٍ ويَعْلُو جسَدًا هَزِيْلًا، ولكِن فِي عَام 1763 سُرعَان مَا تَبِعَ حمُولَاتِ العرَبَات مِن الحُبوْبِ الثَميْنَة الوَاصِلَة إلى المَديْنَة حوَالِي 40000 فلَّاح، تمَّ طرْدُهُم مِن الأرْضِ للتسَوُّلِ فِي الشوَارِع والسَاحَاتِ طَلبًا للطعَام، وقَد اشْتَعَل الآنَ الصِرَاعُ لأَجْلِ البَقَاءِ بَيْنَ طبَقَة العُمَّال الحضَريِّين الجَائِعَة، وحتَّى عندمَا حاوَل المَسؤولوْنَ شِرَاء الحبُوْبِ مِن موَانِئَ أجنَبيَّةٍ بأسعَارٍ مُبَالَغٍ فيْهَا إلى حَدٍّ كَبيْرٍ، كاَنوا بكَثيْرٍ مِن الأحْيَانِ يتعَرَّضوْنَ للغِشِّ مِن قِبَلِ التُجَّارِ عَدِيْمِي الضَمِيْر، وأطعمَت الحُبوْبُ التِي تمِكَّنوا مِن الحصُولِ عليْهَا الاستغْلَاليِّين عوَضًا عَن المُوَاطنِيْن، أمَّا الخُبْزُ فهُوَ إمَّا أمْرٌ مُحَالٌ لعِدَّةِ أَشْهُرٍ، أو تتوَافَرُ كميَّةٌ قليْلَةٌ مِن الطَحيْنِ إلى درَجَةٍ كبيْرَةٍ ويُضَافُ الرمَادُ أو الحَصَى إلَيْه، فيُرْغَمُ المُتضَوِّروْنَ جوْعًا فقَط أنفُسَهم على ابتِلَاعِه.

فِي شَهْرِ أغِسطَس عَامَ 1763 قَامَ حَشْدٌ مِن النِسَاءِ حَانِقٌ على جشَعِ السُلطَاتِ وعَجْزِهَا بتَطويْقِ المَلِكِ "فيرديناد" فِي سَاحَةِ "ميركاتو" وهوَ لَايزَالُ مُجرَّد صَبي، وطَالَبْنَ برَأْسِ المَسؤُول الذِي أَلقَيْنَ علَيْهِ اللَّوْمَ لتَسَبُّبِهِ بالمجَاعَة، وذكَّرْنَ مَلِكَهُنَّ الغِرَّ أَنَّ وَاجِبَهُ هوَ ضمَانُ الرخَاءِ للشَعْب. وخِلَالَ فصْلِ الخَريْفِ ومعَ تصَاعُدِ التَوَتُّرِ فِي المَديْنَة، بدأَت حشُوْدٌ جَائِعَةٌ بالإغِارَةِ على المَخَابِز والمَحلَّات، وبحُلوْلِ شَهْرِ كانون الأوَّل، بدَأ المُشرَّدوْنَ يُنفِّسوْنَ عَن غضَبِهِم بعمَليَّاتِ إعْدَامٍ زَائِفَةٍ حَاملِيْنَ لَافِتَاتٍ تَهدِيْدِيَّة، كانَ الجَميْعُ يترقَّبُ تَفَجُّرَ المَديْنَة. (157) غيْرَ أنَّ شيْئًا لَم يَحْدُث على الإطْلَاق، وسَادَ جَوٌّ مِنَ الهُدوْءِ النِسبِيِّ على "نابولي" خِلَالَ المجَاعَة، فأثَارَ ذَلِكَ اسْتِغرَابًا شَدِيْدًا بطَريْقَتِهِ، كحَالِ ثَورَةِ "ماسانيللو" قبْلَ أكثَر مِن قَرْنِ مِن الزمَان، قامَ وزرَاءُ المَلكِ بمَدِّ يَد المُساعَدةِ قليْلًا، عَبْرَ إقَامَةِ مرَاكِزَ للتَوزِيْع واضِحةٍ للغَايَة فِي سَاحَة "ميركاتو"، حيْثُ يُمكِنُ شرَاءَ الدَقِيْق الجَيِّد منْهَا بأسْعَارٍ ثَابِتَة، بيْدَ أَنَّ المُشرَّديْنَ عرَفوا أيْضًا كيْفَ يُسَاعِدوْنَ أنْفُسَهم، عَبْرَ تَحويْلِ المجَاعَةِ إلى تِجَارَةٍ جَيِّدة، لكِنَّ التوَاطُؤَ الضِمْنِيَّ للسُلطَاتِ أَدَّى إلى سَيْطَرَةِ أكثَرهُم عُنْفًا وأفضَلَهُم تنْظِيمًا على أفْرَانِ المخَابزِ والمتَاجِر، وبدَأوا ببَيْعِ الطَحِيْن بأسْعَارٍ باهِظَةٍ للطبقَاتِ الوُسْطَى التِي تُعَانِي مِن ضُغوطٍ شَدِيْدَةٍ فِي المَديْنَة، واستخْدَموا البَطْشَ أيْضًا لاحْتِكَار مصَادرِ الإحْسَان مِن المؤسَّساتِ الدِينِيَّة، ومُنِعَ الفلَّاحوْنَ المُهاَجِروْنَ مِن انتِزَاعِ الطعَام مِن أفوَاه الحشوْد الحضَريَّة. قامَ أكثَر مِن مُؤَرِّخٍ بمُقارنَة المُشرَّديْن فِي الفَترَةِ بيْنَ عَامَي 1763-1764 بالكَامورا- المَافيَا النَابوليَّة التِي ستَظْهَر فِي القَرْنِ التَاسعِ عشَر (إنَ هذَه المُقَارنَة تَنطَوي على مُفارقَةٍ تَاريخِيَّةٍ بالمَعْنَى الدَقيْقِ للكَلِمَة، فإذَا تمَّ اعْتِبَارُ المُشرَّديْنَ على أنَّهُم مافيا، فحْينهَا سيتَّصِفُ جميْعُ المتنَفِّذيْنَ المُنْتَفِعِيْنَ فِي نِظَامِ الأنونا كذَلِكَ أيْضًا، وأيّ شخْصٍ ضمْنَ مُجتمَعِ النِظاَم القَديْمِ والذِي يتمتَّعُ بسُلطَةٍ طَمِعَ بهَا وزَرَاءُ المَلِك).

إنَّ غِيَابَ القِيادَةِ السِيَاسيَّةِ مِن المُشرَّدين أبْقَى فقرَاءَ المديْنَةِ هاَدئيْنَ حتَّى عادَت الوَفْرَة-وظَلُّوا على حَالهِم هذَا حتَّى أثنَاءَ الطَاعوْنِ الذِي حصَد أروَاحَ العَديْدِ مِن الموَاطنيْنَ الذينَ أضْنَاهُم الجوْعُ في ربِيْعِ وصَيْفِ سنَةِ 1764. أمَّا الأشَدُّ ضعْفًا وفقْرًا فقَد مَاتُوا وهُم يتقيّأوْنَ الدَمَ والعُشْبَ الذِي جعَلوْهُ طعَامًا لهُم. يُعتقَدُ أنَّ مَا بيْنَ 30000 و 50000 شَخْص قَد لَاقَى حتْفَهُ فِي نابولي وأعدَادٌ أكْبَر فِي المُقاطعَات الأُخْرَى، ومعَ ذَلِك فإنَّ السُفرَاء الأجَانِب قَد لَاحَظوا بذُهوْلٍ أنَّه بدَلًا مِن إلقَاءِ اللَّوْمِ على السُلطَاتِ، فإنَّ الجموْعَ قَد صدَّقَت الكهَنَة الذيْنَ أخبَروْهُم أنَّ الكَارِثَة ليْسَت فَضيْحًة حكوْمِيَّة، بَل عذَابًا إلهِيًّا، وعِوضًا عَن مُهاجمَةِ قصُوْرِ المُتَنَفِّذِيْنَ العُتَاة، سَاروا بموَاكِبِ التَوبَةِ عبْرَ الشوَارعِ وتوسَّلوا القدِّيس "غينارو" طلبًا للفَرَج. وعِنْدَ حلوْلِ حصَادِ سنَة 1764، كان لمَشْهَد عوْدَةِ إمدَادَاتِ الطعاَم انعِكَاسٌ جذْريٌّ على سُمعَةِ طبقَةِ العُمَّال النَابوليِّين بشَكْل ٍعَام، والمُشرَّديْن على وَجْهِ الخُصوْص. ووِفقًا لوِجْهَةِ نظَرٍ أُوروبيَّة فإنَّ نابولي قَد تحوَّلَت على الفوْرِ تقريْبًا مِن بِرمِيْلِ بَاروْدٍ للثَورَةِ إلى جَنَّةٍ طَبيعِيَّةٍ بجِوَارِ البَحْر، وتبدَّلَ حَالُ المُشَرَّديْنَ من مُتمَرِّديْنَ مُتقلِّبيْن، إلى أُنَاسٍ مُستَمتعِيْنَ بالحَياَةِ رَثُّو الثِيَابِ، سحَروا السُيَّاحَ النُبلَاء إلى حَدٍّ كَبيْر.

باخْتِصَار، فإنَّ "موزارت" كانَ مُصيْبًا و"غوته" على خَطَأ، (158) فالمُشرَّدوْنَ لهُم وجوْدٌ وقَائِدٌ بكُلِّ تَأكِيْد أَو مَا يُدْعَى كابو لازارو، ومِن المَنطِقِيِّ تمَامًا أنَّه تقَاضَى أمْوالًا مِن المَلِكِ مُقَابِلَ الحِفَاظ على النِظَام بيْنَ الجمَاهيْرِ الفَقيْرَة- فِي الحِيْنِ الذِي كانَ فيْهِ المُشرَّدوْنَ أنفُسَهُم هُم السَبَب الأَكثَرُ احْتِمَالًا للمُشكِلَة. إنَّهُ ابتِزَازٌ للحِمَايَة، كمَا يسَعَنَا وَصْفَهُ اليَوْم بشَكلٍ قَاسٍ نوْعًأ مَا. أثنَاء وجوْدِ "موزارت" فِي المَديْنَة، اخْتلَطَ ووَالِدَه بجمَاعَاتِ البِلَاط والسفَارَات، حيْثَ كانَ هذَا الأَمْرُ سِرًّا مَعرْوفًا. هُنَاكَ رَجُلٌ فرَنْسِيٌّ أُرُستُقرَاطِيٌّ فِي المَنْفَىنجَحَ بالوصُوْلِ إلى بِلَاطِ "بوربون" ادَّعَى لَاحِقًا **"**أنَّ المَلِكَ يَحْمِي المُشرَّدين**،** ولِذَلِكَ فَهُم يَحموْنَه بدَورِهِم**؛** لأنَّهم يَجعلوْنَ الحُكومَةَ تَرْتَعِد، حَيْثُ يَتِمُّ إبقَاؤهُم خَاضِعِيْنَ عبْرَ دَعْمِ كَسَلِهِم، وعَدَمِ تَرْكِهِم يَذهَبوْنَ دوْنَ خُبْزٍ، ومَعكَروْنَة، ويُقَدَّمُ لَهُم الثَلجُ بفَصْلِ الصَيْف. فِي الفتْرَةِ التِي عَاشَ فيْهَا كُلٌ مِن "موزارت" و"غوته" فِي إيطاليا، كانَ زعيْمُ المُشرَّديْن "الكابو لازارو" رجُلًا يُدعَى "نيكولا دي ساباتو"- ربمَّا توَلَّى المَنصِبَ منْذُ زمَنِ المجَاعَة. ولقَد حَظِيَ ببَعْضِ الامتيَازَاتِ الاستِثْنائيَّة إن صدَقَت المَصَادِرُ المُتاحَة التِي ذكرَت ذَلِك. تُخبِرُنَا شهَادَةُ امرَأَةٍ فرَنْسِيَّة تدَّعِي أنَّها تستَنِدُ على مُخبِريْنَ في بلَاطِ "فيردناند الرابع"؛ بأنَّ لدَى رَئيْسِ المُشرَّديْن الحَقَّ بتَقديْمِ شَكْوَى للمَلِك، وهوَ يُعامَلُ باحْتِرَامٍ كبيْرٍ مِن الوزَرَاء رَفيْعِي المَقَام، وحضُورهُ مُتوَقَّعٌ فِي سحْبِ اليَانصِيْبِ الرَائجِ إلى درجَةٍ كَبيْرَة، وفِي بعْضِ احتفَالَاتِ البِلَاطِ المُحَدَّدَة، وعلى الأخَص عنْدمَا أنْجبَت المَلِكَة: إِذْ سيَأخُذُ الرَضِيْعَ المَلَكِيَّ بيْنَ ذِرَاعَيْهِ، ويُقَبِّلهُ، ويَفْحَص جِنسَه، ثُم يُرِيَهُ للعَوَام مِنَ النَافِذَة. وخِلَالَ الكَرنفاَل، يُسمَحُ لزَعيْمِ المُشَرَّديْنَ بالدخُوْلِ إلى حَضْرَةِ المَلِكِ لإلقَاءِ خِطَابِ المَديْح. تمَامًا قبْلَ الانْقِضَاضِ على أرْضِ الوَفْرَة، فوْقَ جبَلِ الطعَامِ الاصْطِنَاعِي الذِي يتِمُّ نصْبُه خلَالَ أربعَةِ أيَّام أَحَدٍ مُتتَالِيَةٍ فِي الساحَةِ أمَامَ القَصْرِ المَلَكي، ومثْلَ وليْمَةِ الخِنزِيْرِ الرَضِيْع في بولونيا، فإنَّ أرْضَ الوَفْرَة ِالنَابوليَّة كانَت عَرْضًا عَامًّا للوَفْرَةِ التِي ضَمِنَت الأمْنَ فِي البِلَاد. أَصْبَحَ المُشرَّدوْنَ يتَوَقَّعوْنَ حصُولَهُم على دلَالَاتٍ مُعيَّنَةٍ مِن الوَفْرَةِ كامْتيَازَاتٍ لِقَاءَ مُوْقِفِهِم: لقَد تمثَّلَت الوَفْرَةُ خِلَالَ المَهْرجَانِ بتَقديْمِ الثَلْجِ فِي الصَيْف، والمَعكروْنَة على مدَارِ العَام، برَغْمِ أنَّ الفُقرَاءَ للغَايَةِ قَد لَا يسْتهلِكُونهَا إلَّا في مُناسَباتٍ خَاصَّة، غيْرَ أنَّ المَعكروْنَة تُعْتبَرُ برَغْمِ ذلِكَ علَامًة يوْميًّة على الوِفَاقِ بيْنَ الجَماهِيْرِ والعَرْش.

لَم يَكُن أحَدٌ أكثَر إدْرَاكًا لهذَا الانْسِجَام سِوَى المَلِكِ "فيرديناند الرابع" نفْسِه: والذِي لُقِّبَ بمَلِكِ المُشَرَّديْن، وهوَ مَعرُوْفٌ جيِّدًا بشَغَفِهِ بالمَعكروْنَة. (159) كانَ "فيرديناند" رجُلًا غَريْبَ الهَيْئَة، فَفِي وقْتٍ قَريْبٍ مِن زيَارَةِ "موزارت"، كانَ يُوْصَفُ بأنَّه نَحيْلٌ وأَحْدَب، ورُكبتَاهُ مَثْنِيَّتَانِ بشَكلٍ دَائِم، معَ أنْفٍ طَويْلٍ وشَفَةٍ سُفلِيَّةٍ ضَخْمَةٍ تَبرُزُ تحْتَ شَعْرٍ بُنِيٍّ فَاتحٍ كَثِيْف، ونَسَبَهُ الأرُستُقرَاطِيُّ عَالمِيٌّ كغَيْرهِ فِي أوروبا: فأسْلَافهُ آل بوربون هُم فِي الأصْلِ حُكَّامُ "نافاري" في فرَنسَا، أمَّا والِدَتهُ فمِن سُلَالَةٍ طويْلةٍ لدُوقَاتِ "بارما" المديْنَة الشَمَال إيْطَاليَّة، ووَالِدهُ "دون كارلوس" هوَ ابْنُ مَلِك اسبانيا، لقَد ظَفِرَ "دون كارلوس" بـ"نابولي" لصَالحِ آل بوربون بعْدَ مُطارَدَتهِ لِفُلُوْلِ النِمْساَوييِّن مِن المَديْنَةِ عَام 1734، وبعْدهَا بخمْسَةٍ وعِشريْنَ سنًة تخَلَّى عَن عَرْشِ نابولي ليُصْبِحَ مَلِكَ اسبانيا، تارِكًا ابْنَه "فيرديناند" ذا الثمَانِيَةِ أعْوَامٍ، ليَرِثَ التَاجَ النَابُولِي، و"فيرديناند" هوَ المَلِكُ الفَتَى الذِي طوَّقَتْهُ النِسَاءُ في سَاحَةِ "مركاتو" خلَالَ الأيَّامِ الأوْلَى للمَجَاعَةِ سنَةَ 1763.

كحَالَ العديْدِ مِن الحُكَّام الأوربيِّين، رَغِبَ "كارلوس" بشِدَّةٍ بتَمَركُزِ السُلطَةِ فِي أَيْدٍ مَلَكيَّة، لإنْشَاءِ نِظَامٍ مَلَكِيٍّ مُطْلَقٍ لَا يُمْكِنُ للقُوَى الإقْطَاعيَّة للكَنيْسَة و الأرُستُقرَاطيَّة أَن تَقُوْمَ بِتَقْيِيدِه، وقبْلَ مُغادَرتهِ "نابولي" أعْطَى توجِيهَاتٍ بضَروْرَةِ إبْعَادِ "فيرديناند" عَن تَأثيْرِ أيٍّ مِن النُبلَاءِ الطَموْحِين خلَالَ نَشْأَتِه، ونَتيْجًة لذَلِك أحَسَّ المَلِكُ الفَتِيُّ "فيرديناند" برَاحَةٍ معَ الخَدَمِ والتَّابعِيْنَ بدلًا مِن الأُمرَاءِ والدُوْقَات، ورَاحَ يتحَدَّثُ باللَّهْجَةِ النَابوليَّة في المَنزِلِ أكْثَرَ مِن أَيِّ لُغَةٍ أُخْرَى. ووفْقًا لمَا ذكَرَهُ أحَدُ السُفرَاءِ البرِيْطَان، فلقَد تشارَكَ المَلِكُ "فيرديناند" طِيْلَةَ حَيَاتهِ مَسَرَّاتِهِ معَ أُنَاسِ الطبقَاتِ الدُنْيَا مُقَلِّدًا سُلوكَهُم الفَظ، وهكَذَا أصْبحَ نَجْلُ هَذهِ السُلَالَة العَالمِيَّة إنْسَانًا نَابوليًّا بًسِيْطًا، كوَلَدٍ صَغيْرٍ سُوْقِي.

تُصَوِّرُ التقَاريْرُ المُسرَّبَةُ مِن البِلَاطِ المَلَكيِّ النَابولِي، مَلِكَ المُشَرَّديْنَ كشَخْصٍ مِن فنَانِي الشَوارعِ الهزَليِّين، فلَم يَرُق لَهُ شيءٌ أكثَر مِن النُكَاتِ المُسْتقَاةِ مِن الوَاقِع، وكَثِيرًا مَا رَاحَ يَصْفَعُ أو يَرْكُلُ مُؤَخِّرَاتِ رِجَالِ حَاشِيَتِه، وشُوْهِدَ المَلِكُ "فيرديناند" ذاتَ مرَّةٍ وقَد أسْدَلَ بِنطَالَهُ حتَّى كَاحِلَيْهِ، ويَحْمِلُ مِرْحَاضَهُ المُتَنَقِّلَ بيْنَ يَدَيه، مُطَارِدًا خدَمَهُ وهوَ يَزعَقُ بهِم ليتَفَحَّصوا مُحتويَاتهِ النَتِنَة، كانَ يشْعُر بالسروْرِ وهوَ يلعَب بالبنَادِق، ومِن عادَتِهِ أَن يتَحَسَّسَ زوجَتَهُ النِمْسَاويَّة، شَقيْقَةَ "ماري إنطوانيت" أمَامَ العَامَّة، وإحْدَى تسَليَاتهِ المُفضَّلة صَيْدُ السمَكِ فِي خَليْجِ نابولي: حيْثُ يقوْمُ بعْدَ ذلِكَ ببَيْعِ مَا اصْطَادَه فِي السُوْق وفْقَ مَا قِيْلَ عَنْه، حيْثُ يَصِيْحُ ويُسَاوِمُ بحمَاسَةٍ كأَيِّ مَالِكِ كِشْكٍ آخَر، ومثْلَ جَمِيْعِ المُشَرَّديْنَ الجَيِّديْنَ بالطَبْعِ، (160) كانَ المَلِكُ يَلتَهِمُ المَعكروْنَة بنَهَمٍ هَمَجِي، وقَد ذكَرَ أحَدُ ضيُوْفِ "فيرديناند" الإيرلَندِيِّين:

"إنَّهُ يَقْبِضُ علَيْهَا بأصَابعِه، ويَلفُّهَا ويَجْذِبهَا إلَيْهِ ليَحْشُرهَا بشَرَاهَةٍ فِي فَمِه، وأكثَر مَا يَأنَفَهُ برَحَابَةِ صَدْرٍ هوَ استِخْدَامُ الشَوْكَةِ والسِكِّيْنِ أو المَلْعَقَة، أو فِي الحَقيْقَةِ أيّ أدَاةٍ مُسَاعِدَةٍ، أعتَرِفُ بصِدْقٍ أنَّ هذَا المَشْهَدَ قَد فاجَأنِي أكثَر مِن أيِّ شَيءٍ رأَيتهُ فِي حيَاتِي سوَاًء مِن المَلكِ أو المَسأَلَة".

مِنَ المَعروْفِ أنَّ "فيرديناند" يلتَهِمُ المعَكرونَة بهَذهِ الطَريْقَةِ بمَقصوْرَتهِ أيْضًا فِي مسْرَحِ سان كارلو الفَخْم وعلى مَرْأَى جَمِيْعِ الحُضوْر، مِن الوَاضحِ أنَّ العَديْدَ مِن هَذهِ الطُرَفِ عَن "فيرديناند" فيْهَا شَيءٌ مِن التَلفِيْقِ السِيَاسِي، فأَعْدَاءُ مَلَكِيَّةِ بوربون مُهْتَمُّوْنَ للغَايَةِ بتَصويْرهِ كشَخْصٍ أحْمَق، وبرَبْطِ اسْمهِ بالمُشرَّديْن المُزْدَريْنَ للغَايَة. لقَد أدْرَكَ "فيرديناند" بأَنَّهُ المَلِكَ الكَسوْلَ الجَاهِلَ لِرَعِيَّةٍ كَسوْلَةٍ جَاهِلَةٍ مِثْلَه، غيْرَ أنَّ الحَقيْقَةَ أكْثَرَ غمُوْضًا. أمَّا بالنِسْبَةِ لأَصْدِقَائهِ فلقَد كانَ المَلِكُ البوربونِيُّ مُتنَاغِمًا معَ النَاس، وطَريْقَةُ تنَاولِهِ للمَعْكروْنَة قَد أسَّسَت حِلْفًا غيْرَ مُتوَقَّعٍ بيْنَ أعْظَمِ السُلَالَاتِ الحَاكِمَةِ الأوروبيَّةِ والجمُوْعِ الجَائِعَةِ بواَحِدَةٍ مِن أكْبَرِ المدُنِ الأوروبيَّة، ومِن خَلَالِ المَعكروْنَة رَدَمَ الهُوَّةَ السَحِيْقَةَ بيْنَ نَقِيْضَي المُجْتَمَعِ النَابُولِي، جَاعِلًا الرِعَاعَ مَصْدرًا للدَعْم.

**رَئِيسُ خِدْمَاتِ الفَم**

أَصْبَحَتْ صَلْصَةُ الطَمَاطِمِ بِأيَّامِنَا هَذِهِ مَعْلَمًا إيطاليًا مُمَيَّزًا أَكْثَرَ مِنَ الْعَلَمِ ثُلَاثِيِّ الأَلْوَانِ أَوْ بُرْجِ "بِيْزا" الْمَائِل، إِنَّهَا شَرْيَانُ حَيَاةِ الطَّعَامِ الإيطالي- حَتَّى إنَّ الْبَعْضَ يَعْتَبِرَهَا شَرْيَانَ الْحَيَاةِ للإيطاليِّين أَنَفْسِهِم، لقَد بَاتَتْ دِينًا وَطَنِيًّا: إِنَّهَا ثَالوثٌ مُقَدَّسٌ طَازَجٌ وَمُعَلَّبٌ وَبِشَكلٍ مَعْجُون، و"نابولي" بِالنسْبَةِ لَهَا هِي مَدِيْنَةُ "الْقُدْس". إِنَّ كِتَابَ "لَا كَوِتشِيُّنَا نابوليتانا"– الدَّليْلَ الْأفْضَلَ لِطَعَامِ الْمَدِينَةِ الْيَوْمَ- لِلْكَاتِبِ "جِينَ كارولا فرانسيسكوني"، يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَعْكَرُونَةِ وَحَوَالِي خَمْسِينَ نَوْعًا مُخْتَلِفًا مِنَ الصَّلْصَةِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الطَّمَاطِمِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا مَثَّلَتِ الفَتْرَةُ بَيْنَ عَامَي 1600و1700 التَغَيُّرَ السَّرِيْعَ باسْتهِلَاكِ المَعْكَرُونَةَ، تَلَاشَى شَرِيْكُهَا المَحْتُومُ البومودورو (الطَّمَاطِمَ) فِي غُمُوضِ نِسْبِيِّ. فِي الوَاقِعِ، وَبِرَغْمِ القَدْرِ المُشِرِّفِ الذِي انتَظَرَهَا، إِلَّا أَنَّ صَلْصَةَ الطَمَاطِمِ قَدْ قَامَتْ بِأَوَّلِ دُخُولٍ صَامِتِ لَهَا إِلَى السِّجِلَّاتِ التارِيخِيَّةِ. (161)

**صَلصَةُ الطمَاطِم الإسبَانيَّة**

خُذ ستَّ حبَّاتٍ مِن الطمَاطِم الناَضِجَة وضَعْهَا على الجَمْرِ لتَتَحَمَّص، وعنْدمَا تُشْوَى أَزِل القِشْرَةَ عنْهَا بعِنَايَةٍ وقطّعهَا إلى قِطَعٍ صَغِيرةٍ مُسْتخدِمًا السِكِّين، اضِف البصَلَ المَفروْمَ نَاعِمًا لإضْفَاءِ المذَاق، والسَعْتَر والبَيْبَيرنَا (وهِيَ عُشبَةٌ عِطريَّةٌ تُشبِهُ المَردَقوْش)، وبعْضًا مِن الفُليْفِلَة الحَارَّة المَفروْمَة نَاعِمًا،اخلُطْهَا جَيِّدًا مُضِيْفًا القَليْلَ مِن المِلْح، الزَيْت، والخَل.

بصَرْفِ النَظَرِ عَن افْتِقَارِهَا للتَعْقِيدِ أو الطمُوْح، فإنَّ مَا يُمَيُّزُ كوْنهَا أوَّلَ وَصْفَة صَلصَةِ طمَاطِمٍ على الإطْلَاقِ فِي إيطَاليَا هوَ تَاريْخُهَا: فلقَد ظهَرَت فِي كِتاَبِ طَهْيٍ يُدْعَى "المُضِيْفُ العَصْرِي" تمَّ نَشْرهُ فِي نابولي عَام 1692، كانَ قَد مَرَّ بذَلِكَ الوَقْتِ مَا يُقارِبُ نصْفَ قرْنٍ على وصوْلِ الحَمْرَاء الصَغيْرَةِ أو البومودورو الأصْفَر- التُفَّاح الذَهَبِي- إلى المُقاطعَاتِ الإسبَانَّية فِي إيطَاليا قَادِمًة مِن الأرَاضِي الإسبانيَّة فِي أمريْكَا الجنوبيَّة. يتَّضِحُ أنَّ الطمَاطِم لَم تتَأقْلَم بَعْد، رَغْمَ مروْرِ كُلَّ ذَلِكَ الوَقْت، يَبْدو أنَّ مؤَلِّف كتَاب "مُضِيفٌ عَصْريٌّ" كانَ غافِلًا عَن مَقدِرَتِهَا كحَالِ سائِرِ مُعَاصِريْه، فاقْترَحَ بِلَامُبالَاةٍ أنْ يُعِدُّ منْهَا صَلصًة لذيْذًة للغَايَةِ لأجْلِ اللَّحْمِ المَسلوْق، أو أشْيَاءَ أُخْرَى، ثُم أحْجَمَ عَن ذِكْرِهَا على الإطْلَاق، لَا غرَابَةَ أنَّ هذَا التَأيِيْدَ المُفْتَقِرَ للحماَسِ قَد فَشِلَ بإشْعَالِ شَغَفِ الذَوَّاقَةِ النَابوليِّين.

لَم يطْرَأ الكثيْرُ مِن التَغْيِير على صَلصَةِ الطمَاطِم خلَالَ السنوَاتِ الثمَانِيْن التَاليَة. إنَّ السُيَّاح الذيْنَ شاَهَدوا المُشرَّديْنَ وهُم يتنَاولوْنَ المَعكروْنَة فِي الفتْرَةِ بيْنَ 1770 و1780، لَم يَلحَظُوهُم يُنَكِّهوْنَ طعَامَهُم المُفضَّل بصَلصَةِ الطَمَاطِم. وفي عَام 1773 قامَ "فينتشنزو كورادو" الذِي أَصبَحَ لَاحِقًا "رئيْسَ خَدمَاتِ الفَم" فِي بِلَاطِ مَلِكِ المُشرَّديْنَ؛ بنَشْرِ كِتَابِ وصَفَاتٍ يُدْعَى "الطَهْيُ الرَفِيْعُ"، فيُخبِرُنا "كورادو" أنَّه بالإمْكاَنِ حَشْوُ البنَدورَةِ بلَحْمِ العِجْلِ الطَرِيِّ أو بالخُبْزِ الحُلْو، أو بالأَرُزِّ المَطْهِيِّ بالحليْب، الزُبْدَة، السُكَّر، والقِرْفَة. يُمكِنُ قَطْعُها طُوْليًّا والتَخَلُّصَ مِن اللُّب، وملأَهَا بالأُنشُوْفَة، الثُوْم، المَردَقوْش، والبَقدونِس، ثمَّ تُغطَّى بفُتَاتِ الخُبْز، أَو يُمْكِنُ فَرْمهَا إلى قِطَعٍ صَغِيرَةٍ، وخلطَهَا بالزُبْدَة، البَيْض، وجُبْنَة الريكوتا، ثمَّ تشْكِيلهَا على شَكْلِ كُرَاتٍ صَغِيرَةٍ لأجْلِ غَمْسِهَا بالطَحِيْنِ وقَليِهَا. مِن الوَاضحِ أنَّ الطمَاطِمَ باتَت أكثَر قبوْلًا، غيْرَ أنَّهَا ومعَ ذلِك لمَ تُحوَّل إلى صَلصَةِ طمَاطِم إلَّا ببَعْضِ الأحْيَانِ فقَط. يُقَدِّمُ لنَا كتَابُ "الطَهْيُ الرَفِيْع" وصْفًة واحِدًة لصَلصَة الطماَطِم: وهيَ تحْتَوِي على الخَلِّ والتوَابِل، الثُوْم والسَّذاب\*،

-----------

\*السَّذَاب أو الفَيْجَن أو الحَزاء أو الفَيْجَل أو الخُفْت: هو جنس يتبع الفصيلة السذابية. يضم من 8-40 نوعاً.

(162) ويُوْصَى بهَا معَ لَحْمِ الضَأْن. إنَّ مذَاقَ المُكوِّنَاتِ الأُخْرَى لَا بُد أَن يكوْنَ طَاغِيًا، وخاصًّة السَّذابُ اللَّاذِع الذِي يُعتَقَدُ أنَّه جيِّدٌ لطَرْدِ الدِيدَانِ مِن الجِسْم. يتَّضِحُ أنَّ الطَاهِي النابولي لَم يَعْتَقِد أنَّ إعدَادَ أَطبَاقِ طمَاطِمٍ يَبرُزُ فيْهَا مذَاقُ الطمَاطِم هوَ أَمْرٌ رَفِيْعُ المسْتوَى.

فِي الوَاقِع، لَم تَظْهَر الشعِيرِيَّة بصَلصَةِ الطمَاطِم فِي كُتُبِ الطهْيِ النَابوليَّة إلَّا بعَامِ 1844 فقَط، وحتَّى فِي حِيْنِهَا فلقَد اعتُبِرَت صَلصَةُ الطمَاطِم المَعنِيَّة غيْرَ تقلِيديَّةٍ نوْعًا مَا وِفْقًا لمعَايِيرِنَا اليَوْم، حيْثُ صُنِعَت مِن البنَدوْرَة المُجفَّفة بَعْدَ وَضْعِهَا فِي المَاءِ السَاخِن، وطُهِيَت معَ الزُبْدَة أو شَحْمِ الخِنْزِيْر بدَلًا مِن زَيْتِ الزَيْتُون.

وهكَذَا ظلَّت صَلصَةُ الطمَاطِم فِي عَصْرِ التَنويْرِ بَعيْدًة عَن نَظيْرتِهَا النَابوليَّة الحَديْثَة التِي ارْتَقَت إلى مُسْتَوَى القَدَاسَةِ فوْقَ طَبَقِ السبَاغِيتِي، ومعَ ذلِكَ فقَد تأَثَّرَت العَديْدُ مِن الأطْعِمَة بنُفُوْذِ منَاخِ الإدْرَاك الجَدِيْد.

لقَد أحْضَرَت مَلَكِيَّة بوربون روْحَ تَنويْرٍ مُعيَّنَة إلى حُكوْمَةِ نابولي ومَمْلكَةِ الصَقَليِّتَيْنِ كمَا باتَ معروْفًا، وقامَ "كارلوس" وابنُهُ المُشَرَّد "فيرديناند" برعَايَةِ وطَنيَّةٍ نابوليَّةٍ جَديْدَة، وروْحِ الخِدمَةِ الشَعبيَّة، فأسْهمَا بتَحريْرِ عَاصِمَتِهِمَا مِن الجَوِّ العَامِّ الجَائِرِ المُطَالِبِ بالإصْلَاحِ المُضَاد، وتَحويْلِهَا إلى مرْكَزٍ للحيَاةِ الفِكريَّة.

عمَدَ المُفكِّروْنَ النابوليُّوْنَ إلى تحَدِّي المُعتقَدَاتِ الأرْثوذِكسِيَّة القَديْمَة فِي الدِّين، الزرَاعَة، الاقتِصَاد والقَانوْن الإقْطَاعِي. لقَد وُضِعَ الإصْلَاحُ ضِمْنَ الأَجِنْدَة- برَغْمِ أنَّ التَاجَ نادِرًا ما امْتَلَكَ السُلطَة لقيَادَتِه. بعْدَ مجَاعَةِ عَامَي 1763-1764 انْتَشَرَ حديْثٌ عَن إلغَاءِ نِظَامِ "الأنونا" وإدْخَالِ سوْقٍ حُرَّةٍ للحُبوْب (إنَّ إحْدَى النتَائجِ الرَاسِخَةِ لهَذهِ النِقَاشَات؛ هِيَ جُزْءٌ مِن إمْدادَاتِ القَمْحِ التِي تُسيْطِرُ عليْهَا الدوْلَةُ لأصْحَابِ مصَانِع المَعكرونَة)، وفِي عَام 1779، نجَحَ وزرَاءُ المَلِكِ "فيرديناند" بالفِعْلِ بإلغَاءِ نَهْبِ أَرضِ الوَفْرَة، والتِي أَصْبَحَت تُعتبَرُ الآنَ وفْقَ أُسلوْبِ التَنوِيْرِ الكلَاسِيكِي، مُجرَّد مَشْهَدٍ همَجِيٍّ أكثَر مِن كوْنِهَا أدَاًة حسَّاسًة للسَيطرَةِ على السَاحَة.

وهكذَا امتَدَّ الجَوُّ الإصلَاحِيُّ الفِكرِيُّ حتَّى وصلَ إلى المطَابخِ المَلكيَّة، فحدثَت تغيِيرَاتٌ كبِيرَةٌ على النِظَامِ الغِذَائِيِّ للنُخبَةِ في نابولي، كمَا يتَّضِحُ مِن مُقارنَةٍ أُخرَى بيْنَ مؤَلِّفيْنَ لكتُبِ الطَهِي تمَّ ذِكْرُ وصْفَاتهِمَا لصَلصَةِ الطمَاطِم فِي الأعْلَى، وهُمَا "أنطونيو لاتيني" مؤلِّفُ كتَاب "المُضِيفُ العَصْرِي" عَام 1691 و"فينشينزو كورادو" الذِي ألَّف كتَاب "الطَهْيُ الرَاقِي" عَام 1773. يُشيْرُ كتَابُ "المُضِيفُ العَصْرِي" إلى "جالينوس" مِرارًا وتِكَرارًا، وهوَ طبيْبُ المُصَارعيْنَ الذِي تسبَّبَت نظَريَّتَهُ عَن خلَائطِ الجَسَدِ بتَأثِيْرٍ كَبيْرٍ على النِظَامِ الغِذَائِيِّ الأُوروبيِّ منْذُ العُصوْرِ الوسْطَى. لَا يَحْمِلُ كتَابُ "المُضِيفُ العَصْرِي" أيَّ شَيءٍ عَصرِيٍّ بَيْنَ طيَّاتِهِ، ولكِن بحُلوْلِ أوَاخِر القَرْنِ الثَامنِ عشَر،

----------- \*الإصلاح المضاد: ويعرف أيضاً بالإصلاح الكاثوليكي أو الإحياء الكاثوليكي وهي حركة دينية استهدفت إصلاح الكنيسة الكاثوليكية وفي الوقت نفسه مناهضة الإصلاح البروتستانتي، وقد بدأت مع مجلس ترنت وانتهت بنهاية حرب الثلاثين عام 1648.

(163) أصْبَحَت نظريَّةُ "جالينوس" قَدِيمًة وعفَى عليْهَا الزَمَن. كتَبَ "كورادو" عَام 1781 دليْلًا صَغيْرًا أطْلَقَ عليْهِ اسْمَ "الطَعَامُ الفِيثَاغوْرِي"- ويَعْنِي اتِّبَاعَ نِظَامٍ غِذَائِيٍّ نبَاتِي قائِمٍ على الأبْحَاثِ العِلميَّةِ الحَديْثَةِ لفوَائدِ الفَاكِهَة والخُضروَات، وقَد قَام "كورادو" بتَصْمِيمِ الكِتَابِ كدَليْلٍ تَقدِيْرًا لعَادَاتِ تنَاوُلِ الطعَامِ لدَى "النُبلَاء ورِجَالِ المَعرِفَة"، وللمَرَّةِ الأوْلَى منْذُ عصْرِ النَهْضَة اتَّحَد المُفكِّروْنَ والنُخْبَة لصَقْلِ حضَارَةِ المَائِدَة الإيْطَاليَّة، واحْتَضَنَ مِزَاجُ التَجدِيْدِ لدَى ذوَّاقَةِ الطعَامِ الوَارِدَاتِ الغِذَائِيَّة مِن العَالَمِ الجَديْد، مَا زَالَ العديْدُ منْهَا يُعَامَلُ بارتِيَابٍ، وتمَّ تنَاولهَا مِن قِبَلِ مَن لَم تُتَح لَهُم إلَّا خَيَارَاتٍ قَليْلَة. يَحتَوِي دليْلُ "الطَعَامُ الفِيثَاغوْرِي" على قِسْمٍ قَصِيْرٍ يتَحدَّثُ عَن الفُليْفِلَة الحُلوَة، والتِي وصَفَهَا "كورادو" بـ"الطعَامِ الرِيفِيِّ المُبْتذَل"، ولَم يُحِبَّها سِوَى القليْلُ مِن النَاسِ على أيِّ حَال، تتضَمَّنُ وصفَاتُ الفُليْفِلَة بشَكلٍ خَاصٍّ على ابتِكَارٍ مُغْرٍ معَ حبَّاتِ الصَنوْبَر والبوتارجا (بَيْضِ السَمَكِ المُجفَّف) فِي عَصِيْرِ اللَّيمُوْنِ والزَيْت.

سَعَت مقَالَةُ "كواردو" التِي تتحَدَّثُ عَن البطَاطَا عَامَ 1798 للمُساعدَةِ فِي استهْلَاكِ هَذهِ الدَرْنَاتِ فِي مَملَكَةِ نابولي، وقَد كتبَ: "إنَّهَا تُقدَّم ببَسَاطَةٍ، فالبَطَاطَا طعَامٌ مُمتَازٌ للفُقرَاء، ومُغذِّيَةٌ جِدًّا ، ورَخِيْصَة للغَايَة". وهذَا بالطَبْع هوَ سِرُّ نجَاحِ البطَاطَا فِي أوروبا، فهِي إلى جَانبِ الذُرَةِ تمْنَحُ إسْهَامًا كَبيْرًا بتَخليْصِ القَارَّةِ مِن المجَاعَة، ولكنَّهَا وكحَالِ الذُرَةِ أو في الحَقيْقَةِ أكثَر، فإنَّهَا ستُنَاضِلُ لتَحْظَى بالقبُوْلِ حتَّى بيْنَ الإيْطَاليِّين الأكثَر جوْعًا، ولَكِن في الوَقْتِ الذِي خَطَّ فِيْهِ "كورادو" سطُوْرَهُ اعتُبِرَت العَصيْدَةُ أو الحسَاءُ المَصنوْعُ مِن دَقِيْقِ الذُرَةِ الغِذَاءَ الرَئِيسِيَّ فِي شمَالِ ووَسَطِ إيطَاليَا؛ بَيْدَ أنَّ البطَاطَا لَم تُصْبِح جُزْءًا مُنتَظمًا مِن النِظَامِ الغِذَائِيِّ للفَلَّاحِ حتَّى أوَاسطِ القرْنِ التَاسعِ عشَر.

خِلَافًا لبَعْضِ الكُتُبِ بعَصْرِ التَنويْر، فقَد أبْدَى "كواردو" اهْتِمَامًا أقَلَّ بمَقدِرَةِ البطَاطَا على مِلءِ بطوْنِ الفُقراَء وركَّزَ على إمكَانيَّتهَا بإثَارَةِ المزيْدِ مِن إحسَاسَاتِ التذَوُّقِ الرَاقِيَة والأذْهَانِ المُستَكشِفَة، فأخَذَ يُجادِلُ قائِلًا بأنَّ مَمْلَكَةَ نابولي خصْبًة للغَايَة، حتَّى إنَّها بالكَادِ تحْتَاجُ إلى خُضروَاتٍ أُخْرَى فِي مَخزوْنِهَا، وبِرَغْمِ ذَلِك فإنَّ فضُوْلَهُ الرَاقِي قَد حوَّلَ انتِبَاهَهُ صَوْبَ البطَاطَا، ووصَفَهَا: "إنَّهَا طعَامٌ جَديْدٌ بيْنَنا، فلقَد أيْقَظَت وأثَارَت إحْسَاسَ التذَوُّقِ لدَى الرِجَال، وهُم توَّاقوْنَ لإجْرَاءِ الأَبْحَاثِ عَلَيه". إنَّ نتيْجَةُ أبْحَاثِ "كورادو" الخَاصَّة عِبَارَة عَن قائِمَةٍ بالوصَفَاتِ الفَخْمَة، وتتضَمَّنُ مَقَالتُهُ اقتِرَاحَاتٍ على المُسْتوَى البَسيْطِ (سلطَةُ البطَاطَا المُزيَّنة بنبَاتِ الكَبَر المَفروْم، الأنشُوْفَة، الجَرجِير)، ومُسْتوًى رَاقٍ للغَايَة (البطَاطَا معَ صَلصَةِ اللَّوزِ المُحمَّص والكَافيَار)، يُوصِي "كورادو" بكَثيْرٍ مِن الأحيَانِ بطَهْيِهِمَا فِي النَبيْذِ الأبْيَض- (164) كمَا فِي أحَدِ الوصَفَاتِ حيْثُ تمَّ تَقْطِيعُهَا في حِيْنِهَا إلى شرَائِحَ سَميْكَةٍ، وأُقْحِمَت بيْنَهَا جُبنَة البَارمِيزَان، ثُمَّ وُضِعَت بالفُرْنِ بعْدَ إضَافَةِ صَلصَةٍ سَميْكَةٍ مُصفَّاة، مَصنُوْعةٍ مِن لحْمِ الخِنزيْرِ الدُهْنِي، جُذوْرِ البَقدوْنِس، الجَزَر الأبْيَض، وفُتاَت الخُبْز المُحمَّص والمَرَق.

غيْرَ أنَّ التطَوُّرَ الأكثَر تمَيُّزًا على مدَارِ القَرْنِ الثَامنِ عشَر، هوَ التَقْلِيلُ مِن استِخْدَامِ التوَابِل، فلقَد أدَّت التِجَارَةُ المُباشَرَةُ بيْنَ أوروبا والشَرْقِ الأقْصَى، والتِي حفَّزتْهَا مُغامَرَاتُ "ماركو بولو" فِي المقَامِ الأوَّل، إلى انْخِفَاضِ أسْعَارِ التوَابِل، فأدَّى ذَلِكَ لانْخِفَاضِ قِيمَتَها كدَلَالَةٍ على التَمَيُّزِ الاجْتِمَاعِي، وكذَلِك فقَدَت نظريَّةُ "جالينوس" عَن الهَضْمِ كعمَليَّةِ طَهْيٍ ثانَويَّةٍ مِصدَاقِيَّتهَا العِلمِيَّة، ولَم يَعُد يُعتقَدُ الآنَ أنَّ تلْكَ الأطعِمَة البَارِدَة والرَطْبةَ تُبلِّلُ الوعَاءَ الخَزَفِيَّ الجَسَدِي، ومَا مِن حاجَةٍ لتَحيِيدِهَا بالتوَابلِ الحَارَّةِ والجَافَّة. لقَد تمَّ تَألِيْفُ كتَابُ "مُضيْفٌ عَصْرِي" بعْدَ مِضِيِّ أكثَر مِن قرْنٍ على عَصْرِ "ميسيسبوغو" و"سكابي"، بيْدَ أنَّ وصَفَاتِهِ قَد احتَوَت مِن التوَابلِ بقَدْرِ مَا تضمَّنَت وصَفَاتُهُم مِنْهَا تقريْبًا. وعلى نَقيْضِ ذَلِك، كان "فينشينزو كورادو" مُبْدعًا أكَثر كمَا يُوَضِّحُ كتَابُ "الطَهيُ الرَاقِي": فهُوَ لَم يَكْرَه قَلْيَ سمَكِ الأنشُوفَةِ الطَازَجِ فِي الزَيْتِ وتَنكِيهِهِ ببسَاطَةٍ بالمِلْح، الفُلفُل وعَصِيْرِ اللَّيموْن. تُظهِرُ أطْبَاقُ الأسمَاكِ الأُخْرَى رغبتَهُ باستِكمَالِ المذَاقَاتِ الشَهِيَّةِ بالأعْشَابِ العِطريَّةِ أكثَر مِن تَغطِيَتِهَا بالبهَارَات. فعلَى سَبيْلِ المِثَال، يُمكِنُ طَهْيُ أسماك القَاروْصِ، وأسماك الدنيس على نَارٍ هادِئَةٍ فِي المَاءِ والنَبيْذ، وتَزيِينِهَا باللَّيمُوْن، البَقدُونِس، والزَيْت، وتَقديْمِهُا معَ بيُوْضِ جرَادِ البَحْر أو الكَافيَار، أو يُمْكِنُ سلقَهَا بالمَاء، المِلْح، النبَاتَات العِطريَّة، الزُبْدَة وتقْديمُهَا معَ الزُبدَة وصَلصَةِ نبَاتِ الحَمَّاض. لكنَّ "كورادو" لَم يَصِل بَعْدُ إلى مَرحَلةِ التخَلُّصِ مِن جَوزَةِ الطِيْب والقرُنْفُل: وهوَ أيْضًا يقْتَرِحُ حَشْوَ سمَكِ القاروْصِ والدنيس برَاغو الخُبْزِ الحُلو، كِلَى العجُول، لحْمِ الخِنزيْر، الأعشَاب العِطريَّة، الكمَأَة والتوَابِل. وبرَغْمِ المُغَالَاةِ التِي أظهَرَتْهَا المقَالَةُ ببَعْضِ النوَاحِي أَثْنَاءَ حَدِيْثِهَا عَن البطَاطَا، إلَّا أنَّها مُعتَدِلَةٌ بأُخْرَى: فعلَى سَبيْلِ المِثَال هوَ يقوْمُ بإعْدَادِ الفطَائرِ المقليَّةِ مِن هَريْسٍ يَحتَوِي على دُهْنِ العِجْل، وجُبْنِ البروفاتورا، صفَارِ البَيْض، التوَابِل، والقَليْلِ مِن السُكَّر. وتتضمَّنُ بعْضُ وصفَاتِ البطَاطَا لدَيْهِ على صَلصَاتٍ مُعدَّة مِن كَبدِ السَمَك، الكمَأَة، ونَبيْذِ مالميسي، القريْدِس، لحْمُ الضفَادِع، وقُنْفذُ البَحر، بالإضَافَة للكَثيْرِ غَيْرَ ذَلِك- تَحتَوي جَميْعهَا على التوَابِل، كحَالِهَا قَبْلَ وصوْلِ "تُفَّاح الأَرْض" إلى السوَاحِل الإيطَاليَّة. وبرَغْمِ ذلِك، ومعَ المُكوِّنَات التي لَا طَعْمَ لهَا بِشَكْلٍ أقَلَّ مِن البطَاطَا، يُظهر "كورادو" مَيلًا للسمَاحِ لهُم بالتَعبيْرِ عَن أنْفُسهِم، فحتَّى

-------------

\*الحُمّاض: جنس نبات من الفصيلة البَطْباطِيّة. له حوالي 200 نوع من الأعشاب الحولية وثنائية الحول والمعمرة. من أنواعه: الحُمَّاض البُسْتَانِيّ. وهي عشبة برية تنبت في الأدغال الرطبة و بالقرب من السواقي و تزرع لحموضة أوراقها و يبلغ ارتفاعها نحو 30 سنتيمترا.

\*الراغو: هي صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم احيانا إضافة لحم الخيل، تعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا كما أنها موجودة أيضاً في منطقة كامبانيا.

(165) شَيءٌ بَسيْطٌ كنُخَاعِ العَظْمِ قَد يُكَلَّلُ فقَط بالزَيْت، عَصيْرِ اللَّيمُوْن، الثُوْم، النَعنَاع، والفُلفُل فِي هَذهِ الوَصْفَة "الفِيثَاغورثِيَّة" لـ"النُخَاع الإيطَالِي بكُلِّ معْنَى الكَلِمَة".

لَم تَصِل الثقاَفَةُ النابوليَّةُ إلى خَاتِمَةٍ سَعيْدةٍ للغَايَة فِي الشَارِع، كمَا فعَلت فِي غُرفَةِ الطعَام، فَفِي عَام 1789 أثارَت الثوْرَةُ الفرَنسيَّةُ مخَاوِفَ بشَأنِ المنَاخِ الفِكرِيِّ والسِيَاسِيِّ الجَدِيْد، والتِي استجَابَت لهَا حكوْمَةُ مَملَكَةُ الصَقَليَّتَيْن بمَزيْدٍ مِن الرقَابَة على المَطبُوعَاتِ والتقَارُب معَ الكَنيْسَة، وبعْدَ ذَلِك فِي عَامِ 1799 جعَلَ الغَزْو الفَرَنْسِي مَديْنَة "نابولي" تَغُصُّ بالرُعْبِ والفَوْضَى، فهرَبَ المَلِكُ مِن المَديْنَةِ مُتَّجِهًا نَحْوَ مَديْنَةِ "صَقَلية" ليَحْتَمِيَ بالبَحريَّةِ المَلَكيَّةِ البريْطَانيَّة. لقَد تمَّ تأسِيْسُ الجُمهوريَّة النابوليَّة مِن قِبَلِ شُبَّانٍ ملَأَ الحمَاسُ قلُوْبَهُم للمُثُلِ التَنويريَّةِ للحُكوْمَة الدُستُوريَّة، العدَالَة النَزيْهَة، والإصْلَاح العَقْلَانِي. تقدَّمَت القوَّاتُ الفَرَنسِيَّةُ نحْوَ "نابولي" ليَأخُذوا دَوْرَ "الحُمَاةِ" للجُمهوريَّة الجَديْدَة التِي احتَاجَت للحِمَايَة مِن المُشَرَّدِين. فشَرَعُوا بارتِكَابِ الفظَائعِ ضِدَّ كُلِّ مَن يُشتَبَهُ بانْتِمَائهِ إلى "اليَعَاقِبَةِ" حتَّى قَبْلَ أَن يَقُوْمَ "فيرديناند الرَابِع" بمُغَادَرَةِ المَدِيْنَة؛ لقَد تمَّ إتِّهَامَ سَائحٍ مِن "بيدمونت" خَطًأ بأنَّهُ رجلٌ فرَنْسِيٌّ وأُعْدِمَ دوْنَ مُحَاكمَة. قُوبِلَت الجيوْشُ الفَرنْسِيَّةُ لدَى وصوْلِهَا المَديْنَة بمُقَاومَةٍ مُتعَصِّبة مِن قِبَلِ المُشرَّدِيْن، وحدَثَ اقْتِتَالٌ فِي الشَارعِ لمُدَّةِ ثلَاثَةِ أيَّام، ثُمَّ أُلقِيَ القَبْضُ على رئيْسِ المُشرَّدِيْن وهوَ رجلٌ يُعرَفُ باسْمِ ميشيل إل بازو (مايك المجنون)، فعَامَلَهُ الجِنِرَالُ الفَرَنسِيُّ باحْتِرَامٍ كَبيْرٍ وكتَبَ فِي تَقرِيْرِهَ: "إنَّ المُشرَّديْنَ رِجَالٌ مُذهِلون، إنَّهُم أبْطَالٌ بِحَق".

عنْدمَا تمَّت الإطَاحَةُ بالجُمهوريَّة النابوليَّة بعْدَ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ، حقَّقَ المُشَرَّدوْنَ انتِقَامًا مُثِيْرًا للذُهوْل، فقَد ذُبِحَ كلُّ رجُلٍ لَه شَعْرٌ قَصِيْرٌ فِي الشَارِع، أمَّا النِسَاء اللَّواتِي تعَاطَفْن َمعَ "اليَعَاقِبَة"، حتَّى بِشَيءٍ بسِيْطٍ مِن المَالِ، فقد تمَّ اغتِصَابُهُنَّ وقَتْلُهنَّ علنًا، وأُحْرِقَت "أشْجَارُ حُريَّة الجُمهوريَّة وأُلقِيَ العَديْدُ مِن الجُمهوريِّين وهُم نِصْفَ أحيَاءٍ إلى أَلسِنَةِ اللَّهب، وسُمِعَ المُشرَّدوْنَ وهُم يتفَاخَروْنَ بتنَاوُلهِم لحُوْمَ أعْدَائهِم مَشْوِيًّا.

------------

\*اليعاقبة: أو جمعية أصدقاء الدستور، بعد عام 1792 أعيدت تسميته بجمعية اليعاقبة، أصدقاء الحرية والمساواة ويعرف غالبا باسم نادي اليعاقبة، كان النادي السياسي الأكثر نفوذا خلال الثورة الفرنسية. وكانت نشأته على أيدي النواب المعادين للملكية، نمى النادي إلى حركة جمهورية على الصعيد الوطني، تقدر عضويتها بحوالي نصف مليون أو أكثر. (166)

**-10-**

**تورينو عَام 1846**

**------------------**

**تَحْيَا إيطَاليَا!**

**نَخْبُ لورينزو فاليريو**

يُقَالُ فِي أَغْلَبِ الأحْيَانِ عَن مَدِيْنَةِ "تورينو" إنَّها مَرْسَمُ إيطَاليَا- إل سالوتو دي إيتاليا، حَيْثُ تتوَضَّعُ قُصورُها ذَاتُ المَلَامِحِ المُتنَاسِقَةِ وِفْقَ شبَكَةٍ حَصِيْفَةٍ مِن الخُطوْطِ المُستَقيْمَةِ المُنتظَمَة، وتتَّسِمُ أَرْوِقَةُ أَعْمِدَتِهَا وسَاحَاتِهَا بالعَظَمَةِ الرَصِيْنَة، وربَّما يَنْتَابُكَ شعوْرٌ فِي المنَاطقِ المُخصَّصَةِ للمُشَاةِ بسَاحَةِ كاستيللو؛ بأنَّك دَخيْلٌ على المكَانِ لكَونِكَ تَرتَدِي أَحذِيًة عِوَضًا عَن النِعَال، وإذَا قُمْنَا بالمُقارنَةِ فقَد تَبْدو المدُنُ الإيطَاليَّة الأُخْرَى إمَّا مُبهْرجًة أَو غيْرَ مُرتَّبة، فتَظْهَرُ "نابولي" وكأنَّها تَنتَمِي للجُزْءِ الآخَرِ مِن العَالَم.

تُعْتَبَرُ "تورينو" أيْضًا أوَّلَ عَاصِمَةٍ للبِلَاد، وعَاصِمَة "الريزورغيمنتو" الوطَنيَّة السِياسِيَّة والثقَافيَّة التِي بلغَت أَوْجَ ذَروَتِهَا خِلَالَ الاتِّحَاِد الإيطَالِي. في السَابعِ عشَر مِن شَهْرِ مارس عَامَ 1861، أَصْدرَ كُلٌ مِن مَجْلِسَي البَرلمَان قَانونًا شَهِيْرًا يتَألَّفُ مِن سَطْرٍ وَاحِد: "يَحْمِلُ المَلِكُ فيكور إيمانويل الثاني لقَبَ مَلِكِ إيطَاليَا لنَفْسِه ووَرَثَتِه". وبمُوجِبِ هذَا القَانوْن أصْبحَت إيطَاليا دوْلًة مُوحَّدًة لأَوَّلِ مرَّةٍ فِي التَاريْخ، وتمَّ اخْتِيَارُ "تورينو" كعَاصِمَةٍ لهَا، وبَاتَ "فيكتور إيمانويل" ابْنُ أُسْرَةِ "سافوي" العَرِيْقَة، هَوَ المَلِكُ الوَرِيْث.

حتَّى قَبْلَ بِضْعَةِ أعْوَامٍ فقَط، لَم يَكُن أحَدٌ ليتَوَقَّع مثْلَ هذهِ النَتِيْجَةَ مُطْلقًا. فِي الحَقيْقَة، إنَّ القِصَّة العَسكَريَّة والدِبلومَاسِيَّة للوَحْدَةِ الإيْطَاليَّة مألوْفًة للغَايَة حتَّى أنَّهُ يَصْعُبُ ببَعْضِ الأَحْيَانِ تذَكُّرُ مِقْدَارَ المُفاجَأَةِ بِذَلِكَ الوَقْت. 167 في عَام 1858، قامَ رئيْسُ وزرَاءِ مَملَكةِ بيدمونت-سردينيا "الكونت كافور" بعَقدِ صَفْقَةٍ ليحْظَى بالدَعمِ الفرَنسِي في حَربِه الهَادِفَةِ لطَرْدِ النَمْسَا خَارِجَ أرَاضيْهِ بشمَالِ إيطاليا. وبعَام 1859، وفي أعقَابِ معْرَكَتَي ماجينتا وسولفيرينو الدَاميتَيْنِ بشَكلٍ مُرَوِّعٍ، انْسحَبَت الجيوْشُ النمسَاويَّة شرْقًا مِن "ميلَان"، لتسمَحَ لمَملكَةِ لومباردي بالانضِمَام إلى مَملَكةِ بيدمونت، ومعَ تقَهْقُر النِمسَاويين سُرعَان مَا أَلحقَت الثَورَاتُ في أَقْصَى الجَنوْبِ مدُنًا مثْلَ فلورنسا، بارما، ومودينا وبولونيا؛ بمَملكَةِ "فيكتور إيمانويل". أمَّا المرحَلَةُ التاليَةُ مِن الوَحدَةِ الإيطاليَّة فهِيَ الأكثَرُ إثارًة للدَهشَة على الإطْلَاق: فَفِي مايو عَام 1860 رَسَا "جوزيبي غاريبالدي" عنْدَ شوَاطِئ "مارسالَا"، في أقْصَى غرْبِ "صَقَليَة" معَ قوَّةٍ تَطَوعيَّةٍ مكوَّنَةٍ مِن 1088 رَجُلٍ وامرَأَة، وبعْدَ أقَلَّ مِن ستَّةِ أشْهُرٍ على القِتَال، التَقَى "غاريبالدي" بـ"فيكتور مانويل" عنْدَ "تيانو" إلى الشَمَال مِن "نابولي"، ومنَحَهُ السِيَادةَ على مَا كانَ في وقْتٍ مَضَى مَملَكًة لمَلِك المُشَرَّدين. لقَد خاضَ المؤَرِّخونَ جِدَالَاتٍ طَويْلَةٍ حوْلَ مَا جعَلَ هَذهِ التطَوُّرَاتِ البَارِزَة مُمْكِنَة، ولعَلَّ السبَبَ الأسَاسِيَّ الأكثَرَ أَهميًّة هوَ انتِشَارُ فِكرَةٍ جَديْدَة: وهِيَ أَن تَصْطَبِغَ "إيطاليا" بطَابِعِ المَفهوْمِ السِيَاسِي وليْسَ الجُغرَافِي أو الثَقَافِي فقَط، وأَن تَغْدوَ الوطَنَ الكَبيْرَ، مَوْطِنَ الحُريَّة وليْسَ الاستِبدَاد، ووجُوْبُ خضُوعِهَا "لوِلَادَةٍ جَديْدَة" أو "انْبِعَاثٍ جَديْد" بعْدَ قروْنٍ مِن الانقِسَامِ والخِزْي. وقَد رَافَقَ هَذِهِ الفِكرَةَ أيْضًا ظهُوْر شَغَفٍ شَديْدٍ بالرُموْزِ والطُقوْسِ الوطَنيَّة، والشَبَابُ المُثقَّفُ مِن المُدُنِ هُم غالبًا أوَّلَ مَن اسْتَشَفَّ ذَلِك. وباسْمِ إيطاليا، أقَامُوا الحِدَادَ عنْدَ قبوْرِ الشُعرَاءِ الذيْنَ قَضَوا نَحْبهُم منْذُ أمَدٍ بَعِيْد، وأَقْسَموا اليَميْنَ بالدَم، وتبَادَلوا المُصَافحَات السِريَّة، ولوَّحُوا مُهدِّديْنَ بخَنَاجِر التَآمُر. لقَد ألهَمَت هَذهِ الوَطنيَّة الرومَانسيَّة بعْضًا مِن الشبَابِ الإيطَاليِّ بالقِيَامِ باسْتِعرَاضٍ انتحَارِيٍّ تقريْبًا، مثْلَ الأَخَويْن بانديرا، "أتيليو" و"إميليو" اللذَيْنِ حاوَلَا بِبَسَالَةٍ إشْعالَ نَار ثورَةٍ إيطاليَّةٍ ضِدَّ سُلَالةِ "آل بوربون" المَلكيَّة في إقليْمِ "كالَابريا" البعيْدِ، ولَكِن سُرعَانَ مَا تمَّت خيَانتَهُم، فأُلقِيَ القَبْضُ عَليهِمَا وأُردِيَا بالرَصَاص. إنَّ مثْلَ هَذهِ المَآثِر قَد أصبَحَت رُموْزًا وطنِيًّة بِحَدِّ ذَاتِهَا، إنَّهَا أفعَالٌ استشْهَاديَّةٌ وطَنيَّة.

بيْدَ أنَّهُ خِلَالَ الوقْتِ الذي أُعدِمَ فيْهِ الأخَوَان بانديرا، أصبَحَت الفكرَةُ المثاليَّةُ للوطَنِ الكَبيْرِ الإيطَالي تُلَاقِي احْتِرَامًا أكْبَر، حتَّى إنَّ بعْضًا مِن رجَالَاتِ السُلطَة والمَنزِلَة الاجتمَاعيَّة والمُمتلكَات بدَأوْوا يترَاصَفوْنَ معَ قَضِيَّةِ الوِلَادَة الجَديْدَة. وبفِعْلهِم هذَا، امتَدَّ الشَغَفُ بالرموْزِ الوَطنيَّة لأبعَدِ مِن ذَلِك: فتحَرَّكت قلوْبُ الإيطَاليِّين بأُوبِّرا الوَطَن الكَبِير، ودَمعَت أعيُنهُم قبَالَة اللَّوحَات الوطنيَّة، فبَاتَت هُناكَ كتُبٌ تاريخِيَّةٌ وطنيَّة وحتَّى إحْصَاءَاتٌ وطنيَّة، وربَّما أصْبَح ارتدَاءُ الملَابسِ التي تَحْمِلُ ألوَانَ العَلَمِ الإيطَاليِّ الثلَاثَةِ إشارًة إلى تَحَدِّي أَعدَاءِ الوَطَن الكَبيْر، كَشَأْنِ تَشذيْبِ اللِّحيَة والشَارِب في روما البَابويَّة أَو رفْضِ التَدخينِ في "ميلَان" التِي تُسيطِر عليْهَا النمسا؛ حيْثُ كانَت حكوْمَةُ "فيينا" تَحتَكِر التَبغ. ومَعَ الولَادةِ الجَديدةِ لإيطَاليَا، بدَا انَّ كلَّ شَيءٍ يُمكِن أَن يَنبِضَ بالحيَاةِ معَ الشعوْرِ الإيطَاليِّ باسْتِثنَاءِ الطَعَام.

------------

\*جوزيبي غاريبالدي: ولد في مدينة نيس في 4 يوليو 1807، كان والده صائدا للسمك، وبالرغم من من صغر سنه، فقد هيأ لابنه تعليما طيبا، ولعل هدفه من ذلك كان إعداده للانخراط في سلك رجال الدين. ولكن جوزيبي غاريبالدي صمم على اختيار حياة البحر، ونجح فعلا في عمله كبحار تجاري.

\*سردينيا: هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط. وهي إقليم ذاتي الحكم في إيطاليا، ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية.

\*معركة سولفرينو: معركة وقعت في 24 يونيو 1859 ونتج عنها انتصار الجيش الفرنسي بقيادة نابليون الثالث المتحالف مع جيش سردينيا بقيادة فيكتور إيمانويل الثاني على الجيش النمساوي بقيادة الإمبراطور فرانز جوزيف الأول وتعد هذه المعركة من أكبر المعارك منذ معركة ليبزيج عام 1813 حيث شارك فيها أكثر من 200,000 جندي.

168 كثيْرًا مَا يُقَالُ في أيَّامِنَا هَذِه إنَّ الطعَامَ وكُرَةَ القدَمِ هُمَا الشَيئَانِ الوَحيدَانِ اللَّذانِ يَبْعثَان الفَخْرَ الوطَنيَّ لدَى الإيطاليِّين، وجَميعُنَا نتَّفِقُ على أنَّ أسلوْبَ الطَهْيِ يُعَدُّ أمْرًا جَوهَريًّا بالنسبَةِ للهويَّة الإيطَاليَّة، ومعَ ذلِكَ فخِلَالَ الوِلَادَة الجَديْدَة، أَي الفَترةَ التي شَهِدَت انْبِعَاث الأُمَّة الإيطَاليَّة، كانَ الغِيَابُ شِبْهَ التَامِّ للفَخرِ الوطَنيِّ على المَائِدة أمْرًا لَافِتًا.

لقَد شاركَت أَصْنَافٌ مُختلِفَةٌ مِن النَاس بتلْكَ الولَادَة، مثْلَ الكُتَّاب، والجِنرَالَات، المَنفيُّينَ خارجَ البلَاد والجَوَاسِيس، المُلوْك والمُتآمرِيْن، المِثَاليّين ورِجَالَات الدَوْلَة، حَيْثُ ملَأَت أفكَارهُم ومآثِرُهُم على مدَى جِيلَين أعدَادًا لَا حَصْرَ لهَا مِن الصَفَحَات المُصفَرَّة في المَكتبَات والسِجِلَّات الإيطَاليَّة. ومعَ ذَلِك، بالكَاد أيٌّ مِن هَذهِ الأفكَار والأعْمَال قَد أَوْلَى عِنَايًة بالطَعاَم.

خُذ على سَبيْلِ المِثَال "فينسنزو جيوبيرتي"، وهوَ عَالِمُ لَاهوتٍ غَريْبِ الأطوَارِ من "تورينو"، والذِي أَّلف كتابًا مؤثِّرًا للغَايَة عن السبَبِ الكَامِنِ ورَاء عظمَةِ إيطاليا، حيْثُ يُخبرنَا كتَابُ "التفَوُّق الأَخْلَاقِي والمَدَنِي للإيطَاليِّين" عَامَ 1843 أَنَّ إيطاليا هيَ "المُبتَكِرَة، الحَافِظَة، المُخلِّصَة" للحَضَارة الأُوروبيَّة، وأنَّ الإيطَاليِّين هُم الأفضَلُ في اللَّاهوت والفَلسفَة، والعِلمِ التَجريْبِي، النظريَّةِ السِياسيَّة، التَاريْخ، الأَدَب، الفَن، الموسِيَقا واللُّغَة. إيطاليا هيَ أكثَرُ الدُوَلِ عَالميًّة وأُمَمِيَّة، لأنَّها تعكِسُ تنَوُّعَ أوروبا عبْرَ تنَوُّعِ أقَاليْمِهَا المُختلِفَة، ولِمئَاتٍ منَ الصَفَحَات المُحْبِطَة، مجَّد "جيوبرتي" فضَائِلَ إيطاليا والإيطَاليِّين، لكنَّه لَم يَأتِ ولَو لمرَّةٍ وَاحِدَةٍ على ذِكْرِ الطعَام.

أَو أنَّ "جوزيبي مازيني" فكَّر مليًّا بـ"المُتَنَبِّئ" الاتِّحَاد الإيطَالي مِن مديْنَةِ "جَنَوَة"، لقَد أمْضَى مُعظَم حيَاتهِ في المَنْفَى وهو يُحيْكُ المؤَامرَات لأجْلِ إيطاليا جَديْدَة؛ لَكن لَم يَبْدُ أنَّه قَد شَعَر بالحَنيْنِ إلى الأطبَاقِ الإيطاليَّة أو حتَّى الليغورِيَّة، فكُلُّ مَا نعرفَهُ عَن مشَاعرهِ للطعَام مِن نِتَاجهِ الهَائِل للرسَائلِ وأورَاقِ الدِعاَية السِياسيَّة؛ لمَحَبَّتِهِ الشَديْدَة للشوكولَا، ولأنَّه أرسَلَ لأُمِّه ذاتَ مرَّةٍ وصفًة لكَعكَةِ اللَّوز- والتِي تعلَّمهَا مِن فتَاةٍ سويسريَّةٍ تتحَدَّثُ الفرَنسيَّة، حَيْثُ يقوْلُ مُوضِّحًا: "أنَا لسْتُ خبيْرًا بالطَهْي".

أمَّا "غوزيبي غاريبالدي" والذِي يُمثِّلُ تجسيْدًا للوَطنيَّة الرومَانسيَّة، فقَد كانَ بطلًا إيطاليًّا آخَر، تدوْرُ في ذِهنِهِ أموْرٌ أَسْمَى مِن الطعَام، ولعَلَّ الطبَقَ الوحيْدَ الذِي يُحيِي ذِكْرَى الروْحِ البُطوليَّة للقَائِد العَظيْم، هوَ بِسكويْت غاريبالدي، وهو عِبارَة عَن شَطيْرَة رَقيْقَة مِن المُعجَّنَات القَصِيرَة والزَبيْب المَفروْم والذِي لَا يُمكِن إلَّا أَن يُعتبَر إيْطاليًّا.

---------- \*ليغوريا: أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالي يقع في شمال غرب البلاد مطلا على البحرالليغوري جنوبا ويحده شمالا إقليم بييمونتي وشرقا إقليمي إميليا رومانيا وتوسكانا. عاصمته جنوا سكانه يبلغون حوالي 1.609.013 نسمة ومساحته 5.410 كيلومتر مربع مقسم إلى أربع مقاطعات.

169 لقَد تمَّ ابتِكارَها بمَصنَعٍ في "برموندزي" جنوْبَ "لندن" عَامَ 1861، وقامَت الشَرِكَة المُصَنِّعة "بيك فرين" بإطلَاقِ اسْمِ "غاريبالدي" عليْهَا للاستفَادَةِ مِن شُهرَةِ القَائِد.

باخْتِصَار، خلَالَ الولَادَة الجَديْدة، فشِلَ الوطَنُ الكَبيْرُ الإيطَاليُّ وحِسُّ الذَوقِ الإيطَالِي بالانْصِهَارِ ببَوتقَةٍ وَاحِدَة، فذَلِك الشغَفُ بالرموْزِ الوطنيَّةِ لَم يتنَاغَم معَ الجوْعِ الذِي مثَّل إيطَاليا.

على أَيِّ حَال، فقَد تقارَبَت الولَادَةُ الإيطاليَّة وتاريْخُ الطعَامِ الإيطَالي لبُرهَةٍ وَجِيزة—أثْناءَ شُرْبِ نَخْبٍ مَا. وجَبَ علَيْنَا الاعْتِرَاف بأنَّها لَم تكُن لحظًة مُثيرًة على نَحْوٍ خَاص، وليسَت قِصَّةً عَن التَضحِيَة بالنَفْس والجُرأَة بحيْثُ تُصنَّفُ بمَنزِلَةِ حَمْلَة الأخَويَن بانديرا إلى "كالَابريا" عَام 1844، أو مَع دِفَاع "غاريبالدي" عَن الجُمهوْريَّة الرومَانيَّة عَام 1849، فالنَخْبُ لَم يَخْلِق أسطوْرًة وطنيَّة، ولَكِنَّهُ مِن بيْنِ الحوَادثِ القليْلَةِ في فَترَةِ الوِلَادةِ الجَديْدة التِي وُجِدَت فيْهَا لَائِحَةُ طعَامٍ بالفِعْل، والذِي يُعْلمُنا بِكَمٍّ مُثيْرٍ للدَهْشَةِ عَن تاريْخِ الطعَامِ الإيطَالي، وعَن المكَانَة الجَوهَريَّةِ لمَديْنَة "تورينو" فِيْه.

فِي الثَانِي عشَر مِن سِبتَمبَر عَام 1849، وخلَالَ المَأدُبة الخِتاميَّة لمؤتمَر الرَابِطَة الزراعيَّة لسُفوحِ جِبَال الأَلب، وقعَ على عَاتقِ الوَزيْرِ "لورينزو فاليرو" اقترَاحَ نَخْب.

نهَضَ "فاليرو" عَن كُرسيِّه عنْدَ الطَاولة الرئيسيَّة، بمَلَامحهِ الصَارِمَة ورقَبَتهِ القَصيْرَةِ للغَاية وكَتفيْهِ العَريضَين المُستَديرَيْن، مُوجِّهًا نظَرَه إلى القَاعَة. لقَد حقَّق المُؤتمَرُ نجَاحًا مُنقَطعِ النَظِير، فإلى جَانبِ مُناقشَةِ القضَايَا المُعتَادة، مثْلَ المَزَارعِ النموذجيَّة والتأميْنِ على المَاشِية والدَورَة الزرَاعيَّة؛ قامَ الأعضَاءُ بزيَارَةٍ رَائِعة إلى بعْضِ مصَانعِ الحَريْر في مَدينَة "فيدجيغانو"\* القَريْبَة، فتلَاءمَ كلُّ ذَلِك على نحْوٍ جَيِّدٍ معَ نُسخَةِ "فاليريو" عَن الوطَنيَّة: فقَد كَانَ هدَفَه نَشرُ رسَالَةِ الولَادةَ الجَديْدَةِ عبْرَ الأعمَالِ الخيريَّة، التَعليْم، والمَشوْرَة العَمَليَّة، وبَكلمَاتٍ أُخرَى إقَامَةُ رَابطٍ بيْنَ مِثاليَّات الوَطَنِ الكَبيْر والتَطَوُّر، فحتَّى شَرَانِقُ الحَريْرِ وصنَاديْقُ المُساعدَات المُشتركَة قَد تَشتَمِل على وَعْدٍ بالأُمَّة القَادِمَة.

بوِسْعِ "فاليريو" أَن يشعُرَ بالفَخْرِ بمكَانِ اللِّقَاء أيْضًا، فمَقَرُّ الرَابِطَة الزِرَاعيَّة لسُفوْحِ جِبَالِ الأَلبِ هوَ في "تورينو" ولَكِن بدَلًا مِن اسْتِضَافة الحَدَثِ في عَاصِمَة إقليْمِ "بيدمونت"، أحْضَر "فاليريو" الأَعضَاء إلى "مورتارا"؛ وهِي بلدَةٌ صَغيْرَةٌ قريْبَةٌ مِن حدوْدِ "بيدمونت" معَ "لومباردي"، المنطِقَةُ التِي كانَت حِينَذَاكَ تحْتَ سَيطَرَةِ الإمْبراطورِيَّة النَمسَاويَّة، ومِن بيْنِ الوجوْهِ الأَربعمِئَة التِي بوِسْعِ "فاليريو" رؤيَتَهَا تمتَدُّ للأمَامِ على نَحْوٍ مُتوَقَّعٍ باتِّجَاهِهِ، هُناكَ الَعديْدُ مِن170 المُزَارعيْنَ ومُلَّاكِ الأَرَاضِي اللومبارديِّين، فرَفَعَ كَأسَهُ واقتَرَحَ نخْبًا يَعْلَمُ بدَاخِل نَفْسِهِ أنَّه سيكوْنُ مُثيرًا للجَدَل على نحَوٍ كَبيْر:

" لأَشِقَّائِنَا مِن لومباردي، لعلَّ تَوَافُقَ المصَالحِ الزرَاعيَّة هذَا يكوْنُ مُبشِّرًا باتِّحَادٍ ذي أَهَميَّةٍ أكبَر بكَثِير، آمُل أَن ينضَمَّ الجَميْعُ سويًّة لاحتِسَاءِ الشَرَاب لأَجل إيطاليا.

---------- \*فيدجيفانو: مدينة في شمال إيطاليا في مقاطعة بافيا ضمن إقليم لومبارديا، تمتلك عددًا كبيرًا من الكنوز الفنية، وتجرى بها أعمال صناعية ضخمة ، عدد سكانها 59.964 نسمة. فلتَحْيَا إيطاليا!".

\*لومباردِيا: هي إقليم من بين الأقليم العشرين التي تتكون منها إيطاليا، ويقع في شمال البلاد، يحده شمالا سويسرا وشرقا إقليمي ترينتينو ألتو أديجي وفينيتو، وجنوبا إقليم إميليا رومانيا، وغربا إقليم بييمونتي.عاصمته مدينة ميلان.

تحْيَا إيطَاليا! ردَّدتْهَا مئَاتُ الأصوَات مِن قَاعَةِ الاجْتِمَاع، بيْدَ أَنَّ الأَشْخَاصَ البَارزيْنَ الذيْنَ يَجلِسونَ معَ الوَزيرِ أَظهَروا ارتِباكًا صَامتًا. نهَضَ رئيْسُ الجَمعيَّة الأَرُستُقرَاطِي الذِي شَحَبَ وَجْههُ مِن الخَوْف، في ختَام المَأدُبة فِي الحَال وغادَر القَاعَة، فتُرك "فاليريو" لوَحدِه على الطَاولةِ الرئيسيَّة، مُستغرِقًا بالتَفكيْرِ بفِعلهِ التَحريْضِي الوَطَنِي.

تسَابقَت الشَائِعاتُ لِمَا حدَثَ في "مورتارا" نَحْوَ "تورينو"، إلى أَرْوِقَةِ سَاحَة "سان كارلو"، والمقَاهِي والنوَادِي، حتَّى قِيْلَ إنَّ "فاليريو" أشَاد بالمَلكِ كقَائدٍ سيَدحَرُ الأجَانِب مِن إيطاليا. لَم تَمْضِ بِضعَةُ أَشهُرٍ فقَط حتَّى قامَ المَلك باستنْكَارِ الرَابِطَة الزِرَاعيَّة لسُفوْحِ جبَالِ الأَلبِ بوَصْفِهَا " وَكْرًا للثَوريِّين" وتمَّ استِدعَاء "فاليريو" ليَمْثُلَ أَمَامَ العَرْش. لَم يُسمَح للرَابِطَة بموَاصلَة عمَلهَا إلَّا معَ أحَد النُبلَاء المُخلصِين كرَئيسٍ لهَا، وذلِك لضمَان ألَّا يُقالَ شَيءٌ مُحَرِّضٌ وسْطَ كُلِّ الحَديْثِ الزِرَاعِي—مثْلَ نَخْبِ "فاليريو". وحوْلَ طَاولَاتِ لَعبِ الورَق، وفي المقَاهِي المُكتظَّة بسَاحة "سان كارلو" و"ماديرا"، أخذَ قادَة الرَأيِ العَام يُراقبوْنَ لمَعرفَة رَدِّ فِعْلِ السُلُطَات.

لَم يَحدُث أيَّ شَيء، ومرَّ تَحريْضُ "فاليريو" دوْنَ عِقَاب، وذَلِك فِي إشَارَةٍ لَا لبْسَ فيْهَا بتزَايُد التعَاطُف المَلَكي معَ حركَةِ الوِلَادَة الجَديْدَة، وخلَالَ ثمانِيَةَ عشَر شَهْرًا بعْدَ هَذهِ الحَادِثة، قَادَ مَلِك "بيدمونت" جيْشًا لمُحاربَة النِمسَاويِّين، لقَد بدَأت معرَكَةُ الاستقلَالِ الإيطَاليِّ بشَكْلٍ جَدِّي.

لقَد مثَّل نخْبُ "لورينزو فاليريو" نُقطَة تحَوُّلٍ صَغيرَةٍ في قصَّةِ الوَحدَة الإيطاليَّة وهو مَا يَعكِسُ تغيِيرًا لَافتًا بالجَو فِي "تورينو"، حيْثُ سيَتِمُّ إعلَانُ الاتِّحَادِ الإيطَاليِّ بشَكْلٍ رَسْمِي، وبمُجَرَّد أَن باتَت عاصِمًة لأَكثَر الدُوَل الإيطَاليَّة قَمْعًا، فُرِضَت رقَابَةٌ صَارمَةٌ على المَطبوعَاتِ بشَكْلٍ عَبَثِي، وحتَّى سَنَةَ 1844، أَي قبْلَ عامَيْنِ على 171 مأدُبَة الرَابِطَةِ الزراعيَّةِ لسُفوحِ جِبَال الأَلب، لم يُسمَح للصحُفِ بطِباعَةِ كلمَاتٍ مثْلَ إيطاليا، باتريا، نازيُّون—"إيطاليا"، "أرضُ الأجدَاد"، "الأُمَّة". ولذَلِك فكَلمَةُ تحْيَا إيطَاليا لـ"فاليرو" كَانَت أكثَر جُرأًة ممَّا تَبْدو. في الوَاقِع، لم يتِمَّ استثنَاءُ وصَفَات الطعَامِ مِن شَطْبِ قَلَم مُرَاقِب المَطبوْعَات، فَفِي عَام 1843 حاولَ رئيْسُ الطُهَاة لدَى سَفيْرِ بريطانيا نشْرَ مجَلَّةٍ علميَّةٍ محليَّةٍ تُدعَى "رفيْقُ العائِلَات"، والتِي تمَّ حظرُهَا لكَونِهَا تُقدِّم المَشوْرَة للخَدَم (أَي "العائِلَات" بلُغَة اليَوْم) الأَمْر الذِي قَد يُقَوِّض سُلطةَ أَسيَادهِم.

سُرعَانَ مَا تغيَّرَت الأموْرُ قُرابَة وقْتِ نَخْبِ "فاليريو". ومُؤَشِّرٌ آخَر على هذََا التَغيِِير هوَ منشوْرَ لَائحَةِ طعَامِ مأدُبَة الرَابطَةِ الزِرَاعيَّة لسفوْحِ جِبَالِ الألْبِ التِي أُقيمَت في "مورتارا" ونُشِرَت في "تورينو". في الحَقيقَة إنَّ مَن قامَ بنَشرِهَا هو طَاهِي ذلك اليَوْم في "مورتارا"، وهوَ نَفسهُ رئيْسُ طُهَاةِ السَفيْرِ البريطَانِي الذي اعتُبِرَت وصَفاَتهُ في "رَفيْقُ العائِلاَت" قبْلَ ثلَاثِ سنوَاتٍ هدَّامَةً للغَايَة، لقَد ظهَر كتَابهُ "طهْيٌ صحِيٌّ و اقتِصَادِيٌّ ورَاقِي" في أَربَعة مُجلَّدات مِن 150 صَفْحَة، مُجَلَّدٌ وَاحِدٌ لكُلِّ فَصْلٍ مِن العَام، وجاءَت مُقدِّمَة أُولَى الكتُبِ في السِلسِلَة "الشِتَاء" لَافِتَة للنظَر: فلَم تَبْدُ أقَلَّ مِن كوْنِهَا بيَانًا رسمِيًّا لفَنِّ تذَوُّقِ الطعَام وَطَهْيِهِ في الولَادَةِ الجَديْدَة، فقد دُعيَت إيطاليا بالأَرضِ "المُفضَّلة مِن السَمَاء"، فلَا مكَانَ آخَرَ يُضَاهِي "فَاكِهَتَها وخُضرَواتهَا اللَّذيْذَة، وزيوْتهَا النَقيَّة، ومُنتَجَاتِ ألباَنهَا، وأَفضَل الدوَاجِن، أو لحوْمِ الجِزَارةَ الأَكثَر عُصَاريَّة—نَاهيْكَ عَن لحُوْمِ طرَائدِهَا الكثيْرَة الرَائِعَة، وكُلٍّ مِن أَسْمَاكِ سمك بِحَارهَا وميَاهِهَا العَذْبةَ، "كلُّ مَا تَفتَقِرُ إليْهِ إيطاليا هو مطَابخُ ومخَازِنُ كَبيْرَة، حيْثُ يمكِنُ للطُهَاةِ أَن يُتقِنوا الطَهْيِ مِن خِلَالِ التَجرُبَةِ والمُحافظَةِ على ذَلِك عبْرَ التدَرُّب على الطُرُقِ الصَحيْحَةِ لإعدَادِ الأطبَاقِ ودَمْجِ المُكوِّنات".

يشتَمِل "الخَريْف" وهوَ آخِرُ الأقسَامِ الأربعَة مِن "طَهْيٍ صِحيٍّ واقتِصَاديٍّ ورَاقٍ" على لَائِحَة الطعَام لمَأدُبة الرَابِطَة الزِرَاعيَّة، والتِي وُضِعَت بكُلِّ فَخْرٍ على رَأْسِ قَائِمَةٍ مِن الوجبَاتِ المُعَدَّة للمُنَاسبَات الخَاصَّة. أَيْنَ بالإمكَانِ إيْجَادُ فرصَةٍ أَفضَل مِن هكَذَا حَدَثٍ وطَنيٍّ مُنظَّم لعَرْضِ ملذَّات الطَعَام الإيطَالي؟ فبَعْدَ كُلِّ شَيءٍ لقَد أنْتَجَ أعضَاءُ الرَابِطَة الزِرَاعيَّة لسفوْحِ جبَالِ الأَلبِ بالفِعْلِ"خضروَاتٍ وفَاكِهَةً لذِيْذَة" و"لحْمَ جِزَارَةٍ عُصَارِيًا"، وهوَ مَا جعَلَ مِن إيطاليَا الأَرْضَ "المُفضَّلَة مِن السَمَاء". هُنَا، مَا تنَاوَلَه "لورينزو فاليريو" وزُملَاؤه في حِينِهَا:

**قَائِمَةُ الطَعَام**

عشَاءٌ خَفِيْفٌ مُقدَّمٌ في اجْتِمَاعِ أربَعَمِئَةِ شَخْصٍ مِن الرَابِطَة الزِرَاعيَّة في "مورتارا": 172

1. حسَاءُ الفُستُق الحَلَبي الكْرِيمِي.
2. مُكعَّبات الخُضَار الصَغْيرَة للغَايَة مع خُلَاصَة كَبدِ الحُوْت.
3. أطبَاقُ المُقبِّلَات، الزُبْدَة، سمَكُ الأُنشوْفَة، المُخلَّلَات، الزَيتوْن، البَيْض والتُوْنَا.
4. خبْزٌ مقلِيٌّ مصنوْعٌ مِن دَقيْقِ الأَرُز، كَعكَة الخُضروَات، فطَائِر صغيْرَة منفوْخَة، محَّار مُحمَّر، شَرْحَات سمَك الفَرْخ النَهْرِي.
5. الأسمَاكُ البحريَّةُ الكبيْرَةُ الهولندِيَّة، كسَمَكِ التِرْس، الذِئْب،...الخ.
6. شرَائِح سمَك موسَى، معَ الفِطر الأَبيَض، وصَلصَة حَريْفَة.
7. سَمَك السَلموْن المُرقَّط معَ صَلصَة الفينانسيريه\*.
8. هَريْس سَمَك التوْنَة معَ هُلَام الأسْمَاك.
9. فَطيْرَة المُعجَّنات معَ الفِطر ونَبيْذِ ماديرا.
10. البَيْض المَائِع معَ الكَمَأَة.
11. شَرائِح اللَّحْم المشوِيَّة.

وهكذَا، مروْرًا بـ "مُوْس الشُوكولَا" و"رَقَائِق الجُبْن الحُلو". لَم تَقْتَصِر مَائِدَةُ الطعَامِ فقَط على كَونِ لُغَتِهَا فرَنسِيَّة، فهَيكَلُها فَرَنسِي: مَعَ الشُوربَة كطَبقٍ ابْتدَائِي والمُقبِّلَات، وصَلصَاتِهَا السَاحِرَة فرَنسيَّة، مثْلَ الصَلصَة الهولنديَّة، وصَلصَة الفينانسيريه، كذَلِك أيْضًا هيَ وصفَاتهَا الكلَاسِيكيَّة، مثْلَ الفطَائرِ المَنفوْخَة الصَغيْرَة، والمحَّار المُحمَّر في الفُرْن، وكِيكَة الميل فاي\*. يَبْدو أنَّ "السَلطَة البَاريسيَّة" قَد صُمِّمَت للسُخريَة مِن "الإيمالَاتا الإيطَاليَّة" التِي أعَدَّهَا كِبَارُ كُتَّابِ الطَهْي في عَصْرِ النَهْضَة، ومِن بيْنِ مكوِّناتِهَا الدَجَاج، لَحْم الخِنزيْر، اللِّسَان المُملَّح، البَيْض المَسلوْق، صِغَار السَمَك، والقرِيْدِس، ومَزيْجُ توَابِلٍ كَثيْفٌ يَحتَوي على الثُوْم، سمَك الأُنشوْفَة، المَريميَّة، الفُلفُل الحَريْف، نَبيْذٌ أَبيَض، عَسَل، بَقدوْنِس، وزَيْتِ الزَيتوْن.

وعلى الرَغْمِ مِن أنَّ أعضَاء جمعيَّة فاليريو يشربوْنَ نخْبَ حُريَّةِ بلَادهِم مِن الهَيمنَةِ الأجنبيَّة بصَخَبٍ عَالٍ، إلَّا أنَّ الطعَام على مائِدَتهِم يؤكِّدَ تمَامًا مَا لَا يخْتَلِفُ عليْهِ اثْنَان أنَّ المطبَخ الإيطَالي خاضِعٌ لجَارهِ الذي يقَعُ وراءَ جِبَال الأَلب، ولعَلَّ "لورنزو فاليريو" قَد صاحَ: "فلتَحيَا إيطاليَا!". لكنَّ قائمَة الطعَام تَصْدَحُ قائِلةً: "فلتَحيَا فرنسا!".

مِن المؤَكَّدِ أنَّ مُبتَكِرَ قائِمَة الطعَام "فرانسوا شابوسوت" الذي وُلِدَ إلى الغَرْبِ مِن "ديجون" عَام 1799، لَم يَكُن ليتَحدَّى الفَلسَفة الفرنسيَّة التَقليْدِيَّة، بِرَغْمِ المُلَاحظَة المُتفَائِلة التِي أثارَهَا في مُقدِّمة كتَابهِ "طهْيٌ صِحيٌّ واقتصَاديٌّ ورَاقٍ" عَن الطعَامِ الإيطَالي؛ غَيْرَ أنَّ التَأثيْرَات الفرنسيَّة قَد برَزَت 173 خلَالَ كُلِّ صفحَةٍ أُخرَى في كتَابِه.

------------

\*كيكة الميل فاي: تعرف أيضًا باسم نابليون أو نابوليتين، حلوى فرنسية تتكون من ثلاث طبقات من العجينة المنتفخة، متناوبة مع طبقتين من الكاسترد، لكن في بعض الأحيان تستبدل بالقشدة المخفوقة أو المربى.

\*صلصة الفينانسيريه: طبق جانبي مكون من أعراف وكُلى الديكة، وكرات لحم الدجاج المتبلسة، بنكرياس الحمل، الفطر والزيتون والكمأة.

في الحَقيْقَة، وبرَغْمِ "البيَان" الافِتتَاحِي المَذكوْر في الأَعلى قَد يَبْدو بَادِئَ الأَمْرِ أشبَه بندَاءٍ لولَادَةٍ جديْدَةٍ في المَطَابخِ الإيطاليَّة؛ ولَكِن عنْدَ التَمحيْصِ بهِ نَجِدْهُ أكثرَ شَبهًا ببرنَامجٍ لتحويْلِ إيطاليا إلى مُستعمرَةٍ فرنسيَّةٍ لفَنِّ تذوُّقِ الطعَام وطَهْيِه. وكمَا كتَبَ، فإنَّ كُتبَ الطَهْيِ الإيطاليَّة "لَا تُمثِّل شَيئًا أكثَر مِن كوْنِهَا خَليْطَاً عَسيرَ الهَضمِ من وصَفَات الطعَام التِي غالبًا مَا تكوْنُ رديْئةً وبشَكْلٍ دَائِمٍ تقريْبًا دُهنيَّة، ومذَاقُهَا الطَاغِي، وتنَاولهَا يُسبِّب الغثَيَان". إنَّ ازدِرَاء "شابوسوت" يَحْمِلُ صدَى مُعتقدَاتِ السُيَّاح النُبلَاء في القَرْنِ السَابِق بأَنَّ إيطاليا كانَت خِصبًة بشَكلٍ طَبيعِيٍّ، لكِنَّ الإيطاليِّين الجُهَلَاء لَم يَعرِفوا كيفِيَّةَ الاسْتِفَادَةَ ممَّا جَادَتْ بِهِ الطَبيْعَة علَيْهِم.

لقَد كانَ تفوُّقُ فنِّ الطَهيِ الفرنسيِّ في أيَّامِ "شابوسوت" حَقيْقًة مُسلَّمًا بهَا، فتَأثيْرُ المأكوْلَاتُ الفرَنسيَّةُ على الطعَامِ العَصريِّ الرَاقِي لَايزَالُ عميْقًا جِدًّا حتَّى إنَّ المرْءَ سيدخُلُ في صِرَاعٍ عنْدَ كتَابَةِ تاريْخِه، دوْنَ اللُّجوْءِ إلى كلمَاتٍ فرنسِيَّةٍ مثْلَ أُسلوْبِ الطَهْيِ وفَنِّ تذَوُّقِ وطَهْي الطعَام (لَم أُحَاوِل حتَّى فِعلَ ذلِك دوْنَ اسْتِخدَامِ هَذهِ الكَلِمَات بهَذا العَرْضِ للطعَامِ الإيطَالي عبْرَ العُصوْر)، فَجُذوْرهُ مُمْتَدَّةٌ قبْلَ مِئتَي عَامٍ مِن نخْبِ "لورينزو فاليريو".

**مُتقنٌ فِي باريس**

إنَّ أسلوْبَ الطَهْيِ الفرَنسِيِّ المُعَاصِر الذي تطوَّر على طوْلِ المسَار التَاريخِي قَد هُزِمَ مِن قِبَلِ عدَدٍ مِن كتُبِ الوصَفَاتِ الرَئيسيَّة، ابتِدَاًء مِن كِتَاب "أسلوبُ الطهْيِ الفَرنْسِي" لـ"فرانسوا دي لافارين" عَامَ 1651، والذِي يُمكِنُ لأُسلوْبِ الطَهْيِ الفرَنسيِّ الرَاقِي أَن يَنسِب إليْهِ بعْضًا مِن ملَامحِه الرَئيسيَّة، مثْلَ السوَائِل المُكثَّفة التِي جرَى إعدَادَها مِن العُصاَرات المُركَّزة للَّحْمِ المَطْهِي، أو مزيْجِ الدُهنِ والطَحِين المُسْتَخدَمِ كَمُسَمِّكٍ، أمَّا كتَابُ "أسلوْبُ الطَهيِ المُحَافظ" لـ"فرانسوا ماسيالوت" الذِي نُشِرَ عَام 1691، فيُبيِّن أنَّ الصَلصَات الغَنيَّة التي أسَاسهَا الدُهْن وخاصًّة الزُبدَة كانَت تَحِلُّ محَلَّ المذَاقَات الحُلوَة الحَامِضَة وهيَ جزْءٌ لَا يتجَزَّأ مِن الطَهْيِ الأُوروبِّي منْذُ فترَةِ العصوْرِ الوسْطَى—في الحَقيقَة منْذُ روما القَديمَة. وأخيْرًا لمَ يَعُد استخَدامُ عصيْرِ الحُصْرُم مرغوْبًا، وكذَلِك البَهَارَات. إنَّ كُتبًا مِن قَبيْلِ "أُسلوْب الطَهْي العَصْري" لـ"فينسينت لَا شابيل" عَام1733، و كتَاب "هَدايَا الاحتفَالَات وملذَّات المَائِدَة" لـ"فرانسوا مارين" أَحرزَت المزيْدَ مِن التقَدُّم، فقَد حَظِيَت المذَاقَات الطَبيعِيَّة الطازَجَة بتَقديْرٍ كَبِير، وتمَّ الاحتِفَاظ بالمذَاقَات الحُلوَة إلى نهَايَة الوَجْبَة، بيْنمَا دَافعَت الوَصَفاتُ المُتقنَةُ الشَهيَّةُ بأنَّ اللُّحْومَ المَشويَّةَ والمَسلوْقةَ بصُوْرَةٍ بسيْطَةٍ تُشَكِّلُ أكثَرَ اللَّحظَات المُعتبرَةِ خِلَالَ تَجرُبة تنَاولِ الطعَام، فـ"مارين" بذَاتهِ قامَ بتَلخيْصِ مَعَايِير جَديْدٍ للمذَاق:

----------

\*فرانسوا ماسيالوت: طاهٍ فرنسي خدم كرئيس الطهاة لمختلف الشخصيات اللامعة، بما في ذلك فيليب الأول ودوق أورليانز وشقيق لويس الرابع عشر وابنه فيليب الثاني ديوك لأورليان، الكاردينال ديستريس، وماركيز دي لوفوا.

\*فرانسوا بيير دي لا فارين : بورغوندي المولد، مؤلف كتاب أسلوب الطهي الفرنسي، أحد أكثر كتب الطبخ نفوذاً في المطبخ الفرنسي الحديث المبكر. انفصل لا فارين عن التقاليد الإيطالية التي أحدثت ثورة في فن الطبخ الفرنسي في العصور الوسطى وعصر النهضة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر.

\*فنسنت لا شابيل: كان طاهياً فرنسياً لفيليب دورمر ستانهوب، إيرل تشيسترفيلد الرابع، وليام الرابع، أمير أورانج، إلى جون الخامس ملك البرتغال ثم للسيدة دي بومبادور، عشيقة لويس الخامس عشر الفرنسية.

174 "إنَّ أُسلوْبَ الطَهْيِ العَصْرِيِّ هو نوْعٌ مِن الكيمْيَاء، إِذ يتَوَقَّفُ عِلْمُ الطَهْيِ على فَصْلِ المذَاقَات ثمَّ امتصَاصِها وتقَطيْرِ جوهَرِهَا، ويَتَضَمَّنُ استِخْلَاصَ كُلٍّ مِن عُصارَاتِهَا المُغذَّيَة والخَفيْفَة، وخَلطَهَا بعْدَ ذَلِكَ ومَزْجَهَا معًا بطَريقَةٍ لَا تَطْغَى فيْهَا أيُّ نَكهَةٍ ليُصبِحَ بالإمْكَانِ الإحْسَاسُ بِهَا جَميْعًا".

لقَد وصَفَ أحَدُ مؤرِّخي الطعَام الفرَنسِي هَذهِ التغيُّرَاتِ بأنَّها تَحوُّلٌ بطريْقَةِ إعدَادِ الخلَائطِ مِن أُسلوْبِ طَهْيِ العُصوْرِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة، إلى أسلوْبِ طَهْيٍ جَديْدٍ يعتَمِدُ على التَشرُّب—إنَّ الوصْفَ بحَدِّ ذاتهِ يُعَدُّ تكثيْفًا فرنِسيًّا بشَكلٍ مُنَاسِب.

ولكنَّ الأكثرَ أهميًّة مِن الأموْرِ المُحدثَةِ المُذهِلَةِ في فَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ وطَهيِه و التِي تضمَّنتْها كتبُ الطَهْيِ هَذهِ؛ حَقيْقَة أنَّها شكَّلَت تقَاليْدَ مُبتَكرةً مُدرِكةً لذَاتِهَا، ففِي أَوَاخِر عَام 1730 بدَأ نِقَاشٌ مُثِيْرٌ للحَيْرَةِ إلَّا أنَّهُ مُفعَمٌ بالحَيويَّة حَوْلَ أُسلوْبِ الطَهْيِ الجَديْد في "باريس"، فلُوحِظَ إجمَاعٌ بَسيْطٌ حوْلَ ماهيَّةِ أسلوْبِ الطَهْيِ هذَا، أو فِي الحَقيْقَة ما كانَ جَديْدًا بشَكلٍ خَاصٍّ فيْه، وبذلِكَ المَعْنى تولَّد عَن الجِدَال وِفْقًا لتَعبيْرٍ إيَطالِي، لكنَّ هذَا النِزَاعَ أشَدُّ أهميًّة مِن الاستنْتاجَات؛ لأنَّه نَاجِمٌ عَن أكثَرِ مَوجَةٍ حَديْثَةٍ مِنَ الطُهَاة الذيْنَ ادَّعَوا أنَّ جَميْعَ زُملَائهِم السَابقِين مُبتَذليْن وقَد عَفَا عَليْهِم الزَمَن، حتَّى إنَّ تَنَاوُلَ أطبَاقَهُم أَمْرٌ مُحْرِجٌ جِدًّا. بمَعْنًى آخَر، بدَأ الطعَامُ بالانتِقَال إلى إيقَاعَاتِ المَوضَة الُمتسَارِعَة، ولَم يتَوقَّف عَن فِعْلِ هذَا منْذُ ذلِكَ الحِيْن، لقَد بدأَت مَنظُومَةُ مَوْضَةِ الطَهْيِ الفَرنسيَّة بتَوليْدِ ابتِكَارٍ مُستَمِرٍّ—أو دِعَايَةٍ مُتوَاصِلَةٍ تَصِفُ المَدَى الذِي بدَى فِيْهِ خلَّاقًا للغَايَة، ولَكِن في الوَقْتِ عَيْنِه، ومِن دَاخِل النِزَاع التنَافُسِي، تشكَّلَت مجموْعَةٌ من الأَطبَاقِ الكلَاسِيْكيَّة، ابْتدًاء مِن لَحْمِ البَقَر المَطْهِي فِي القِدْرِ إلى صَلصَة البَشَامِيل.

وخِلَافًا لِإيطَاليا، فقَد امتلَكَت فرنسا مَرْكزًا وَحْيدًا في القَرنيْنِ السَابعِ عشَر والثَامِن عشَر، انْتَشَرَت المذَاقَات مِن خِلَالهِ إلى سَائِرِ أنْحَاء البِلَاد، إنَّه البِلَاطُ المَلَكِي في "باريس"، وهكَذا هَيمنَت العَاصِمَة على أُسلوْبِ الطَهْيِ الفرَنْسِي، الذِي أصْبحَ بشَكْلٍ مُتزَايدٍ مَدعَاًة للفَخْرِ الفَرَنْسِي. بالمُقَابِل، باتَ الطعَامُ الإيْطَاليُّ نِتَاجًا للعَديْدِ مِن المدُن، والفَخْرُ النَاجِمُ عنْهُ محَليٌّ أكثَرَ مِن كوْنهِ وطَنِيًا. علَاوًة على ذَلِك، ففِي الوَقْتِ الذِي أَصْبَحَ فيْهِ الطُهَاةُ الفرَنْسيُّونَ مُسلَّحيْنَ بمُصطَلحَاتٍ موَحَّدَةٍ—صَلصَة، مُقبِّلَات، حَسَاء—فإنَّ نُظرَاءَهُم الإيطاليّين يتَحدَّثونَ مَجموْعًة متَنوِّعًة مِن لهَجَات الطعَام الهَجِيْنة. لقَد قدَّمَت فرنسا الدِكتَاتوريَّة نموْذجًا سِياسيًّا للمَالِك في جميْعِ أنحَاءِ أوروبا، بينَما كلُّ مَا استَطَاعَت إيطَاليَا عرَضَهُ كانَ مِثالًا على الانْحِطَاطِ السِيَاسِي، ففِي أيِّ مُنافسَةٍ على المكَانةِ بيْنَ حضَارتَي الطعَام، لَا يوْجَدُ سِوَى مُنتَصِرٍ وَاحدٍ مُحتَمل. 175 ومنْذُ أوَاخرِ القَرْنِ السَابعِ عشَر، تمَّ استيْرَادُ كتُبِ الوَصَفَات الفَرنسِيَّة العَظيْمَة، سوَاًء أكانَت باللُّغَةِ الأصليَّة أو المُترجمَة؛ إلى إيطَاليَا بأَعدَادٍ أَكبَر مِن أيِّ وقْتٍ مضَى، ليُخْمِدَ غَزْوُ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيهِ القَادمُ عبْرَ جِبَالِ الأَلبِ، التَقليْدَ المَحَليَّ للكِتابَةِ عَن الطعَامِ تقريْبًا، ولَم يكتُب أَيُّ إيطاليٍّ بعْدَ سنَةِ 1694 شَيئًا هَامًا عَن الطعَام لثلَاثَةِ أَربَاعِ القَرْن.

لَم يُكْسَر هذَا الصَمْتُ إلَّا عامَ 1766 بكتَابِ "إتقَانُ الطَهْيِ البِيدمونْتِي فيِ باريس" والذِي نُشِرَ باسْمٍ مَجهوْلٍ في "تورينو"، ولَاقَى نجَاحًا مُنقَطِعَ النَظِير في مكَانٍ آخَرَ بإيطاليا. "فالطَهْيُ البِيدمونْتِي" وكمَا يُشِيْر العُنْوَان، هوَ عبَارَة عَن مَجموْعَة وصَفَات مُرتَبِطَة بالذَوْق الفَرَنسِي، في الحَقيقَة إنَّه أَشَدُّ ارتِبَاطًا ممَّا سنَبُوْحُ بِه؛ فالعُنوَانُ المُناسِبُ أكثَر سيَكوْن: "الطهْيُ البِيدمونتِي الذِي قَامَ بشَكلٍ مُباشَرٍ بنَسْخِ الأَغلبيَّة السَاحِقَة من وصفَاتهِ مِن كتَابِ الوَصَفَات الأكثَر مبيْعًا فِي باريس"، بَعيْدًا عَن إدْرَاج عَدَدٍ قليْلٍ مِن أَطبَاقِ المَعكروْنَة، وبَعْضِ المكوِّنَات المَحليَّة مثْلَ الكمَأَة وجُبْنَة أوستا\*؛ فإنَّ الكِتَابَ ليْسَ أكثَر مِن مُجرَّد ترجَمَةٍ لـ"أُسلوْب الطَهْي البُرجوَازي" لـ"مينون"، والذِي نُشِرَ لِأَوَّلِ مرَّةٍ عَامَ 1746 في مَسْعًى لتَعْمِيم نُسخَةٍ مُبسَّطَةٍ مِن المَطبَخِ البَاريْسِي المُتطَوِّر.

بيْدَ أنَّ ترجمَةَ مُصطلحَاتِ الطعَامِ الفرَنسيَّة الأَنيْقَة إلى الإيطَاليَّة ليْسَت بالمُهِمَّة السَهْلَة، وكثيْرًا مَا قامَ الطَاهِي "البيدمونتي" بإفسَادِها، فلَقَد أَصْبحَت الكوليس (الصَلصَة المُكثَّفة) تُدعَى سوغو—وهيَ كلمَةٌ شامِلَةٌ للصَلصَة، وكذَلِك Sauce a la provengale باتَت salsa alia provincial، وهذَا يعْنِي أنَّ الصَلصَة المَعنيَّة، بدلًا مِن كَوْنِ أُصولهَا تعوْدُ لإقليْمِ بروفَانس، أصْبحَت ريفِيَّة ببسَاطَة. " تمامًا! لَابُدَّ أنَّ ابتسَامةً سَاخِرةً قَد صَدرَت مِن أولَئِك المُحنَّكيْنَ في العَاصِمَة باريس" . غالبًا مَا تَبْدو المُصطلحَات الفرنسيَّة مَنيْعةً للغايَة بحيْثُ أنَّ التَرجَمَة تَغدُو عَقِيمَة. إنَّ الكلمَةَ الإيطاليَّة المُقابِلَة لـ غراتَان هِي ذَاتهَا...غراتَان\*، ولَكِن حتَّى العَمليَّة البَسيْطَة لنَسْخِ المُفردَات الفَرنْسيَّة قَد تَخْفَقُ أحْيانًا، وفي بَعْضِ الأَوقَات تُنسَخ كلمَةُ سوفليه\* بالخَطَأ إلى سوفليت، التِي تَعْنِي شيْئًا مُختلفًا تمَامًا، وهكذَا فإنَّ كَعكَة السوفليه بالشُوكولَا البَاريسيَّة الخَفيفَة الرَائِعَة تُصبِح بالمُقَابِل "صَفْعَةُ شوكولَا" فِي "تورينو". لعَلَّ الطَاهِي البيدمونتي قَد أَتْقَنَ طَهْيَهُ أثْنَاءَ وجوْدِهِ في "باريس"، ولكنَّه عَجِزَ عَن اتْقَان اللُّغَة الفَرنسيَّة.

على الرَغْم مِن الأخطَاء المُضحِكَة في التَرجمَة، فقَد أصْبحَت "تورينو" في القَرْنِ الثَامِن عشَر، القنَاةَ الرئيسيَّة التِي قَامَت مِن خِلَالهَا أَفكَارُ الطَهْيِ الفَرنسيَّة باخْتِرَاقِ شِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة بأَكمَلِها، فَفِي القَرنَيْن الثَامِن عشَر والتَاسِع عشَر، وظَّفَ النُبلَاء في جَنوْبِ إيطَالَيا و"صَقَلية" طُهاةً فرَنسييِّن ليَطهو لَهُم طعَامَهم، لقَد تدرَّبَ العَديْدُ من طُهَاة "بيدمونت" المُحتَرفيْن فِي فرنسا، حَيْثُ بَاتُوا أَكثَرَ المَرغوْبِ بِهِم للاضْطِلَاعِ بهَذا الدَوْر فِي شمَالِ ووَسَط إيطاليا—لقَد كَانوا ثَانِي أَفْضَل خِيَارٍ بَعْدَ الطَاهِي الفَرَنْسِي الأَصْلِي.

إنَّ سبَبَ اضْطِلَاعِ عَاصِمَةِ إقليْمِ "بيدمونت" بمِثْلِ هكذَا دَوْر ليْسَ بأمرٍ عَسِيْرِ الفَهْم، فَفِي يَوْمٍ مُنَاسبٍ بوِسْعِكَ رؤْيَةُ بَريْقِ قِمَمِ جِبَالِ الأَلْبِ بوضوْحٍ عنْدَ أَقْصَى شوَارعِ المَديْنَة، 176

------------- \*أوستا: مدينة في أقصى شمال غرب إيطاليا وعاصمة إقليم فالي دا أوستا، تقع في وادي أوستا في الألب الإيطالي، عدد سكانها 34.672 نسمة. تبعد 110 كم شمال غرب مدينة تورينو. و تقع بالقرب من المدخل الإيطالي لنفق مونتي بيانكو، عند التقاء نهري بوتير ودورا بالتيا.

\*غراتان: أي يرش بفتات الخبز أو الجبن المبشور أو كليهما ،ويحمر ،ومن أشهر الأطباق غراتان البطاطا.

\*السوفليه: هي كعكة خفيفة مكونة من صفار البيض وبياضه مخفوقين مع مكونات أخرى مختلفة، وتقدم كطبق رئيسي أو كحلوى. وكلمة سوفليه والتي تعني "ينفخ" أو أكثر حرية في الانتفاخ، وهو وصف مناسب لما يحدث لهذا المزيج المكون من خليط محلبي مع بياض البيض.

تَبْعُدُ "تورينو" خَمسيْنَ ميْلًا فقَط عَن فرنسا الوَاقِعَةِ ورَاءَ الجِبَال؛ أَي في أقرَبِ نُقطَةٍ نحْوَ الغَرْب إلى فرنسا ومَنْبَعِ نهْرِ "بو" في جِبَال الأَلْب،كانَ هذَا هوَ الاتِّجَاهُ الذي قابَلَتْهُ "تورينو" لِمُعْظَمِ تاريْخِهَا، عِوضًا عَن الشَرْقِ صَوْبَ مجْرَى نهْرِ "بو" وإيطاليا. إنَّ عائِلةَ "سافوي"، تلْكَ السُلَالَةُ الإقطَاعيَّةُ التِي ارتبَطَت ثَروتَها بـ"تورينو" منْذُ القَرْنِ الثاَنِي عَشَر، قَد حَكَمَت إقليْمًا امتَدَّ بشَكْلٍ تَقليدِيٍّ على جَانِبَي جِبَالِ الأَلْب ليَتَضمَّنَ مديْنةَ "جرويير" و"جنيف" و"شامبيري"\*. ولِعِدَّةِ قروْنٍ، ومعَ تغَيُّر ثروَاتِ الحَرْب والدُبلومَاسيَّة، تمَّ تبَادُل أَجزَاءَ مِن "سافوي" جيْئًة وذهَابًا بيْنَ "تورينو" و"باريس".

لَم تُحَطِّم الثورَةُ الفَرنسيَّةُ عَام 1789 التَقليْدَ المُهيْمِنَ لـ"باريس" على الإبْدَاع بفَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه، فشَهِدَت هَذهِ الفَترَة ظهوْرَ المَطعَم الذِي عَجَّل مِن وَتيْرَة المَوْضَة عَبْرَ تَحريْرِ عَدَدٍ مِن الطُهَاة مِن القُيوْدِ التِي فَرضَهَا أَسيَادُهُم الأرُسْتقرَاطيِّون، فوصَلَ التَقديْسُ الفرَنسِيُّ المُميَّزُ لتَكثيْفِ الصَلصَات واسْتِحصَال الخُلَاصَات إلى أَقْصَى حُدوْدِه: إِذِ اعْتَادوا على التَضحِيَة بطَائرَيْنِ أو ثلَاثَةٍ مِن طيوْرِ الدرَّاجِ لتَوفيْرِ كميَّةٍ قليْلَةٍ مِن الصَلصَة، واسْتمرَّت سِلسِلَةُ الطُهَاةِ المُحتَرفيْن العِظَام معَ صَانِعِ الحَلوَى الذِي قلَّ نَظيْرَهُ "أنتوني كاريم".

فِي أعقَابِ الثوْرَةِ الفَرنْسيَّة غيَّرَت الثقَافَةُ السِياسيَّةُ الفرنسيَّةُ بُنيَة إيطاليَا بشَكْلٍ أعْمَق ممَّا أثَّرت بأُسلوْبِ طَهيِهَا، وتارًة أُخْرَى باتَت "بيدمونت" هيَ المنْطقَةُ الأكثَر تقَبُّلًا لِهَذَا التَأثيْر الجَديْد—حتَّى إنَّ "نابليون" ضمَّها إلى فرنسا عَام 1802، ومعَ الإخْضَاعِ الفَرَنسيِّ لهَا بفَترَةِ مَا بَعْدَ الثَوْرَة، حَدثَت سِلسِلَةٌ كامِلةٌ مِن التَغيِيرَات التِي بدَّلَت وَجْهَ "تورينو" إلى الأَفْضَل. مِن بَيْنِ المدُنِ الإيْطَاليَّة الأُخْرَى ظَهَرَت بِيروقرَاطيَّة جَديْدَة، مدَارِس ابتدائيَّة، تَجنيْد إلزَامِي، استخْدَام النِظَام المِترِي بالقِيَاس، تَحريْر اليَهوْد، تَرقِيم الشَوارِع. علَاوةً على ذَلِك، وكحَالِ ذَوْقِ إيطاليا فِي الطَعَامِ العَصْرِي، فإنَّ ذَوْقهَا الحَدِيْث للرموْزِ الوَطنيَّةِ كانَ أيْضًا سِلعًة مُستوردًة فرنسيَّة: أشْجَارُ الحُريَّة وقُبَّعاتُ الحُريَّة، أعلَامٌ وأنَاشيْدٌ وطنيَّة. وبعبَارَةٍ أُخرَى لقَد أُنْجِبَت النَشأةُ الإيطاليَّةُ الجَديْدَة في "باريس"، قامَ الإيطاليُّوْنَ بتَقليْدِ الفرنْسيِّينَ أيْضًا بإقامَةِ مَآدُبٍ وَطَنِيَّةٍ أتَاحَت للموَاطنِيْنَ تنَاولَ الطعَامِ سَويّةً بجَوٍّ وِدِّي، ومعَ ذَلِك فالوثَائِقُ التِي تبَقَّت مِن هَذهِ المُناسبَات العَظيْمَة تُؤكِّد أنَّ الطعَامَ لَم يَخْبُ فِي ظِلِّ هذَا الوَهْجِ مِنَ الفَخْرِ الوَطَنِي، ولَم يَبْدُ أنَّ أَحدًا في إيطَاليا القرْنِ التَاسِع عشَر مُهتمٌّ بجَعْلِ تنَاولِ الوَطنيّين للمَأكوْلَات يرْمزُ لإيطاليَا أَم لَا، وهكذَا فإنَّ مأدُبَةَ "لورينزو فاليريو" عَام 1846 هيَ177 إحْدَى العَديْدِ مِن المُناسَبات التِي لَم تَقُم فيْهَا قَضِيَّة الولَادَة الجَديْدَة باحْتِضَانِ أُسلوْبِ الطَهْيِ الإيطَاليِّ بشَكْلٍ وَاضِح.

------------- \*جرويير: مدينة في حي جرويير في كانتون فريبورغ في سويسرا. تعتبر المدينة التي تعود إلى القرون الوسطى موقعًا سياحيًا مهمًا في الوادي الأعلى لنهر ساين، تقع البلدة التي تعود إلى القرون الوسطى على قمة تل يبلغ ارتفاعه 82 مترًا ويطل على وادي ساين وبحيرة غرويير.

\*ماري-أنتوني كاريم: خبير في فنون الطهي وعلم من أعلام أسلوب الهي الراقي. يعتبر كاريم من أوائل مشاهير الطهاة عالميا.

بعْدَ أَن وصلَت الولَادَة الجَديْدةَ إلى خَاتِمَتِها المُفاجِئَة، بإعْلَان قِيَامِ مملَكَة إيطَاليَا في "تورينو"، بَقِيَت الصُوْرَة الخَاصَّة بفَنِّ تذَوُّق الطعَامِ دوْنَ تَغيِيْر. توَاصَل التأثيْرُ الفرَنسِيُّ على المَطبَخِ البيدمونتي، ومطبَخِ النُخبَة الإيطَالِي ليُصبِح قويًّا، وكانَ الكُونْت "كافور" مُهندِس العِلَاقَات الدُبلومَاسيَّة للدَولةِ الإيطَاليَّةِ الجَديْدَة، رجُلًا نَهِمًا بِشَكْلٍ رَهِيْب، حتَّى إنَّ عِدَّة أَطبَاقٍ قَد سُمِّيَت لَاحِقًا باسْمِه تكريْمًا لَه، بيْدَ أنَّه أَرْسَل رَئيْسَ طُهَاتهِ ليَتلقَّى تَدريْبَه فِي فرنسا.

يُوَفِّر دليْلُ "تورينو" الذِي نُشِرَ عَام 1869 للسُيَّاح الإيطاليِّين نَظْرًة رَائِعةً لثقَافَةِ فَنِّ تذَوُّقِ المَأكوْلَاتِ المَحَليَّةِ وطَهْيِهَا، فقَد خصَّصَ مِسَاحةً صَغيْرًة لعَادَاتِ تنَاولِ الطعَامِ فِي المديْنَة، مُنَوِّهًا إلى بِضْعِ تخَصُّصَاتٍ محَليَّةٍ يَبْدو أنَّها لَا تُعتبَر أَساسًا لِأُسلوْبِ الطعَامِ التُورينِي المُميَّز مثْلَ: الغروسيني، أَي أَصَابِعِ الخُبْزِ التِي أَصْبَحَت تُعَدُّ إلى حَدٍّ كَبيْرٍ جُزْءًا مِن ترتِيْبَات الطَاوِلَة في المطَاعمِ الإيطَاليَّة حوْلَ العَالَم حَالُهَا كحَالِ الشَوْكَة والسِكِّين، وأيْضًا الأغنولوتي وهيَ فطَائِر الرَافيوْلِي باللَّحْم البيدمونتيَّة المثَاليَّة والتِي جَرَى عَامَ 1869 "تَحْضِيرهَا ببَرَاعَةٍ فنيَّةٍ مَلَكيَّة"، ومعَ ذلِك فقَد خَلُصَ الدَليْلُ بشَكْلٍ لَا يقْبَلُ الجَدَل إلى "أنَّ المطبَخَ التوريني يَحْظَى بسُمعَةٍ جيِّدة بيْنَ ذوَّاقَة الطعَام. لَا يُمْكِنُ عَدُّه أَصِيْلًا، لكنَّهُ نتيْجَة درَاسَةٍ مُتعَمِّقَةٍ أَجرَاهَا طُهَاةٌ مِن سُفوْحِ جِبَال الأَلْب، وقَد قامَ البَعْضُ مِنْهُم أَمْثَالَ شابوسوت وفيالَاردي بنَشْرِ مقَالَات". لقَد سبَقَ أَنْ عَرَفْنَا "شابوسوت" مِن مَأدُبةِ الجَمعيَّة الزِرَاعيَّة لسُفوْحِ جِبَالِ الأَلب، أمَّا "جيوفاني فيالَاردي" فقَد كانَ رئيْسَ الطُهَاةِ للمَلكِ "فيكتور إيمانويل"—وهوَ المَلِكُ الذِي كانَ يشْعرُ برَاحَةٍ أكبَر عنْدَ تحدُّثهِ سوَاًء باللُّغَةِ البيدمونية أو الفَرنْسيَّة، مِن لُغَةِ البلَدِ التِي يَحْكمُهَا. لقَد تأثَّر "فيالَاردي" إلى حَدٍّ كَبيْرٍ بفَنِّ الطَهْيِ الفَرَنْسِي كحَالِ "شابوسوت". فِي الوَاقِع، لقَد بَقِيَت عَادَاتُ تنَاولِ الطعَامِ لدَى الأُسرَةِ الملَكيَّة الِإيطَاليَّة؛ تمتَازُ بأنَّها فرَنسيَّةٌ بشَكلٍ مَلحوْظٍ طِوَالِ القرْنِ التَاسعِ عشَر، وسيَتطَلَّبُ الأمْرُ مُروْرَ أربَعيْنَ عامًا بعْدَ الاتِّحَاد، لتُكتَب قوَائِمُ طعَامِ مُناسبَاتِ البِلَاطِ المَلَكِي باللُّغَةِ الإيطَاليَّة.

وبحُلوْلِ ذَلِك الوَقْت، ظهَر ابتِكَارٌ فرَنسِيٌّ آخَرٌ أعَادَ هيْكلَة الكَيفيَّة التِي تتنَاوَلُ بهَا الطبقَةُ الثريَّةُ طعَامهَا في إيطَاليا، وذلِكَ عبْرَ إعَادَةِ ترتيْبِ النِظَامِ الذِي كانَ الطَعَامُ يُقدَّمُ وِفْقَه: إِذ جَرَى خِلَالَ الفَتْرَةِ المُمْتَدَّةِ مِنْ مُنتصَفِ القرْنِ التاسِع عشَر حتَّى نِهَايَتِهِ إلغَاءَ عادَةِ العُصوْرِ الوسْطَى المُتمثِّلة بمِلءِ المَائِدَةِ بعَدَدٍ كبيْرٍ مِن الأطبَاق المُتعَدِّدة المُتنَاقِضَة، واسْتِبدَالهَا بمَا يُسمَّى خِدمَة آلَا روسي، أو "الخِدمَة الروسيَّة" وهيَ عبارَة عَن وجبَاتٍ مُنفَصِلَةٍ بأَطبَاقٍ إفرَاديَّة يتِمُّ إحضَارهَا بشَكْلٍ شَخصِيٍّ لجَمِيْعِ الجَالسِيْنَ أمَامَ مائِدَة العشَاء. لقَد كانَ تَتَالِي الوجبَاتِ في خِدمَةِ آلَا روسي يَستغْرِقُ وقْتًا أطوَل بكثيْرٍ فِي التدرُّجِ مِن المُقبِّلَات إلى التَحلِيَة بأيَّامِنَا هَذِه، لكنَّ المبْدَأ هو ذَاتَه دوْنَ شَك. 178 وهكذَا فقَائِمَةُ الطعَام [المِينُو] الإيطاليَّة (مُصطلَحٌ ثَانٍ تمَّ إحْضَارَه مِن الجَانبِ الآخَرِ لجِبَال الأَلْب) تُمَثِّلُ شَهادًة إضافيًّة على قوَّةِ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ الفرَنْسِيِّ وطَهْيِه.

لَايزَال إرْثُ حِقبَةِ التفَوُّق الفرَنسِيِّ الطويْلَة فِي المَطبَخ مَعَنَا بأيَّامنا هَذِه؛ فالطعَامُ الإيطَاليُّ لَن يَحْمِلَ طَابِعَهُ الإيطَاليُّ دوْنَ الفَرنْسيِّين، ومِن المَفهوْمِ بمَا يَكفِي أَنَّ تأثيْرَ سُفوْحِ جبَاِل الأَلبِ هوَ الأَقْوَى فِي "بيدمونت" و"تورينو"، كمَا يتَجلَّى بطَبَقِ قِطَعِ اللَّحْمِ المُحمَّرةِ الرَائِعَة بهَذهِ المَنطِقَة وكذَلِك طبَق الفوندوتا ( ابْنُ عَمِّ طبَقِ الفوندو\* الفَرَنسِي-السْوِيسرِي) وطبَق الراتاتويا\*، وحتَّى دجَاجُ المارينغو، وهوَ طبَقُ دجَاجٍ يُحَمَّرُ بالزَيْتِ ثمَّ يُطهَى بِبُطءٍ معَ الطمَاطِم، الثُوْم، والنَبِيْذ الأَبْيَض ويُقدَّم معَ البَيْضِ المَقلِي وجَرَادِ البَحْر، فيَبْدو أنَّ هَذهِ الوَصْفَة قَد تمَّ ارتِجَالهَا عَامَ 1800 مِن قِبَلِ الضَابِطِ المُسَاعِدِ الأوَّل لـ"نابليون" قبْلَ مَعركَةِ مارينغو (التِي حدثَت فِي بيدمونت).

غيْرَ أنَّ تاريْخَ الطعَامِ الإيطَاليِّ في القرنَينِ الثَامنِ عشَر والتَاسِع عشَر لَا يتعَلَّق بأَكمَلهِ بالانْتِصَار الفَرَنْسِي، وحتَّى فِي أَوْجِ الهَيمنَةِ الفرنسيَّة في المَطبَخ، بَقِيِت قِيْمَةُ المُنتَجِ والتَخَصُّصَاتِ المَحَليَّةِ وتطوَّرت فِي جَميْعِ أنْحَاءِ المنَاطقِ المُقسَّمةِ بشِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة. لقَد قدَّم "فينتشنزو كورادو" الطَاهِي الفَرَنْسِي و"رَئيْسُ خَدَمَات الفَم" لمَلِك نابولي، مِثالًا جيِّدًا عَن أَساليْبِ الطَهْيِ المَحليَّة والتِي تطوَّرَت ببُطءٍ في إيطاليا خلَالَ أوَاخِر القرْنِ الثَامنِ عشَر وبدَاياَتِ القرْنِ التَاسعِ عشَر معَ تلَاشِي قُدسيَّةِ التوَابِل. لقَد كانَت هويًّة محَليًّة أكثَر مِن كوْنِهَا وطنيَّة تلْكَ التِي أَوجدَت المُصْطَلَحَات فِي الطعَامِ الإيْطَالي. فَفِي "نابولي"، يَعْنِي ذَلِك الأسمَاكَ مِن الخَليْج، والجُبْنَ واللَّحم والخُضروَات مِن المَمْلكَة—والمَعكروْنَة بالطَبع. امتَدَّ الفَخْرُ النَابولِيُّ بالمَعكروْنَةِ والأَطعِمَة المَحليَّة الأُخرَى إلى الشوَارِع، فخِلَالَ كَرنفَال عَام 1768، وعنْدمَا أقَامَت نقابَاتُ حِرَفِيي المَديْنة مَوكِبهَا التَقلِيدِي قبْلَ نهْبِ أَرْضِ الوَفْرَة؛ قامَ صَانِعو المَعكروْنَة بتَوزيْعِ مَنشوْرَاتٍ تُهيْنُ الأثرَياءَ لتَبنِّيهمِ عادَاتِ الأَكْلِ الفرنسيَّة، فشُعلَةُ الوطنيَّة المَدنيَّة على المَائِدَة لَم يَتِمَّ إخْمادَها بَعْد.

بعْدَ الاتِّحَاد عَام 1861، أصْبَح تاريْخُ الطعَامِ الإيطَاليِّ يُمثِّل قصَّةَ علَاقَةٍ بيْنَ هَذهِ الثقَافَات الغِذائيَّة المَحليَّة البَاعِثَة على الفَخْر، وبيْنَ حُلُمِ جَمْعِ كُلِّ تقَاليْدِ إيطاليا العَديْدَة على مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ لإنْشَاء أُسلوْبِ طَهْيٍ وطَنِيٍّ يُنَافِسُ المَطبخَ الفَرَنسِي، وتَحْقِيقُ الحُلُم لَن يَكوْنَ بالأَمْرِ السَهْلِ بكُلِّ تَأكِيْد، فإعادَةُ حِوَارِ فَنِّ تذوُّقِ الطعَام وطَهيِهِ بيْنَ المدُن 179 مُهِمَّةٌ صعْبةٌ إلى حَدٍّ مَا؛ بسبَبِ

---------- \*الفوندو: طبق سويسري وإيطالي وفرنسي معد من الجبن المذاب يقدم في قدر صغير للجميع، يوضع على موقد صغير أو شمعة صغيرة كي تحافظ على قوامه السائل. و يؤكل باستخدام شوكة طويلة بنهايتها خبز لتغميسها في الجبن المذاب.

\*الراتاتويا: طبق خضروات يتكون من البصل، الباذنجان، الطماطم، والفليفلة، تقلى بالزيت وتطهى وتقدم باردة ببعض الأحيان.

\*معركة مارنجو: معركة حربية وقعت بين فرنسا والنمسا في عام 1800م وانتصرت في هذه المعركة الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت مما أجبر النمسا على توقيع معاهدة لونفيل في عام 1801م وكانت النتائج استيلاء فرنسا على كل الحدود الواقعة بينها وبين نهر الراين وانسحاب النمسا من إيطاليا نهائياً.

ضَعْفِ الاتِّصالَات داخِلَ المَملَكةِ الجَديْدَة؛ فعِنْدَ قِيَامِ الاتِّحَاد، بدَا جنوْبُ إيطاليا بأَكمَلهِ يفتَقِرُ للسِكَكِ الحَديديَّة باسِتثْنَاء بِضْعَةِ أَميَالٍ فِي "نابولي"، بالإضَافَةِ إلى أنَّ الصِرَاعَ السِيَاسي، الجُوْع، الاقتِصَاد الخَجُول، والحَرْب كلُّ ذَلِك ترَكَ بَصْمًة في تاَريْخِ تنَاولِ الطعَامِ بالدَولَةِ الإيْطَاليَّة الجَديْدَة، ولقَد عزَلَ الفَقْرُ المُدْقِعُ الكثيْرَ مِن السُكَّانِ عَن حضَارَةِ المَائِدة، وسيَستغْرِقُ إشْرَاكُهم بشَكلٍ كَاملٍ مُعظَمَ القرْنِ التَالِي، ومع هذَا فبَعْدَ عَام 1861، وبرَغْمِ الترَدُّدِ والأَلَم، انْطلَقَت عبَارَةُ "الطَعَام الإيْطَالي" ثانِيةً، ولأوَّلِ مرَّةٍ منْذُ عَصْرِ النَهْضَة. 180

**الباب الرابع**

**طعَامُ الأُمَّة الجَدِيْدة**

**11**

**نابولي عَام 1884**

**--------------------------**

**بينوكيو يَكْرَهُ البِيتزَا**

**التلذُّذ والاشْمِئزَاز**

وِفْقًا لحِسِّ التذَوُّقِ الإيطَالي فإنَّ طريْقَة تنَاولِ الطعَامِ الأَمريكيَّة هيَ عِبَارَة عَن أَهوَالٌ تَنوْءُ الجِبَالُ عَن حَمْلِهَا. يبْدَأُ صِرَاعُ ثقَافَةِ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِهِ مِن مَائِدَةِ الإفْطَار؛ فَفِي الصبَاحِ يُنَشِّطُ الإيطاليُّونَ استِقلَابَهُم الحَيَوِي عبْرَ إِغرَائهِ بكَأْسٍ مِن القهْوَةِ والمُعجَّناتِ الشَهِيَّة، فَفِكرَةُ قَليِ أَيِّ شَيءٍ بوَقْتٍ بَاكِرٍ جِدًا مِن اليوْمِ كافِيَةٌ بحَدِّ ذَاتِهَا لجَعْلِ المِعْدَة تضْطَرِب، ولهذَا فالإفْطَارُ الأَمريكِيُّ التَقليدِيُّ يُعَدُّ أَمْرًا فَظِيْعًا بالنِسْبَةِ لَهُم، فمِن بيْنِ أَكثَر ملَامحهِ المُثيرَةِ للغثَيَان، فطَائِرُ السُجُقِ تلْكَ وعُجَّةُ البَيضِ الأَشبهَ بالفِرَاشِ التي أَفْرَغَت كلُّ مُحتويَاتِ الثلَّاجَةِ فيْهَا، أمَّا طبَقُ الغريتس فلَا يُصَدِّقهُ عَقْل. إنَّ أيَّ شَخْصٍ في إيطَاليا يُحاوِلُ تَقديْمَ شَريْحَةِ لحْمٍ بوَقْتٍ مُبِّكرٍ مِن الظَهيْرَة ستَتبَرَّأُ عَائلتَهُ مِنْه.

هَذهِ الانتهَاكَات تُقترَنُ معَ مرَضٍ وطَنِيٍّ آخَر، وهو الحَاجَةُ المُلِحَّة بامْتِلَاك كُلِّ شَيءٍ على ذَاتِ الطَبَق: لحْمُ الخِنزيْرِ المُقدَّدِ معَ البطَاطَا المَهروْسَة المَقليَّة، فطَائِرُ البَانكِيك معَ شرَابِ القَيْقَب تَعلوْهَا حبَّةُ كَرَز. وصَلصَةُ التُفَّاح، بَيْض، وسَلَطَة خُضَارٍ للزِيْنَة، وكَومَةٌ مِن الفَاكِهَة. قَد يحْدُث أَن يسْألَ شَخْصٌ إيطَالِيٌّ: لِمَاذَا لَا تُقدَّم جميْعهَا فِي دَلْوٍ وتُصَبَّ فوْقهَا بعْضِ الحُبوْبِ المُحسَّنَة معَ الحَليْبِ أيْضًا؟.

إنَّ شَعْبًا كَالإيطَاليِّين ترَبُّوا على التَلذُّذِ بالطَريْقَةِ التِي تُقدَّمُ بهَا المُقَبِّلَات، الطَبَق الأوَّل، الثَانِي، الثَالِث، الرَابِع والتِي تمَّ إعدَادَها لتَتوَافَق معَ نمَطٍ مُتطَوِّرٍ لأَذوَاقٍ مُميَّزة، يَختبروْنَ صَدمةً وشعوْرًا بالشَفَقة حيْنَ يَحْظَونَ بإفْطَارٍ مُتأَخِّرٍ.

---------- \*بينوكيو: هي شخصية خيالية مُستمدة من رواية كتبها الروائي الإيطالي كارلو كولودي سنة 1880، وترجمت لأكثر لغات العالم، وتحولت لعشرات الأفلام، منها ما أنتجته ديزني بالرسوم المتحركة في عام 1940،. وتتحدث هذه الرواية عن طفل مصنوع من الخشب وله أنف طويل وكلما كذب يزداد طول أنفه.

\*الغريتس: نوع من الحبيبات المصنوعة من حبيبات الذرة التي عولجت بقلويات في عملية تسمى إزالة التسمم. يتم تقديم الحبيبات في الغالب مع المنكهات الأخرى كطبق إفطار ، وعادة ما يكون لذيذًا.

183 لَا يُمكِنُ أَن يكوْنَ الأَمريكيِوُّنَ قَد أَوجَدوا مثْلَ هَذهِ الوَجبَة إلَّا ليَفسَحوا المَجالَ لشَهوَتهِم بالمذَاقَات المُلوَّثة المُتشَارِكَة أَن تَنحَدِر إلى مُستَوى الهَمَجِيَّة. يَجِدُ الإيطَاليُّونَ أنَّه مِن المُفْجِعِ أيْضًا أَن يتناوَلَ الأَمريكيُّونَ طعَامَهم أثنَاءَ تنَقُّلهِم، فالآيسِ كِريْم هوَ الشَيءُ الوَحْيدُ الذِي يُسْمَحُ الاستِمتَاعُ بهِ في إيطاليا بلَا رَيْبٍ خِلَالَ المَشْي؛ ولَكِن حتَّى حِينِهَا يتوَجَّبُ لَفُّ المَخروْطِ بمندِيْل، معَ وجوْدِ منديْلٍ آخَر جَاهزٍ لمَسْحِ الفَمِ بلُطْف، وإنَّ أَقْصَى سُرعَةٍ مسَموْحٍ بهَا هيَ المَشْيُ برَوِيَّةٍ. يَحْتَوي الشَارِعُ الإيطَاليُّ على العَديْدِ مِن تقَاليْدِ الطعَام، بِدْءًا مِن قِطَعِ البِيتْزَا المُربَّعة البَسيْطَة المَوجوْدَة بُكلِّ مكَانٍ بروما وكذَلِك السوبلي ( كُرَاتٌ مِن الأَرُز مَقليًّة جيِّدًا وفِي دَاخِلِها جُبنَة الموزاريلَا الذَائِبة) وصوْلًا إلى الفلورنتين لَامبريدوتو الذِي يتطَلَّبُ برَاعةً كَبيْرَة (عِبَارَة عَن خُبْزِ الهَمبِرغَر المحشي بشرَائطٍ عُصَاريَّةٍ مِن أمْعَاءٍ مَسلوْقَةٍ ويُصَبُّ فَوقهَا مَزيْجُ البَقدوْنِس والفُلفُل الحَار معَ الزَيْت)، ولَكِن حتَّى استِهلَاك هَذهِ المسَرَّات الجَاهِزَة هِي تجرُبَةٌ يَجِبُ التلَذُّذ بهَا، وتَستَحِقُّ التَأطِيْرَ بقَوَاعِدٍ خَاصَّةٍ بِهَا، ومِن هنَا جاءَت آدَابُ المنَادِيل؛ فلَا ينْبَغِي أَن يتلَامَسَ الجِلدُ معَ الطعَام، ومِن هُنَا أيْضًا تَأتِي حَقيْقَة أنَّ الإيطاليِّين يتنَاولوْنَ أشْيَاًء مِن قَبِيْلِ البانيني والترامزيني (أقْرَاصُ خُبْزٍ وشطَائرَ صَغيْرَةٍ لَا قِشرَة لهَا) وهُم يَقِفوْنَ على مِنْضدَة، أَو يَجلسوْنَ على كُرسِيٍّ قُرْبَ لوْحٍ خشَبِي). إنَّ القيَامَ بشَيءٍ هَادفٍ كالمَشْيِ يُعَدُّ في ذَاتِ الوَقْت انتِقَاصًا مِن فَنِّ الطَهْيِ الذِي تمَّ التَقِليْلُ مِن شَأنِه، وسيتجَاوزُ الخَطَّ الفَاصِلَ الذِي يُميِّز تنَاولَ الطعَامِ مِن مُجرَّد اعتِبَارهِ تَغذِيًة.

إنَّ الأمريكيِّينَ –مِن وجهَةِ نظَرٍ إيطَاليَّة—جَاهلوْنَ بهَذهِ الكَيَاسَة، فهُم يلتَهِموْنَ البوريتو\* في السيَّارَات، إنَّهُم يَمضوْنَ بسُرعَةٍ إلى أَعمَالهِم لتَنْسَكِبَ قهوَتَهُم الأَشْبهَ بالمَرَقِ على كَعكَةِ المَافِن الإسفَنجِيَّة الشَنِيْعَة والمُصنَّعة بشَكلٍ نَموذَجِي. في الحَقيْقَة الأمريكيون يتَنَاولونَ كلَّ شَيءٍ وبأَيِّ مكَان وفي أَيِّ وَقْت، فيلتَهِموْنَ الطعَامَ الصِينيَّ الجَاهِزَ بصوْتٍ مُرتَفِعٍ وهُم ينقروْنَ على لوحَةِ المفَاتيْحِ بيْنَ الاجتِماعَات ويمْضَغونَ "البيتزا" الهَائِلةَ الحَجْمِ والتِي لَا يُحبُّونهَا أَثْنَاءَ مُشَاهَدَتِهِم للتِلفَاز.

ثمَّ تَأتِي قضيَّةُ السَلَطَة، فالسَلَطَةُ المِثَاليَّة الإيطَاليَّة بسيْطةٌ ومُقتَصَدَة، وهِيَ مُصمَّمةٌ لتُكَمِّلَ الوَجْبَة وليْسَ للتَنافُسِ معَها؛ ففيْهَا نوْعَانِ مُختَلِفَانِ مِن الأَورَاقِ كأَقْصَى حَد، ويُضَافُ إلَيْهَا زَيْتٌ جَيِّد، مِلْح والقَليْلِ جِدًا مِن خَلِّ النَبِيذ. إنَّ مَا نرَاهُ في "رُكْنِ الَسلَطَات" الأَمريكِيَّة النَابِضَةِ بالأَلوَانِ والحيَويَّةِ بشَكْلٍ مُنَافٍ للعَقْل، مَع قِطَعِ لحْمِ الخِنزيْر المُقدَّد وفُتَات الخُبْز المُحمَّص، قَد لَا يَجْذِبُ إلَّا الفُضُوْلَ واللَّهْوَ المُستَقِل لشَخْصٍ إيِطَالِي—لولَا وجوْدُ صَلصَة السَلطَة. مِن صَلصَة الأَلْفِ جَزيْرَة\*، وصَلصَة خَرْدَل العَسَل، الجُبْن الأَزْرَق، وصَلصَةُ الرانش\*، غيْرَ أنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ منْهَا مُثيْرةٌ للاشمِئْزَاز، والبعْضُ مِن قُمامَةِ المَطْبَخ تلْكَ يحْتَوِي على مَخِيْضِ اللَّبَنِ فِي الوَاقِع. في مَا يتعَلَّقُ بالسَلَطة، لقَد أَحَطْتَ عِلمًا بحَالِ الأُمُوْرِ الآن.

إنَّ ِعَبارَاتٍ مِن قَبِيل: "كلُّ مَا بوسْعِكَ تنَاولَهُ" أَو أَيِّ أُسلوْبٍ آخَر مِنَ كَلَامٍ مُشَابِهٍ؛ تحْمِلُ بيْنَ طيَّاتِهَا وعْدًا بالوَفْرَة، الاخْتِيَار، الحُريَّة بالنِسبَةِ للِأَمريكِييِّن. لَكِنَّ مُجرَّد نُطقَهُم فِي إيطاليا يُسبِّب تشَنُّجًا بالمَعِدَة باشْمِئزَازٍ مُتوقَّع، فأربعَةُ آلَافِ نوعٍ مِن القُمَامَة ذاتِها لَا يُعَدُّ خيَارًا على الإطْلَاق. بعْدَ كُلِّ شَيء، فقَد أَثبتَت أَغْنَى وأَكثَرُ دوْلَةٍ حُرَّةٍ على وَجْهِ الأَرْضِ أَنَّها غيْرُ قَادِرَةٍ على صُنْعِ خُبْزٍ صَالِحٍ للأَكْل.

----------

\*البوريتو: نوع من المأكولات المكسيكية، يتكون بشكل رئيسي من تورتيللا ملفوفة بشكل أسطواني لتحتوي ما بداخلها، على خلاف التاكو الذي يبقى عادة مفتوحاً. تكون الحشوة عادة من اللحم أو الرز أو الفاصوليا مع الصلصلة أو الأفوكادو والجبن وتتنوع الأحجام وأنواع الحشوة بحسب المنطقة.

\*صلصة الألف جزيرة: صلصة السلطة والبهارات الأمريكية التي أساسها المايونيز ويمكن أن تشمل زيت الزيتون وعصير الليمون وعصير البرتقال والبابريكا وصلصة ورسسترشاير والخردل والخل والكريمة وصلصة الفلفل الحار وصلصة الطماطم.

\*صلصة الرانش: نوع من صلصة السلطة المعدة من مزيج من اللبن، الملح، الثوم، البصل، الخردل، ومزيج من الأعشاب العطرية والتوابل.

\*كعكة المافن: هو منتج مخبوز بحجم فردي. من الممكن أن يشير إلى أثنين من العناصر المميزة، خبز مسطح بارز جزئياً وكعكه سريعة تشبه الكاب كيك. الخبز المسطح هو اشتقاق بريطاني، ويعود تاريخه إلى أوائل القرن الثامن عشر على الأقل، في حين نشأ الخبز السريع في أمريكا الشمالية خلال القرن التاسع عشر.

184 يُعبِّرُ الفزَعُ الإيطَاليُّ عَن نفْسهِ تجَاهَ الطعَامِ الأَمريْكِيِّ بالعَديْدِ مِن الصوَرِ النَمَطيَّة، لكنَّه يُميْطُ اللِّثامَ أيْضًا عَنْ أكثَر المشَاعرِ الإنسَانيَّة عُمقًا؛ إنَّنا نُميَّز بمَا يُثيْرُ اشْمِئزازَنا. وبيْنمَا تَسرِي رَعشَةُ الاشْمِئزَاز فيْنَا، تَرتَجِفُ أجسَادنَا بتَنَاغُمٍ معَ أكثَرِ أَحكَامِنَا المُسبقَة تعَنُّتًا، فإِن تمَّ انتهَاكُ أحَدَ تلْكَ الأحْكَام فسنَشْعرُ بذلِكَ جسَديًا بالقَدْرِ الذي تتصَوَّرهُ عقولُنَا، وربَّما يكوْنُ بشَكْلٍ قَسريٍّ أَكْثَر مِن أيِّ إحسَاسٍ آخَر، فالاشْمِئزَازُ يُظهِرنَا على حقِيقتَنا، لأنَّنا لَا نقوْمُ بأموْرٍ مِن هذَا القَبِيْل.

عندمَا يتعلَّقُ الأَمْرُ بالطعَام فالإيطَاليُّونَ لَا يَكِلُّونَ مِن اشمِئزَازهِم بقَدْرِ تمَيُّيزهِم للطعَامِ الجَيِّد، فالتذَوُّق والاشْمِئزَاز، الاستِمتَاع ونَقيْضَه، هُم شرَكاءٌ مُتلَازموْنَ في حضَارَةِ الماَئِدةِ الإيطَاليَّة. دائِمًا مَا أثارَت دَهشَتِي دوْرَاتُ الطَهْيِ الرَاقِيَة تِلكَ التِي تمَّ تنْظِيمهَا فِي العَديْدِ مِن المنَازلِ الفَارِهَة التوسْكاَنيَّة بأنَّها لَا تُستَهَلُّ بأيَّامِنَا هَذهِ بدروْسٍ عَن كُلِّ مَا يُثيْرُ الاشْمِئزَاز فِي إيطاليا.

إنَّ مَا يُعَدُّ صَحِيحًا اليَوْم كانَ كذَلِكَ أيْضًا فِي المَاضِي، فكُلَّما امْتَازَ فَنُّ تذَوُّقِ الطعَامِ بالقُوَّةِ، كُلَّما امتلَك الإيطاليُّونَ حسَاسيّةً مُرهفًة تجَاهَ مَا هو بَغِيْض، ومُصْطلحَاتٍ لفظِيّةً رَاقِيَة عَن العَادَات الحَمِيْدَة. بيْدَ أنَّ قوَاعِدَ الاشْمِئزَاز قَد تغيَّرت معَ مروْرِ الوَقْت، فالثوْمُ كانَ يَنفُث رَائِحَة الفَقْرِ الكَريْهَةِ في العُصوْرِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة، ومعَ ذَلِك فالعَديْدُ مِن الأطبَاقِ المُعَاصِرة ، بِدْءًا مِن صَلصَة بيستو\* جَنَوَة والسباغيتي معَ المحَّار لَا يُمكِنُ تخَيُّلهَا بدُوْنِه. لقَد اعْتَادَ طُهَاةُ العصوْرِ الوسْطَى وعَصْرِ النَهْضَة على سَلْقِ مَعكروْنَتهِم حتَّى تُصبِحَ طريّةً للغَايَة، غيْرَ أَّن الطَهْيَ المُفرِطَ للسبَاغِيتِي يُوقِعُ الاشْمِئزَاز فِي نفُوْسِ الإيطَاليِّين اليَوْمَ بعُنفٍ أَكبَر مِن أَيِّ مُخالَفَةٍ مَطبَخِيَّةٍ أُخْرَى، لذَلِك لَا ينبَغِي أَن يَغْدُوَ الأَمْرُ مُفَاجِئًا جِدًا إِذَا اكتشَفْتَ أنَّ البِيتزَا اعتُبِرَت طعَامًا مُثيرًا للِاشْمِئزَاز فِي وَقْتٍ مُبكِّرٍ مِن تَاريْخِهَا بأوَاخِرِ القَرْنِ التَاسِع عشَر، واليَوْمَ تُعَدُّ البِيتزَا دوْنَ شَكٍّ أكثَرَ طعَامٍ يَتِمُّ تنَاولَهُ على نِطَاقٍ وَاسِعٍ في العَالَم، إنَّها وِسَامُ الهَويَّةِ الإيْطاليَّة، ومعَ ذَلِك فقَبْلَ قرْنٍ مِن الزمَانِ فقَط، وفِي المديْنَةِ التِي شَهِدَت ولَادَتهَا، مِن المُحتمَل أنَّ البيتزا قَد أثارَت اشْمِئزَازَ النفُوْسِ بشِدَّة. حانَ الوَقْتُ لنَخوْضَ في أَحشَاءِ نابولي.

**بِيتْزَا مارغريتا**

هناكَ بعْضُ الحقَائِق القاَسيَةِ في تاريْخِ البيتزا، فَمِن المُحتمَلِ أنَّ هَذهِ الكَلِمَة تتشَارَكُ أُصوْلهَا معَ كَلِمَة بيتا اليونَانيَّة وبيدا التُركيَّة، وهو مَا يعلِمُنا185 بأنَّها تنْتَمِي إلى عاَئلةٍ وَاسعَةٍ عَرِيْقَةٍ مِن الخُبْزِ المُسطَّح لدُوَلِ البَحْرِ المُتوسِّط، وتُخبِرُنَا العَديْدُ مِن معَاجِمِ اللَّهجَةِ النابوليَّة مِن أوَاخرِ القَرْنِ الثَامِن عشَر فصَاعِدًا أنَّ البِيتزَا فِي أَبسَطِ صُوَرِها كانَت مُجرَّدَ كَلمةٍ عامّةٍ تُطلَقُ على كُلِّ أنوَاعِ الفطَائِر، وعلى مَا سَيُدعَى بالفوكاتشيا أو السكيتشاتا في مَكَانٍ آخَر فِي إيطَاليا؛ وهوَ

---------- \*صلصة البيستو: صلصة ظهرت في جنوة في إقليم ليغوريا الواقع شمال إيطاليا، والبيستو التقليدي يتكون من الثوم المفروم والريحان والصنوبر الأوروبي ممزوجًا بـزيت الزيتون وجبن بارميجيانو ريجيانو وفيوري ساردو.

عِبَارَة عن قِطعَةٍ سَميْكَةٍ مِن العَجيْنِ تُلطَّخُ بالدُهْنِ أو الزَيْت وتُطْهَى بسُرعَةٍ فِي فُرْنٍ سَاخِن، إنَّها وصْفَةٌ شَائِعَةٌ لدرَجَةِ أنَّ المُحاولَة للبَحْثِ عَن أُصوْلهَا المُحدَّدة أمْرٌ مُحَال.

ولفَترَةٍ طويْلَةٍ امتدَّت مِن "سكابي" عَام 1500 إلى نهَايَةِ القرْنِ التَاسِع عشَر، كانَت البِيتزَا تَعْنِي الكَعكَة الحُلوَة التِي تَحتَوِي على اللَّوز، غَيْرَ أنَّها معَ بِدايَاتِ القَرْنِ التَاسعِ عَشَر أصْبحَت تَدلُّ أيْضًا على شَيءٍ مُشَابهٍ لشَكلِهَا المُعَاصِر، وإِحْدَى المُشَاهدَات المُبَكِّرة للبِيتزَا حدَثَت معَ مؤلِّفِ كتَابِ "الفُرسَان الثلَاثَة" ألكسَندر دوماس (الابْن) والذِي زَارَ "نابولي" عَامَ 1830 ولَاحظَ أنَّ المُشرَّدين يتنَاولوْنَ البِيتزَا – يَعوْدُ ذلِكَ بشَكْلٍ أكبَر لرُخْصِهَا الذِي يَفوْقُ المَعكروْنَة.

*إنَّ البِيتزَا هيَ نوْعٌ مِن فطَائرِ التُلموس (مُعجَّنات الجُبنة الثُلَاثيَّة الشَكْل) كَتِلك التِي يتِمُّ صُنعهَا فِي "سانت دينيس"، وتُعجَن مِن ذَاتِ العَجيْنَة كالخُبز...هناكَ بِيتزَا معَ الزَيْت، وبِيتزَا بأنوَاعٍ مُختَلِفَة مِن دُهْنِ الخِنزيْر، بِيتزَا مع الجُبنة، بِيتزَا معَ البَنَدوْرَة، وبِيتزَا معَ الأَسْمَاك الصَغِيْرَة.*

ونظرًا إلى تاريْخِ البِيتزَا الضَئِيل، فلَيْسَ مِن المُستغْرَبِ أنَّ النَابوليّين في بَحثِهِم عَن حقَائقِ تنَاولِ العَالَمِ لِإسهَامهِم الشَهِيْر، قَد تشَبَّثوا بلَهْفَةٍ بحَادِثَةِ شَهْرِ يونيو عَام 1889. فِي ذَلِك الوَقْت، كانَت "مارغريتا" مَلِكَة إيطَاليا مِن عَائِلة "سافوي" الملكيَّة، تَقوْمُ بزيارَةٍ لمُدَّةِ شَهْرٍ إلى "نابولي"، ورَغْمَ أنَّها من "تورينو"، لكِنَّهَا تتوْقُ لتَجرُبَة البِيتزَا، فأَرسلَت بطَلَبِ صَانعِ بِيتزَا محَلِّي شَهِير يُدْعَى "رافاييل إسبوزيتو"، كانَ يعْمَل فِي مطعَمِ بِيتزَا مَحشوْرٍ برُكْنٍ بيْنَ الأَزِقَّة الضَيِّقَةِ للأَحيَاءِ الإسبَانيَّة والفَضَاء المَفتُوْح لسَاحَةِ "ديل بليبيسكيتو". بدَأ "إسبوزيتو" العمَلَ في مطَابخِ قَصْرِ "كابوديمونتي" الذِي يَقَعُ على قِمَّةِ الرَابِيَة حيْثُ تُقِيْمُ المَلِكَة، فعَمَدَ إلى صُنْعِ ثلَاثَةِ أَقرَاصِ بِيتزَا: أحدها بزَيْتِ الزَيتوْنِ فقَط، وآخر بصِغَارِ سمَكِ الرَنْجَة، وثَالِث بالطمَاطِم، وجُبنَة المُوزَارِيلَا، ووَرَقَتا رَيْحَانٍ تمَّ تَقطِيعُهَا، فضَّلَت المَلِكَة الصِنْفَ الأَخيْرَ مِنْهَا، وبِحَسَبِ الأُصوْلِ أُطلِقَ اسْمُ بِيتزَا مَارغريَتا تَكريْمًا لهَا. يُدْعَى مَتْجَرُ "إسبوزيتو" الآنَ بمَطعَمِ "بِيتزَا برَاندِي"، ولَايزَالُ يَعْرِضُ بفَخْرٍ خِطابَ التَقديْرِ الذِي تلقَّاه.

---------- \*ألكسندر دوما: اسمه عند الولادة دوما ديفي دي لا باليتيري. كاتب فرنسي تُرجمت أعماله إلى 100 لغة تقريباً، ويُعد أحد أكثر الكُتّاب الفرنسيين شهرة على الإطلاق.

\*رافائيل إسبوزيتو: صاحب المطعم الإيطالي "بيتزاريا دي بيترو و باستا كوزي" في القرن التاسع عشر. يقترح العديد من المهتمين بتاريخ البيتزا أنَّ رافائيل هو الأب الفعلي للبيتزا الحديثة.

\*مارغريتا تيريزا ماريا جيوفانا: ملكة إيطاليا ؛ أثناء فترة حكم زوجها أومبيرتو الأول.

\*قصر كابوديمونتي الملكي: هو قصر بوربوني في نابولي إيطاليا. كان المقر الصيفي واستراحة الصيد لملوك الصقليتين. يستضيف اليوم المتحف الوطني في كابوديمونتي ومعرضاً فنياً للمدينة. تعني "كابوديمونتي" "قمة التل"، حيث كان القصر في الأصل خارج المدينة والتي توسعت الآن لتحيط به ويتمتع ببرودة نسبية عن المدينة في فصل الصيف. 186

مَنْزِلُ صَاحِبَةِ الجَلَالَة

قَصْرُ كابوديمونتي

يونيو عَام 1889

إدَارَةُ التَفْتِيش بمَكتَب خَدَمَات الفَم

السَيِّد "رافائيل اسبوزيتو" المُوَقَّر، أُؤَكِّد لكَ أنَّ الأَنوَاعَ الثلَاثةَ مِن البِيتزَا التِي أَعدَدْتَهَا لجلَالَتِهَا تَبَيَّنَ أَنَّهَا لذيْذَة.

خَادِمَكُم المُخْلِص

غالي كاميلو

رَئيْسُ خدمَات المَائِدَة للأُسْرَة المَلكيَّة

يَبْدو هنَاكَ سَببٌ وجيْهٌ للشَكِّ بصِحَّةِ هذَا المُستنَد، رغْمَ أَنِّي لَم أَستَطِع إيْجَادَ مَعلوْمَاتٍ عَن تجرُبَةِ المَلِكَة "مارغريتا" للبِيتْزَا فِي الصُحُفِ اليَوميَّة لذَلِكَ الوَقْت، ومعَ ذَلِك لَاتزَالُ القصَّة تُوحِي بِصوْرَةٍ حَمْيمِيَّةٍ للغَايَة لِمَا عَنَتْهُ البِيتزَا لنَابولي في القرْنِ التَاسِع عشَر. مِن المَفهوْمِ أنَّ العَديْدَ مِن النابوليِّين يَفترضوْنَ أن قُرصَهُم المَخبوْزَ مِن العَجيْنِ والمُنكَّه بصَلصَة الطمَاطِم والجُبنِ، هوَ شَيءٌ جيِّدٌ بشَكْلٍ لَا يقْبَلُ الجَدَل، حتَّى إنَّه لَا يحتَاجُ إلَّا أَن تَكتَشِفَهُ لِكَي تقَعَ بِغرَامِه، ولَكِن فِي الحَقيْقَة فالطَريقُ الذي سلَكتْهُ البِيتزَا لتَحْظَى بشَعبيَّتها أصعَب بكَثيْرٍ وأَبْطَأ، لَقد توجَّب على الإيطَاليِّين أَن يُحِبُّوا البِيتزَا. ليْسَ ذَلِكَ فَحَسْب، بل أَن يتَعلَّموا عدَمَ الاشْمِئزَازِ منْهَا.

يُعتَبَرُ "كارلو كولودي" أحَدَ الأشْخَاصِ الذيْنَ كَرِهوا البِيتزَا بشَكلٍ وَاضحٍ، وهوَ ابْنُ طَاهٍ مِن "فلورنسا" وقَد أَنْهَى كتَابَه "مُغامرَاتُ بينوكيو" قبْلَ سِتِّ سنوَاتٍ مِن زيَارَةِ المَلِكَة لمَدينَةِ "نابولي". بعْدَ كِتَاب "مُغامرَاتُ بينوكيو" قَامَ "كارلو كولودي" بتَأليْفٍ كتَابٍ آخَرٍ يتَضَمَّنُ مُغَامرًة جَدِيْدَة، وقَد تمَّ نَشْرُهُ بعَامِ 1886، وهوَ عِبَارَة عَن قِصَّةٍ لرِحْلَةِ قَامَ بِهَا صَبِيٌّ توسكَانِيٌّ حَوْلَ إيطَاليَا، وغَالبًا مَا تَبْدو لدَى قِرَاءَتِهَا أَشبَه بمَقَاطِعَ مِن دَليْلٍ سِيَاحيٍّ نشَرَه "بايدكير"\*، تمَّ إعَادَة سَردَهَا مِن خِلَالِ رسَائِلَ لصَبِيٍّ في الثَانِيَةِ عشْرَةَ إلى بَيْتِه، ومعَ هذَا فقَد وصَلَ إلى إصْدارِهِ الرَابِعَ عشَر بسُرعَة، وتمَّ بَيعَهُ بشَكلٍ جَيِّدٍ في المدَارسِ على نحْوٍ خَاص. وتَذكُرُ القِصَّةُ أنَّهُ عنْدمَا يَصِلُ الصَبيُّ المَعنِيُّ إلى "نابولي"، يَجِدُ مَديْنًة تَضُجُّ بنُورِ الشَمْسِ، والسعَادَة والغِنَاء. وفِي ذَاكَ الوَقْت أَصْبحَ المُشرَّدوْنَ مُجرَّد ذِكرَى، ونَحْنُ على ثِقَةٍ مِن أنَّ المَعكَرونَة الشَهيْرَة معَ صَلصَة الطمَاطِم قَد باتَت تُؤكَل بالشَوكَةِ بدلًا مِن اليَد، ولكِنَّ المِزَاج المُبتَهِجَ يتحَطَّمُ عنْدمَا يَصِلُ الأَمْرُ إلى وَصْفِ البِيتزَا:

--------- \*بايديكر: كارل لودفيج يوهانس بايديكر، ناشر ألماني وضعت شركته "باديكر" معيارًا للكتيبات الإرشادية الرسمية للسياح. ينحدر كارل بايديكر من مجموعة طويلة من طابعي وبائعي الكتب والناشرين. كان الأكبر من بين عشرة أطفال لجوتشلالك ديديريتش باديكر، الذي ورث دار النشر التي أسسها والده، زكريا جيرهارد باديكر. 187



مَلِكَةُ النَظَافَة الصِحِيَّة "مارغريتا سافوي"، تمَّ عرْضُ اللَّوحَةِ عَام 1889—وهيَ السنَةُ التِي سُمِّيَت بِيتزَا مارغريتا على اسْمِهَا.

*إنَّ البِيتزَا هيَ خبْزُ فوكاتشيا مَصنوْعةٌ مِن عَجيْنَةِ الخُبْزِ المُضَاف لَه الخَميْرَة حيْثُ تُحمَّص في الفُرْن، ويضَعوْنَ فوْقهَا صَلصَة معَ القَليْلِ مِن كُلِّ شَيء، وعنْدمَا تتمَازَجُ ألوانُها—الأَسوَد مِن الخُبز المُحمَّص، والأَبيَض الحَريْرِي مِن الثوْمِ والأُنشوْفَة، الأَصْفَر المُخْضَر مِن زَيْتِ الزَيتوْن والخُضروَات المَقليَّة، والقَلِيْلُ مِن اللَّوْنِ الأَحْمَر، مُتنَاثِرًة هُنَا وهُنَاك مِن الطَمَاطِم—فإنَّهُم يَجعَلوْنَ الِبيتزَا تَبْدو كَرُقْعَةٍ مِنَ القَذَارَةِ الدَسِمَة، والتِي تنْسَجِمُ تمَامًا معَ مَظهَرِ الشَخْصِ الذِي يَبيعُهَا.*

كانَ "كولودي" توسْكَانيًّا ضَيِّق الأُفُق، ولذَلِك فبِالِإمكَانِ جَدَلًا صَرْفُ النظَرِ عَن اشمِئزَازِه الوَاضِح باعتِبَارهِ ليْسَ أَكثَرَ مِن تَعَصُّبٍ لمَنْطِقَتِه، لَكِنَّ "ماتيلدا سيراو" وهيَ صِحافيَّةٌ مُجِدَّةٌ مُنفَتِحَةٌ مِن "نابولي"، أثَارَت مَسألًة مُختَلفة، فقَد كتبَت عَام 1884 مَجموْعةً مِن التقَاريرِ الصَحَفيَّة عَن أكثَرِ المنَاطِق فَقْرًا بمَدينَتها، والتِي تمَّ نَشْرُهَا تحْتَ عنوَان "أحشَاءُنابولي". وكحَالِ "كولودي"، يُظهِرُ وصْفُ "سيراو" للبِيتزَا توْضِيحًا لِعَادَةٍ لَم تكُنْ مألوفةً في ذَلِك الوَقْت بالنسْبَة للغَالبيَّة العُظمَى مِن الإيطاليِّين، كمَا يَظهَرُ اشْمِئزَازَهَا أيْضًا:

*تُصْنَعُ البِيتزَا مِن عَجينَةٍ سَميْكَةٍ فتُحرَقُ ولَا تُطْهَى، حيْثُ تُملَأ بالطمَاطِم النَيْئَة تقريْبًا، الثُوْم، الفُلفُل والمَردَقوْش. فإذَا امْتلَكَ صَانِعُ البِيتزَا حَانوْتًا، فسيَشْرَعُ بصُنْعِ أعدَادٍ كبيْرَةٍ مِن خُبْزِ الفوكاتشيا المُستَدير هذَا خِلَال اللَّيل، ويقوْمُ بتَقطيْعِهَا إلى شَرَائِحٍ كَثيْرَة يُسَاوي كلٌّ منْهَا سولدو وَاحِد\*، حيْثُ يُعطيْهَا لصَبِيٍّ ليَنصَرِفَ بهَا ويَبيْعهَا*

----------

\*السولدو: عملة إيطالية سابقة، ووحدة نقدية تساوي عشرين جزء من الليرة.

188 *فِي بعْضٍ مِن زوَايَا الشَارِع على طَاولَةٍ قاَبِلَةٍ للحَمْل، وسيَبْقى الصَبِي هنَاك طوَال اليَوْم تقريْبًا، بيْنمَا تتجمَّدُ شَرائِحُ بِيتزَاهُ فِي البَرْد، أو يصفَرُّ لَونُهَا تحْتَ أَشِعَّة الشَمْس بيْنمَا يتغَذَّى الذُبَابُ علَيْهَا*.

لقَد كانَت "ماتيلدا سيراو" كاتِبًة بارِزًة في زمنٍ ندَرَ فيْهِ وجوْدُ المَرْأَةِ فِي أَيِّ نوْعٍ مِن الحيَاةِ العامَّةِ بإيطاليا، وهِيَ مُغرمَةٌ بتعَمُّقٍ بمَدينَة "نابولي"، وأدْرَكَت قَسْوَةَ الحَيَاةِ فِيْهَا، بأوَائلِ العِشرينيَّات مِن عُمرِهَا، كانَت تَجْنِي قُوْتَ يَومِها فِي مكتَبِ تلِغرَافٍ لِقَاءَ أَجْرٍ يَومِيٍّ على عَمَلِهَا، فمَا هوَ الشَيءُ فِي البِيتزَا الذِي أثَارَ المَقْتَ حتَّى لدَيْها؟ بشَكلٍ أسَاسِي، لَم يتَعلَّق الأَمْرُ بجودَةِ المكوِّنَات أو الأسَاليبِ المُريْبَة لدَى صَانعِ البِيتزَا، وليْس الذُبَابُ أَيْضًا، في الحَقيقَةِ إنَّ مُشكلَة البِيتزَا هِي مديْنَة "نابولي" بحَدِّ ذَاتِهَا والتِي كانَت تُعَاني مِن دَاءِ الكوليرا.

الكوليرا مرَضٌ مثيْرٌ للِاشمِئزَاز بِشَكْلٍ اسْتِثْنَائِي، تُحْمَلُ جرَاثيْمُ ضمَّةِ الكوليرا عبْرَ الطعَامِ والمَاءِ الملوَّث بالبِرَازِ البشَري، وعندمَا يَتِمُّ ابتلَاعهَا تلتَصِقُ بجِدَارِ الأَمعَاء. تنْجمُ أعرَاضُ الكوليرا عَن هُجوْمِ الجِهَازِ المَنَاعِي على الجرَاثِيم وَمِن تحَطُّمِهَا، الأمْرُ الذِي يُطلِق سُمًّا قويًّا يعْكِسُ التدَفُّق الطَبيعِيَّ عبْرَ جِدَارِ الأَمعَاء، فيسمَحُ ذَلِك للمكوِّنَات السَائِلة فِي الدَم بالِارتِشَاح نحْوَ الأَمعَاء ومنْهَا إلى خَارجِ الجِسْم عبْرَ إسْهَالٍ مُميَّزٍ يُدْعَى "مَاءُ الأَرُز". يُمكِن أَن تُحدِثَ الحالَاتُ الشَديْدَة للكوليرا انهِيَارًا فَوْريًّا قَاتلًا، وحتَّى تفَاقُمًا أَبطَأ بوِسعِه إضْعَافَ جسْمِ الإنسَانِ ليَغدُوَ شَاحِبًا مُتغَضِّنًا أَشبَه بالجُثَّة خلَالَ بضْعِ سَاعَات. غالبًا مَا تَحْدثُ الوفَاةُ نتِيْجًة لصَدمَةٍ حَادَّةٍ، تَسبقهَا غازَاتٌ شديْدَةٌ، إقيَاء، إسهَال، قَشعَريرَة خَانِقَة، عطَشٌ مُؤلِم، نوبَاتُ أَلَمٍ بَطنِيٍّ مُفَاجِئ، تَلَوِّي لَا يُمكِن السَيطرَة عليْهِ نَاجِمٌ عَن تشنُّجَاتٍ عضَليَّة. وحقيْقَةُ أنَّ ضحَايَا الصَرَخَات العَالِيَة يظَلُّونَ وَاعِيْنَ ومُتنَبِّهيْنَ عقليًّا طِوَالَ الوَقْتِ تجْعلُ العذَابَ مُروِّعًا أكثَر، وحتَّى أولئِكَ المَحظوظوْنَ بمَا يكفِي للبقَاء على قيْدِ الحيَاة فِي هَذهِ المرْحلَة الأَوليَّة العِدائيَّة مِن المَرَض، عادةً مَا يكونوْنَ ضُعفَاءَ للغَايَة على اجتيَازِ المرحلَةِ التاَليَةِ الأَكثَر هدوْءًا والمُخَاتِلَة بصُوْرَةٍ أشَد. وبشَكْلٍ مُخِيف، غالبًا مَا تستَمِرُّ جُثَث ضحَايَا الكوليرا بالانتِفَاض لبَعْضِ الوَقْتِ بعْدَ المَوْت. 189 لقَد شَهِدَت "نابولي" القَرْن التاسِع عشَر ثمَانِي حالَاتٍ لتَفَشِّي هذَا المَرَضِ المُرعِب خلَالَ نصْفِ قَرْنٍ بعْدَ وصوْلِ ضمَّة الكوليرا لِأَوَّلِ مرَّةٍ إلى أوروبا مِن مَوطنِهَا المَوبُوْء فِي الهِنْد سَنَة 1830، ومَا زَالَ الأطبَّاءُ الإيطَاليُّونَ فِي ذَلِك الوَقْت غيْرَ وَاثِقِيْنَ ممَّا تَسبَّبَ بتَفَشِّي الكوليرا، ومَا الذِي جعَلَ "نابولي" غيْرَ حَصيْنَةٍ مِنْه، أمَّا أكثَر الفرضيَّاتِ قبوْلًا والتِي سادَت على نِطَاقٍ وَاسعٍ؛ هيَ أنَّ الجرَاثيْمَ تَكْمَنُ تَحْتَ التُرابِ النَتِنِ للمَديْنَة، لقَد عزَّزَت هَذِهِ النظَريَّة مِنَ المخَاوفِ الغَريزيَّةِ حوْلَ القذَارَةِ والدَنَس السَيِّء الصِيْت الذِي اشتُهِرَت بهِ أحيَاءُ "نابولي" الفَقيْرة.

ومعَ مَا يُقَارِب النَصْف مَليوْن نسَمَة، كانَت نابولي لَاتزَالُ أكبَر مديْنةٍ في إيطاليا، والأكثَر ازدِحامًا في أوروبا عنْدمَا كتَبَ "كولودي" و"سيراو" وصْفَهُما للبِيتزَا. حينِها امْتَلَكَ كلُّ موَاطنٍ في "لندن" أربعًة وتسعيْنَ مِترًا مُربَّعاً بشَكلٍ مُتوسِّطٍ مِن مِسَاحَةِ المَديْنة، و في "منهاتن" حَظِي كلُّ شخْصٍ بثمَانيةٍ وخمسيْنَ مِترًا مُربَّعًا، أمَّا مُتوسِّط الحَيِّز الذِي بوِسْع فَرْدٍ مِن "نابولي" التحَرُّكَ فيْهِ فَهوَ أقَلُّ بشَكلٍ مَلحوْظ حيْثُ يَبلُغُ تسعَةَ عشَر مِترًا مُربَّعًا، ووصَلَ الرقْمُ فِي الأحيَاءِ الأكثَرِ كثافًة سُكانيًّة في "نابولي" إلى تسْعَةِ أمْتَارٍ لكُلِّ شَخْص. هَذهِ أكثَرُ "الأَحيَاءِ الوَضِيعَةِ في المَديْنَةِ" رُعْبًا وظُلمًة قُرْبَ الوَاجِهَةِ البَحريَّة، إنَّهَا أحشَاءُ "نابولي" النَتِنَة حيْثُ لَن يُغَامِرَ أَيُّ غَريْبٍ بدُخولِهَا دوْنَ أَن يَحمِلَ مُسدَّسًا، فلقَد عاشَت عائِلَاتٌ بأَكمَلها معَ الدجَاجِ والفِرَاخ دَاخِلَ غُرَفٍ صَغَيْرَةٍ مُفردَةٍ معَ مِسَاحَةٍ بالكَادِ تَكفِي لكُلِّ شَخْصٍ أَن يستَلقِيَ فيْهَا—لقَد دعَاهَا رئيْسُ الشُرطَة عَام 1869 بـ "بيُوت الكِلَاب"، حيْثُ تتكدَّسُ ستَّةُ إلى سبْعَةُ أو ثمَانِيَةُ أَدوْارٍ مِن هَذهِ الأَكوَاخ الحَقيْرَة حوْلَ فنَاءَاتٍ بحَجْمِ المِنديْل، على طوْلِ الأَزِقَّة الضَيِّقةِ للغَايَة لدرجَةِ أنَّ تِلْكَ المَسَاكِن يُلَامِس أحَدُهَا الآخَر فِي الأَعْلَى.

لقَد وصَفَ طبيْبٌ سويدِيٌّ هَذهِ المبَانِي بأنَّها "أكثَرُ سكَنٍ بشَرِيٍّ مُروِّعٍ على وجْهِ الأَرْض"، وهِيَ تَفْتَقِرُ للتَمدِيدَات لأَجْلِ موَاسيْرِ المِيَاه، وإذَا وُجِدَت أيُّ مِن الأنَابيْبِ أو المَجارير الصِحِّية مدفوْنًة تحْتَ التُربَة، فغَالبًا مَا تكوْنُ مُشقَّقًة أو مَسدوْدَة. وإِن فاضَت فتحَاتُ المصَارِف أو المرَاحيْضِ ورَشَحَت، فستتَرَسَّبُ مُحتويَاتُهَا إلى الآبَارِ وخزَّانَاتِ المِيَاه. يَتِمُّ جمْعُ البِرَاز والقُمَامة مِن كُلِّ الأَنوَاعِ على شكْلِ كوْمَاتٍ فِي الفنَاءَات، أَو تُدَاسُ ببسَاطَةٍ في المَمرَّات القَذِرَة غيْرِ المُعبَّدة، حيْثُ تَجْرِي جدَاوِلُ مِن ماءٍ كريهِ الرَائِحَة.

كانَ الفَقْرُ المُدْقِع أمْرًا اعتِياديًّا فِي أَحيَاءِ المَديْنَة الوَضِيْعَة، فَفِي كِتَاب "أحشَاءُ نابولي" تشرَحُ "سيراو" كيْفَ أنَّ الغَالبيَّة الفَقيْرَة فِي الأَحيَاءِ الوَضِيْعَة تتَناوَلُ طعَامَ الشَارِع—فحتَّى الطَهْيُ البدَائِيُّ باتَ أمْرًا صعْبًا فِي "منَازِل الكِلَاب"، أمَّا قيْمَةُ أرخَصِ الأطبَاقِ فتَبلغُ سولدو وَاحِدًا، وهو يتكوَّنُ مِن شَريْحًة مِن البِيتزَا، أو أربَعَ إلى خمْسِ فطَائرَ مِن قِطَعِ سَاقِ المَلفوْفِ وفُتاتٍ مِن أسمَاكِ الأُنشوْفَة، أو تسْعِ حبَّاتٍ مسلوقَةٍ منِ الكستنَاء تَسْبَحُ في سَائلٍ مُحَمَّر، وقِطعتَانِ مِن عُمْلَةِ سولدي قَد تبتَاعُ لكَ طبَقًا مِن المحَّار في المرَقِ معَ البِسكويْت، 190 أَو حِصَّةً صغيْرَةً مِن المَعكروْنَة، أو بعْضًا مِن الأخطبوْطِ المَسلوْقِ بميَاهِ البحْرِ والمُنكَّهِ بالفُلفُل الحَرَّاق كمُعظَم الأطبَاقِ الفَقِيْرَة. إنَّ هَذهِ المَأكوْلَات التي يعْرضُهَا الباعَةُ الجوَّالوْنَ مِن الصَوَانِي أو الأَكشَاك الصغيْرَة، تدعَم الاقتِصَاد الخَدَمِي الهَشْ الذِي يُعْتَبَرُ أحَد المصَادرِ القليْلَةِ للعمَلِ في أكثَرِ المنَاطقِ سوْءًا.

وبدَا السُكَّانُ الذيْنَ يعيشوْنَ في هَذهِ الظروْف، وفْقًا لهذَا النِظَام الغِذاَئي، ضَئِيْلي الحَجْم، نِحَالَ الأَجْسَادِ، وَقَد نَالَ الوَهَنُ مِنْهُم، وبَاتوْا مُعرَّضين جدًّا للإصَابَة بالجرَاثِيم مثْلَ ضمَّة الكوليرا، والتِي عادًة مَا يتِمُّ إبْطَالُ تَأثيرَاتِهَا بوَاسِطَة العُصَارَات الهَضميَّة لمِعْدَةٍ سَليْمَة. لقَد أَحدثَت تفَشِّيات الكوليرا خسَائِرَ فَادِحًة في الأَحيَاءِ الوَضِيْعَة، وبسَطَت رهْبَةُ المرَضِ جذوْرهَا عميْقًا في الروْحِ المَعنَويَّةِ الشَعبيَّة، فطَالَت المَخاوِفُ ذَاتَهَا العديْدَ مِن السُيَّاح، فتجنَّبوا الذهابَ لنابولي خلَالَ حِقبَة الكوليرا، وفِي عَامِ 1867قامَ "مارك توين" بزِيَارَةٍ لهَا، فتسَلَّق جبَلَ "فيزوف" وكتَب اسْتِقراءً فُكاهيًّا قاتِمًا عَن حَالَةِ التخَوُّفِ الدَائمِ فِي المَديْنة:

*"شَاهِد نابولي وأُلفُظ أَنْفَاسَك". حسنًا، أنا لَا أَعرِف إذَا كانَ المَرْء سيُلَاِقي مَنِيَّتَه بالضَروْرَة بعْدَ رُؤيَتهِ لهَا فقَط، ولَكن قَد يتَّضِحُ لكَ أَنَّ مُحَاولَة العَيْشِ هُناكَ أَمْرٌ مُخْتَلِفٌ قليْلًا...فالنَاسُ قَذروْنَ بعَادَاتهمِ، وهذَا مَا جعَل الشَوارِعَ قَذِرًة ووَلَّد منَاظِر وروَائِحَ كَريْهَة. لَا وجوْدَ أَبدًا لمُجتمَعٍ مُتحَاملٍ للغَايَةِ على الكوليرا مثْلَ هَؤلَاءِ النَابوليِّين، ولكنَّهُم يمْتَلكوْنَ سببًا وجيْهًا ليُصْبِحوا على هذَا الحَال، فالكوليرا تَقْهَرُ الشَخْصَ النابولي عندمَا تضَعُ يدَهَا عَليْه، لأنَّه وكمَا تعرفوْنَ قبْلَ أَن يتمَكَّن الطَبِيْبُ من البَحْثِ فِي الغَائِط والنَجَاحِ بالوصوْلِ إلى المَرَضِ يكوْنُ الرَجلُ قَد مَات.*

سادَ اعتِقَادٌ بيْنَ عدَدٍ لَا يُحصَى مِن المُفَسِّرين الأكثَر عقلَانيَّة بأنَّ الظروْفَ في نابولي قد تلفَّظَت بشَيءٍ مُقلقٍ للغَايَة عَن الأُمَّة الإيطَاليَّة، فقَد تلَاشَى الحمَاسُ الذِي أعْقبَ الاتِّحادَ عَام 1861 بسًرعَةٍ؛ عندمَا أَصْبحَ حجْمُ المشَاكلِ التي تُواجِهُ الدوْلَة الجَديْدَة جليًّا. وكما باتَ واضِحًا الآن، فإنَّ الوِلَادَةَ الإيطَاليَّةَ، تحَوَّلَت إلى شَأنٍ تُعنَى بهِ أقليَّةٌ صَغيْرة، وحوَّل الوَطَنِيُّوْنَ القَلِقوْنَ اهتمَامَهم إلى فَضْحِ الفَقْرِ والتخَلُّف لدَى الغَالبيَّة—نَحْو هَؤلَاءِ الذِيْنَ لَرُبَّمَا عَنَت لَهُم كَلِمَةَ "إيطاليا" أَيَّ شَيءٍ على الإطْلَاق، فهِي تُشِيْرُ إلى الضَرَائبِ على الموَادِّ الغذائيَّةِ الرَئيسيَّة، التَجنِيد الإلزَامِي، والمُحافظَة على الأَمْن بقوَّةٍ مُفرِطَة. كانَت هنَاكَ سِلسِلَةٌ مِن التَحْقِيْقَات، سوَاًء الخَاصَّة منْهَا والرَسميَّة، حوْلَ اللصُوصِيَّة في الرِيْف، الزِرَاعة ، الأُميَّة، المَافيَا، ونِطاقَاتٍ أُخرَى مِن الشَوَاغِل الاجتِمَاعيَّة. ولكِن مِن بيْنِ جَميْعِ المُعضِلَاتِ التِي كشَفَت الانْقِسَام المُخِيف بيْنَ الدَوْلَة والشَعْب191 وبيْنَ إيطاَليا "القاَنونيَّة" وإيطاليَا "الحَقيقيَّة"، ربَّما كانَت مُشكلَة الأحيَاء الوَضِيْعَة بنابولي هيَ الأكثَر إثارًة للقَلَق، وتِبعًا لمؤَلِّفٍ توسَكانِي سبَقَ لَهُ أَن زَارَ تِلْكَ الأحيَاء الوَضِيْعَة حامِلًا مُسدَّسًا بيَدِه عَامَ 1877:

----------- \*مارك توين: واسمه الحقيقي "صمويل لانغهورن كليمنس" هو كاتب أمريكي ساخر عرف برواياته مغامرات هكلبيري فين التي وصفت بأنها "الرواية الأمريكية العظيمة" ومغامرات توم سوير.

*"بِوسْعِكَ هُنَا نِسيَان أَرضِ الأجْدَاد، إيطَاليا، الأُمَّة. إنَّهم نَابولِيُّونَ وهذَا كلُّ مَا يُهِم، فكلُّ الإيطاليِّين الآخَريْنَ بالنِسبَةِ إليْهِم هُم إمَّا مِن بيدمونت نحْوَ الشَمَال أو ريفيون إلى الجَنُوب، بالإضَافَةِ لذَلِك فإنَّ هَؤلَاءِ النَاس لَا يُظهِروْنَ أيَّ تعَلُّقٍ نَبيْلٍ بحُجُراتِهم القَذِرَة، وليْسَ لديْهِم طموْحٌ أعظَم مِن الاستِمْتَاع بفَقرهِم المُدْقِع فِي سَلَام، وإِن تُرِكوا لوَحْدهِم ليتَسَكَّعوا في قذَارَتهمِ طِوَالَ اليَوْم، ومُنِحوا قواقعَ ومَعكروْنًة رَخيْصًة ليَأكلوْهَا، فَحيْنهَا لَن يَسْأَلوا أَبدًا عَن نَوْعِ الحُكومَةِ التِي تُديْرُ بِلَادَهم".*

وَبِرَغْمِ هذَا وغيْرهِ مِن المُناشَدات المَشوْبَةِ بالعَاطِفَة، فقَد بَقِيَ كلُّ شَيءٍ على حَالهِ حتَّى أوَائلِ خَريْفِ عَام 1884؛ عندمَا عادَت الكوليرا مرّةً أُخرَى إلى نابولي، لتَقطِفَ حِصًّة كبيْرًة مِن ضحَايَاها فِي الأحيَاء الوَضِيْعَة، فهجَرَها كلُّ مَن توافَرَت لَه السُبُل، حَيْثُ فرَّ 150000 شَخص بالمُجمَل—الطبقَة الأَرستُقراطيَّة بأَكمَلهَا تقريْبًا والطبقَة الوسْطَى. أُضرِمَت نيْرَانُ أحجَارِ الكِبريْتِ في العرَاءِ لأنَّهم ظنُّوا أنَّها تُنَقِّي هواءَ الزَفِير الضَار، غَيْرَ أنَّ الأَدخِنةَ الجَهنميَّة جعلَت الهوَاءَ أَسوَأ مِن المُعتَاد—فاخْتنقَ بعْضُ الأَشخَاصِ الذيْنَ يُعانوْنَ مِن صُعوبَاتٍ في التنَفُّسِ حتَّى المَوْت. وبأوَائلِ شَهْرِ سبتَمبَر، كانَ المِئَاتُ مِن قَاطنِي المسَاكنِ يُلَاقوْنَ حَتفَهم يوْميًّا، وبدَت صرخَاتُ الضحَايَا ونَحيْبُ المَفجوعِيْنَ لَانهايَة لهَا، وتُركَت الجُثَث لعِدَّة أيَّامٍ دوْنَ أَن تُجْمَع. يُعتقَد أنَّ أكثَر مِن 7000 شَخْص قَد قَضَوا نَحْبهُم بمُدَّةٍ تتجَاوَزُ الشَهْر بقَلِيل، فاستشْرَى الفزَعُ والحِنْقُ، وانتشَرَت الشَائِعاَتُ دوْنَ رَادِع: قيْلَ إنَّ الكوليرا مَاهِيَ إلَّا سُمٌّ اختُرِعَ لإبَادَةِ المَحروْمِين، فرُشِقَ الأَطبَّاءُ والمَسؤولوْنَ بالحِجَارة وضُربوْا، فقَد أصْبَحوا موْضِعاً للشُبهَة بنَشْرِ الوبَاءِ عَن عَمْد. نظَرَ الرَأيُ العَامُّ الأُوروبِيُّ برُعْبٍ إلى مَا دَعَتْهُ صَحِيفَةُ التَايمِز اللندُنيَّة بأنَّه "شعْبٌ غَارِقٌ بالجَهْلِ والخُرَافة، يغْمرهُ الحزْنُ والخَوْف". ففِي البدَايَات بدَا أنَّ موَاكِبَ التَوْبةِ واستِعرَاضِ صُوَرِ القدِّيسِين نجَحَت وَحْدَهَا في إبْقَاءِ الجُموْعَ الهَائِجَةَ تحْتَ السَيْطَرَة. انْتَظمَت صَحَافَةُ الدَاخِل والخَارِج بصَفٍّ وَاحدٍ مُتوعِّدةً باستِنكَارٍ مُتأَخِّرٍ: لقَد كانَت نابولي وصْمَة عَارٍ على البشَريَّة والحضَارَة وإيطَاليا.

حدَثَ بعْدَ ذَلِك أَن استلَمَ المَلِك "أومبيرتو" زِمَام المُبادَرة. لقَد أصْبحَت الكوَارِث الطَبيعيَّة مثْلَ الفيضَاناَت فِي "فينيتو" سنَة 1882 والزِلزَال الذِي ضرَب جزيْرَة إسكيا\* سنَة 192 مَثَّلَت مُنَاسبًة اسْتِعرَاضِيًّة هامًّة بالنسْبَةِ للملكيَّةِ 1883 التِي لَم تُوَطِّد حُكمَهَا بَعْد، وبالنسبَة للمَلكِ الذِي كانَ مُمِلًّا وذَا شَخصيَّةٍ مُبهمَةٍ إلى حَدٍّ مَا فعِندمَا وصلَت أخبَارُ الوبَاءِ المُستَعرِ إلى "أومبرتو"

----------

\*إسكيا: هي جزيرة بركانية في البحر التيراني. تقع في الطرف الشمالي لخليج نابولي، على بعد حوالى 30 كيلومترًا من مدينة نابولي. وهي أكبر الجزر الفليغرية.

\*أومبيرتو الأول: ملك إيطاليا في الفترة من 9 يناير عام 1878 حتى وفاته، زوجته الملكة مارغاريتا. كان مكروهاً للغاية في الأوساط اليسارية، وخاصة بين اللاسلطويين، بسبب موقفه المحافظ المتشدد ودعمه مجزرة بافا بكاريس في ميلانو. اغتاله الأناركي غايتانو بريشي بعدها بعامين.

\*فينيتو: أحد أقاليم إيطاليا العشرين، يقع في شمال شرق إيطاليا، عدد سكانه 4.759.872 نسمة ومساحته 18391,22 كيلومتر مربع، وعدد مدنه وبلداته وقراه 581، عاصمة الإقليم هي البندقية.

صمَّمَ على الذهَاب إلى "نابولي" شَخْصِيًّا، وبالإضَافَةِ لكَونِهَا حركًة سياسِيًّة ذكيًّة، فإنَّها جَسوْرًة للغَايَة أيْضًا. لَم تكُن الكوليرا والاضْطِرابَات الشَعبيَّة هي مَا يتعيَّن موَاجهَتَه فقَط، فحِيْنَ زارَ "أومبرتو" المديْنةَ لأوَّلِ مرَّةٍ حاوَل طَاهيِ لاسلطوي\* طَعْنَهُ حتَّى المَوْت بعْدَ فَترَةٍ وَجيْزَةٍ على تقَلُّدهِ العَرْش عَام 1878. غيْرَ أنَّ هَذهِ الإقَامَة المَلكيَّة الأَخيْرَة فيِ نابولي قد قوبِلَت بارتِيَاحٍ واستِحسَانٍ عاَلمِيٍّ تَقريْبًا؛ ووفقًا لصَحيفَة النيويورك تاَيمز، فإنَّ إيطاليا "قَد ثَارَت حمَاسَتُهَا بجُنوْنٍ لأَجْلِ المَلِك"، فوجوْدُه عَمِلَ على تَهدِئَة السُكَّان وأَعطَى دفْقًا جديْدًا مِن الشجَاعَةِ للسُلطَات المَغلوْبِ على أَمْرِها"، فزَارَ المشَافي وقَبِلَ التِماسَات الاستِرحَام، ووزَّع النقوْدَ بيْنَ النَاس، وحتَّى إنَّه قامَ برِحلَةٍ شَخصِيَّةٍ إلى أكثَرِ المنَاطِق فقْرًا—ولَكِن بوِسْعِنا الافْتِرَاضُ باطمِئنَانٍ بأنَّهُ لَم يُجَرِّب تنَاولَ البِيتزَا.

وسواءً أكانَ "أومبرتو" أو رَئيْسِ وزَرَائِه هوَ مَن قَال: "يجِبُ أَن تُنزَع أحشَاءُ نابولي!". خِلَال التِجْوَل عبْرَ الأَحْيَاءِ الوَضِيْعَة، يُمْكِنُنَا الجَزْمُ بأنَّهُ أمْرٌ غيْرَ مُؤكَّدٍ. ومعَ ذَلِك، فقَد أصبحَت هَذهِ العِبارَة شِعَارًا لاستِجَابَة الحكومَةِ على المَدى الطويْلِ تِجاهَ الأَزَمَات: فكانَ لَابُدَّ مِن اقتِلَاعِ أَحْشَاءِ المَديْنَة العَفِنَة، فهُدِمَتْ المسَاكِن وأُنشِئَت أحيَاءُ جَديْدَة، جيِّدَة الهوَاءِ والإِنَارَة. لقَد حثَّت هَذهِ العِبَارَة أيْضًا "ماتيلد سيراو" على تألِيْفِ كِتَاب "أحشَاءُ نابولي" ووَصْفهِا للبِيتزَا، فهيَ، وكحَالِ العَديْدِ مِن النابوليِّين، يَعتَريْهَا خوْفٌ ضَليْعٌ بالكوليرا—لقدَ قاَلت إنَّ مُجرَّد التَفكيْرِ بالكوليرا يُسبِّب تهيُّجًا بمِعدَتِهَا—وهذَا مَا جعَلهَا تَمكثُ في منْزِلهَا الذِي اتَّخذَتْهُ سكنًا لهَا في روما خلَالَ التَفَشِّي وكتَبَت تَقريْرَها الصحَافِي الحَي عَن أحيَاءِ المديْنَة المُزرِيَة مِن الذَاكِرة، ولقَد ساعَد نجَاحُ هذَا التَقريْرِ بدَفْعِها إلى مِهْنَةٍ نَاجِحَةٍ بشَكْلٍ كَبيْرٍ كَروَائيَّة، وكَاتِبَة عَموْدٍ للإشَاعَاتِ فِي الصَحيْفَة، ورَئيسَة تحريْرِ جَريْدَة—ونابوليَّة خَبِيْرَة.

لقَد أَسْفرَت خُطَّة "نَزْعِ أَحشَاء" نابولي عَن بعْضِ النتَائجِ المَلموْسَة التِي لَاتزَالُ واضِحًة حتَّى يَومِنَا هذَا: أَبرَزَهَا "كورسو أومبرتو"، وهوَ شَارِعٌ عريْضٌ تمتَدُّ أجزَاؤهُ مُباشرًة عبْرَ الأحيَاءِ الأَربَعةِ مِن المَديْنَة، الأَكثَرَ تضَرُّرًا مِن تفَشِّي دَاءِ الكوليرا سنَة 1884. عادَ المَلكُ "أومبرتو" إلى نابولي بيونيو عَام 1889 لافتِتَاحِ أعمَالِ إِعادَةِ الإعْمَار، فرَافَقَتْهُ المَلِكَةُ وخلَالَ هَذهِ الزِياَرة اكتسَبَت بِيتزَا مارغريتا اسْمهَا.

بعْدَ الأعمَالِ البطوليَّةِ للمَلكِ عَام 1884، باتَت تَقْدِيسَ المَلكيَّة أَقوَى على نحْوٍ خَاصٍّ فِي المَديْنَة، وصارت لدَى الأُسْرَةِ المَلَكِيَّةِ أفْكارٌ جَلِيًّة حوْلَ سُرْعَةِ التَأَثُّرِ التِي يَتَّصِفُ بهَا النابوليُّون، وكَم بدَا رَدُّ فِعْلهِم جيِّدًا193 تِجَاه سِحْرِ الشَخصيَّةِ الملكيَّة—لقَد لعِبَت ذِكرَى

-------- \*اللاسلطوية: وتُعرف أيضاً باسم الأناركية ويطلق على أتباعها اسم اللاسلطويون هي فلسفة سياسية ترفض التسلسلات الهرمية التي يرونها غير عادلة. يدعو أنصار اللاسلطوية إلى مجتمعات من دون دولة مبنية على أساس جمعيات تطوعية غير هرمية.

شعبيَّة مَلِك المُشرَّدين في وقْتٍ بَاكِرٍ دوْرًا مَلحُوْظًا، وبدَا أنَّ "مارغريتا" الشَقرَاء الصَريْحَة الفَاتِنَة؛ محْبوبًة أكثَر بكَثيْرٍ مِن "أومبرتو" البَاسِل، وكانَت "ماتيلدا سيراو"، وهيَ المُحَافِظَة المُناصِرَة للملكيَّة، أحَد أكثَر المُنادينَ بفضَائِل المَلِكَة، وقَد حمَلَت المجَلَّة النِسائيَّة الرَائِدَة اسْمَ "مارغريتا"، وحوَّلَت ترَاجُم السِيَر الذَاتيَّة المُتمَلِّقة كُلَّ جَانبٍ مِن نمَطِ حيَاتِهَا إلى نَموْذَجٍ يُحتذَى بهِ للمَرأَة الإيطَاليَّة، فأصبَحَت مِثالًا للجمَال، الأنَاقَة، الإحْسَان والنَظَافَة الصِحيَّة—وهيَ كلمَةٌ طنَّانَةٌ قادِمَة مِن عَصْرٍ احتضَن كُلَّ شَيءٍ بِدْءًا مِن الغَسيْلِ والتمَاريْنِ إلى الطِبِّ والحِميَةِ الغِذَائيَّة. وهكذَا، أحدثَت "النظَافَة" علَاقًة جَديْدًة بيْنَ الصِحَّة وتنَاولِ الطَعَام؛ غيْرَ أنَّ العمَل الانْسِيَابِي لعمليَّةِ الهَضْمِ بَقِيَ مِعيَارًا هامًّا للهَنَاء، كمَا كانَ الحَال في عصْرِ "جالينوس". ووفْقًا للسيْرَة الذَاتيَّة لأَحدِ النابوليِّين، فإنَّ المَلِكَة قَد وازَنَت بشَكْلٍ صِحٍّي بيْنَ مَا تَأكُلَهُ و"قوَّتهَا الهَضمِيَّة" عبْرَ تَفْضِيلِ الدجَاجِ والطرَائِد مِن الطيوْر، الأَرُز، الخُضروَات المَسلوْقَة، البَيْض ومُنتجَات الحَليْب، وتنَاول الآيْسِ كريم والقَهْوَة السَوْدَاء بعْدَ الوَجَبات، لقَد تمَّ أخْذُ كُلُّ شَيءٍ بعَيْنِ الاعتِبَار بحيْثُ " لَا يُخَلُّ بعمَليَّة الهَضْم"، لقَد بدَت وجبَاتُ غدَائِهَا الفرنسيَّة الصَارِمَة التقليديَّة أيْضًا مُعتدلًة وصحيًّة، وتتألَّفُ عادًة مِن الحسَاء، طبقَيْنِ مِن المُقبِّلَات، عَصيْرِ الفَاكِهَة المُثلَّج، طبَقٍ مِن الشِوَاء، خُضار، طبَق حَلوَى.

لَاشكَّ أنَّ مصَادِر الميَاهِ فِي نابولي أصْبحَت أكثَر نظافًة في الوقْتِ الذِي عادَ فيْهِ الزَوجَان الملَكيِّانِ إليْهَا عَامَ 1889 ممَّا كانَت عليْهِ سنَة 1884، ولكنَّ تَحَلِّي ملِكَةُ النَظَافَة الصِحيَّة بالشجَاعَةِ بالفِعْل لتذَوُّقِ البِيتزَا التِي سُمِّيت على اسمِهَا هوَ أَمْرٌ محَلٌّ للجَدَل—لَا تعْرِض الرسَالَة المَوجوْدَة فِي مطعَم "بِيتزَا براندي" أيَّ دَليلٍ قَاطعٍ بكِلتَا الحَالتَين. ومعَ ذَلِك، فإنَّ بَادِرتهَا بإضْفَاءِ قبُوْلٍ مَلَكِيٍّ على أَردَأ طبَقٍ في أَفقَرِ مَديْنَةٍ بإيطَاليا؛ يَحمِلُ معنًى سِيَاسيًا وإنْسَانِيًا، بالإمْكَانِ اعتِبَارَه مُسَاويًا لمَا حدَث بأوَاخرِ القرْنِ التَاسعِ عشَر عَامَ 1987 عندمَا احتضَنَت الأميْرَة "ديانا" مَرضَى الأَيْدِز. وبوَاسِطة البِيتزَا، قامَت "مارغريتا" برِحلَتِها إلى أَحشَاءِ نابولي.

وباسْمِ النظَافَةِ الصِحيَّة، أَصبحَت "نابولي" موَضوْعًا للكَثيْرِ مِنَ الغَطرَسَة غيْرِ المُستحَقَّة مِن أَقْصَى الشَمَالِ الإيطَالِي، فبتَعليقٍ على الافتِتَاحِ المَلَكيِّ "لنَزْعِ أحشَاء نابولي" عَامَ 1889، أعرَبَت صَحيْفَة "لَا نازيون" الفلورنسيَّة عَن أَملهَا الرَاسِخ بتَعَلُّمِ النابوليِّينَ تَصحِيْحَ عادَاتهِم القَديْمَة الغَيْر صائِبة مِن نَاحِيَةِ النَظَافَةِ الصِحيَّة بكُلِّ تَأكِيد، ولَكِن حتَّى الشَخْصُ النَابوليُّ لَا يَسَعَهُ إنْكَار أنَّ البِيتزَا كَانَت غيْرَ نَظِيْفَةٍ للغَايَة لدرَجَةِ أنَّها ربَّما تكوْنُ قَاتِلة. كانَت فُرَصُ تصديْرِ عيِّنَةٍ مِن هَذهِ القذَارَة خَارِج نابولي معدومًة تقريْبًا، يُخبِرنَا كِتَابُ "أحشَاءُ نابولي" لمُؤلِّفِهِ "سيراو" قصًّة عَن صَاحِبِ مَشْروعٍ نَابوليٍّ غيْرِ ذِي شَأْن، حاولَ تَأسيْسَ سوْقِ تصريْفٍ للبِيتزَا فِي روما. مِن النَاحِية النظَريَّة، كانَ يَنبَغِي وجوْدَ سوْقٍ جَاهِز: 194 فالعَديْدُ مِن النابوليِّين استغَلُّوا الفُرصَة للانْتِقَال، عنْدمَا تمَّ نقْلُ مقَرِّ الحكوْمَة الإيطاليَّة إلى روما عَام 1870. قامَ صَاحِبُ المَشروْعِ بعَرْضِ مَجموْعَةٍ كَامِلَةٍ مِن المُنتجَات: بِيتزَا الطمَاطِم، بِيتزَا معَ جُبنَة الموزَاريلَا، بِيتزَا معَ الأُنشوْفَة، بِيتزَا معَ الثُوْم، الزَيْت والزَعْتَر. غيْرَ أنَّ هذَا المَشروْع التِجَاري لَاقَى فشَلًا ذَريْعًا، وكمَا أَوْرَدَت "سيراو" بشَكلٍ مَعسوْلٍ نوْعًا مَا: "عنْدمَا تمَّ نَقْلُ البِيتزَا مِن بيْئَتِهَا النَابوليَّة، بدَت غيْرَ مُلَائِمَة، لقَد أَصْبَحَت عَسيْرَة الهَضْمِ" . لَم تُسَجَّل كَلِمَة "مَطعَم البِيتزَا" في القَاموْسِ الإيْطَالي حتَّى عَام 1918، وفي عَام 1947 قامَ صِحَافيٌّ مِن نابولي، يَصِفُ مدينَتَه لجُمهوْرٍ وطَنِي، باستِخدَام هَذهِ الكَلِمَة ضمْنَ علَامَات اقتِبَاس—مِن الوَاضحِ أنَّه اعتقَد أنَّ الغُربَاء غَيْرَ وَاثقيْنَ مِن معْنَاها، ولَم تَجِد البَقيَّة مِن إيطَاليا أنَّ البِيتزَا ليْسَت قابِلًة للهَضْمِ فقَط، بَل لذِيذًة حتَّى عَام 1960 و1970. 195

====

**12**

**فلورنسا عَام 1891**

**-----------------------------------**

**بيلغرينو أرتوسي**

**قِطَعُ الضَأْن**

كِتَابُ "عِلمُ المَطبَخِ وفَنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكْلٍ جَيِّدٍ" للمؤَلِّف "بيلغرينو أرتوسي"، والذِي نُشِرَ عَام 1891، هو أحَدَ أَكثَرِ كُتُب الطَهْيِ تَأثِيْرًا في التَاريْخِ الإيْطَالِي، وكانَ تَقريْبًا الكِتَابَ الوَحيْدَ فِي العَديْدِ مِن المنَازلِ الإيطاليَّة خلَالَ فترَةٍ كبيْرَةٍ مِن القَرْنِ العِشريْن، حيْثُ تَزخَرُ صفَحَاتهُ المُتآكِلَة مِن كَثْرَةِ تَقليْبِهَا بالمُلَاحظَات التِي خَطَّها بيَدهِ والوَصَفات المُتنَوِّعة. لقَد أصْبحَت قوَاعِد "أرتوسي" واقتراحَاتُهُ مِن الأموْرِ البَديهيَّة : وإلى هذَا اليَوم، يكتَشِفُ الإيطاليُّونَ أنَّ وصَفَاتِ جدَّاتهِم غالبًا مَا تكوْنُ فِي الوَاقِع لـ"أرتوسي" وقَد تسرَّبَت دوْنَ ذِكْرِ مَصْدَرِهَا إلى نَسيْجِ تقَاليْدِ العَائِلَة.

يتمتَّعُ "أرتوسي" باحتِرَامٍ يتخطَّى ازدرَاءَ الإيطاليِّين اللَّطيْف لآرَاءِ الأجَانِب بمسَائلِ فَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه. وأَيُّ شخْصٍ غيْرِ إيطَالي تناوَلَ العشَاء معَ مجموْعَةٍ مِن الإيطاليِّين لَابُدَّ أنَّه اختبَر أَن يُصبِحَ فجْأًة غيْرَ مَرئِيٍّ وَغيْرَ مَسموْعٍ عنْدمَا يتغيَّر الحديْثُ إلى الطعَام—كمَا يحْدُث دائِمًا. ويزدَادُ الإحسَاسُ بالعُزلَةِ باستمْرَارِ الضيوْفِ بتبَادُل القِصَص، وِجهَات النَظَر، والآرَاء النَفِيسة: "هناكَ طريْقَة وحيْدَة فقَط لإعدَادِ كَعكَةِ الكَاسِتنَاتشُو، وهِيَ كعْكَةٌ مُسطَّحةٌ مِن طَحيْنِ الكَستنَاء" أو "أَيْن اختَفَت جَمِيْعُ الأوستيري المطَاعِم الرَخِيْصَة؟" دوْنَ أَن يَكشِفوْا المعَانِي الكَامِنَةِ ورَاءَ كَلِمَاتهِم أَو يتَحَدَّثوا كلَامًا وَاضِحًا. ليْسَ بِيَدِ أَيِّ شَخْصٍ دَخيْلٍ حِيْلَةٌ لجَذْبِ اهتِمَامِ رفِاقهِ، فمَا بَالُكَ بمُحَاولَةِ التَشَبُّثِ بالعَوْدَةِ للمُشَارَكَةِ بالحَدِيْث، لَكِنَّهُ لَن يَجنِيَ شَيْئًا مِن ذَلِك وعليْهِ الانْتِظَارُ حتَّى تَمُرَّ فَترَةٌ مِن الهدوْءِ ويُفْضِي بِمَا عِنْدَه. هناكَ نوْعَان مِن الأجَانبِ فِي إيطاليا: أُولئِك الذيْنَ لَا يعرفوْنَ شيْئًا عَن الطعَام، وهَؤلَاءِ الذيْنَ قرَأوا كِتَاب "عِلمُ المطبْخِ وفَنِّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكْلٍ جَيِّد".

إنَّ "بيلغرينو أرتوسي" لَم يجمَعْ ويُنَظِّم العَديْدَ مِن 196 وصَفَاتِ الطَعَامِ التي لَاتزَالُ الدَعَامَة الأساسيَّة لمَطبَخ شبْهِ الجزيْرَةِ الإيطاليَّة، لكنَّه أيْضًا حوَّل هَذهِ الأطْبَاق ولأوَّلِ مرَّةٍ إلى قَالَبٍ للهويَّة الوطنيَّة الإيطاليَّة، إنَّه الأوَّل بعْدَ "سكابي" الطَاهِي "الِسرِّي" للبَابَا عَام 1500، والذِي حاوَل إقامَة حِوَارٍ بيْنَ لهَجَات الطعَام المُختَلِفَة الإيطاليَّة، وعلى نَحوٍ صَارِمٍ ولَكِن لَبِق، وهوَ أوَّلُ مَن حارَبَ الهَيمنَة الفرنسيَّة في المَطبَخ أيْضًا، مُلَاحِظًا بفتُوْرٍ أنَّ "أسلوْبَ الطَهْيِ الإيطَالِيِّ يُنَافِسُ الفَرَنْسِي، وفي بعْضِ النُقَاطِ يتفَوَّقُ علَيْه". وبكِتَاب "علْمُ المَطبَخ" خرجَت إيطَاليا مِن تحْتِ ظِلِّ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه لجَارَتِهَا الوَاقِعَة ورَاءَ جِبَال الأَلْب.

كانَ "بيلغرينو أرتوسي" أحَد هؤلَاءِ الناس النَادرِيْن الذيْنَ لَم يتحدَّث أحَدٌ عنْهُم بالسُوْء، فلقَد اتَّصَفَ بالكَرَمِ واللُّطْف، وهوَ نموْذَجٌ للاسْتِقَامَةِ المُريْحَة، رغْمَ أنَّه لَم يشْعُر بالخَجَل وبِشَكْلٍ مُحبَّبٍ للغَايَة مِن غَرَائبِه اللَّطيْفَة؛ فقَد أهْدَى كتَابَ "علمُ المَطبَخ" لقِطَّتيْهِ البَيضَاويْن، وارْتدَى مِعْطفًا طويْلًا وقُبَّعًة رسميَّة، أما سَالِفَا شَعرهِ فهُمَا كَثيفَان جدًا ومتَّصلَان بشَاربهِ و بعيْدَان عمَّا هوَ دَارِجٌ حتَّى في تِلكَ الأيَّام.

لقَد أثبتَت طريْقَة "أرتوسي" السَهْلة أنَّها مِفتَاح انتِصَار كِتَاب طَهْيِه: "يحْتَوي هذَا الدَليْلِ العَمَلي على كُلِّ مَا تَحْتَاجُ لمَعرفَتِه وهوَ كيفِيَّة إمْسَاكِ مِغرفَةٍ بسُرعَة وسوْفَ تُحرِز النجَاحَ دوْنَ جُهْد". إنَّ الكثيْرَ مِن سِحْرِ كِتَاب "علمُ المَطبَخ" على شَكْلِ نوَادِر، يدوْرُ العديْدُ منْهَا حوْلَ حيَاةِ "أرتوسي" الخَاصَّة. في إِحْدَى المرَّات، وأَثْنَاء نِقَاشٍ عَن الطَاووْسِ المَشْوِي، انحرَفَ عَن المَوضوْعِ إلى حَدٍّ كَبيْرٍ لدرَجَة أنَّه نَسِيَ إِدْرَاجَ الوَصْفَة—فهُوَ يُدرِكُ كَم يَبْدو الطَعَامُ أَشْهَى حِيْنَ يُتَبَّل بِقصَّة، وعنْدَ بِدايَة المَدْخَل إلى أَقْرَاصِ الخُبْزِ المَحشيَّة، تطَرَّق إلى مَوضوْعٍ جَانبِيٍّ يَكشِفُ شيْئًا جَوهَريًّا عنَ طَهْيِه، وعَن المَطبَخ الإيْطَالي:

*إنَّ طَاهيًا جيِّدًا في مديْنَةٍ عظيْمَة يُشبِه إلى حَدٍّ مَا جِنرَالًا فِي مَسرَحِ حرْبٍ شَاسِع، وتحْتَ تصَرُّفِه فيَالِقُ مِن القوَّاتِ المُتمَرِّسة بالقِتَال في خنَادقٍ محْفورَةٍ جيِّدًا—بمَعْنًى آخَر، كلُّ مَا عليْهِ فِعْلَه هوَ التظَاهرُ بالشَجَاعة،197*



الأَب للمَطبخَ الإيطَالي المُعاصِر، والابنُ البَار لبلدَة "فورليمبوبولي"، إنَّهُ "بيليغرينو أرتوسي" بسَالفَيْهِ الكَثيْفَين والمُتَّصِلَين بشَاربِه بشَكْلٍ بعيْدٍ عمَّا هوَ دَارِج.

*فالأَمْرُ لَا يقتَصِرُ على أنَّ المدُن الكُبْرَى تُزوَّدُ بوَفْرَةٍ مِن جَمِيْعِ أنوَاعِ المُكوِّناتِ الفَاخِرة، فَفِيْهَا أُنَاسٌ* *مُهِمَّتهَم هِيَ تزويْدُكَ بأَشيَاءٍ بالِغَةِ الصِغَر ذَاتَ أهميَّةٍ جوهريَّةٍ طَفيْفَة، لكنَّها تُساعِد بجَعْلِ عمَلَك مُتنَوِّعًا وأنيْقًا ودقيْقًا، وهكَذا بوسْعِ المَرْءِ أَن يَجِدَ في المَديْنَة أَصَابِع الخُبْزِ ليُقطِّعَها إلى شرَائِح ويضَعَها على سِيْخِ النَار معَ الطُيوْر، وهُناكَ أَقرَاصُ الخُبزِ بحَجْمِ التُفَّاحَة والتِي خُبِزَت خِصِّيصًا ليَتِمَّ حَشْوهَا.*

لَا يُمكِن أَن يوْجَد تفسِيْرٌ أكثرَ وضوْحًا عَن سبَب استمْرَار المَأكوْلَات الإيطَاليَّة لكَوْنِهَا طعَامَ مديْنَةٍ بعْدَ الاتِّحَاد، فلَوْلَا فلورنسا وأسوَاقهَا ومطَاعِمِهَا، وحِرَفِيِّيهَا المَهَرَة، ومَوقِعِهَا الأَدَبِي المُزدَهر ولاعْتِبَارِ أَنَّهَا تحْظَى بالاحْتِرَام كشَخْصٍ مِن الطبَقَةِ الوُسْطَى، لمَا كانَ كتَابُ الطَهْيِ الإيطَالي الأكثَر عظمًة مِن بيْنهِم جميْعًا قَد رأَى النوْرَ أبَدًا ( بالمُناسبَة، لقَد تمَّت إزَالَة مُعظَمِ الجُزءِ الدَاخِليِّ الطَريِّ مِن أقرَاصِ الخُبْزِ عبْرَ التفريْغِ بشَكلِ دَائِرِي مِن القِشْرَة، ثمَّ يَتِمُّ تَرطيْبهَا قليْلًا بالحَليْب، وتُغمَس بالبَيْض، وتُقْلَى قبْلَ أَن تُحْشَى بمَزيْجٍ مِن كَبدِ الدَجَاج، الخُبْزِ الحُلو، وصَلصَة اللَّحمِ المُنكَّهَةِ بالكَمَأة).

ومعَ ذَلِك، فَبوسْعِ أَيِّ شخْصٍ استمَعَ إلى لهَجَتهِ، إدْرَاكَ أنَّ "أرتوسي" لَم يُولَد في فلورنسا، وأنَّ طهْيَه ليْسَ فلورَنسيًّا—برَغْمِ العَديْدِ مِن 198 الأَطعِمَة المُفضَّلة التوسكانيَّة التِي تظْهَر فِي

-----------

\*فورليمبوبولي: هي بلدة في مقاطعة فورلي تشيزينا في إقليم إميليا رومانيا الإيطالي.

كِتَاب "علمُ المَطبخ". إنَّ مسْقطَ رأْسِ "أرتوسي" فِي "فورليمبوبولي"، وهِيَ مديْنَة صغيْرَة مُسوَّرة على الجَانبِ الآخَر من سِلسِلَة جِبَال أبينيني فِي إقليْمِ رومَانيَا—كانَت حيْنهَا واحِدًة مِن أَفقَر الأمَاكنِ بإيطَاليا—ولقَد احتفَظ دائِمًا ببعْضِ الأرَاضِي قُرْبَ "فورليمبوبولي"، حتَّى عنْدمَا عاشَ في فلورنسا، ويَبْدو تَأثْيْرَ إقليْمِ رومَانيَا على وصَفَاتهِ أكثَر وضوْحًا مِن توسكان. لقَد دعَا "أرتوسي" نجَاحَ كِتَابِه بـ" قصَّة" سنَدريلَّا. فَفِي البِدَايَة تمَّ تجَاهُل كِتَاب "عِلمُ المَطبَخ" مِن قِبَل المُؤسَّسة الأدبيَّة، لكنَّه أصْبحَ ظَاهِرًة لَاقَت روَاجًا كبيْرًا حِيْنَ طبَعَه بنَفْسِه، غيْرَ أنَّ الشُهرَة لَم تَجِد طريْقهَا إلى "أرتوسي" إلَّا عنْدَمَا أصْبحَ رجُلًا عجوْزًا فِي الحَادِيَةِ والسَبْعِينَ مِن عُمُرِه، بعْدَ صدُوْرِ كِتَاب طَهْيهِ لأوَّلِ مرَّة. إنَّ قِصَّة سندريلَّا لكِتَاب "علمُ المَطبَخ" قَد نشَأَت بحَدِّ ذَاتِها عَبْرَ جَمْعِ عدَدٍ مِن القِصَصِ الأُخرَى: عَن رجُلٍ، جذوْرهُ، أسْفَارُهُ، ومَديْنَتَهُ المُتَبَنَّاة فلورنسا، أمَّا "فورليمبوبولي" فهِيَ المكَانُ الذِي بدأَت منْهُ كلُّ القِصَص التِي اشترَكَت بإعْدَادِ كِتَاب "علمُ المَطبَخ"، واللَّحظَة الفَاصِلَة التِي أَخرجَت جَمِيْعَ الصِفَات الجَيِّدة لدَى "أرتوسي" ودفعَت رِحلتَه مِن ريْفِ رومَانيا الغَيْرِ خَاضعٍ لسَيْطَرَةِ القَانُوْن إلى مَديْنَة فلورنسا، قَد حَدَثَت قَبْلَ أرَبعيْنَ عامًا مِن تألِيْفِهِ لـ "علمُ المَطبَخ". فِي الخَامِسِ والعِشرِيْن من ينَاير عَام 1851، وجدَت عائِلَة "أرتوسي" نفسها مُحَاصَرةً في أَكثَرِ اعتِدَاءٍ شَائنٍ لقَاطِعِ طريْقٍ بِذَلِكَ العَصْر.

**المَرَاكِبي**

لقَد تحكَّمَت الحِسَابَاتُ المُهْلِكَةُ سَيِّئةُ الصِيْتِ بحَيَاةِ ومَوْتِ أَحَدِ قُطَّاعِ الطُرُق، فكلَّما أصْبَحَت أعمَالُ نَهْبهِ وسَلبهِ أكثَر نجَاحًا وتَرويْعًا، ازدَادَت سُمعتُهُ رَهْبًة وبَثَّت الرُعْبَ في نفوْسِ أَعدَائهِ المُحتمَلين، وأَحرَقَت الولَاءَ الطَامِعَ لِأَفرَادِ عِصَابَتهِ، أَصدِقَائهِ، وأقَاربِه. وكُلَّما عُرِفَ بإنْفَاقِهِ لغنَائمِه واحتِفَالهِ بانتِصَارَاتهِ بشَكلٍ شَنيْعٍ— بِهدَايَا سَخِيَّة، ثِيَابٍ مُبهْرجَة، الزِنَا، والاستِمْتَاع بتَعذيْبِ الخَوَنَة الذيْنَ تمَّ أَسرَهُم، انتشَرَت قَشعريْرَة الخَوْفِ والترَقُّبِ في الرِيْف. ومعَ ترَاكُم شُهرَتَه، ازْدَادَ أيْضًا الإحْرَاجُ السِيَاسِيُّ الذِي سبَّبَه للسُلُطَات، والثَمَن الذِي وضَعوْهُ مُقَاِبل رَأْسِه، وعدَدُ رِجَال الشُرطَة الذيْنَ أَرْسَلوهُم مِن المدُنِ لمُطارَدَتِه.

عنْدمَا قرَعَ المَرَاكِبي الذِي كانَ يَحْمِلُ مِظَلًّة خَضْرَاء كبيْرًة لتَحْمِيهِ مِن الرَذَاذ، بوَّابَات "فورليمبوبولي" بمسَاءِ يوْمِ السَبت 25 ينَاير عَام 1851، ربَّما شعَر أنَّه على وَشْكِ القيَامِ بخُطوَةٍ مُستقبلِيَّةٍ ستَفتَحُ لَهُ أبوَابَ شُهْرَةٍ عَظِيمَة 199 وموْتًا عنيْفًا مُبكِّرًا.

--------- \*سلسلة جبال الأبينيني: هي سلسلة جبال تمتد لمسافة تقدر بألف كم في إيطاليا من الشمال إلى الجنوب على طول الساحل الشرقي وتشكل العمود الفقري للبلاد.

لقَد أخبَرَه جَواسِيسُه دَاخِل أسوَار المَدينَة التِي تعوْدُ للعصوْرِ الوسْطَى أَنَّ خمْسةً مِن الحَامِيَةِ العَسكَريَّةِ المكوَّنةِ مِن اثنَي عشَر درَكيًّا يَجوبُوْنَ بعيدًا في دَوريَّة، والأفضَل مِن ذَلِك أنَّ خمْسةً منْهُم بمُهِمَّةٍ في المسْرَح حيْثُ بدَأ للتَوِّ أدَاءَ قِصَّةٍ مَأساويَّةٍ تُدعَى "وفَاةَ سيسارا". لَا يُمكِن أَن يكوْنَ المَوقِف مُلَائِمًا أكثَر، أو أَفضَلَ لخَلقِ أسطوْرَةِ قَاطِع طَريْق؛ كانَ جميْعُ موَاطنِي مديْنَة "فورليمبوبولي" الأثْريَاء، الذيْنَ ارتَدَوا أفْخَم مَا لديْهِم، يجلسوْنَ في صفوْفٍ أَنيْقَةٍ بالمَسرَح في مُتَنَاوَلِ اليَدِ ليَتِمَّ نَهبَهُم.

لَم يَبْلُغ المَرَاكِبي السَابِعَة والعِشريْن مِن عمُره بَعْد، لكنَّ أفعاَلَه جعَلتْ العَيْنَ لَا تُخطِئُه. كانَت صِدريَّتَه تَلمَعُ بالسَاعَات والسلَاسِل والدبَابِيْس الذَهبيَّة، وضُغِطَت تحْتَ ثِقَل العُملَات المَعدنيَّة والجَوَاهِر التِي خِيْطَت في بِطَانَتِها—كانَ الثَوْبُ يُمَثِّلُ مَصْرَف مٌدَّخراَتهِ وعلَامًة مُميَّزًة لَه. لقَد قَامَت بلَاغَاتٌ قضَائيَّةٌ لَا حصْرَ لهَا بوَصْفِ وَجهِه الفَتِيِّ الشَاحِبِ كمَريْضٍ مُصَابٍ بِدَاء السِفْلِس، ولحيَتَهِ السَوْدَاء الخَفيْفَة، وثقوْبٍ صغيْرَةٍ سبَّبهَا رذَاذُ بَاروْدِ إطْلَاقِ نَارٍ خَاطِئ لتَتْرُكَ وَشْمًا تحْتَ عَينهِ اليُسرَى. "بورن ستيفانو بيلوني"، وهوَ يَديْنُ بلقَبهِ لوَالدهِ الذِي يُعيْلُهُ معَ تِسْعَةِ أَطفَالٍ أكبَر سِنًا، عبْرَ قيِادَةِ مَركبٍ بُخَارِيٍّ خِلَالَ نهْرِ لَامونيعْندَ بونسيلينو إلى دَاخلِ مُقاطعَة رافينا\*، وعلى هَذهِ البُقعَة مِن المُستنقعَات والتِي تجتَازُها الأَنهَار المُعرَّضَة للفيَضَاناَت. تَجمَّع الفلَّاحوْنَ معَ بعْضِهم في أَكوَاخٍ مُزرِيَةٍ مَصنوْعَةٍ مِن العِصِيِّ أو القَصَب.

برَغْمِ فِرَارِ المَرَاكِبي ببَعْضِ الأحيَانِ صَوْبَ الجِباَل فوْقَ فاينزا، وضَربِ أَهدَافٍ في الشمَالِ والجَنوْب، فقَد وجَد ملَاذًا وبنَى سُمعتَه السيِّئة حوْلَ قَريَةِ وِلَادَتِه. فَفِي بانيارا، كوتينيولا، بريزيغيلا، أَتقَن المَرَاكِبي وعِصَابتهَ أُسلوبَهُم بالسَيطَرة على قُرًى بأَكمَلِها، فيَعمَدوْنَ إلى تَهْديْدِ الشُرطَةِ أوَّلًا للتَخَلِّي عَن ملَابسهِم العَسكريَّة، وبهَذا التنَكُّر الجَديْد، ومعَ البنَاطِيل الصَفْرَاء القَصِيرة المُميَّزة، يَقوموْنَ بالاستِيلَاءِ على نُزُلٍ مَا لجَعْلِهِ قاعِدًة لَهُم، ومِن هُناكَ يَنتَشروْنَ في الشوَارِع، ليَشُقُّوا طَريْقَهم إلى منَازلِ ضحَايَاهم وهمُ يُرَاوِغوْنَ ويُهَدِّدوْن، ثُمَّ يَعوْدوا للنُزُل ليَأكلوْا ويَشرَبوا، ويُغَنُّوا ويُكَدِّسوا مَا نَهَبوْهُ عَاليًا، ومعَ انتشَارِ قِصَص استِغلَال قُطَّاع الطُرُق، فإنَّ رَأْيَ أيَّ شَخْصٍ مِن الريْفِ قَد يحْدُث معَهُ ذَلِك هو الفِرَارُ للمُدُنِ طلبًا للسلَامَةِ فِيْهَا.

لَم تستَطِع حتَّى أسوَارُ مديْنَة "فورليمبوبولي" التِي تعوْدُ للعصوْرِ الوسْطَى، مَنْعَ تِقَنيَّة العِصابَة مِن تَحقيْق نتَائجِها الأَكثر إثَارَة في ليلَةِ السَبْتِ تِلْك، لَاحظَ مُرتَادو المسْرَح فِي البِدايَة وجوْدَ شَيءٍ خَاطئٍ خِلَالَ الفَترَةِ الفَاصِلة بعْدَ المَشْهد الأوَّل، عنْدمَا سَمِعوا صُراخًا وشِجارًا عنْدَ البَابِ الجَانبِيِّ الصَغِيْرِ للمَسرَح، وقبْلَ أَن يُبدِي الموَاطِنوْن الأَثْرِيَاء الجَالِسونَ أيَّ رَدِّ فعْلٍ، 200 خطَا سبْعَةُ أو ثمَانيَةُ رِجَالٍ بخُطوَاتٍ كبيْرَةٍ على خشَبةِ المَسرَح، وصوَّبوا فوَّهَات بنَادقِهم نحْوَ الحُضوْر. وبتَباهٍ، نزَعَ زعيْمُ العِصابَة قُبَّعة الدَرَك التِي يرتَديْهَا وأعلَن أنَّه المَرَاكِبي، وأنَّ هَذهِ عمَليَّة سَطْو.

----------

\*مقاطعة رافينا: مقاطعة شمال إيطاليا في إقليم إميليا رومانيا عاصمتها مدينة رافينا، عدد سكانها 365.369 نسمة ومساحتها 1858 كيلومتر مربع وبها 18 مدينة وبلدة، تحدها شمالا مقاطعة مودينا، وغربا مقاطعة بولونيا، وجنوبا إقليم توسكانا ومقاطعة فورلي تشيزينا، تطل شرقا على البحر الادرياتيكي.

\*فاينزا: مدينة شمال إيطاليا في وسط منطقة رومانيا من إقليم إميليا رومانيا وضمن مقاطعة رافينا، على الطريق بين إيمولا وفورلي، بها مقر أسقفية، وتشتهر تاريخياً بصناعة الخزف، أبرز معالمها موجودة في ساحتي الشعب والحرية.

\*بانيارا: بانيارا كالابرا هي بلدة تقع في مقاطعة ريدجو كالابريا في إيطاليا

\*بريزيغيلا، كوتينيولا: هي بلدات في مقاطعة رافينا في إقليم إميليا رومانيا.

\*السفلس: أو الزهري، مرض بكتيري مزمن ينتقل بشكل رئيسي عن طريق العدوى أثناء الجماع الجنسي، و أيضًا خلقيًا عن طريق إصابة الجنين من الأم الحامل.

تمَّ استدعَاء موسِيقِي مِن الأوركِسترَا ليَقرَأ بصوْتٍ عَالِي أسْماءَ قامَ الجَواسِيس بتَزويْدِ قُطَّاع الطُرُق بِهَا. كُلَّمَا يُنَادَى على اسْمِ فرْدٍ مِن الحضوْرِ ينهَضُ ليقتَادَه مُجرمَان إلى منْزلِه، وهناكَ يُوسِعاَنهِ ضرْبًا حتَّى يكشِفَ عَن مكَانِ وجوْدِ أيِّ مخَازنَ سريَّةٍ للأمْوَالِ أو الأشْيَاءِ الثَميْنَة. بالعَودَة إلى المَسرَح، وأثنَاء انتظَارِ اللُّصوْصِ رجُوْعَ رِفَاقهِم وإضَافَةَ المزيْدِ على كوْمَةِ الغنَائمِ الآخِذَة بالارتِفَاع بجَانبِ خشَبَةِ المسْرَح؛ رَاحَ الخارجوْنَ على القَانوْنِ يضحَكوْنَ ويحتَسوْنَ الشَرَاب، وأثنَاء ذَلِكَ أمَروا الجَوْقَة الموسِيقيَّة بعَزْفِ الأَلحَان، وبدأوا بسَحْبِ النِسَاء الفَزِعات مِن بيْنِ الجمهوْرِ للرَقْص، لقَد مرَّت ساعَاتٌ طِوَالٌ قبْلَ أَن يَلوذُوا في النِهَاية بالفِرَار.

ومعَ انِتشَارِ أَخبَار مَا فعَلَه المَرَاكِبي في "فورليمبوبولي" تمَّت بهرَجَةُ بعْضٍ مِن أَكثَر التفَاصِيْلِ المُمِلَّة بسُرعَة، فَقيْلَ إنَّ العِصابَة لَم تَسِر على خَشبَة المسْرَح عبْرَ بَابِ المِنصَّة، بَل ظهَروا على شكْلِ جَوقَةٍ من صَفَّين عندمَا تمَّ رفْعُ السِتَار لأَجْلِ المشْهَد الثَانِي، وإنَّ المَرَاكِبي لَم يسْلِب ضحَايَاه سَوَاءً أَرَغِبوا أَم أَبَوا، بَل فرَضَ علَيْهِم ضرَائِب تِبْعًا لثَرَواتهِم مثْلَ روبن هود.

لَاقى المَرَاكِبي حَتفَه بعْدَ أقَلّ مِن شَهرَين مِن الهُجومِ على "فورليمبوبولي". وبشَكْلٍ مِثَالي وكمَا يَنْبَغِي، تأكدَّ مُخبِرٌ مَجهوْلُ الاسْمِ مِن أنَّ قَاطِع الطَريْقِ قَد دفَع ثمَنًا باهِظًا لقَاءَ شُهرَتهِ الرَهيْبَة. شُوهِد "بيلوني" مُرهقًا مُتَّسِخَ الثِيَاب مِن قِبَلِ مُتَشَرِّد، بالقُرْبِ مِن المكَان الذِي كانَ يَربِطُ والدَهُ فيْهِ مَركَبَه فيْمَا مضَى، وعنْدمَا وصَل رِجَالُ الدَرَك، حاوَل الرَكْضَ فأُصيْبَ بطلقَةٍ فِي ظَهْرِه، ولتَقديْمِ إثبَاتٍ لِرعَايَا البَابَا يُؤكِّدُ بأنَّ المَرَاكِبِي الرَهِيْب لَم يَعُد لَه وجُوْد، تمَّ نقْلُ جثَّتهِ طِوَالَ الطَريْقِ إلى بولونيا فِي عَربَةٍ أَشْبَهَ بتِلْكَ المُعَدَّة لنَقْلِ السُجنَاء إلى المَقصَلة.

كانَ تنَاولُ مَا لذَّ وطَابَ مِن الطعَامِ عَامِلًا هامًّا في شُهْرَة المَرَاكِبي، وحتَّى أثنَاءَ مُطاردَةِ عنَاصرِ الدَرَك لَهُ بعْدَ هجوْمِ "فورليمبوبولي" بصوْرَةٍ لَم تحْدُث أَبدًا مِن قَبْل، فقَد تمكَّن مِن الاحتِفَال بالكَرنفَال وِفْقَ الأُسلوبِ الحَقيقِيِّ لقَاطِعِ طَريْق. حدثَت القِصَّة في مخْبَأ قرْبَ "ترافيرسارا"، حيْثُ عبَثَ هو وخمْسَةٌ مِن رفَاقهِ معَ عشرِ عَاهِرَاتٍ أَثْنَاءَ تنَاولِهِم "المَعكروْنَة والنُوكِي\*، لحْمً الحَمَل والدَجَاج، لحْمَ الضَأْن وخُبْزَ الفوكاتشيا المُزيَّنِ بدُهنِ لحْمِ الخِنزِير، البِسكويِت والكَعكَات الدَائريَّة معَ شرَاب الروسوليو المُسْكِر وحَلوَى السابايوني\*، تُورْتَة المُربَّى وكريْمَة مخْفوقَة". فِي مُخَيِّلَات الفلَّاحِين الجَائِعَة، كانَت الشرَاهَةُ على هذَا المُستَوَى تُعَدُّ ببسَاطَةٍ عمَلًا بطوْليًا—انْتقامًا غيْرَ مبَاشَرٍ مِن حيَاةِ المشَقَّة والقِلَّة.

--------

\*النوكي: أكلة إيطالية تصنع من السميد مع طحين القمح و البيض و جبن والبطاطا وفتات الخبز ودقيق الذرة ومكونات متفاوتة أخرى من الخضروات والمنكهات والأعشاب والكاكاو والخوخ. يختلف طبق النوكي في طريقة طهيه حسب مناطق إيطاليا .

\*سابايوني أو سابيون: حلوى إيطالية تصنع من صفار البيض والسكر والنبيذ الحلو وبعضهم يضعون البيضة كاملة.

201 ومعَ ذَلِكَ فالسَبَبُ الذِي دَعَا مُؤرِّخي الطعَام الإيْطَالي ليَستَذكِروا المَرَاكِبي أَكثَر أهميّةً مِن هَذهِ المُترفَة الأَخِيرَة، فَمِن بيْنِ المنَازِل التِي تمَّت الإغَارَةُ علَيْهَا مِن المسْرَح في تلْكَ اللَّيلَة الضبَابيَّة الكَئيْبَة في "فورليمبوبولي" منْزِل "أغوستينو أرتوسي" بَائعِ البِقالَة في الَبلدَة، وهوَ شَخْصٌ يعْيشُ معَ زوجَتهِ "تيريزا" وبنَاتهِما السِت، وابنِهُما الوَحِيد "بيليغرينو"—الرجُل الذِي قُدِّرَ لَه أَن يُؤلِّفَ كِتَابَ "علمُ المَطبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطَعَام بشَكلٍ جيِّد". بعْدَ وقْتٍ قصيْرٍ مِن السَاعَة الثَامِنَة، دُعِيَ رَبُّ المنزِل مِن قِبَل صوْتِ أحَدِ معَارفهِ ليفْتحَ بَابَ دَارِه، ومَا إِن فعلَ ذِلكَ حتَّى أُغمِي عليْهِ مِن هَوْلِ الصَدمَة عنْدَ رؤيَتهِ بِضْعةَ قُطَّاع طُرُقٍ يَشقُّونَ طَريقَهُم نَحْوَه، وهُم يصرَخوْنَ مُهَدِّديْن.

ومعَ فُقدَان وَالدِه الوَعي، حاوَل "بيليغرينو" الشَاب الثَلَاثِينِي الأَعزَب الخَجوْل، والمُصَاب بالبوَاسِير وقِصَرٍ في النَظَر؛ أَن يُنقِذ العَائِلة، فخَطَا للأَمَام رَافِضًا فُرصَة الهُروْب، وليؤكِّدَ للخَارجيْنَ على القَانوْنِ بأنَّه لَن يتِمَّ إخفَاءُ أَيَّ شَيءٍ قَيِّم، ولَكِن أثنَاء محَاولتهِ التفَاهُم معَهم، خرَجَ الوَضْعُ عَن السَيطرَة بشَكلٍ خَطيْرٍ عنْدمَا أَلقَت وَالدتَه قِدْرَ طَهيٍ مِن النَافِذة لتَدُقَّ نَاقوْسَ الخَطَر بذَلِك، ثمَّ هرعَت إلى بَابِ البيْتِ ولَكِن سُرعَان مَا أطَاحَتهَا رَكلَةٌ على الأَرْض، فأخذَت أخوَاتُ "بيلغرينو" الثلَاث الأَصْغَر سِنًّا بالصُرَاخ بذُعْرٍ مِن غُرفَتهِنَّ في الطَابِق العُلوِي، فعمَد قُطَّاعُ الطُرقِ إلى فَتْحِ ثَغرَةٍ في البَابِ بضَربَاتٍ عَنيْفَةٍ بالفَأْس، وتوجَّب كَبْحُ أحَدَ أفرَادِ العِصابَة قبْلَ أَنْ يتمكَّن مِن إطلَاقِ النَار بسِلَاحِه عبْرَ الفَجْوَة؛ فهُوَ مُقتَنِعٌ أنَّ الاغتِصَاب أكثَر إغرَاءً مِن القَتلِ بكُلِّ تَأكِيد، والآنَ اضطُرَّ "بيليغرينو" على تَحَمُّلِ حِدَّة غَضَبهم، فصَرَخوا بصَوْتٍ كالخُوَار: "أقتُلوْه". وانهَالوا عليْهِ ضَرْبًا بمِقبَضِ المُسدَّس حتَّى أَفْقَدوهُ الوَعي. وخرَجَت إحدى أخوَاتهِ الأكبَر سِنًّا لتضَع نفْسهَا بوَجْهِ الضربَاتِ العَنيْفَة، لكنَّها شعرَت برَأسِ خِنْجَرٍ يفْتَحُ جُرْحًا بليْغًا فِي رَأسِهَا.

عندمَا تذكَّر هؤلَاء اللُّصوْصُ سبَب وجوْدهِم هنَاك، بدَأوا بتَحطيِمِ كُلِّ درَجٍ وصُندوْقٍ في المَنزِل خلَالَ بحْثهِم عَن الغنَائِم، مُراقبِين السَاعَة بحِرْصٍ وهُم يفعَلوْنَ ذَلِك، وبعْدَ أَن اكتَفَوا عادَ مُعظَمُهم إلى النِسَاء في الطَابقِ العُلوِي ليَجِدوا غُرفةَ النَوْمِ فَارِغةً، فقَد تمكَّنت اثنتَان مِن أخوَات "آرتوسي" الصَغيْرَات مِن الاختِباَء في مَوقِدٍ كَبِير، أمَّا الثَالِثة وتُدعَى "غيلترود" الجَمِيْلَة وذاتُ الملَامِح النَاعِمَةِ والرَشِيْقَة" وفْقًا لكلَامِ أَخيْها؛ فقَد خاضَت صِراعًا يائِسًا معَ الدُخلَاء، وبعْدَ أَن "عُومِلَت بقَسوَةٍ وفقَدت طهَارتَها" على حَدِّ تَعبيْرِ "بيليغرينو" هربَت عبْرَ ناَفِذَة العِليَّة نحْوَ أسطُحِ منَازلِ فورليمبوبولي، وكانَ بالإمكَانِ سمَاعُ صُراخِهَا في جَميْعِ أنْحَاءِ البَلدَة. 202 أخذَ قُطَّاعُ الطرُقِ مَا نهَبوْهُ وغادَروا، التَأم شَمْلُ العَائِلَة فِي اليوْمِ التَالِي، وبمُجرَّد أَن ذرَف "بيليغرينو" دموْعَ الارتيَاحِ بأنَّ أحدًا لَم يُقتَل؛ استجمَعَ عزْمَهُ ليُعلِمَ والِدَيه بنيَّتهِ الذهَابَ إلى فلورنسا بشَكْلٍ دَائِم. ولفزَعِهِم مِن السَطْو، قرَّروا بيْعَ أَملَاكهِم واللَّحَاقَ بِه. أصبحَ ابنهُم الآنَ رَبَّ الأُسرَة، وللعشريْنَ عَامًا التَاليَة، كانَ الشَاغِل الرَئيسِي لـ"أرتوسي" هوَ عدَمُ تهديْدِ أَمْنِ وكرَامَةِ عَائِلَتِه مرًّة أُخْرَى أَبدًا.

**العَوانِسُ في المَنْزِل**

مَا تزَالُ فلورنسا عَام 1851 تنتَصِبُ دَاخِل ذَاتِ الأَسوَار التِي بُنِيَت لتَطوْيقَها في مَطلَع القرْنِ الرَابعِ عشَر—قبْلَ فترَةٍ طويْلَةٍ مِن قرَارِ عائِلَة "ميديشي" التَخلِّي عَن الزِارَعَة واخْتِبَارِ حَظِّهم في الأعمَالِ المَصرِفيَّة، السِيَاسَة ورِعايَة الفَن بدلًا مِن هذَا. لَم تَكُن فلورنسا دَاخِل تلْكَ الجُدرَان المُتدَاعِيَة بمَنْأًى عَن الحَركَات الرَامِيَة إلى تَخطِيط المدُن، وهوَ الأَمر الذِي انتشَر في جميْعِ أنحَاءِ أوروبا بمُنتصَف القرْنِ التَاسعِ عشَر. لقَد أدَّى تفَشِّي وبَاء الكوليرا سنَة 1835 و 1855 وكذَلِك فيضَان نهر "أرنو" سنَة 1844 أدى إلى حدوْثِ بعْضِ التَحسِينَات التَدريجيَّة، فأُتِيَ بنِظَامٍ شَحيْحٍ لإنارَةِ الشوَارعِ عَن طريْقِ مصَابيْحِ الغَاز عَام 1846—إِذ كانَ يَتِمُّ ترْكُ المصَابيْحِ غْيرَ مُضَاءة عنْدمَا يتحَوَّلُ القمَرُ إلى بَدْر. غيرأنَّ حتَّى الأحيَاء الأَحدَث والمَبنيَّة بشَكلٍ صِحيٍّ أكثَر، تفَتقِر لقَنوَاتِ المجَارِي. اعْتَادَ الفلَّاحوْنَ على القدوْمِ مِن الريْفِ ليْلًا لمِلءِ برَاميْلهِم بالأسْمِدَة مِن خزَّانَات الصَرْف الصِحِّي.

سُرعَان مَا عثَر "أرتوسي" على منْزلٍ في حَيِّ "فياكالزايولي"، يقَعُ تحْتَ ظِلِّ قُبَّة كاتدرائيَّة "برونليسكي"، حيْثُ بدأَت مِهْنَتُه بفَترَةٍ وجيْزَة بعْدَ ذَلِك، عنْدمَا تَوَلَّى تِجَارَة الحَريْرِ بالجُملَة في ذَاتِ الشَارِع، مُعتمِدًا على اتِّصَالَات وَالدهِ في إقليْمِ رومانيا مِن أجْلِ الإمْدادَات. يقعُ السوْقُ القديْمُ خلْفَ حَيِّ فياكالزايولي تمَامًا، وهوَ منطِقَةٌ قَذِرَةٌ للغَايَة حتَّى إنَّ الزوَّار يدعوْنَه بالعصوْرِ الوسْطَى في كَلَامهِم المُعْتَاد، سِوَى أنَّ هَذهِ المَنطِقَة فِي العصوْرِ الوسْطَى تُعْتَبَرُ طبْعًا قلْبَ فلورنسا الثَرِي، إنَّها المكَانُ الذِي شُيِّدَت فيْهِ منَازِلُ أكثَرِ العَائِلَاتِ شُهرًة في المَديْنَة بمَا فيْهِم آلَ برونليسكي، ومعَ الاضْمِحلَال التَدريْجِي لأَهميَّة فلورنسا، فإنَّ هَذهِ الأَرْوِقَةَ والقصوْرَ والأبرَاجَ المَهيْبَة، تداعَت مِن الدَاخلِ شيْئًا فشَيئًا، وكسَتْهَا قِشرَةٌ صلبَةٌ مِن الخَارِج، ومَع مروْرِ الوقْتِ أصبحَت متاهةً رطبةً لَا تَصِلها أَشِعَّة الشَمْس، مِن الأكوَاخ والمَتَاجِر وأكشَاكٍ شبْهِ دَائِمة. بحلوْلِ أوائلِ القرْنِ التاسِعِ عشَر، اكتسبَت الأحيَاءُ والساحَاتُ الصغيْرَةُ في السوْقِ القديْمِ المُكتظَّة القَذِرَة والتِي يمْلَؤهَا الضَجيْجُ، سُمعتَها السَيِّئة.

-----------

\*عائلة ميديشي: إحدى أشهر عائلات فلورنسا، والتي لعبت الدور الأهم في تاريخها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر. وخرج من هذه العائلة ملكتان وثلاثة بابوات. مؤسسها جوفاني دي بيتشي دي ميديشي.

203 كانَ الحَيُّ اليَهودِيُّ هوَ أكثَر جزْءٍ مِن هَذهِ المَنطِقَة قَد اشتُهِر بصِيْتهِ السَيِّء، وقَد احتُجِز اليهوْدُ فيْهِ لأوَّل مرَّةٍ عَام 1571، هنَا حيْثُ الشِقَقُ الضَيِّقة في مبَانِي مِن ثمَانية وتسْعة طوَابِق تتمَايَل فوْقَ سَاحَتَيْنِ صَغيْرَتَين، لتَسُدَّ الهوَاءَ ونوْرَ الشَمْس، خرَجَ اليهوْدُ منْهُ بعْدَ مَنحِهِم حقوْقَهُم في النِصْفِ الأَوَّلِ مِن القرْنِ التَاسِع عشَر، فتمَّ الاستِيلَاءُ على أماَكنهِم مِن قِبَلِ أَكثَر الطَبَقات الدُنيَا بُؤْسًا فِي فلورنسا؛ ويُعتَبَرُ الحَيَّ اليهوديَّ القديْمَ أوَّلَ مكَانٍ تبْحَثُ فيْهِ الشُرطَة عَن أَيِّ سَارِق.

لَم تكُن الجَرائِم البسيْطَة هيَ المُشكلَة الوحيْدَة التي وجَدت مأوىً لهَا في السُوْق القَدِيم، فأَفرَادُ الطبقَةِ الوسْطَى في المدْينَة كأَمثَال "أرتوسي" قَد اجتذَبَت أُنوفَهم رَائِحَة الطعَامِ الشَعبِي الرَخِيص. أسمَاكُ نهْرِ آرنو وسمَكِ القَدِّ المُمَلَّح، أَزهَار الكوسا والأَرضِي شَوكِي الصَالِحَة للأَكل، فطَائِر التُفَّاح المقليَّة، النوكِي، وكرَات الأَرُز الحُلو المَطهيَّة، ونقَاِنق الدَم السَاخِنَة— جميْعهَا كانَت تُقلَى بالشَحْم، وتُبَاع لتُؤكَل خَارِجًا، وقَد تمَّ سلْقُ البطَاطَا والكافولو نيرو (نوْعٌ مِن القَرنبيْط)، البروْكلِي، وخُضروَات رخيْصَة أُخرَى فِي جِرَارٍ توْضَعُ على الخَشَب المُشتَعل، ثمَّ تُعرَض الخُضروَات في أطبَاقٍ نُحاسيَّةٍ ضَخْمَة. بوِسْعِكَ إيْجَادُ جَميْعِ أنوَاعِ الجزَّاريْن، ومِن بَّينِهِم التيستيتشولاي—المُتخَصِّصون بسَلقِ وتقشِيْر رؤوْسِ الأَغنَام أمَام أَعيُن زبَائنِهم. أمَّا اللحوْمُ بخْسَة الثمَن فتُكدَّس بشَكْلِ أكوَامٍ عَاليَةٍ على الطاولَات: قِطَعُ جِلْدِ الخِنزيْرِ المَقلِيَّة، حوَافِر العِجْل، وكَرشَتهُ، الأَسْمَاك المَحفوْظَة—مثْلَ سمَكِ السَرديْن، الرَنكَة، التونَا، والأنشوْفَة—حيْثُ تُبَاعُ مِن برَاميْلَ مفتوْحَة. لقَد كانَ السوْقُ القديْمُ ينفثُ رائحَة عالَمِ "العصوْرِ الوسْطَى" الكريْهَة ؛ فرَغِبَ سُكَّان فلورنسا الأَثْرِيَاء ذَوِو العَقليَّة التقَدُّمية بتَركهِ ورَاءهُم.

برغْمِ هَذهِ الإزعاجَات، فقَد بدَت حياةَ "أرتوسي" خلَالَ العَقدَين التَاليَين خَاليًة لحُسْنِ الحَظِّ مِن أيِّ صدماَتٍ مُقارنًة معَ تلْكَ التِي سبَّبت انتقَالَه إلى المَديْنَة، إلَّا أنَّها لَم تَفْتَقِر للحوَادِث. تُقَدِّم ملَاحظاَتُ سيرتهِ الذَاتيَّة المُوَارِبَة والتِي خطَّها بقَلَمهِ بأوَاخرِ حيَاتهِ؛ مَرْجِعًا مخجلاً قليْلًا، إلى عدَدٍ كبيْرٍ مِن المُغامرَات الجِنسيَّة. لا يعوْدُ الأمْرُ لمُجوْنِهِ، كتَب مُدَافِعًا عَن نَفسِه: "لطالمَا اقتحمَت أبوابًا ظلَّت مفتوحةً مْسبقًا، ودائمًا كنْتُ أحترِمُ الصدَاقَات". على أَيِّ حَال فالزوَاجُ لَم يُعجِبهُ أَبدًا: "إنَّ النُذرَ الأبديَّة هِيَ عقيْدَةُ القروْنِ الوسْطَى، والالتِزامَات التِي تتَعارَضُ مع الطبيْعَةِ ومَا مِن دَاعٍ لوجوْدِهَا في بِيئَتِنَا التَقدُّمية المَنطقِيَّة التِي وجدْنَا أَنفُسَنا فِيْهَا". سيبْقَى عازبًا وسعيْدًا لبقيَّة أيَّامِ حيَاتهِ.

إنَّ أعظمَ مُصَابٍ في حيَاةِ "أرتوسي" الجديْدةَ هو مصيْرُ أُختهِ المِسكيْنَة "غيلترود"، فقَد فقدَت صَوَابهَا بعْدَ تعَرُّضِهَا للاعْتِدَاءِ على يَدِ قُطَّاعِ الطَريْقِ في "فورليمبوبولي"، ففي عَامِ 1855 تمَّ تشخيْصُ إصابَتِهَا بالهَوَس وإدْخَالهَا في مشْفَى الأمْرَاض العَقليَّة، وهناكَ ستُمضِي بقيَّة حيَاتِها، غيْرَ قادِرَةٍ على التعرُّفِ على شَقيْقِها الذِي يدْفَعُ مصَاريْفَ بقَائِهَا، وعنْدمَا توَفَّت أُمُّه 204 بشَهْرِ أبريل سنَة 1859، أُصيْبَ "أرتوسي" بحزْنٍ عميْقٍ حتَّى إنَّه بقِيَ مريْضًا لأسَابِيع، ومِن فِرَاشِ مرَضهِ سَمِع بالمُظاهَرة التي سبَّبت هروْبَ الدُوق الأكْبَر "ليوبولد الثاني" وضَمِّ إقليْمِ توسكانا إلى المَملكَةِ الإيطاليَّة. إنَّ واجِبَ "أرتوسي" الآخَر هو إعَالَة أختيه الاثْنتَين اللَّتَين أخَذَت السنوْنُ تتقدَّمُ بهِمَا ومِن الوَاضحِ أنَّهما تتوْقَان للرَاحَة بيْنَ يَدَي الزَوْج (إنَّ أيَّ شخْصٍ قَد اختبَر وجوْدَ عوَانسٍ في المَنْزِلِ، سيُدرِكُ مدَى العذَاب الذِي يُكابِدْهُ معَهُن)، بيْدَ أنَّ المشكِلةَ حُلَّت عبْرَ حِيلَةٍ بسيْطَةٍ وذَلِك بزيَادَةِ جِهَازِ العَروْسَتَين، فأَعْلنَ بفَخْرٍ أَنَّ أُختَيْهِ قَد أَصبحَتَا زَوجَتَيْنِ مُخلِصَتَين.

----------- \*نقانق الدم : هي النقانق المملوءة بالدم المطبوخ أو المجفف والمختلط مع حشو حتى يصبح سميكًا بدرجة كافية ليتصلب عند التبريد. يمكن استخدام دم الخنازير والبقر والأغنام والبط والماعز ، حسب البلد.

التجَارَة والاستِثْمَار عَام 1870 وهَذِه المعَايِير المُزدوَجَة الصَادِرَة عَن حُسْنِ نيَّة بإدَارَةِ شؤوْنِه المَنزليَّة، جعَلَت مِن "بيليغرينو أرتوسي" رجُلًا غنيًّا بمَا فيْهِ الكِفَاية، وخَالِيًا مِن المسؤوليَّات، ليتقَاعَد إلى منْزلٍ جديْدٍ فَسيْحٍ عنْدَ أطرَافِ المَديْنَة. وعنْدَما بلغَ الخمسيْنَ مِن عمُرهِ، باتَ بوسْعهِ أخيْرًا أَن ينْغَمِس في مُتعَتهِ الكُبْرَى: وهِيَ التَجَوُّل الفِكْرِي، فراحَ يترَدَّد على المكتبَاتِ والمحُاضرَات، مطوِّرًا شغَفًا بعِلْمِ طبَائعِ البشَر والأَدَب، فألَّف كتَابَين عَن الشُعرَاء: "حياةُ أوغو فوسكولو" وتعليْقٌ على بعْضِ رسَائلِ "جوزيبي جوستي". تُوضِّح مقدِّمَة العمَل الثَاني الذِي نُشِر بعَامِ 1881 توَاضُعًا يُضَاف إلى رصيْدِ "أرتوسي"، لَكِنَّ ذَلِكَ لَم يَسْهَم بِتَحسِينِ المَبيْعَات، تمنَّى لقُرَّائِه: "فليُبعِد الله عنْكَ التثَاؤب". بيْدَ أنَّ كِلَا الكِتَابَين لمَ يترُكَا أيَّ تأثيْرٍ، وبدَافعٍ مِن هَذهِ الإخْفاقَات، بدأَ يتصوَّر كِتابًا يسْمَح لَه مِن خِلَال توَاضُعهِ ومادَّته المَوضوعيَّة العمَليَّة بالتفَاخُر في الأَوسَاطِ الأَدبيَّة التِي فَشِلَ بترْكِ انطِبَاعٍ لدَيْها: "عِلمُ المَطْبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطَعَامِ بشَكلٍ جَيِّد".

**ساحَةُ ماسيمو دازيليو**

حتَّى هذَهِ اللَّحْظَة، لَم تكُن سنوَاتُ "أرتوسي" في فلورنسا جديْرةً بالاهتِمَام. ولَكِن في الوقْتِ نفْسِه، مرَّت المديْنَة التِي تقَع على ضِفَاف نهْرِ آرنو بتغيُّراتٍ عمِيقَة، ويُعَدُّ كِتَابُ "علمُ المَطبخ" مِرآًة لهذَا التحَوُّل الحَضَري.

فَفِي سبتَمبَر عَامَ 1864، استُقبلَت الأنبَاءُ الوارِدَة بدَهشَةٍ، والتِي تَحَدَّثَت عَن تَحَوُّل فلورنسا إلى عَاصِمَةٍ لإيطاليا. فقبْلَ بِضع سنوَات، لمَّح الرِوَائي ورجُل الدوْلَة "ماسيمو دازيليو" إلى أنَّ فلورنسا ستنَالُ حصًّة كبيْرةً في مقَاعدِ الحكوْمَة، لكِنَّهُ قوْبِلَ بالسُخرِيَة مِنْه، غَيْرَ أنَّ دعَوَاهُ اكتسبَت زخمًا مِن خلَالِ عمليَّة الإقْصَاء: فتورين التي كانَت العَاصِمة منْذُ الاتِّحَاد تقَعُ في أقْصَى الشَمَال،205 ونابولي التِي لَاتزَالُ أكبَر مديْنَةٍ في شبْهِ الجَزيْرَة الإيطَاليَّة، بعيْدةٌ للغَايةِ عَن الجنوْبِ وفوضويّةٌ إلى حَدٍّ كَبِير، أمَّا روما التِي اعتبَرَها الجميْعُ تقريْبًا العاصِمَة الطبيعيَّة لإيطاليا، ظلَّت تنْتَمِي للبابا ومحميًّة بحلقَةٍ مِن الحِرَاب الفرنسيَّة.

-----------

\*ليوبولدو الثاني: دوق توسكانا الأكبر بين عامي 1824 و1859. ولد في فلورنسا نجلا ثانيا للدوق الأكبر فرديناندو الثالث ولويزا أميرة الصقليتين من آل بوربون - نابولي. أجداده من ناحية الأم هما فرديناندو الأول ملك الصقليتين وماريا كارولينا من النمسا.

\*أوغو فوسكولو: شاعر وروائي، تعبر أعماله عن مشاعر العديد من الإيطاليين خلال الحقبة المضطربة للثورة الفرنسية.

\*جوزيبي جوستي: شاعر من الشمال الإيطالي، قام بهجاء الحكم النمساوي خلال السنوات الأولى من الحركة القومية الإيطالية (الولادة الجديدة).

\*ماسيمو دازيليو: ماسيمو تاباريلي، ماركيز آزيليو، المعروف باسم ماسيمو دازيليو، رجل دولة وروائي ورسام في بييمونتي. كان رئيس وزراء سردينيا لمدة ثلاث سنوات تقريبًا، حتى خلفه منافسه كاميلو بينسو، كونت كافور. كان دازليو ليبراليًا معتدلًا يأمل في اتحاد فيدرالي بين الولايات الإيطالية.

وصَلَ تِعدَادُ السُكَّان الكُليِّ في فلورنسا حيْنهَا لقُرابَة المِئَةِ أَلْفِ نَسَمة، وسيضْطَرُّ الآنَ ثلاَثوْنَ ألفًا مِن السياسيِّين، والبيروقراطيِّين ، الصَحفيِّين، المُحَامِين، المُتطفِّلين، إلى حَشْر أنْفُسهِم بمِساحَةٍ ضَيِّقةٍ أيْضًا. تمَّ تخطيْطُ الشوَارعِ المَأهوْلَة، الأسْوَاق المُغطَّاة، الجسُور الأَعْرَض، والمحطَّات على عَجَل. فالتقدُّم يقْتَضِي نَظَافًة صِحيَّة، هوَاء، نورًا، وفصْلًا صِحيًّا للطبقَات الاجتمَاعيَّة التي تعيْشُ وفْق خَلطَةٍ غيْرِ مريْحَة في المَركَزِ القَديْم. رغِب المواطنوْنَ الإيطاليُّونَ المُحترموْنَ بالجلوْسِ في المقَاهِي والمسَارِح الفَسِيحة، ليُقلِّبوا أنظَارَهم بيْنَ النوَافذِ المُتألِّقة للمتَاجِر الجَديْدة، والتَجَوُّلِ على طوْلِ الشوَارعِ المُشجَّرة—دوْنَ أَن يلتَقوا بقَاطعِ طريْقٍ أو بَائعِ سمَك. تقرَّر هدْمُ السوْقِ القديْمِ والحَيِّ اليَهودِي. لقَد تمَّ "نزْعُ أحشَاءِ" فلورنسا قبْلَ نابولي بعِشريْنَ عامًا.

لَم يَسِر التحوُّل الصحِّي لفلورنسا وِفْقَ الخُطَّةِ بشَكلٍ كَامِل، فَفِي عَام 1870عمَدَت فرنسا إلى سَحْبِ قوَّاتِها مِن روما، وسُرعانَ ما نُقِلَ جِهَازُ الدَولَة الإيْطَالي مِن مَديْنة نَهْر آرنو إلى مَديْنة نهْرِ التيبر، فشعَر الكثيْرُ مِن الإيطاليِّين بالابتِهَاج، غَيْرَ أنَّ فلورنسا تُرِكَت تترنَّح على شَفا كَارِثَةٍ ماليَّةٍ بسبَبِ انخِفَاض أسْعَار العقاَرَات، تخلَّى أعضَاءُ المَجلسِ أخيْرًا عَام 1878 عَن المُقاومَة، واستقَالوا بشَكلٍ جمَاعِي، مُعلنيْنَ إفْلَاسَ المَديْنَة، لكنَّ أعمَالَ إعَادَةِ الإعمَار تواصَلَت بشَكْلٍ مُتقَطِّع، واستُبدلَ مَيْدَانُ السوْقِ القديْمِ بِسَاحَةٍ جديْدَةٍ معَ تِمثَالٍ للمَلِكِ مُمْتَطِيًا صهْوةَ جوَادهِ في المَرْكَز، هُدِمَت أسوَارُ العصوْرِ الوسْطَى على الضِفَّة اليُمنَى للنَهر وحَلَّ محَلَّها شَارِعٌ وَاسِعٌ تَكتَنِفَه الأَشجَار، دَاخِلَ الشَارعِ تمَامًا، وعلى مَا كانَ بحيْنِهَا حَدَّ المدينَةِ الشَرقِي، بُنيَت ساحَةٌ راقيَةٌ بشكْلٍ مُتَّزنٍ فوْقَ البسَاتِين القَذِرة بحَيِّ ماتونايا، وفي وسَطِهَا حيْثُ تتقطَّعُ ممَرَّاتٌ مِن الحصَى، أُقيْمَت حديْقَةٌ يمْكِنُ للأطفَال أَن يلعَبوا فيْهَا تحْتَ إشْرَافِ وَالدَيْهم أو مُربِّياتهِم، إنَّهَا ساحَةُ دازيليو، وهِيَ المكَانُ الذِي جاءَ "بيليغرينو أرتوسي" للعَيْشِ فِيْه.

تُوجَد لَافتةٌ معدنيّةٌ اليوم تُشِير إلى البُقعَة التي تمَّ فيْهَا كِتابَة "علمُ المَطبَخ": حيْثُ يوْجَدُ منْزِلُ تقَاعُد "أرتوسي" ذو الرَقَم 25، ساحَة دازيليو. لقَد تبيَّن أنَّ الاسْم مُناسِبٌ تمَامًا لأنَّ "ماسيمو دازيليو" ليْسَ الرجُلَ الوحْيدَ فحَسْب الذِي كانَ أوَّلَ مَن أَلمَحَ إلى وجوْبِ تحَمُّل فلورنسا الوَاجِب الوطَني المُتمثِّل بتَحَوُّلِهَا إلى عَاصِمَةٍ للبِلَاد، بَل إنَّه أيْضًا مُؤلِّفُ العِبارَة الأَكثَر اقْتِباسًا في التَاريخِ الإيْطَالي: "الآنَ باتَت إيطاليا مَوجوْدةً، وعلَيْنَا أَن نُوجِدَ الشَعْبَ الإيطَالِي". وبِكَلِمَاتٍ أخْرَى، لقَد أصْبحَت إيطاليا دوْلَة، لَكِنَّ الإيطاليِّين 206 ليْسُوا شعْبًا مُوحَّدًا بَعْد.

---------

\*نهر التيبر: هو ثاني أطول نهر في إيطاليا، يبدأ في سلسلة جبال توسكان ويتدفق جنوبا لمسافة 405 كم، في نهايته يعبر مدينة روما قبل أن يصب في البحر الأبيض المتوسط في منطقة أوستيا. كان يعد وسيلة تجارة مهمة في العهود الرومانية.

سُرعَان مَا احتَوَى قوْلُ "دازيليو" المَأثوْر حمَاسَة بِنَاء الدوْلَة التِي أثَّرَت على كُلِّ جَانبٍ مِن جوَانبِ الحيَاةِ في البَلَد الجَديْد، لقَد وجدَت الطبَقةُ الوسْطَى الإيطاليَّة العديْدَ مِن الطرُقِ لنَشْرِ البِشَارَة المُقدَّسة الوَطنيَّة؛ الكتُب المدرسيَّة والنُصُب التِذكاريَّة، أَندِيَة الرِمَايَة وأَسمَاء الشَوَارع. لقَد قدَّم أحَدُ أبنَاءِ الطبَقَة الوسْطَى، وهو "بيلغيرينو أرتوسي" تعَصُّبًا وطنيًّا أقَل وإسْهامًا أكثَر دَيمُومَة بصُنْعِ الإيطَاليِّين مِن أَيِّ أحَدٍ آخَر. إنَّ كِتَاب "عِلمُ المطَبخ" هوَ نِتَاجُ مُثُلٍ عُليَا باتَت وَاقِعيًّة خلَالَ إعَادَة إعمَار فلورنسا، إنَّه لطَهْيِ مَا تريْدهُ سَاحَة دازيليو لأجْلِ تَخطيْطِ المَديْنَة، ومعَ "أرتوسي" أصبحَت الطبقَاتُ الوسْطَى الحضَريَّة مُهنْدِسةً لأسلوْبِ الطَهْيِ الوطَنِي.

تتضمَّنُ الصفحَاتُ الأوْلَى مِن "عِلمُ المَطبَخ" نصَائِحَ عَن المبَادِئ الصِحيَّة مثْلَ العيْشِ بمنْزٍل تُنيْرهُ الشَمْس وجيِّد التَهوِيَة ومُمارسَة تمَاريْن رياضِيَّة مُعتَدِلة—حيْثُ يتِمُّ تقدِيْمُ كُلُّ ذَلِك وِفْقَ حِسٍّ سَليْمٍ مَرِحٍ لأرتوسي: "ينصَحُ بعْضُ أَخِصَّائيِّي الصِحَّة بشُربِ المَاء طِوَال وجْبَة الغدَاء، وتَأجِيْلِ شُرْبِ النَبيذِ حتَّى النِهَاية. أَقْدِم على ذَلِك إِن واتَتْكَ الشَجَاعة، أمَّا بالنِسبَة لِي فيَبْدو الأَمْرُ صعْبًا للغَايَة". كانَ النِظَامُ الغِذَائِيُّ للطبَقَة الوسْطَى مُعَتدِلًا ومُتنوِّعًا ومُتنَاسقًا: فقَط قطَّاعُ الطرُق والنُبلَاء هُم مَن كَانوا يتأَرجَحوْنَ بشَكلٍ جَامحٍ بيْنَ جوْعِ ينْخَرُ العَظْم وشرَاهَةٌ تُوَسِّعُ الأَمْعَاء. يشْرَح "أرتوسي" بأُسلوبهِ المَرِح المُعتَاد، مَن هوَ المَعْنِيُّ باسْتِخدَام كِتَابِه:

*مِن الوَاضحِ أنَّ مَا كتَبتهُ هنَا مُوجَّهٌ إلى طبقَات المُجتمَع المُوسَرَة، أمَّا الأشخَاصُ الأقلُّ حظوًة بالثَروَة فهُم مُجبَروْن بفَضِيلَةِ تنَاولِ الطعَامِ عنْدَ الحَاجَة وإيْجَادِ عزَاءٍ لَهُم بالاعتِقَادِ أنَّ الحيَاةَ المُقتَصِدة النَشِيطَة تُحَافِظ على صِحَّةٍ جيِّدَةٍ وتُبقِي الجسَد صَلْدًا.*

ومَا بيْنَ الطَهيِ البَسِيْطِ والعَسِير الهَضْم للجمَاهِير، وأسلوْبِ الطَهْيِ المُنمَّق الشَبيهِ بالفَرَنسيِّ الخَاصِّ بالنُبلَاء؛ يُنَمِّي كتَابُ "عِلمُ المَطبَخ" روْحَ الأَكْلِ المُحترَم لعَائِلَات الطبقَة الوسْطَى التِي تعيْشُ الآنَ بسَاحَة دازيليو في جَمِيْعِ أَنْحَاءِ إيطاليا، فأرتوسي رجلٌ عمَليٌّ، دافِئٌ، يتميَّزُ بروْحِ الدُعابَة على نحَوٍ خَاص. إنَّه يُسدِي نصَائِحَ مُفيْدة: "ضَع بِضْعَ قطرَاتٍ مِن زيْتِ التربنتين في مِبْوَلَتِك بعْدَ تَناولِ الهَليوْن على العشَاء، وسوْفَ تتحَوَّل رَائِحَة البَولِ الكريْهَة المليْئَة بالهَليوْن إلى عَبيْرٍ مِن البنَفسَج الحُلو على الفَور". إنَّ تكلِفَة الأطبَاق المُعَدَّة داَئِمَة الوجُوْدِ في ذِهنِه، فالإسْرَاف أمرٌ فظٌّ كالتبَاهِي، ولهَذَا فقَد اقتصَرت بعْضُ أطبَاقهِ على أفرَادِ العَائِلة فقَط، مثْلَ البوليو في البورتشيتا، 207 وهوَ عِبارَة عَن (دجَاجَة كَامِلة تُحمَّر بالزُبدَة في طبَقٍ خزَفيٍّ عميْقٍ بعْدَ حَشوهَا بلحْمِ الخِنزير المُدخَّن، الثوْم، بِضْع سنَابِل مِن الشَمَّر، وحَبِّ الفُلفل الأَسوَد

------------ \*زيت الترينتين: هو سائل عديم اللون أو مائل للاصفرار، شديد الاشتعال، وذو رائحة قوية نفاذة. ويستعمل الزيت في صناعة المواد الكيميائية؛ مثل المواد المطهرة المبيدة للجراثيم، و مبيدات الحشرات، والعقاقير الطبية، والعطور.

الغَريْب) أَو رأْسُ الحمَل المَطهِي على نَارٍ هادِئَة في صَلصَة الطمَاطِم والمَرَق. وهنَاكَ أُخرَى "لَن تتَرُكَ انطِباعًا سيِّئًا" مثْلَ الحسَاءِ المَصنوْعِ مِن فطْرِ القَيْصَر\* البُرتقَالي اللَّون والذِي ينْمُو في التِلَال المُحيْطَة بالمَديْنة، حيْثُ يُوصِي "أرتوسي" بقَليِ رَطْلٍ منْهُ على نَارٍ هادِئَةٍ في حوَالِي أونْصتَين مِن دُهنِ لحْمِ الخِنزير المُقدًّد وأونْصتَينِ مِن الزُبدَة معَ القليْلِ مِن البَقدوْنِس المَفروْم، قبْلَ غَليِهِم فِي المَرَق على نَارٍ هادِئَةٍ لمُدَّة عَشْرِ دقَائِق، وأخيْرًا تُمزَج بِبَيْضَة كَامِلة وصفَارِ بيْضَة معَ حَفْنَة مِن جُبنَة البَارميزَان، وتُضَاف قِطَعُ الخُبزِ المُحمَّص كلَمسَةٍ نِهَائِيَّة.

بحلوْلِ الوقْتِ الذِي انتقلَ فيْهِ "أرتوسي" إلى المنْزلِ رقَم 25 بسَاحةِ دازيليو، باتَ يعرِفُ أَكْثَرَ عَن أَرْضِ الدولَة الإيطاليَّة الجَديْدَة ممَّا تعرِفَهُ الغالبيَّة العُظمَى مِن أبنَاءِ بلَدِه، فسَفرُه للتِجارَة معَ وَالدهِ ولِصَالحهِ الخَاص أخذَهُ إلى مسافَاتٍ بعيْدةٍ جدًا، فَفِي وقْتٍ مُبكِّرٍ مِن عَام 1847 مضَى برحلَةٍ على الطَرِيْقِ استمرَّت أُسبوْعًا لنَقلِ حموْلَةٍ مِن فورليبموبولي إلى روما، حيْثُ أمْضَى في الأَخيْرَةِ شَهرَينِ وقامَ بزيارَةٍ إضافيَّةٍ إلى نابولي لعشْرَةِ أيَّام. في وقْتٍ لَاحق، أقامَت السِكَك الحَديديَّة الإيطاليَّة الجَدِيْدَة رِحلَاتٍ إلى هَذهِ الأمَاكنِ مثْلَ بادوا، ميلَان وتورين وبشَكْلٍ أسرَع وأسْهَل. أمَّا المنطِقَة التِي عرفهَا "أرتوسي" أكثَر مِن غَيْرِهَا، حيْثُ ذهبَ إلى حانَاتِهَا ونُزُلِهَا ومَطاعمِهَا لعدَدٍ لَا يُحصَى مِن المرَّات؛ كانَت تُشَكِّلُ وَتَدَ وَسَطِ إيطاليا ابتِدَاءً مِن "روفيجو" نزوْلًا إلى "سينجاليا" على البحْرِ الأدريكاتي، ثمَّ عبْرَ جِبَال أبينين إلى "ليفورنو" على سَاحلِ "توسكانا". بشكْلٍ مَصيْرِي، شعَر بالرَاحةِ على نحْوٍ خَاصٍّ في مَركَزِ طهْيِ بولونيا عنْدمَا كانَ طالبًا، كمَا كتَبَ في "عِلمُ المَطبَخ": "عندمَا تسْمَع المطبَخ البولونيَّ يُؤتَى على ذِكرِه، فعليْكَ أَن تنْحَنِي بعُمْقٍ واحتِرَامٍ لأنَّه يستَحِقُّ ذَلِك".

مِنَ النَاحِيَةِ الفَنيَّة، فإنَّ "أرتوسي" قَد امْتطَى جِبَال الأبينين—إنَّ سِلسِلَة الجِباَل هيَ خَطُّ الصَدْعِ الغِذَائي. لقَد تربَّى وفْقَ ثقافَةِ إقليْمِ إميليا رومَانيا للحْمِ الخِنزير ولحْمِ الخِنزير المُقدَّد، شَحْم الخِنزير، والمَعكروْنة الطَازجَة. بيْدَ أنَّه فَهِم أيْضًا الطهْيَ التوسْكَانِي الذِي أسَاسَهُ زْيتُ الزَيتوْن، وولَعُهُ بلحْمِ البَقَر، السَمَك، البقُوليَّات، والخُضَار. لقَد وفَّر هذَان المَطبخَان المُميَّزان قَالِبًا ممْتازًا يُمكِن أَن تُضافَ إليْهِ أطبَاقُ منَاطِق أُخرَى. إنَّ كِتَابَ "علم المطبخ" قَد نظَّم كلَّ هذهِ المعَرِفَة الطهَويَّة غيْرِ النَاضِجَة، وهذَا مَا دفَعَ "أرتوسي" إلى البِدْءِ بتجريْبِ الوَصَفات فِي مَطبَخهِ المُطِل على سَاحة دازيليو، وقامَ خَادِمَاه المُخلِصَان "ماريتا ساباتيني" من شمال"توسكانا" و"فرانشيسكو رالفيلي" مِن ف"ورليبوبولي" بطَهيِها حسْبَ إرشَادَاتهِ. وهكذَا عبْرَ الذَاكِرة والتَجرُبة، بدأَ كِتَابُ "عِلمُ المَطبَخ" بتجميْعِ لوحَةٍ فنيَّةٍ للطعَام الإيطَالي، فَمِن دَاخلِ مسْقَطِ رأسِهِ إقليْمِ رومَانيا جاءَ طبَقُ الباساتيلي—وهيَ معكروْنَة طازجَة لهَا شكْلُ الدوْدَة، يتِمُّ إعدَادَها عبْرَ عَصْرِ عَجيْنِ فُتَاتِ الخُبز، البَارميزَان، بَيْض، ونُخَاع العَظْم مِن خِلَال مِصفَاةٍ أو شبَكَةٍ خَاصَّة (يشْرَح أرتوسي: قليْلَةٌ هيَ العوَائِل في رومانيا التِي لَا تمْتَلِك وَاحِدًة منْهَا). ------------

\*فطر القيصر: هو فطر صالح للأكل، موطنه جنوب أوروبا وشمال أفريقيا. يمكن العثور على هذا الفطر أيضًا في لا إسبيرانزا ، هندوراس، حيث يتم الاحتفال سنويًا بمهرجان على شرفه.

208 ومِن "ليفورنو" و"فياريجيو" على السَاحِل التوسْكَانِي تُقدَّم وصْفَتَانِ للكاتشوكو، أَي حسَاء السَمَك، أمَّا المدُن السَاحليَّة في الطرَفِ الآخَر، أَي على السَاحِل الأدريكاتي فقَد مدَّته بمرَقِ سَمَكِ البُورِي، ومِن قُرْبِ "روفيجو" عنْدَ مَصَبِّ نَهْر بو، يَأتِي طبَقٌ دَسِمٌ سميْكٌ مِن الأَرُز بالدجَاج—لقَد تعلَّم "أرتوسي" سِرَّ هَذهِ الوَجبَة المُقدَّمة بطَبقٍ وَاحدٍ مِن خِلَالِ مَالِكَةِ نُزُلٍ مَرَّ بهِ أَثْنَاءَ ذهَابِهِ إلى مَعرَضٍ تِجَارِي. تستَحِقُّ بعْضُ الوَصَفات التقليديَّة اهتمَامًا تفْصيليًّا: فهُناكَ ثلَاثُ وَصَفَاتٍ مُنفَصِلَةٍ للريزوتو\* بالزَعفرَان المِثَالِي المِيلَاني، وهُناكَ المَعكروْنَة الصَقَليَّة معَ السَردِين الطَازَج والشَمَّر البَرِّي، ومِن مديْنَة "لودي" في الامتِدَادَات المُنبَسِطَة لوَادِي "بو" جَنوْب "ميلَان"؛ اختَارَ "أرتوسي" بعْضَ فطَائِر الجُبْنِ وعَصيْدَة الذُرَة البَسيْطَة، ولدَيْنَا البرُوكلِي الرومَاني أُرجوَانِي اللَّون، والذِي يَتِمُّ سَلقَه أوَّلًا ثُمَّ يُتبَّل ويُقلَّب في الدُهنِ السَاخِن، ليُنكَّه بعْدهَا بإضَافَةِ النَبيْذِ الأَبيَض ثمَّ يُغلَى حتَّى يتبَخَّر السَائِل. تُعالَج بعْضُ المكوِّنات بطرُقٍ عَديْدةَ بحسَبِ المَنطِقَة التِي أُخِذَت منْهَا؛ فقَد يَتِمُّ تمليْحُ سمَكِ القَد وفْقَ الطريْقَة البولونيَّة أو الفلورنسيَّة، مِن بيْنِ العديْدِ مِن الأسَاليْبِ الأُخرَى. وهنَاكَ أطبَاقٌ مُفضَّلةٌ قديْمَة مثْلَ سمَكِ إنقليس مديْنَة "كوماكيو"، وبِيتزَا نابولي—والتِي تعْنِي بالطَبع مُعَجَّنَات اللَّوْز بدلًا مِن قُرصِ العَجِين الحَامِل للأَمرَاض معَ الطمَاطِم والجُبنَة.

تُخبِرُنا نظرَةٌ شامِلَةٌ لأرتوسي عَن مكَانَةِ الطعَامِ الإيطَالي، أنَّ صَلصَة الطمَاطِم مِن الوَاجِهَة البَحرِيَّة في نابولي، قَد انتشرَت الآنَ إلى كُلِّ جُزءٍ في إيطَاليا، وباتَت البَطاطَا عُنصُرًا أَساسِيًّا بشَكلٍ كَامِل، وتمَّ استخْدامُهَا بصُنْعِ أَطبَاقٍ مثْلَ نوكي البطَاطَا. كانَت جاذبيَّة التوَابِل قَد تلَاشَت ودخَلَت حضَارَة المَائِدَة الإيطَاليَّة حِقبًة مُعَاصِرَة.

ومعَ ذَلِك، فِبنَظرَةٍ حاليَّةٍ إلى "عِلمُ المَطبَخ" نَجِد أنَّه مِن السَهْلِ للغَايَة أَن نُظهِرَ مدَى انحِرَافِ وتحَيُّزِ خَريْطَةِ "أرتوسي" في الطعَامِ الإيطَالي، فبعْضُ المنَاطقِ تمَّ استعْراضَها بشَكلٍ مُفرطٍ مثْلَ رومانيا وتوسكانا وبولونيا، بينمَا لَم تنَل المنَاطِق الأُخرَى كصَقَليَة سِوَى طريْقَة مُعالَجَةٍ رمزيَّة، بينمَا لَايزَالُ البعْضُ الآخَرُ لَاسِيمَا سردينيا والبَرُّ الرئيسِيُّ جنوْبًا خَارِجَ نابولي غيْرَ مَوجوْدٍ ببَسَاطَة. إنَّ كِتابَات "أرتوسي" تفْضَحُ أيْضًا بعْضَ التحَيُّزَات المنَاطِقيَّة عنْدَ كُلِّ انعِطَافَة.

ولدَى مُقارنَة تَقديْرهِ للطَريقَة المِيلَانيَّة بطَهْيِ سَاقِ العِجل أو الأوسو بوكو (يُعِدُّهُ الميلَانيُّونَ بأفَضَلِ طَريْقَةٍ ممُكِنَة، ولذَلِك أَعْتَزِمُ وَصْفَهُ دوْنَ أَن أَتذرَّعَ بالخَوْفِ مِن التَعَرُّضِ للمُضَايقَة)، معَ مَوقفهِ الأقَلَّ تَقْدِيرًا بكَثِيْرٍ للمَعكروْنَة النابوليَّة، فقَال على نحْوٍ رَافضٍ إلى حَدٍّ مَا: "لأنَّه يروْقُ بشَكلٍ خَاصٍّ "للنَاسِ الذيْنَ يُحبُّونَ السِباحَة في صَلصَة الطمَاطِم". وكشَابٍّ مَوجوْدٍ في نابولي، ناضَلَ "أرتوسي" للتصَالُح معَ المَعكرونَة المُزيَّنة بالفُلفُل والجُبنِ الحَاد، وبحَثَ عمَّا أَطلَق عليْهِ "المَطعَمُ الرَاقِي" حيْثُ كانوا يُقدِّموْنَ صَلصَة بشَامِيل رَائِعَة—بالكَادِ تَعْتَبَرُ عادًة نابويَّة. فِي الوَاقِع، لَا يُنكِرُ "أرتوسي" أنَّ مَعرفتَهُ بأَطعِمَةِ كَاملِ إيطاليا إلى الجنوْبِ مِن توسكانا مبنيّةٌ على المطَاعمٍ لدَرَجَةٍ كَبيْرَة. فعلَى سبيْلِ المِثَال، يُعَدُّ طبَقُ السالتيمبوكا والذِي يَعنِي حرفيًّا،"رَقصًة في الفَم" أحدَ أكثَرِ الأطبَاقِ المُحبَّبة فِي روَما209 ويتكوَّنُ مِن شرَائحِ لحْمِ العِجْلِ الرَقيْقَة معَ نصْفِ ورقَةِ مَريمِيَّة، وشريْحَةٍ مِن لحْمِ الخِنزير المُقدَّد يَتِمُّ تَثبيْتهَا في الأَعلى باستِخدَام عوْدِ أسْنَان، حيْثُ تُقلَى بسُرعَةٍ في زُبدَةٍ غيْرِ سَاخِنَةٍ كثيْرًا، ولفتْرَةٍ أطوْلَ بجَانبِ لحْمِ

----------- \*ريزوتو: طبق إيطالي يقدّم عادةً كمقبّلات قبل تناول الطبق الرئيسي. هناك عدة وصفات وعدّة مكوّنات لتحضير الريزوتو ولكن أساس كل هذه الوصفات هو الأرز. يمكن أن يحضّر الريزوتو أيضاً كطبق أساسي من الدجاج، الكريما، الزبدة، الحمص، البصل، الثوم، الزيت، مرق الدجاج، الفلفل والملح، يعتبر الريزوتو من أشهر أطباق الأرز في إيطاليا.

العِجْل بحيْثُ لَا تُصبِح شَرائِحُ اللَّحْمِ قَاسِيَة. إنَّ وصْفَة "أرتوسي" مثَاليَّة، لكنَّها تبْدَأ بمَا يُعرَف اليَوْم بالاعْتِرَاف: "لقَد تناولْتُ الطبَق فِي روما، فِي تراتوريا لا فينيتا، ولذَلِك بوسْعِي أَن أُوْرِدَ وصْفتَهُ بشَكْلٍ دَقِيق".

ولَكِن في مثْلِ هذَا البَلَد الجَديْدِ والمُتنَوِّع، لَا يُمكِن أَن يُتَوَقَّعَ مِن أَحَدٍ القِيَامُ بِعَكْسِ نَسَقِ الطَهْيِ بأَكمَلهِ عبْرَ المنَاطِق المُختَلِفَة. وبالنَظَرِ إلى ظُروْفِ عَصْرهِ، فإنَّ إنْجَاز "ألاتوسي" هائِلٌ للغَايَة. ودوْنَ أَن يحْظَى بمسَاعدَةٍ مِن أحَدٍ تقريْبًا أعادَ حِوَارَ الطعَامِ الذِي توقَّفَ لفَترَةٍ طويْلَةٍ بيْنَ مدُنِ إيطاليا، وبطريقَتهِ الحَصِيفَة المُحَافِظَة، بدَا صاحِبَ رؤْيَةٍ طموْحَةٍ بفَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه؛ فأعَادَ وضْعَ حضَارَةِ المَائِدَةِ في مرْكَزِ الحيَاةِ الوطنيَّة، لكن المُشكلَة هيَ أَنَّ أحَدًا لَم يَلْحَظ ذَلِك.

**حِكَايَة سَنْدرِيلَّا**

لَم يُشْفِ تأليْفُ كِتَابِ "عِلمُ المَطبَخ" قَلْبَ "أرتوسي" مِن شَغَفهِ لنَيْلِ استِحْسَانِ النَاس المَحسوبيْنَ ضِمْنَ الأَوسَاطِ الثقَافيَّة الفلورنسيَّة، فعرَضَ كِتَابَ وصَفَاتهِ باَدِئَ الأَمْرِ على أَحَدِ عُلمَاءِ الأَدَب الذِي لَم يُعِرْهُ أَدنَى اهتِمَام، وحيْنهَا أرسَلَ المخطوْطَة إلى بعْضِ النَاشريْن الفلورنسيِّين ودعَاهُم لتنَاولِ الغدَاء، غَيْرَ أنَّهُم تذَمَّروا: "قَد ينْجَح الأمْرُ لَو كتَبَهُ دوني". – كانَ "دوني" صَاحِبَ أَشهَر مَطعَمٍ ومَقْهَى ومَتْجَرِ مُعجَّناتٍ في المَدينَة بشَارِع فيا تورنابوني. ثمَّ وكمَا الحَالُ اليَوم شقَّ كتَابُ الوَصَفَات طريْقَه بصعوْبَةٍ دوْنَ وجوْدِ اسْمٍ مشهوْرٍ على غِلَافِه. ازدَادَ حجْمُ كوْمَةِ خِطابَات الرَفْضِ حتَّى قامَ "أرتوسي" بشَكلٍ مُتعَنِّتٍ بطِبَاعَةِ ألْفِ نُسخَةٍ مِن الكِتَابِ على نَفقَتهِ الخَاصَّة، حتَّى إنَّهُ عانَى في حِينِهَا المزيْدَ مِن الإذْلَال؛ فقَد أرسَلَ نُسختَينِ لِيَتِمَّ وَهبَهُمَا في ياَنَصيْبٍ خَيرِيٍّ في فورليبموبولي، لكِنَّ الفَائزيْنَ قَايَضوا جَوائِزَهم بالتَبْغ. 210

جاءَ الخلَاصُ مِن الرَمْزِ الأَوَّلِ للجَاذبيَّة الأكَاديميَّةِ في إيطَاليَا، وهو أُستَاذُ عِلمِ الإنْسَان "باولو مانتيغازا"، والذِي لوحِظَ تشابُهَهُ الجَسَديِّ العَجِيب معَ "بوفالو بيل" أثناءَ زيارَةِ رَاعِي البقَر الاستِعرَاضي الأسطوْرِي إلى فلورنسا عَام 1890. لقَد صنعَ "مانتيغازا" اسمَهُ مِن خلَالِ استِكشَافهِ الحُدودَ الجَامِحَةَ للنظَافَةِ الصِحيَّة؛ و عناويْنُ مِن قَبِيْلِ "النظَافَة الصِحيَّة للجمَال" عَام 1870، و"أشكَالُ نشوَةِ الإنْسَان" عَام 1887، يتصَدَّرُهَا أكثَر الكُتُبِ مَبِيعًا على المسْتوَى الدُوَلِي وهوَ كِتَاب "النظَافَة الصِحيَّة للحُب" عَام 1878 والذي اجتَذبَ بشكْلٍ فطريٍّ جمهوْرًا كبيْرًا مِن النِسَاء إلى مُحاضرَاتهِ العامَّة، ولقَد أَوصَى أيْضًا بأنَّ الكوكَائِين يُزَوِّدُ الطبقَاتِ العَامِلَةِ بالمزيْدِ مِن النشَاط، كمَا كتبَ عَن النظَافةِ الصِحيَّة لتنَاوُلِ الطعَام.

عندمَا تلقَّى "مانتيغازا" نُسخًة مِن كِتَابِ "عِلمُ المَطبَخ" مِن "أرتوسي"، أدْرَك مزَايَاه على الفَور، فتعاطفَ معَ روْحِ التَجديْدِ فيْهِ، وأتَى على ذِكرهِ بحمَاسَةٍ خلَالَ بعْضَ مُحاضرَاتِه، لقَد حصَلَ كِتَابُ "عِلمُ المَطبَخ" على مُباركَةِ المَشَاهِير التي يحْتَاجُها، فأثارَ دعْمَ "مانتيغازا" نموًّا هائِلًا في المَبيْعات.

تعَامَلَ "أرتوسي" معَ كلِّ شَيءٍ مِن مَنزلهِ، فلِشرَاء الكِتَاب عليْكَ مُرَاسَلَتَهُ شخْصِيًّا، وتمَّ توقيْعُ كلَّ نُسخَةٍ كضَمانٍ مِن التَقليْدِ الرَخِيص، ولَم يَعْهَد بتَسيِير التوزيْعِ إلى أحَدِ أصدقَائهِ النَاشِريْن إلَّا عنْدَمَا تنَامَت العمليَّة بشَكلٍ أَكبَر مِن أَن يتَّسِع لهَا منزِلَهُ عنْدَ سَاحَة دازيليو ، وحيْنَ لَم يَعُد بوسْعِ خَادمَيهِ مُجَارَاة حَزْمِ مِئَاتِ النُسَخ التِي يتمُّ إرسَالهَا بسُرعةٍ إلى جميْعِ أنْحَاء إيطاليا، ومعَ الطَبْعَة السَادِسة للكِتَاب، تحَوَّلَت مئَاتُ النُسَخ إلى آلاف، لقَد كانَ رجُلَ أعمَالٍ عجوْزًا ذَكِيًا، قَامَ "أرتوسي" بتخفيْضِ السِعر الذِي يدفَعهُ لعُمَّال الطِبَاعة، وزَادَ النِسبَة المئويَّة التي يَجنيْهَا مِن الموزِّعين، فوسَّع مبيعَاتَه مِن خِلَال الإعلَان فِي الصحُف، وإرسَالِ نُسَخٍ مجانيَّة إلى الجمعيَّات النسائيَّة، وبدخوْلهِ العَقد الثَامِن مِن عمُره، باتَ "أرتوسي" مشغوْلًا بتكويْنِ ثروَةٍ ثانِيَةٍ لَه.

فمَعَ كلِّ إصْدارٍ جديْدٍ مِن كِتَابِ "علمُ المَطبخ"، يزدَادُ عدَدُ الوَصَفات أيْضًا. إنَّ لهذَا التوسُّعِ منْطِقٌ تِجَارِي، لأنَّهُ جعلَ مِنَ الطبعَاتِ القَديمَةِ شَيئًا قَد عفَا عليْهِ الزمَن، وأثْنَاءَ حَديْثِ خَادِمَيْ "أرتوسي" معَ أحَدِ الزُوَّارِ مازَحَاهَ قَائِلَيْن: "إنَّنَا مُلتصِقان بهَذهِ الأفْرَان طِوَال اليوْمِ تقريْبًا، فسيِّدُنا يدفَعُنا للجنوْنِ بتجَارِبهِ المُتوَاصِلة".

إنَّ الوَصَفات التِي يعمَلُ عليْهَا الخَادِمَان بجهْدٍ كبيْرٍ هِي غالبًا ذَاتُهَا التي يُرسِلها القُرَّاء، ومُعظمَهم مِن النِسَاء اللَّاتِي استمَالتهُنَّ نبْرَةُ "أرتوسي" الودوْدَة وحتَّى اللَّعوبَة—لقَد استَهَلَّ مُقدمِّة كِتَابهِ بهَذهِ الكَلِمَات: "إنَّ الطهْيَ هوَ فتَاةٌ رعْنَاءُ قليْلًا...". ولهَذا فإنَّ كِتَابَ "عِلمُ المَطبَخ" هوَ عمَلٌ مُتعدِّدُ المُؤلِّفيْن–وذِلكَ هوَ أَحَدُ أكثَرِ الأموْرِ الهامَّة تاريْخيًّا بشَأنِه. فقبْلَ عَام 1891 كانَت الكاتِباَت عَن فَنِّ الطَهْيِ نادِرَاتٌ، فالمَعرِفَة بأموْرِ الطَهْيِ 211 لدَى نسَاء الطبقَة المتوسِّطة وطُهاتهمِ المنزليّينَ قَد تمَّ تنَاقُلَهَا شفَهيًّا عبْرَ الأجيَال، أو تمَّت مُشاركتهَا برسَائلٍ خاصَّة، ويعْودُ السَبَبُ ببسَاطةٍ لعَدَمِ الاعْتِقَادِ بأنَّها تستَحِقُّ النِقَاش في الأمَاكنِ العامَّة. بعْدَ "أرتوسي"، استحوذَت كَاتِبَات الطَهيِ على حِصَّةٍ متزايِدَةٍ من السوْقِ حتَّى وصَلْنَ إلى مَركزِ الهيْمنَة في عشرينيَّات وثلَاثينيَّات القرْنِ المَاضِي، ولقَد أسْهَمَ "أرتوسي" بهذَا التحوُّل بشَكْلٍ هَائِل. فبعْدَ كلِّ شَيء، كانَت النسَاء الإيطاليَّات في زمَانهِ محظورَاتٍ حتَّى عَن الاشترَاكِ في الصحُف دوْنَ إذْنِ أزوَاجهِن.

بعثَتْ سيِّدةٌ مِن "بارما" برسَالَةٍ تتضمَّن وصْفةً عَن حِزَمِ المعكروْنَة المحْشوَّةِ النصْفِ دائريَّة وتُدعَى "أنوليني"، وقَد اعتِيْدَ تقديْمهَا في عيْدِ الميلَادِ وعيْدِ الفِصْح؛ تشتَمِل الحشْوَة على أربَعِ أو خمْسِ ملَاعقٍ مِن العُصارَات الناتِجَة عَن قَلْيِ قطعَةٍ مِن لحْمِ البقَر المحشيَّة بدُهن لحْمِ الخِنزير المقدَّد فِي الزُبدَة، ثمَّ تُطْهَى على نارٍ هادئَةٍ في المَرَقِ لثمَان إلى تسْعِ ساعَات في وعَاءٍ عميْقٍ من الخزَفِ بعْدَ تغطيَتِه. يُصِرِّحُ "أرتوسي" باعْتِرَاف: "أًعلِنُ نفسِي مُلزمًا بعَمَلِ مَا ذكرَتْهُ السيِّدةُ آنِفًا". ومِن بيْنِ الوصفَات التِي أُجبِر عليْهَا لأجْلِ مُعجبَاتهِ هيَ "شرحَاتُ اللَّحم" المقليَّة معَ الأَرضِي شَوكِي في صَلصَة البشَامِيل، لفَائِف المعجَّنات المقليَّة بعْدَ إضَافَة الكونياك وتُدعَى "بيتزا الكُرَّاسات"، كعْكَة سوفليه بسيْطَة مع جُبنَة جروير، وبعْضٍ مِن بِسكويْت الشوكولَاتَة المُصمَّم خصِّيصًا لإعادَةِ القوَّة للنسَاءِ اللَّواتي وَلَدْنَ للتَو. إنَّ التأثيْرَ الفرنسِيَّ على هذهِ العيِّنة الصغيْرَة مِن تخصُّصاتِ أمَّهاتِ الطبقَةِ الوسْطَى قويٌّ بشكْلٍ وَاضِح، وذَلِك يشيْرُ إلى القروْنِ التي تَبِعَت غزْوَ فنِّ تذُّوقِ الطعَام وطهْيهِ عبْرَ جِبَال الأَلب؛ حيْثُ تبنَّت العَائِلَاتُ الإيطاليَّة التِي تعيْشُ برخَاء الابتِكارَات الفرنسيَّة وصَاغتْهَا تِبْعًا لبِيئَتها، ووفْقًا لإيْقَاعِ حيَاةِ أُسَرهِم وتفضِيلَاتِ الطعَامِ المحليَّة.

يتضمَّنُ كِتَاب "عِلمُ المَطبَخ" على عدَدٍ قليْلٍ مِن الوصَفَات الفرنسيَّة—حتَّى على "صَفعَة الشُوكولَا" التِي تمَّ تسْجِيلهَا قبْلَ قرْنٍ مِن الزمَان بكِتَاب "إتقانُ الطهْيِ البيدمونتي فِي باريس"، وهناكَ أيْضًا الأطبَاق الألمانيَّة مثْلَ مُخلَّل المَلفوْف والكرابفن (الدونَات). وهنَاكَ أيْضًا مُساعدَة سَخِيَّة مِن الوَصَفات الإنكليزيَّة التقليديَّة مثْلَ لحْمِ البقَر المَشوِي (وصفتان)، فطيْرَة الحمَام، بودِنغ الخُوْخ، وطبَق الضِفدَع في الحُفْرَة\*. وبرغْمِ أنَّ "أرتوسي" قد سمَح لنفسهِ بضِحكَةٍ مكتوْمةٍ مهذَّبةٍ بشَأنِ اسْم "ضِفْدَع فِي الحُفْرَة" إلَّا أنَّه لم يكُن مُصابًا برِهَاب الأجَانِب فيمَا كانَ الأَمْرُ يتعلَّقُ بفَنِّ طَهْيِ الطعَامِ وتذوُّقِه، مِن المُمتِع مُلَاحظَة أنَّ كلمَة تَقليدِي المُستخدَمَة الآنَ وبكَثْرَةٍ وبطرْيقَةٍ حصريَّةٍ لرَفضِ الأطبَاقِ الأجنبيَّة مِن القائِمَة الخَالِدَة المزعوْمَة للمُنتجَات الإيطَاليَّة الأصليَّة؛ لم تُستخْدَم أبدًا مِن قِبَلِ مؤَسِّس المَطبَخ الإيطَاليِّ المُعَاصِر.

رغْمَ ذَلِك فإنَّ "أرتوسي" رَجلٌ وطَنِي، فَقد أَوضحَ نفوْرَه مِن الطريْقةِ الإنكليزيَّة بتنَاولِ الخُضروَات—"مسلوْقَة، دوْنَ إضَافَة شَيءٍ فوقهَا، أو معَ مُكعَّب زُبدَة صَغِير على أكْثَر تَقدِير"—ومَن يلوْمهُ على ذَلِك؟ لقَد قَلِقَ "أرتوسي" بشكْلٍ خَاص مِنَ السُيَّاح الأجَانِب المُتطلِّبين، وأموَالهِم التِي كانَت البِلَادُ بأَمَسِّ الحاجَةِ إليْهَا،212 تَطمُسُ الجوْدَة المُميِّزَة للطعَام الإيطَالي.

-------- \*طبق الضفدع في الحفرة: طبق يتكون من نقانق توضع فوق عجينة البودنغ الشبه سائلة وتخبز في الفرن، عادة ما تقدم مع صلصة البصل والخضروات.

وعلى سبيْلِ المِثاَل فِي مَدخَلهِ إلى معكروْنَة التاغليتيلي، أعْطَى الوصْفَة ببِضعَةِ أسطُرٍ، لكنَّه خصَّص صفحًة ونِصْف ليَشرَح النِظَام القَيِّم الذِي يَكْتَنِفَهَا. إنَّ الجَدَائِل الطويْلَة مِن هذَا النوْع مِن المعكروْنَة، يُصِرُّ قائلًا: "يجِب أَن تبْقَى مُحافِظة على الطَابِع المُميَّز للأُمَّة، لأنَّها خاصَّة بإيطاليا". فهِي ببسَاطَةٍ لَن تقوْمَ بذَلِك لدَى تقطيْعِها إلى قِطَعٍ صغيْرَة "لتتوَافَق معَ أذوَاقِ الأجَانِب". إذَا كانَ "أرتوسي" قَد قرَأ دليْلَ "بايديكر" المُعتمَد عَن جنوْبِ إيطاليا، والذِي نُشِرَ عَام 1896، فلرُبَّما باتَ لديْهِ سبَبٌ أكبَر ليَقلقَ بشَأنِه، ينْصَح الدَليْل: "تحْظَى معكروْنَة ناَبولِي بتقديْرٍ كَبِير، لكنَّها قَاسِية بشَكلٍ عَام، ولذَلِك يَجِبُ طلَبُ طَهيِهَا جيِّدًا". (لقَد انتشَرت عادَة تنَاولِ المعكروْنَة حسَب الدينتي\* مِن نابولي ببدَايَة القرْنِ التَاسِع عشَر، ولَكِن عندمَا تعلَّقَ الأَمرُ باللُّغةِ فَقد دخَل أرتوسي حقًا في معركَةٍ مِن أَجلِ الطعَام الإيطَالي، فَفِي إحدى أوَائلِ وصَفَاتهِ صرَّح برَفضِهِ التسمِيَات الفرنسيَّة الرنَّانة لأجْلِ الكرَامةِ الإيطاليَّة واستخَدَم بدلًا مِن ذَلِك لُغتَنا الجَميْلة المُتنَاغِمة، غيْرَ أنَّ التحَدِّي الحَقيْقِي الذي واجهَهُ هوَ أنَّ هَذهِ اللُّغة الجَميْلة المُتنَاغِمة لَم يكُن قَد تمَّ ابتكارَهَا بَعْد، فعلَى مَائِدة الطعَام كانَت البلَاد لَاتزَال مُنقَسِمة بيْنَ مطبَخٍ فرَنسِي—المُستخدَم في المَآدُب الكُبرَى، وفي مطَاعِم السُيَّاح الرَاقِية وكتُبِ الطَهي— ومَا بيْنَ العَديدِ مِن اللَّهجَات المنَاطقيَّة التي تحدَّثَت بهَا الغالبيَّة العُظمَى مِن الإيطاليِّين حوْلَ المَائِدة فِي المَنزِل. لقَد اعتقَد مؤلِّف أكثَر قوَاميسِ اللُّغةِ الإيطاليَّة أهميَّة والذِي تمَّت كتابتَه خلَالَ حيَاةِ "أرتوسي" باسْتحَالَةِ تأليْفِ كِتَابٍ عَن الطَهيِ في إيطاليَا لعَدَمِ وجوْدِ الكَلِمَات المُنَاسِبَةِ لذَلِك، فإِرْثُ "سكابي" وغيْرُه مِن طُهَاة عصْرِ النَهضَة لَم يكُن كافِيًا. لَم تمتَلِك إيطَاليا مُفردَاتٍ مُشتَركَةٍ تُتِيْحُ للشَخصِ الفِينِيسِي والنَابولِي التوَصُّلَ لتفَاهُمٍ بشَأنِ مَسَائِل القِدْرِ والمِقلَاة.

حتَّى بالنسبَةِ للأقليَّة مِن أبنَاء بلَدِ "أرتوسي" والذيْنَ يعرفوْنهَا حقَّ المَعرِفَة، كانَت الإيطَالية تُعَدُّ لغًة ثانيًة ومكتوْبَة، لُغَةَ الشؤوْنِ العامَّة والأدَب، ولَم يَتِم التحَدُّث بالإيطاليَّة بشَكٍل اعْتِيَادِيٍّ بمُقْتَضَى الأَحوَال اليَوميَّة إلَّا فِي مكانَينِ فقَط: روما، مديْنَة الكَنيْسَة حيْثُ حَوَّلَت الهِجرَةُ المُتواصِلَةُ منْذُ زمَنٍ بَعيْدٍ اللُّغةَ الإيطَاليَّة إلى اللُّغَةِ المُشتركَةِ بيْنَ بُلدَانِ البَحْرِ المتوَسِّط، وفِي إقليْمِ توسكانا، حَيْثُ نشأَت الإيطاليَّة كلُغَة مُستخْدمَة مِن قِبَل كُتَّاب العصوْرِ الوسْطَى الفلورَنسِيِّينَ رَفِيعِي المُستوَى مِن أمْثَال دانتي، بيترارك، وبوكاتشيو.

--------- \*الدينتي: مصطلح إيطالي لقياس درجة طهي المعكرونة بشكل رئيسي بالإضافة إلى الخضار والأرز كذلك. يصف هذا المصطلح درجة طهي الأطعمة حيث لا تكون مطهوة بشكل كامل فيكون هناك قرشة في المعكرونة والأرز الخضراوات المختلفة.

\*دانتي أليغييري : ويعرف عادة باسم دانتي وهو شاعر إيطالي من فلورنسا، أعظم أعماله: الكوميديا الإلهية المكونة من ثلاثة أقسام الجحيم، المطهر والفردوس, يعتبر البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجته أوروبا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة.

\*بيترارك: رانشيسكو بتراركا أو بترارك كان باحثاً إيطالياً وشاعراً وأحد أوائل الإنسانيين في عصر النهضة. يسمى بترارك أحياناً كثيرة "أب الإنسانية". في القرن السادس عشر، أسس بيترو بمبو نموذجاً للغة الإيطالية الحديثة على أساس أعمال بترارك وجيوفاني بوكاتشو وخاصة دانتي أليغييري.

\*جوفاني بوكاتشو: كان مؤلفاً وشاعراً إيطالياً، وصديقًا وتلميذًا ومراسلًا للكاتب بترارك، وكان شخصية هامة في إنسانية النهضة ومؤلف عدد من الأعمال البارزة بما فيها ديكاميرون، عن نساء شهيرات، وشعره بالعامية الإيطالية.

213 لَو تعيَّنَ وجوْدُ كِتَابٍ عَن فَنِّ الطَهْيِ يَسهُلُ فَهمَه فِي سَائرِ الأرَاضِي الإيطاليَّة؛ فحيْنهَا ستكوْنُ روما وتوسكاني همَا المصدرَان المُحتملَان الوَحيدَان لمُفردَاته. وكمُهَاجِر إلى فلورنسا، كان "أرتوسي" بمَوقعٍ مثَاليٍّ لتَأليْفِ هذَا الِكتَاب؛ فلَقَد عرَفَ الطريْقةَ التي يتحَدَّث بهَا التوسكانيِّون عَن الطعَام، لكنَّ أسفَارَهُ منحَتهُ عَاطِفًة بالنِسْبَةِ لِلَهجَتهِم، ممَّا جعَلَهُ يَبْدو غريْبًا للغَاية بالنسبَةِ للمُتحدِّثين بالإيطاليةَّ في سَائِرِ البلَاد، ولذَلِك فقَد احتوَى كِتَابُ "عِلمُ المَطبَخ" على دليْلٍ مُقتضَبٍ للمُصطلحَات التوسكانيَّة المُستخدمَة في الكِتَاب، غيْرَ أنَّ ذَلِكَ بدَا مُبهمًا بالنسبَةِ لأُنَاسٍ مِن أمَاكِن أُخرَى. هَذهِ عَيِّنَةٌ مِن الكَلِمَاتِ تُضْفِي شُعوْرًا بمَدَى أَهميَّةِ مُعْضِلَةِ اللُّغة: لَاردو (دُهن الخِنزير)، كوتوليتا (شَريحَة لَحْم)، تريتاكارنه (فرَّامَة اللَّحم). إنَّ هَذهِ المُصطلحَات جميْعَها شَائِعَة التَدَاوُل اليَوْم.

لَم تستَطِع اللَّهجة التوسكانيَّة تقديْمَ جميْعِ الحلوْلِ اللغويَّة التِي احتاجَهَا "أرتوسي"، فَفِي بعْضِ الحالَات قامَ بإعَادَةِ اسْتِحدَاثِ الاسْمِ المنَاطقِي للطَبَق، وبأُخرَى قدَّم كلمَاتٍ بَديْلَةٍ لذَاتِ الشَيء، على سبيْلِ المِثَال الكاردونس وهوَ إمَّا قِطَعُ المعكروْنَة الأنبوبيَّة الشَكل أو حَسَكُ السَمَك، اعتِمَادًا على مكَانِ وجوْدِكَ بإيطَاليا، أمَّا الكلمَاتُ الدَخيْلة الفرنسيَّة فقَد كانَت مُشْكِلةً ثَانِيَة لَا حلَّ لها، فَفِي بعْضِ الحَالَات تَبْدو الكلمَةُ الفرنسيَّةُ جَلِيًّة بمَا يَكفْي لتُترَك كمَا هِي، مِثَالُ ذَلِك كَلِمَةُ ساوت (يُقلَى بسُرعَة) أو كاتو (كَعكَة بالكرِيمَة). في حالَاتٍ أُخرَى وفي الوَقْت الذِي أَحرزَ فيْهِ "أرتوسي" تقدُّمًا بعمَلهِ، كانَت إيطاليا بوقْتٍ سَابقٍ قَد تشرَّبَت الكلمَات الفرنسيَّة وباتَت تَهجِئتهَا أكثَر شيوْعًا، كطَبَقِ فريكاندو\* لحْمِ العِجِل الفرَنسِي أصْبَح يُلفَظ بالإيطاليَّة فريكاندد. فِي كثيْرٍ مِن الأحيَان، اسْتمتَعَ "أرتوسي" بعدَمِ اكترَاثهِ للكلمَاتِ الدَخِيلة على اللَّغَة الإيطاليَّة؛ وبالتَالِي فإنَّ صَلصَة الرافيغوتي\* الفرنسيَّة الفَاخِرَة تُصبِح "الصَلصَة الخَضْرَاء" فقَط.

لَم يَسْتَوعِب الإيطاليُّون جميْعَ الكلمَاتِ التي استخدمَهَا "أرتوسي"، لقَد حَاولَ أَن يُحَوِّلَ صَلصَة البشاميل الفَرنسيَّة إلى ذَلِك الِابتِكَار السَاحِر الذِي يُدعَى البلسميلا—وَيَعنِي على نحْوٍ فَظٍّ "البَلسَمُ القَليْلُ الشَهِي". يَستَخدِمُ الإيطَاليُّوْنَ اليَومَ اسْمًا مُبْتذلًا أكثَر هو البيشميلَا، والتِي تَبْدو كالكَلِمَةِ الفَرنسِيَّة بعْدَ أَن تمَّ نَقلُهَا للإيطَاليَّة، وقَد أُلصِقَ بهَا حَرفَا لَا في نهَاَيتِهَا لمَنحِهَا رنيْنًا وَطَنيًّا أَكثَر. على أيِّ حَال، فعلَى الإيطاليِّين أَن يشْعرُوا بالامْتِنَانِ لأرتوسي بشَكلٍ كَبِير، إِن لَم يَكونُوا رَاغبِيْنَ بالذَهَابِ وهُم محمَّلونَ بقَاموْسٍ ضَخمٍ في كُلِّ مرَّةٍ يتنَاولوْنَ فيْهَا الطعَامَ بمَطعَمٍ خَارِجَ منَازلهِم.

في عَام 1903، كتَب "بيلغرينو أرتوسي" سيرةً ذاتيّةً موجزةً عَن حيَاتهِ، وبرَغْمِ ثَورَاتِ المرَارَة التِي تَعصِفُ فيْهَا كُلَّ حيْنٍ فتُظْهِرُ أنَّهَا غَيْرَ مُعدَّةٍ للنَشْر، إلَّا أنَّها صَريْحَة وفَاتِنَة كمَا يليْقُ بالرَجُل،214 كانَت عينَاهُ تدْمَع كُلَّما استذْكَر هجوْمَ المَراكِبي في "فورليبموبولي"، الذِي سبَّبَ مثل هَذهِ المأسَاة والاضِطرَاب فِي حيَاتِه. تحتَوِي السيْرَة الذاتيَّة على معلومَاتٍ قليْلَةٍ عَن

-----------

\*فريكاندو: شرائح لحم العجل المطبوخة المقدمة مع صلصة بيضاء تقليدية.

\*صلصة الرافيغوتي: مزيج من البقدونس الإفرنجي، الثوم المعمر، نبات الطرخون، والكراث مفرومة جميعها، ويستخدم المزيج لمنح الصلصة طعمًا حادًا.

\*صَلصة البَشاميل: والمَعروفة أيضاً بِـالصَلصة البَيضاء، وهيَ تتكون مِن خَليط من الزُبدة والَطحين مَع الحَليب. تَرجِع صلصة البَشاميل في أصلِها إلى المَطبخ الفَرنسي، حيث تُستخدم كَقاعدة وأساس للصَلصات الأُخرى كَصلصة مورناي.

\*البلسميلا: هي واحدة من لبنات بناء المطبخ الإيطالي الشمالي ،تلك الصلصة البيضاء الأنيقة المستخدمة في صنع الأطباق الكلاسيكية مثل اللازانيا والكانيلوني.

الطعَام، وهوَ ليْسَ بالأَمرِ المُفاجِئ، بمَا أنَّ كِتَابَ "عِلمُ المَطبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ لَائقٍ" قَد سَرَدَ هذَا الجُزْءَ مِن قصَّةِ حيَاتهِ إلى آلَافِ القُرَّاء. وبحلوْلِ الوقْتِ الذِي وافَتْهُ فيْهِ المنيَّة عَام 1911 بعُمر التِسعِين عَامًا، كانَ كتَابُ طَهيهِ قَد وصلَ لإصْدَارهِ الرَابعِ عشَر، مُحتَوِيًا على 790 وَصْفَةٍ كعَدَدٍ إجْمَالِي—أكثَر بـ 315 وصْفَة عَن الطَبْعَة الأُولَى عَام 189، وكعلَامةٍ على تعلُّقَه بمكَانِ ولَادَتِه، فقَد أَوصَى بالجُزءِ الأَكبَر مِن مُمتلكَاتهِ لإِعَالَةِ منَازلِ سُكَّان "فورليمبوبولي" الأقلَّ حظًّا، أمَّا حقوْقُ التَأليْفِ المُستقبليَّة لكِتَابِ "عِلمُ المَطبَخ" فقَد صَارَت مِن نصيْبِ خَادِمَيْهِ المُتفَانِيَيْن "ماريتا ساباتيني" و"فرانشيسكو روفيلي" اللَّذَينِ عَمِلَا طويْلًا وِفْقَ رؤيَتِه للمَطبَخ الإيْطَالي.

كانَ إرْثُ "أرتوسي" لبلَدهِ نموْذجًا للمَطبَخ الإيطَالِي على نَحْوٍ لَائِقٍ، إِذ أنَّه مَبنيٌّ على احتِرَام تقَاليدِ الطعَام المحَليَّة. غَيْرَ أنَّ المُشكِلَة تَكْمُنُ في عَدَمِ اسْتِطَاعَةِ الكثيْرِ مِن النَاسِ تحَمُّل نفَقَاتِ تنَاولِ مُعظَم الأصْنَاف الموجوْدَة بقَائِمَة الطعَام الوطنيَّة. فِي الحقيْقَة، وبالنسبَةِ للملَايِين الذيْنَ عَانَوْا مِن نَقْصِ التَغذِيَة، فإنَّ السَبيْلَ الوحيْدَ أَمَامَهُم ليتَمَكَّنوا مِن تنَاولِ الطعَامِ كشَخْصٍ إيطاليٍّ هوَ مُغادرَةُ إيطاليَا بالكَامِل. 215

**13**

**جَنَوَة عَام 1884 -1918**

**-----------------------------------------**

**المُهَاجِروْن والسُجَنَاء**

**مُهَاجِروْن: على مَتْنِ السَفِيْنَةِ نورد أَمرِيْكَا**

خلَالَ اللَّيلتَين الماَضيتَين، امتلَأَت الشوَارعُ المُنحَدِرة إلى ميْنَاء جَنَوَة بمَظَاهِرَ تنَاثرَت هُنَا وهُنَاكَ وقَد احتَشَدَت حَوْلَ أَمتِعَتِهَا بشَكْلٍ احْتِرَازِي. العَديْدُ مِن المُهاجريْنَ الذِيْنَ يصْطفوُّنَ الآنَ لفَحْصِ جوازَاتِ سفَرِهِم، قد أُجْبِروا على النَوْمِ في العَرَاء. لقَد قَدِموا مِن جميْعِ أنحَاء إيطَاليا. فالديوْنُ والضرائِبُ ومرَقُ البصَلِ وعصيْدَة الذُرَة قَد أبعَدت العوَائِل القَادِمة مِن البَرِّ الفينيسي عَن حقوْلهِم، أمَّا الفلَّاحوْنَ مِن ريْفِ "مانتوفا"، فقَد كَانوا يضْطَرَّون كلَّ شِتَاءٍ إلى عبوْرِ نهْرِ وَادِي "بو" ويسدُّوا النقْصَ مِن عَصيْدَة الذُرَة بنَبَات مِسْكِ الرُوم سَيِّء المَذَاق لِكَي يَبْقوا على قَيْدِ الحَيَاة. ولَم يَبْدُ العُمَّال القَادميْنَ مِن حقوْلِ الأَرُزِّ البَغيْضَة فِي الجُزءِ السُفليِّ من لومباردي بأَفْضَل حالٍ- حيْثُ كانَ الخُبزُ العَفِن ودُهنُ لَحْم الخِنزيْرِ المُقَدَّد النَتِن، وعَصِيْدَة الذُرَة، هوَ المُكافَأة الوَحيْدَة لأيَّامٍ طَويْلَة تُمضِيهَا وذِراعَاكَ وسَاقاكَ مَغمورةٌ في المِيَاهِ المُوحِلة، وظهرَك تلفَحُهُ أشِعَّةُ الشَمْس. هنَاكَ أشخَاصٌ مِن الجنوْبِ ضمْنَ الطَابُوْرِ أيْضًا؛ الكالَابريُّون الذيْنَ صنَعوا خُبزَهُم مِن العدَس البَرِّي، وهوَ يلتَصِق بالفَمِ كالطِّين ونِشَارَة الخَشَب، ويُوجَد الفلَّاحوْنَ مِن باسيليكاتا الذيْنَ يناموْنَ في حظَائرِ الخَنازِير، ولَا يذوقوْنَ اللَّحمَ فِي العَامِ أكثَر مِن مرَّةٍ واحِدَة –مَا لَم تقْتُل الأمْراضُ أحدَ حيوَاناتِهِم، ومِن بوليا جاءَ عُمَّال المزَارِع الكبيْرَة الذيْنَ يقفوْنَ في الطَابُوْرِ كلَّ مسَاءٍ ليَأكلوا مَا يُقدِّمه لهُم مَالِك الأَرض، مِن بقَايا رغيْفٍ أسوَدَ مُسطَّحٍ منقوْعٍ بمِلءِ مَغرفَةٍ مِن مَاءٍ مَالحٍ وبِضْعِ قطرَاتِ زَيْت.

----------

\*نبات مسك الروم: نبتة مكسيكية من العائلة الصبارية، زهوره بيضاء بلون الشمع ولها رائحة عبقة، كان يزرع سابقًا لإضفاء نكهة على الشوكولاتة، ويستخدم زيت الزهرة بصناعة العطور.

\*كالابريا: أو قَلَوْرِيَة إقليم في إيطاليا، يقع أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وتبلغ مساحته 15.082 كيلومتر مربع وعدد سكانه يتجاوز مليوني نسمة، وهو على شكل شبه جزيرة يحيط به شرقا البحر الأيوني وغربا البحر التيراني، يحده من الشمال إقليم باسيليكاتا ويفصله عن صقلية مضيق ميسينا، عاصمته كاتنزارو، وتتكون من خمس مقاطعات.

\*باسيليكاتا: أو لوكانيا هو إقليم في جنوب إيطاليا. يحده من الغرب إقليم كامبانيا وبوليا إلى الشمال والشرق وكالابريا من الجنوب، ويمتلك ساحلًا قصيرًا في الجنوب الغربي على البحر التيراني بين كامبانيا في الشمال الغربي وكالابريا في الجنوب الغربي، وساحلًا أطول إلى الجنوب الشرقي على خليج تارانتو في البحر الأيوني.

\*بوليا: هي منطقة في جنوب شرق إيطاليا مطلة على البحر الأدرياتيكي في الشرق و البحر الأيوني إلى الجنوب الشرقي و مضيق أوترانتو و خليج تارانتو في الجنوب. جزءها الجنوبي يعرف باسم سالنتو و هو شبه جزيرة تشكل كعب "الجزمة" الإيطالية. تبلغ مساحة الإقليم 19345 كيلومتر مربع و تعداد سكانه حوالي 4 ملايين. \*مانتوفا: مدينة شمال إيطاليا في إقليم لومبارديا وتقع في أقصى الجنوب الشرقي، يبلغ عدد سكانها 48.103 نسمة، مانتوفا محاطة من ثلاثة جوانب ببحيرات صناعية أقيمت خلال القرن الثاني عشر، حيث تستقبل المياه من نهر مينشو التي ينحدر من بحيرة غاردا.

216 أدركَتْ المجموعَاتُ الصغيْرَةُ التي خرجَت مِن مَبنَى الجمَارِك وعبرَت رصيْفَ المِينَاء، أنَّهَا الأَوْفَرُ حَظًّا، فالآخَروْنَ لَم يَبْلغُوا هذَا الحَد، إذ تعرَّض بعضُهم للاحتِيَال على يَدِ مُوظَّفي الجمَارِك وأُجبِروا على العوْدَة إلى بلَدهِم ليتسَوَّلوا لُقمَة عَيشِهم، وفَشِل آخروْنَ باجتِيَاز الفحْصِ الطبِّي؛ أفوَاهٌ متورِّمَة مُحمرَّة، وجِلدٌ شَاحِب مُتقشِّر، أَيدٍ مُرتَجِفَة، ضَعفٌ بالبصَر، كآبةٌ سوداويَّة، فُقدان ذَاكِرة، بَلَاهَة. كانَ مِن الصعْبِ إخفَاءُ أعرَاضِ مرَضِ البيلَاجرا، وهو دَاءٌ نَاجِمٌ عَن نقْصِ النِيَاسِين في نِظَامٍ غذَائِيٍّ يعتَمِد على عَصيْدَة الذُرَة.

مهَما بدَت اللَّهجَة التِي يتِمُّ التحدُّثُ بهَا، فإنَّ سبَب الصعوْدِ على متْنِ البَاخِرة "نورد أمريكا" في ذَلِك اليَومْ كانَ وَاحِدًا: "مي إيميغرو بير مانغار" أَي أَنَا مُهَاجِر لِكَي أستطيْعَ تنَاولَ الطعَام. وعلى سُلَّم الصُعود ارتسَم المُستقبَل الذِي قَد لَا يكوْنُ أَفضَل، حدَّثوا أنفُسَهم بذَلِك، لكنْ مِن الصَعْبِ أَن يكوْنَ أَسْوَأ.

في وقْتٍ لَاحقٍ، ومعَ ظُلْمَةِ الغَسَقِ وابْتعَادِ بَاخِرَةِ "نورد أمريكا" عَن مَرسَاهَا، تجمَّع رُكَّابُ الدرجَةِ الثَالِثَة فِي مُقدِّمة السَفيْنة. امتدَّت مَديْنَةُ "جنوة" التِي عُرِفَت باسْمِ "لَا سوبيربا" الرَائِعة على شَكْلِ نصْفِ دَائِرةٍ وَاسِعَةٍ أمَامهُم. بعْدَ الوحْدَة الإيطاليَّة تَمامًا، أَهدَى قادَةُ "جنوة" المَدَنيُّونَ إلى أكَثرِ أبنَاءِ مَدينَتهمِ شُهرةً، تمْثالًا رُخاميًا ضَخمًا ينظرُ باتِّجاه البَحْر ويستَنِدُ على مَرْسَاة؛ بشَكلِ عذرَاءَ عَارِيَة تضَعُ غِطاءَ رأْسٍ مِن الرَيْش يَربِضُ بتوَاضُعٍ عنْدَ قدَمْيْها—إنَّها تُمَثِّل أَمريْكَا. وقَد نُقِشَت عِبَارَةُ:

*لقَد تنبَّأ بالعَالَم الجَديْد*

*وربَطَه بالقَديْم بمنَافعَ أبديَّة*

*إلى كريستوف كولومبوس*

*أرْضُ الأَجْدَاد*

ومنذُ الانتهَاء مِن التِمثَال، أصبحَت "جنوة" أقْوَى بتِلْكَ "المنَافِع الأبديَّة" للأمريكيَّتَين، فبدأَت ضَواحِيها بتسَلُّق التِلَال، بينَما امتَدَّ المِينَاءُ في البَحْرِ لمسَافَةٍ أَبعَد، حيْثُ قامَت الرَافِعَاتُ الموضوْعَةُ على سفُنِ الحموْلَةِ برَفْعِ كُتَلٍ هَائِلَةٍ إلى مكَانِهَا لتَمديْدِ حَاجِزِ الأَمْوَاج الجَدِيْد، وبشَكلٍ مُتزَايدٍ راحَت البضَائِع المَنقوْلَة عبْرَ المُحيْطِ الأطلَسِيِّ تمرُّ عبْرَ هَذهِ الأَرصِفَة: القُطْن والقَمْح الأَمريكِي، السُكَّر والقَهوَة البرازيليَّة...والمُهَاجرون الإيطاليِّون.

ومِن على متْنِ سَفينَةِ نورد أمريكا، نظَر فلَّاحٌ توسكَانِيٌّ عجوْزٌ يرتَدِي مِعْطفًا أَخضَر بَالِيًا للوَرَاء إلى أَنوَارِ المَدْرَج الرومَانِي الحَضَرِي. 217 كانَ تصديْرُ الفلَّاحين الجِياع طريْقةً

----------- \*النياسين: هو فيتامين ب3 الذي يصنعه جسمك ويستخدمه لتحويل الطعام إلى طاقة. كما يساعد أيضًا في الحفاظ على صحة الجهاز العصبي والجهاز الهضمي والجلد. وهزَّ قبضَتَه بغضَبٍ سَاخرٍ عَاجزٍ وصرَخ:"تحْيَا إيطاَليا!".

إيطاليّةً غريْبةً لإطلَاقِ طعَامِهَا عبْر رِحلَةٍ ليُلاَقِي روَاجًا في جميْعِ أنحَاءِ العَالَم. لَم يكُن للإيرلنديِّين- وهُم شعوْبٌ ريفيَّةٌ أُخرَى قَد دفعَهُم الجوْعُ للهِجرَةِ الجمَاعيَّة- التأثيْرُ ذَاتُهُ ولَو بِشَكْلٍ بَسِيْطٍ على طريْقَةِ تنَاولِ الطعَامِ في أمريكا أَو العَالَم. وقَد يعتَقِد المَرْءُ أنَّ الإيطاليِّين الذيْنَ وصَلوا إلى العَالَمِ الجَديْدِ قد اختَاروا طرُقًا أُخرَى غيْرَ الطعَامِ للتعبِيْر عَن أنفُسهِم كمَا فعَل الإيرلنديُّون، غيْرَ أنَّه إلى حَدٍّ كبيْرٍ وبسبَبِ الهِجرَة الجمَاعيَّة إلى الأمريكيَّتين فقَد باتَت البِيتزَا والمَعكرونَة مُنتشرةً تَقريْبًا بكُلِّ مكَان، وتُعَدُّ صَلصَة البيستو الإسْهَامَ الأكثَر شُهرًة لجَنوَة في المَطبَخ الإيطاَلي، وقَد لَاقَت انتِشَارًا على نِطَاقٍ وَاسِع، فبعْضُ الأطعِمَة الإيطاليَّة اليَوم هِيَ مأكوْلَاتٌ عالميَّة.

في عَام 1884، أي السنَة التِي أبْحرَت فيْهَا سفيْنَة "نورد أمريكا" إلى مديْنَة "مونتيفيديو"؛ مرَّ خَمسوْنَ ألفَ مُهَاجرٍ عبْرَ "جَنَوة" في طَريْقهِم إلى البرَازيل، الأورغواي، والأرجنتين. وبرَغْمِ أنَّ "جَنَوَة" ستبْقَى نقطَةَ المُغادرَةِ الرئيسيَّة لإيطَاليا، فإنَّ أعدَادَ المُهاجِرين ستشْهَد ازدِيَادًا هائِلًا في السنوَاتِ اللَّاحِقَة. فِي عَام 1913 وفي ذَرْوَة النزُوْح بلغَ تِعدَاد المُهاجِرين الأجَانِب المُسجَّلين رسْميًا مِن جميْعِ المَوانِئ الإيطاليَّة 872000 شَخْص قَد سُجِّلوا رَسميًّا بتِلْكَ السنَة. في الولَايَات المتَّحدَة الأمريكيَّة التي باتَت الآنَ الوِجهَة الرَئيسيَّة، وفي المُجمَل نقَلت السُفن مَا يزيْدُ على سبْعَة ملَايِين ونِصْفِ مَليوْن مِن المُهاجِرين الإيطَاليِّين إلى العَالمِ الجَديْد في الفَترَة المُمتدَّة بيْنَ عام 1876 والحَرْب العالميَّة الأوْلَى.

لمَاذا كانَ أولَئِك الوَاصِلونَ إلى العَالمِ الجَديْد مِن مُختلَف المنَاطِق الإيطاليَّة يتنَاولوْنَ الطعَام بذلِكَ الأسلوْبِ الإيطَاليِّ المُمَيَّز؟ إنَّ النَكَهات الشَهِيَّةِ ليْسَت سِوَى جُزءٍ وَاحدٍ مِن التَفسِير. في النِهايَة، فإنَّ تلْكَ الرَابِطَة العَميْقة بيْنَ الهويَّة والطعَام هيَ التِي حوَّلَت هَذهِ "الجُموْع المُحتَشِدة" مِن المُهاجِريْن المُغتَربِين إلى مُسْتَكشفِينَ للطَعامِ الإيطَالِيِّ على السوَاحِل الأَمريْكيَّة. بمعنىً آخَر، تُفسِّر المشَاعِر سبَبَ نجَاحَ المَطْبخ الإيطَالِيِّ على الجَانبِ الآخَرِ مِن المحيْطِ الأطَلسِي بقَدْرِ مَا تفْعَل الحقَائِق الاجتمَاعيَّة والاقتصَاديَّة القَاسِيَة، لَكِن يتوجَّب ألَّا يَغِيْبَ عَن أَذهَانِنَا أنَّ مُعظَم هَؤلَاءِ النَاس الذيْنَ هاجَروا قَد فعَلوا ذَلِك بالتَحديْد جَرَّاءَ عَزلهِم عَن حضَارَةِ المَائِدة الإيطاليَّة، فعصيْدَة الذُرَة وأطبَاقُ الفُقرَاء الأُخَرى كانَت بمثابَة تذكيْرٍ يَومِيٍّ لهذَا الإقْصَاء. مِن المُؤكَّد أنَّ الطعَام قَد شكَّل هويَّة الفلَّاحين المُهَاجريْن مِن إيطَاليا، بيْدَ أنَّ الحَسَد، الغضَب، الطمُوْح—وليْسَ الحَنِين إلى المَاضِي—قَد ترَك أثرَه على سلوْكِهم تِجَاه تنَاولِ الطعَام عنْدَ مُغادرَتهِم، فحوَّلت هَذهِ المشَاعِر الطعَامَ إلى عَلَامَةٍ مُمَيَّزَةٍ لِمَا كَانوا عَلَيْهِ لدَى وصوْلهِم.

إنَّ "إدموند دي إميسيس"، الكَاتِب الذِي نَديْنُ لَه بوَصْفِ المُهاجريْن المُغادريْن الذِي بدَأْنَا بهِ هذَا الفَصْل، هوَ جُنديٌّ سَابِقٌ أَجعَدُ الشَعْر، 218 سُرعَان مَا أَصْبحَ مؤلِّفًا لأفْضَل الكُتُبِ مبيْعًا في إيطاليا، وقَد ذَكَرَ صُعوْدَ 1600 رجُلٍ وامرأَةٍ وطفْلٍ على متْنِ سفيْنَة "نورد أمريكا" بمسَاءِ العاَشِر مِن مارس عَام 1884، بعْدَ ثلَاثةِ أسَابيْعَ حطَّ معَهُم على سوَاحِل الأورغواي، كانَ مِن الُمفتَرَضِ أَن يَخْلِقَ تَصويْرَهُ الأَدَبِيَّ العَاطِفِيَّ لِمحْنَة المُهَاجريْنَ خِلَالَ تلْكَ الرِحْلَة، مِثَلًا يُحْتذَى بهِ للاسْتِجَابةِ الإيطَاليَّةِ تجَاهَ الهِجْرَةِ الجمَاعيَّةِ مِن شَوَاطِئِهَا.

-----------

\*البيستو: صلصة ظهرت في جنوة في إقليم ليغوريا الواقع شمال إيطاليا، والبيستو التقليدي يتكون من الثوم المفروم والريحان والصنوبر الأوروبي ممزوجًا بـزيت الزيتون وجبن بارميجيانو ريجيانو وفيوري ساردو.

\*مونتفيدو: ومعناها جبل الرؤية، هي عاصمة أوروغواي وأكبر مدنها. بلغ عدد سكانها 1,319,108 نسمة عام 2011، وهي بذلك المدينة الوحيدة في أوروغواي التي يتخطى عدد سكانها المليون نسمة.

بوَصفهِ مؤلِّفًا حاذِقًا بتصويْرِ الرِحلَات العاطفيَّة، فقَد انجذَب "دي إميسيس" بقوَّةٍ إلى قصَّةِ المُهاجريْن بسبَبِ مشَاعرهِم الغَامِضَة، والتِي غالبًا مَا تفادَت نظرَات بَاحِثٍ اجتِمَاعِي، تكمَنُ مهارَتَه بتحويْلِ سَردهِ عَن الرِحلَة إلى كومِيديَا إنسَانيَّة بشَخصيَّات مَلحَميَّة، ومشَاهِد تُثِيْرُ العَاطِفَة، وفَائِدةٍ وطنيَّة، لكِنَّ هَذهِ النَزعَة الشَديْدَة للعَاطِفَة جعَلَت "دي إميسيس" حسَّاسًا بشَكلٍ غيْرِ عَادِي، لكَيفِيَّة شعوْرِ المُسافرِيْنَ نحْوَ الطعَام على متْنِ السَفيْنَة.

"فِي المُحِيط" كمَا دُعِيَ تصويْرُ "دي إميسيس" للرِحلَة، أُعيْدَت طباعتَه عشْرَ مرَّاتٍ خِلَال أسبوعيَنِ على نَشْرِه لأَوَّلِ مَرَّة. لقَد سجَّل الوقَائِعَ اليَومِيَّةَ للإيطَاليِّينَ المُتجَهِّميْنَ والمُنتَقِديْنَ بِشِدَّةٍ لسُوْءِ التَغذِيَةِ على مَتْنِ السَفِيْنَة، لكِنَّ الجِنْسَ أيْضًا أسهَم بجَعْلِ الكِتَاب شَيِّقًا—وهوَ موضوْعٌ قَد أُوْجِدَ في الحَالِ بعْدَ رفْعِ مِرسَاة السَفيْنَة البُخاريَّة، أَعلنَ رُبَّانُ السَفيْنَة الجَنَوِي بَذِيءِ اللِّسَان عَن قانوْنٍ أَخلَاقيٍّ صَارمٍ لجَميْعِ المُسَافرِين، الأَغنِيَاء منْهُم والفُقرَاء، وقَد اشتُهِرَ بعِبَارَتِهِ اللَّافِتَة: "لَا أُريْدُ أَيَّ نوْعٍ مِن الدَنَس على ظهْرِ السَفيْنَة". حتَّى إنَّه أَمرَ بحَّارًا عجوْزًا أَحْدَب الظَهْرِ بفَصْلِ الأَزوَاجِ وحِراسَة مَدخَل مَهْجَع الدرَجَة الثَالِثَة للنِسَاء بعْدَ حلوْلِ اللَّيل، إلَّا أنَّها بَادِرَةٌ لَا جدْوَى مِنْهَا.

بإبْحَارِ "نورد أمريكا" مِن البحْرِ المتوسِّط إلى المحيْطِ الأطلَسِي، أصبحَت سفيْنةً بدرَجةٍ أقَل، وباَتت عَالَمًا مصغَّرًا بدرجَةٍ أَكبَر لدوْلَةٍ مُقسَّمةٍ بيْنَ الأثريَاءِ والفُقرَاء، والمُهاجريْنَ المَحشوريْنَ بكُلِّ مِساحَةٍ مُتاحَةٍ في مُقدِّمَة السَفيْنَة وحوْلَ الأنَابِيب، ومُسَافرِي الدرجَة الأُوْلى والثَانِيَة الذيْنَ كَانوا يتنشَّقوْنَ الهوَاءَ بجُزْءٍ مُنعَزلٍ مِن سطْحِ مُؤخِّرَةِ السَفيْنَة. أمَّا مِن نَاحِيَةِ فَنِّ طَهيِ الطعَامِ وتذَوُّقِه، فهُناكَ نَوعَانِ مِن الإيطاليِّين على متْنِ السَفيْنَة "نورد أمريكا"؛ أُنَاسٌ تأكلُ الخبْزَ القَاسِي والحسَاء مِن قَصْعَة طعَامٍ مَعدنِيَّة في أَحضَانهِم، والآخَروْنَ همُ النُخبَة التِي تتنَاولُ المعكروْنَة معَ الرُبَّان. 219 في ذَلِكَ التَقَارُبِ الضَيِّقِ بالمَكَانِ عبْرَ الأَطْلَسِي، يكَادُ يكوْنُ مِن الصَعْبِ عَدَمَ وجوْدِ تَوَتُّرَات. أثناءَ تِجوَالهِ بشكْلٍ غيْرِ مُريْحٍ بيْنَ مُسَافِرِي الدرجَةِ الثَالِثَة، سَمِعَهُم "دي أميسيس" وهُم يسَتمتِعوْنَ بالحَديْثِ عَن احتماليَّة مَا ستفْعَلهُ الهِجْرَةُ الجماعيَّةُ للعمَل برؤسَائهِم السَابقِين: "لَابُدَّ أنَّهُم سيموتوْنَ جوْعًا بعْدَ أَن غادرْنَا جميْعنَا". تبيَّن أنَّ الرجُلَ العجوْزَ التُوسْكَنِي ذا المِعطَف الأخْضَر مِن مُثيرِي القلَاقِل، والطعَامُ هو موضوْعُ خُطَبِهِ التِي يُلوِّح فيْهَا بإصْبَعهِ مُحذِّرًا، وبيْنَ الحيْنِ والآخَر يقذِفُ قَصعَة طعَامهِ بعيْدًا باشمِئزَاز، ويصْرخُ بشَتيمَةٍ صَوْبَ مطبَخِ السَفيْنَة، مُعلنًا أنَّ كلَّ مَن واصَل تنَاولَ الطعَامِ قَد "باعَ نفْسَه"، وعنْدمَا ماتَ فلَّاحُ بيدمونتي إثْرَ إِصَابتهِ بالتِهَابٍ رِئَوِي؛ ادَّعى مُثيْرُ المشَاكلِ التوسْكَانِي أنَّ الرجُلَ المُتوفَّى قَد أُعطِيَ غُسالَة الصحوْنِ بدلًا مِن المَرَق، وكمَا جرَت العَادَة على متْنِ السفُنِ العَابِرة للمُحيْطِ الأَطلَسي، كانَ يتِمُّ تهدِئَة النفوْسِ المُضطَرِبَة في الدرجَةِ الثَالِثة بقِطْعَةٍ مِن اللَّحم الطَازَج مِن حيْنٍ لآخَر—فالبَاخِرة تحْمِلُ ماشِيًة على متْنِهَا مُخصَّصةً لهذَا الغَرَض.

كانَ للرَجُلِ الثَوريِّ التوسْكَانيِّ ذي المِعطَفِ الأَخضِر، شَخصيّةٌ مُشَابِهةٌ بيْنَ مُسَافِرِي الدرجَةِ الأُوْلَى—إنَّهُ رجُلٌ نَهِمٌ جَنَويٌّ بَدِين، بعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ولِحيَةٍ كفُرشَاةِ شَعْرِ الخَيْل. بالنِسبَة لـ"دي إميسيس" فهوَ يُجَسِّد اعْتِدَادَ الطبقَاتِ الرَاقِية بِنَفْسِهَا والمُتجَاهِلَة لوجُوْدِ الفُقرَاء، وقَد اعْتَادَ أَن يُمضِي ساعَاتٍ في مخَازنِ المَؤوْنَةِ والمَطبَخ، مُتفحِّصًا المُكوِّنات ومُتبَادلًا النصَائِح معَ الطُهَاة، وكانَ يتفَاخَرُ بكوْنهِ أوَّلَ مَن يُعلِنُ مَا أُعِدَّ على ماَئِدَة العشَاء كُلَّ ليْلَة: صَدْرُ الدجاَج بنبيْذِ ماديرا، فَطيرةُ الكَبِد، معكروْنَة مع الصَلصَة. وجُلَّ مُتعَتهِ على المَائِدة هيَ إصْدَار الأحْكَام على مجموْعَةِ الأطْبَاق التِي أعدَّهَا كبيْرُ الطُهَاة: "لقَد عوَّل أكثَر ممَّا ينْبَغِي على أطْبَاقِ الحسَاء" " إنَّهُ جَيِّدٌ للغَايَةِ بصُنْعِ الحَلَويَّات"، "تلْكَ اللُّحوْم المُتنوِّعَة المَقليَّة ليْلةَ البَارِحَة—يا إلَهِي!".

معَ اقترَابِ السَفينَةِ مِن المنَاطقِ الاستوَائيَّة، ازدَادَت حِدَّة الحرَارَة والضَجَر والنَمِيمَة، وكذَلِك أيْضًا التوَتُّرَات الغِذَائيَّة والجِنسيَّة، فأصْبَحَ الدنَسُ بَيْنَ مُسَافِرِي الدرجَةِ الأوْلَى بمُستوَى السوْءِ الذِي كانَ عليْهِ في الدرجَةِ الثَالِثَة، ابتِداءً مِن المُتزوِّجيْنَ حديْثًا الخَجوليْنَ والذين أَبقُوا نصْفَ السَفينَةِ مُستيْقظًا عْبرَ "قِراءَتهِم للأَفعَالِ الإسبانيَّة بصوْتٍ عَالٍ" في مقصورَاتهِم ليْلًا، ومُغَنِّي الأوبرا الذِي رَاحَ يَجوْبُ في الطَوَابقِ السُفلِيَّةِ للسَفيْنَةِ بحْثًا عَن الحَسْنَاوَات الرِيفِيَّات، إلى المرْأَة السويْسريَّة الإيطاليَّة التِي كانَت ترتَدِي جوَارِب سودَاء حريريَّة وقَد خانَت بشَكْلٍ مَرحٍ زوْجهَا المُحبِّ للقِرَاءَة، معَ السِيَاسِي الأَرجنتِينِي، والمُرَاهِق التوسْكَاني، ومُغنِّي الأوبرا. وكمَا علَّق الأحْدَب العجوْزُ بيَأس: "إذَا كانَ الرْجْسُ فادحًا، فنَحْنُ إذًا في أسْفَل السَفيْنَة بالفِعْل".

بعْدَ بِضعَةِ أيَّامٍ على خروْجِهَا من "مونتيفيديو"، ضربَت عاصِفَةٌ عنيْفَةٌ سفينَة "نورد أمريكا"، ولم يُعِق مَيَلَانُ السَفيْنَةِ الرَجُلَ الجَنَوِيَّ النَهِم ذا العَيْنِ الوَاحِدَة، فنزَلَ مُلتفًّا طوَابِق السَفيْنة، ليتسلَّل إلى المطَابِخ سَعْيًا لبِضْعِ شَرَائِحَ مِن لحْمِ الخِنزيْر المُقدَّد أو لحوْمٍ مَشويَّةٍ بَارِدَة. قَفَزَت السَفيْنَة فقُذِفَ على عَارِضَةٍ وصُدِعَ رَأْسَهُ، 220 إنَّه القصَاصُ العَادِل لثَقيْلِ الظِلِّ المُحِبِّ لبَطْنِه.

أمَّا بالنسبَةِ للمُناضِل التوسْكَاني فلَم يهْدَأ لَه بَالٌ أيْضًا؛ حيْثُ قَامَ بتَنْظيمِ عريْضَةٍ موقَّعَةٍ (بطريْقَةٍ أو بأُخرَى) مِن قِبَلِ سَبْعَةٍ وأربعيْنَ مُسَافِرًا مِن الدرجَة الثَالِثة؛ مُطالبًا بإمْدَادٍ أكثَر تنوُّعًا مِن أطبَاقِ اللُّحوم. لَابُدَّ أَنَّ "دي إميسيس" غَيْرَ مُعْجَبٍ بهَذهِ الصَفَاقَة المُتمَرِّدة لهذَا "الأوليفر تويست"\* العَجوْز، فكتَب تعليْقًا سَاخِرًا: "لقَد أظهَرت قطعَةُ الورَقِ التي كُتِبَت عليْهَا العَريْضَة أنَّ كُلَّ مَن وقَّع عليْهَا يُعَانِي مِن اشْمِئزَازٍ غَريْزِيٍّ من حَوْضِ الغَسِيل". لَم يكُن بحَاجَةٍ للإشَارَة إلى أنَّ الفلَّاحيْنَ القَذريْنَ الذيْنَ باتوا الآنَ يُطالِبوْنَ بنِظَامٍ غِذَائيٍّ أكثَر تنوُّعًا مِن اللُّحوْم ، ربَّما لَم يكوْنُوا قَد شَاهَدوا بروتيْنًا حيوانِيًّا طازجًا أكثَر مِن بضْعِ مرَّاتٍ في السَنَة قبْلَ أَن يصْعَدوا على متْنِ سَفِينَة "نورد أمريكا".

اقتربَت سفيْنَة "نورد أمريكا" أخيْرًا مِن سوَاحِل الأورغواي، بعْدَ أَن نجَت مِن الحرَارَةِ المُلتَهِبة، والعوَاصِف العَاتِيَة، الطِباَع المُتنَازِعَة، ثوْرَة على الطعَام، ودنَسٍ بيْنَ مَدٍّ وجَزْر. وعِنْدَمَا رَسَت تحوَّلَت أفكَارُ المُهَاجريْنَ إلى مَا يَنتَظِرَهم، نشَرَ المُتشَائموْنَ بيْنَهُم شَائِعَاتٍ تُنذِرُ بالخَطَر. أُخبِرَ الفلَّاحُ التوسكَانِيُّ ذو المِعطَف الأَخضَر الجَميْعَ بتَجَنُّبِ الملَاجِئ الحكوميَّة حيْثُ وضَعوا لهُم سُمًّا خاصًّا في الحَسَاء—مِن شَأنهِ أَن يجعَلَك غبيًّا للغَايَة بحيْثُ تُوَقِّعُ على أَيِّ عَقْدِ عمَلٍ مهْمَا كانَ مُجْحِفًا، فأَجَابَ المُتفَائلوْنَ بأنَّ الأرْضَ الأمريكيَّة تتحَوَّلُ إلى خضرَاءَ اللَّونِ بمُجرَّد أَن يُلَامِسهَا المِحْرَاث، وأنَّ ثمَنَ كيلوغْرَامٍ مِن اللَّحمِ لَا يتجاوَز خمسيْنَ سِنْتًا. "تحْيَا أمريكا!".

سادَ جَوٌّ مِن القَلَق بشَأنِ الرسوْمِ الجُمركيَّة، فتجمَّع حشْدٌ خَارِجَ مَكتَبِ مُحَاسِب السَفيْنة فِي سَعْيٍ للمَعلومَاتِ والرِعَايَة، استمعَ "دي إميسيس" بشفَقَةٍ بيْنمَا راحَ الفلَّاحوْنَ المَذهولوْنَ يُنَاشِدوْنَ بالهدَايَا التي أَحضَروْهَا إلى الأمريكيَّتين: "زُجاجَة مِن النَبيْذِ المَحلِّي، جُبن كاشوكافالو، نَقَانِق السْلَامِي، كِيلو مِن مَعكرونَة جَنَوَة أو نابولي، ليْترُ زَيْت، عُلبةُ تِيْنٍ مُجفَّف، إِزَارٌ مليْئٌ بالفَاصوليَاء مِن المَنْزِل، مِن زَاوِيَةٍ خاصَّةٍ في رُقعَةِ الخُضروَات التي لَن تَغِيْبَ عَن أَذْهَانِ أَقرِبَائهِم وأَصدِقائهِم بكُلِّ تَأكِيد". إنَّ المرَارَةَ الوَاخِزَة لهَذِهِ الهَدَايا، هِي أنهَّا عنَت الكَثِيْرَ بِرَغْمِ أنَّها مُتوَاضِعَة للغَايَة، هذَا مَا جَالَ بفِكْر "دي إميسيس" على الأقَل، لكنَّه ربَّما بدَا بهَذهِ المُناسبَة عاطِفيًا للغَايَة ومُبالِغًا بتقديْرِ حَنيْنِ الفلَّاحيْنَ للطعَام الذِي خلَّفوْهُ وراءَهُم—تلْكَ الفَاصوْليَاء مِن الرُكنِ الخَاصِّ في رُقْعَةِ الخُضَار.

----------- \*أوليفر تويست: رواية كتبها تشارلز ديكنز، عن فتى يتيم، وبأحد الأحداث الشهيرة يعاقب أوليفر لطلبه المزيد من العصيدة. يصبح أوليفر فيما بعد نشالًا ضمن عصابة من اللصوص الشباب.

221 مُعظَم هَذهِ الهَدايَا ستَعوْدُ بالحُظْوَةِ على مائِدَة المُهَاجِر، وليْسَ الأسَى على فُقدَان المذَاقَاتِ البَسِيْطَة في الوطَن، فعُلبَةٌ مِن زيْتِ الزيتوْنِ أو شرَائحِ السلَامِي ليْسَت إلَّا رمْزًا لمكَانَةٍ مُتوَاضِعَةٍ أكثَر مِن كوْنِهَا تِذْكارًا، حيْثُ عَنَى السَفَرُ معَ أحَدِ هَذهِ الكنوْزِ دعْمًا لشَبَكَةِ قرَابةِ الدَمِ التِي امْتدَّت عبْرَ المحيْطِ الأَطلسِي، وَ حَجْمُ الاستثمَاراَت مُكَافِئٌ لعَدَدِ الهدَايَا، فقَد حمَلَت طموْحَاتٍ أكثَر مِن ذِكريَاتِ الحَنِين.

فِي هذَا العَالم المُصغَّر الذِي مثَّلتهُ سَفينَة "نورد أمريكا"، بدَا الطعَامُ بعيْدًا عَن كوْنهِ رمْزًا للهويَّة الإيطاليَّة المُشْتركَة، والشَيءُ الذي وحَّدَ أسْطُحَ السَفينَة كُلِّها هوَ الشَهوَة للدَنَس. فِي العشَاءِ الأخيْرِ لرُكَّاب الدرجَةِ الأُولَى، وبيْنمَا كانَ يتِمُّ بمكَانٍ آخَر إرضَاءَ بطوْنِ المُهاجريْن المُتذَمِّرة بقِطَعٍ مِن لحْمِ الخِنزيْر والبطَاطَا؛ أُعْلِمَ "دي أميسيس" همْسًا أَنَّ حتَّى رُبَّانَ بَاخِرة "نورد أمريكا" الصَارِم أخلَاقيًّا قَد مارَسَ الدَنَس معَ المَرأَةِ الإيطاليَّة السويسرِيَّة التِي تَرتَدِي جوَرِابَ الحريْرِ الأَسْوَد. ولَكِن وعلى خِلَاف الجِنْس، فقَد عزَّز الطعَامُ الانقِسَامَات الحَادَّة بيْنَ أبنَاءِ الوطَن، مَا بيْنَ أُولئِكَ الذيْنَ يستطيعوْنَ تحَمُّل نفقَاتِ صَقلِ خِبْرَتِهِم بِفَنِّ التَذَوُّق، وهؤلَاءِ الذيْنَ اضطُرُّوا إلى الاحتِجَاج أَوالهِجْرَة لمِلءِ بطوْنهِم، وبالنسْبَةِ لهُم قَد يُثيْرُ الطعَامُ استيَاءً، وطموْحًا، لكنَّه لمَ يُوَلِّد شُعوْرًا مُشترَكًا بالهَويَّة الوطنيَّة.

وبيْنمَا أبْحرَت "نورد أمريكا" عبْرَ مصَبِّ نهْرِ "بلَات" الهَائِل ذي المِيَاهِ الصَفْرَاء القَذِرَة، حدَّق "دي إميسيس" للمرَّةِ الأخيْرَةِ بالعَائِلَات الفقيْرَة التي تعَرَّف عليْهَا خِلَالَ عبوْرِ الأطلَسِي، ولدَى رؤيَتِهم وهُم يتجمَّعوْنَ على سطْحِ السَفينَةِ ليَقوْمَ مَسؤولو الأورغواي بعَدِّهِم كالمَاشِيَة، لَم يستَطِع منْعَ نفْسهِ مِن مُقارنَةِ هذَا المَنظَرِ المُثيْرِ للشفَقَةِ معَ المُغَالَاةِ بالوطنيَّة الصَارِخَة في التَجمُّعات الحَاشِدة الوطنيَّة هنَاك في الوطَن، فأحسَّ بالشفَقَةِ والعَار تَخِزُ عيْنَيه. وقَد تردَّد صدَى هَذهِ المشَاعِر المُختَلِطَة عَن الهِجْرَة في صَفحَات كِتَاب "في المُحيْط" لتَنتَشِر عِبرَ إيطاليا معَ ازدِيَاد موْجَة الهِجرَة. لقَد ترَك الإيطاليُّون الفُقرَاء الذيْنَ استقَلُّوا البوَاخِر مِن باليرمو، نابولي وجنوة؛ وراءَهمُ وطنًا لَم يستَطِيعوا أَن يُقَرِّر كيْفَ شَعَر اتِّجاهَهم، هَل سيُحْجِم الإيطاليُّونَ عَن كَونهِم إيطَاليِّين على الشَاطِئ الآخَرِ للمُحيْطِ الأَطلَسِي؟ أَم سَيعلِّمُهُم بُعْدُ المسَافَةِ أخيْرًا حُبَّ وطَنٍ تَنَكَّرَ لَهُم؟ أَلَا يَجِبُ أَن تشعُر إيطاليا بالخِزْيِ مِن خَيبَةِ أمَلِ الكَثيْرِ مِن الجِيَاعِ بِهَا؟ أَو تَدُقَّ ناقوسَ الخطَر لأنَّ شِريَانَ حياَتِهَا يُستَنْزَف؟ أَو تُسْتَثَارَ عَوَاطِفَهُم لمَنظَر المُضطَهدِين وهُم يحملوْنَ أقدَارَهُم بيْنَ أَيديِهم؟ لقَد ولَّدَت هَذهِ المُعضِلاَت حوْلَ الهويَّة مشَاعِرَ مُتقلِّبًة سِيَاسيًّا، تمَّ اسْتِخلَاصهَا للمرَّة الأُولَى إلى جُمهوْرٍ إيطَاليٍّ وَاسعٍ مِن خِلَالِ صَفَحَات كِتَابِ "فِي المُحِيط".

----------

\*نهر بلات: أو لا بلاتا بمعنى نهر الفضة، تكوَّن نتيجة الاقتران بين نهر باراغواي ونهر بارانا على الحدود بين الأرجنتين والأوروغواي.

222 أدَّت المشَاعِر المُختَلِطة الإيطاليَّة بشَأنِ الهِجرَة الجماعيَّة إلى دَفْقٍ خَفيْفٍ بالتقَاريْرِ والتَحقِيقَات مِن قِبَلِ المَسؤوليْن الإيطالييِّن الذيْنَ تَبِعوا المُهاجِريْن إلى أَمريْكا. أصبحَت هذهِ الوثَائِق الَيوم مصْدرًا يلتَفِت إليْهِ مُؤرِّخو الطعَام أوَّلًا عندمَا يرغبوْنَ بمَعرِفَة كَيفِيَّة تنَاولِ الإيطاليِّينَ طعَامَهم في العَالَمِ الجَديْد. وبرَغْمِ أنَّ "دي إميسيس" لَم يسْتَقصِ عمَّا حدَث لرُكَّاب "نورد أمريكا" بمُجرَّد نزوْلهِم، إلَّا أنَّ المشَاعِر التي دوَّنهَا بكِتَابِ "فِي المُحِيط" تُقَدِّمُ المِفتَاح لفَهْمِ الوثاَئقِ الحكوميَّة.

في زمَانِ رِحلَة سفيْنَة "نورد أمريكا"، انتهَى الأمْرُ بالعديْدِ مِن المُهاجريْنَ بالعَملِ في المزَارِع البرازيليَّة. وهُنَا وجَدَ أَسْوَأُ المُستعَمريْنَ حَظًّا أنفُسَهم بَعِيديْنَ عَن الطرُقِ والمرَافِق الأُخرَى، غيْرَ قادريْنَ على شِرَاء أو بيْعِ أَيِّ شَيءٍ عبْرَ أَيِّ شخْصٍ سِوَى مَالكِ الأرْضِ ذَاتِهِ الذِي استخْدَم العُنفَ والدِّيْنَ لتَقيِيدهِم بالأَرْض. استنْكَر النُشطَاء هذَا الوضْعَ باعتبَارهِ قريْبًا مِن العبوديَّة، ومعَ ذَلِك فقَد ذكَر القنصُل الإيطَالِي في ولَايَة "سان باولو" أنَّه حتَّى أسوَأ الإيطاليِّين حالًا، أولَئِك الذيْنَ وجدَهُم يعيشوْنَ في أكوَاخٍ مِن الطِين؛ كَانوا يأكلوْنَ أفْضَل بكثيْرٍ ممَّا تنَاوَلوْهُ في الوَطَن، فهُم الآنَ يستهلكوْنَ الفاصوْليَاء، الأَرُز، البطَاطَا، الخُضروَات الطَازجَة، بالإضَافَة إلى الذُرَة، وبمتوَسِّطٍ سنَوِيٍّ مثيْرٍ للإعجَاب مِقدَاره 1256 رطْلًا مِن لَحْمِ الخِنزير، ولحْمِ البقَر والدجَاج لكُلِّ عَائِلة.

تتوافَقُ هَذهِ الملَاحظَات معَ مَا سردَهُ الفلَّاحونَ برسَائلهِم المُتَكَلِّفَة التي أَرسَلوْهَا إلى ذَوِيْهِم فِي الوطَن. والملَاحظَةُ السَائِدة هِي توَافُر الكميَّة الهَائِلة مِن الطعَام في الأمريكيَّتين، فقَد كتبَ أحدُ الفلَّاحين في الأرجنتين إلى صَاحبِ عملهِ السَابقِ في "فينيتو": "هنَا كلُّ شخْصٍ مِن الأغنَى حتَّى الأكثَر فقْرًا، يَقْتَاتُوْنَ على اللَّحمِ والخُبزِ والحسَاءِ كُلَّ يَوْم". أخبرَ مُهاَجِرٌ بِيدْمونتِيٌّ عَائِدٌ إلى الوَطَنِ ابْنَه أَنَّ: "اللحْمَ في الأرجنتين مثْلَ عصيْدَة الذُرة هُنَا". كانَت رؤيَةُ اللحوْمِ الوفيْرَةِ إغرَاءً قويًّا للإيطاليِّين الفُقرَاء، الذِيْنَ أجبرَت الظروْفُ الكثيْرَ منْهُم فيْمَا مَضَى أَن يَغْدُو نباتيِّين بالكَامِل تقريْبًا. إنَّ وجوْدَ اللحْمِ بصوْرَةٍ منتظمَةٍ على مائِدَة المأكوْلَات شكَّل انفصَالًا جذرِيًا عَن عادَاتِ تنَاول الطعَامِ فِي المَاضِي.

وجدَت دِراسَةٌ أمريكيَّةٌ مُماثِلَةٌ أُجرِيَت فِي الولَاياتِ المتَّحدة في مَطلَع القرْنِ العِشريْن، أنَّ الإيطاليِّين مِن مُختلَف المنَاطِق الإيطاليَّة متردِّديْنَ بإتِّباع أسلوْبِ الحيَاةِ الأَمريكِي، خِلَافًا لنُظرَائهِم مِن ألمانيا وهنغاريا، النروج وفنلندا؛ فَقد عزَلوا أنفُسَهم ولم يتحدَّثوا إلى الآخَرِين إلَّا قليْلًا—لدرَجَةِ أنَّ بعْضَ أصحَابَ العمَل اضْطرُّوا إلى توفيْرِ أمَاكِن إقامَةٍ ومحلَّاتِ إطعَامٍ مُنفَصِلَة لهُم. في الحقيْقَة كانَ أصحَابُ العَمَل 223 سُعدَاء غالبًا بفعْلهمِ ذَلِك، نظرًا لأنَّ الإيطاليِّين يتناولوْنَ طعامًا أرْخَص بكثيْرٍ مِن بَاقِي العُمَّال. وجدَت وزارَةُ العمَل الأمريكيَّة عَام 1907 أنَّ صَاحِب العمَل يتكلَّف 18 دولارًا في الشَهر لتوفيْرِ الطعَامِ والمَأوَى لكُلِّ شخْصٍ غيْرِ إيطَالي، أمَّا التَكلِفَة المُوَازِية للإيطَالِي فهِيَ 6.90 دوْلارًا فقَط، فلَا عجبَ إذَا كانَ هناكَ طلَبٌ كبيْرٌ على القِوَى العامِلَة الإيطاليَّة في مَواقعِ البِنَاءِ والسِكَك الحديديَّة الأمريكيَّة، ولَكِن حتَّى ضمْنَ هذهِ الميزانيَّة الضئيْلَة فبِوِسْعِ الإيطالي الشِرَاءَ بانِتظَامٍ أشيَاء مثْلَ السلَامِي، الجُبنَة، السَردين، دُهن الخِنزير، لَحْم البقَر المُجفَّف، الشَاي، القَهوَة، البِيرَة. ستبْدُو هذهِ المأكوْلَاتُ بالنسبَةِ للعديْدِ مِن الفلَّاحيْنَ في الوطَنِ القديْمِ أَمْرًا نادِرًا أو تَرَفًا لَم يُسمَع بهِ قَبْلًا، فحتَّى أكثَر العُمَّال الإيطاليِّين الذيْنَ تمَّ استغلَالَهم حصَلوا على نظَامٍ غذائيٍّ أغنَى بكثيْرٍ ممَّا تنَاوَلوْهُ في السَابِق، حيْثُ تسَنَّى للعديْدِ منْهُم تذوُّق نقَانقِ المرتديلَّا البولونيَّة العظيْمَة لأوَّل مرَّةٍ في حيَاتِه، في مُخيَّم الولَايات المُتَّحدة لعُمَّال السِكَك الحديديَّة.

إنَّ عُمالًا مِن أمثَال هؤلَاءِ قَد حافَظوا على حِسٍّ بالتَمَيُّزِ عبْرَ تنَاولِ الطعَامِ معَ بَعْض. فبالنسْبَةِ لهُم، الادِّخَارُ هوَ الدافِعُ الأقوَى المؤثِّر على هذَا القرَار؛ فهُم لَم يرغَبوْا التَكَيُّفَ معَ الأمريكيِّين، لأنَّ نيَّتهُم كانَت توفيْرَ أكبَر قَدْرٍ مُمكنٍ والعوْدَة بهِ إلى الوطَن، ونَظَروا للحيَاةِ بمِنْظَارٍ بَعِيْدٍ عَن العَاطِفَة؛ فقَد فضَّل العُمَّال الإيطاليُّون شرَاءَ المعكرونَة المُصنَّعة في الولَايات المتَّحدة ،لأنَّها أرخَصُ ثمنًا مِن الأشيَاءِ التي يتِمُّ إحْضارهَا مِن مسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ مِن نابولي وجَنَوَة.

كانَ للإيطاليِّينَ الذيْنَ تنَاولوا المَعكرونَة والمَرتديلَّا سويًّة في مُعسكرَات العمَل، والنُزُل والمسَاكِنُ الضَيِّقة خلَالَ السنوَاتِ الأوْلَى مِن الهِجرَة إلى المدُن الأمريكيَّة؛ بعْضٌ مِن الرُوَّادِ في تاريْخِ الطعَامِ الإيطَالِي، فقد ابتكَروا عادَاتٍ غذائيَّةٍ جديْدَة. بالإمكَاِن قوْلُ ذَاتِ الشَيءِ عَن الرجَالِ والنِسَاء الذيْنَ أسَّسوا أعدَادًا لَا تُحصَى مِن وِرَشِ المَعكرونَة فِي "الحَيِّ الإيطَالِي" بالولَايَات المُتَّحدة، أَو بَاعوا الفَاكِهَة، الخُضروَات، زيْتَ الزَيتُون، السلَامِي، والجُبنَة مِن على عربَاتِ اليَد. كانَت تِجَارَة المَوادِّ الغِذَائيَّة البَسيْطَة هِي الخطوَةُ الأوْلَى للعديْدِ مِن المُهاجريْن الإيطَاليِّين نحْوَ الازدِهَار— للجنوبيينَ الأسبقيَّة عَن غَيرِهِم، لكَونهِم مِن بيْنِ المَوجَات الأُولَى للمُهَاجِرين.

ولَكِن اللَّافِت بالأَمْر أنَّه برَغْمِ أنَّ هؤلَاء المُهاجريْن قَد أَعادوا ابتِكَار الطريْقَة التِي تنَاولوا بهَا طعَامَهم، فإنَّهم قَد فعَلوا ذَلِك وفْقَ الأَسَاليْبِ الإيطاليَّة المَعروْفَة، فنِظَامُهم الغِذَائي فِي العَالَم الجَديْد عِبَارَة عَن مجموْعَة مِن ضروْبِ الطعَامِ رسمَت الفروْقَ الاجتماعيَّة على متْنِ سفيْنةِ "نورد أمريكا"، فأينَما حلَّوا بكثَافَةٍ كافِيَةٍ معَ توَاصُلٍ جيِّد—فِي المدُن بشكْلٍ أسَاسِي—اختَارَ الإيطاليُّون تنَاولَ أشيَاءَ مثْلَ السلَامِي، الجُبنَة، زيْتِ الزَيتوْن، قِطَع لحْمِ الخِنزيْر، الخُضَار المحَلي، وبطَبيعَة الحَال المعكروْنَة مع الصَلصَة الدَسِمة. لمَ يكُن هذَا طعَام الفلَّاحين، بل غِذَاءَ طموحَاتِهِم أيْضًا، فتنَاولُ الطعَامِ بهَذهِ الطريْقَةِ يُخبِرُ العالَم بأنَّهم انضمُّوا إلى 224 رُكَّاب الدرجَة الأُولَى—ويبْعَثُ بذَات الرسَالَة إلى الناَسِ في الوَطَن وبشكْلٍ أكثَر وضوْحًا مِن الأسنَانِ الذهبيَّة والأَحذِيَةِ الجَيِّدة. لقَد بدَا هذَا الطعَام مِن بيْنِ الأموْرِ الأُخرَى تسويةً رائِعةً للنُدَبِ القَديْمَة: ببطوْنٍ مُمتَلِئَة، بوسْعهِم استرْجَاع ذِكريَاتهِم والضَحِك على مُلَّاك الأرَاضِي الذيْنَ أَبقوْهمُ جِيَاعًا. القليْلُ مِن المُهاجريْن، إِن وُجِدوا، لَم يَقطَعوا تلْكَ الصِلَة معَ عَصِيْدَة الذُرَة والخُبْزِ الأَسْمَر معَ المَاءِ المَالِح، ومَا إن سمحَت الظروْفُ الاقتصاديَّة حتَّى نبذَ الإيطاليُّون فِي مدُنِ العَالمِ الجَديْدِ الأَطْعِمَة الرَئيْسِيَّة الكَئيْبَة للرِيْفِ الإيطاَلي، وابتكَروا عِوضًا عَنْها نوْعًا مِن أسلوْبِ الطَهيِ المُدمَج والذِي جاءَت مكوِّناتهُ مِن مناطِقَ إيطاليَّةٍ مُتَعَدِّدَة، فبعْدَ أَن حُشِروا ضمْنَ تقَارُبٍ وثيْقٍ في مسَاكنَ ضيِّقةٍ بمدُن الولَاياتِ المُتَّحدة وعلى سَبِيْلِ المِثَال، بدَأ الصقليُّونَ، النَابوليُّون، التوسكانيُّون، البِيدمونْتيُّون بسُرعَةٍ بتبَادُل الخِبرَات المَطبخيَّة وبطريْقَةٍ لَم يتمكَّن سِوَى قُرَّاء "أرتوسي بيليغرينو" مِن الطبقَةِ الوسْطَى مِن تَنفِيذِهَا في الوَطَن. لقَد تزاوَجوا في مَا بيْنَهم، وانضمُّوا إلى ذَاتِ المُجتمعَات الخَيِّرة، فأقبَلوا على الكنَائِس ومهرجَاناتِ الشَوَارعِ نفْسهَا. بدَأ أسلوْبُ طَهيِهم المُدمَج بموَاكبَة كلِّ هذهِ الأحدَاث المُجتمعيَّة الهامَّة، وشَهِدَ الرخَاءُ المتزَايِدُ في الفترَةِ مَا بيْنَ الحروْبِ ظهوْرَ ربَّاتِ البيوْتِ الإيطاليَّات الأمريكيَّات—لقَد كانَت ربَّة المنْزِل مظْهرًا نادرًا فِي الحقيْقَة بيْنَ أهْلِ الريْفِ في الجنوْبِ الإيطَالِي على وجْهِ الخصُوْص؛ لأنَّ النسَاء كُنَّ جُزءًا لَا يتجزَّأ مِن القوَى العَامِلة. أصبحَت براعَةُ النِسَاء في المَطبَخ طريقةً تُعبِّر بهَا العائلَاتُ عن مكَانَتِهَا الاجتِمَاعيَّة. لقَد كانَ المُهاجروْنَ يبتكروْنَ حضارَة مائِدَةٍ إيطاليَّةٍ جديْدَةٍ في أمريكا.

إذَا كانَ هناكَ طبَقٌ واحدٌ يحتَوِي على ثقَافَةِ الطعَام الإيطاليَّة الأمريكيَّة النَاشِئة، فهوَ السبَاغيتِي معَ كُرَات اللَّحم؛ لقَد تمَّ دمْجُ اللَّحْمِ والمعكروْنَة لاعتِبَارِهِمَا أحَدَ رموْزِ الرخَاء في الوطَنِ الَقديْم لإقامَةِ مهرجَانٍ احْتِفَالًا بالحَيَاةِ لكُلِّ مَا هوَ صَالِحٌ للأكْلِ في أمريكا. لَم يحْمِل السباغيتي بكُرَات اللَّحمِ أيَّ أثَرٍ مِن أَيِّ أَصْلٍ إقليمِيٍّ مُعيَّن، فهوَ ليْسَ مِن "لامبارد" أو "كالابريا"، لَكِنَّهُ إيطاليٌّ مُفرِحٌ وغيْرُ مُعقَّدٍ ومَجهوْلُ الهَوِيَّةِ بطريقَةٍ لَا يُمكِن أَن تكوْنَ مُمكنةً إلَّا في الولَايَات المُتَّحدة.

لقَد شكَّل السباغيتي بكُراتِ اللَّحم أيْضًا جسْرًا بيْنَ المنَاطِق المعزوْلَة الإيطاليَّة الأمريكيَّة والنِظَام الغِذَائِي الرَئيسِي للولَايَات المُتَّحدة. قامَت النُخبَة مِن رِجَال الأَعمَال المُهاجرين الفعَّالين بالترويْجِ لهذَا الطبَق بشَكلٍ حيَوِي. فَفِي الخَامِس عشَر مِن أكتُوبَر عَام 1929 قامَت صَحيْفَة "ماكروني جورنال" ومقَرُّها "مينابوليس" والعُضْو بالرَابِطة الوطنيَّة لمُصنِّعي المَعكروْنَة، بنَشْرِ وصْفَةٍ رَائِعَةٍ مخصَّصةٍ للاستخْدَام غيْرِ الإيطَالِي:-

--------- \*مينيابولس: هي أكبر مدينة في ولاية مينيسوتا الواقعة في شمال الولايات المتحدة الأمريكية. تقع على ضفتي نهر مسيسيبي. تجاور مدينة سانت بول عاصمة الولاية، وتلقب المدينتان معا بالتوأم. 225

**كُرَات اللَّحم والسبَاغِيتِي الإيْطَالي**

رَطْلٌ مِن اللَّحم المَفروْم و½ رَطْل مِن السبَاغيتِي.

1 ورقَة غَار،1 فَصْ ثُوْم،1 كُوْب مُمتلِئ مِن فُتَات الخُبز.

1 كُوْب مِن مَعجوْن الطَماطِم أو عَصيْرِ الطَماطِم الطَازجَة المُركَّز.

1 بصَلَة صَغيْرَة.

2 رؤُوْس القُرنفُل.

2 حبَّة فُلفُل إفرَنجِي، مِلْح وفُلفُل.

معَ تنوُّعَات معجوْنِ الطَمَاطِم التجَاريَّة، فإذَا تمَّ استخْدَام معجوْنٍ كَثيْفٍ فإنَّه يُخفَّف بكوْبٍ كَاملٍ مِن هريْسِ الطمَاطِم المُعلَّبة، أَو مِلءِ الكَأسِ مَاء. تُسخَّن ببُطء، ويُضَاف المِلحُ حسَبَ الذَوْق، التوَابِل، ووَرَق الغَار، والثُوْم بعْدَ فَرمِهَا بشَكلٍ نَاعِم. وبمُجرَّد أَن تُطهَى على نَارٍ هَادِئَةٍ لمدَّة ساعَةٍ، تُحفَظ في وعَاءٍ مُحكَمِ الإغلَاق للحِفَاظِ على النَكهَة، يُفرَمُ البصَلُ ناعِمًا للغَايَة، ويُخلَط باللَّحم وفُتَاتِ الخُبزِ بشَكلٍ جيِّد، يُضَاف المِلْح والفُلفُل وتُتبَّل جيِّدًا، ثمَّ تُشَكَّلُ مِنْهَا كُرَاتٌ صغيْرَةٌ بقُطرِ بوْصَةٍ وَاحِدَة، وتُضَاف للصَلصَة، ويُستَبدَل الغِطَاء وتُطهَى ببُطءٍ لمُدَّةِ ساعَةٍ ونِصْف. يُطْهَى السبَاغِيتِي دوْنَ تكسِيرِه، حتَّى يُصبِحَ طريًّا، فيُصفَّى ويُغسَل بالمَاءِ ويُرتَّب بشَكلِ طبقَةٍ فِي طبَقِ خَبْزٍ سَاخِن، يُخرَجُ اللَّحمُ مِن الصَلصَة ويُرتَّب على طبَقٍ كَبيْرٍ مُسطَّحٍ لتَقديْمِه، تُغطَّى طبقَة السبَاغيتِي بالصَلصَة، ويُرَشُّ قليْلًا بالجُبنَة المَبشوْرَة، تُضَاف طبقَة أُخرَى مِن السبَاغيتِي، الصَلصَة والجُبنَة، ويُوَاصَل فِعْلُ ذَلِك حتَّى تَنفذَ المَوَاد المُستخدمَة، وتُقدَّم في الحَال.

فِي ذَات الإصْدَار مِن مجلَّة "ماكروني جورنال" تمَّ نشْرُ قصَّةٍ ساخرَةٍ قصيْرةٍ تُوَضِّح الأصوْلَ التاريخيَّة للطبَقِ الإيطَاليِّ المُفضَّل في أمريكا. اتَّضحَ أنَّ هَذهِ القِطعَة مِن الإعلَان البَسِيْط كانَت ناجِحةً بشَكلٍ لَا يُمكِن تصوُّرَه، وأدَّت إلى انتِشَار العَديْدِ مِن أسَاطيْرِ الطعَامِ الإيطَالِي بصُورَةٍ لَم يَسبِق لهَا مَثِيل. يَروِي المُؤلِّف المَجهُول لكِتَابِ "القِصَّةُ الملحميَّةُ لكَاثِي" أنَّ المعكروْنَة تمَّ اكتشَافهَا في الصِيْن، مِن قِبَلِ شخْصٍ فِينيسِي يُدعَى "سباغيتي"، يعْمَلُ بحَّارًا على متْنِ سفيْنَةِ "ماركو بولو"، أثنَاءَ وجوْدهِ على اليَابِسَة بحْثًا عَن المَاءِ لأجْلِ طَاقَم السَفيْنَة، فحدَثَ أَن مرَّ البحَّارُ "سباغيتي" عبْرَ قريَةٍ للسُكَّان الأَصْليِّين.

جَذَبَ انتباهَهُ رجلٌ وامرأةٌ محليَّان يعملَانِ على وِعَاءِ مزْجٍ بِدَائِي، وبدَا أنَّ المَرأَة تمْزجُ عجيْنًا مِن نوْعٍ مَا، حيْثُ طفَحَت بَعْضُ جُزَيْئَاتِهِ مِن وِعَاءِ المَزْجِ وانْتَشَرَت على الأَرْض، وقامَ الجَوُّ الدَافِئ الجَافُّ المُميَّز للبِلَاد، بِتَقْسِيَةِ هَذهِ الخِيطَان الرَفيْعَة مِنَ العَجِيْن، جَاعِلًا إيَّاها هشًّة الكَسْرِ للغَايَة. 226 كانَ البحَّارُ "سباغيتي" مُتَّقِدَ الذِهْنِ ليُدرِك أنَّ هَذهِ الخيُوط ستُصْنَعُ منْهَا وجْبةٌ رَائِعٌة إذَا غُلِيَت فِي المَاءِ المَالِح. ليْسَ ذَلِك فحَسْب، بَل توَقَّع وعلى نحْوٍ غيْرِ اعتِيَاديٍّ بالتَمجِيْدِ التَسويْقِيِّ المُبَالَغِ فيْهِ للطعَامِ الجَديْدِ مِن قِبَلِ الجَمعِيَّةِ الوَطَنيَّةِ لمُصَنِّعِي المَعكَروْنَة:

*لقَد اكتشَفَ طاقَتهَا المُنتِجَة للنَوعيَّات الجَيِّدة، وَمَقدِرَتِهَا على البقَاءِ طازَجَة ومُفِيْدَة لفَترَةٍ طويْلَةٍ مِن الزَمَن، كمَا لَاحظَ الإشَادَة بهَا مِن قِبَلِ زُملَائهِ على السَفيْنَة وغيرِهِم مِن الأُوروبييِّن الذيْنَ قدَّمهَا لَهُم.*

نوَّهَت صَحيْفَة "ماكروني جورنال" بأنَّ حقوْقَ الطَبعِ والنَشرِ لكِتَاب "القصَّةُ المَلحميَّةُ لكاثي" يعوْدُ إلى "كستون" وهيَ شَرِكَةٌ مُصنِّعةٌ للمَعكرونَة فِي "ليبانون"، "بنسلفانيا"—لقَد تمَّ تَأسِيسَها عَامَ 1914 مِن قِبَلِ مُهَاجرٍ مِن مَنطِقَة "كالابريا" ويُدعَى "غيرولامو غوريسي".

التقَطَت هوليوودُ هَذهِ الخُرافَة بعْدَ تِسْعِ سِنيْنَ بعَامِ 1938، عنْدمَا لَعِبَ "غاري كوبر" دوْرَ البطوْلَة في الفِيلْم السَيِّء إلى حَدِّ السُخرِيَة "مُغامرَاتُ ماركو بولو"، جسَّد "كروبر" دوْرَ المُغَامِر الفِينيسِي زِيْرِ النِسَاءِ قَاسِي الملَامِح والجذَّاب بذَاتِ الوَقْت، ولدَى وصوْلهِ إلى الصِين تمَّ التَرحِيبُ بهِ مِن قِبَلِ رجُلٍ عجوْزٍ لطيْف، ودعَاهُ إلى عشَاءٍ أُطلِقَ عليْهِ اسْمُ "سباغيت"، فسلَبَ السباغيت لُبَّ "بولو"، حتَّى إنَّهُ أخَذَ بعْضَ الخيوْطِ المُجفَّفة ليُريْهَا لأَصْدقاَئهِ في "البندقية" عنْدَ عَودَتهِ إلى الوَطَن، وهكذَا فإنَّ "ماركو بولو" ربَّما لَم يُمهِّد السَبيْلَ للسبَاغِيتِي في إيطَاليا كمَا يُريْدنَا كُلٌ مِن "غيرولامو غوريسي" و"غاري كوبر" أَن نَعتَقِد، لكنَّه وبكُلِّ تأكيْدٍ قَد أَسهَم بإدخَالهِ إلى الولَاياتِ المُتَّحِدَة.

إنَّ عمليَّة ابتِكَار المَطبَخ الإيطَالِي- الأَمريكِي، وجَعلهِ مقبوْلًا لدَى الأمريكيِّين الآخَريْن، تَطلَّبَت وقْتًا لمَا بعْدَ الحرْبِ العالميَّةِ الثَانِيَة، وكانَت النتيْجَةُ النهائيَّةُ لهَذهِ العمليَّةِ دلَالًة مُستقبليًّة فِي كِتَابِ "الطهْيُ الإيطاليُّ في المَطبَخ الأَمريكِي"—وهوَ مجموعَةُ وَصَفَاتٍ رَائِعَةٍ ومُبتكرَةٍ مِن 1953- وَصْفَةٌ كتبَهَا طَاهٍ سَابقٍ في مَشْفَى للجَيشِ الأَمريْكِي ويُدعَى "غاريبالدي .إم. لابولا". وكمَا لَو كانَ للتَأكيْدِ على مدَى حداثَةِ عهْدِ هذَا النَوْع مِن الطَهيِ في الولَايَات المُتَّحدة، 227 فقَد قامَ "لابولا" بتقديْمِ ترجمَاتٍ لأَطبَاقهِ المَلفوْظَة بالإيطاليَّة على نحْوٍ تَقريْبِي: صَلصَة السَمَك الفينيسيَّة، مَعكرونَة التورتيلي على الطريْقَة البولونيَّة، حسَاءُ روما الرَائِق (الستراتشيتلا)، صَلصَة الطَماطِم الأَساسيَّة (الصَلصَة النابوليَّة)، صَلصَة لوكانيا الخَضرَاء، لِسَانُ الحَمَل على طريْقَةِ أغريغنتو. تُوصِي الوَصفَة الخَاصَّة بإعدَادِ شَرحَات لحْمِ العِجْلِ معَ جُبنَة الباَرميزَان باستِخدَام "رَطلٍ مِن جُبنة الموزَاريلَا، الجُبنَة السويسريَّة، جُبنَة مونستر ويسكونسن أو الغرويير". إنَّ صَلصَة البيستو الجَنَويَّة ليْسَت ضمْنَ الوَصفَة، على الرغْمِ مِن وجوْدِ "صَلصَة الرَيْحَان المَسحوْق على الطَريْقَة البيدمونتيَّة". إنَّ بيدمونت هِيَ المَنطِقَة الوَاقِعَة شَمَال ليغوريا مُباشَرة، مَوطِنُ صَلصَة البيستو- وبالنِسبَةِ لـ"غاريبالدي لابولا" فهِيَ قريْبَةٌ بشَكْلٍ وَاضحٍ بمَا يَكفِي.

بيْدَ أنَّ الوَصْفَة الأكثَر أهميًّة فِي كِتَابِ "الطَهيُ الإيطاليُّ في المَطبَخ الأَمرِيكي" هيَ عَصِيدَة الذُرَة، لقَد قدَّم "لابولا" شَرَائِحَ سميْكةً منْهَا بعْدَ قَليِهَا بالزُبْدَةِ وتَغطِيَتِهَا بكَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِن الجُبْنَةِ المَبشوْرَة، أو مِلءُ مَغرَفَةٍ سَاخِنَةٍ جدًّا مِن صَلصَة السَمَك أو صَلصَة الرَاغو باللَّحم. بعْدَ مروْرِ سَبعيْنَ عَامًا على إبحَارِ سفيْنَةِ "نورد أمريكا"، باتَت ذاَكِرَة حيَاةِ المُعانَاة التِي عاشَهَا الفلَّاحوْنَ بعيْدةً جدًا لدرَجَة أنَّه باتَ بالإمكَانِ التَعَامُلَ معَ عَصيْدَةِ الذُرَة بالطريْقَةِ نفسها المُتَّبعَةِ معَ السبَاغِيتِي وكُرَاتِ اللَّحم.

**اسْتِرَاحَةٌ فِي مَديْنَة رافينا: تَبَاهِي المَلِك ثيودريك**

عَشِيَّة الحَربِ العالميَّة الأُولَى، توصَّلَ عُلمَاءُ الآثَارِ أَثنَاءَ تَعَمُّقِهِم بالحَفْرِ في حَديْقَة خُضروَاتٍ بمَديْنَة "رافينا"، إلى اكتِشَافٍ غريْبٍ مُثيْرٍ للفضُوْل.

فعلَى الجَانبِ الآخَرِ مِن إيطَاليَا نحْوَ جَنَوَة، وقريْبًا مِن السَاحلِ الأدرياتيكي، كانَت "رافينا" مشْهورًة منْذُ الأَزمِنَة الرومانيَّة القَديمَة بسَمَكِ التَرْسِ والهَليوْن الذِي نمَا بشَكلٍ جيِّد في تُربَتِهَا الطينيَّة الخَصْبَة. تبقَّى القليْلُ مِن المَدينَة الجميْلَة النَاعِسَة على حَالهِ عَام 1914، حيْثُ قد مضَى زمَنٌ طويْلٌ منْذُ أَن قَامَت روَاسِبُ الطَمْيِ بإبعَادِهَا لدِلتَا نهْرِ "بو" البَحْرِ الأدريكاتي عَن الأنْظَار. يتطلَّبُ الأمْرُ الآنَ جُهدًا جبَّارًا من المُخيِّلَة لاسْتِذكَارِ هذَا المكَان الذِي كانَ ذاتَ مرَّةٍ أحَد أكثَر المَوانِئ العَسكريَّةِ حيويًّة في الإمبراطوريَّة الرومَانيَّة. قامَت "رافينا" أيْضًا بحِرَاسَة الطُرُق الرَئيسيَّة وممَرَّات جِبَال الأبنين التِي ربطَت روما القَديْمَة بمنَاطِق سيَطرَتِهَا في الشمَالِ الإيطَالي. في القرْنِ الخَامِس، باتَت "رافينا" المَعَقل الأَخيْرَ للأمبراطوريَّة ومَقبَرتِهَا، لتُصبِحَ عاصمًة لكُلٍ مِن آخِر الأَباطِرَة الروْمَان وأوَّلِ مَلكٍ قوطِيٍّ\* لإيطَاليَا. وفي عَام 493، اقترَنَ اسْمُها للأَبَدِ بأكثَرِ الملوْكِ القوطيِّين عظمةً بينَهُم جميْعًا وهوَ "ثيودريك" العَظِيم.

في ذَلِكَ العَام استَولَى "ثيودريك" على "رافينا"، ليَصِلَ إلى أَوجِ إخْضَاعِهِ لإيطاليا، فتَقلَّد العَرْشَ حتَّى وفَاتهِ بعْدَ ثلَاثَةٍ وثلَاثيْنَ سَنَة- وهوَ عهْدٌ تمَّ تذَكُّرَهُ لَاحِقًا كزَمَنٍ للسِلم، الازدِهَار، والعدَالَة. وكمَا سجَّل أحَدُ المُؤرِّخين عَن "ثيودريك" بأنَّه 228 "بلغَ أَعلَى درجَةٍ مُمكِنَةٍ مِن الحِكمَة والرجوْلَة".

------------ \*أغريغنتو: مدينة إيطالية تقع على الساحل الجنوبي لصقلية، ، تعرف كموقع لمدينة أكركَاس القديمة، عدد سكانها 59000 نسمة. من أشهر أبنائها لويجي بيرانديلو الكاتب المسرحي الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934 م.

\*جبنة مونستر: جبن معتدل الطعم شبه طري، مصنوع من الحليب كامل الدسم، مصدره الولايات المتحدة لكن أصوله القديمة تعود إلى الألزاس بفرنسا.

\*القوط: قبائل جرمانية شرقية. أرجح الآراء أنهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي والديني. يُقسَمون إلى قوط شرقيين وقوط غربيين.

\*صلصة الراغو: صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم أحيانا اضافة لحم الخيل، تعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا كما أنها موجودة أيضاً في منطقة كامبانيا.

كانَت تلْكَ آخِرَ مرَّةٍ تبْقَى فيْهَا إيطَاليا بأَكمَلِهَا تحْتَ سُلطَة حكوْمَةٍ وَاحِدَة لأكثَر مِن 1300 عَام.

إنَّ ملَامِحَ عَيْنَيْ "ثيودوريك" الرَقِيقَة مَعروْفًة لنَا اليوْمَ مِن خِلَالِ الفُسيفِسَاء الرَائِعَة على الجِدَارِ الغَربيِّ لكَنيْسَة "رافينا" وتُدعَى "سانت أبوليناري نوفو". هنَاكَ فُسيفِسَاءٌ أُخرَى شَهيْرَة تُظهِرُ القَصْرَ المَلَكِيَّ بحَدِّ ذَاتهِ لثيودريك، وكلُّ مَا تبقَّى منْهُ اليوْمَ هوَ المَنزِلُ ومركَزُ الحُكومَة اللَّذَانِ صَمَّمَهُمَا "ثيودريك". تُصَوِّر الفُسيفِسَاء رِوَاقًا مركَزيًّا ضخْمًا مُحاطًا مِن كُلِّ جَانبٍ بدِهليْزٍ طَويْلٍ مِن الأَعمِدَة المُترَاصِفَة. ومعَ مَا يَبدو أَشبَه بفَخْرٍ طفُولِي، نُقِشَت كَلِمَة بالاتيوم (قَصْر) بأَحرُفٍ كَبِيرَةٍ في أَعْلَاه. إنَّ الجمَالَ الأخَّاذَ لهَذهِ الفُسيفِسَاء كَافٍ ليُخبرنَا أنَّ مَركَز مَملَكَةِ "ثيودريك" لَابُدَّ أَنه كانَ ذَاتَ مرَّةٍ ذا مَنظَرٍ مَهيْبٍ للغَايَة، ولابُدَّ أنَّ ذَلِك قَد استَأثَر بلُبِّ أحَدِ وزَرَائِه: "عجبًا! مَنزِلٌ مُتلَألِئ! إنَّه النوْعُ الذِي يُثيْرُ إعجَابَ الهِنْدِ الغنيَّة، وتزوْرُه فَارِس المُزيَّنَة بالجَواهِر بأحيَانٍ كَثِيرَة، وتَعتَرِي إسبانيا النَبيْلَة الدَهْشَة أمَامَهُ".

بعْدَ وفَاةِ "ثيودريك" اندثَرَ قَصرهُ المَلَكيُّ، وتمزَّقَت أَوصَالهُ بفِعْلِ الحروْبِ الإيطاليَّة التِي لَم تَهْدَأ، وببدَايَة القرْنِ العِشريْن أصبَحَ القصْرُ حديقًة نباتيًّة قَيْدَ الزِرَاعَة، ولَكِن عنْدَ تنقيبه، ظهَرَت مصَارِفُ مِيَاهِ المَبْنَى وأَساسَاتُه وطوابقه. أمَّا الاكتِشَافُ الأكثَرُ إثارًة فهوَ حُجرَة طعَامِ المَلِك القوطِي، وهُنَا سَادَ اعتِقَادٌ بأنَّ الضيوْفَ قَد تَنَاوَلوا الطعَامَ أَسفَل لَوحَةٍ فَنيَّةٍ كَبيْرَةٍ لثيودريك مُمتَطِيًا حِصَانَه ويَحْمِلُ رُمْحًا بِيَدٍ ودِرْعًا بالأُخرَى. جسَّدَت الأرضيَّة الفُسيفِسَائيَّة الفصوْلَ الأربعَة في تسْعَةِ ألوَاحٍ مُربَّعة، وبالمَركَز هُناكَ لَافِتًة مُستطيْلًة يَحمِلُها طِفْلٌ ملَائِكيٌّ وقَد كُتبَ عليْهَا: "الخَرِيف، الرَبِيع، الشِتَاء والصَيْف، خُذ مَا يَأتِي بهِ تعَاقُبُ الفصُوْلِ لإعَادَةِ تَجدِيْدِ الأَرْضِ بأَسْرِهَا". أمَّا عَالَمُ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهيهِ، وتَقويْمُ تَمَّنَ مَا لَذَّ وطَابَ مِن كُلِّ فُصوْلِ السَنَةِ؛ فقد كانا يوضعان قبَالَةَ ضُيوْفِ "ثيوديريك". يشرَحُ أحَدُ الوزَرَاءِ المُخلصينَ النظريَّةَ ورَاءَ هذَا التبَاهِي: "قَد يأكلُ شخْصٌ مَا مُنتَجَاتِ مَنطِقَتهِ فحَسْب، ولَكِن مِن عظَمَةِ المَلكِ أَن يجْمعَ على مَائِدَتهِ الأطبَاقَ الشهيَّة مِن جَمِيْعِ الأرَاِضي". القوَّةُ تقْهَرُ قيوْدَ الطَهْيِ للزمَانِ والمَكَان، فهِيَ تُحضِرُ الأَطِعمَة مِن كُلِّ الفصوْلِ والمَناطقِ على مَائِدَةٍ وَاحِدَة.

فِي مَطلَع القرْنِ العِشريْن، اقتربَت أكثَرُ شعوْبِ الأَرضِ المُتقدِّمَةِ تكنولوجِيًّا، لأوَّلِ مرَّةٍ عبْرَ التَاريخِ وبشَكلٍ قريْبٍ للغَايَة مِن تحقيْقِ تبَاهِي "ثيودوريك"- ليْسَ فقَط للقِلَّةِ القويَّة، ولَكِن للجَماهِير. أصبحَ الجوْعُ في جُزءٍ كبيْرٍ مِن أوروبا الغَربيَّة تاريْخًا بالفِعْل 229 وذَلِك معَ وصوْلِ الثورَةِ الغذائيَّة في القرْنِ الثَامنِ عشَر والَتاسعِ عشَر إلى نِهايَتِهَا. لقَد أَوجدَت الزِراعَة الحديْثَة وصَيدُ الأسْمَاكِ إمكانيَّةَ وجوْدِ فَائضٍ دَائِم. لقَد قَامَت البَوَاخِرُ والسِكَكُ الحَدِيْدِيَّةُ بِتَحْويلِ العَالمِ إلى سُوْقٍ وَاحِد، وتفَوَّقَت تقَنيَّاتُ الحِفْظِ الجَدِيْدَةِ كالتَعْليبِ والتَبريْدِ على الأَسَاليْبِ القَدِيْمَةِ كالتَدْخينِ والتَمليْحِ والتَجْفيف بُغْيةَ تَوفِيْرِ أَغْذِيَةٍ مَوسمِيَّةٍ محَليَّةٍ فِي كُلِّ مكَانٍ وعلى مدَارِ العَام.

توَسَّعَت شَعْبيَّةُ الطمَاطمِ المُعَلَّبَةِ ومَعجوْنِ الطَمَاطِمِ بأَشْكَالِهَا المَحْفوظَةِ لتَصِلَ إلى كُلِّ مَنْطِقَةٍ في إيطاليا خلَالَ حَيَاةِ "أرتوسي".

عنْدمَا َلا يستطيْعُ الطعَامُ التنَقُّلَ، فَبوسْعِ النَاسُ فِعْلَ ذَلِك. إنَّ العَديْدَ مِنَ المُهَاجريْن الإيْطَاليِّين الذِيْنَ رَحَلوا إلى الأَمريكيَّتَيْنِ قَد حَقَّقوا حلُمَهُم بالثرَاء، إلَّا أنَّ أعوَامَ الهِجْرَةِ الجمَاعيَّةِ ما قَبْلَ الحَرْبِ العَالميَّةِ الأُوْلَى صَاحبَهَا أيْضًا تَغْيِيْرٌ عَمِيْقٍ فِي إيطاليا. إنَّ رَحِيْلَ هَذِهِ النسْبَةِ الكَبِيْرَةِ مِنَ القوَى العَامِلَة الريْفِيَّةِ، أدَّى إلى رَفْعِ الأُجوْرِ في الريْف، وبالمُقَابِلِ جلَبَ الكَثِيْرَ مِنَ المُهَاجرِيْنَ الذِيْنَ عَادوْا بثَرْوةٍ جَديْدةٍ حتَّى إلى البَلدَاتِ التِي تقَعُ في التِلَالِ الريْفِيَّةِ المَعْزولَةِ في الجَنُوْب. سَجَّلَت التَحْقِيقَاتُ الحكوميَّةُ مدَى غضَبِ العَديْدِ مِنَ المُلَّاكِ بسَبَبِ أنَّ القَرَويِّينَ الذِيْنَ أَطلَقوا علَيْهِم اسْمَ الأَمْريكيِّيْنَ يتَصَرَّفوْنَ بغُروْر، وقَد أَعْربَ عَمْدَةُ "بلفيدير"، وهيَ بلدَةٌ سَاحليَّةٌ صَغيْرَةٌ في كالابريا، عَن أسَفهِ قَائِلًا: "لقَد ازدَادَ الاسْتِهلَاك. وقَد عمَدَ هؤلَاء الفَلَّاحوْن الذِيْنَ يَفْتَقروْنَ للاتِّزَان إلى تنَاولِ اللُّحوْمِ التِي لَم يَعْرِفوْا مذَاقَهَا مِنْ قَبْل وارْتِدَاءِ ثِيَابٍ لَائِقَة، فَضلًا عَن أنَّ الهِجْرَةَ أَدَّت إلى جَلْبِ اضطِرَابٍ أَخْلَاقِيٍّ إلى عَادَاتهِم"، وبدَأَ هذَا "الاضْطِرَابُ الأخلَاقِيُّ" ولأَوَّلِ مرَّةٍ منْذُ قروْنٍ بتَغيِيْرِ الطَريْقَةِ التِي يتَنَاوَلُ بهَا الإيطَاليُّوْنَ العَاديوْنَ طعَامَهُم.

ارتبَطَت هَذهِ التَطورَاتُ الغذائيَّةُ معَ الارْتِقَاء في جوَانبَ أُخْرَى مِن الحيَاةِ الإيْطاليَّة.إنَّ الأَمْوَالَ التِي ادَّخرَهَا المُهَاجروْنَ في الولَايَاتِ المُتَّحِدَةِ بعِنَايَةٍ فَائقَةٍ خلَالَ عَمَلِهِم الشَاق وعَادَاتِ الأَكْلِ المُقْتَصِدَةِ؛ وَفَّرَت أيْضًا رَأْسَ مَالٍ كَبيْرٍ دَاعِمًا للأَعْمَالِ الإيْطَاليَّة. وقفَزَ "المثَلَّثُ الصِنَاعِيُّ" الشَمَاليُّ الغَربِيُّ لميلانو وتورينو وجنوة بسُرعَةٍ كَبيْرَةٍ إلى عَصْرِ الصنَاعَاتِ الثَقيْلَةِ-- عَصْرِ الطَاقَةِ الكَهرومَائيَّة والسيَّارَاتِ وحِمْضِ الكِبريْتِيك والأَسْمِدَةِ والبَوَاخِر وشَمَنْدَر السُكَّر. (التَخَصُّصَانِ الأَخِيْرَانِ كانا فِي مَدِيْنَةِ جَنَوَا). توَسَّعَت المُدُن وتمَّ تبَنِّي العَادَات الحَضَريَّةِ كشُرْبِ القَهْوَةِ في البَار مِن قِبَلِ قِطَاعَاتٍ جَدِيْدَةٍ مِنَ السُكَّان، ومِن خِلَالِ التَعليْبِ والتَبريْدِ، أصبَحَت اللحوْمُ الوافِرَةُ في الأرجنتين والأوروغواي مَعروْفةً حتَّى في إيطاليا. اتَّخذَت البِلَادُ أيْضًا أوْلَى خطوَاتِهَا الصَعْبَة في عَصْرِ الدِيمُقراطيَّة الجَمَاهِيريَّة.

لكِنَّ الوَعْدَ بمُجتمَعٍ خَالٍ مِن الجوْعِ لَم يَكُن ليتِمَّ الوفَاءُ بهِ- ليْسَ لنِصْفِ قرْنٍ آخَرٍ على الأَقَل. في الحَقِيْقَة، يُعْتَبَرُ تاريْخُ النِظَامِ الغِذَائيِّ الإيطالي بَيْنَ عَامَي 1700 و1950 هوَ

---------- \*الأمريكتان، أو أمريكا: هي أراضي تقع في نصف الكرة الأرضية الغربي، وتعرف أيضا بالعالم الجديد، بالإنجليزية يستخدم مصطلح الجمع الأمريكتين للإشارة إلى أراضي قارتي أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية معاً، بالإضافة إلى الجزر والمناطق المحيطة بهما. بينما تستخدم لفظة أمريكا بالفرد للإشارة إلى الولايات المتحدة.

230 الزَمَنُ الذِي تأجَّلَ فِيْهِ زَوَالُ الجُوْعِ مِرَارًا وتِكْرَارًا. وبالنِسْبَةِ للعَديدِ من الإيطاليِّينَ فإنَّ ثَورةَ الغذَاء قَد واصلَت فشلَهَا. وبعْدَ الاتِّحَاد أبقَت الصعوبَات الاقتِصَاديَّة والسيَاسيَّة الشَعْبَ الإيطَاليَّ فَريْسًة للجوْع. ولَكِن مَا إن أحْرَزَ البَلَدُ تَقَدُّمًا خِلَالَ سنوَاتِ الهِجْرَةِ الجمَاعيَّة والتَحَوُّل الصِنَاعِي في أوَائِل القَرْنِ العِشْرين، حتَّى أَغْرَقَهُم صِرَاعُ عَسْكَرِيُّ فَظِيْعٌ شَهِدَهُ العَالَمُ بصِعَابٍ جَدِيْدَة.

**السُجَنَاء: مُعَسْكَر اعْتِقَال الضُبَّاط، مَديْنَة تسيله، مَديْنَة هانوفر**

منْذُ عَام 1861، أخَذَ بعْضُ السيَاسيِّين والمُفَكِّرين مِن اليَميْنِ المُتطرَّف يُجَادلوْنَ بأنَّ الحَرْبَ الشَديْدَة الدمويَّة هيَ فقَط مَن يُمْكِنهُ أَن يُحَوِّلَ الإيطاليِّينَ إلى أُمَّة، وقَد نمَت هَذهِ الأصوَاتُ المتصَاعِدَةُ بوَتِيْرَةٍ أَعْلَى خِلَالَ النِزَاعَاتِ السِياسيَّةِ العَنيْفَة في أوَائلِ القَرْنِ العِشريْن. ثمَّ، وفي رَبيْعِ عَام 1915، وصَلَ حمَّامُ الدَمِ عنْدمَا تمَّ زَجُّ هَذهِ الدَولَةِ المنقَسِمَةِ سريْعَةِ التَغييْرِ وبشَكْلٍ غيْرِ مُتوقَّعٍ وضِدَّ إرَادَةِ غَالبيَّة سُكَّانِهَا، في الحَرْبِ العُظْمَى. لكنَّ هذَا الصِرَاع كاَن أهوالًا لمذْبَحَةِ جَماعيَّةٍ وصِنَاعيَّةٍ بحيْثُ أتَت نتَائِجَ الحرْبِ بشَكلٍ مُعَاكسٍ لما أَمِلَهُ دُعاتهَا: لقَد أوشَكَت الحرْبُ العظمى على تَمزيْقِ إيطاليا، ووَضْعِ حَدٍّ لدِيمُقراطيَّتهَا النَاشِئَة. غَيْرَ أنَّهُ وفي خِضَمِّ المذبحَةِ والانقِسَامَات السيَاسيَّةِ العَنيْفَة، أنْتجَت الحَرْبُ الدَائِرَةُ بَيْنَ عَامَي 1915-1918 أيْضًا لحْظةً رائِعةً من الإبْدَاعِ الذوَّاقِ في الظروْفِ غيْرِ الُمحتمَلَةِ لمُعَسكَرِ السِجْنِ الألمَانِي.

مثَّلَت الحَرْبُ صدمةً مُؤلمةً لجمهور الفلاحين الذِيْنَ تمَّ تَجْنيدُ المَلَاييْنِ مِنْهُم للقتَالِ بَيْنَ خَنَادِقِ ومُنْحَدَرَاتِ سفُوْحِ جِبَالِ الأَلْب. إنَّ الغَايَةَ الوطنِيَّةَ مِن تلْكَ الحَرب كانَت بَعِيْدةً على نحْوٍ غَامِضٍ، وهيَ اسْتِعَادَة الأَرَاضِي الإيطَاليَّة الغَيْر مُحَرَّرَة الخَاضِعَة للاحْتِلَال النَمْسَاوي. اتَّصَفَ الضُبَّاطُ بالغَطْرسَة، وكَانَ عَدَدُ ضُبَّاطِ الصَفِّ منْهُم قَليْلًا، والانْضِبَاطُ شَديْدًا للغَايَة حتَّى وفْقًا لمعَايير أيَّامِنَا هَذِه: حيْثُ تمَّ إرْسَالُ الرجَالِ إلى الجَبْهَةِ بمَهَامّ انْتِحَاريَّةٍ تقريْبًا والمَدَافِعُ الرشَّاشَة مُصوَّبَةٌ نحْوَ ظهُورَهُم، وكانَ الاعْدَامُ بإجْرَاءَاتٍ مُوجَزَةٍ للجُبنَاءِ أَمْرًا اعْتيَاديًّا، وهوَ مُمَارسَةٌ مُسَلَّمٌ بهَا يَجْرِي إتِّباعهَا معَ الوَحْدَات التِي يُعتقَدُ أنَّها تصرَّفَت على نحْوٍ غيْرِ مُشَرِّفٍ حيْثُ يُبَادُ عشَرَةٌ بالمِئَةِ منْهَا-حَرفِيًّا-. فقَد تمَّ اخْتِيَارُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِن كُلِّ عشَرَةِ رجَالٍ ليُطلَقَ علَيْهِ النَارُ أمَامَ البَاقِي. أمْضَى الجنُوْدُ عِدَّةَ أَشْهُرٍ فِي الجَبْهَة دوْنَ أَن ينَالوا قِسْطًا مِن الرَاحَةِ أو الحصوْلِ على إجَازَة، لأنَّ القِيَادَة العُليَا كَانَت تَخْشَىِ أنَّ يؤدِّي الاتِّصَالُ بَيْنَ الجَيْشِ والمُتَخَاذليْنَ في الدَاخِلِ إلى تَقويضِ المَجهوْدِ الحَرْبِي. 231 كانَت الامْدَادَاتُ الضَئيْلَةُ المُتَضَارِبَةُ سبَبًا رَئيْسِيًّا لضَعْفِ الروْحِ المَعْنَويَّةِ للقوَّات، وبدَا الجنوْدُ الذيْنَ خَبَروا الحَيَاةَ في الولَايَاتِ المُتَّحِدَةِ هُم الأَكْثَر وضُوْحًا في اسْتِيَائهِم. كتَبَ أَحَدُ الجنُوْدِ اليَائسِيْنَ إلى عَائلَتِهِ في "أوهايو" بشَهْرِ مايو عَامَ 1917 قائلًا: "يُمْكِنُنِي القَوْلَ إنَّ الوَضْعَ فَظِيْعٌ للغَايَةِ هُنَا، ونَحْنُ نَموْتُ جوْعًا حتَّى إنَّنَا لَم نَذُق الطَعَامَ منْذُ خَمْسَةِ أَيَّام، وكأنَّنَا نَعِيْشُ في مَسْلَخ".

في أكتوبَر عَام 1917 وبَعْدَ عَامَيْنِ ونِصْفٍ مِنَ المَذْبَحَةِ اللانهَائيَّة، تعَرَّضَ موطن الضَعْفِ الأَسَاسِيِّ للقوَّاتِ الإيْطَاليَّةِ للخَطَرِ عنْدَمَا قَامَ النِمْسَاويُّوْنَ والأَلمَانُ باخْتِرَاقِهَا بالقُرْبِ مِن قَريَةِ "كوباريد"، وسُرعَانَ مَا أدَّى سوْءُ التَنظِيمِ والقِيَادَةِ لتَحْويلِ الهَزيْمَةِ إلى كَارِثَة، حيْثُ تخَلَّت القُوَّاتُ المُنهَكَةُ والمُرتَبِكَةُ عَن أسْلِحَتِهَا وانْسَحَبَت نزوْلًا مِن موَاقعِهَا على قِمَّةِ التِلَال، فقَامَ العَدوُّ بدَحْرِ الأَرتَال الإيْطَاليّة إلى الخَلْفِ لأَكْثَرَ مِن تسْعِينَ ميْلًا، دَافِعًا مَجْمُوعةً مِنَ المُتَشَرِّديْن العَسكَريِّيْنَ اللَّاجئِيْن المَدَنِيِّينَ أمَامَهُم، ولَم يَمْنَع تَقَدُّمَهُم لمسَافَةٍ أَبْعَد شَيءٍ سِوَى ارْتِفَاعُ مَنْسوبِ ميَاهِ نَهْرِ بيافي، فسَمَح ذَلِكَ للجَيْشِ الإيْطَاليِّ المُدَمَّرِ بإعَادَةِ تَجْميعِ صفُوفِهِ وإنْشَاءِ خَطٍّ دِفَاعِيٍّ جَدِيْد.

تمَّ استقبَالُ أخبَارِ معركة كابوريتو بالهَلَعِ والشُعوْرِ بالخِزْيِ بيْنَ الوَطَنيِّين الإيطَاليِّين؛ فتَسَبَّبَت بمَوْجَةٍ مِن حالَاتِ الانتِحَارِ في أعْقَابِهَا، فقَد قُتِلَ حوَالي 11000 جُنْدِي إيْطَالِي، وهوَ عدَدٌ صَغِيْرٌ نِسْبِيًّا مُقَارنةً بالمَجْزَرَةِ الجَمَاعيَّةِ لمَعْرَكَةِ السوم أو مَعْرَكَةِ باشنديل، لكِنَّ العَديْدَ مِن الإيطاليِّين قَد شَعَروا بالِإذْلَالِ مِن تلْكَ الأعدَادِ التِي بدَا أنَّها قَد استسْلمَت، وبشَكْلٍ أقَلَّ بسبَب إجمَالِي القَتلَى والجَرْحَى، فلقَد تمَّ أَسْرُ 300000 إيطَالِي أَي ضِعْفُ مَا تَمَّ أَسرُهُ خِلَالَ النِزَاعِ بأَكْمَلِه حتَّى ذَلِكَ الحِيْن. إنَّ المِحْنَة المؤْسِفَة لهَؤلَاءِ الرِجَال هيَ في جَمِيْعِ الأحْوَالِ دَلَالَةٌ على الطَريقَةِ القَاسِيَةِ التي خاضَتْهَا الحَرْب. وللبَحْثِ عَن كَبْشِ فِدَاءٍ فِي المَرْحَلَةِ التي أعْقَبَت الهَزِيْمَة تحمَّلَ أَسْرَى الحَرْبِ الكَثِيرَ مِنَ اللَّوْمِ على الخِزْيِ الوَطَنِي، وتمَّ وَسْمُهُم مِن قِبَلِ السُلُطَاتِ العَسْكَريَّةِ كفَارِّيْنَ وتمَّ التخَلِّي عنْهُم حتَّى هَلَكوا جوْعًا.

أقَرَّ حُلفَاءُ إيطاليا في وقْتٍ مُبكِّرٍ مِن الحَرْبِ بأنَّ طروْدَ الطعَامِ التِي أرسَلتْهَا العَائِلَاتُ إلى أبْنَائِهِم الجنُوْد لَن تُغَذِّي الأعدَادَ التي لَا مَثِيْلَ لهَا مِن أَسْرَى الحَرْب: كانَت ببسَاطَةٍ غيْرَ فعَّالةٍ مِن النَاحِيَةِ اللُّوجستِيَّة، وبعْدَ ذَلِكَ بفَتْرَةٍ قَصِيْرَةٍ حَمَلَت الدَوْلَةُ في بريطانيا العُظْمَى وفرنسا على عَاتِقِهَا مسؤوْليَّةَ انْقَاذِ جنُوْدِهَا الأَسْرَى فِي سجُوْنِ العَدوِّ مِنَ المَوْتِ جُوْعًا، غّيْرَ أنَّ إيطاليا لَم تتبَنَّ أَيَّ سِيَاسَةٍ مِن هذَا القَبِيْل، وهكَذَا وفِي غَالبيَّةِ زمَنِ الحَرْبِ كانَت إمْدَادَاتُ الحِزَمِ الغَيْرِ مَوثوْقَةٍ بهَا للغَايَةِ والتِي يُنَسِّقُهَا الصَليْبُ الأَحْمَرُ هيَ كُلُّ ما زَادَ المؤَنَ الهَزيْلَةَ جدًّا في مُعسكرَات الاعتِقَال المؤقَّتة المُبعثَرة، عبْرَ الإمْبراطوريَّة النَمساويَّة المَجَريَّة. في الأسَابيْعِ الأَخيْرَةِ فقَط التِي سبَقَت الهُدْنَة، تمَّ ارْسَالُ حمُوْلَاتٍ رَمزيَّةٍ قَليْلَةٍ من بسْكِويتِ البَحْرِ بتَمويْلٍ حكُومِيٍّ كتَجْرُبَة. 232 قامَت الدَوْلَةُ الإيْطَاليَّةُ بتقديْمِ إسْهَامٍ مادِّيٍ يكَادُ لَا يُذَكر لرِعَايَةِ المُعْتَقَليْن.

-----------

\*معركة السوم: معركة بين القوات الألمانية وقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حدثت في الفترة 1 يوليو – 18 نوفمبر 1916 وانتهت بخسائر كبيرة للطرفين. وقعت معركة السوم في فرنسا، سميت بهذا الاسم نسبة لنهر السوم في فرنسا حيث جرت أحداثها على ضفَّتَيه**.**

\*معركة باشنديل: إحدى معارك الحرب العالمية الأولى، نشبت سنة 1917 بين القوات البريطانية والقوات الألمانية ورأى البريطانيون تحويل اهتمام الألمان إلى الجبهة البريطانية، فجرت معركة "باشنديل" التي خسر فيها البريطانيون ألف جندي بين قتيل وجريح، ونزلت نكبات متعددة في صفوف الحلفاء في الجبهات الروسية والفرنسية والإيطالية.

\*بسكويت البحر: نوع بسيط من البسكويت أو التكسير، مصنوع من الدقيق والماء وفي بعض الأحيان الملح. غير مكلف وطويل الأمد. يتم استخدامه للعيش في غياب الأطعمة القابلة للتلف، عادة أثناء الرحلات البحرية الطويلة والهجرات البرية والحملات العسكرية.

مِنَ الصَعْبِ عدَمُ المشَاركَةِ في الاسْتنتَاجِ القَائلِ إنَّ الحكوْمةَ الإيطاليَّة كانَت مُذنبًة بحَملَةِ إبَادَةٍ جمَاعيَّةٍ عَبْرَ الإهْمَال- وهِيَ حمْلَةٌ تستَهْدِفُ رجَالهَا. عانَى الجنوْدُ الإيطاليُّوْنَ في الأَسْرِ مِن مُعدَّلِ وَفيَّاتٍ أَعْلَى ممَّا في الجَبْهَة، تُوفِّيَ السُدُسُ مِنْهُم، وعَانَى البَاقِي مِن أَمْرَاضٍ مَنْشَؤهَا الجوْعُ كمَرَضِ السِلِّ وخَزَبِ المَجاعَة وهوَ انتفَاخٌ مُروِّعٌ في الأطْرَافِ والوَجْهِ نَاجِمٌ عَن نَقْصِ البروتِيْنِ ليَتبَعَهُ فشَلُ العُضو. تتَحدَّثُ شهَادَاتٌ لَا حصْرَ لهَا عَن عدَدِ أَسْرَى الحَرْبِ الإيطَاليِّين الذيْنَ تحوَّلوا إلى هيَاكِلَ عظمِيَّةٍ تَمْشِي تُغَطِّيهِم خِرَقٌ بالِيَةٌ فقَط لتَقِيْهِم البَرْد. وفي الظروْفِ التِي قَد يتعَرَّضُ فيْهَا البَعْضُ لإطْلَاقِ النَارِ إذَا اقْتَرَبَ مِنَ السِيَاجِ المُحيْطِ ليَأكُلَ العُشْب، غالبًا مَا يُخْفِي السُجنَاءُ جُثَثَ زُملَائهِم الموْتَى ليَحْصَلوا على حِصَصِهِم مِن الحَسَاءِ الرَقِيق ويتَقاسَموْهَا بَيْنَهُم.

تلقَّى الضُبَّاطُ معاملًة خاصًّة وماتوا بشَكْلٍ أقَلَّ توَاتُرٍ مِن المُجنَّديْن، غَيْرَ أنَّهُم عانَوا حتَّى مِن آلَامِ المجَاعَةِ خلَالَ الشِتَاءِ الرَهيْب عَام 1917-18. بعْدَ قريَةِ كوباريد سَحَقَ طوْفَانُ السُجَنَاءِ الجُدُدِ البُنْيَة التَحْتيَّة الأَلمَانيَّة والنِمْسَاويَّة والمَجَريَّة، فرضَتْ السُلطَاتُ العسكَريَّةُ الإيطَاليَّةُ حَظْرًا تامًّا على إرْسَالِ الطروْدِ إلى "الفَارِّيْنَ مِنَ الجَبْهَةِ"، مَهزوْمِين ومَسجوْنِين لدَى العَدو، وقَد تخلَّى عنْهُم الوَطَنُ وبَاتوا بمَعزَلٍ عَن أَحِبَّائهِم. كافحَ الضُبَّاطُ الأَسْرَى لأَجْلِ الحِفَاظِ على أيِّ احتِرَامٍ لذَاتهِم برَغْمِ عدَمِ تكَبُّدهِم مشَقَّةَ الأَسْرِ نَفْسَهَا التِي عَانَى منْهَا رفَاقَهُم الجنُوْد. تَحتَوي مُذكَّراتَهُم وسِيَرَهُم الذَاتيَّة على حلقَةٍ مُمِلَّةٍ مِن الهِستيْريَا المُضنِيَة: "اليَأسُ والجوْعُ، الشجاعة المعذَّبة بالجوع، الهُزَالُ المُسْتَمِر". تمَّ التخَلِّي عَن أَيِّ جُهْدٍ بدَنِيٍّ لَا لزوْمَ لَه، وكلُّ مَا يُمكِنُ أَن يفعَلَهُ الكثيروْنَ بيْنَ الوَجَبَاتِ هوَ التَجَمهُر في أَسِرَّتهِم ذَاتِ الطَوَابِقِ والانْتِظَار. وفي هذَا الخمُوْلِ القَسْريِّ أَصْبحَ الطعَامُ هَاجِسًا مُزْعِجًا، "إنَّ الجُوْعَ المُسْتَمِرَّ هوَ التَفكِيْرُ المُتَوَاصِلِ بالأَكْلِ ولَا شَيْءَ غَيْرَهُ، إنَّنا نتحَدَّثُ عنْهُ، ونُفكِّر بهِ، ونتَذكَّرَه". "شيْئًا فشَيْئًا، أصبَحَ الجوْعُ نوْعًا مِن الهذَيَان: لَم نتَحَدَّث عَن شَيءٍ سِوَى الأَكْل، وكُنَّا نَنْتَظِرُ بلَهْفَةٍ اللَّحْظَةَ التِي يَتِمُّ فيْهَا تَوْزِيْعُ وعَاء الميَاه القَذِرَةِ البَائِس".

في ظِلِّ هَذهِ الظروْفِ اللَّاإنَسانية، في شَهْرَي يناير وفبراير عَام 1918 – والتي تُعدُّ أشَدَّ الشهوْرِ قتَامًة في حرْبِ إيطاليا ومِحنَةِ أَسْرَى الحَرْب- قرَّرَ أحَدُ الضُبَّاطِ الصِغَارِ تجميْعَ كتَابٍ عَن وصفَاتِ الطَعَام. 233 أُلقِيَ القَبْضُ على المُلَازِم الثَانِي "جوزيبي شيوني" بعْدَ معرْكَةِ كابوريتو وتمَّ احْتِجَازُهُ في مُعَسكَرٍ مُؤقَّتٍ مُخصَّصٍ للضُبَّاطِ فقَط في "تسيله"، وهِيَ مديْنَةٌ ذَاتُ منَازِلٍ خلَّابَةٍ جُدرَانُهَا مصنوعةٌ مِن الأخشَاب بالقُرْبِ مِن مَديْنَةِ "هانوفر" بألمانيا. أطْلَقَ على مَجْموعَتهِ اسْمَ فَنِّ الطَهْي وبدَأَهَا بمُقَدِّمَة اعْتِذَار، وتُعَدُّ إحْدَى أكْثَرِ الوَثَائِقِ المُثيْرَةِ للمشَاعِر في تَاريْخِ الأَلْفِ عَامٍ مِن الطَعَام الإيْطَالي، كَتَبَ قَائِلًا: "أولئِكَ فقَط مَن ذَاقوْا المُعَانَاةَ معَنَا، هُم مَن بوسْعهِم الفَهْمُ دوْنَ شَك".

------------ \*خَزَبُ المَجاعَة: وَذَمَةٌ تَغْذَوِيَّةُ المَنْشَأ.

فتَرَاتٌ طَويْلَةٌ مِنَ الصِيَامِ تُجبِرنَا على أَن نُكَوِّرَ أجْسَادَنَا لنُقَلِّلَ مِن حِدَّةِ تَقَلُّصَاتِ أَمْعَائِنَا بسَبَب الجُوْع، ونَظَلَّ بِلَا حِرَاكٍ لأيَّامٍ طِوَالٍ لنَهْدُرَ أقَلَّ مِقْدَارٍ مِنَ الطَاقَةِ، ضَع في حُسْبَانِكَ هذَا وسيَغدُو الأمْرُ طبيْعيًا، فَفِي ظلِّ حاجَتِنا لموْقدِ المَنْزِل، يستَذكِرُ كُلٌّ مِنَّا الوَجَبَاتِ الشَهِيَّةَ والصَلصَةَ اللَّذِيْذَةَ التِي أَعَدَّتْهَا واعْتَنَت بهَا الأيَادِي الرَقيقَة للأمَّهات أو الزَوجَات البَعيدَات.

وَقْعُ التَأثِيْرِ الشَدِيْدِ يَكْمَنُ في أَنَّ المُلَازِمَ "تشيوني" شعَرَ بالحَرَج الشَديْدِ مِن "الظَاهِرَةِ النَفْسِيَّةِ الغَريْبَةِ" التِي تعَرَّضَ لهَا-- وكأنَّهُ ورِفَاقَهُ السُجَنَاءَ قَد فَقَدوْا رجُولتَهم بسَبِب "الانْسِلَاخِ الذِي حوَّلنَا مِن مُحَاربيْنَ إلى طُهَاة". إنَّ كِتَابَ "فنُّ الطَهي" الذِي لَم يتِمَّ نشْرُه أبدًا، هوَ عبَارَة عَن كِتابَةٍ بخَطِّ اليَد على ورقَةٍ رَخوَةٍ رَخِيصَةٍ مِن مُفَكِّرَةٍ صَغِيرَة ولَكِن وكَرَدِّ فِعْلٍ على مَأزِقٍ قَاتِمٍ للغَايَة فهي تُقرا وكَأنَّهَا مَنْقُوْشًة على الحَجَر.

سلَبَ الجُوْعُ حتَّى المَوْت الرِجَالَ احْتِرَامَهُم لأَنْفُسِهِم ولِبَعْضِهِم. تَحَدَّثَ عَقِيْدُ مُشَاةٍ مُحْتَجَزٌ أَيْضًا بمُعَسْكَرٍ مُؤقَّتٍ في "سيلي" عن ما لَاحَظَهُ قائِلًا:

"هُنَاكَ نِزَاعَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ حَوْلَ توَافِه الأُموْر؛ ودَائِمًا مَا يَصْدَحُ هُتَافٌ ضِدَّ الظُلْمِ إِن وقَعَت قِطْعَةٌ إضَافِيَّةٌ مِنَ البَطَاطِسِ فِي وِعَاءِ شَخْصٍ آخَر، أمَّا العَظْمُ الصَغِيْرُ فيُعتَبَرُ ضَرْبَةَ حَظٍّ لأَيِّ شَخْصٍ يَجِدْهُ فِي قَعْرِ صحَنِ حَسَائِه، يقوْمُ الرَجلُ ذو الحَظِّ الوَافرِ بمَصِّه أوَّلًا، ثُمَّ يَسْأَلهُ رَفِيقُهُ الجَالِسِ بِجِوَارِهِ بخَجَلٍ: هَل أَسْتَطيْعُ تَذَوُّقَه؟. ويَلتَقِطَهُ ويَمُصُّهُ في نِعْمَةٍ مُمْتَنَّة."

يَسْعَى فَنُّ الطَهْيِ إلى بِنَاءِ ملَاذٍ فِكْرِيٍّ مِن هَذِهِ التَدَهْورَاتُ اليَوْميَّةِ، لأَجْلِ إعَادَةِ تَكويْنِ الهَويَّةِ خُطْوًة بخُطْوَة وكأنَّهَا طعَامٌ شَهِيٌّ مألوْف، وذَلِكَ لتَحْقِيقِ الرَاحَةِ مِن خِلَالِ التَضَامُنِ البَسِيْطِ لمُشَارَكَةِ كُلَّ مَا يُمْكِنُ تَقَاسُمُه". وكتَبَ "شيوني" أيْضًا: "نشَأت مجموْعَةُ الوَصَفَاتِ هَذِهِ مِن الذِكْريَات، الأسَف، والرَغَبَات التِي نتبَادَلَهَا معَ بَعْضِنَا البَعْض". 234 تتحَدَّثُ معانَاتُهُ ومعاناة زمَلَائِهِ، بصوْتٍ عَالٍ عَن العِنَايَةِ الهَادِئَةِ التِي تَمَّ عَبْرَهَا بنَاءُ فَنِّ الطَهْي. إنها مئَاتُ الوصَفَاتِ المكتوبة بمَحبَّةٍ في أحَدَ عشَرَ قِسْمٍ: المُقبِّلَات، الصَلصَات، الحَسَاء، البَاسْتَا، البِيتزَا، السَمَك، اللُّحوْم، لَحْمُ الطَرَائِد، عُجَّةُ البَيْض، عَصِيدَةٌ مِن دَقيْقِ الذُرَة، الخُبْز، الخُضروَات، الفَاصوليَاء، الحُلويَّات والمُربَّيَات. يَبْدَأُ كلُّ قِسْمٍ بتصويرٍ مُؤثِّرٍ غَيْرِ بَارعٍ للأطْعِمَةِ المَعْنِيَّة، على سَبِيْلِ المِثَال، لَيْمُونتَان، عُلبَةُ سَاردِيْن، وابْريقٌ صَغِيْرٌ مِنَ الزَيْتِ لأَجْلِ المُقَبِّلَات، قِطعَةُ لحْمٍ على سيْخِ الشِوَاء وطبَقٌ خزَفيٌّ عَميْقٌ للطَهْيِ لأَجْلِ اللُّحوْم ولَحْمُ الطَرَائِد. إنَّ الوَصَفَاتِ المَوجُوْدَةَ في كِتَابِ فَنِّ الطَهْيِ تَمْتَلِكُ ذَاتَ الجوْدَةِ السَطحِيَّة ولَكِن بطَابِعٍ مؤْلمٍ مُثِيْرٍ للمشَاعِر، ونَادِرًا مَا يُقدِّموْنَ تفَاصيْلَ عَن مِقدَارِ أَيِّ مُكوَّنٍ مُعيَّنٍ مَطلوْب - فالحَنيْنُ لَا يحْتَاجُ إلى مثْلِ هَذهِ الدِقَّة، معَ ذَلِكَ فَمِنَ المُذْهِلِ أَنَّ عدَدًا قَليْلًا مِنَ الوَصَفَاتِ قَد تمَّ إغنَاؤهَا بشَكْلٍ غَيْرِ طَبِيْعِي، وإحْدَى هَذِهِ الحَالَات "الحَسَاءُ البَاذِخ"، وهوَ طَهْيٌ تمَّ اخْتِلَاقَه بشَكْلٍ هِسْتيرِيٍّ لرَجُلٍ يتَضَوَّرُ جوْعًا ويتكَوَّنُ مِن الخُبْزِ المُحَمَّصِ المَنْقوعِ في شَحْمِ الخِنْزيرِ معَ لَحْمِ الخِنزيْرِ المُقَدَّدِ ولَحْمِ الخِنْزير. غَالِبًا مَا يَتِمُّ ذِكْرُ الوَصَفَاتِ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ، معَ تَسْجيلِ العَديْدِ مِنَ المُكَوِّنَاتِ بِدِقَّةٍ، وكأنَّ كُلَّ نَكْهَةٍ مُنْفَصِلَةٍ تَفِي بِوَعْدِهَا للوَطَن.

منزل "تشيوني" في "جَنَوَة"، وقَد وُلِدَ بضَوَاحِي المَدِيْنَةِ عَامَ 1895، وهَذَا مَا جعَلَ كتَابَ "فَنُّ الطَهْيِ" مُنْجَذِبًا نَحْوَ نكَهَاتِ إقلِيْمِ ليغوريا الإيطَالي. ومِنَ الأَمثِلَةِ البَارِزَةِ وَصفَتُهُ للبيستو، حيْثُ يَسْتَهِلُّ بها قِسْمَ الصَلصَاتِ في الكِتَاب؛ ويُعْطِي فِكرًة عَن التطَوُّر التَاريْخِي للبَهَارَات التِي لَاقَت حفَاوةً في المديْنَة ذاتِ الميْنَاء.

1. صَلصَة البيستو على الطَريْقَة الجَنَويَّة، الرَيْحَان، الثُوْم، البَقدوْنِس، القَليْلُ مِنَ البَصَلِ المَفروْم، توَابِل، جُبنَة بيكورينو السَردينيَّة، طَحْن جَمِيْعِ هَذِهِ المُكَوِّنَاتِ بالهَاوَن وسَحْقِهَا لتَغْدُوَ عَجِيْنًا، وعِنْدَ الاسْتِخدَامِ أَضِف زَيْتًا صَافِيًا.

مِن شَأنِ إعدَادِ صَلصَة البيستو كَما يَحلُم بها الملَازِم "شيوني" أَن يُثيْرَ الرُعبَ في جَنَوَة اليَوم، إِذ تُعتبَر إضَافَة البَقدوْنِس والبَصَل والتوَابِل مِنَ البُدَعِ، لَكِن مِن غَيرِ المُرجَّح أنَّ ذَاكِرَة "تشيوني" الجَائِعَةَ تَخْدَعُه، أمَّا بالنِسبَةِ لصَلصَةِ البيستو فَهِيَ مِثَالٌ على كيفِيَّة اتِّخَاذِ بعْضِ الأطبَاقِ التَقليديَّةِ الأكثَر شُهرةً شَكلًا نهَائيًّا.

صَلصَةُ بيستو جَنَوَة اليَوْم هيَ عَجِيْنَةٌ تتَأَلَّفُ مِن أَوْرَاقِ الرَيْحَان، الجُبْن، الثُوْم، الصَنوْبَر، وزَيْتِ الزَيْتُوْن. لَكِن وفْقًا لتَعريْفِ القَاموْسِ الأَقدَم، والذِي تمَّ نَشرَهُ لأَوَّلِ مرَّةٍ عَامَ 1844، كانَت صَلصَة البيستو بهارًا مصْنوعًا مِن 235 خَليْطٍ مِن الثوْم، الزَيْت، الجُبْن، الرَيْحَان، البَقدوْنِس، والمردَقوْش بعْدَ طَحنِها - وهيَ مجموْعَةٌ أكثَر وَفْرًة بكَثيْرٍ مِن الأَعشَاب المُسلَّم بهَا اليَوْم. لَم يَتِم التَطَرُّق إلى ذِكْرِ الصَنوْبَرِ والجَوْز، وكَذَلِكَ المَعْكَرونَة: فعَلَى مَا يَبْدو أنَّهُ في عَامِ 1844 غَالبًا مَا اسْتُخدِمَت صَلصَةُ البيستو كمَادَّةٍ مُنَكِّهَةٍ في الحسَاء، وحتَّى في مَنْطِقَةٍ مثْلَ ليغوريا حيْثُ عَصِيْدَةُ دَقِيْقِ الذُرَةِ غَيْرَ شَائِعَةٍ، وفِي مَديْنَةٍ مُصَدِّرَةٍ للمَعْكَرونَةِ كجَنَوَة، اعْتَادَ النَاسُ تنَاولَ حَسَاءِ مينيستروني كَثِيْرًا جِدًّا، بيْدَ أنَّ طَبْعَةَ عَام 1876 من ذَاتِ القَاموْسِ لَم تُظْهِر أيَّ تَغييْرَاتٍ مُهِمَّة.

وبِحلوْلِ عَام 1910 قَامَ قَاموْسُ اللَّهْجَةِ الجَنَوِيَّةِ بوَصْفِ صَلصَة البيستو التِي لَا تَحْتَوِي سِوَى الرَيْحَانَ وَحْدَهُ فَقَط، وقَد عُرِفَت صَلصَةُ البيستو في هَذِهِ المَرْحَلَةِ كصَلصَةٍ للمَعْكَرونَة: يَذكُرُ قاموْسُ جَنَوَة الحَديْث عَام 1910 أنَّ الإيطَاليِّيْنَ يَسْتَشهِدُوْنَ بصَلصَة بيستو تاغيون كو (شرَائِط تاليريني الصَغِيْرَة معَ صَلصَة البِيْستو) كعِبَارَة شَائِعَة الاسْتِخدَام. لَم تُوْضَع معَهَا حبُوْبُ الصَنوْبَرِ حتَّى الآن، حيْثُ لَم يتِمَّ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ فَنِّ الطَهْيِ الخَاص بالمُلَازِمِ شيوني، والذِي أُلِّفَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَعْوَام. إنَّ وصفَةَ أَسيْرِ الحَرْبِ أيضًا دَليْلٌ على أنَّ التَفضِيْلَ الحَصْرِيَّ للرَيْحَانِ لَا يزَالُ بعيْدًا عن التَحَوُّلِ إلى مُعتقَدٍ تَقليْدِي.

بعْدَ الحَرْبِ العَالميَّةِ الثَانيَةِ بدَأَ مؤلِّفو المَعَاجِمِ بالتَدقِيْقِ بشِدَّةٍ ووَضَعوْا قوَاعِد صَارِمَة لصَلصَةِ البيستو: يُؤكِّدُ قَاموْس عَام 1955 أنَّ المكَوِّنَات يَجِبُ أَن تُسْحَقَ بوعَاءِ هَاونٍ خَزَفِي معَ مِدَقَّةٍ خَشَبيَّة- كمَا هوَ الحَالُ في مُعْظَمُ الوَصَفَاتِ المَوثوْقَةِ اليَوْم. وحتَّى الآن لَا وجوْدَ للصَنوْبَرِ والجَوْز.

عرفَ "شيوني جوزيبي" كُلَّ شَيءٍ عَن صَلصَةِ البيستو عَامَ 1918 تمامًا كمَا فعَلَ طاقَمُ جَنَوَة على متْنِ سَفينَة "نورد أمريكا" عَامَ 1884، لكنَّهُم أَبْدوا تدقيْقًا أَقلَّ مِن الكَثِيريْنَ في أيَّامنَا هَذِهِ بشَأْنِ طَريْقَةِ إعْدَادِهَا. يَحْتَوِي كتَابُ فَنِّ الطَهْيِ على الكَثِيْرِ مِن الأَثَرِ الكلَاسِيكِي الجَنَوِي، وأَحَدُ الأَمْثِلَةِ على ذَلِكَ هي التوكو، وهي صَلصَةٌ غَنِيَّةٌ، أَوسَمَك القَد المُجَفَّف بالهَوَاء معَ الفول-يَتِمُّ دمْجُ المكوِّنَاتِ الرَئيسيَّة معَ البطَاطَا والثوْم والزَيْت والمِلْح لصُنْعِ سَلطَةٍ دَافِئَةٍ بسيْطَةٍ وعَصريَّة.

ومعَ ذَلِكَ، فإنَّ مَا يُثِيْرُ الإعْجَابَ حقًّا فِي كِتَابِ فَنِّ الطَهْيِ لَيْسَ لكَوْنِهِ مَحَليًّا بَل للسِمَةِ الوَطَنِيَّةِ التِي تتجَذَّرُ فِيْه. إنَّ مُقارنةً مُوجزةً معَ كِتَاب "عِلمُ المَطبَخ" لـ"بيلغرينو أرتوسي" تُبَيِّنُ مدَى الانْجَازِ الذِي حقَّقَهُ المُلَازِمُ "شيوني". كانَت كُلٌّ مِن "ليغوريا" و"بيدمونت" اللَّتَينِ تقَعَانِ في شمَالِ غَرْبِ إيْطَاليَا مَنْقُوصتَيْ التَمثِيْلِ فِي كِتَابِ "عِلمُ المَطبَخ". يُقوْمُ كِتَابُ "فَنُّ الطَهْيِ" بتَصْحِيحِ الخَلَل، مُتضَمِّنًا وَصَفَاتٍ عَن ثومُ إقْليمِ بيدمونت الرَائِع وصَلْصَة الأُنشُوفَة المُعَدَّة لغَمْسِ الخُضرَوَات و تُدعَى البَانجَا كاودَا، أمَّا المَكَانُ المُفَضَّلُ لـ"أرتوسي" هوَ الحِزَام المَركَزِي لإقليْمِ توسكانا وإيميليا روماجنا فهُوَ مُمَثَّلٌ بشَكْلٍ جَيِّد، لكِنَّ المُلَازِمَ "شيوني" لَا يَنْسَخُ شَيْئًا مِن "أرتوسي" وإنَّمَا يَضَعُ لمَسَاتهِ المُمَيَّزَة على جَمِيْعِ الأَطْبَاقِ الشَائِعَةِ في كِلَا مَجْمُوعَتَي الوَصَفَات، وإنَّ أَكْثَرَ أَمْرٍ

---------- \*ليغوريا: أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالي يقع في شمال غرب البلاد مطلا على البحر الليغوري جنوبا ويحده شمالا إقليم بييمونتي وشرقا إقليما إميليا رومانيا وتوسكانا عاصمته جنوا. سكانه حوالي 1.609.013 نسمة ومساحته 5.410 كيلومتر مربع مقسم إلى أربع مقاطعات.

\*البيستو صلصة ظهرت في جنوة في إقليم ليغوريا الواقع شمال إيطاليا، والبيستو التقليدي يتكون من الثوم المفروم والريحان والصنوبر الأوروبي ممزوجًا بـزيت الزيتون وجبن بارميجيانو ريجيانو وفيوري ساردو.

\*حساء مينيستروني: حساء سميك من أصل إيطالي مصنوع من الخضراوات، مع إضافة المعكرونة أو الأرز ، وكلاهما في بعض الأحيان. تشمل المكونات الشائعة الفول والبصل والكرفس والجزر والمرق والطماطم.

\*تاليريني نوع من المعكرونة الشريطية الطويلة مثل السباغيتي حيث تكون بعرض اثنين إلى ثلاثة مليمتر، مشابهة لمعكرونة تالياتيلي، ولكنها رقيقة مثل الكابيليني. وهي وصفة تقليدية في كلٍ من منطقة موليز و بيدمونت في إيطاليا حيث تسمى في بيدمونت تالارين وتصنع من عجينة البيض. العجين يحتوي أيضا على السميد والدقيق والملح.

\*راغو: صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم أحيانا إضافة لحم الخيل، تعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا كما أنها موجودة أيضاً في منطقة كامبانيا.

\*البَانجَا كاودَا: طبق ساخن مصنوع من الثوم والأنشوجة، نشأ في بيدمونت بإيطاليا خلال القرن السادس عشر. يتم تقديم الطبق واستهلاكه بطريقة مماثلة لفوندو، في بعض الأحيان كفاتح للشهية، مع الخضروات النيئة أو المطبوخة التي تستخدم عادة للغمس فيه.

236 مُثِيْرٍ للإعْجَابِ حتَّى اليَوْمَ هوَ جَمْعُ "شيوني" وَصَفَاتٍ مِن أمَاكِنَ لَم تَكُن أكْثَرَ مِن نُقَاطٍ على الخَريْطَةِ بالنِسبَة للأَعزَب العَجوْز السَاحِر مِن بَلدَةِ "فورليمبوبولي"، مثْلَ "أبروزي" الإقلِيْم الذِي يَقَعُ شَرْقًا عبْرَ سِلسلَةِ جبَال أبينيني المُمتَدَّةِ من روما، ومنطِقَة بوليا مُشكِّلًا مَنطِقًة تُشبِه "كَعْبَ الحِذَاء"، والذِي منَح "شيوني" طبَق مارو المَجهُول نسبِيًّا لكنَّهُ مُميَّزٌ للغَايَة. يُشبِهُ المارو إلى حَدٍّ مَا نقَانِق الهَاجِيز، فهوَ مصنوْعٌ مِن أَمعَاء الخَروْفِ المَحشِيَّة بالأَحشَاء المَفروْمَة بعْدَ إِثرَائِهَا بالبَيْضِ المَسلوْق، السلَامِي، البَقدوْنِس ولَحْمِ الخِنزِيْر المُقدَّد ثمَّ طَهيِهَا عبْرَ شَيِّها في الفُرنِ أو على سِيْخِ الشِوَاء. أمَّا جزيْرَة صَقَليَة فقَد كانَت حَاضِرةً بشَكلٍ أكثَر إقناعًا في وصَفَات الكِتَاب ممَّا هِي في "عِلمُ المطبَخ": فهنَاكَ الكانولي، وهوَ أَنابيْبُ المعكروْنَة المقليَّة المُقرمَشَة المَحْشُوَّةُ بجُبنَة الريكَوتا المُحلَّاة والمُنكَّهة بالفَاكِهَة المُجفَّفة ورقَائِق الشُوكولَاتَة. هناكَ أيْضًا الطبَقُ الصقَليُّ المحَليُّ الخَاصُّ بالمديْنَة، المعكروْنَة المَخبوْزَة مِن كاتانيا، البَلدَة عنْدَ سفْحِ جَبَل إتنا شرْقَ الجزيْرَة.

تُعَدُّ مجموْعَة وصَفَات الملَازِم "شيوني" شامِلًة أكثَر مِن "علمُ المطبَخ" وبمَعْنًى آخَر: لقَد صفَّى جوْعُ الضُبَّاط أيَّ أثَرٍ للعَجرفَة تِجَاه الطابعِ المُمَيِّزِ للفَقر. تضمَّنَ "فَنُّ الطَهيِ" أطبَاقَ الفريكاسيس والفريكاندو الرَاقِيَة مِن بيدمونت والمتَأثِّرة بأُسلوْبِ الطَهيِ الفَرَنْسِي، ولكنَّه استوْعَب أيْضًا غِذَاءً رئيْسيًا شَمَاليًا كعَصيْدَة الذُرَة معَ الكُرَّاث المَغْلِي- والتِي خَصَّص لهَا "شيوني" وصفًة كَامِلَة. يُعلِمُنَا كِتَابُ "فَنُّ الطهي" بكيفيَّةِ تحضيْرِ قُنفُذٍ مَشوِيٍّ مَحشِي: حيْثُ أنَّ قِطَعًا مِن قِشْرِ جُبنَة البيكورينو هي المُكَوِّن السِرِّي للحَشوَة، وبِيتزَا الطَمَاطِم هيَ مِثالٌ آخَرٌ على ذَلِك: فشيوني لَم يُنقِذهَا فحَسْب مِن هوَانِ القذَارَة والمَرَض الذِي أَلحقَتهُ نابولي بهَا سنَةَ 1880، بَل وضعَها في المكَانِ الذِي تستَحِقَّه- في المرتبَةِ الأوْلَى بالقِسْمِ المُخصَّص للبِيتزَا.

عنْدمَا خاضَت إيطاليا الحرْبَ سنَة 1915، كانَت فكَرة إمكانيَّة تصويْرِ أسلوْبِ الطَهيِ الوطَنيِّ عبْرَ فُسَيفِساءٍ من التخَصُّصات المَحليَّة لَاتزالُ تُعتبَر حَدَاثًة، لقَد مهَّد بيلغيرينو ألاتوسي الطريْقَ لذَلِك نُشِرَت الطبْعَة النِهائيَّة لكِتَابهِ "عِلمُ المطَبخ" قبْلَ وفَاتِه سنَة 1911 بفَترَةٍ قَصيْرَة. لقَد تمَّ نشْرُ أوَّلُ كتَابِ طهْيٍ إيطَاليٍّ إقليْمِيٍّ مُعترَفٍ بهِ عَامَ 1909، وعنوَانهُ لوَحدهِ يُظْهِرُ كَم بدَت الفِكرَةُ مِن ورَاءِ ذَلِك مُبتكَرةً وجديْدةً: "المطبَخُ الحَديْثُ للتخَصُّصات الإقليمِيَّة". لقَد احتوَى الكِتَابُ على اثنَي عشَر طبقًا مِن تسْعِ مدُنٍ ومنَاطقَ وكانَ عمَلًا ضئيْلًا مُترَدِّدًا، فلقَد نسخَ بعْضًا مِن وَصَفَاتِ "أرتوسي"، غيْرَ أنَّ وَصَفاتهِ الأُخرَى لَم تكُنْ مُقنِعًة- فصَلصَة البيستو خاصَّته تحتَوِي على "جُبنَةٍ هولنْديَّة". مِن المُحتمَلِ أَن يُحجِمَ حتَّى صَانِعُ صَلصَة بيستو مُتسَاهِلٌ مثْلَ الملَازمِ شيوني عَن ضَمِّ جُبنَة إدام.

--------

\*جبل إتنا: بركان نشط على الساحل الشرقي من صقلية، بالقرب من ميسينا وكتانيا. ومن أكبر البراكين النشطة في أوروبا الآن. يرتفع حوالي 3326 متر وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا يختلف مع الانفجارات وهو الآن 21.6 م أقل مما كان عليه في 1865. وهو أعلى جبل في إيطاليا يقع جنوب جبال الألب.

\*طبق فريكاندو:طبق من لحم البقر المقلي مع الفطر، يعود للقرن الثامن عشر، وكان يتم تناوله أيام الآحاد، ويغدو مذاقه ألذ عند إعادة تسخينه اليوم التالي.

\*جبن بيكورينو: عائلة من الجبن الإيطالي الصلب المصنوع من حليب الأغنام. الكلمة مشتقة من البيكورا الإيطالية التي تعني "الأغنام".

\*جبنة إدام: جبنة شبه صلبة نشأت في هولندا، وسميت على اسم بلدة إدام في مقاطعة شمال هولندا. تُباع تقليديًا على شكل أسطوانات مستديرة ذات باطن أصفر باهت ومعطف أو قشرة من شمع البارافين الأحمر.

\*سلسلة جبال الأبينيني: سلسلة جبال تمتد لمسافة تقدر بألف كم في إيطاليا من الشمال إلى الجنوب على طول الساحل الشرقي وتشكل العمود الفقري للبلاد.

\*بوليا منطقة في جنوب شرق إيطاليا مطلة على البحر الأدرياتيكي في الشرق و البحر الأيوني إلى الجنوب الشرقي و مضيق أوترانتو و خليج تارانتو في الجنوب. جزءها الجنوبي يعرف باسم سالنتو و هو شبه جزيرة تشكل كعب "الجزمة" الإيطالية. تبلغ مساحة الإقليم 19345 كيلومتر مربع و تعداد سكانه حوالي 4 ملايين.

237 إنَّ الخُلَاصَة الوَافِية لكِتَابِ "فنُّ الطَهي" أَسمَى وأكثَر تمثيْلًا لثرَاءِ فَنِّ طهْيِ الطعَامِ الإيطَالِي وتذوُّقهِ مِن كِتَاب "المطبَخُ الجديْدُ للتخَصُّصات الإقليميَّة". والوَاقِع أنَّ الحَقيقَة المؤثِّرة والملحوْظَة، هيَ أنَّ أَسرَى الحَرب المتضَوِّرينَ جوْعًا في المُعسكرَات المُؤقَّتة بمَديْنَة "سيلي"، قَد تمكَّنوا مِن إنتَاجِ مُنَافسٍ حَقيقِيٍّ لكِتَاب أرتوسي "عِلمُ المطبَخ" كأفْضَل كِتَابِ طَهْيٍ إيطَاليٍّ أُلِّفَ حتَّى الآن.

أيْنَ بالإمكَانِ ابتكَارُ مثْلَ هذَا الكِتَاب الرَائِع؟ منْذُ تَأسيْسِ الدَولةِ الإيطاليَّة عَام 1861، تمَّ تَعيِينُ مُجنَّدي جيْشِ الأُمَّة الحَدِيْثَة ضمْنَ وحَدَاتٍ مكوَّنَةٍ مِن رجَالٍ مُنتَميْنَ لمنَاطقَ مُتنَوِّعة، وهيَ سَياسَةٌ تهدِفُ إلى دمْجِ الفلَّاحيْنَ بالإيطاليِّين. وهكذَا بالنسبَةِ لكثيْرٍ مِن الجُنود، انطوَت حيَاةُ الجيْشِ على مُقابَلة موَاطنيْهِم من سُكَّان الريْفِ القَادميْنَ مِن مناطقَ نائيةٍ للمرَّة الأُولَى. وخلَالَ الحرْبِ العُظمَى، وفي مخيَّماتِ أَسرَى الحَربِ التِي انتشرَت في أرَاضِي القُوَى المِحوريَّة باتَ هناكَ المزيْد مِن الاختِلَاط المنَاطقِي. وبيْنَ الضُبَّاط، على الأقَل، باتَ يوجَدُ سَعْيٌ لإعَادَةِ ابتِكَار حِوَارِ الطَهيِ بيْنَ المدُن، الذِي نقلَ الطعامَ الإيطاليَّ لتلكَ المستويَاتِ الرَفيْعَة في العصوْرِ الوسْطَى وعصْرِ النَهضَة؛ وذَلِك ضمْنَ شَكلٍ مُصغَّرٍ بيْنَ الأكوَاخِ الخشبيَّةِ لمُعسكرَات الاعتِقَال في ولَايَة سكسونيا البَعِيْدة.

لقَد كانَ كتَاب "فنُّ الطَهي" مشروْعًا تعَاونيًّا، فمِن الوَاضحِ أنَّ الملَازم شيوني ومسَاعِدَه الملَازم الثاني لويجي مارزا (لَا يوُجَد شَيءٌ معروْفٌ عنْهُمَا) قَد دوَّنَا مَا أخبرَهُم بِه إخوتُهُم الضُبَّاط المُنتَمِونَ إلى مَنَاطِقَ أُخرَى مِن إيطاليا. يُعلِمُنَا مُحتوَى بعْضِ الوَصَفات بالقَليْلِ مِن صَدَى نِقاشَاتهِم، وعَن صِرَاع اللَّكنَات واللَّهجَات مِن جَميْعِ أنحَاءِ شِبهِ الجَزيرَة الإيطاليَّة. لَابُدَّ أَن أحَدَ أُخوَة "شيوني" الضَبِاط كانَ مِن روما، حيْثُ السبَاغِيتي بصَلصَة آلا أماتريسيانا طبَقٌ مُفضَّلٌ هُنَاك. تستَمِدُّ الصَلصَة اسمَهَا مِن بَلدَة "أماتريس" الصَغِيرَة على الجِبَال إلى الشمَالِ الشَرقِي مِن العَاصِمَة، وتتكوَّنُ مِن الطَمَاطِم وقِطَع لحْمِ الخِنزِير الدُهنيَّة تُغطِّيها طبقَةٌ مَالِحَةٌ مِن جُبنَة بيكورينو الرومانيَّة. حصَلَ "شيوني" على الوَصفَةِ بشَكلٍ صَحِيح، لكنَّه دوَّن عُنوانهَا بطَريْقَةٍ خاطِئَة هي أليا مادريغيانا- وهوَ مَا بدَت بالنسبَة لَه كشَخصٍ شَمَالِي، عنْدمَا نُطِقَت باللَّهجَةِ الرومانيَّة. يُعَدُّ "فَنُّ الطَهيِ" أيْضًا وَثيْقًة جديْرًة بالثِقَة للانقِسَام الإيطَالِي الكَبِير حوْلَ نُطقِ كَلِمة الأُنشوْفَة، فَفِي الشَمَال والوَسَط تُدعَى هَذهِ الأَسمَاك الصَغِيرة المتنَوِّعة الاستِخدَام، بالأكشوكة بيْنمَا يُطلِقُ عليْهَا سُكَّان الجنوْبِ اسْمَ أليجي، وقد عمَدَ المُلَازِمَان بشَكْلٍ وَفٍّي إلى كِتابَة اسْمِ الأكشوكة في الوَصَفَات الشَماليَّة، وأليجي معَ تلْكَ الجَنوبيَّة.

على الرَغْمِ مِن أصَالَة الوَصَفَات الإقليمِيَّة في كِتَاب "فَنُّ الطَهي"، فإنَّ إيطاليا التِي أُعِيدَ تَصويْرهَا بوَلَعٍ مِن خِلَال الطعَام عبْرَ الملَازم شيوني لَا وجوْدَ لهَا في الوَاقِع. لَايُمكِن استِحضَار مثْلَ هذَا العِيدِ الوَطَني إلَّا في ذِكريَات رِجَالٍ يتضوَّروْنَ جوْعًا بعيْدًا عَن الوَطَن.

---------

\*سكسونيا: ولاية بألمانية الاتحادية. تقع على الحدود مع بولندا ومع جمهورية التشيك. كانت قبل الوحدة الألمانية إحدى أهم ولايات جمهورية ألمانيا الديمقراطية. عاصمتها درسدن وأكبر مدنها لايبزيغ.

239 بشَكلٍ مَلحوْظ، لَم يكُن الملَازم "شيوني" أوَّل سَجيْنِ حرْبٍ وجَد العزَاءَ في الكِتابَة عَن الطعَام. في الحَقيْقَة لمَ يكُن الوَحِيد في مُعسْكَر مديْنَة "سيلي" الذِي فعَل ذَلِك. جوشوا فيورينتينو من بالما دي مونتيتشيارو بالقُربِ مِن أغريغينتو على السَاحِل الجَنوبِي لصَقَليَة، قَد كانَ ملَازمًا ثانِيًا آخَر تمَّ أَسرُهُ بأعْقَابِ معرَكَة كابوريتو، واقْتِيد إلى "سيلي" ليَجمَع الوَصَفات في الأَسْر، وبرَغْمِ أنَّ كِتابَهُ أقلَّ شُموْلًا وتمَّ تقديمْهُ برُقِيٍّ أقَل، إلَّا أنَّه تميَّز بالعَديْدِ مِن السِمَات التِي تمتَّع بِهَا "شيوني"، لقَد قامَ بمَزجِ أَطبَاقِ النُخبَة معَ تلكَ الشَعبيَّة، وأعادَ إنتاجَ الوَصَفات مِن جميْعِ أَنحَاء إيطاليا، بِدءًا مِن كُرَات الأَرُز الصقَليَّة إلى الكولينجونس السَردينِيَّة (ظروْف مَعكرونَة يَتِم حَشوهَا بالجُبن والخُضروَات)، ومِن المعكروْنَة الرومانيَّة معَ الباجاتا (أمعَاءُ العِجْل) إلى شَرائحِ لحْمِ العِجْل المَقليَّة معَ فُتَات الخُبز الميلَانيَّة. في الحَقيْقَة لقَد خانَت الوَصَفَات الصَقليَّة أُصولهَا المُتنَوِّعة بشَكلٍ أكثَر وضوْحًا، وذَلِك عنْدمَا كُتِبَت على أَيدِي رِجَالٍ مُختَلفِين- هم زُملَاؤهُ المُعتقَلونَ في الكوْخِ ب98.

لَا تُوجَد علَامةٌ واضِحةٌ على وجوْدِ اتِّصَالٍ بيْنَ "شيوني" و"فيورينتينو" أثْناءَ جمعهِما لمُختارَاتهِم من الوَصَفَات، والتِي بدَت مُختلفًة إلى حَدٍّ كَبِير. معُسكَر "سيلي" المؤقت مكَانٌ كَبِير، ولعَلَّه قَد حدَث أنَّه بذَات المُعسكَر والوَقْت، وصَل هذَان الشابَّان الجَائِعان القاَدِمَان مِن طَرَفَينِ مُتعَاكِسَين في إيطاليا، إلى الطَريقَةِ نفْسِها لتخَفيِفِ آلَامِ الفَاقَة والحَنيْنِ للوَطَن، ولَكِن بشَكلٍ مُستَقِل. إذَا كانَ الأَمرُ كذَلِك، فهَذا دليْلٌ وَاضِحٌ على مكَانَة الطعَام في الهَويَّة الوطنيَّة الإيطاليَّة. مَا مِن طريْقَةٍ لمَعرِفَةِ كَم يوجَدُ مِن بيْنِ مئَاتِ آلَافِ السُجنَاء الإيطاليِّين المنتَشِريْن في جميْعِ أنحَاءِ ألمانيا والإمبرَاطوريَّة النِمسَاويَّة-الهِنغَاريَّة، والذيْنَ أبدُوا ردَّ فِعْلٍ على مِحنَتهِم بذَاتِ الطَريْقَة.

بعْدَ الهُدنَة، عادَ "جوزيبي شيوني" إلى جَنَوَة عَام 1919، فتزوَّج مِن خطيبَتِه في السَنة ذاتها، وأَمضَيا شهْرَ العسَلِ في "توسكاني" قبْلَ أَن يعوْدَ إلى وظيفَتهِ كنَائبِ مُديْرِ محَطَّة قِطارَات. بَقِي كِتَابُ طَهيِه سِرًا لمدَّة جِيلَين، لكِنَّه يُعَدُّ الآنَ كنْزًا عائِليًا. أمَّا "جيوسو فيورينتينو" فقَد نجَا مِن الحَربِ أيْضًا، ونالَ شهادَة الهنْدسَة مِن كُليَّة العلوْمِ التطبيقيَّة بميلَان، وأصْبحَ عُمدًة اشتِراكيًّا في مَسقَطِ رَأسِه صَقَليَة، وقامَت ابنَةُ أَخيْهِ بنَسخِ كِتَابِ طَهيِهِ حديْثًا لبَقيَّة أفرَادِ العَائلَة.

240

ظَفِرَت الأرْضُ التِي عادَ إليْهَا هؤلَاءِ الرِجَال بالنَصْر في نِهايَة المطَاف، ولَكِن سُرعَان مَا حوَّلهَا هذَا الانتِصَار إلى بَلَدٍ انتشَر فيْهِ الشَغَبُ والقِتَالُ على الطعَامِ في الشَارِع، وعانَى النِظَامُ السِيَاسِيُّ الضَعِيْفُ مِن ضربَاتٍ قَاتِلَةٍ لمِصْدَاقيَّتهِ خلَالَ الحَرْبِ العُظْمَى، وفي عَام 1922 فرَضَت قوَّاتُ القُمصَانِ السَودَاءِ التَابِعَة لموسيليني نفْسَها على الأَزْمَة، فأَسَّسوا أوَّلَ دوْلَةٍ فَاشِيَّةٍ في العَالَم، غَيْرَ أنَّهُ على الرغْمِ مِن أنَّ المطبَخَ الإيطاليَّ سيُوَاصِلُ تطَوُّرَه خلَالَ عقدَيْنِ مِن الدِكتَاتوريَّة، فإنَّ مشَاكِلَ الجَوْعَى بَقِيَت دوْنَ حَلٍّ لهَا، فتعيَّن تأجيْلُ ثَورَةِ الطعَامِ مرًّة أُخْرَى.

-----------

\*قوات القمصان السوداء: في الأصل هي الجناح شبه العسكري للحزب الوطني الفاشي، وبعد عام 1923، باتت مليشيا متطوعة بالكامل من مملكة إيطاليا تحت الحكم الفاشي، على غرار قوات إس إس في ألمانيا النازية.

====

**الباب الخامس**

**الفَاشِيُّوْنَ\* فِي المَطْبَخ**

**14**

**روْمَا 1925-1938**

**------------------------------------**

**قَرْيَةُ موسيليني الرِيْفِيَّة**

لَا يُفْتَرَضُ أَن يَكوْنَ الفَاشِيُّوْنَ مِن مُحِبِّي الطَعَام. لقَد كانَ هُنَاكَ شَيءٌ لَا يَمُتُّ للفَاشِيَّةِ بشَكلٍ أسَاسِيٍّ بشَأنِ تنَاولُ الطعَامِ بأَيِّ طَريْقَةٍ كانَت سِوىَ الطَريْقَة العمَليَّة الأَسْرَع. فضَّلَ أوائل فَصِيْلِ القُمْصَانِ السَوْدَاء تنَاوُلَ "حِصَصِهِم مِن الطَعَام" عنْدَ انْشِغَالِهِم بأدَاءِ الوَاجِب —وهوَ تَفضِيْلٌ يتنَاسَبُ معَ هدَفهِم المُتمَثِّل بإعَادَةِ انْضِبَاط الخنَادِقِ إلى الحيَاةِ الإيْطَاليَّة بعْدَ الحَرْبِ العُظمَى. أحَبَّ "بينيتو موسوليني" التَأكِيْدَ بإصْرَارٍ على عَدَمِ إمْكَانيَّةِ أَيِّ أحَدٍ أَن يُمْضِيَ أَكثَر مِن عَشْرِ دقَائقَ على طَاوِلَةِ الطعَامِ فِي اليَوْم، وبمُجرَّدِ تأسِيْسِ دِيكتَاتوريَّة الدوتشي (الزَعِيْم) راحَت السِيَرُ الذَاتِيَّة المُتمَلِّقة تُشَدِّد على عادَاتِ تنَاولِه الطعَام المُقتَصِدة والمُنضَبِطَة ذَاتِيًا، فلَا شَيءَ على الإفْطَارِ سِوَى الحَليْبِ الدَافِئ، وشَريْحَةٍ مِن اللَّحمِ أَو السمَكِ أَو عِجَّةِ بيْضٍ معَ الخُضَارِ المَسلوْقَةِ بوَجْبَةِ غدَاءٍ مُتَأخِّرَة، ولَا شَيءَ قَيِّمٌ أَكثَرَ مِن تنَاولِ الحَليْبِ معَ قِطعَةٍ من الفَاكِهَةِ على العشَاء. نادِرًا مَا أظهَرتْهُ صُوَرُ الدعَايَةِ السِياسيَّةِ جالِسًا فمَا بالُكَ بتنَاولِ الطعَام. فِي الحَقيْقَة، لقَد امْتلَكَ خِصَالًا سيِّئًة حيْثُ كَرِهَ تنَاولَ الطعَامِ برِفْقَةِ أحَد. مِن المُرجَّح أَن يكوْنَ ذَلِك بسبَبِ إصَابَتهِ بقَرحَةٍ بَغيْضَةٍ في الاثْنَي عشَر تَمَّ تَشخِيصُها أوَّل مرَّةٍ عَام 1925، أدَّت إلى وَضعِهِ على حِمْيَةٍ غِذائِيَّةٍ اسْتِثنَائيَّة، ومِن هُنَا جَاءَ كلُّ هذَا الحَليْبِ والفَاكِهَة. إنَّ أيَّ أحَدٍ يُشَارِكَهُ وجْبةَ طعَامٍ سيَغْدو حِينهَا مُطَّلِعًا على أحَدِ أَسرَارِ النِظَامِ الأَكثَر إحْرَاجًا: الزَعيْمُ الذِي مِن المُفترَضِ أَنه يتَّصِفَ بالحيَويَّةِ والبُنْيَةِ القويَّةِ كانَ مُعتَلَّ الصِحَّةِ في َأغْلَبِ الأَوْقَات.

وبحَسَبِ طَبِيْعَةِ "موسوليني"، أَو على الأَقَل وِفْقَ دِعَايَتِهِ السِيَاسيَّة المُبتَدَعَة، مِن المُفترَضِ أَنْ يتَّسِمَ الفَاشِيُّونَ بالقَسْوَةِ والعَدَائِيَّةِ معَ أَنَفَةٍ مُفعَمةٍ بالحَيويَّة ضِدَّ العيْشِ الرَغِيْد، أمَّا فِكرَةُ العشَاءِ فَفِيْهَا شَيءٌ يَبعَثُ على الدُوَار.

----- \*الفاشية: أيديولوجية وتيار سياسي فكريّ يميني، ظهرت في أوروبا في العقد الثاني من القرن العشرين، وأعطت للسلطة التنفيذية كافة الحقوق وفضلتها على بقية السلطات، كما أنّها مجّدت مبادئ الدولة إلى حد تقديسها، وارتبطت الحركة الفاشية بالحركات الألمانية النازية والإيطالية، والتي سيطرت على الحكم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ومن القادة الفاشيين المعروفين في القرن العشرين هتلر في ألمانيا، وموسوليني في إيطاليا، وفرانسيسكو فرانكو في إسبانيا وخوان بيرون في الأرجنتين.

\*موسوليني: بينيتو أندريا موسوليني حاكم إيطاليا ما بين 1922 و1943. شغل منصب رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها، سمي بالدوتشي أي القائد من عام 1930م إلى 1943م. يعتبر موسيليني من الشخصيات الرئيسية المهمة في خلق الفاشية.

\*دوتشي: دوتشي هو لقب إيطالي مشتق من الكلمة اللاتينية دوكس ولفظ قريب من الدوق. أطلق على زعيم الحزب الوطني الفاشي بينيتو موسوليني فأصبح لقبه "سعادة بينيتو موسوليني، رئيس الحكومة، ودوتشي الفاشية ومؤسس الإمبراطورية الإيطالية.

243 في وَاحِدَةٍ مِن أكثَرِ خُلَاصَاتهِ أهميًّة عَن العَقيْدَةِ المُضطَرِبَةِ للفَاشِيَّة والتِي نُشِرَت عَام 1932، أَعْلنَ "موسوليني":

*تُجَاهِر الفَاشِيَّةُ أنَّ المَفهوْمَ المَاديَّ "للسَعَادة" غيْرَ مُمكِنٍ... وبعِبَارَةٍ أُخرَى فإنَّها تَنْفِي المُعَادلَة القَائِلَة أنَّ الحيَاةَ الرَغيْدَة= السَعَادَة. ذَلِكَ هوَ المَنظوْرُ الذِي سيُحَوِّلُ الرِجَالَ إلى حيوَانَاتٍ ولَا يوْجَد بأَذهَانهِم سِوَى أَمْرٍ وَاحِد: أَن يَتِمَّ إطعَاَمُك وتَسمِينُك.*

وفْقًا لذَلِك فقَد استهْدفَت الدِعَايَة السِياسيَّةُ للنِظَام عَام 1930 النَهَمُ الخَامِلُ لأَعْدَائِه: اشْتُهِرَت الولَايَاتُ المُتَّحِدةُ بأَنَّهَا "حضَارةُ شرَائحِ لَحْمِ البقَر" والإنْجِليز الذيْنَ هُم " شَعْبُ الخَمْسِ وجَبَاتٍ فِي اليَوْم".

لقَد أظْهَر "موسوليني" نفْسَهُ كَرِيَاضيٍّ غيْر مُسْرفٍ في طَعَامِه، وهِيَ صوْرَةٌ تتوَافَقُ معَ الصًوْرَة المُبتذَلَةِ حوْلَ الشَخصِيَّةِ الإيطَاليَّة الوطَنيَّة المَوجوْدَة منْذُ فَترَةٍ طَويْلَةٍ قبْلَ أَن يتَبنَّاهَا: إنَّ الإيطَاليِّين شَعْبٌ مُقتَصِدٌ ورَزِيْن، مَعَ مَيْلٍ طَبِيعِيٍّ ليكونوا نبَاتِيِّين. إنَّها أُسطوْرَةٌ مُفيْدَة، فقَد أوْجَدَت فَضِيلةً نَابِعةً مِن الفَقْرِ المُدْقِع، ممَّا أَخْرجَ اللَّحْمَ مِن النِظَامِ الغِذَائِيِّ للعَديْدِ مِن الفَلَّاحيْنَ بسَبَبِ غلَاءِ ثمَنِه، بيْدَ أنَّ الفَاشيَّة أَدخَلَت هذَا الأَمْرَ المُتعَارَف عليْهِ والمُنَاسِب ضمْنَ عَقِيدَةٍ كَامِلَةٍ مَبْنِيَّةٍ على تَقديْسِ الرِيْفِ والإمْبرَاطوريَّةِ الروْمَانيَّة. إنَّ أحَد مُعتقدَات النِظَام الرَئيسيَّة هو وجُوْبُ أَن تكوْنَ إيطاليا "ذَاتَ مَظْهَرٍ رِيفِي" لأنَّ الحيَاةَ فِي المدُنِ الصِنَاعيَّة تُفْسِدُ فحُوْلَة الأُمَّة—"تَطْهِير الشَعْب"—وبالتَالِي حِرمَانُ البلَدِ مِن رِجَالهِ المُقَاتِليْن المُستَقبَليِّيْن. لقَد كانَ الإيطاليُّوْنَ دَعَامةً ريفِيّةً وهُم كحَالِ الفلَّاحيْنَ المُقاتلِيْنَ في روما القَديْمَة سيتَقدَّموْنَ للهَيمنَةِ على البَحْرِ المُتوسِّطِ باليَسِيْرِ مِنَ الخُبْزِ والأَعْنَاب مِن حيْنٍ لآخَر.

بعْدَ تَفكيْكِ "موسوليني" للدِيمُقرَاطيَّة ، بدَأَت التحَرُّكَاتُ بسُرعَةٍ لوَضْعِ الطعَامِ الإيطَاليِّ على مشَارفِ حَرْبٍ دَائِمَة، فأُعلِنَت معركَةُ الحبوْبِ فِي شَهْرِ يوليو عَام1925- كانَت أوَّلَ حَملَةٍ دِعَائيَّةٍ كُبْرَى للنِظَام. تَمَّت زِيَادَةُ الضرَائبِ المَفروْضَةِ على القَمْحِ المُستَورَد، وتَشجِيْعِ الإنْتَاجِ الوطَنِي، بهَدَفِ جعْلِ إيطاليا بلدًا مُكتفِيًا ذاتِيًّا مِن القَمْح (يَنبغِي إضَافَةُ تَعزيْزِ دَعْمِ النِظَامِ لطبقَاتِ مُلَّاكِ الأرَاضِي فِي وَادِي بو). تمَّ حَضُّ النَاسِ على تنَاولِ المُنتجَاتِ الوَطنيَّة كالأَرُز، السمَك، والجُبْنَة. وتمَّ تبْجِيلُ الخُبْزِ بشَكلٍ رَسمِيٍّ على وجْهِ الخُصوْص، حتَّى إنَّ الزَعيْمَ قَد كتَبَ قَصِيدةً رفَعَ فيْهَا شِعارَاتٍ بخُصوْصِ هذَا المَوضوْع، مَطْلَعُهَا: " الإيطَاليُّونَ يُحبُّوْنَ الخُبْز". 244

الخبْزُ المُبجَّل

مَجْدُ الحُقوْل

وعَبَقُ الأَرْض

ومَأدُبَةُ الحَيَاة

بيْدَ أنَّ التَمجِيْدَ الفَاشِيَّ لرَغيْفِ الخُبزِ واجَهَ عقبةً أسَاسيَّة: فبِالكَادِ يوجَدُ مَا يَكفِي منْهُ ليتقَاسَمهُ النَاس. فِي النِهَايَة لَم يسْتَطِع "موسوليني" تحريْرَ إيطاليا ممَّا أُطلِقَ عليْهِ "العُبوديَّة" للرَغيْفِ الأَجنَبِي. كانَت الحرْبُ لأَجْلِ الحُبوْبِ خَاسِرة؛ فتَأثيرَهَا الرَئيسُ يَكْمَنُ بعَدَمِ توَافُرِ مَا هوَ مُتَاحٌ مِنْهَا سِوَى كَمِيَّةٍ قَلِيْلَةٍ وبسِعْرٍ بَاهِظ، وتَقريْبًا باتَ الحُصوْلُ على كُلِّ الموَادِّ الغِذائيَّةِ أَصْعبَ خِلَالَ الفَاشِيَّة، وهذَا مَا بَاحَ بهِ المَقطَعُ الأَخيْرُ مِن قَصِيدَةِ "موسوليني":

لَا تَهْدُر الخُبْز

ثَروَةُ أَرْضِ الأَجْدَاد وأَجْمَلُ هدَايَا الله

المُكافَأةُ الأكثَرُ قدَاسةً لكَدْحِ الإنْسَان

لعَلَّ الإيطَاليِّينَ قَد أحَبُّوا الخُبْزَ بقَدْرِ مَا أرَادوْه- غَيْرَ أنَّهُم لَم يَستَطيْعوا تنَاولَ الكَثيْرِ مِنْه. واصَلَ مزيْجُ التقَشُّفِ والدِعَايَةِ السِياسِيَّةِ بِوَصْفِ الطعاَمِ الإيطَاليِّ بالمِثَالِي خلَالَ عَقدَينِ مِن الحُكْمِ الفَاشِي. ومعَ ازدِيَادِ صُعوبَةِ الظُروْف، استمَرَّ "موسوليني" في المُطالبَة بالتَضْحِيَةِ أَكثَر فأَكثَر مِن شَعْبِه، لأَجْلِ تَأسِيْسِ الإمْبرَاطوريَّة الرومَانيَّة الجَديْدَة.

وهكَذا حتَّى حيْنَ كانَت الفاشيَّةُ في أَوْجِ عظَمَتِها، تناوَلَت جموْعُ الإيطاليِّينَ طَعامًا أَردَأ ممَّا اقْتَاتَت علَيْهِ قبْلًا. تُظهِرُ تقديْرَاتُ مُتوَسِّط السَعرَاتِ الحَرارِيَّة التِي استَهلكَهَا عُمَّالُ المدُنِ يوميًا انخِفاضًا مِن 2954 حُريْرَة عَام 1926 إلى 2476 حُريْرَة عَام 1936، حدَث ذَلِك عنْدمَا بَرْهنَ خُبرَاء التَغذِيَة أنَّ حَاجَة الرَجُلِ المُشَارِكِ في أعمَالٍ جسَديَّةٍ مُتوَسِّطَةٍ هيَ 3000 حُريْرَة يَوْميًا. لقَد تمَّ تَصويْرُ الفلَّاحيْنَ مِن قِبَلِ أَجِنْدَةِ النِظَامِ بأنَّهُم الأَكثَرُ صِحّةً وصَلَاحًا فِي العِرْق، ولَكِن عموْمًا فإنَّ لدَيْهِم الكثيْرَ مِن الأُموْرِ الأشَدّ صَرامةً على الإطْلَاق. يُعَلِمُنا تاريْخُ تَغذِيَةِ الحُشوْدِ خِلَال الحِقْبَةِ الفَاشِيَّة بالقِصَّةِ القَديْمَةِ ذَاتهَا للمُعاناَةِ الريْفِيَّة، إِذَا كانَت هَذهِ القِصَّة قَد استمَرَّت لفَترَةٍ أَطوَل فِي إيطَاليا مِن بَاقِي البُلدَان الأُوروبيَّة، فحِيْنَها يُمْكِنُ إلقَاء اللَّوْمِ بشَكلٍ جُزئِيٍّ على عِشريْنَ سنةً مِن الحُكمِ الاسْتِبدَادِي هي.

إنَّ أُسطوْرَة الفَاشِيَّة المُتمَثِّلة بالاقتِصَاد فِي المَأكَلِ والمَشْرَب بدَت قَويًّة للغَايَة، حتَّى إنَّ النِظَامَ حاوَلَ 245 مِن حيْنٍ لآخَر رَبْطَ نفْسِه بثرَوَاتِ المَطْبَخ الإيْطَالِي، وأحد الأَمثِلَة الهَامَّة على ذَلِك حدَثَت عَام 1938، عنْدمَا أُقِيْمَ مَعرَضٌ لأَطعِمَة الأقَاليْمِ فِي قَريَةٍ اسْتثنَائيَّةٍ إلى حَدٍّ كَبِيْر- حوى مَا لَا يَقِل عَن سَبعَةِ مطَاعِمَ محَليَّةٍ مُميَّزةٍ مِن منَاطقَ مُختَلفةٍ في إيطاليا. غَيْرَ أنَّهُ حتَّى في هذَا التَجسِيد المُتقَن للمِثاليَّة الريفِيَّة الفَاشِيَّة، لَم يكُن بالوِسْعِ إخفَاءُ البَصمَةِ المَدَنيَّةِ للطعَامِ الإيْطَالِي، لأنَّ هَذهِ المطَاعِم قَد مثَّلَت مدُنًا مثْلَ تورينو، فلورنسا، نابولي. ولسبَبٍ آخَر لاعْتِبَارِ هَذهِ "القَريَة الريفِيَّة" كمَا تمَّ تَسميَتهَا قَد بُنِيَت بشَكلٍ خَاصٍّ على مَا تبقَّى مِن: سِيْركِ ماكسيموس حيْثُ كانَت روما القَديْمَة تُقِيمُ سِباقَاتِ عربَاتِهَا الحَربيَّة.

افتَتَح "موسوليني" المَعرضَ في الـ24 من مايو، وأمْضَى وقْتَهُ مُتَجَوِّلًا فِي الأَرجَاء، بيْنمَا ارْتدَى أعضَاءُ مُنظَّمَةِ النشَاطَاتِ التَرفِيهِيَّة الحُكومِيَّة أَزيَاء الفلَّاحيْنَ التَقليدِيَّة، ورقَصوْا حوْلَ الناَفوْرَةِ الجَميْلَةِ فِي سَاحَةِ القَريَة. تمَّ تَزيْينُ المَطعَم النَابولِيِّ بلَوحَةٍ جِدَاريَّةٍ لبُركَانِ "فيزوف" وهوَ يَنفُث دُخانًا مِن البَعِيْد فوْقَ الخَليْج، وغنَّى كبيْرُ طُهاتِه بصوْتٍ حَزيْنٍ جَهوْرٍ على أَنغَامِ آلَةِ المَندوْلِين، ثمَّ توَقَّفَ عَن الغِنَاءِ لِكَي يَنشَغِلَ بتَحْضِيرِ الشعِيريَّةِ معَ المَحَّار، وشَرائِحَ اللَّحمِ بصَلصَةِ الطَمَاطِم، وجُبنَةِ المُوزَاريلَّا "فِي العرَبَة"- وهِيَ شطَائِرُ جُبنَةٍ صَغيْرَة يَتِمُّ قَليهَا بعْدَ تَغطِيتِهَا بالزُبْدَة. عنْدمَا حضَرَ "موسوليني" بعْدَ طوْلِ انْتِظَار، أحَاطَ أطفَالُ كَبيْرِ الطُهَاةِ الخَمْسَةَ عشَرَ بهِ فِي الحَال، فبَدَا السُروْرُ على مُحَيَّاهُ بوضوْحٍ مِن هذَا الدَليْلِ على فَرْطِ النشَاطِ الِإنْجَابِي، فعمَدَ "موسوليني" إلى مَنْحِ وَالدِهِم مَظروْفًا مِن المَال. انتصَب في أحَدِ أَركَانِ القَريَةِ "خان ليغوري"، حيْثُ راحَ البحَّارَةُ وصيَّادو الأَسْمَاكِ المُزيَّفوْنَ يتنَاولوْنَ حسَاءَ المينيستروني أو مَعكروْنَة الترينيته معَ صَلصَة البيستو وسْطَ الحِبَالِ المُلتفَّة وعوَّامَات النَجَاة، صرَّحَ أحَدُ الصِحافيِّينَ مِن حَاشِيَةِ الزَعيْم: "بوِسْعِكَ حقًا اسْتِنشَاقُ هوَاءَ البَحْرِ والسُفُن"." بدَا الأَمْرُ وكأنَّكَ فِي أَحيَاءِ جَنَوَة الصَغيْرَة قُرْبَ الأَرصِفَة البَحريَّة".

كانَ بوِسْعِ المَطعَمِ الفلورَنسِيِّ الكَبِيْرِ إطعَامُ 200 شَخْصٍ على وَجْبَةِ العشَاء، بإِجمَالِيٍّ يَومِيٍّ بلَغَ 330 رِطْلًا مِن شَرَائحِ اللَّحْمِ المَشويَّة الفلورَنسِيَّة و 88 رِطْلًا مِن طبَقِ الفاغيولي أوتشيليتو - فَاصوْليَاء كانيلليني العَاجِيَّةِ اللَّوْن فِي صَلصَةِ الطمَاطِم والثُوْم، أمَّا روما فقَد مثَّلهَا مَصْنَعُ نَبيْذٍ قَديْمٌ حيْثُ يَسَتطيع الزوَّارُ الجلوْسَ أمَامَ مَوقدِ حَطَبٍ جِدَارِيٍّ و تنَاولَ السبَاغِيتِي بصَلصَة الأماتريتشانا، الأَمعَاء، ذَيْلِ الثَوْر، الحمَل الرَضِيع. بيْنمَا كانَت الحَانَةُ الفِينيسِيَّة عبَارةً عَن شُرفَةٍ خَارجِيَّةٍ في الطَابقِ الأوَّلِ انْتصَبَت فوْقَ قَوسٍ حجَرِي- كلُّ مَا يَنقصُهَا هو قنَاةٌ مَائيَّةٌ تتَدفَّقُ مِن تَحتِهَا. وهُنَا قامَ أحَدُ كِبَارِ الطُهَاةِ الرَائديْنَ للمَديْنَة بالطَهْيِ بسُرعَةٍ أَرُزًا معَ البَازِلَّاء (ريزي أي بيسي)، الكَبِد على الطريْقَة الفِينِيسِيَّة، عَصِيدَة الذُرَة معَ "الطيوْرِ الهَارِبَة"- ليْسَت طيوْرًا على الإطْلَاق، بَل شرَائِحٌ مَلفوْفَةٌ مِن لَحْمِ مِتْنِ الخِنزيْرِ، ولحْمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد المُنكَّهَةِ بالمِريمِيَّة. كانَ المَطعَمُ يُزوَّدُ يوْمِيًا بالأَسمَاكِ التِي يَتِمُّ إحْضَارُها بالطَائِرَة مِن البُحَيرَةِ الشَاطِئيَّة. ----------- \*المندولين: آلة موسيقية وترية ذات رقبة نحيفة متَّصلة بجسم كُمثّْريّ الشكل يشبه العود.

\*حساء المينيستروني: حساء سميك من أصل إيطالي مصنوع من الخضراوات ، مع إضافة المعكرونة أو الأرز، وكلاهما في بعض الأحيان. تشمل المكونات الشائعة الفول والبصل والكرفس والجزر والمرق والطماطم.

\*ترينيته: هو نوع من المعكرونة المجففة التي تكون ذات شكل مسطح ونحيل وتأتي من من جنوة و ليغوريا.

\*صلصة الأماتريتشانا: هي صلصة المعكرونة الإيطالية التقليدية المكونة من الجبن ، والطماطم ، والبصل مع بعض الاختلافات المناطقية.

246 

تنَاولُ الطعَامِ أَثْنَاءَ المَسِيْر العَسْكَرِي، موسوليني (على رَأسِ الطَاوِلَة) وأَصحَابُ القُمصَانِ السَودَاءِ الفَاشِيُّونَ الأوَائِل، يَمضَغوْنَ "حِصصَهُم اليَومِيَّة مِن الطعَام".



لحْظَة حَمِيمِيَّة مِن الحَنيْنِ لتذَوُّقِ الطعَامِ للدوتش (الزَعِيم). موسوليني يزوْرُ مَطْعمًا لمَوطنِه إِقليْمِ رومانيا، والذِي تمَّ تَشيِيدَهُ على نحْوٍ خَاصٍّ في سِيْركِ ماكسيموس روما بمَعْرَضِ عَام 1938

247

إلَّا أَنَّهُ ومِن بيْنِ جَميْعِ المطَاعِم المَحَليَّةِ في القَريَةِ الريْفِيَّة، كانَ انجِذَابُ "موسوليني" إلى مَطعَمِ إِقليْمِ رومانيا مَفهوْمًا، لأنَّهُ وكحَالِ بيلغيرينو أرتوسي ذُو هَويَّةٍ رُومَانِيَّة. ومَا إِن اقْتَرَبَ الزَعِيْمُ حتَّى شَرَعَت إِحْدَى ربَّاتِ المنَازلِ الجذَّابَاتِ مِن فورلي وإيمولا بتَقْدِيمِ عَرْضٍ رَمزِيٍّ عَمِيقٍ: رَغِيْفُ خُبْزٍ مُستَديْرٍ كَبِيْرٍ مِن مَنطِقَتهِ الأُم. توقَّفَ الطَاهِي عَن عمَلهِ المُتمَثِّل بإلقَاءِ مَعكروْنَةِ التورتيليني فِي المرَقِ وطَهْيِ البيادين (الخُبْز المُسَطَّح) على صَفيْحَةٍ خَزَفيَّةٍ مُستَديْرَة. سَألَ قَائلًا: "مِن أيْنَ أَنْت؟". فجَاءَتْهُ الإجَابَة: "مِن كاستل بولونيا". ابْتسَم الزَعيْمُ ببَهْجَةٍ: "إذًا فنحْنُ زُملَاء قَرويُّونَ تَقريْبًا".

كانَت "القَريَةُ الرِيفِيَّة" لموسوليني أحَد الأَمثِلَةِ الإيْطَاليَّةِ للذَوْقِ الرَدِيءِ الرَعَوِيِّ لفَنِّ التَذَوُّقِ والطَهْيِ، والفَائِدَةُ الوَحِيْدَةُ منْهَا هِيَ أنَّه وبِرَغْمِ جَمِيْعِ الجُهوْدِ الفَاشِيَّةِ الرَامِيَةِ لجَعْلِ إيطَاليَا ريفِيَّة، فقَد بَقِيَت المُدُن جُزُرًا للرَخَاءِ النِسبِيِّ وتنَاولِ الطعَامِ الجَيِّد، ولَكِن فِي ظِلِّ حُكمِ "موسوليني" وكمَا كانَ الحاَلُ طِوَالَ تَاريْخِ الطعَامِ الإيطَالِي، أَصْبَحَت المدُنُ أيْضًا مَرَاكِزَ للابْتِكَارِ بتَذَوُّقِ الأَطعِمَةِ وطَهْيِهَا، وأمَاكِنَ تمَّ إِنْشَاءُ الأُمَّةِ فيْهَا وأُعِيْدَ تَأسِيسهَا مِن خِلَالِ الطعَام.

--------- \*فورلي: مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من وسط إيطاليا في إقليم إميليا رومانيا ضمن الجزء المسمى رومانيا سكانها حوالي 112.477 نسمة وهي عاصمة مقاطعة فورلي تشيزينا.

\*إيمولا: مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من وسط إيطاليا في إقليم إميليا رومانيا ضمن الجزء المسمى رومانيا في مقاطعة بولونيا، تشتهر بحلبة الفورمولا وان العريقة، سكانها حوالي 66.340 نسمة. 248

**15**

**تورينو عَام 1931**

**----------------------------------**

**حَانَةُ حِسِّ التَذَوُّق المُقَدَّسَة**

ينْبَغِي على أَيِّ شخْصٍ زَارَ "تورينو" بحْثًا عَن العَديْدِ مِن الأمَاكنِ الجَذاَّبة الخَاصَّة بفَنِّ التَذوُّقِ والطَهْيِ، أَن يتوقَّفَ للَحظَةٍ ويُقَدِّمُ الشُكْرَ عنْدَ البِنَاءِ رقَم 2 بِحَيِّ "فانكيليا"، إنَّه مَوقِعٌ مُتوَارٍ عَن الأَنْظَارِ ويَبْعدُ قليْلًا عَن المُنحَدرِ المُرَوْنَقِ الفَخْمِ لسَاحَةِ "فيتوريو فينتو"، وقَد كانَ حتَّى وقْتٍ قريْبٍ وكَالَة سَفَرٍ، حتَّى تمَّ تَحويْلَهُ اليَوْمَ إلى مَطعَم بيتزا، ولَكِنَّهُ اعتُبِرَ ولفَترَةٍ قَصيْرَةٍ خِلَال سنوَاتِ الفَاشِيَّة، كأَكثَرِ مَطعَمٍ شَهيْرٍ فِي إيطاليا، تافيرنا ديل سانتوبلاتو أي حَانَةُ حِسِّ التَذَوُّقِ المُقدَّسَةِ تَنتَصِبُ هُنَا. مِن المُفترَضِ أَن تكوْنَ مقَرَّ ثورَةٍ للطَهيِ عنْدمَا تمَّ افتِتاحهَا عَام 1931، فالوجبَاتُ التِي قُدِّمَت فيْهَا وفْقًا لرَأْيِ مُصَمِّميْهَا هِي النَظِيْرُ الصَالِحُ لِلأَكْلِ لاكْتِشَافِ أَمريْكَا أو اقْتِحَامِ سِجْنِ البَاستِيل. في النِهَايَة، اتَّضَح أَنَّ الثَورَة بالمَبْنَى رَقَم 2 فِي حَيِّ فانكيليا قَد أَمْسَت مَهْزلًة مُرهِقَة، دلَالًة حَزيْنًة للعُصوْرِ أكثَر مِن كوْنِهَا لحْظةً غيَّرَت تَاريْخَ الطعَام، ولِهذَا ينْبَغِي لمُحِبِّي الطعَامِ الإيطَالِيِّ عبْرَ العَالَمِ أَن يَشعُروْا بالامْتِنَان.

لعِدَّةِ أَسَابيْعٍ قبْلَ افتِتاحَها، كانَت حَانَةُ حِسِّ التذَوُّقِ المُقدَّس مَوضوْعًا لسِلسِلَةٍ مِن الحَمَلَات الدِعَائيَّة، حتَّى إنَّ أكثَر مطَاعِم العَاصِمَةِ الأَنْيقَة اليَوْم لَا يُمكِنُ أَن تَأمَلَ أبدًا بمُضَاهَاتِهَا. عنْدمَا ذَاعَ صِيتُها صرَّحَ أحَدُ رؤسَاءِ التَحريْرِ بجَريْدَةٍ محَليَّةٍ بأنَّ المَطعَم سيَجعَلُ تورينو "مَهْدًا لوَحدَةٍ إيطَاليَّةٍ أُخْرَى- خاصًّة بفَنِّ تذَوُّقِ الطعَام وطَهْيِه". تسَاءَلت صَحِيْفَةٌ رومَانِيَّةٌ شِبْهَ مُمَازِحَة ما إذَا كانَ لَا يتَوَجَّبُ وجوْدُ خَصْمِ 50 بالمِئَة على مُستوَى البِلَادِ على تذَاكِر السَفَرِ بالسِكَكِ الحَديْدِيَّة. 249 وبهَذهِ الطريْقَة يتمَكَّنُ الإيطاليُّوْنَ مِن الذهاَبِ إلى "تورينو" بشَكلٍ جمَاعِيٍّ لتَجرُبَةِ الطَهْيِ الرَائعِ فِي الحَانَة. كانَت نيَّةُ مُبتَكِرِ المَطْعَمِ المَعروْفِ باسْمِ فيليا "اجتثَاثَ جَميْعِ العادَاتِ القَديْمَةِ المُتجَذِّرَةِ بعُمْقٍ لحِسِّ التَذَوُّق" وأَعلَن: "لقَد ولَّى زمَنُ أرتوسي".

تقرَّرَ افتِتَاحُ حانَةِ حسِّ التذَوُّقِ المُقدَّسِ يوْمَ الأحَدِ الثَامِن مِن مارس- وهوَ مَوعِدٌ، وفْقًا للدِعَايَة الخَاصَّة بالمَطعَمِ، سيَبْقَى "مَحفوْرًا فِي تَاريْخِ فَنِّ الطَهْي". فِي ذَلِك اليَوْم،توجَّب على الصِحافيِّين المَدعوِّين الانْتِظَار فِي البَرْدِ إلى مُنتصَف اللَّيل تقريْبًا حتَّى سُمِحَ لهُم بالدُخوْل. عنْدمَا دخَلوا أخيْرًا، أصَابهُم الذُهوْلُ مِن الجُزْءِ الدَاخِليِّ للمَبْنَى الذِي صمَّمهُ المُهندِسُ المِعمَاريًّ "ديولجروف": فكلُّ شَيءِ مِن الأرضيَّة إلى السَقفِ كانَ مصنوْعًا من الألَومِنيوْم، معَ مصَابيْحَ كبيْرَةٍ ثُبِّتَت بالجُدْرَان، أمَّا الطعَامُ الذِي تمَّ تَقديْمَهُ بدوْنِ سكَاكيْنٍ وشُوَكٍ فقَد وقعَت على عَاتقِهِ مَسؤوليَّةٌ كبيْرَةٌ ليُوفِي بالتَوقُّعَات.

**طبَقُ المُقبِّلَات البَديْهِي**

سلَّةٌ مَصنوْعَةٌ مِن بُرتقَالَة مُجوَّفَة، تحْتَوِي على عِدَّةِ أَنوَاعٍ مِن السْلَامِي، الزُبْدَة، الفُطُور المَنقوْعَة في الخَل، سمَكُ الأُنشوْفَة، وحبَّةُ فُلَيفِلَة حارة كاملة خَضرَاءَ اللَّوْن.

تضمَّنت الفُلَيفِلَة الحرَّاقُة الخضَراء شِعارَاتٍ مُلَائِمَةٍ للمُناسبَة، مثْلَ "عِش بشَكلٍ خَطِير".

**الأَطعِمَة الهوَائيَّة**

الزَيتوْن الأَسوَد، قلوْبُ الشَمر، البُرتقَال المُر المُحَلَّى (مَوضوْعَةٌ في طَبَقٍ على يَميْنِ الشَخْص)

ورَقُ الصَقْل، الحَريْر الأَحْمَر والمِخمَل الأَسْوَد (على وِسَادَةٍ مُستَطيْلَة مَوضوْعَة على يسَار الشَخْص)

مُوسِيْقى لفاغنر\*(تَنبَعِثُ مِن مُكبِّرَاتِ صَوْتٍ مَخفِيَّة)

تمَّ إعْلَامُ كلِّ زَبوْنٍ بوَضْعِ الطعَامِ مُباشرةً فِي فَمهِ باستِخْدَامِ يَدٍ وَاحِدَة، بيْنمَا يقوْمُ بالتَمسِيد بشَكلٍ مُتكَرِّرٍ على الوِسَادَة المُستَطيْلة بالأُخرَى، ويُوضَع العِطْرُ خلْفَ رَقبَتهِ مِن قِبَلِ رَئيْسِ النُدُل. وِفقًا لأحَد النُقَّاد، فقَد كانَت النتَائِجُ المُتعَدِّدة الحَوَاسِّ "مُذهِلَة، جَرِّبهَا إِن لَم تَكُن مُقْتنِعًا".

---------- \*فاغنر: ريشارد فاغنر مؤلف موسيقي وكاتب مسرحي ألماني، ولد في لايبزغ، ألمانيا سنة 1813، وتوفي في البندقية، إيطاليا سنة 1883. وهو الابن الأصغر لعائلة مكونة من تسعة أولاد. النصف الأول من العصر الرومانسي في الموسيقى سيطر عليه بيتهوفن، والنصف الثاني ريتشارد فاغنر. 250

**اللُّحوْمُ اللَّدِنَة**

رَغيْفُ لحْمٍ كَبيْرٍ بشَكلٍ أُسطوَانِي، مَصنوْعٍ مِن لَحْمِ العِجْلِ المَشْوِي ومَحشِيٌّ بأحَد عشَر نوْعًا مِن الخُضروَات المَطهِيَّة، ومَوضوْعٌ بشَكلٍ عَموْدِيٍّ على الطَبَق، حيْثُ وُضِعَت على أَعلَاهُ طبقةٌ كثيْفةٌ مِن العَسَل، بيْنمَا لُفَّت حوْلَ قَاعِدَتهِ عِدَّةَ مرَّاتٍ قِطعَةٌ طويْلَةٌ مِن السُجُق. تمَّ قَليُ ثلَاثِ قِطَعٍ كَرَوِيَّةٍ مِن الدجَاجِ، حتَّى اكتسَبَت لوْنًا ذَهبِيًّا، ثمَّ رُتِّبَت حوْلَ رَغِيْفِ اللَّحْم.

كانَ هذَا الطَبَق الذِي يحْمِلُ تَوقِيْعَ فيليا، تَكريْمًا للمنَاظِر الطَبيعِيَّة الإيْطَاليَّة المُختَلِفَة.

وقبْلَ افتِتَاح المَطعَم، أَعلَن جرَّاحٌ مَشهوْرٌ أنَّه مُهتَمٌّ للغَايَة بتَأثِيرَاتِ اللُّحوْمِ اللَّدِنَة، لدرَجَةِ أنَّه سيُجْرِي عمَليّةً جِرَاحيّةً مجَّانية للبَطْن، لأوَّلِ شَخْصٍ يتنَاوَلهَا.

**خَطُّ الاسْتِوَاء والقُطْبُ الشَمَالِي**

صَفَارُ البَيْضِ النَيء، المُغَطَّى بالمِلْح، الفُلفُل واللَّيموْن، حيْثُ تَمَّ استِخدَامَهُ لإنْشَاءِ "بَحْرٍ إسْتِوَائِي"، وفِي مَركَزهِ تُوجَدُ جَزيْرَةٌ مَخروطِيَّةٌ مِن حَلوَى المرينغ، مُرَصَّعَة بحُزوْزِ البُرتقَال، ومُكلَّلة بقِطَعٍ مِن الكمَأَة السَوْدَاء، المُقطَّعة بأَشْكَالٍ الطَائِرَة.

إنَّها وَصْفَةٌ سَعَت لِاستِحْضَارِ العَصْرِ البُطوْلِي لرِيَادَةِ الطَائِرَات إلى المَائِدَةِ الإيْطَاليَّة.

**الفُحوْلَة المُفْرِطَة**

ذَيْلُ جرَادِ البَحْرِ المُقَشَّر، المُغطَّى بالسابايوني الأَخْضَر، حيْثُ وُضِعَ القرِيْدِس وشَرْحَاتُ

لِسَانِ الحَمَل بشَكْلٍ هَندَسِيٍّ حَوْلَه. يُزَيَّنُ الطبَقُ بالبَيْضِ المَسلوْق (يُقْسَمُ نِصْفَين)، عُرْفُ الدِيَكَة، وأُسطوَانَة مُشَكَّلة مِن شَرحَاتِ اللَّيموْن، الكَمَأَة، والخِصَى المَقليَّة.

كانَ هذَا الطبَق مُخصَّصًا للنِسَاء، برَغْمِ أنَّ طبَق الخِنزيْرِ المُثِيْر الأكثَر ذكُورِيَّة- نقَانِقُ سلَامِي مُقشَّرة تَبرُزُ مِن صَلصَة قهْوَة الإسبريسو ومَاءِ الكولونيا- وهوَ متَاحٌ لكِلَا الجِنسَين (برَغْمِ أنَّه لَم يَكُن ضِمْنَ قَائِمَةِ الطعَام، إلَّا أنَّه تمَّ إحضَارَه للضُيوْفِ على أَيِّ حَال).

أَخيْرًا، اختُتِمَت اللَّيْلَة الافتِتَاحيَّة في حَانَةِ حِسِّ التَذَوُّقِ المُقدَّس، فِي السَاعَة الرَابِعَة صبَاحًا.

--------- \*المرينغ: هو نوع من الحلوى، وغالبًا ما يرتبط بالمطبخ الإيطالي والسويسري والفرنسي ، يصنع تقليديًا من بياض البيض المخفوق والسكر، وأحيانًا يدخل مكون حامضي مثل الليمون أو الخل. يمكن أيضًا إضافة عامل ربط مثل الملح أو نشا الذرة أو الجيلاتين إلى البيض.

\*سابايوني: هي حلوى إيطالية تصنع من صفار البيض والسكر والنبيذ الحلو وبعضهم يضعون البيضة كاملة.

251 برَغْمِ الطَبيْعَةِ التَجريبِيَّة التِي تَحْبِسُ الأنْفَاسَ لقَائِمَة الطعَامِ بتِلكَ الأُمْسِيَة، إلَّا أنَّ الغِيابَ الوَاضِحَ للمَعكَروْنَة هو مَا لفَت انتِبَاه مُعظَم الصِحافيِّين في الأيَّامِ التِي تلَت ذَلِك. لقَد كانَت حانَةُ حسِّ التذَوُّقِ المُقدَّس المَطعَم المُستَقبَلِي الأوَّل والوَحِيْد، فهُنَا وُضِعَت المَبادِئُ المُعلنَةُ في كِتَاب "بيانُ الطَهيِ المُستَقبَلي " قيْدَ التَنفيْذِ لأوَّلِ مرَّة. أمَّا الأَمْرُ الأكثَرُ أهميّةً وإِثَارةً للمشَاعِر مِن بيْنِ تلْكَ المبَادِئ، فليْسَ التَمسِيدُ على ورَقِ الصَقْلِ أثْنَاء الأَكْل، أو مَزْجُ النكَهَات المُتنَافِرة، أو جَعْلُ الرموْزِ الذكريَّة الطَبَق المِحوَرِيَّ للعشَاء، بَل هوَ إلغَاءُ المَعكروْنَة. فبالنِسبَة للمُستقبليِّين\*، كانَت المَعكرونَة تُمَثِّلُ "مُعْتقَدَ فَنِّ التذَوُّقِ والطَهْيِ السَخيْفِ لإيطَاليَا" ويُعْزى ذَلِك لأَهَمِّيتهَا الكَبِيْرَة وضَخَامَةِ حَجْمِهَا بالنِسبَةِ لسُرعَةِ ودِينَامِيكِيَّة الحيَاةِ العَصريَّة. لقَد خنَق ذَلِك حمَاسَ النابوليِّينَ على وَجْهِ الخُصوْص، جاعِلًا منْهُم متَشَكِّكيْن، مُتهَكِّميْن، وانْفِعاليِّين. الأسَوأ مِن ذَلِك كُلِّه، أنَّه حرَّكَ النَزعَة السِلمِيَّة. تمَّ إعلَانُ إبْطَالِ المَعكَروْنَة لأَوَّلِ مرَّةٍ فِي شَهْرِ نوفمبر عَام 1930، مِن قِبَلِ المُتحَدِّث الرَئِيسِيِّ في افتِتَاحِ حَانَةِ التذَوُّقِ المُقدَّس: قَائِدُ ومُؤسِّس الحرَكَة المُستقبليَّة "فيليبو توماسو مارينيتي"- يُشَار إليْهِ غَالبًا باسْمِ "فِت". فباتَت حانَةُ حَسِّ التذَوُّقِ المُقدَّس مُكَبِّر الصَوْتِ المَصنوْعِ مِن الأَلمِنيوْم الذِي يَصْدَحُ لأَفْكَارِ "فِت".

لقَد أسَّس "فِت"، ذَلِك الشَاعِرُ القَوِيُّ السَاحِرُ المَصْرِيِّ المَوْلِد ذو الإيْرَادٍ َالمالي الخَاص، الحركَةَ المُستقبليَّة منْذُ عَام 1909. حدثَت نقطَةُ التحَوُّلِ في حيَاتهِ المِهنيَّة عنْدمَا نجَحَ بطَريقَةٍ مَا بإقْنَاعِ صَحيفَةِ "لو فيغارو" البَاريسِيَّة الرَائِدَة، بنَشْرِ البَيَانِ الافتِتَاحِي على صَفحَتِها الأوْلَى فِي العشرْينَ مِن فبرايِر. فِي ذَلِكَ الوَقْت، لَم يكُن هنَاك وجوْدٌ للحرَكَةِ المُستقبليَّة، لكنَّ "فت" دَعَا في بيَانِهَا الافتِتَاحِي وقبْلَ كلِّ شَيءٍ؛ إلى ثوْرَةٍ تتجَاوَزُ الفَنَّ والشِعرَ لتُطَوِّق جَمِيْعَ جوَانبِ الحيَاةِ الإيطَاليَّة، بهدَفِ إبعَادِ إيطَاليا عَن وَلَعِهَا بالمَاضِي مِن خِلَالِ هَدْمِ المتَاحِف والمَكتبَات. لقَد احتَفَت الحَركةُ المُستقبليَّة بكُلِّ مَا بدَا جديْدًا في المُجتمَعِ الصِنَاعِي: المدُنِ بحشُودِهَا الثَائِرَة، محَطَّاتِهَا وورْشَاتِ العَملِ فيْهَا، وقبْلَ كُلِّ شَيء السُرعَة، والضَجِيْج، وحِدَّة الآلَات، فيَجِبُ أَن تَكتَسِبَ أَبنِيَة إيطاليا، وسِيَاسَاتِهَا، آدَابَها، وعادَاتَها اليَوميَّة الأكثَر حَميمِيًّة وَتِيرَة سيَّارَةٍ مُندَفِعَةٍ بعُنْف.

*نُريْدُ تَمجِيْد الحرْبِ (إنَّها النظَافةُ الصِحيَّةُ الوَحِيدَةُ للعَالَم) والروْحُ العَسكَريَّة، حُبُّ الوطَن، والحرَكَة الهدَّامةُ لليبرَاليِّين، أفكَارٌ جَميْلَةٌ تستَحِقُّ أَن يموْتَ المَرْءُ لأَجْلِهَا، وتَحتَقِرُ النِسَاء... نُريْدُ أَن نَسمُوَ بالحَركَةِ العُدوَانيَّة*252 *والأرَقُ المَحموْم، الرَكْض والقَفْز، الصَفْع واللَّكْم.*

---------- \*المستقبلية: حركة فنية تأسست في إيطاليا في بداية القرن العشرين، وكانت تشكل ظاهرة فيها، وإن كانت هناك حركات موازية في روسيا وانكلترا وغيرهما. كان الكاتب الإيطالي فيليبو توماسو مارينيتي مؤسسها والشخصية الأكثر نفوذا فيها. والمستقبلية كلمة شمولية تعني التوجه نحو المستقبل وبدء ثقافة جديدة والانفصال عن الماضي.

\*النزعة السلمية: شكل من أشكال مناهضة الحرب و العنف، ابتكرها الفرنسي إيميل أرنو في مؤتمر عالمي سلمي أقيم في مدينة غلاسكو في سنة 1901، وقد استندت في دعوتها للسلمية تبعاً لفلسفة الأديان من المسيحية والبوذية و الهندوسية واليانيسية، ومن أشهر المؤمنين بهذا الفكر هم ليو تولستوي والمهاتما غاندي.

لقَد ساعَدَت هَذهِ الخُطوَة المُفاجِئَة الدِعَائيَّة البَاريسِيَّة بجَعْلِ النَزعَةِ المُستقبَليَّة أكثَر حركَاتِ الفَنِّ الإيطَاليِّ تَأثيْرًا منْذُ عَصرِ النَهْضَة. اسْتَمَالَ "فِت" فيْلقًا صَغيْرًا مِن المُسَاعديْن. طافَ المُستقبليُّوْنَ على المسَارحِ الإيْطَاليَّة مُحَاضِريْنَ بمُؤلَّفَاتهِم، عارضِيْنَ لوحَاتهِم ومُبرزيْنَ الموسِيقَى والثِيَاب الخاصَّةِ بهِم. شعَروْا بالبَهجَة في هَذهِ العروْضِ لكَونهِم يُقذفوْنَ بالفَاكِهَةِ والخُضروَات مِن جَميعِ الطبقَاتِ الإيطَاليَّة، و "مجَّدوْا الصَفْعَ واللَّكْم" عبْرَ قِتَالهِم معَ أفرَادٍ مِن الجُمهوْر. أصْبحَ "فِت" مِن مشَاهِيْر الفَنِّ العَالَمِي.

بعْدَ عَقديَنِ مِن الزَمَن، ظهَر "فِت" الذِي تحدَّث في افتِتَاح حانَة حِسِّ التَذوُّق المُقدَّس، بشَكلٍ مُختَلِفٍ تمَامًا، فبَدَا رجُلًا ذا بطْنٍ كَبيْرَةٍ مُستديْرَةٍ في الرَابِعَةِ والخَمسِينَ مِن عُمرِه، اعْتَادَ ارتِدَاءَ بدْلةٍ ورَبطَة عُنقٍ، وهوَ مَا لَاءم على نحْوٍ جَيِّدٍ صَلعتَهُ وشَارِبَه المَحلوْق مِن الجَانِبَيْن كالفُرْشَاة. بالطَبْع، وحتَّى وهوَ فِي مُنتصَفِ عمُرهِ، لَايزَالُ يتمتَّعُ بمَوهبَتهِ في الدِعَايَة، ونَادِرًا مَا أَهمَلَت صَحيْفَةٌ في العَالَم الغَربِيِّ ذِكْرَ نِهايَة السبَاغِيتِي- يكَاد لَا يوْجَدُ مِقيَاسٌ أكثَر دِقًّة عَن مدَى انتِشَارِ المَعكروْنَة فِي تلْكَ الأيَّام. بيْدَ أنَّ إيطَاليَا اعْتَادَت منْذُ زمَنٍ بَعيْدٍ على أسَاليْبِ الحَرَكَةِ المُستَقبليَّةِ الصَادِمَة. نَادِرًا مَا اعتُبِرَ بيَانُ الطَهْيِ المُستقبَليِّ أَكثَر خُطوْرًة وإثَارًة مِن ملَابسِ "فِت". مِن الأُموْرِ المَشكوْكِ فيْهَا أنَّ الصحَافَة الإيطَاليَّة ستَغْدو مُتسَاهِلًة للغَايَة معَ فِكرَةِ إلغَاءِ المَعكروْنَة، لَو لَم تَربُط "فِت" صدَاقةٌ شَخصيّةٌ معَ الدُوتْش (الزَعِيم).

لقَد تقَارَبَ الاثْنَان في وَقتٍ مُبكِّرٍ مِن عَام 1915، عنْدمَا تمَّ اعتِقاَلهُمَا سَويًّة بمُظاهَرةٍ للحَركَةِ المُستقبَليَّةِ فِي روما، مُؤيِّدةٍ لانْضِمَام إيطَاليَا إلى الحَرْبِ العُظمَى. عنْدمَا بدأَت الدِيمُقرَاطيَّة الهَشَّة لإيطَاليَا بدُخوْلِ أَزمَتِهَا النِهَائيَّة بعْدَ الحَرْب، كانَ لـ "لِفت" حُضوْرٌ دَاعِمٌ، عنْدمَا أَسَّس "موسوليني" الفَاشيَّة بسَاحَةِ "سيبولكرو" في "ميلَان" في مَارس عَام 1919. بعْدَ شَهْر، دَاهَم الفَاشيُّونَ والمُستَقبليُّونَ سَويّةً مقَرَّات صَحِيفَةِ الحِزْبِ الاشْتِرَاكِي آفانتي! ونَهَبوْهَا. بَدَت تلْكَ السنوَاتُ عَاصِفًة جدًّا، لَم يَفْصِل فيْهَا الفَنُّ الرَائِدُ عَن السِيَاسَة العَنيْفَة سِوَى خَطٍّ ضَبَابِي، ولَكِن وبِمَا أنَّ قَسوَة الصِرَاع على السُلطَة قَد فرَضَت ضَوَابِطَهَا، وبِمَا أنَّ "فِت" قَد أثْبَت إبْدَاعَهُ البَالِغَ ومُعارضَتِهِ التَامَّة ليُنَاسِبَ معَ البَرنَامِجِ الفَاشِي، فقَد وقَعَ هوَ و"موسوليني" على جَانِبَي ذَلِك الخَط.

بيْنمَا راحَ "موسوليني" يضَعُ الأسَاسَ التَشريعِيَّ والسِيَاسِيَّ لدِكتَاتوريَّتِه بعْدَ عَام 1925، حَاولَ "فِت" مُمَارسَةَ بعْضِ النُفوْذِ على القِيادَةِ الفَاشِيَّةِ عبْرَ إثَارَةِ الضَجِيْجِ عَن النَزعَة المُحافِظَة لفَنِّ الموظَّفيْن الحُكوميِّين لدَى النِظَام. 253 لقَد نجَح الأَمْرُ إلى حَدٍّ مَا: إِذ تَمَّ استِرضَاءُ المُستَقبليِّين بضَمِّهم إلى مُؤسَّسَة "بينالي البُندقيَّة" عَام 1926. غيْرَ أنَّ احتِيَاجَات النِظَام والنوَاحِي الجمَاليَّة للنَزْعَةِ المُستَقبليَّة راحَتَا تَبْتَعِدَانِ عَن بَعْضِهِمَا، وفَشِلَ "فِت" بجَعْلِ الحَرَكَةِ المُستقبَليَّةِ مَذْهبًا فَنيًّا رسْمِيًّا. وبدلًا مِن ذَلِك، مَالَت الدوْلَةُ لرِعَايَة الأُسلوْبِ الكلَاسِيكِيِّ الحَديْثِ المُعَاصِر\* والبَارِز، لقَد تغَلَّبَت الأُسطوْرَةُ الفَاشِيَّةُ المُتمَثِّلَةُ برومَا القَديْمَة والرِيْفِ على الأُسطوْرَة المُستَقبليَّة المُتمَثِّلَة بالمَدينَة والآلَاتِ الصِناعيَّة. ولَكِن معَ كُلِّ ذَلِك، انْتهَى المَآلُ بـ"فِت مارينيتي" ليُصبِحَ عُضْوًا شِبْهَ مُنفَصِلٍ عَن مُؤسَّسَةِ الفَنِّ الإيطَالِي.

إنَّ مُؤرِّخِي الطعَام الإيطَالِي، مِن أمثَالِ طُلَّابِ الحرَكَةِ المُستقبليَّة، لَا يُبدوْنَ اهتِمَامًا بالطَهْيِ المُستقبَلِي بشَكلٍ مُجْمَعٍ علَيْهِ تَقريْبًا، ومِن الصَعْبِ ألَّا توَافِقَهُم الرَأْيَ بذَلِك. إنَّ "فيليا" الذِي يبْلغُ مِن العمُر سِتًّة وعشريْنَ عامًا ويُجَسِّدُ القوَّةَ المُحَرِّكةَ لحَانَةِ حِسِّ التذَوُّقِ المُقدَّس، كانَ فنَّانًا مِثَاليًا انجذَب إلى شعَار "فِت" بمُنتصَفِ العِشرينات مِن القَرنِ المَاضِي، بدَا شابًا عادِيًا مسْتَمِيتًا لِرَفْعِ مكَانَتهِ، فدَعَا المُستَقبليِّين فِي "تورينو" لإنْتَاجِ أَعمَالٍ تتوَافَقُ معَ "الروْحِ المِيكَانيكِيَّة" للمَديْنَة الحرَكيَّة.



الرجُل الذِي حاوَل إلغَاء المَعكرونَة. تمَّ التِقَاط صوْرَة "لفت مارينيتي" أثنَاء فشَلهِ بالالتِزَام بمَبادئِه الغِذَائيَّة المُتزَمِّتة، فكتَب إهدَاءً سَاخِرًا خلْفَ الصوْرَة: "لَا جَدوَى مِن مُحاوَلةِ السُخرِيَة منِّي! لقَد تمَّ التخَلُّصُ مِن كُلِّ المُتآمِريْن مِن مَديْنَة "باري" الذيْنَ تنَاوَلوا مَعكرونتَهُم".

كانَ الجُزءُ الدَاخِليُّ لحَانَةِ حِسِّ التذَوُّقِ المُقَدِّس هو النَموْذَجُ المِثَاليُّ لِمَا يَنبَغِي أَن تكوْنَ عَليْهِ الكِذبَة.

--------- \*بينالي البندقية: مؤسسة فنون إيطالية يقع مركزها في مدينة البندقية في إيطاليا تم تأسيسها في سنة 1895 وهي خاصة بدعم الفنون المعاصرة، حيث تقيم المهرجانات لعرض أعمال الفن المعاصر من الرسم والنقش والتصميم والنحت والموسيقى والرقص.

\*الحركة الكلاسيكية الحديثة: أو النيوكلاسيكية في القرن الثامن عشر للتعبير عن الحركة الجماليّة بطريقة ازدرائيّة، والتي جاءت لتعكس المبادئ الفكريّة للحركة التنويريّة؛ حيث بدؤوا في منتصف القرن الثامن عشر بالإنتاج في الفلسفة، ومن ثم ترجمتها في جميع المجالات الثقافيّة.

\*باري: مدينة إيطالية، عاصمة إقليم بوليا ومقاطعة باري جنوب البلاد، عدد سكانها 323.856 نسمة. تشتهر باري بمينائها، وبأنها مقر لجامعة باري**،** إحدى الجَامعات التي تضم أكبر عدد من الطلبة في إيطاليا، وكذلك جامعة بوليتكنيك باري، وهي الوحيدة في جنوب وسط البلاد.

254 إنَّ هذَا الهَيْكَل النَابِض المَصنوْعِ مِن الأَلمِنيوم، قَد بدَا فِي تِلكَ اللَّيْلَة أقلَّ شبَهًا بمَطعَمٍ، منْهُ بشَيءٍ ينطَلِقُ مُسرِعًا حوْلَ مِضْمَار الاخْتِبَار الشَهْيرِ على سَطْحِ مَصْنَعِ لينغوتو لسَيَّارَةِ "الفِيَات". ولَكِن بشَكْلٍ عَام، فقَد بدَا مَصْنَع "لينغوتو" عرَضًا مُثيْرًا للإعْجَابِ للرُوْحِ المِيكَانيكِيَّةِ أكثَر مِن المَطعَمِ أو الطَعَامِ الذِي قدَّمَه.

تُظْهِرُ قِصَّة حَانَة "حِسُّ التذَوُّقِ المُقَدَّس" الكَيْفِيَّةَ التِي تمَّت فِيْهَا أفكَارُ الفَنِّ الحَديْثِ تحْتَ حُكمِ "موسوليني". كانَ لدَى "فِت" و"فيليا" الحُريَّة باقتِرَاحِ أسلوْبِ طَهْيٍ صناعي جديد كانَ يتعَارضُ في بعْضِ النوَاحِي مع صورَةِ النِظَام الريفِيَّة لما اصْطُلِحَ على تَسمِيَتهِ بـ"العِرْقِ الإيطَالِي"، ولَكِن فِي كِتَاب "الطَهْيُ المُستَقبَلِيُّ" عَام (1932) حَرَصُوْا على تَردِيْدِ صرَخَاتِ حَرْبِ معْرَكَةِ الفَاشِيَّة لأَجْلِ الحُبوْب: "لَا تَنْسَ أَنَّ إلغَاءَ المَعكروْنَة سَيُحَرِّر إيطَاليَا مِن القمْحِ الأَجنَبِيِّ غَالِي الثمَن، ويَدعَمُ صِناعَة الأَرُزِّ الإيطَاليَّة". لقَد صَرَفَت الفَاشِيَّة الكَثيْرَ مِن الطَاقَةِ على التَرويْجِ للأَرُز، حتَّى إنها وزَّعَت عَيِّنَاتٍ مَجانيَّة مِنْهُ على الجَنوبيِّين الذيْنَ لَم يَستَسِيغوْهُ كثيْرًا. إنَّ الأطبَاقَ التِي عُرِضَت في حَانَة حِسِّ التذَوُّقِ المُقدَّس قَد انصَاعَت أيْضًا لأُسطوْرَةِ الشُحِّ الإيطَالِي، والمَقصوْدُ مِنْهَا الإجَابَة على دَعْوَةِ " إلغَاءِ الحَجْمِ والوَزْنِ بالطَريقَةِ التِي نُفَكِّر بهَا، ونُقَدِّرُ التَغذِيَة"، ولِإعْدَادِ الإيطَاليِّينَ ليَوْمٍ لَا يستَمِعوْنَ فيْهِ فقَط إلى بَثِّ الزَعِيْم، بَل ليَتغَذُّوْا فِي الحَقْيقَةِ مِن خِلَالِ إنْصَاتِهِم للمِذْيَاع: الإدْرَاكُ المُطلَق للدِعَايَة السِيَاسيَّة الفَاشِيَّة عبْرَ المَوْجَاتِ الإذَاعِيَّة. 255

**16**

**ميلَان عَام 1936**

**--------------------------**

**ربَّاتُ المنَازِل والذَوَّاقَة**

**العَيْشُ بشَكْلٍ جَيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوْقَاتِ الصَعْبَة**

كانت لموسوليني فتَاةُ أَحْلَام، وقَد مجَّدهَا فِي أفلَامِ الدِعَايَة السِيَاسيَّة ومرَاسِم تَوزيْعِ أَوسِمَة الشَرَف. إنَّهَا فتَاةٌ عَريْضَةَ الوِرْك، وبارِزَة الصَدْر، تَنْتَمِي لأُسْرَةٍ ريفِيَّةٍ مُفعَمَةٍ بالحَيويَّة، اعْتَادَت القِيَامَ بالأعْمَالِ اليَومِيَّة كدَرْسِ الحِنْطَة، العِنَايَةِ بالدَجَاج، وتَربِيَةِ الجُنوْدِ الصِغَار. إنَّ المَرْأَةَ الإيطَاليَّة المِثَاليَّة بنَظَرِ الزَعِيْم هِي ربَّةُ مَنْزِلٍ قرَوِيَّة.

فِي أوَائلِ ثلَاثينِات القرْنِ المَاضِي، انضَمَّت ثلَاثَةُ ملَايِينِ امْرأَة إلى "ربَّاتِ المنَازلِ الرِيفِيَّات"- وهوَ فرْعٌ مِن الحِزْبِ الفَاشِيِّ، تمَّ إنشَاؤهُ لجَعْلِ القَرَوِيَّاتِ أَقرَب شبَهًا للمَرأَةِ المِثَاليَّة لـ"موسوليني". كانَت أهدَافُ الحركَةِ بشَأنِ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيهِ مَحدوْدًة بشَكْلٍ مُتَوَقَّعٍ، فقَد نُشِرَت وصْفَةٌ مِثاليَّةٌ وَحيْدَةٌ في النَشْرَةِ الشَهريَّةِ للمُنظَّمَةِ عَام 1935. وقَد وُصِفَت فيْهَا الوَجْبَة المِثَاليَّة التِي تُقَدِّمُهَا ربَّةُ مَنزِلٍ رِيفِيَّةٍ لأَبْنَائِهَا الذِيْنَ عادوْا لتَوِّهِم مِن الحَرْب: "عُجَّةٌ وطَنِيَّةٌ" مصْنوعَةٌ مِن البَيضِ المُنتَجِ فِي المَنْزِل، الطمَاطِم، والخُضَار بحيْثُ تَحْمِلُ الألوَانَ الثلَاثَة للعَلَم الوَطَنِي، الأَحْمَر، الأَبيَض، والأَخْضَر. ومِن خِلَالِ هَذهِ العُجَّة، بوِسْعِ النِسَاءِ إظْهَارُ مشَاعِرِهِنَّ تِجَاهَ الوَطَن، وأن تَعمَلُ أَيديْهِنَّ وَتنْبِضُ قلوبَهُنَّ لأَجْلِ الأُمَّة دوْنَ مغادرة المَنْزلِ والمَوْقِد"

وفِي أَوائِل عَام 1930 ، انتقَلت الفَاشِيَّة إلى إعَادَة بِنَاءِ المُجتمَعِ الإيطَالِي بأَكمَلِه وفْقًا لتَصَوُّرِهَا، مِن خِلَال مُنظَّمَاتٍ شُمولِيَّة مثْلَ مُنظَّمَةِ ربَّاتِ المنَازلِ الريفِيَّة. ولَكِن مِن المُفارقَات أنَّ 256 نِسَاءَ الطبقَةِ الوسْطَى الحضَريَّة بشَكلٍ أَسَاسِيٍّ هُنَّ مَن أخَذْنَ على عَاتقهِنَّ دَفْعَ مَسيْرَةِ النِظَامِ نحْوَ عادَاتِ تنَاولِ طَعَامٍ أَكثَر تقَشُّفًا. حَرُصَت الطبقَاتُ الوسْطَى الإيطاليَّة الحَدِيْثَة في سنوَاتِ الفَاشِيَّة على تَعَلُّمِ كُلَّ مَا يتَعَلَّقُ بالطعَام، وقَامَ جِيْلٌ جَديْدٌ مِن كَاتِبَاتِ الطَهْيِ بتَعلِيمِهِم، فأَصْبَحنَ بِذَلِك مُهَيمِنَاتٍ على سُوقِ كتُبِ الطَهْيِ المُتَّسِعَة، وعادًة مَا تَنْتَمِي هَؤلَاءِ المُؤَلِّفَاتِ لعَلِيَّةِ القَوْمِ للطبَقَةِ الوسْطَى، وقُرَّاءهنَّ أَدْنَى مِنْهُن بِبضع درجَاتِ على السُلَّمِ الاجْتِمَاعِي. وبصَوْتٍ رَخِيْمٍ مُتنَازِلٍ في الغَالِب، قامَت سيِّدَاتُ إيطَاليَا الجَليْلَاتِ بتَعليْمِ سَيِّدَاتِ الطبَقَةِ الوسْطَى الرَقيْقَات عَن فضَائلِ التَدبيْرِ المَنزلِيِّ المُقتَصِد.

أحَدُ الأَمثِلَة على ذَلِك هِي "فرناندا موميليانو"، والتِي كانَت نقيْضًا بَعيْدًا عَن ربَّةِ المَنْزلِ الريفِيَّة. فقد بدَت سَيِّدةً رَقِيْقةً ذَاتَ ثِيَابٍ أَنيْقَة. إنَّهَا كاتِبَةٌ في الأَربعِيْنَ مِن عُمرِهَا للقِصَصِ الرومَانْسِيَّة الخَيَالِيَّة، عاشَت معَ وَالِدَتِهَا المُعتَلَّة الصِحَّة وسْطَ "ميلَان" ، ونَادِرًا مَا خطَت قدمَاهَا خَارِجَ حُدوْدِ قنوَاتِ المَديْنَة. وبِرَغْمِ الرجَالِ الذِيْنَ كانُوْا يتَقَدَّموْنَ لخِطبَتِهَا مِن حِيْنٍ إلى آخَرَ إلَّا أنَّها عزَفَت عَن الزوَاجِ بشَكْلٍ مُطْلَق. ولَو خُلِقَت رَجُلًا لتوجَّب عَليْهَا دَفْعُ ضَريْبَة العزوْبِيَّة التِي فرضَها الزَعيْمُ كعُقوْبَةٍ لحِرمَانِهَا الأُمَّة مِن نَسْلِهَا. إنَّ نِطَاقَ أُسرَتِهَا الأَوْسَع لَافتٌ للنظَر بعَدَدِ المُفَكِّريْنَ البَارزِيْنَ: مُؤرِّخَان، وفَيلَسوْف، ونَاقِد أدَبِي. و"فرناندا موميليانو" غيْرَ عَادِيَّةٍ أيْضًا لاعْتِبَارِهَا وَاحِدةً مِن أَصْلِ 45 أَلف يَهوْدِي فِي إيطَاليَا.

كانَ كتَابُ "موميليانو" الأوَّل "العَيْشُ بشَكلٍ جَيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوقَاتِ الصَعْبَة: كيْفَ تُوَاجِه النِسَاء الأَزْمَة الاقتِصَاديَّة" عَام 1933، كلَاسِيكِيًا مِن نَوعِه: فهوَ يُظهِر كيْفَ صنَعت ربَّاتُ البُيوْتِ طعَامًا جيِّدًا فِي الظُروْفِ الصَعْبَة. للمَطبَخ الإيطَالِيِّ سُمعةٌ مُبرَّرةٌ لمَا تَحْمِلهُ أطْبَاقهُ مِن لذَّةٍ وشَهِيَّة دوْنَ أَن يتَكَلَّلَ بالبَهْرَجَة، التَعْقِيد أَو الثمَنِ البَاهِظ- فسُمعَتهُ هِي أحَد أَسرَارِ نجَاحِه فِي البُيوْتِ والمطَاعِم عبْرَ العَالَم الغَرْبِي. إنَّ هَذهِ القِيَم التِي مُزِجَت ولأَوَّلِ مرَّةٍ معَ حضَارَة المَائِدَة الإيطَاليَّة لَيْسَ على يَدِ الفلَّاحِيْن، بَل عَبْرَ الطبَقاتِ الوسْطَى في العَديْدِ مِن مدُنِ شِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة، مِن قِبَلِ أُنَاسٍ جيُوبَهُم خَاوِيَةٌ مِن المَالِ لإهْدَارِه، بيْدَ أَنَّهُم قدَّروا الطعَامَ اللَّذِيْذَ والمكَانَة الاجتِمَاعيةَّ التي كافَحُوا بجَدٍّ كَبِيْرٍ لتَحْقِيقِهَا.

تنْضَحُ الصفحَاتُ الأُولَى مِن كتَابِ "العَيْشُ بشَكلٍ جَيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوقَاتِ الصَعْبةَ" بجُنوْنِ ارْتِيَابٍ لَطِيْفٍ، عْندمَا تَصِفُ مشْهدًا مَنزلِيًّا يتَوعَّدَهُ غُوْلُ الأَزمَةِ الاقتِصَاديَّة. لقَد باتَ العَالَمُ بأَسرهِ فِي قَبْضَةِ الأَزمَة، تُلفِتُ "موميليانو" انتِبَاهَ قُرَّائِهَا، فتَقوْلُ مُحَذِّرَة: "فَكِّري بكَيفِيَّة تَأثيْرِهَا على زَوْجكِ ،فالزَوْجُ يَجِدُ أَنَّ الأَزمَةَ تتَسلَّلُ إلى كُلِّ مُحادَثةٍ فِي البَار، وعنْدَ محَطَّةِ القِطَار، أَو فِي المَكتَب. وحتَّى إِشْغَالُ الفِكْرِ بِهَا لَهُوَ أَمْرٌ خَبِيْث: فتَظْهَرُ تجَاعِيْدُ المَخَاوفِ على جَبيْنهِ، وتَنحَدِرُ أكتَافهُ بقُنوْط. والآنَ تخَيَّلي مَا سَيحْدثُ عنْدمَا يُديْرُ مِفتَاحَهُ فِي بَابِ المَنْزِل 257 فيَجِدُ طاوِلةً نظيْفةً، وأدوَاتَ الطعَامِ لَامِعةً، ورَائِحَة غدَاءٍ مُتوَاضِعٍ ولكنَّهُ رَائِع. سيتحَسَّنُ مِزاجُه، فقَد وجَد ملَاذًا، تبْتَسِمُ زوْجتَهُ بثِقَةٍ لَا يُمْكِنُ أَن تَجلِبهَا إلَّا المبَادِئُ المَتيْنَةُ للاقْتِصَاد المَنْزلِي، فيَستعِيْدُ إيمَانَهُ بمُستقبَلِ عَائِلَتِه، بوسْعِه التنَفُّسُ بثِقَةٍ مرًّة أُخرَى. وطَالمَا أنَّهَا تُرَاقِبُ مَملكتَها الصَغيْرَة، ستَبْقَى الأَزمَةُ تحْتَ السَيْطَرة.

*أيَّتُهَا الفتَيَات! أيَّتُهَا الأُمَّهَات العَطوْفَات! يَا نِسَاء إيطَاليا! أَنتُنَّ مَن تحَلَّيْنَ بالقُوَّة للتَغَلُّبِ على لحظَاتِ المَأسَاة، أَنتُنَّ اللَّوَاتِي ملَأْنَ صفحَاتِ البطوْلَة في تَاريْخِنَا، بوِسعِكُنَّ أَن تُظهِرْنَ للعَالمَ بسُهوْلَةٍ أَن لَا مَوْطِئَ قدَمٍ للأَزْمَةِ فِي بُيوْتِكُن!.*

لقَد نُشِرَ الكِتَاب عَام 1933، عنْدمَا كانَت إيطَاليا لَاتزَالُ تُعَانِي مِن آثَارِ الانْهِيَار المُفَاجِئ سنَة 1929، غَيْرَ أنَّ دُروْسَ "موميليانو"، وحِسَّ الليَاقَة المَنزليَّة الذِي دافَعَت عنْهُ سيَغْدو مَعْنِيًّا أكثَر في السنوَاتِ اللَّاحِقَة، مِن خِلَالِ العُقوْبَاتِ المَفْروضَةِ مِن عُصبَةِ الأُمَمِ على إيطَاليَا بعْدَ غَزْوِهَا لأثيوبيا عَام 1935، وعبْرَ سيَاسَةِ "موسوليني" المُتمَثِّلَة بالأُوتَاركِي، أو الاكتِفَاء الذَاتِي الاقْتِصَادي بعْدَ عَام 1936، وخلَال تعَاقُبِ الكوَارِث التِي شكَّلَت التَجرُبَة الإيطَاليَّة فِي الحَرْبِ العَالميَّة الثَانِيَة. مثَّلَت السنوَاتُ الأَخيْرَةُ للفَاشِيَّة أَزمًة وَحيْدًة طَويْلًة.

إنَّ الحِصْنُ الرَئِيسِيَّ للمَنْزِلِ الإيطَالِيِّ ضِدَّ هذَا التَهدِيد الذِي لَا هوادَة فِيْهِ، والسِلَاح الأَسَاسِيُّ لرَبَّةِ المَنْزلِ في هذَا الاشْتِباَك الدَائِم معَ الهَدْرِ هوَ "المينيسترا"، إنْ جَاءَ على شَكلِ حسَاءٍ أَو أَرُزٍّ أَو مَعكروْنَة، فالطبَقُ الأوَّلُ أو المينيسترا هوَ كلُّ مَا احتَاجَت النِسَاءُ تقريْبًا لطَهْيِه كَي تَفِي بوَاجبِها المَنزِلي.

المَعكروْنَة معَ صَلصَة الرَاغو أو لَحْمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد، نُوكِي البطَاطَا معَ الزُبدَة والجُبْن، ريزوتو الزَعفرَان، حسَاء الحُمُّص، حسَاء الخُضرَوات والِذي يَتِمُّ تَثخِينَهُ بإضَافَةِ الأَرُز: لَقد كانَت الوجبَاتُ الأُوْلَى لرَبَّةِ مَنزِلٍ إيطَاليَّة مِثَاليّةً مُتنوِّعةً بشَكلٍ لَا حَصْرَ لَه وبَاعِثةً على الاطمِئْنَان بشَكلٍ دَائِم. يَسمَحُ وجوْدُ "المينيسترا" في كُلِّ وجبَةٍ للعَائِلَة " بالعَيْشِ بطمَأنِيْنَة دوْنَ تَضحِيَات، وبدرجَةٍ مُعيَّنَةٍ مِن التمَيُّز". أمَّا الطَبَقُ الثَانِي فقَد شكَّلَ مَصدَر قلَقٍ ثاَنَوِيًا: كُرَات اللَّحم، الكَبِد، البَيْض المَقْلِي بالزُبْدَة خلَالَ الأُسبوْع، الدجَاجُ المَشويُّ والبطَاطَا المَشويَّة بأَيَّامِ الأحَد. إنَّ نِسَاءَ مِن أَمثَال "فرناندا موميليانو" قَد وضَعْنَ حَشوًة أصِيْلًة في قَلبِ النَموْذَجِ الجَديْدِ للوجُوْدِ المَنزِلِي الإيطَالِي.

كمَا قدَّمَت "موميليانو" لقُرَّائِهَا صوْرةً لعَائِلَةٍ نَموذَجِيَّةٍ مُحْترمَة. وبشَكلٍ مُسَاعِدٍ، قامَت بحِسَاب نفقَاتِ هَذِه الأُسْرَة المِثَاليَّة حتَّى آخِرَ قِرْش، 258 فالزَوْجُ الذِي يعْمَلُ في شَرِكَة تَأمِيْن، يُدْخِلُ للمَنْزلِ 1300 لَيْرَة كُلَّ شَهْر- وهوَ مَبلَغٌ أَعْلَى بكَثيْرٍ مِن مُتوسِّطِ الطبقَةِ الوسْطَى الذِي يكسَبَهُ موظَّفٌ مَكتَبِي في القطَّاعِ الحُكومِي الآخِذِ بالتوَسُّعِ للاقتِصَاد الفَاشِي. بمَقدوْرِ هَذهِ العَائِلَةِ تحَمُّلُ بقَاءِ الأُمِّ في المَنْزِل، وأَن تَدْفَع المَالَ لقَاءَ دروْسِ البيَانو لابنَتهِم، ومُرتَّب خَادِمَةٍ مَنزليَّة، ويَمضوْنَ إِجَازةً فِي الرِيْفِ كُلَّ صَيْف. وبرَغْمِ ذَلِك، ومعَ جَمِيعِ التَقْتِيرِ الذِي تَنْصَحُ بهِ "موميليانو"، وحتَّى معَ "المينيسترا" مثْلَ شُوربَة فُتَات الخُبْزِ، أَو الأَرُز والبَازِلَّاء المُجفَّفة؛ فإنَّ هَذهِ العَائِلَة المِثَاليَّة لَاتزَالُ تُنْفِق ُأكثَر مِن ثُلُثِ إِجمَالِي دَخْلِهَا على الطعَام. كانَت الغَالبيَّةُ العُظمَى مِن الأُسَرِ الإيطاليَّة تُنْفِقُ أكثَر مِن ذَلِك بكَثِير جِدًّا.

مِن خلَالِ استِعرَاضِ قوَائمِ الطعَامِ النَموذجيَّة في كتَاب "العَيشُ بشَكلٍ جَيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوقَاتَ الصَعْبَة"، مِن المُذهلِ رُؤيَة مدَى تشَابُهِهَا معَ الطَهْيِ الإيطَاليِّ المَنزِلِيِّ اليَوْمِي في وَقْتِنَا الحَاضِر- حيْنَ أَصْبحَت إيطَاليَا وَاحِدةً مِن أكثَر البُلدَانِ المُزدَهِرَةِ فِي العَالَم، معَ طبَقِ المَعكروْنَة بصَلصَة الطمَاطِم الطَازجَة، سَلَطَة مِن الخُضَار النَيْئَة، ثُمِّ قِطْعَة مِن الجُبْن، حسَاءٍ متبوْعٍ بشَرْحَاتِ العِجْل المَقليَّة بعْدَ تَغطِيَتِهَا بفُتَاتِ الخُبْز، ريزوتو الفِطر والجزَر المُزيَّن بالبَقدوْنِس. بالطَبْع قَد تغيَّر الكَثيْرُ أيْضًا: فبَات الإيطَاليُّوْن يَجلِسوْنَ على المَائِدَة وأمَامَهمُ عدَدٌ أقَلَّ مِن أطبَاقِ الحسَاء، مُتنَاوليْنَ شرَائِحَ اللَّحْمِ المَطهِيَّة بسُرْعَةٍ وصُدوْرِ الدجَاجِ أكثَر ممَّا فعَلوا مِن قَبْل، لقَد أصْبحَت نقَانِقُ السْلَامِي وسمَكُ التوْنَة المُعلَّب أمْرًا شَائِعًا بأيَّامِنَا هَذِه، في حِيْن أَنَّ "فرناندا موميليانو" نظَرَت إليْهَا على أَنَّهَا إسْرَافٌ خَطيْرٌ، وتَسْمَحُ لِلأَزمَةِ أَنْ تُبَاغِتهَا. ومعَ ذَلِك، فَمِن الوَاضِح أنَّه عنْدمَا تتَجَرَّدُ الأَوقَاتُ مِن وَطْأَةِ قَسْوَتِهَا، فسَيختَارُ القِسمُ الأَكبَرُ مِن الإيطَاليِّين تنَاولَ الطعَامِ وكَأَنَّهُم يَعِيشوْنَ في عَالَمِ كِتَاب "العَيشُ بِشَكْلٍ جيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوقَاتِ الصَعْبَة".

**تجَوُّلُ النَهِمِيْن**

بيْنمَا كانَت نِسَاءُ الطبقَةِ الوسْطَى مِن أَمثَال "فرناندا موميليانو" فِي المَنزِل يُؤلِّفْنَ كتُبَ الطَهْيِ ويوجِّهْنَ للتَدبيْرِ المَنزِلِي، رَاحَ نظَائِرهِنَّ مِنَ الذكُوْرِ في المُقَابلِ يُوجِدوْنَ لأَنفُسِهم دَوْرًا كنَهِميْنَ جوَّالِيْن.

لقد تأسَّسَ النَادِي الإيطَالِي للسِيَاحَة في "ميلَان" عَام 1894، بعْدَ ثلَاثِ سنوَاتٍ مِن الإصْدَار الأوَّل لكِتَاب "علمُ المَطبَخ" لـ"بيلغرينو أرتوسي". كتَكريْسٍ للاحتِفَاءِ بأَمْجَادِ المنَاظرِ الطَبيعِيَّة للبِلَاد، وتَشجِيْعِ السِيَاحَة الأَجنبِيَّة، وإصْدَارِ الخرَائطِ وكُتيِّبَات الدَليْلِ السِيَاحِيِّ للزوَّار. إنَّ أوَّلَ نِظَامٍ للَافِتَاتِ الطُرُق في إيطَاليا هوَ أحَدُ إنجَازَاتهِ المُبَكِّرَة، وخِلَالَ سَبعيْنَ إلى ثمَانيْنَ عَامًا منْذُ أَن اجْتَازَ الشَابُّ "أرتوسي" وسَطَ إيطَاليَا بوَاسِطَةِ عربَةٍ وعلى ظَهْرِ الخَيْل، أصْبحَ السفَرُ أسْهَل كثيْرًا، 259 فبَاتَت رحلَاتُ الاستِكشَاف إلى المدُنِ والمنَاطقِ المُختَلِفَة بالنسْبَةِ للطبَقَةِ الوسْطَى على الأقَل مُمتِعًة أكثَر الآن- ووطَنِيًّة أيْضًا. قامَ أعضَاءُ النَادِي الإيطَالِي للسِيَاحَة باستِكشَاف شِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة مُستخدِميْنَ الدرَّاجَة الهوَائيَّة في البِدَايَة، ثُمَّ بالسيَّارةِ وحتَّى عَن طريْقِ الطَائِرَة. وفي ظِلِّ الفَاشِيَّة، قارَبَ عدَدُ الأعضَاء نصفَ مَليوْن، وأُفِيْدَ بأنَّه لِكَي تكوْنَ مِن الطبقَةِ الوسْطَى الإيطاليَّة، يَجِبُ أَن تَغْدوَ عُضْوًا في النَادِي السِيَاحِي.

أثنَاءَ عمليَّة التعَرُّفِ على إيطَاليا، اكتشفَتْ الطبقَةُ الوسْطَى كُنوْزًا صَالِحةً لِلأَكل مِن كُلِّ الأَنوَاع، وفي عَام 1931 حوَّل النَادِي الِسيَاحِي اهتِمَامَه مِن الجِبَال والآثَارِ إلى الطعَام بـ"دَليْل فَنِّ تذَوُّق الطعَام وطَهْيِه فِي إيطَاليا"- وَهو دَليْلٌ وَافِرٌ يتَأَلَّفُ مِن 527 صَفحَة تمَّ إرسَالهُ إلى جَميعِ الأعضَاء. إنَّ بعْضَ المَذاقَات التِي تمَّت فَهْرَسَتُهَا فِيْهِ مَألوْفَة، مثْلَ المَذَاقِ الحُلو التَابلِي النَاجِم عَن شَريْحَةٍ رَقيْقةٍ مِن لَحمِ الخِنزِير الأحْمَر الغَنِي والمُقدَّد لمَا لَا يَقِل عَن أحَد عشَر عامًا. وأُخرَى غَريْبَة، لكنَّها أطبَاقٌ عَجيْبَة مِن المنَاطِق المجهُوْلَة حتَّى يَومِنَا هذَا، وخاصًّة المنَاطِق الريفِيَّة الجَنوْبيَّة، مثْلَ الأرَانِب البَريَّة المَقليَّة المُقدَّمة معَ مَزيْجٍ حُلو تتبَعهُ مرَارَةٌ وهوَ مُعَدٌّ مِن قِطَعِ البَاذِنجَان، الكَبَر، الكَرفَس، العَسَل واللَّوْز المُحمَّص- لقَد تمَّ اكتِشَاف هَذهِ الوَصفَة بالقُربِ مِن "أغريغنتو" على السَاحِل البَعِيد لصَقَليَة.

لقَد ملَأ دليْلُ النَادِي الإيطَالِي السِيَاحِي الفجَوَات المَوجوْدَة في خَريْطَة طهْيِ "أرتوسي" الغَيرِ مُكتَمِلَة، فوَسَّع نِطَاقهَا لِتَصِلَ إلى كُلِّ زَاوِيَةٍ من البِلَاد. وبشَكلٍ مُتزَايدٍ، باتَت فُسيفِسَاء الطعَام الإيطَالي الرَائِعَة مُتاحةً لأولَئِك الذيْنَ يَستطيعوْنَ تحَمُّلَ تكَاليْفِ إيجَادِهَا. فِي الوَاقِع، وبالنسبَةِ لتِلكَ الطبقَةِ الاجتِمَاعيَّة المَحظوْظَة، أصبَح تنَاولُ الطعَامِ جُزْءًا لَا يتَجزَّأ مِن تَجرُبَةِ السَفَر. إنَّ المنَاظِر الطَبيعِيَّة الغَريْبَة، واللَّهجَات الغَيرِ دَارِجَة، والخُموْر المُسكِرَة اللَّاذِعَة- قَد أثارَت جَميْعهَا إحسَاسًا فريْدًا بالمكَان، والذِي تركَّز بشَكلٍ أكبَر في التخَصُّصَات المحَليَّة. فإذَا أرَدْتَ مَعرفَة إيطَاليَا يتوجَّبُ علَيْكَ أَن تُحِيْطَ عِلمًا بطعَامِهَا.

ومعَ إتِّبَاع ذَلِك بمَنشوْرَاتٍ أُخرَى صبَّتْ فِي ذَاتِ السِيَاق، والتِقَاطِ الصُحُفِ للرَائِحَة، تبَلوَرَ نَوْعٌ جديْدٌ مِن الخِبرَة، لقد مُنِحَ شَكلُهُ النِهَائِي عَام 1935 مِن قِبَلِ صِحَافِيٍّ مِن "مودينا" يُدعَى "باولو مونيلي"، ومعَ نُسخَتهِ التِي تُحمَل بالجَيْبِ مِن دَليْلِ "فَنُّ تذَوُّق الطعَام وطَهْيِه" للنَادِي السِيَاحِي. تعهَّد "مونيلي" بتنَاولِ الطعَامِ على طوْلِ شبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة بالكَامِل، ويكتُب مجموْعَةٌ مِن التقَاريْرِ الصِحَافِيَّة لصَالِح جريْدَةِ "تورينو". لقَد تسَلَّلت طريْقَةُ "مونيلي" إلى حضَارَة المَائِدة الإيطَاليَّة أكثَر ممَّا فعَل خَطُّ سَيرِ رِحلَتهِ أو الأطبَاقِ التِي تنَاوَلهَا. وبنظَّارتِه ذَات العدَسَة الوَحيْدَة وشَعْرهِ الأَملَس المَمشُوْطِ للخَلف، مَازِحًا معَ النُدُلِ والطُهَاة، تركَ مونيلي ذَلِك الانطِبَاع بأنَّه شخْصٌ مُتعَنِّتٌ برَأيهِ بشَكلٍ مُبهِجٍ، ومُتهَكِّمٍ بشَكلٍ لَطِيْف، أمَّا تقَاريْرَه الصِحَافِيَّة التِي نُشِرَت بكِتَابِ "النَهَمُ الجَوَّال" فقَد أَلهمَت الذوَّاقَة الإيطَاليينَ شَخصيًّة يتَبنَّوْنهَا. بالكَادِ يُمكِنُ ترجمَةُ مَا كتبَه، فهو مَليءٌ للغايَةِ بالتَلميْحَات الأدَبيَّة، والفَلسَفة التِي غذَّاهَا النَبِيْذ، 260 وتَشبِيْهَاتٍ مُبَالغٍ فيْهَا.

---------- \*أغريجنتو: مدينة إيطالية تقع على الساحل الجنوبي لصقلية، عاصمة مقاطعة جرجنت، تعرف كموقع لمدينة أكركاس القديمة، عدد سكانها 59.111 نسمة. من أشهر ابنائها لويجي بيرانديلو الكاتب المسرحي الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934.

فَفِي منطِقَة "فال دا اوستا" بجِبَالِ الأَلْب، على سَبيْلِ المِثَال، قامَ بتَجرُبَة "الكاربوناتا لَحْمِ البقَر المَطْهو فِي صَلصَةٍ بنَفسَجِيَّةٍ لهَا لوْنُ رمَادِ جبَلِ "فيزوف"، وحُزْنُ السحُبِ التَائِهَة"، غيْرَ أنَّها كانَت "شيْئًا لذيْذَ المَذَاقِ للغَايَة، فقَد اغتَسَلت بالبَصَل والنَبِيْذ المَطْهِي، وعبَقَت بنَكَهَاتِ المَرَاعِي التِي لَا حصْرَ لهَا". وإلى أسْفَلِ السَاحِل مِن "جَنَوَة"، قدَّمَت لَه ربَّةُ مَنْزلٍ اسْتضَافَتهُ بوَجْهِهَا "مَنحوْتٍ مِن الجُرفِ البَحْرِي" صَلصَة البِيسْتو: "تَنْطِقُ صَلصَةُ البيستو باللَّهجَةِ الليغوريَّة، وكلُّ مَا عَليْكَ فِعْلَهُ هو شمُّهَا فقَط، وسوْفَ تَلتَقِطُ أُذنَاكَ اللُّغَة العَاميَّة: إنَّها قاسِيَةٌ ورَقيْقَةٌ في آنٍ وَاحِد، مَبنِيَّةٌ مِن ثَرثَرَةٍ مُتشَدِّقَة، ومقَاطِعَ لفظِيَّةٍ هَامِسَة، وأَحْرُفِ عِلَّةٍ مُتجَهِّمَة".

في "روما"، تلْكَ المَديْنَة "اللَّذيْذَة، العِدائيَّة، المُزَخرَفَة بأَلوَانٍ عَديْدَة"، حيْثُ يتَجَسَّدُ أُسلوْبُ الطَهْيِ فِي "مُشْرِفَات المَنَازِل الضِخَام بمَنطِقَة تراستيفيري، بأَردَافهِم التِي تَسُدُّ الزُقَاق". وعلى التِلَال جنوْبَ العَاصِمَة، تناوَلَ موليني "السبَاغِيتِي بصَلصَة الأماتريتشانا المُشرَّبَة بشَذَى القَطِيْعِ المُنْحَدِر مُغبَرًا مِن الجَبَل"، ويُنْهِي وَجبتَهُ بخَوْخٍ "يُشبِهُ خَدَّ كَاهِنٍ شَاب". كانَ الكلَامُ النَثْرِيُّ مُبَالغًا، إلَّا أنَّهُ مَبنِيٌّ على العلَاقَةِ الإيطَاليَّةِ القَديْمَة والمَتِيْنَةِ بيْنَ الأمَاكِن والأَذوَاق. لقَد قدَّم النَهِموْنَ الجَوَّالوْنَ لإيطَاليَا الفَاشِيَّة، فِكرةً عَن مِثَاليَّةِ التعَجْرُف والشِعْرِ الجَديْد .

**الأُوَز والبَاذِنْجَان**

اتْجهَت "فرناندا موميليانو" مُؤلِّفَة كِتَاب "العيْشُ بشَكْلٍ جيِّدٍ أَثْنَاءَ الأَوقَات الصَعْبَة" لتَألِيْفِ كتَابٍ آخرَ عَام 1936 عنوانُه "تنَاولُ الطعَامِ الإيطَالي"، كانَ مِثَاليًا بدرجَةٍ أقَلَّ فِي زمَانِه، ومعَ ذَلِك فهوَ مثيْرٌ للمشَاعِر إلى حَدٍّ كَبِير، حيْثُ يُظهِرُ كيْفَ سَعَت امرَأَةٌ واحِدَةٌ لتَعديْلِ صوْرَةِ طعَامِ بلَادِهَا، مُميْطةً اللِّثَامَ عَن بُعْدٍ حَاسِمٍ مِن تَاريْخِه خِلَال هَذهِ العمَليَّة، وقَد فعَلت ذَلِك عنْدَما تمَّ إطلَاق القُوَى الظلَامِيَّة الفَاشِيَّة ضِدَّها، وضِدَّ أُسرَتِهَا، وأَصدِقَائِهَا. إنَّ كتَابَ "تنَاول الطعَام الإيطَالِي" هوَ أَوَّلُ مُحاولَةٍ لدمْجِ الأطبَاقِ اليَهودِيَّة في تَقليْدِ الطَهيِ الوطَنِي الإيطَالِي. إنَّه نِدَاءٌ للتسَامُح وإشْرَاكِ الجَميْعِ، تمَّت كتَابتَهُ بلُغَةٍ مُحبَّبةٍ لإيطَاليَا، هي لُغَةُ الطعَام، ومَا يزيْدُ قوَّتَه هو ولَادَتهُ مِن حَافَّةِ المَأسَاة.

لَم يكُن هنَاك وجوْدٌ أبَدًا لفلَّاحيْنَ إيطالييِّنَ يَهوْد، ولَا مُجتمعٌ هامٌّ لهُم في الجَنوْب، وذَلِك بعْدَ طرْدِ اليَهوْدِ مِن المُقاطعَات الإسبانيَّة في صَقَليَة، سردينيا، والجنوْبِ الإيطَالِي بأوَاخِر القرْنِ الخَامسِ عشَر وبِدايَات القرْنِ السَادِس عشَر خِلَال الحِقبَة الفَاشِيَّة، كانَت بعْضُ الجَالِيَات اليَهوديَّة في إيطَاليَا مِن مرَاكزِ المُقاطعَات مثْلَ "كازالي مونفيراتو261

-----------

\*فال دا اوستا: وادي أوستا أحد الأقاليم العشرين المكونة للأراضي الأيطالية، وهو يتمتع بنوع من الحكم الذاتي، يقع في أقصى شمال غرب البلاد، وهو أصغر الأقاليم الإيطالية فمساحته 3.263 كيلومتر مربع، وأقلها سكانا حيث يبلغ عددهم 122.868 نسمة، تحده من الشمال سويسرا، ومن الغرب فرنسا.

" أو "بيتيجليانو"، أمَّا مُعظمَهُم فيَنحَدروْنَ مِن أمَاكنَ مثْلَ فينيسيا، فيرارا، وليفورنو، وروما بالطَبْع- حيْثُ كانَ الحَيُّ اليَهودِيُّ بجِوَارِ نهْرِ "تيبر" يُؤوِي أكبَر وأَفقَر مَجمْوعَة. إنَّهُم أُنَاسٌ علمَانيُّونَ بشَكلٍ عَام ومُندَمِجوْنَ جيِّدًا، فأصْبَح بعْضُ اليَهودِ الإيطَاليِّين –مُقارنًة بغَيرهِم مِن القِطاعَات السُكانِيَّة العَديْدَة- فاشِيِّين. والعَديْدُ مِنْهُم وَطَنيِّون: فبَعْدَ كُلِّ شَيء، فإنَّ الولَادَة الجَديْدَة الوطَنيَّة الإيطَاليَّة هِي مَن فتَح الأَحيَاء اليَهوديَّة، وحرَّر اليَهوْد، وأخْرَج العَقيْدَة البَابويَّة مِن السِيَاسَة. عمَدَت إيطَاليا مَا قبْلَ الفَاشيَّة إلى مُحَاصَرَةِ العَديْدِ مِن المشَاكِل، لكِنَّ التعَصُّبَ المُؤسَّساتِي تِجَاه اليَهوْد ليْسَ أحَدهَا.

أصْبَح المنَاخُ السياسِيُّ في أوَاخِر عَام 1920 أكثَر تشدُّدًا، معَ سَعْيِ "موسوليني" للتقَارُب معَ أكثَر قوَّةٍ مُحافظَةٍ فِي البِلَاد: الفَاتِيكَان. قدَّم الزَعيْمُ طلبًا مُوهِنًا للعَزيْمَة، طَالِبًا "التَوضِيْح" مِن الجَالِيَة اليَهودِيَّة. لِمَن يَدينُوْن بولَائِهِم؟ هَل هُم أُمَّة أَم دِيْن؟ ولأوَّلِ مرَّةٍ عَام 1929، أصبَحَت الكَاثوليكِيَّة دِينَ الدَولَة الإيطَاليَّة، وباتَت قِيَمُهَا تُدرَّسُ في المدَارِس.

حدَث التحَوُّل الحَاسِم للفاشِيَّة إلى الاضطِهَاد العُنصرِي سنَة 1935، في ذَروَة شَعبيَّة النِظَام، عنْدمَا شنَّت القوَّاتُ الإيطاليَّة غزْوًا وحْشيًا على "أثيوبيا"، إِذْ تمَّ استِخدَامُ الغَازِ السَام ضِدَّ أعضَاء "العِرْق المُتدَنِّي" وحَظرَت قَوانِيْنُ جَديْدَةٌ التزَاوجَ بيْنَ المُستَوطنِين وسُكَّان البِلَاد الأَصليِّين. عنْدمَا أدَانَت عُصبَة الأُمَم الغَزْوَ وفرضَت العُقوبَات. اقترَب "موسوليني" أَكثَر مِن التحَالُف الكَارثِي معَ ألمَانيَا النَازيَّة. كانَ يهوْدُ إيطاليَا مُدركيْنَ جيِّدًا لمَا يَجرِي فِي عهْدِ "هِتلَر": فقدَّموا المُساعدَة والمَلجَأ لِمَن تمَّ اضطِهادَهُم بمُوجِب قوَانِين نورمبيرغ سنَة 1935، لكنَّهم حَاوَلوا بشَكلٍ عَام عدَمَ تَصدِيْقِ إمْكَانيَّةِ إصْدَار ذَات النَوعِ مِن القَوانِين فِي بلَدهِم. فبعْدَ كُلِّ شَيء، قاَلوا فِي أَنفُسهِم، بأنَّ الدُوتْشي (الزَعِيم) نفْسَه يتَّخِذُ عَشِيقةً يَهوديّةً منْذُ سنوَاتٍ عَديْدَة، وشدَّد بأحيَانٍ كَثيْرَةٍ بعَدَمِ إيْمَانهِ بوجُوْدِ "الأعرَاقِ النَقِيَّة".

فِي هَذهِ الفَترَة الغَامِضَة المُقلِقَة، كتَبَت "فرناندا موميليانو" مجموْعتَها الثَانِيَة مِن الوَصفَات. يُعَدُّ كتَابَ "تنَاول الطعَام الإيطَالِي" أكثَر مِن مُجرَّد كتَابِ طَهْي، فهوَ بادِرَةٌ سِيَاسيَّةٌ مِعيَاريَّة، وغِلَافُه مُميَّزٌ بالألوَانِ الوطَنيَّة الأَحمَر والأَخضَر والأَبْيَض. ورسَالَةُ "موميليانو" عَن التَوفيْرِ والانْسِجَام الزَوْجِي، أُعلِنَت بصوْتٍ أَعْلَى ممَّا كانَ عَليْهِ في كِتَاب "العيْشٌ بشَكلٍ جيِّدٍ أَثْنَاء الأَوقَات الصَعْبَة". كتبَت قَائِلَة: "لعَلَّ النِسَاء لَا يُمكِنُ أَن يُصبِحنَ أبَدًا كِبَار طُهَاةٍ عَظِيمَات، لَكِن بوِسعِهِنَّ الفَخْرُ بإضْفَاءِ روْحٍ عمليَّةٍ واقتِصَاديَّةٍ على كُلِّ وَجبَةٍ يُعدِدْنهَا، وبمَقدوْرهِنَّ أن يَجتَزْنَ أكثَر الاختِبارَات قَسْوةً عنْدمَا يكوْنُ الدَافِعُ مِن ذَلِك هوَ 262 حبُّ أَرضِ الأَجدَاد والعَائِلَة: فالمُنتَج الوَطَنِي هوَ الأفْضَل، وخصُوْصًا الأَرُز، فنحْنُ لَا نتنَاولُ مَا يَكفِي مِنْه.

--------- \*كازالي مونفيراتو: مدينة إيطالية بمقاطعة ألساندريا في إقليم بييمونتي. بتعداد قاطنيها البالغ أكثر من 36,000 ساكن تكون ثانية مدن المقاطعة بعد العاصمة ألساندريا.

\*بيتيجليانو: هي بلدة في مقاطعة غروسيتو، وتقع على بعد حوالي 80 كيلومترٍ جنوب شرق مدينة غروسيتو، توسكانا إيطاليا. تُعرف البلدة القديمة الغريبة بالقدس الصغيرة، للوجود التاريخي لمجتمع يهودي دائمًا ما تم دمجه جيدًا في السياق الاجتماعي وله كنيس يهودي خاص به.

\*ليفورنو: ميناء في شمال غرب إيطاليا، في توسكانا، على البحر الليغوري.

\*قوانين نورمبيرغ: هي سلسلة من القوانين العنصرية صدرت في 15 أيلول من سنة 1935 لتشكل معلمًا من معالم السياسة التشريعية المناهضة لليهود في ألمانيا.

في بِدايَات عَام 1936، وخلَالَ الظُروْفِ الحسَّاسَة للغَايَة، اضطَرَّت "موميليانو" أَن تجْعلَ طَهْيهَا مُمَاثِلاً للأَعْرَاف والعَادَات قَدْرَ الإمْكَان- دوْنَ مُباركَة النِظَام لِذَلِك. فغِيَاب أَيِّ إشَارَةٍ للزَعِيْم أَو عَقيْدتَه مَلحُوْظٌ بيْنَ الوَصَفَات. لَم تَستطِع "موميليانو" تحَمُّل الإِذْعَانَ للفَاشيَّة، التِي أدْرَكَ كلُّ أَفْرَادِ عَائِلتَهَا تمَامًا طبيْعتَها القَمعِيَّة. كانَ شَقيْقُها الأَكبَر سِنًا مُحامِيًا نَاجِحًا وسِياسيًا فِي الحِزْبِ الرَاديكَالِي. بالعَوْدَةِ لعَام 1924، وفي حَادثتَين مُنفَصِلتَين، قامَ سفَّاحوْنَ مِن مُنظَّمة القُمصَان السَودَاء الفَاشِيَّة بتَحطِيْم مكَاتِبِه القَانونِيَّة وضَرْبهِ بوَحشِيَّة في مَسْرَحِ مِيلَان، ومُنِعَ مِن مُزاوَلَة مِهنَتِه، وأُجبِرَ على الترَاجُعِ عَن كِتابَةِ سِيَرٍ ذَاتِيّةٍ تَاريخِيّةٍ، عنْدمَا رفضَت الصَحافَةُ الإيطَاليَّةُ مُراجعتَها.

إنَّ الغَايَة المَرجُوَّةَ مِن كِتَاب "تنَاولُ الطعَامِ الإيطَالِي" هِيَ اسْتِخدَام "المُنتجَات المُتنَوِّعة والجَيِّدة مِن أَرضِنَا" وإعْدَادِ أطبَاقٍ تَقليدِيَّةٍ بَسيْطَةٍ منِ مدُنِ شِبْهِ الجَزيْرَةِ الإيطَاليَّة، مثْلَ طبَقِ الضفَادِع المُتبَّلة والمَقليَّة مِن "نوفارا"، وسبَاغِيتِي نابولي معَ صَلصَة الطمَاطِم، ومَعكرونَة تالياتيلي البولونيَّة والأرَانِب على الطَريْقَة التِريستِيَّة، أَو صَلصَة البِيستو على الطَريْقَة الجَنَويَّة. وبحُلوْلِ عَام 1936، باتَ هذَا برنَامِجًا مَألوْفًا- اتَّبعَتْهُ كُلُّ وَريْثَاتِ "أرتوسي" مِن النِسَاء. بيْدَ أنَّ "فرناندا" أَوجدَت اختلَافًا شُجاعًا حاسِمًا، إنَّ كِتَابَ "تنَاول الطعَام الإيطَالِي" يَعنِي أيْضًا تنَاول ستَّ عشْرَة وَصفَة ميَّزَت التيبرايكا بشَكلٍ وَاضِح-"الأسلوْبُ اليَهودِي". وهِي تترَاوَحُ مَا بيْنَ قِطَعٍ مِن سمَكِ الكَارب المَطهِيِّ في النَبِيذ الأَبْيَض، البصَل، والفِطْر المُجفَّف، إلى ريزوتو الزَعفَرَان التِي تُعِدُّهَا العَائِلَاتُ اليَهوديَّة عَشِيَّة يوْمِ السَبْت: "إنَّ الريزوتو أكلَةٌ يَهودِيَّةٌ رَائِعَة، تَلْقَى تَقديْرَ الجَمِيْع، أيًا كانَ الإيْمَانُ الذي يَعتَنقوْنَه!".

إنَّ تاريْخَ الطَهْيِ الإيطَاليِّ- اليَهوْدِي هوَ أقدَمُ بقروْنٍ مِن الكرَاهيَّة الإيطَاليةَّ. في الوَاقِع، لقَد عكَس الطعَامُ اليَهودِيُّ عبْرَ العُصوْرِ في إيطَاليا، جميْعَ التَجَارُب المُتنَوِّعَة لليَهوْد الإيطَاليِّينَ ذَاتِهُم: أُصولَهُم المُتنَوِّعة، وتَأويلَاتهِم المُتبَاينَة للمُحرَّمَات والأَعرَاف الدينِيَّة، وعلَاقَتهِم المُتغَيِّرة بالمُجتمَعِ مِن حَولهِم، وثروَاتهِم الاقتَصَاديَّة المُختَلِفَة. غيْرَ أنَّهُ وسْطَ كُلَّ هذَا التنَوُّع برَز أُسلوْبَا طَهيٍ يَهوديَّينِ مُميَّزَيْنِ في الفَترَةِ مَا بيْنَ عصْرِ النهْضَة والقرْنِ التَاسِع عشَر، حيْثُ يُمكِن تَجسيْدَ كُلٍّ مِنهُمَا بطَبقٍ وَاحِدٍ مُعيَّن. كانَ وَادِي "بو" من "بيدمونت" إلى "البندقية" و"فيرارا" يُعَدُّ مَنطِقَة الأُوَز، فالأُوَزُّ يشْغَلُ المكانَة نفْسهَا في المطْبَخ اليَهودِي الإيطَالِي التِي يحْتلَّها الخِنزيْرُ بالنِسبَة للمَسيحِيِّين: فشَحمُه يُستخدَم للقَلي، ولَحمُه لصُنْعِ النقَانِق والسلَامِي، أمَّا جِلدهُ فلِإعْدَادِ القِطَعِ المَقليَّةِ المُقرمَشَة.

-----------

\*الحزب الراديكالي: حزب سياسي في إيطاليا. على مدى عقود كانت معقلًا لليبرالية والتطرف في إيطاليا، وقدم نفسه كأقوى معارضة للمؤسسة السياسية الإيطالية، التي يُنظر إليها على أنها فاسدة ومحافظة.

\*نوفارا: مدينة شمال إيطاليا، عاصمة مقاطعة نوفارا. وبعدد سكانها البالغ 102.595 نسمة تعد ثاني أكبر مدن إقليم بييمونتي بعد مدينة تورينو. تعد المدينة مفترق طرق تجارية هامة من بينها الطريق الرابط بين ميلانو وتورينو، وذلك الذي يربط جنوى بسويسرا. رمز المدينة هو قبة كنيسة سان غاودنسيو، التي يصل ارتفاعها إلى 122 متر.

\*تالياتيلي: كلمة أشتقت من الكلمة الأيطالية بمعنى "القَطْع" و التالياتيلي هي الباستا الكلاسيكية لإقليم إميليا رومانيا في إيطاليا. عبارة عن أشرطة مستوية مماثلة بشكلها لمعكرونة فيتوتشني، لكن الحجم النموذجي لهذه الباستا حوالي 0.65 سنتيمتر إلى 1 سنتيمترِ عرضًا.

\*تريستي: مدينة وميناء في شمال شرق إيطاليا قرب الحدود مع سلوفينيا، سكانها 207.000 نسمة وهي عاصمة لإقليم فريولي فينيتسيا جوليا ذاتي الحكم.

263 وإلى الجنوْبِ مِن انحِنَاء سِلسِلَة جِبَال "الأبنين"، وعلى النَقيْضِ مِن ذَلِك، في إقليْمِ "توسكانا" وخاصّةً في المُجتمَع القَديْمِ الحَبيْسِ في الحَيِّ اليَهوديِّ الكَالِحِ بروما، كانَت الأَطعِمَة اليهوديَّة النَموذجيَّة هيَ الخُضروَات، وبشَكلٍ خَاص الخَرشوْف (الأَرضِي شَوكِي) والبَاذِنْجَان. ولَن يكتَمِل وصْفُ المَطْبَخ الرومَانِيِّ دوْنَ الكارشوفي آلا جوديا: فمنْذُ القرْنِ السَادسِ عشَر على الأقَل، باتَت ثمَارُ الخَرشوْفِ الكَامِلَة المَقليَّة، تَقِفُ بصُفوْفٍ أَنيْقَةٍ، وقِمَّتهَا للأَسْفَل فِي صوَانِي الشِوَاء الرومَانيَّة.

تَعْرِضُ "فرناندا موميليانو" دمْجًا لهَذَيْنِ التَقليدَيْنِ، فهِيَ تُدْرِجُ الكارشوفي آلَا جوديا (الخَرشوْف) الروْمَانِي معَ سِتِّ وصَفَاتٍ مُختَلِفَةٍ للبَاذِنْجَان، غيْرَ أنَّها تُظهِرُ حمَاسًة شَديْدًة تِجَاه الأُوَز، شَارِحًة على سَبيْلِ المِثَال طريْقَة إعدَاد لَحْمِ الأُوَز المُقدَّد، حيْثُ يُوضَع صَدْرُ الأُوَز معَ الجِلد بعْدَ إزَالَة العَظْمِ مِنْه فِي حَاوِيَةٍ مُحكمَة الإغْلَاق، معَ الكثيْرِ مِن المِلْحِ ولمُدَّة عشْرة أيَّام، يُعلَّق الصَدْرُ بمُجرَّد إِزالَتهِ مِن المِلح فِي مكَانٍ بَاردٍ وجَافٍّ حتَّى يَغْدُوَ لَوْنُ الأُوَز دَاكِنًا- يُصبِحُ حيْنهَا جاهِزًا لتَقطيْعهِ إلى شَرائِح رَقيْقَة لَذيْذَة.

وباعتِبَارهِم سُكَّانًا حضَريِّيْنَ فِي الغَالِب، فقَد كانَ ليَهوْد إيطَاليَا تَأثيْرٌ على حضَارَة الطعَامِ الإيطَاليَّة، وبشَكلٍ لَا يتنَاسَبُ مُطلقًا معَ أعدَادهِم، على الرَغْمِ مِن مُعادَاة السَاميَّة التِي أدَّت إلى سِلسِلة مِن المُحاولَات للفَصْلِ العُنصُرِيِّ للطعَام، ووجوْدِ الفِكرَة الساَئِدة بأنَّ الأُوَزَّ والبَاذِنجَان هيَ أَطعِمَةٌ قَذِرَةٌ دونِيَّة. في عَام 1560 إِثْرَ حركَة الإصْلَاح المُضَاد في بولونيا، أَصدَر المندوْبُ الباَبَوي أمْرًا بمَنْعِ الجزَّاريْن اليَهوْد مِن بَيْعِ لحومِهِم إلى المَسيحِيِّين، ثُمَّ قامَت السُلطَات المَدنيَّة بإلغَائِه بحُجَّةِ أنَّ "الناسَ في بولونيا قَد ادَّعوا بأنَّهم أكثَر رِضًا عَن اللُّحوْمِ اليهوديَّة المُمتَازة، مِن لحوْمِ الجزَّاريْن المَسيحيِّين". لعَلَّ للنظَافةِ الصِحيَّة الأكثَر تحَضُّرًا التِي تَنطَوِي عليْهَا مُمارسَات الذَبْحِ وِفْقًا للشَريْعَة اليَهودِيَّةِ علَاقة بذَلِك.

لقَد قدَّر بعْضُ أفضَلِ طُهَاةِ إيطَاليا عبْرَ القروْنِ جوَانِبَ ثقَافَة الطعَامِ اليَهوديَّة، وخِلَال عصْرِ النَهضَة اعتمَدَت عائِلَة "إيستي" الملَكيَّة الحَاكِمَة لفيرارا، على المهَارَات المَاليَّة للمُجتمَع المَصرَفِي اليَهودِي الرَاسِخ، لتَمويْلِ أُسلوْبِ حيَاتِهَا البَاهِر. لقَد أثَّرَت تقاليْدُ الطعَام اليهوديَّة أيْضًا على مُشرِف حفَلَاتِ عائِلَة "إيستي"، "كريستوفورو دي ميسيسبوغو"، الذِي كانَت وصفَتهُ قبْلَ الأخيْرَة فِي المَأدُبَة هيَ "طبَقُ اللَّحم على الطريْقَةِ العِبرِيَّة": إنَّهَا نوْعٌ مِن البيْضِ الأسكُتلَندِي، يتِمُّ إعدَادَهُ عبْرَ لَفِّ لحْمِ العِجلِ المَفروْمِ المُنَكَّهِ بالزَبِيْب، الأعْشَاب العِطريَّة، والتوَابِل حوْلَ صفَارِ البَيضِ المَسلوْقِ حتَّى يُصبِحَ قاسِيًا، حيْثُ يُوصِي "ميسيسبوغو" بطَهْيِه وتَقديْمِه فِي المَرَق معَ شَرائِح الخُبْز، أمَّا "بارتولوميو سكابي"، الطَاهِي السِرِّي للبَابَا، فقَد أحَبَّ صُنْعَ مَعجوْنِ كَبِد الأُوَزِّ مِن الأُوَزِّ الذِي يُربِّيهِ اليَهوْد.

في أوَاخرِ القرْنِ التاسِع عشَر، أدرَج "بيلغيرينو أرتوسي" بعْضَ الأطعِمَة اليهوديَّة في كتَابهِ "علمُ المطبَخ"، فهوَ لديه العديدُ مِن الأَصدِقَاء مِن الجَالِيَة اليهوديَّة التوسْكَانيَّة، قامَ اثنَانِ منْهُم بتَعليْمِه كيْفِيَّة طَهْيِ طبَقِ الكُسْكُس.

----------

\*معاداة السامية: أو معاداة اليهود هو مصطلح يطلق لمعاداة اليهودية كمجموعة عرقية ودينية واثنية. وتُترجَم أحياناً إلى "اللاسامية". تم استعمال المصطلح لأول مرة من قبل الباحث الألماني فيلهم مار لوصف موجة العداء لليهود في أوروبا الوسطى في أواسط القرن التاسع عشر.

264 وهوَ أيْضًا مُحبٌّ للبَاذِنجَان، وهوَ مَا منحَهُ اسْتِرَاحةً لأجْلِ مَوقفٍ جَدِّيٍ بشَكلٍ مِثَالِي:

*منْذُ أربعيْنَ عَامًا أو نحْوهَا، كانَ مِن النَادرِ رؤيَة البَاذِنجَان والشمَّر فِي سوْقِ فلورنسا، حيْثُ اعتُقِدَ أنَّهُما طعَامٌ يهودِيٌّ كَريْه، وهوَ مَا يُوضِّح أنَّه فِي هَذهِ المَسألَة كحَالِ غَيرِهَا مِن تلْكَ الأَكثَر أهميَّة، فإنَّ اليَهوْدَ لديْهِم أَنْفٌ أَفضَل بكَثيْرٍ مِن المَسيحيِّين بتَميِيز مَا هوَ جيِّد.*

دُعَابَةُ الأَنْف: إنَّها غيْرُ لَبِقَةٍ بشَكْلٍ لَا يقْبَلُ الشَك، وَلكِن مِن نَاحِيَةٍ أُخرَى فإنَّ هَذهِ الكَلِمَات البَريْئَة ستَغْدو فيْمَا بَعْد علَامًة على تغْيِيرٍ مُرْعِب. عنْدمَا أُعيْدَ نشْرُ كِتَاب أرتوسي "علمُ المطبَخ" لعَدَدٍ لَا يُحْصَى مِن المرَّات عَام 1939، تمَّ حَذْفُ المَقْطَع المُقتبَس في الأَعْلَى، مِن الوَاضِح أنَّ الإشَادَة بالتذوُّقِ الجيِّد لأعْدَاءِ الوطَن لَم يكُن بالأَمْرِ المُنَاسِب. ففِي العَام الفَائِت، كانَ "موسوليني" قَد طبَّق القوَانِين العُنصريَّةَ الخَاصَّة بإيطَاليا: فمنَع اليَهوْدَ مِن مُزاولَة المِهَن، وتمَلُّك المُمتلَكَات، الذهَاب للمدَارِس الحكوميَّة، ومِن الزوَاج أو توظِيْفِ "العِرْقِ الآرِي". لقَد رُفضَت كلُّ المُناشدَات للتسَامُح وجَعْلِ الجَميعِ شُركَاء في الوطَن، بغَضِّ النظَرِ عَن اللُّغَة التِي تمَّ التَعبيْرُ بِهَا. أصْبحَت إيطاليا الفَاشيَّة الآنَ دولًة عُنصريّةً. وفي يونيو عَام 1940 عنْدمَا انضَمَّ "موسولويني" إلى جَانِب "هتلر" في الحَربِ العالميَّة الثَانِيَة، تمَّ وضْعُ اليَهوْد غيْر الإيطَاليِّين ضمْنَ الإقَامَة الجَبريَّة؛ فوقعَ عنْفٌ مُعَادٍ للسَاميَّة وتخريْبٌ للمُمتلكَات فِي عدَّةِ مدُنٍ إيطاليَّة، وخصوْصًا "تريستي"، وفي مايو عَام 1942 تمَّ إجبَار جميْعِ اليَهوْد الإيطاليِّين على التَسجِيل بأعمَالِ السُخْرَة. في سبتَمبَر عَام 1943، استسْلمَت إيطاليا للحُلفَاء، فاجتَاح الألمانُ البلَادَ ونفَّذوا بسُرعَةٍ حملَاتِ الاعتِقَال، والتَرحِيل والإبَادَة الجمَاعيَّة.

هنَاكَ العديْدُ مِن قصَصِ النَاجيْنَ بيْنَ اليَهوْدِ الإيطَاليِّين، حكايَا الحركَاتِ النَبيْهَة، الشُجاعَة، والحَظِّ الأَعْمَى، مِن المُسَاعدَة غيْرِ المُتوقَّعة والخِيانَات التِي تمَّ تلَافِيْهَا. تَروِي "فرناندا موميليانو" إحدى هَذهِ القِصَص. فِي السَادِس عشَر مِن أكتُوبَر عَام 1943، شنَّ النِظَام النَازيُّ حملَاتِ اعتقالَاتٍ وَاسِعَةَ النِطَاق ضِدَّ اليَهوْد الإيطَاليِّين في المدُن الكُبرَى، ففِي روما تمَّ تَرحيْلُ أكثَر مِن أَلفِ شَخْصٍ مِن الحَيِّ اليَهوْدِي إلى مُعَسكَرِ "أوشفيتز". فِي ذَلِك اليَوْم، كانَ العديْدُ مِن يَهوْدِ "ميلَان" ومِن بيْنهِم "فرناندا موميليانو" قَد اختَبأوا مُسْبقًا، بيْد أنَّ 200 شَخْص مِنهُم وقَعُوا فِي قَبْضَةِ وحَدَات إس إس النَازيَّة، والتِي دَاهمَت عنَاويْنَ ضِمْنَ لوَائِحَ قَد وَرِثَتْهَا مِن السُلطاَت الإيطَاليَّة.

----------- \*العرق الآري: الآرييون شعب قديم أصله من شرق أوروبا. استولى على إيران من الشمال الغربي للهند عام 2000 ق.م. وكان سببا في تدهور حضارة السند. وكانت لغته صورة أولية من السنسكريتية ويطلق عليها الآرية. وهي أساس اللغات الهندو الأوروبية، لأنَّ الشعب الآري كان يسكن المناطق الممتدة من شرق أوروبا إلى جنوب آسيا. وقد وصل للهند سنة 3000 ق.م.

\*معسكر أوشفيتز: كان معسكر اعتقال وإبادة بُني وأدير من قبل ألمانيا النازية في أثناء الاحتلال النازي لبولندا أثناء الحرب العالمية الثانية. يعتبر معسكر أوشفيتز من أكبر معسكرات الاعتقال النازية ويتكون من ثلاثة معسكرات رئيسية و45 معسكرًا فرعيًا.

\*وحدات إس إس النازية: أو شوتزشتافل، وهي منظمة كانت تابعة إلى الحزب النازي الألماني، أنشأت سنة 1925 وكلفت بمهمة حماية أدولف هتلر. وفي سنة 1926 وضعت تحت إمرة الأس أيه، أي الجناح العسكري للحزب النازي المعروف بقسم الهجوم.

265 شَهِدَت المَرحلَةُ التَالِيَة مِن المِحْرقَة، ظهوْرَ إيطاليِّين يقوموْنَ بعمَلِ النَازيِّين لحِسَابهِم: الشُرطَة والمِيليشْيَات الفَاشِيَّة، أو عِصابَات السَلْب والقَتْل الطَليْقَة اليَد، والتِي تعْمَل بمُوافَقَةٍ كَامِلَةٍ مِن الحكوْمَة الإيطاليَّة الدَمَويَّة بِيَد الأَلمَان، إنَّ العديْدَ منْهُم مُجرَّد موَاطنِيْنَ عَاديِّين، أفسَدتْهُم المُكافَآت المُقدَّمة مُقَابِل الضحَايَا اليَهوْد. وعلى ضَوْءِ هَذهِ الخَلفيَّة، مضَت "فرناندا موميليانو" مُتحلِّيةً بشجَاعَةٍ استثْنَائيَّة صَوْبَ "بوسيتو" بيْنَ "ميلَان" و"بارما"، لتَحذيْرِ شَقيْقَتِهَا "بيانكا" وإنقَاذِهَا مِن التَرْحِيل. لَم يكُن زوْجُ "بيانكا" محظوْظًا جدًا، وتمَّ قتلُه بالغَاز، خُبّئت والدَتُهُما المُختلَّة عقليًا فِي مشْفَى "نيغواردا" الجَديْد بميلَان، وأنقذَتْهَا "فرناندا" أيْضًا- عبْرَ شَرحِهَا للمُمرِّضَات أنَّها ليْسَت يهوديَّة، بَل مَجنوْنَة لَا أَكثَر. لَم يكُن لدَى العديْدُ مِن الإيطاليِّين غيْرَ المُتعلِّميْن فكرةٌ تُذكَرْ عمَّن كانَ اليَهوْد.

فِي النِهَايَة، تديْنُ مُؤلِّفَة كِتَاب "تناولُ الطعَام الإيطَالي" بنجَاتِهَا لأصْدِقَائها غيْرِ اليَهوْد. لقَد استخْدمَت الشُرطَة الإيطاليَّة حِيلةً لمُحاولَة الإيْقَاع بِهَا، فبيْنمَا كانَت مُختبِئةً، قيْلَ لهَا إنَّ شخْصًا اتَّصَل بشِقَّتِهَا مُدَّعيًا أنَّ بحَوزَتِه رسَالةً مِن قَريْبٍ لهَا تمَّ تَرحيْلُه، وبيْنمَا أخَذَ صَاحِبُ المَتْجَر الذِي تعرْفهُ يشْرَحُ هَذهِ الوَاقِعَة لهَا، دخَل رجلٌ وطلَب رؤيتَها، تظاهرَت بأنَّها زَبوْنَة، بيْنمَا راحَ صديْقهَا يشْرَح أنَّه لَم يعْثَر عليْهَا بأيِّ مكَان، تمَّت مُلَاحقَة الرَجُل لَاحِقًا- طِوَال الطريْقِ إلى مَقَرِّ الشُرطَة.

شَهِدَت الحرْبُ العالميَّة الثَانِية غَزْوَ إيطاليا من الحُلفَاء مِن الجَنوْب، ومن الألمَانُ مِن الشَمَال، وتمَّ التنَازعُ على أرَاضيْهَا في حرْبٍ أهليَّةٍ وحشِيَّةٍ بيْنَ المقَاومَةِ والفَاشيِّين المُتمرِّديْن؛ فقُصِفَت مدُنهَا، ودُمِّرَت بنيتُها التَحتِيَّة، وعانَى سُكَّانُهَا الجُوْع. فِي المَناطِق الِتي لَايزَال الفَاشيُّون يُديروْنهَا، كانَ نِظَام حِصَص الطعَامِ غيْرَ فعَّالٍ بشَكلٍ مَيؤوْسٍ مَنْه، أمَّا الجَنوْبُ الخَاضِعُ لسَيطرَة الحُلفَاء، فقَد انتشَرت اللَّامَشروْعِيَّة على نِطَاقٍ وَاسِع، ونادِرًا مَا وصَلت المُساعدَات الغِذَائيَّة إلى مَن أُرسِلَت إليْهِم مِنَ المَعنيِّيْنَ بِهَا، فعَكسَت قُطبيَّةَ الطعَام قديْمِ العَهد بيْنَ الريْفِ والمَديْنَة: وبَاتَ بوِسْعِ المُزَارعيْنَ التحَكُّمُ بالأسْعَار المُروِّعَة عبْرَ إرسَالِ مُنتَجهِم إلى السوْقِ السِوْدَاء الحضَريَّة. بدَا كلُّ ذَلِك كصَدى فظيْعٍ للعَوَزِ والتَدميْر الذِي سبَّبَتْهُ الجيوْشُ الأَجنَبيَّة والمَحليَّة منْذُ سقوْطِ الإمبراطوريَّة الرومَانيَّة. لقَد انهارَت إيطَاليا معَ حضَارَة مَائِدَتهَا تقريْبًا. 266

----------

\*بوسيتو: بلدية في مقاطعة بارما في إقليم إميليا رومانيا الإيطالي.

**الباب السادس**

**أَرْضُ الوَفْرَة**

**17**

**روما عَام 1954**

**-------------------------------**

**مُعجِزَةُ الطعَام**

**وأخيْرًا، ثَوْرَةُ الطعَام**

وحيْنهَا تغيَّر كلُّ شَيء. إنَّ "المُعجِزةَ الاقتِصَاديَّة" لإيطَاليا والتِي ارتكزَت على الارتِفَاع غيْرِ المَسبوْقِ للنمُوِّ الصِنَاعِي بيْنَ عَامَي 1958 و 1963، قَد حوَّلَت أُمًّة مِن المُزارعِيْن إلى أُمَّةٍ مِن عُمَّال المَصَانِع.

تَروِي لنَا الإحصَاءَات قصَّة المُعجِزَة بكفَاءَةٍ مُطلقَة، فَفِي عَام 1951، صنَعَت إيطاليا 18500 ثلَّاجَة، وفي عَام 1957، أنتْجَت 370 ألفًا مِنْهَا، وبعَام 1967 تمَّ نقْلُ كميَّةٍ هائِلَةٍ منْهَا بلغَت 320000 خَارِج خطوْطِ الإنْتَاج. وقَد تسَارَع إنتَاجُ السَيَّارَات، وأَجهِزَةُ المِذيَاع، الغسَّالَات، الآلَات الكَاتِبَة، وغيْرهَا مِن السِلَع الاستِهلَاكيَّة المحَليَّة بمُعدَّلٍ مُمَاثِل. أصبَحَت إيطَاليا عِملَاقًا مُصَدِّرًا: وباتَت الآنَ العلَامَات التِجاريَّة مثْلَ درَّاجَات فيسبا، سيَّارَات فيات، آلَات الغَسِيْل كاندي، زانوسي لِلأَجهِزَة المَنزليَّة، وأوليفتي لِلَآلَات الكَاتِبَة؛ مَعروْفةً جيِّدًا مِن قِبَل العَائِلَاتِ عبْرَ السُوقِ الأُوروبِيَّة المُشترَكَة الجَديْدَة.

تَعْنِي الحَدَاثَةُ بالنِسبَة للإيطَاليِّين التَنَقُّل؛ فقَد تنَقَّلَ فِي الفَترَةِ مَا بيْنَ عَامَي 1955 و 1971 أكْثَر مِن تسْعَةِ ملَايِيْنِ شخْصٍ بيْنَ مُختلَف المنَاطِق، ومِن عَام 1958 إلى عَام 1963، والتِي مثَّلَت أكثَر السنوَاتِ إِثارًة في التحَوُّلِ العَظِيم، فقَد ترَك 900 أَلفَ شخْصٍ الجَنوْبَ مُتَّجهِيْنَ إلى منَاطِقَ أُخرَى أكثَر غِنىً فِي إيطَاليا. وبحلوْلِ نهَايَةِ السِتِّينَات مِن القرْنِ المَاضِي، أصْبحَت "تورين" العاصِمَة الحيويَّة للشمَال، تَؤوِي أُنَاسًا مِن الجَنوْبِ أكثَر ممَّا آوَت أَيُّ مَديْنَةٍ جنوبِيَّةٍ باستِثنَاء "نابولي" و"باليرمو"، كانَ هنَاكَ هِجرًة جمَاعيًّة مِن الأرَاضِي فِي جميْعِ أَنحَاءِ البِلَاد، فازدهَرَت المُدن، وازدَادَ التِعْدَاد السُكاَّنِي بمِقدَار نصْفِ مِليوْن فِي روما عَام 1961، وعَام 1967. 269 أمَّا فِي الشمَالِ الشَرْقِيِّ حيْثُ مَنطِقَة الفَقْرِ والعَصِيْدَة، فقَد انخفضَت نِسبَة العُمَّال المُستَخدَمِين فيِ الرِيْفِ مِن أَقَلَّ مِن النِصْفِ حتَّى مَا يزيْدُ قليْلًا عَن الرُبْعِ في فَترَةٍ لَا تتَجَاوَزُ العَقْدَ مِن الزمَانِ بكَثِير.

خلَال المُعجِزَة، وصَلَت أخيْرًا ثورَةُ الطعَام التِي طالَ انتِظارُها فِي إيطَاليا. لقَد كانَت أرْضُ الوَفرَة يوْمَ عيْدٍ سنَويٍّ مِن السَرَاب بالنِسبَة لغَالبِيَّةِ الِإيطَاليِّين منْذُ زمَنٍ سَحِيق، أمَّا الآنَ فهِيَ حَقِيقَةٌ يَومِيَّة. وكمَا فعَل قبْلَهُم المُهاجِروْنَ إلى العَالمِ الجَدِيْد، فقَد تخَلَّى الإيطَاليُّونَ أثْنَاء المُعجِزَةِ عَن الغِذَاء الرَئيْسِي الذِي يحْمِلُ مذَاقَ مُعانَاةِ الزمَن المَاضِي- العَصِيْدَة، فِي المقَامِ الأوَّل. فِي أوَائلِ الخَمسِينيَّات مِن القَرنِ المَاضِي، بلَغ مُتوسِّط مَا يتنَاولهُ كلُّ رجُلٍ إيطَاليٍّ وامْرَأةٍ وطفْلٍ في جَميْعِ المُقاطعَات الوَطنِيَّة، مَا لَا يزيْدُ عَن أونصَتَين مِن وجْبَةِ الذُرَة الصَفْرَاء يوْمِيًا؛ بالرغْمِ مِن أنَّ عَصيْدَة الذُرَة كانَت في ذَاكَ الوَقْتِ تَقْتَصِرُ على الشمَالِ وأجْزَاءَ مِن المنَاطِق الوسْطَى بشَكلٍ هَائِلٍ، ومعَ ذَلِك فَفِي أوَاخِر السِتِّينَات، انخفَض هذَا الرقَم بمِقدَار الثُلثَيْن. وبحلوْلِ أوَائلِ الثمَانينَات، باتَ مُتوَسِّط الاستِهْلَاك القَومِي للعَصيْدَة صَغِيرًا للغَايَة ليَتِمَّ تَسجِيْلهُ إحصَائيًا.

ومرًّة أُخرَى، وكمَا فعَل المُهَاجروْنَ إلى الأَمريكِيَّتيْن تمَامًا في أوَائلِ القرْنِ العِشريْن، تحوَّلَ الإيطَاليُّوْنَ في الستِّينَات لتنَاولِ اللَّحمِ بشَهيَّةٍ وُلِدَت لجُوْعٍ مُوْغِلٍ فِي القِدَم. فِي السنَةِ التِي تأسَّسَت فيْهَا الدَولَةُ الموَحَّدَة، أَي عَامَ 1861، كانَ مُتوَسِّط استِهلَاكِ اللُّحوْمِ يُقدَّر بسِتّةٍ وعِشريْنَ رِطْلًا مِن اللَّحْمِ لكُلِّ فَرْدٍ فِي السنَة، وهذَا يعْنِي 1.2 أونْصَة كُلَّ يَوْم- أَي مَا يُعَادِل نصْفَ وزْنِ البَيْضَة. بعْدَ قرْنٍ مِن الزمَان، وفي عام 1960 بَقِيَ الإجمَالِي اليَومِي لَا يتجَاوَزُ 2.1 أونْصَة يوْمِياً. في الأَشْهُر الأَربعَة الأُولَى وحْدهَا مِن عَام 1963، تضَاعَفَت وَارِدَات اللُّحوْم ذَاتِ لجَوْدَةا أربعَة أَضْعَاف، وبحُلوْلِ عَام 1975، وصَل الِاستِهلَاكِ اليَومِي لكُلِّ شَخْصٍ 6 أونْصَات. وفي سنَة 1989، أصْبَحَ الإيطَاليُّونَ مُغرَمينَ باللُّحوْمِ أَكثَر مِن البريْطَانيِّين الذِيْنَ دعَاهُم موسوليني بـ" شَعْبِ الخَمْسِ وجَبَاتٍ فِي اليَوْم". وبشَكلٍ متُنَاسبٍ، قَاموْا حتَّى بتنَاولِ ثلَاثَةِ أَربَاعِ الكميَّاتِ الضَخْمَة المُستهْلكَة فِي "حضَارَةِ شَرائِح اللَّحْم" للوِلَايَات المُتَّحِدة. بدأَت الاختِلَالَات الغِذَائيَّة الإقلِيمِيَّة بالتلَاشِي أيْضًا. فَفِي عَام 1964، استهْلَك الجَنوبِيُّونَ مِن اللَّحمِ نصْفَ القَدْرِ التِي استهْلكَهُ الشَمَاليُّون، وبعْدَ عَقْدٍ مِن الزمَانِ وصَلوا إلى 80 بالمِئَة مِن مُستوَى الشَمَاليِّين- واستَهلَكوا ثلَاثَة أَضعَافِ كَميَّةِ الأَسمَاك.

شرعَت المُعجِزَة بدَفْعِ عجَلَةِ مَجموْعةٍ كبيْرةٍ مِن التَغيِيرَات التِي لَاتزَال تتَكشَّفُ في أيَّامِنَا هَذِه. وازدَادَ مُتوسِّط طوْلُ الإيطَالِي بمِقدَار إِنشٍ ونِصْف عَام 1972 ممَّا كانَ عليْهِ سنَة 1951، وهذه علَامةٌ وظيفِيٌّة واضِحةٌ، على أَنَّ حُلمَ الفلَّاحيْنَ بتنَاولِ اللُّحوْمِ كُلَّ يوْمٍ قَد أصْبحَ حقيْقًة خِلَال فَترَةٍ وَجيْزَةٍ مِن السِنيْن. فالوَفْرَة، التنَوُّع، الاخْتِيَار- امتِيازَاتٌ لَا يُمْكِن لحضَارَةِ الطعَامِ أَن تتفَتَّح بدوْنِهَا- قَد أَصبحَت مُتاحةً للجَمِيْع.

لقَد تمَّ الجَمْعُ بيْنَ التنَقُّلِ والتَرفيْهِ لمُضاعفَة أَشْكَال التحَوُّلِ المتعَلِّق بالطَهي، معَ اسْتِبدَالِ العربَاتِ والدرَّاجَاتِ الهَوائِيَّةِ بالسيَّارَات والدرَّاجَات النَاريَّة الصَغِيرَة. ونالَ الملَايِيْنُ حُريَّةَ الانْطِلَاق بسُرعَةٍ إلى مَركَزِ المَديْنَة، ولقَاءَ الأَصدِقَاء فِي مطَاعِم البِيتْزَا، أو اصْطِحَاب عائِلَاتهِم إلى الرْيْفِ لتنَاولِ غدَاءِ الأحَد. لقَد غيَّرَ عَصْرُ قِيادَةِ المَركبَات الجمَاعِيِّ ثقافَة المَائِدَة الإيطَاليَّة بشَكْلٍ عَمِيق؛ حيْنَ قدَّمَ تجَارُبَ غِذَائيَّة جَديْدَة على نَحْوٍ كَامِل، مثْلَ قِيادَة السيَّارة إلى شَاطِئ البَحْر 270 في شَهْرِ أغَسْطَس، وتنَاوَلوا السِبَاغِيتِي والمَحَّار، أَو التوَقُّف قليْلًا عنْدَ الأوتو غريل- محَطَّات الاستِراحَة على الطَريْقِ السَريْع.

----------- \*الأونصة: هي إحدى وحدات قياس الكتلة، وهي مستخدمة في عدد من الأنظمة المختلفة لوحدات القياس وتساوي 28,3 غرام.

أَثْنَاءَ المُعجِزة، تراجعَت أعدَادُ النَاسِ الذيْنَ كَانوْا فِي الوَاقِع يزرَعوْنَ مَا يتَنَاوَلوْهُ فِي وجَبَاتهِم، وبَدلًا مِن ذَلِك باتَ الإيطاليُّونَ مَفتونِيْنَ بمُنتجَات الصِناعَة الغِذَائيَّة. وازدَادَ ولعَهُم هذَا بمُروْرِ السِنيْن، وأَصبَحوا يُكَرِّسوْنَ وقْتًا أقَلَّ فَأقَلَّ لإعْدَادِ الطعَام. لقَد خضَع مُضَمِّنو تنَاولِ الطعَام لعمَلِيَّة انْسِلَاخ: فلَم يَعُد مُجرَّد احتِياَجٍ تَقْتَضِيهِ الحيَاة، أو حتَّى طقْسًا جمَاعِيًا، بَل باتَ شكْلًا مِن التَرفيْهِ مثْلَ الذهَابِ إلى السِينمَا أَو مُشاهدَة مُبارَاة كُرَةِ قدَم. تمَّ تبَنِّي عادَاتٍ جَديْدَةٍ غَريْبَةٍ مثْلَ تنَاولِ الوجبَاتِ الخَفيْفَة، وإتِّبَاعِ حِميَةٍ غِذَائيَّة، وصُنِعَت أَطعِمَةٌ خاصَّةٌ لفِئَاتٍ فَرعِيَّةٍ غيْرِ مَألوْفَة مِن المُستَهلكِين، ابتِدَاءً مِن الأَطْفَالِ إلى لَاعبِي كمَالِ الأَجْسَام. وبشَكلٍ يَومِيٍّ يتأثَّرُ الطعَامُ المُتنَاوَلُ بالمَنشورَاتِ العَاجِلَة لِأَقْصَى مَا توَصَّل إليْهِ العِلْم، والِإملَاءَات التِي يتعَذَّرُ التحَكُّم بِهَا للمَوْضَة. لقَد غيَّر الاقتِرَان بيْنَ الِتلفَاز والِإعلَانَات مِن مَعْنَى الطعَام جَذْريًا بالنِسبَة للملَايِين، فَغُلِّفَت السُلَع المُتواضِعَة مثْلَ لَحمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد، المَعكروْنَة، والزَيْت بالهَالَةِ السِحرِيَّة للتِجَارَة الرَأسمَاليَّة، فلَم يَعُد المُستَهلِكوْنَ يتنَاولوْنَ طعَامًا، بَل أَيقوْناَتٍ مِن الرَغْبَة، ووعُوْدًا بالحُبِّ والنجَاح.

إنَّ كِتَابَةَ تَاريْخٍ عَن الطعَامِ الإيطَاليِّ منْذُ المُعجِزَةِ الاقتِصَاديَّة مِن مثْلِ هَذهِ الأَيقوْنَات هوَ أمْرٌ مُمْكِن. فهُناكَ على سَبيْلِ المِثَال ازدِهَارُ وتدَنِّي تنَاولِ الدجَاج، فَفِي الخَمسِينَات والستِّينَات مِن القَرنِ المَاضِي. إنَّ عِبارَة "دَجَاجٍ مَشْوِيٍّ" هِيَ طريْقَةٌ اتِّخذَتْهَا العَائِلةُ للتَعبِيْرِ عَن وصُولِ هَذِهِ الوَجْبَة الشَهيَّة. وبحُلوْلِ التِسعِينَات، باتَ الصَدْرُ المَشوِيُّ مَنزوْعَ الجِلدِ هو التَجسِيْدُ الكَئِيْبُ لضَبْطِ النَفْس بالنِسبَةِ لمَلَايِيْنِ مُتَّبعِي الحِمْيَات الغِذَائيَّة. يُمْكِن تتَبُّع القَوْسِ الزمَنِيِّ ذَاتهِ عبْرَ تَغيِير المُستلزَمَات التِكنولوجِيَّة: أوَّلًا الثلَّاجَة، وبعْدهَا الخلَّاط الكَهربَائِي، والتي تُتْبَع على التتَالِي بفُرنِ الشِوَاء، وقِدْرِ الضَغْط، والمَايكرويِف. أَصبَحت الأَطعِمَة الاستِهلَاكيَّة تُميِّزُ عُقوْدَ الزمَنِ بالطَريْقَة نفسها التِي تقوْمُ بهَا تَسجِيلَاتُ موسِيْقَى البُوْب. وهكذَا فبِالِإمْكَان تَميِيزُ إيطَاليَا خَمسِينَات القَرْنِ المَاضِي بأنَّها عُلَبٌ مِن اللَّحْمِ الوَردِيِّ مِن الفصَائلِ البقَريَّة العَالميَّة فِي الهُلَام، مُكعَّبات المَرَق، الشُوربَات المُعلَّبة الكَثِيْفَة. أمَّا فتْرَةُ الستِّينَات فقَد عَنَتْ مُقرمَشَات شَرِكَة ريتز، والأَجبَان المُعلَّبَة- سوَاءً أكانَت مُقطَّعًة إلى شَرَائِح جَاهِزَة، أو تُعْجَنُ حتَّى تَغْدو ليِّنةً وتُسَالُ على أَوْرَاقٍ فِضيَّةٍ لهَا شَكلُ مُثلَّثَاتٍ لِأجْلِ أَن تُبْسَط. 271



إِعلَان مَعكروْنَة عَام 1915.

فِي السبعِيْنَات، صُنِعَت جَمِيْعُ صَلصَات المَعكروْنَة معَ كرِيْمَة تتحَمَّلُ درجَاتِ الحرَارَة العَالِيَة جِدًا، واستَمْتَع الأطفَالُ للغَايَة بمُثلَّجَاتٍ زَاهِيَةِ الأَلوَان. شَهِدَت الثَمانِينَات وصوْلَ المَعكروْنَة المَصنوْعَة مِن القَمْحِ بالكَامِل، وانطِلَاقَة اللَّبَن الرَائِب الرَائِع، أَمَّا فَترَة التِسعيْنَات فقَد ميَّزَت تلْكَ الوجَبَات الجَاهِزَة المُجمَّدة المُعدَّة لِلأَشْخَاص غيْرِ المُتزَوِّجيْن المَشغوْلِين، مثْلَ المَعكروْنَة أو الريزوتو مِن العلَامَة التِجارِيَّة التِي يَصعُب تَرجمَتهَا فور سولد إن باديللا (والتِي تعْنِي حَرفِيًا: أَربَعُ رقَصَاتٍ فِي المِقلَاة). تقتَرِحُ العبْوَةُ أَن تُضِيْفَ "لمْستَك الشَخصيَّة" مثْلَ غُصْنٍ مِن البَقدوْنِس أو رَشَّةٍ مِن زَيْتِ الزَيتوْن.

ليْسَت إيطَالياَ أَرْضًا سَرمَدِيّةً للأُمَّهَات، الَجدَّات، والكَهَنَة الذيْنَ يَتِمُّ تَصويْرَهُم فِي الكَثيْرِ مِن الإعْلَانَات وكتُبِ الطَهْي، فهُنَاكَ الكَثِيرُ مِن المتَاجِر الكَبيْرَة ومزَارِع الأَسمَاك فيْهَا، وموَاطِنوْهَا يُبدوْنَ حمَاسةً كأَيِّ شَخْصٍ آخَر تِجَاه السُلَع المُستَهلكَة التَافِهَة وبذَاتِ الدَرجَةِ فهم سَريْعو التَأثُّر بالإِعلَانَات. خلَالَ بِضْعَةِ أَجيَالٍ بعْدَ الحَرْب، تحوَّلَت إيطَاليا مِن مُجتمَعٍ رِيفِيٍّ إلى مُجتمَعٍ صِنَاعِي، ثُمَّ إلى مُجتمَعٍ مَعلومَاتِيٍّ مَا بعْدَ الحدَاثَة. لقَد عكَسَ النِظَامُ الغِذَائِيُّ الإيطَالِيُّ هذَا التحَوُّلَ الذِي يبْعَثُ على الدوَار.

إنَّ "ميلَان" دوْنَ شَكٍّ فِي طَليْعَةِ هَذهِ الثَوْرَة الغِذَائيَّة التِي امتِدَّت لنِصْفِ قَرْن، حيْثُ أنَّ "مَديْنَةَ مدُنِ إيطَاليَا" كانَت عَاصِمَة الصِنَاعَة، 272 والمَال، المَوضَة، التِلفزيوْن التِجَاري، الدِعَايَة، والتسَوُّق، وكانَت أوَّل مَن ظهَرَت فيْهَا بوضُوْحٍ العَديْدَ مِن أعرَاضِ النَزعَة الاستِهلَاكيَّة. وقَد تمَّ افتِتَاح أوَّلَ سوبِّرمَاركِت بهَا عَام 1957، أمَّا أوَّلَ مَطعَمِ وجبَاتٍ سَريْعَةٍ إيطَالِي واسْمُه "بورغي"، فلَم يَصِل "ميلَان" إلَّا سنَة 1982. ومعَ ذَلِك فالتَغيِيرَات التِي حدثَت فِي الخَمسِين عامًا المَاضِية كانَت كَثِيرَة للغَايَة، بحيْثُ تَعْجَزُ أَيُّ مَديْنَةٍ إيطَاليَّةٍ لوَحْدِهَا عَن اسْتِيعَابِهَا جَمِيْعًا. فِي ذَاتِ الوَقْت، أظهَرت تقريْبًا أَيُّ مديْنَةٍ عَصرنةً للنِظَام الغِذَائِيِّ الِإيطَاليِّ كحَالِ أَيِّ مديْنَةٍ أُخْرَى- مثَّل كلُّ ذَلِك التَنوُّع وَتيْرَة التَغيِيْر. ولَهَذهِ الأَسبَاب ستَمْتَدُّ الفصُوْلُ المُتبقِّيَة مِن هذَا الكِتَاب إلى نِطَاقٍ أَوْسَع ممَّا كانَت علَيْهِ المَسأَلَةُ حتَّى الآنْ.

بيْدَ أنَّ تاريْخَ الطعَامِ الإيطَاليِّ منْذُ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة والذِي لَم يشْتَمِل إلَّا على مَقصوْرَاتِ العَرْضِ المُبرَّدة، و شوكولَاتَة نوتِيلَّا المُعدَّة للدُهْن، والمخَابِز المُزوَّدة بِصَالَاتِ عَرْضٍ للمُنتجَات، وفطَائِر بان كيك شَرِكَة "فيندوس" الجَاهِزَة؛ سَيُوقِعُ الكآبَة فِي النَفْس، والأهَمُّ مِن ذَلِك أنَّه لَن يُميِّز إيطَاليَا. هَذهِ المُنتجَات والخِدمَات هِي دعَائِمُ القِصَّة التيِ عاشَها العَالَم المُتقَدِّم بأَسْرِه، إنَّ المُعجِزَة الحَقِيقِيَّة للطعَامِ الإيطَالِي لهَا قِصَّةٌ مُختَلِفَة، معَ إنَّه لَا يُمكِنُ فَصْلهَا أَبدًا عَن التقَدُّم الذِي لَا هوَادَة فِيْه للرَأسمَاليَّة الاستِهلَاكيَّة. أَمَّا الغموْضُ الكبيْرُ والفَضيْلَةُ التِي لفَّت الطعَامَ الإيطَالِيَّ فِي النصْفِ الأَخيْرِ مِن القَرنِ المَاضِي، فيُعْزَى لكَوْنِ حضَارَة المَائِدَة معَ جذوْرِهَا المُمتَدَّة إلى عصر بوكاتشيو وبون فيسين، ولماركو بولو وماستر مارتينو؛ قد بقيت كما هي نفسها وبشَكْلٍ مَلموْسٍ، برَغْمِ ظُهوْرِ الثلَّاجَات، وظروْفِ الحسَاء، ومحلَّاتِ العصَائِر. وهذَا هوَ سبَبُ حُبِّ العَالَمِ بأَسْرِهِ لهَا بعْدَ كُلِّ شَيء، وقِصَّة كَيفِيَّة حدوْثِ ذَلِك قَد بدأَت فِي روما عَام 1954 معَ وجبَةٍ واحِدَةٍ فقَط.

**أَمرِيكِيٌّ فِي روما**

شَابٌّ يعوْدُ إلى المَنْزلِ في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِن اللَّيْل، وهوَ عِبَارَة عَن شِقَّةٍ بحَيِّ "تراستيفير" القَدِيْم فِي روما، لقَد كانَ خَارِجًا بمُفرَدهِ لمُشَاهَدَةِ فيْلمٍ لـ"هوبالونغ كاسيدي"، فدخَل المَطبَخ وهوَ يمْشِي للورَاء، مُشيْرًا بِخَاصِرَتهِ نحْوَ اثْنَينِ مِن مُطْلقِي النَارِ السِتَّة المُتخَيَّلِيْن، ومُتَمِّتمًا بأَسْطُرٍ مَزيْجَةٍ بيْنَ الإنكليزيَّة الأمريكيَّة الزَائِفة واللَّهجَة الرومانيَّة الثَقِيلة: "لقَد قمْتَ بخِيَانتِي! سأُرديْكَ قتيْلًا!". كانَت ثيَابهُ نُسخةً صِبيَانيّةً مِن الرجوْلَة الهوليودِيَّة: إِذ يَرتَدي قُبَّعَة بِيسبوْلٍ أَصْغَر مِن رَأسِه ببِضْعِ مرَّات، وكنْزَةً بأكمَامٍ طويْلَة بدَت أشْبَه بالجُزءِ العُلويِّ مِن زَوْجِ سرَاويْلَ دَاخليَّةٍ طَويْلَة، وبِنطَالَ جِينْزٍ دَاكِن اللَّوْن، عصَابةً حوْلَ المِعْصَم، حِزَامٍ، وزوْجًا مِن أحْذِيَة رُعَاة البَقَر المَصنوْعَة جميْعهَا مِن الجِلدِ المُرصَّع نفسه. عنْدمَا استدَار، شاهَد العشَاء الذِي تركَهُ والِدَاه اليَائِسَان على الطَاوِلَة: زجَاجَةُ نَبِيْذٍ في سَلَّة قِرَابٍ مِن القَشْ 273 تَقِفُ بجَانبِ طبَقٍ مُغَطَّى. وبِحرَكةٍ تدرَّبَ عليْهَا طويْلًا، أدَارَ مُسدَّسَاه اللَّذَينِ لَاوجوْدَ لهُما بِسُرعَة، ووضعَهُما فِي قِرَابهِمَا، ونظَر ليَعرِفَ مَا يحتَويْهِ الطبَق، أَخَذَ نفَسًا عَمِيْقًا مُريْعًا وقَال:" مَعكَر-و-نَة! مَعكَر-و-نَة! هَذهِ الأشْيَاء لسَائقِي العربَات! أنَا لَا آكلُ المَعكروْنَة. فأنَا، أنَا أَمرِيكِي!" ودفَع الطبَق إلى الجَانِب.

----------

\*بان كيك: وصفة تؤكل على الفطور أو حتى كوجبة خفيفة بين الوجبات الرئيسية. تحضّر من الطحين، السكر، البيض، الحليب، الزبدة، مسحوق الخبيز، الفانيليا والملح. عند التقديم، يمكن إضافة الشوكولا إليها أو الفواكه أو المربى.

\*جوفاني بوكاتشو: كان مؤلفاً وشاعراً إيطالياً، وشخصية هامة في إنسانية النهضة ومؤلف عدد من الأعمال البارزة بما فيها ديكاميرون، عن نساء شهيرات، وشعره بالعامية الإيطالي

وهكَذا يبْدَأ مشْهَدُ الطعَامِ الأكثَر شُهْرةً فِي السِينمَا الِإيطَاليَّة، وهِيَ لحْظَةٌ اكتسبَت روْحًا مُستَقِلًّة عَن فِيلمِ "أَمرِيكِيٍّ فِي روما" بطوْلَة "ألبرتو سوردي"، لقَد قَامَ الفِيْلمُ بوَضْعِ بطَلِ قصَّتهِ فِي المكَانِ المُخصَّص للتعَلُّقِ الشَعْبِي، والمُخَصَّصِ للكومِيديِّين الذيْنَ يُجسِّدوْنَ أكثَر سِمَات الشَخصِيَّة المُحبَّبة والمُثيْرَة لسخَطِ الأُمَّة، يَخوْنُ مَشهَدُ مَعكروْنَة "سوردي" أيْضًا أكثَرَ قِيَمِ الطَهْيِ الِإيطَاليَّةِ المُحبَّبةِ المُعَاصِرَة، إنَّه يُجَسِّدُ سرْدًا قصَصِيًا عَن الطعَام الذِي يُعزِّزُ حضَارَة المَائِدَة الإيْطَاليَّة، ويُبقِيْهَا ثابِتةً في وجْهِ الاضطِرابَات المُتوَاصِلَة للعَصْرِ الاستِهلَاكِي.

يسْخَرُ فِيْلم "أَمريكِيٌّ فِي روما" مِن الوَلَعِ الإيطَاليِّ بفَترَةِ مَا بعْدَ الحَرْب، بكُلِّ الأَشيَاء المُتعلِّقَة ببِلَادِ العَم سَام. فِي أَربَعينِات القَرنِ المَاضِي، أنقَذ الجيْشُ الأمريكيُّ إيطاليا مِن الفاشِيَّةِ والنَازيَّة، وأَنقذَتْهَا خُطَّةُ مَارِشَالٍ مِن الجوْعِ والشُيوعِيَّة، وتمَّ إغرَاقُ السوْقِ الإيطَاليِّ بقَائِمَةٍ كبيْرَةٍ مِن الأَفلَام الهوليودِيَّة السَابِقَة ـ التِي كانَت مَحظوْرةً في السنوَات الأَخيْرَة مِن حُكْمِ "موسوليني"؛ لِخَلْقِ عَرْضٍ بصَريٍّ وَهمِيٍّ للسيَّارات، ونَاطِحَات السحَاب، وآفَاق العَالَمِ الغَربِي، والقفَّازَات الحَريرِيَّة للمُمثِّلة "ريتا هايورث" وهِي تخْلعَهَا خِلَالَ رَقْصَةِ تَعَرٍّ، إنَّه إِعادَة بِنَاءٍ لإيطَاليَا حَالِمةٍ بلَهجَةٍ أَمريكِيَّة.

لَعِبَ "سوردي" دوْرَ شَخصِيَّةٍ تُدْعَى "ناندو موريكوني"، وهوَ شَخْصٌ تمتَلِئُ غرفَةُ نَومِه الصَغيْرَة بأَشيَاءٍ تَافِهَة مِن الثقافَة الشَعبيَّة الأمريكِيَّة: أعلَامٌ مُثلَّثةٌ لبُطولَاتِ كُرَة القدَم، ومُلصقَاتٌ للَاعبِ كمَالِ الأَجسَام "تشارلز أتلس"، رسوْمٌ هزَليَّةٌ لرُعَاةِ البقَر وصُوَرٌ لـ"بيتي غرابل". لقَد امتَدَّ هوَسُ بطَلنَا إلى زِيِّ الشُرْطَة المُسْتعَار، والذِي ارْتدَاهُ أثنَاء رُكوبِه درَّاجتَه الناريَّة، وقَد حاوَل الرقْصَ مثْلَ "جين كيلي" وأرْجحَة المِضرَب مثْلَ "جو ديماجيو". تدوْرُ حَبكَةُ الفِيلم حوْلَ اللَّحظَة التِي يتَسَلَّقُ فيْهَا إلى أَعلَى المَدْرَجِ الرومَانِي ويُهَدِّد برَمْيِ نفْسِه مَالَم يَدفَع لَه شَخْصٌ مَا تَذكرَة ذهَابهِ إلى "نيويورك"، وكلُّ شَيءٍ يدوْرُ حوْلَه يتحَدَّثُ عَن الافتِتَانِ ذَاتهِ بالولَايَات المُتَّحِدَة، ومعَ ذَلِك فَفِي أحَدِ مُنعطفَاتِ حَالتِه النَفسِيَّة، ورُغْمًا عَنْهُ، يرسُم خطًّا إيطَاليًّا لَا يُمكِنُ تجَاوزَه.

بالعوْدَةِ إلى مطبَخِ وَالِدَيْه، يقوْمُ "ناندو" بجَمْعِ مكوِّنَاتِ الوَجبَة الأفْضَل، مُحدِّثًا نفْسَه طِوَال الوَقْت:

*يَأكلُ الأَمْريكِانَ المُربَّى! إنِّهَا أشَياءٌ أَمرِيكيَّة، اللَّبنُ الرَائِب والخَرْدَل، وهذَا هوَ سبَبُ تغَلُّبهِم على قبَائلِ الأباتشي دَائمًا، فَهُم لَا يشربوْنَ النَبيْذَ الأحْمَر بَل الحَليْب، وذَلِكَ مَا يَجعَلَهُم لَا يثملوْنَ أبَدًا. هَل سبَقَ لَكَ أَن شَاهَدْتَ قِطًّا أَمريكِيًّا ثَمِلًا؟ بالنِسبَةِ لِي كلَّا. إنَّ الأَمْريكِانَ أَقوَياء.*

------------ \*خطة مارشال: المشروع الاقتصادي لإعادة تعمير أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الذي وضعه الجنرال جورج مارشال رئيس هيئة أركان الجيش الأميركي أثناء الحرب العالمية الثانية ووزير الخارجية الأميركي منذ يناير 1947 والذي أعلنه بنفسه في 5 يونيو من ذلك العام في خطاب امام جامعة هارفارد.

\*جين كيلي: كان راقصًا وممثلاً ومغنيًا ومخرجًا سينمائيًا ومنتجًا ومصممًا للرقصات. كما عُرِف كيلي بأسلوب رقص ذي طابع رياضي مليء بالحيوية، بالإضافة إلى مظهره الحسن والشخصيات المحبوبة التي تقمص دورها على الشاشة.

\*جو ديماجيو: يُلقب بـ "جولتين" وأيضًا "يانكي كليبر"، هو لاعب أمريكي في دوري البيسبول في مركز الوسط المدافع، لعب طوال مسيرته الرياضية التي استمرت لثلاث عشرة سنة لصالح فريق نيويورك يانكيز.

\*أباتشي: مجموعة من قبائل الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا الشمالية. لغتهم لغة أثاباسكان الجنوبية، والتعريف الحديث لهم يستثني شعب نافويا .هاجموا حضارتي المايا والتولتك.وقاوموا الأسبان في مطلع القرن 16 عندما غزوا المكسيك.

\*بيتى غرابيل: مغنية، وراقصة، وعارضة، وممثلة أفلام، وممثلة مسرحية، وممثلة تلفزيونية أمريكية، ولدت في سانت لويس، ميزوري، توفيت في سانتا مونيكا، كاليفورنيا، عن عمر يناهز 57 عاماً، بسبب سرطان الرئة.

274 أدَارَ كُرسيَّهُ في الاتِّجَاه المُعَاكِس ليَجْلِسَ على الطَاوِلَة، ورَاحَ يُومِئُ مِن خِلَالِ الصَفْعِ على طبَقِ المَعكرونَة، ويُهدِّد: "سَأقتُلَك". ثمَّ يُتابِعُ بمَدِّ جَمِيْعِ مُكوِّناتِه الأَمريكِيَّة على شَريْحَةٍ واحِدَةٍ مِن الخُبز: مُربَّى، لبَن رَائِب خَردَل، حَليْب. "هذَا مَا يتنَاولهُ الأَمريْكَان، حشْوَةٌ مِن الأشيَاءِ الصِحيَّة."

وفِي الحَال بعْدَ تنَاولهِ أوَّلَ قَضمَةٍ، يُصبِحُ مضْغُ "ناندو" بطيْئًا، مُتقطِّعًا ويفْغَر فاَهُ. يَخْتَنِقُ، ثُمَّ يَلُّف كُرَة الخُبْزِ دَاخِلَ فَمِه ويَبصُقهَا للخَارجِ بصَوْتٍ عَالٍ، ويتفوَّهُ بعبَارَاتٍ رومَانيَّةٍ لَا يُمكِنُ تَرجمتَها: "اللَّعنَة! مَا هَذهِ القذَارَة!".

بيْدَ أنَّ زَعزعَة ثِقَتهِ بنَفْسهِ المُغَرَّرِ بِهَا لَا تدوْمُ سِوَى بِضْعَ ثوَانٍ قبْلَ أَن يَقوْل" "أيَّتُها المَعكروْنَة، لقَد أثَرتِ حِنْقِي، والآنَ سَأُردِيكِ قَتِيْلَة". ينْتَهِي المَشهَدُ بالتِهَام "ناندو" شَوكةً تَحمِلُ مِقدَارًا كبيْرًا مِن السبَاغِيتِي لِيَمْتَطَّ خَدُّهُ، وجُرعةً كبيْرةً مِن الخَمْرِ مِن الزُجَاجةِ مُباشَرة.

في الوَقْتِ الذِي مثَّلَت فيْهِ الولَايَاتُ المُتَّحِدة الثَروَة، النجَاح، الحدَاثَة، والسِحْرَ بجَميْعِ جوَانِب الحيَاة؛ لَم يسْتَطِع حتَّى فتًى مُزعِج مُولَعٍ بالمشَاهِير أَن يخْدَع نفْسَه بالاعتِقَاد أنَّ الطعَامَ الأَمريكِيَّ أَفضَل مِن الإيطَالِي. لَو لَم تكُن المَعكروْنَة بالفِعْل رمْزًا للهَويَّة الإيطاليَّة قبْلَ عَام 1954، لحَوَّلتْهَا عبقريَّةُ "سوردو" الهَزليَّة حِيْنِهَا إلى أحَدِ الرُموْز. قَد نكوْنُ ببَعْضِ الأحيَانِ سَاذجِيْن، مُتَخلفِيْن، وحتَّى فَظِّيْنَ قليْلًا. هذَا مَا يقوْلُه كِتَابُ "أَمريْكِيٌّ فِي روما"، غيْرَ أنَّنَا عَلِمْنَا دَائِمًا كيْفَ نَأكُل، وهذَا لَنْ يتغَيَّر.

وحتَّى قبْلَ بدْءِ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة، فقَد قدَّمَ مشْهَدُ المَعكروْنَة حُجّةً جذَّابةً للتقَالِيْد، حيْثُ صوَّرَ الإيطاليِّين وكأنَّهُم مُلتَصِقوْنَ بطُرُقِ فَنِّ تذوُّقِ الطعَامِ وطَهيِه التِي ابْتَكَروْهَا، ويَنفِروْنَ بشَكلٍ غَريزِيٍّ مِن الأَطعِمَة الحَديْثَة، وغيْرِ الأَصْيَّلة والأَجنَبيَّة. لَاشكَّ أنَّ هُناكَ قدْرًا كبيْرًا مِن الحَقيْقَةِ فِي تلْكَ الصُوْرَة الذَاتيَّة الوطنيَّة عَام 1954. فِي الوَاقِع، عُرِضَ فِيلمُ "أَمريْكِيٌّ فِي روما" خلَالَ سنَةٍ هامَّةٍ للمَعكروْنَة، والإحْصَائيَّاتُ تُشِيْرُ بِذَلِك. 275



مَشهَدُ الطعَامِ الأكثَر شُهرةً فِي السِينمَا الإيطَاليَّة: "ألبيرتو سوردي"

وهوَ لَا يستطيْعُ مُقاومَة نَفْسِه فِي فِيْلم "أَمريْكِيٌّ فِي روما" عَام 1954

لقَد كانَت المَعكروْنَة المُجفَّفة رمْزًا عظيْمًا لازْدِهَار إيطَاليَا الجَديْد، فَهِي وَاحِدةٌ مِن أوَائلِ الأَطعِمَة التِي سجَّلت النموَّ الاقتِصَادِي في فَتْرَةِ مَا بعْدَ الحَرْب: فَفِي عَام 1954، حيْنمَا انْغمَسَ الشمَاليُّوْنَ بتَفضِيلهِم المَعكرونَة على العَصيْدَة، وصَل الاسْتِهلَاك السنَوي الوطَنِي للفَرْدِ إلى وَاحدٍ وستِّين رِطْلًا- أَي ثلَاثَة أَربَاعِ الوِعاَء فِي اليَوْم، بكَلِمَاتٍ أُخْرَى. وقَد بَقِيَ المُستوَى نفْسُه تقريْبًا منْذُ ذَلِك الحِيْن، وتحديْدًا بعْدَ مضِيِّ 800 سنَةٍ منْذُ أَن أَوْردَ "الإدريسيُّ" وجوْدَ المَعكروْنَة المُجفَّفة على الأرَاضِي الإيطَاليَّة لأوَّلِ مرَّة فِي كِتَاب "نُزهَةُ المُشتَاق فِي اختِرَاق الآفَاق"، باتَ الإيطَاليُّون أخِيْرًا يتنَاولوْنَ كُلَّ أَنوَاعِ المَعكروْنَة التِي يَرغَبوْنهَا.

بعْدَ مضِيِّ نصْفِ قرْنٍ على صدُوْرِ فِيْلم "أَمريْكِيٌّ فِي روْمَا" لَازالَ الإيطَاليون يشعروْنَ بالقَلقِ تِجَاه المُمارسَات الغِذَائيَّة المُستَوردَة والاصْطِنَاعيَّة. يوْجَد في فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا اليَوْم مَا بيْنَ ثمَانية إلى أحَد عشَر ضِعْف مطَاعِم الوجبَاتِ السَريْعَة المَوجوْدَة فِي إيطَاليَا. لقَد حقَّقت بعْضُ المَشروْبَات الأَجنَبيَّة مثْلَ الصوْدَا والشَمبانيَا والويسْكِي نجَاحًا مُنقَطِعَ النَظِير فِي السُوْقِ الإيطَالِي، لَم تحْظَ بهِ مُعظَم الأَطعِمَة الأَجنبَّية، فالإيطَاليُّوْنَ يَبْتَاعوْنَ رُبْعَ كميَّةِ المُنتجَات المُجَمَّدة التِي يَشْتَريْهَا البريطَانيُّون، فلقَد قَاوَموا باستِمرَارٍ إغرَاءَ حبوْبِ الإفْطَار على الطريْقَة الأَمريكِيَّة، ولَاتزَالُ السُلَعُ غيْرَ المُعلَّبةِ تُمَثِّلُ مَا نِسبتَه خمسيْنَ بالمِئَة مِن الإنفَاقِ الغِذَائِي الإيطَالي. بوسْعِ أيِّ سائِحٍ إلى نابولي، ميلَان، روما أو فلورنسا أَن يُدرِكَ وجوْدَ عدَدٍ أقَلَّ بكَثيْرٍ مِن المطَاعِم الأجنَبيَّة، مِن تلْكَ المَوجوْدَة فِي المدُنِ البريطَانِيَّة أو الأَمريكِيَّة المُمَاثِلَة مِن حيْثُ الحَجْم. 276 بمُجرَّدِ أَن أصْبحَ إيطَاليُّو مَا بعْدَ الحَرْبِ مَيْسُورِي الحَالِ بمَا يكْفِي لتنَاولِ مَا تَشْتَهِيْهِ أَنْفُسَهُم، اختَاروا اتِّبَاعَ نمَاذِجَ مِن نِتَاجٍ محَلِّي لمَا كانَ يُعتبَر جيِّدًا- أَمثِلَةً بدَت مُتَرَكِّزَة ضمْنَ شبكَةِ المدُن التِي غطَّت الكثيْرَ مِن الأَرْضِ الإيطَاليَّة. منْذُ المُعجِزَة، باتَ الإيطاليوُّنَ أُمّةً مِن المُتعصِّبيْنَ للطعَام. وكمَا هوَ الحَالُ دَائِمًا، قدَّمَ المذَاقُ الجيِّدُ للطعَام الإيطَالِي بعْضًا مِن أسْبَابِ ذَلِك التعَصُّب، ولَكِن ليْسَ كُلَّها، فهنَاكَ أسبَابٌ أُخْرَى سِيَاسيَّة.

برزَتْ فِكرَةُ وَحدَةُ الأُمَّة مِن بيْنِ الخسَائِر العديْدَة لحِقبَةِ الفَاشِيَّة المَأسَاويَّة. فبعْدَ الحَرْب، أَصبحَت الوطَنيَّة مُجرَّد كَلِمَةٍ أُخرَى مُرَادِفَة للقَصْف، المُعانَاة، الحَرْب والخرَاب. وقَد فقدَت كَلِمَةُ المَلِكِ مِصدَاقيَّتها بشَكلٍ كَاملٍ أيْضًا، بعْدَ أَن كانَت أحَد الرموْزِ القَليْلَة الغيْرِ فاشِيَّة لِأَرْضِ الأجْدَادِ المُشتركَة، حيْثُ أُلغِيَت المَلَكِيَّةُ عَبْرَ استِفتَاءٍ عَام 1946 عنْدمَا أصبَحت إيطَاليا جُمهوْريَّة، ومَا بيْنَ ولَادَة الجُمهوْريَّة وسقوْطِ جِدَارِ "برلين" عَام 1889، هَيمنَت المُنافسَة بيْنَ حِزبَيْن على الدِيمُقراطيَّة الإيطاليَّة: الِحزْبُ الدِيمُقرَاطِي المَسِيحِي الحَاكِم أو (دي سي) وَالحِزْبُ الشُيوعِيُّ الإيطَالِي المُعَارِض أو (بي سي آي). لم يتَحَلَّ أيٌ مِنهُما بالوَطنِيَّةِ بالمَعنَى المُتعَارفِ عَليْه. لقَد استقَى الحِزْبُ الحَاكِم عَقيدتَهُ الشَامِلَة مِن الكَنيْسَة الكَاثولِيكِيَّة، بيْنمَا استمَدَّ الحِزْبُ المُعَارِض مجموْعَة قَوانيْنِ القِيَم الأَسْمَى مِن المُهِمَّةِ التَاريخِيَّة للطبقَة العَامِلَة بجَعْلِ العَالَم مكَانًا أَفْضَل. كلا الحِزْبِ الحَاكِم والحِزْبِ المُعَارِض لَيْسَا مُجرَّد حزبين فقَط؛ بَل أسَاليْب حيَاةٍ للعَديْدِ مِن المُجتمعَات، ولَاسِيَمَا المنَاطِق الكَاثولِيكِيَّة أَو "البَيْضَاء" فِي الشمَالِ الشَرْقِي، و"الحِزَام الأَحْمَر" عبْرَ المنَاطِق الوسْطَى. لقَد رعَى كُلُّ حزْبٍ ثقَافةً فرعِيّةً غَنيّةً مِن المُنظَّمات، مثْلَ سِينمَات الأَبرشِيَّة والرَابِطَات الشبَابيَّة، أمَّا الزِراعَة فقَد كانَت على وجْهِ الخصُوْص منطِقةً خِصْبةً لكُلٍّ مِن الجَمعِيَّات الكَاثوليكِيَّة والشُيوعِيَّة، لَقد تركَت مَنظومَاتُ القِيَمِ الحَمْرَاء والبَيْضَاء حَيِّزًا قليْلًا للأُمَّةِ بأيِّ جَانبٍ مِن جوَانبِ الثقَافَة الإيطَاليَّة.

كانَ الطعَامُ مُناسِبًا بشَكلٍ مِثَاليٍّ لمِلءِ الفَجوَةِ التِي اتَّخذَت شَكْلَ الأُمَّة فِي الحيَاةِ الرَمزِيَّة لإيطَاليا، فقَد عكَس مطبَخُه تنَوُّعَ البِلَاد وَوِحدَتهَا، ولَهُ تاريْخٌ طويْلٌ مُشَرِّفٌ يُمكِنُ إعادَة كتَابَتهِ بسُهوْلَةٍ للتَقليْلِ مِن شَأنِ لحَظَاتِه النَخبَويَّة. وقَد يكوْنُ هذَا مِحْورَ نَوْعٍ مِن الفَخْرِ الوطَنِيِّ المُتوَاضِع تقريْبًا. إنَّ المَائِدَة هِيَ إحْدَى الأمَاكِن القَليْلَة التِي يمكن للإيطَاليِّين أَن يَجِدوْا فِيْهَا صُوَرًا لمَا تَشارَكوْه. ولَا عجَبَ إِن أَبدَى "ألبيرتو سوردي" اشْمِئزَازًا لَا يُمكِنُ تجَنُّبَه تِجَاه الأَطعِمَة الأَمريكِيَّة، وإِنَّ إدمَانَه الهَزَلي للسبَاغِيتِي يَعزَفُ على هذَا الوَتَر.

لقَد تردَّد صَدَى الطعَام الإيطَالِي أيْضًا فِي الثقَافَات الفَرعِيَّة السِيَاسيَّة البَيْضَاء والحَمْرَاء. --------- \*الأبرشية: أبرشية الكنيسة في المسيحية هي الكنيسة التي تعمل بمثابة المركز الديني للرعية. في العديد من أنحاء العالم، خاصةً في المناطق الريفية، قد تلعب كنيسة الرعية دورًا مهمًا في الأنشطة المجتمعية، مما يسمح غالبًا باستخدام مبانيها في المناسبات المجتمعية غير الدينية.

277 إنَّ الحِزبَيْنِ يَبغُضَان النَزْعَة الاستِهلَاكيَّة المُستوْحَاةَ مِن الأَمريكَان، فقَد اعتَبَرَت الكَنيْسَةُ الكاَثوليكِيَّةُ الإسْرَافَ بمِثابَة امْتِيَازٍ مَادِيٍّ غَادِرٍ لسَرَابِ السعَادَة الدُنيويَّة، أَمَّا قادَةُ الحِزبِ المُعَارضِ الشُيوعِي فقَد اكتسَبوْا الحِنْكَة مِن الخُبْزِ الأَسْمَر لعُمَّالِ المزَارِع ومِن الأَطعِمَة الشِبْهِ سَائِلة فِي السُجوْن الفَاشِيَّة، فامْتلَكوا نَزْعًة مُتعَنِّتًة مُنْكِرًة للذَات. وقَد عُرِفَ عَن رَئيْسِ الحِزْبِ المُوَقَّر "بالميرو توغليتي" أنَّه يتنَاولُ عشاءَهُ مِن الخُبزِ وجُبنَة الموزَاريلَا فقَط، ومِن حيْنٍ لآخَر شرَائِحَ مَقليَّة مِن لحْمِ سمَكِ القَد المُمَلَّح فِي أَرخَصِ المطَاعِم الرومَانيَّة. إنَّ الثقَافتَين الفَرعِيَّتَيْن السِياسيَّتينِ، فضَّلتَا تَأطِيْرَ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جمَاعِي، بدلًا مِن إِطَارٍ فَرْدِي: كالأُسْرَة أَو مَهرجَانٍ دِيْنِي بالنِسبَة للكَنيْسَة، وعِيْدِ الوَحْدَة للحِزْبِ الشُيوعِي المُعَارِض- لقَد أُقيْمَت هَذهِ المعَارِضُ الشُيوعِيَّة السَنويَّة لتَمويْلِ صَحيْفَةِ الحِزْبِ "ليونايتد"، بيْدَ أنَّ حفَلَات الشِوَاء الرَخِيْصَة والسْبَاغِيتِي والتخَصُّصَات المحَليَّة كانَت مصْدَر جَذبهِم الرَئِيسِي. وهكَذا، وبِرَغْمِ الخصُومَة بيْنَهُما بسَبَبِ الحَرْبِ البَارِدَة، فقَد تشارَكت الثقافاَتُ الفَرعِيَّة البَيْضَاء والحَمْرَاء، الكَراهِيَةَ تجَاه النَزْعَة الاستِهلَاكيَّة، وأَسْهَمَا بتَرسِيْخِ هَذهِ القِيَم فِي حضَارَة المَائِدَة الوطَنيَّة. إنَّه بلَدٌ مُنقَسِمٌ بشَكلٍ عَميْقٍ لديْهِ أَخلَاقيَّاتٌ مُوحَّدَةٌ للطعَامِ الجَيِّدِ البَسِيْط.

**أَمريْكِيٌّ فِي نابولي وبولونيا**

لقَد شَهِدَت سنَة 1954عرْضَ مشْهَدِ مَعكروْنَة "ألبيرتو سوردي" الذِي أسَر مُخيِّلَة الجُمهوْر، لقَد اعتُبِرَت سنَة تاريخِيًّة بالنِسبَة للطعَام الإيطَالِي بمَعْنًى آخَر- ذَلِك المَشْهَد الذِي قدَّم التِفَاتًة سَاخِرًة تِجَاهَ رِهَاب الأجَانِب الخَاصِّ بفَنِّ الأَكْلِ الذِي تضمَّنَه فِيلْمٌ "أَمريكِيٌّ فِي روما". فقَد قامَ مُوَاطِنٌ أَمريكِيٌّ في شَهْرِ فِبرَاير، مَارس وأَبرِيل، بزِيارَة لإيطَاليَا مِن شَأنِهَا أَن تُغيِّر أَخيْرًا أُسُسَ النِظَام الغِذَائِي الإيْطَالِي وتُنقِذ أرواحًا لَا حصْرَ لهَا فِي هَذهِ العمَليَّة. كانَ اسمه البروفِيسُور "آنسل كيز"، رَائِدُ وَبائِيَّات عِلْمِ أمْرَاضِ القَلْبِ والأَوعِيَة الدمَويَّة، ومُبتَكِر الحِميَة الغِذائيَّة لمَنطِقَة البَحْرِ المُتوَسِّط.

كانَ "كيز" قَد ترَك بصمتَهُ مُسْبقًا على تَاريْخِ الطعَام، والنَفسِيَّة الإيطَاليَّة، قبْلَ أَن يزوْرَ شِبْهَ الجزيْرَة الإيطاليَّة. وحِصَصُ الطعَامِ التِي تنَاولتْهَا القوَّاتُ الأَمريكِيَّةُ خِلَال الحرْبِ العَالميَّة الثَانِيَة مِن تَصمِيْمِه. إِذ يُمْكِنُ حَمْلهَا، جَاهِزًة لِلأَكْل، وغَنِيّةً بالسَعَرات الحرَاريَّة، فقَد تضمَّنَت البِسكوِيت واللَّحم المُعلَّب، فَضْلَا عَن العِلكَة، والشُوكولَاتَة، والسَكَاكِر الصَلبَة التِي فُتِنَ بِهَا الأَطْفَال فِي جَميْعِ أَنحَاءِ أُوروبَّا المُحرَّرة.

لَاحَظ "كيز" بعْدَ الحَرْب، أنَّ رِجَال الأعمَالِ المَيسورِي الحَال في مَديْنَة "مينابوليس" الأَمريكِيَّة حيْثُ كانَ يَعْمَل، والذِيْنَ حصَلوا على تَغذِيَةٍ جَيِّدة، كَانوا يَموتوْنَ في شبَابهِم إِثْرَ أزمَاتٍ قَلبيَّة، وذَلِك يتعَارضُ تمَامًا معَ الحسِّ السَليْمِ التَغذَوِي، بأنَّ المَزيْدَ مِن السَعرَات يَعْنِي صِحًّة أَفضَل، ومعَ ذَلِك تُشيْرُ الدلَائِلُ القصَصِيَّة والأَبْحَاث التَجريبِيَّة بأنَّ مرَضَ القَلبِ والأَوعِيَة الدمَويَّة لَم يكُن شَائِعًا تقَريْبًا فِي مديْنَة "نابولي" الفَقِيْرَة. أَجْرَى "كيز" دِراسةً مِيدَانيّةً عَام 1954، لاختِبَار فرَضِيَّةٍ قامَ بتَطوِيرِهَا لشَرْحِ هذَا التنَاقُضِ الوَاضِح، ولِهَذهِ الفرَضيَّة بَندَانِ رَئيْسِيَّان، 278 فَوجُوْدُ الدُهوْنِ فِي النِظَام الغِذَائِي يُؤثِّر على تَركِيْزِ الكولِستْرول فِي الدَم، ويَرتَبِط ترَكيْزُ الكولِستْرول فِي الدَم، بتَغطِيَة جُدرَان الشَرايِين بتَرَسُّبَات دِهنِيَّة وذَلِك هوَ المُسَبِّبُ لأَمْرَاضِ القَلبِ والأَوْعِيَة الدَمَوِيَّة. أَوْشَكَت الدُهوْنُ على فَقْدِ ارِتبَاطِهَا الذِي دَامَ قُروْنًا بالثَروَةِ والصِحَّةِ والرفَاهِيَة.

-----------

\*الحرب الباردة: مصطلح يُستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من فترة منتصف الأربعينات حتى أوائل التسعينات.

أُجْرِيَت دِراسَة "كيز" على عَيِّنَةٍ مِن مَجموْعَاتِ رِجَال: عُمَّالُ الحَدِيْد والصُلْب النَابوليُّون، وكَتَبَةُ المَجْلِس الاسْتِشَارِي، رِجَال الإطفَاء، وأَعضَاءُ مِن ناَدِي الروتَارِي الدُوَلِي. وعلى سَبيْلِ المُقارنَة اخْتَار رِجَالَ الشُرطَة البولونيِّين. فِي عَاصِمَة المَعكروْنَة، مَا نِسبتُه 20 بالمِئَة مِن إجمَالِي السَعرَات الحَراريَّة التِي يتنَاولهَا السُكَّان، مُكتسبٌ مِن تنَاولِ الدُهوْن، ولَا غرابَة إذَا كانَت النِسبَة قريْبةً مِن ثلَاثينَ بالمِئَة فِي موطِن نقَانِق المَرتديْلَّا. ووفْقًا لفَرضِيَّة "كيز"، فإنَّ المُستويَات المَعنِيَّة لتَركيْزِ الكولِستروْل فِي الدَم قَد أَيَّدَت هَذِه النِسَب، كمَا هوَ الأَمْرُ معَ أَمرَاضِ القَلب النَاكِسَة: وهكذَا فإنَّ لمُوظَّفيْ المكَاتِب الجَنوبيِّين قلوْبًا أكثَر صِحّةً مِن رِجَال شُرطَة وَادِي "بو". فِي الحَقيْقَة، لقَد اتَّضَح أنَّ الأعضَاء المُوسَرِيْن فقَط بنَادِي "روتاري" النَابولي هُم مَن كانَ لدَيْهِم مُستويَات كولِستروْل مُشَابِهَة لأولَئِك "البُدنَاء" البولونيِّين، غَيْرَ أَنَّه حتَّى الأشْخَاص مِن النَادِي الروتَارِي والبولونيِّين هُم أَفضَلُ حالًا بشَكلٍ مُميَّزٍ مِن مُوَظَّفِي المكَاتِب مِن ولَايَة "مينيسوتا" الحضَريَّة الأَمريكِيَّة، حيْثُ شكَّلَ الدُهْنُ الذِي تنَاولوْهُ مَا يُعَادِلُ 40 بالمِئَة مِن إجمَالِي السَعَرات الحَرارِيَّة المُتنَاوَلة، فأَصْبَحَ مُستوَى الكولِستروْل المَصْلِي لدَيْهِم مُرتَفِعًا، وبَاتُوْا عُرضةً للإصَابَةِ بأَمرَاضِ الشَرايِين التَاجِيَّة بمُعدَّلَاتٍ وبَائِيَّة.

لقَد جادَل "كيز" بأنَّه " ينْبَغِي على الرِجَال فِي مُنتصَف العُمر بالوِلَايَات المُتَّحدة ، أَن يَكونُوا قادِريْنَ على التَمتُّعِ بصِحَّةٍ جيِّدَةٍ للقَلْب والأَوعِيَة الدموَيَّة كالِإيطَاليِّين على الأقَل". سيُكَرِّسُ "كيز" بقيَّة حيَاتهِ الطَويلَة لتَطويْرِ بَحثِه وجَعْلِ هذَا التوَقُّع حَقِيْقَة. لقَد أُدرِجَت رحلَاتَهُ المِيدانيَّة إلى "نابولي" و"بولونيا" في دِراسَةٍ عِملَاقَة "البُلدَان السَبْع"، تقارن المُتغيِّرَات ذَاتهَا في إيطاليا، اليابان، اليونان، يوغوسلافيا سابقًا، هولندا، والولَايات المُتَّحدة الأمريكِيَّة، والبَلَد الأَكثَرَ سقَمًا— فنلندا، حيْثُ يَقوْمُ النَاسُ فيْهَا بمَدِّ الزُبدَة فوْقَ الجُبنَة التِي يتنَاولهَا. في عَام 1959 قامَ "كيز" بنَشر كتَابٍ بعُنوَان "كُلْ جيِّدًا وابْقَ سَليْمًا" معَ زَوجَتِه، وهوَ كِتَابُ طَهْيٍ مَبنِيٌّ على النتَائجِ التِي توصَّل لهَا، ومِن بيْنِ الأطبَاقِ الإيطَاليَّة التِي تضمَّنها: الكَبِد على الطَريْقَة الفِينيسِيَّة، ونوكي البطَاطَا، والريزوتو. وبرَغْمِ أنَّهُ قَد أَثْقَلهُ بمِئَةِ صَفْحَةٍ مِن العُلوْم التَمهِيديَّة العَسِيْرَة الهَضْم 279 إلَّا أنَّ كِتَاب "كُلْ جيِّدًا وابْقَ سَليْمًا" حقَّق نجَاحًا هَائِلًا: فقَد تمَّ شِرَاء فِيلَّا للعُطَل العَائِليَّة مِن عَائِدَاتِه بالقُرْبِ مِن "نابولي".

----------- \*نادي الروتاري العالمي: هو منظمة تطوعية للخدمة العامة أسسه في شيكاغو في عام 1905 بول هاريس وثلاثة من أصدقائه هم: سيلفستر شيلي وجوستافوس لوير وحيرام شوري. ويعني اسمه التناوب لكون الاجتماعات كانت تعقد بصورة دورية.

لقَد تُرجِمَ الكِتَاب إلى الإيطَاليَّة عَام 1962، لكنَّ رسَالتَه كافحَت فِي البِدايَة لتَلقَى القُبوْلَ في إيطاليا، حيْثُ كانَ مِن المُستبْعَد أَن يُعْجَب الشَمَاليُّون بالاقتِرَاح الذِي يَدعُوهُم أَن يكوْنَ طعَامهُم أكثَر شبَهًا بذَاك الذِي يتنَاولهُ رِجَالُ الإطفَاء ومُوظَّفو المكَاتِب البَسيطِين فِي "نابولي".

في وقْتٍ لَاحقٍ عَام 1975، قَام "كيز" بتسمية تَوصِيَاتهِ بـ"حِميَةُ البحْرِ الأبْيَضِ المُتوَسِّط" مُوضِّحًا أنَّه "ابتكارٌ جديْدٌ نسْبِيًا" وليْسَ مَا تناولَتْهُ شعوْبُ البحْرِ المُتوَسِّط دائِمًا- وإلَّا لكَانَ لحْمُ ودُهْنُ الخِنزيْرِ مِن بيْنِ مُكوِّنَاتهَا الرَئيسِيَّة.

*إنَّ جَوْهَر مَا نَعتَبِرهُ الآنَ حِميَة البحْرِ المُتوَسِّط هوَ نبَاتِيٌّ بشَكلٍ أسَاسِي: مِن المَعكروْنَة بأَشكَالِهَا المُتعَدِّدة، والأَوْرَاق التِي يُرَشُّ عليْهَا زَيْتُ الزَيتُون، وكلُّ أَنوَاعِ الخُضروَات بمَوسِمِهَا، والجُبن غَالبًا، وجَميعَها تَعقِبها الفَاكِهَة، وبكَثيْرٍ مِن الأَحيَان يُرافِقهَا النَبيْذ لتَسهِيل ابتِلَاعهَا.*

وبَهذهِ الصِيْغَة التِي تَبْدو مَألوْفةً أكثَر، بدَا أنَّ حِميَةَ "كيز" قَد حَظِيَت بقبُوْلٍ أكبَر لدَى الإيطَاليِّين. بالطَبْع، لَم يُصبِحوا جَميْعَهُم نبَاتِيِّين- فذَاكِرَة النِظَام الغِذَائِي النبَاتِي القَريْبِ العَهْدِ الذِي فرضَهُ الجُوْع، كانَت لَاتزَالُ حديْثَة العَهْد بالنِسْبَةِ لذَلِك- ولَكِن منْذُ أوَائلِ الثمَانيْنَات، تبَنُّوا حِميَة البَحْرِ المُتوَسِّط، وكَأَنَّهُم عَلِموْا بأنَّها فِكرَةٌ عَظِيمَةٌ منْذُ البِدَايَة. وكَنتيْجَةٍ مُباشَرة، تمَّ إخْرَاج دُهنِ الخِنزيْرِ والزُبدَة مِن مَعَاقِلِهَا القَديْمَة فِي وَادِي "بو"، وأَصبَح زيْتُ الزَيتوْن، وهوَ الدِهْنُ الجَيِّد، مُفضَّلًا على المُستوَى الوطَنِي مثْلَ المَعكروْنَة.

**الأَطعِمَةُ الأَصِيْلَة**

لقَد عبَّرت النَزْعَة المُحَافِظَة للطعَامِ الإيطاَلِي عَن نفْسِها بطُرقٍ أُخْرَى، كانَ أحَد أكثَرِهَا تأثيْرًا هوَ الحَنِيْن. فَفِي السنوَاتِ نفسها عندما قامَ الإيطاليُّونَ بخُطوَاتهِم الأوْلَى كمُستَهلكِين، اكتشَفوا أيْضًا أنَّ المُكوِّنات والأطْبَاق الأَصِيْلَة للأيَّام السَالِفَة عُرضةٌ للانْقِرَاض، وبيْنمَا راحَ الجوْعُ يَختَفِي أخيْرًا مِن شبْهِ الجَزيْرَة الإيطَاليَّة، قِيْلَ للإيطَاليِّين إنَّ الأطعِمَة الجَيِّدة باتَت جُزْءًا مِن المَاضِي.

إِنَّ إحْدَى التعَابِيْر الآسِرَة المُبَكِّرة للحَنيْنِ إلى الطعَامِ الإيطَالِي، هيَ مُسلسَلٌ تَمَّ تَصويْرَه بذَاتِ السنَة 1957، التِي شَهِدَت 280 ظهوْرَ أوَّلِ إعلَانٍ على التِلفَاز الإيطَالي. كانَت الحلقَاتُ الاثْنَا عشَر مِن "البَحْثُ عَن الأَطْعِمَة الأَصِيلَة: رحْلَةٌ على طوْلِ وَادِي بو" مَشروْعًا رائِدًا لشَرِكَة "راي تي في" الإيطَاليَّة، بَقِيَت ذَاتهَا قيْدَ العمَلِ لمُدَّةِ ثلَاثِ سنوَاتٍ فقَط، ومعَ طَاقمِ تصويْرٍ وصَوْتٍ مكوَّنٍ مِن خمْسَة عشَر شخْصًا أَشِدَّاء، سافروا في قَافِلَةٍ مُكوَّنَةٍ مِن سِتِّ عربَاتٍ بمَا فِي ذَلِك شَاحِنًة وحَافِلَة صَغيْرَة. لقَد أعَدَّ "ماريو سولداتي" وقدَّم مُسَلسَل "البحْثُ عَن الأَطعِمَة الأَصيْلَة"، وبغَضِّ النظَر عَن كوْنِه رِوَائيًا وكَاتِب سِينَاريو وصَانِع أفْلَام، فإنَّ "سولداتي" أيْضًا أكثَر "نَهِمٍ جوَّالٍ" إيطَاليٍّ بليْغِ اللِّسَان، خِلَال التَقليْدِ الذِي تمَّ تَأسِيْسَه فِي الحِقبَة الفَاشِيَّة مِن قِبَلِ النَادِي الإيطَالِي للسِيَاحَة و"باولو مونيلي". لقَد غَلَبَ طَابِعُ أُسلوْبِ "سولداتي" الفَرِيْدِ المُتَعنِّت على جَميْعِ حَلقَاتِ برْنَامجِه، فبدَا أَشبَه بمُخرِج أفْلَامٍ قامَ بتَوظيْفِ نَفسِه مِن وكَالَة رِعايَة المَواهِب التَمثيلِيَّة- فقَد ارتدَى قُبَّعة بيرِيه، و نظَّارَاتٍ ذَاتَ إطَارٍ سَمِيْك، بشَاربٍ صغيْرٍ أَنِيق، وسُترَةٍ رياضِيَّة، وعدسَةِ عَينِيَّة يَرتَديْهَا حوْلَ رقبَتهِ- ووَقَفَ في سيَّارَتهِ "الجِيْب" على رَأسِ القَافِلَة، مُصْدرًا الأوَامِر إلى طاقَمِ فِيلمِه مِن حوْلهِ بنَفْخَاتٍ آمِرَةٍ مِن صفَّارَتِه. نادِرًا مَا سمَح أُسلوْبُه المُتَمَثِّل بإجرَاءِ المُقابلَات لأيِّ شَخْصٍ بإنهاء جُملتِه. بدَا كلُّ شَيءٍ مُعَدًا لإنْتَاجِ تَرفيْهٍ رَائِع، ووَثيْقَةٍ مُميَّزةٍ للوَجْهِ المُتغيِّر للطعَامِ الإيطَالِي.

كانَ هدَفُ "سولداتي" البحْثُ عَن مَا دعَاهُ "فنُّ التذَوُّقِ والطَهْيِ الأَصِيل". وبعْض الحلقَات المُبَكِّرَة لبَرنَامجِه، جرَى تَصوِيْرهَا فِي مَسقَطِ رَأسِه مُقاطعَة "بيدمونت"، والتِي أَظهرَت بوضوْحٍ مَا كانَ يجوْلُ فِي ذِهْنِه. وبالقُرْبِ مِن جَدوَلٍ جبَلِيٍّ تحْتَ القِمَّةِ الَثلجِيَّةِ هرمِيَّةِ الشَكْل لجَبَل "مونفيسو"، قريْبًا مِن مَنْبَعِ نهْرِ "بو"، صوَّرَ "سولداتي" رجُلًا يصْطَادُ سمَكَة سَلَموْنٍ بطوْلِ يَدهِ بقصبَةٍ وخَيْطٍ. وإلى الأَسفَل نحْوَ السَهْلِ بالقُرْبِ مِن "تشيري"، قامَ بإجْرَاءِ لقَاءٍ معَ فلَّاحٍ عَن الخَرشُوفِ الذِي يَزرَعهُ: فبعْدَ طَمْرِهِ تحْتَ التُرَاب، حتَّى قمَّتِه لثمَانِيَةِ أيَّامٍ ليَكتَسِبَ الشُحوْبَ المُنَاسِب، يُرسل على الطَريْقِ صعوْدًا إلى "تورين"، حيْثُ يَستخدِموْنَه للغَمْسِ في "الباغنا كودا"، وهِي صَلصَةُ الثوْمِ والأُنشوْفَة الدَافِئَة المِثَاليَّة الخَاصَّة بالمَديْنَة. وفِي "شيراسكو" تِلْكَ المَديْنَة التِي يعوْدُ تاريْخهَا للقرْنِ السَابعِ عشَر، تفحَّصَ سولداتي "العُجُوْلَ المَخصِيَّة ذَاتَ أَردَافِ الأَحْصِنَة" المحَليَّة، والتِي يتِمُّ تَغذِيتهَا وفْقَ نِظَامٍ غِذَائِيٍّ خَاصٍّ يتضَمَّنُ البَيْض لإبْرَازِ الشَكْلِ المُمَّيزِ ومذَاقِ أَورَاكِهَا. وفِي "تورين" ذَاتِهَا، شاهَد "سولداتي" عِصِيَّ الخُبْزِ المُقرمشَة المَصْنوْعَةِ يدَويًا، وزارَ أحَد أقدَمِ وأرْوَعِ مطَاعِم إيطَاليا، يقَعُ على الجَانبِ الآخَر تمَامًا مِن المَبْنَى الذِي اسْتضَافَ أوَّلَ بَرلمَانٍ فِي البِلَاد. ولدَى عَودَتهِ إلى الأستُوديُو، قدَّم كونتِيسَّة تَرتَدِي زيًا رسْميًا ولآلِئ، فشرَعَت بشَرْحِ كَيفِيَّةِ إِعْدَادِ "الفوندو" المُزيَّنِ بقِشَارَةِ الكمَأَة، مُبِّينَة أنَّ "المَأسَاة الاجتِمَاعيَّة" هِي مَصيْرُ أَيِّ ربَّةِ مَنزلٍ تُقَدِّمُ لضُيوْفهَا "فوندو" لَزِجًا عِوضًا عَن "الفوندو" الكرِيْمِي.

---------

\*باولو مونيلي: من أبرز الصِحافيين والكتاب في إيطاليا، توفي عن عمر 93 عامًا، وقد بدأ مسيرته المهنية في صحيفة بولونيا سنة 1912.

\*جبل مونفيسو: يعد أعلى جبل في سلسلة جبال كوتيان بجبال الألب. يقع في إيطاليا بالقرب من الحدود الفرنسية. ويشتهر بشكله الشبيه بالهرم، ولأنه أعلى من جميع القمم المجاورة له بحوالي 500 متر، يمكن رؤيته من مسافة بعيدة، بما في ذلك من هضبة بييمونتي.

\*الفوندو: طبقٌ سويسري وإيطالي وفرنسي معد من الجبن المذاب يقدم في قدر، يوضع على موقد صغير أو شمعة صغيرة كي تحافظ على قوامه السائل. و يؤكل باستخدام شوكة طويلة بنهايتها خبز لتغميسها في الجبن المذاب. \*قبعة بيريه: البيريه هي قبعة مستديرة لينة ذات قمة مسطحة تصنع عادة من الصوف المحاك يدويا أو القطن الكروشيه، أو ألياف الاكريليك. يتم ارتداء البيريه كجزء من الزي العسكري للعديد من وحدات الشرطة في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى بعض المنظمات الأخرى.

281 إنَّهَا صوْرَةٌ للطعَامِ الإيطَالِي كانَ بالوِسْعِ رَسْمُها بسُهولَةٍ قبْلَ قرْنٍ مِن الزمَان.

لعَلَّ أكْثَرَ لحْظَةٍ مُعَبِّرَةٍ في رحلَةِ "سولداتي" هِي حيْنَ وجَد نفْسَه وسْطَ الأنَابيْبِ الفولَاذيَّة الضَخْمَة، والبرَامِيل المَطليَّة بالمِينَا، وحُجرَات المُرَاقبَة المُقَبَّبَة اللَّامِعَة لمَصْنَعِ جُبْنٍ عِملَاقٍ بالقُرْبِ مِن "لودي" جنوْبِ شرْقِ "ميلَان". رَبُّ العمَلِ هُنَا ليْسَ مِن مُلَّاكِ الأرَاضِي بَلْ رَجلُ أعمَالٍ يَرتَدِي بَدْلةً أَنيْقةً، وكِبَارُ موظَّفيْهِ يَلبَسوْنَ معَاطِفَ بيضَاء ويُمضوْنَ وقْتَهُم بتسجِيْلِ القِراءَات مِن أَجهِزَة القِيَاس. يَأتِي الحليْبُ مِن أبقَارٍ تَرْعَى مِن أَغْذِيَة مُركَّزَة أسَاسُهَا فوْلُ الصُويَا ومَصْدَرهُ مِن اليابَان. نظَر "سولداتي" حَولَه، ورفَع قُبَّعتَه البيريه وحَكَّ رَأسَه بطَريقَةٍ تَكسِرُ الفؤَاد وتَفضَحُ مشَاعِرَه، ثمَّ تحدَّثَ مُباشَرًة إلى الكَامِيرا بنَبْرَةٍ مُستَكِيْنَة، واعتَرَف بعَدَمِ وجوْدِ طريقَةٍ أُخرَى مُنَاسِبَة لإطْعَامِ هَذهِ الحُشوْد:

*إنَّ الغالبيَّة العُظمَى ممَّا نتنَاولَهُ باتَ صِنَاعيًا، ولِهَذا فَإِذَا توجَّب أَن يَقتَصِر بَحْثِي على مَا هوَ أَصيْلٌ مِن تلْكَ الأَشْيَاء الحَرفِيَّة المَصنوْعَة يَدوِيًا والتَقليدِيَّة فقَط، فسَينْتَهِي المطَافُ بِي وأَنا أُريْكُم فنًّا لتذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه بعيْدِ المنَال في مُعظَم الحالَات، إلَّا إذَا أردْتَ أَن تهْلَك جوْعًا.*

على أَيِّ حَال، فِي نِهايَة الرِحلَة، يتِمُّ التَوفِيْقُ بيْنَ المُنتَج الأَصِيْلُ معَ الصِنَاعِي، عنْدمَا يقوْمُ "سولداتي" بالتجَوُّلِ فِي مُسْتَودَعٍ، حيْثُ تَنْضَجُ على مَهْلٍ بعْضُ أجبَانِ المَصنَع وهي 50 ألفًا مِن جُبنَة غرانا بادانو. ويُنْهِي البرنَامِج على المَائِدَة مُمَجِّدًا المزَايَا العَريْقَة لجُبْنَة غرانا و بارميغانو ريغانو، وكِلَاهُمَا مِن تنَوُّعَات جُبنَة البارميزان، مسْتَذكِرًا جُزءًا قديْمًا مِن حِكمَةٍ إيطَاليَّة، فيُوصِي بتنَاولِ "مَلِكُ الأَجْبَان" فِي نِهايَة الوَجْبَة مَع الإِجَاص "مَلِكَةُ الفَاكِهَة".

إنَّ الأمْرَ المُثيْرَ للفضُوْلِ بشَأنِ بحْثِ "سولداتي" عَن الأَطعِمَة الأَصيْلَة، هوَ عدَمَ اليَقيْنِ الذِي يَسكُنُ قَلْبَه إذ لَم يَحْسِم أَمرَهُ تمامًا أيْنَ يقَعُ الحَدُّ الفَاصِلُ بيْنَ مَا هوَ أَصيْلٌ وبيْنَ مَا هوَ صِنَاعِي. لقَد أرَاد جُزًء منْهُ حصْرَ "الأصَالَة" بالرَجُل الذِي يصْطَادُ سمَك السَلموْن فِي جِبَال الأَلْب. أمَّا الجزْءُ الآخَرُ منْهُ فأقَلَّ حَسْرةً، وحتَّى "سولداتي" توجَّب عليْهِ الاعْتِرَافَ بأنَّ بعْضًا مِن أكثَرِ التقَاليْدِ الأَصِيلَة للطعَامِ الإيطَالِيِّ تُرَكِّزُ على مثْلِ هَذهِ المُنتجَات كالجُبْن، لَحْم الخِنزِيْر المُقدَّد، السْلَامِي، والمَعكروْنَة المُجفَّفة. وقَد تمَّ تَصمِيمهَا فِي الأَصْلِ للحِفْظ، النَقْل والتِجَارَة، ولِذَلك فَهِي تتَكيَّفُ بشَكلٍ جيِّدٍ معَ الطرُقِ الصِنَاعيَّة. إنَّ التَميِيزَ بيْنَ مَا هوَ أَصيْلٌ و مَا هوَ صِنَاعِيٌّ 282 ليْسَ بالأَمْرِ السَهْلِ على الدوَامِ مثْلَ تَفضِيْلِ طبَقٍ مِن المَعكروْنَة على مَزيْجٍ كَريْهٍ مِن المُربَّى، اللَّبَن، الخَردَل والحَلِيْب.

---------- \*المينا: عبارة عن مزيج مركب من عدة مواد لاعضوية، غالباً من السيليكات والأكاسيد والتي تصهر لدرجات عالية تصل إلى حوالي 900 °س ثم تسكب على ركازة من معدن أو زجاج، وذلك ضمن شكل معيّن ذي بريق خاص. تعد تقنية المينا المزجج إحدى الصناعات التقليدية القديمة التي استعملت في صناعة الأواني والمجوهرات والفنون التشكيلية.

لقَد تسلَّلَت حالَةُ عدَمِ اليَقيْنِ التِي عانَى منْهَا "سولداتي" إلى التَاريْخِ الإيطَاليِّ بشَكلٍ مُدَوٍّ منْذُ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة. ولَاتزَال إيطَاليا بلدًا "فِي سَعْيٍ للطعَامِ الأَصِيْل"، بلَدًا يَنتَابَهُ الحَنِيْن بَشكلٍ دَائِمٍ لأَطبَاقِ الأَمْس. إنَّ مَعنَى الأصَالَة لَم يتَّضِح أبَدًا على نحْوٍ خَاص-فغشَاوَةُ الحَنِيْنِ قَد أحَاطَت بِه، وعُرضة لخَطَرِ الِاستِيلَاء مِن قِبَل المُعلنِيْن بشَكْلٍ كَبِيْر، ومعَ ذَلِك فلَا زَالَت هَذِه الكَلِمَة تَحْتَفِظ بهَالَتِهَا السِحرِيَّة. وبِرَغْمِ الالتِباَسِ المُحيْطِ بهِ، فإنَّ إيْمَانًا بمَا هو أَصِيْل، مَمزوْجًا بالأسَف لمَا باتَ صِنَاعيًا أو مُصْطنعًا، قد كُتِبَ في تَشريْعَاتِ حضَارَةِ المَاِئدَة الإيطَاليَّة، لقَد أصْبحَ مادًّة في عقيْدَةِ فَنِّ التذَوُّقِ والطَهْيِ الإيطَالِيَّة.

لَم يَأخُذ الِإيطَاليُّون على مَحْمَل الجَدِّ سِوَى تلْكَ الأَطعِمَة التِي ادُّعِيَ بأنَّهَا "أَصِيْلَة"، "مِثاليَّة"، "حَقيقِيَّة"، "تَقليدِيَّة"- إنَّها كلمَاتٌ تَحْمِلُ ذَاتَ النِدَاء الغَامِض المُثيْرِ للأَشْجَان. إنَّ الحِقبَة المُعَاصِرة هِي عصْرُ الأَطعِمَة والأطبَاقِ الوَطنيَّة، التِي وحَّدَت أسلوْبَ الطَهْيِ الإيطَالِي لأوَّلِ مرَّةٍ مِن الشمَال للجَنوْب، ومِن أَعلَى لأَسْفَلِ السُلَّم الاجتِمَاعِي. لجَميْعِ هَذهِ الأَطعِمَة الوَطنيَّة أصْلٌ مَتيْنٌ بمَنطِقَةٍ أَو أُخْرَى فِي شِبْهِ الجَزيْرَة الإيطَاليَّة، ومعَ ذَلِك فجَميْعهَا تُصْنَعُ وِفْقَ مِقيَاسٍ صِنَاعِي، وكَعكَة البانيتون أحَد الأَمْثِلَة: تلْكَ الكَعكَة الخَفيْفَة الطَريَّة اللَّذيْذَة معَ الفَاكِهَة المُجفّفة هيَ فِي الأَصْلِ تخَصُّصٌ مِيلَانيٌ، ولَكِن بحُلوْلِ وَقْتِ البَحْثِ عَن طعَامٍ أَصِيْلٍ قامَ التَسويْقُ المُحنَّكُ بتَحويْلِهَا إلى مُتعَةٍ للجَمِيْع بِعِيْدِ المِيْلَاد. وهُناكَ أَطعِمَةٌ وَطنيَّةٌ أُخرَى مثْلَ البِيتزَا والموزاريلَا، جَاءَت مِن الجَنوْبِ لتَغْزو الشَمَال. رأَى "سولداتي" أنَّ أجبَانَ "بروفولوني" يتِمُّ تَصنيْعهَا بمَعْمَلٍ فِي منطِقَة "لومباردي"، غيْرَ أنَّ هَذهِ الأَجبَان التِي لهَا شَكلُ البِطِّيخ أُحْضِرَت إلى وَادِي "بو" ببِدايَات القَرْنِ العِشريْن، مِن قِبَل رُوَّادِ الأَعمَالِ الجَنوبِيِّين بحْثًا عَن منَاطِقَ أكثَر خصُوبًة تِجَاريًا. يُخبِرُ صَاحِبُ المَصْنَع "سولداتي" أنَّ 70 إلى 80 بالمِئَة مِن جُبن بروفولوني يَتِمُّ إعْدَادَهُ الآنَ فِي الشَمَال.

كانَت للهِجرَةِ الجمَاعيَّة التِي حدثَت فِي المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة؛ علَاقةٌ بعمَليَّة التَجنِيسِ هَذِه، لقَد أخَذ سُكَّانُ الجَنوْبِ معَهُم أَطعِمتَهم المُفضَّلة إلى "تورين"، على سَبيْلِ المِثَال، وبمُروْرِ الوَقْت تعَلَّموا أيْضًا كيْفَ يُحِبُّوْنَ صَلصَة الباغنا كودا، تمَامًا كمَا تعَلَّم سُكَّان "تورين" عِشْقَ المَعكروْنَة معَ صَلصَة الطمَاطِم (ومَع ذَلِك، فَفِي السنوَاتِ الأُوْلَى، كانَ السُكَّان المَحليُّون المُتحَامِلوْنَ يَسخروْنَ مِن قَذَارَة الجَنوبِيِّين وزِرَاعَتهِم الطمَاطِم في حوْضِ الاستِحمَام والرَيْحَان فِي دوْرَةِ المِيَاه).

منْذُ خَمسينِيَّات القرْنِ العِشريْن، باتَ انتِشَار الأَطبَاق الوَطنيَّة أكثَر قوّةً، وخِلَال هَذهِ العمَليَّة أصْبحَ الالتِبَاسُ الذِي يُحيْطُ بمَا هوَ أَصِيْلٌ أَكْثَرَ عظَمةً.

------------

\*جبن بروفولوني: جبنة طرية مُدخَنَة، تصنع من حليب البقر ولها نكهة خفيفة، لاتزال تنتج بأشكال الكمثرى أو النقانق، وأهم مناطق إنتاجها اليوم شمال غرب إيطاليا ومدينة كريمونا.

283 إنَّ تنَاولَ الجَرجِير، الخَلِّ البَلسَمِي، وجُبنَة الموزَاريلَا المَصنوْعَة مِن حليْبِ الجَاموْسِ؛ ليْسَ بالأَمْرِ التَقليْدِي بمُعظَم أَنحَاء إيطَاليا. ومعَ ذَلِك فقَد أَمْسَت هَذهِ الأَطعِمَة في فَترَةِ الثمَانِينَات والتِسعِينَات هَوَسًا وطَنِيًا، عنْدمَا تمَّ التَروِيْجُ لهَا كمُنتجَاتٍ أَصِيْلَة مُقدَّسَة عبْرَ العُصوْر (بعْدَ فتْرَةٍ قصيْرَةٍ مِن ذَلِك، بالطَبْع، اكتسَح هذَا الهَوَسُ سَائِرَ المتَاجِر الكُبْرَى فِي العَالَم). لَا يُمكِنُ للطعَامِ الإيطَالِي إعَادَةَ ابتِكَار نَفسِه إلَّا عبْرَ ادِّعَاءِ بقَائهِ على حَالِهِ فقَط، فالتَغيِيرُ لَا يَأتِي إلَّا تحْتَ سِتَار الاستِمرَاريَّة، ولِهَذا يَنبَغِي تَقديْمُ الأَشيَاء الجَديْدَة على أنَّها بقَايَا قَديْمَة ممَزوْجًة بالحَنِين إلَى المَاضِي. إنَّ هذَا التعَصُّب للطعَامِ هوَ نَزْوَةٌ ثقَافِيَّةٌ تخْلقُ قَدْرًا كبيْرًا مِن سُوْءِ الفَهْمِ والرِيَاء، ولَكِنَّها بغَضِّ النظَرِ عَن ذَلِك تُمَثِّلُ الفَضيْلَة المُنقِذَة لحضَارَةِ المَائِدَة الإيطاليَّة في عصْرِ الإنْتَاجِ الضَخْم.

**مِنَ القِدْرِ الكَبِيْرِ إلى زِبدِيَّة الحسَاء**

إنَّ أحَد أفْضَل وأبْرَز ملَامِح الحُبِّ الإيطَالِيِّ للطعَام اليَوْم هوَ مدَى تشَارُكِ الجَمَاهيْرِ بهِ، ومَدى اتِّسَامِه بالمُساوَاة، فقبْلَ الحَرْبِ العَالميَّة الثَانِيَة، عاشَ عُمَّالُ الأُجوْرِ اليَومِيَّة الجِيَاع القَادمِونَ مِن أَكثَر المنَاطِق تخَلُّفًا فِي الجَنُوب، على كَوْكَبٍ غِذَائِيٍّ مُختَلِفٍ عَن ذاكَ الذِي عاشَت عليْهِ الطبَقَةُ الوسْطَى فِي المُدن. مِن المُحتمَل أَن يُشَارِكهُم الآنَ أولَادهُم وأحفَادهُم ذَاتَ التَقدِير الخَبِيْرِ للطَهْيِ اللَّذِيذ. في بريطانيا، اعتَادَ المُرَاهِقوْنَ مِن المدُنِ الدَاخليَّة المَحروْمَة، على الأَطعِمَة السَريْعَة الجَاهِزَة إلى حَدٍّ كَبِيْر، حتَّى إنَّ العَديْدَ مِنْهُم غيْرَ قَادريْنَ على تَميِيزِ الجَزَرِ بحَالتِه الطَبيعِيَّة. أمَّا في إيطاليا، فحتَّى الأطفَالُ بمَرحلَةِ مَا قبْلَ الدِراسَة مِن العَائِلَات الفَقيْرَة بوِسعِهِم التَميِيز بيْنَ البَاذِنجَان وبَصَلَة نبَاتِ الشَمَر- وكمَا اكتشَف الطَاهِي البريطَانِي الشَهِير "جيمي أوليفر" عَام 2005 خِلَال "سِلسِلَة إيطَاليا" لـ"جيمي أوليفر" الشَهِيْرَة للغَايَة؛ أنَّ إيطاليا لَا تُعَانِي بالقَدْرِ نَفْسِه تقريْبًا الذِي تُعَانيْهِ البُلدَان الأُخرَى مِن الانقِسَام الكَبِير بيْنَ أُسلوْبِ الطَهْيِ، وفَنِّ الأَكلِ الرَاقِي الذِي يتعَلَّمهُ القِلَّة مِن النَاس، أو الأَطعِمَة التِي يتغَذَّى عليْهَا مُعظَم النَاسِ يوْمِيًا، فكَثيْرًا مَا يستَشهِدُ الإيطَاليُّوْنَ بالبسَاطَةِ كوَاحِدَةٍ مِن الفضَاِئل التِي تُميِّزُ طريْقَة تنَاولهِم الطعَام.

إنَّ احتِرَام الإيطَاليِّين للأَطبَاق الفلَّاحية البَسيْطَة، هوَ أحد أَقوَى المُؤشِّرَات على الحُريَّة النِسبيَّة للبِلَاد مِن التَبَاهِي بالطَعَام. ويتَّسِمُ هذَا الاحتِرَام بالقُوَّةِ الشَديْدَة حتَّى إنَّه غَالِبًا مَا يَنقَلِبُ إلى مِصدَاقيَّة: فالطَريْقَةُ الأَضْمَنُ لبَيْعِ مُنْتَجٍ مَا مِن السُوبِرمَاركِت تكون بوَضْعِ عبارة "تَقليْدٍ فلَّاحِيٍ" على العَبْوَة. بيْدَ أنَّ الريبوليتا الحسَاءُ التوسكَانِيُّ "الذِي يُعَادُ غَليُه" ويُعتَزُّ بهِ على نحْوٍ خَاصٍّ فِي فلورنسا، فَهُوَ بالتَأكِيْد ليْسَ أحَد تلْكَ الأَطبَاق العَديْدَة ذاتَ الأَصْلِ الزِرَاعِيِّ المُزيَّف، إنَّهُ نَموْذَجٌ مِثَاليٌّ عَن المَطبَخِ الفَقِير، والعُضو الأَكثَر شُهرًة مِن العَائِلَة الكَبيْرَة لشُوربَات الخُبْز 284 والعصَائِد التِي تَمتَدُّ جذوْرهَا فِي مزَارِع الأُسَر التوسْكَانيَّة. إنَّ تاريْخًا مُوْجزًا عَن الريبوليتا هوَ الطَريْقَة الأَفْضَل لإظْهَار الكَيفِيَّة التِي تمَّ فِيْهَا إِضفَاءُ الطَابعِ الدِيمُقرَاطِي على ثقافَةِ الطعَامِ الإيطاليَّة خِلَال التحَوُّل السَريْعِ للبِلَاد إلى مُجتمَعٍ صِنَاعِيٍّ في الخَمسينِيَّات والسِتينِيَّات مِن القَرْنِ المَاضِي.

**الريبوليتا**

تُؤخَذُ بعْضٌ مِن فاصوليَاء كانيليني، وتُنقَعُ بالمَاءِ طِوَالَ اللَّيل، ثُمَّ تُغلَى بكَميَّةٍ كبيْرَةٍ مِن المَاءِ المُمَلَّح قليْلًا، تُغرَفُ نصْفُ الفَاصوليَاء تقريْبًا وتُهرَس، معَ التَأكُّدِ مِن الاحتِفَاظ بمَاءِ الطَهْي.

فِي قِدْرِ طَهْيٍ كَبِيْرٍ، يُقْلَى بعْضُ البصَلِ المَفروْمِ بزَيْتِ الزَيتُوْنِ بِبُطء، ثمَّ تُضَافُ خُضروَاتٌ أُخرَى مِثْلَ الكَرفَس، الجَزَر والثُوْم، وتُلحَقُ بالبطَاطَا والطمَاطِم المُعلَّبة. ثمَّ تُضَافُ أُولَى المُكوِّنَات الأسَاسِيَّة والمُميَّزة حقًا: حِصَصٌ مُتسَاوِيَةٌ مِن مَلفوْفِ سافوي المَفروْمِ بشَكلٍ خَشِنٍ، ومَلفوْفِ كافولو نيرو- "المَلفوْف الأَسْوَد" أو اللِّفْت الأَسْوَد المُستَخدَم كثيْرًا في إِقليْم توسكاني. بالإمْكَانِ إضافَة جِلْدِ لَحْمِ الخِنزيْرِ المَقْلِي أيْضًا، حسَبَ الرَغْبَة، غيْرَ أنَّ مُعظمَ الوَصَفَات تتمَسَّكُ بالخُضروَات الأُخرَى مثْلَ السِلْقِ والكُرَّاث وغَيْرهَا.

تذْبَلُ برفْقٍ لعَشْرِ دقَائقَ، ثمَّ تُضَاف إلى الفاصوْليَاء ومَاء الطَهْي معَ التَحرِيك، تُتبَّلُ بالمِلْحِ والفُلفُل، يجِبُ أَن يَغْلِي المَزيْجُ بعْدهَا بهدوْءٍ لسَاعتَينِ، ويُحرَّكُ مِن حيْنٍ لآخَر.

تُضَافُ كميَّةٌ وَافِرَةٌ مِن قِطَعِ الخُبزِ التوسكَانِيِّ اليَابِسَة (لَا يحتَوِي الخبْزُ التوسكَانِيُّ على مِلْح)، وتُطْهَى لعَشْر إلى خَمْسِ عشْرَةَ دَقيْقَة أُخْرَى، يُتْرَكُ ليتمَاسَك لعَشْرِ دقَائقَ أيْضًا، ثمَّ يُقدَّم بإضَافَةِ زيْتِ الزَيتوْنِ بشَكلِ دوَّامَةٍ عَمِيْقَة، وهوَ لَاذِعٌ بمَا يَكفِي ليَتشَبَّثَ بلُطْفٍ في مُؤَخِّرَةِ اللِّسَان.

لقَد تمَّ تجميْعُ هَذهِ الوَصْفَة مِن مصَادِرَ عَدِيْدَة، ولَكِن حيْنهَا ستَبْدو أيُّ "وَصفَةٍ" للريبوليتا شيْئًا مَغلوْطَ التَسمِيَة. إنَّ مجموْعةً واحِدةً مِن الإرشَادَاتِ لِكَيفِيَّة إعدَادِ حسَاءِ الخُبزِ التوسْكَانِي، لَن تكوْنَ سِوَى نُسخةٍ مِن مُمَارَسَةٍ أجْرَتْهَا أُسَرٌ مُختَلِفَةٌ وفْقَ مَجموْعَةٍ مُتنَوِّعَةٍ ضَخْمَةٍ مِن الطُرُقِ، اعتِمَادًا على المُكوِّنَات المُتاحَة. ومعَ ذَلِك، فقَد كانَ المَبْدأُ الجَوهَريُّ غيْرُ الفَاتِن هوَ ذَاتُه: إضافَةُ الخُبْزِ القَدِيْم إلى الحَسَاء.

لعدَّةِ قروْنٍ، ظلَّت منَاطِقُ وَاسِعَةٌ مِن الريْفِ الأوسط الإيطَاليِّ بمَا فِي ذَلِك أجزَاءُ كثيْرَةٌ مِن إقليْمِ توسكانا، تتميَّزُ بالزِراعَة بالعُموْلَة، والنِظَام التَعَاقُدِي 285 الذِي قامَ مَالِكُ الأرْضِ وفْقَهُ بتقاسُمِ

------------

\*ملفوف سافوي: هو من الخضر الشتوية، وأحد تنوعات الملفوف العديدة، يعتقد أن أصوله تعود لإنكلترا وهولندا، سمي على اسم منطقة سافوي في فرنسا. ويدعى في إيطاليا كافولو فيرزا.

\*فاصولياء كانيليني: فاصولياء بشكل الكلية ذات حجم متوسط، لها لون أبيض كريمي مصدرها إيطاليا.

ثِمَار الزِراعَة بشَكلٍ مُتسَاوٍ معَ مُزَارعِيْهِ المُستَأجريْن؛ فالمَالِكُ يُقَدِّمُ الأرْضَ، بيْنمَا يَبْذُلُ الفلَّاحوْنَ المَجْهودَ بالعمَل. لقَد عاشَ الفلَّاحوْنَ المُستَأجروْنَ حيَاةَ الكَدْحِ مِن الفَجْرِ حتَّى الغَسَق، وغالبًا مَا تمَّ استِغلَالَهُم وخِداعَهُم مِن مَالِك الأرْضِ ووكلَاؤهُ، إلَّا أنَّهُم نادِرًا مَا جَاعوا، وكَانوا أفْضَل حالًا بشَكْلٍ ملحوْظٍ مِن العُمَّال الذيْنَ لَا يَملِكوْنَ أرَاضِي فِي المُقاطعَات الجَنوبيَّة الكُبْرَى على سبيْلِ المِثَال، أَمَّا عَائِلَات المُزارعِيْن المُستَأجَرِيْن فهِيَ تميْلُ إلى انْجَابِ عَدَدٍ كبيْرٍ مِن الأَفْرَاد، وتعيْشُ بالقُربِ مِن الحقوْلِ كمَجموْعَةِ عمَلٍ وَاحِدَة، في ذَاتِ مبَانِي المَزرعَةِ المُكتظَّة المُسوَدَّةِ بفِعْلِ دُخَانِ المَوْقِدِ كحَالِ حَيوانَاتهِم، كانَ رَبُّ الأُسْرَة خَاضِعًا لإرَادَةِ مَالكِ الأَرْض، فموَافقتَهُ ضَروريّةٌ ليتمَكَّنَ الفلَّاحُ مِن الزوَاج، ولَكِن دَاخِلَ المَنزِل، فقَد عُهِدَ إلى الوَالدِ القَائدِ بالسُلطَةِ العُليَا وفْقًا للقَانوْن، سواءً أكانَ مَن تحْتَ وِصَايتهِ هُم أقَارِبَهُ أَم لَم يَكونُوا؛ فَهوَ مَن يُوزِّعُ العمَل ويُقَرِّرُ مَا سَيُزْرَع.

أمَّا مِحوَرُ أُسرَةِ المُزَارِع المُستَأجِر فَهِي المَرأَة الأَعْلَى مقَامًا، الماسايا أو ربَّةُ المَنْزل، فهِيَ تحْرَص على أَن تعْمَل النِسَاء بكَدٍّ أكبَر مِن الرِجَالِ حتَّى: تربِيَةُ الأَطْفَال، ورِعايَة حيوَانَات المَزْرعَة، وجلْبُ المِيَاه، والغَسْلُ ورتْقُ الثِيَاب- فَضْلًا عَن عمَلهَا فِي الحقوْلِ كالرِجَال. وبالطَبْع تقَعُ على عَاتقِ النِسَاء مُهِمَّةُ تحضيْرِ الطعَام الذِي يُعَدًّ على نِطَاقٍ وَاسِع.

تعوْدُ أصوْلُ حسَاء الريبوليتا إلى الطَهي البسيْطِ للكميَّات الكَبيْرَة، في مسَاكِنِ مزَارِع الفلَّاحيْن المُستَأجريْن. وكمَا هوَ الحَالُ دَائِمًا فِي بيوْتِ الفلَّاحِين، فإنَّ الحسَاء مِن القدْرِ الكبيْرِ الموضوْعَ على النَارِ يُمَثِّلُ قلْبَ مُعْظَم الوَجبَات، وبشَكلٍ مُتواصِلٍ سيَتِمُّ تَعبِئَةُ وتَفريْغِ القِدْر، غَليِه، وإِعادَة غَليِه. كانَ الاكتِفَاءُ الذَاتِي هو مبْدَأ المُزارعِين المُستَأجريْن- لَم يَشْرَعوا حتَّى بشِرَاء الخُبز. فقَد كانَ الخَبْزُ يَتِمُّ مرَّةً فِي الأُسبوْع للاقْتِصَاد فِي الوَقْتِ والحطَب، ويُعَدُّ بدوْنِ إضَافَة المِلْح؛ فالمِلْحُ عدَا عَن كوْنهِ بَاهِظَ الثمَن فإنَّه يجْذِبُ الرطوْبَة التِي قَد تُؤدِّي إلى تعَفُّن الخُبز ليُصبِحَ غيْرَ صَالحٍ للأَكْل بنِهايَة الأُسبوْع، ومعَ اقتِرَابِ يوْمِ الخَبْزِ سيَتِمُّ استِخدَام الخُبْز اليَابسِ لزِيادَة حَجْمِ حَسَاءِ الخُضَار الذِي لَا مفَرَّ مِنْه.

لقَد أدَّت المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة إلى نِهايَةٍ سريْعَةٍ للزِراعَة بالعُموْلَة. فعِندمَا أُدخِلَت الجرَّارَات الزِرَاعيَّة ومُبيْدَات الأَعْشَاب، انْخفَض الطَلبُ على اليَدِ العَامِلَة، وبالتَالِي قابليَّة نجَاحِ المزَارِع الأُسريَّة. فِي عَام 1951 وصَلَ عدَدُ الفَلَّاحِيْن المُسْتَأجَريْن فِي إيطَاليا إلى مَا يزيْدُ على 2.2 مليون، وبعْدَ عشريْنَ سنةً بقِيَ أقَلَّ مِن رُبعِ هذَا العدَد بكَثِير. وبموَاجهَة الخِيَار بيْنَ حيَاة الدرَّاجَات الناريَّة الصَغيْرَة، السِينمَا، والآيْسِ كرِيْم فِي المُدن، أَو الحيَاة الرِيفِيَّة للعمَلِ الجسَدِي 286 وحسَاء الخُبز؛ لَم يتردَّد الشُبَّانُ مِن عوَائلِ المُزَارعِين المُستَأجَريْن لفَترَةٍ طَويْلَة، فَفِي توسكانا، وأومبريا، وماركي، هُجِّرَت أعدَادٌ لَا حصْرَ لهَا مِن مسَاكِن المَزَارِع. وفي نهَايَة المطَاف، تمَّ تَحويْلهَا إلى منَازلِ عُطلَاتٍ للأَثريَاء البريطَانيِّين، أو مطَاعمَ ريفِيَّةٍ أُعيْدَ بِناؤها لتتَنَاسَبَ معَ "الطَاحوْنَة البيْضَاء" المِثَاليَّة.

-----------

\*أومبريا :إقليم إيطالي يقع في وسط البلاد. هو أحد أصغر أقاليم إيطاليا والإقليم الوحيد الحبيس في شبه الجزيرة. عاصمته هي بيرودجا.

\*ماركي: أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالي يقع في الجزء الشرقي من وسط البلاد ويطل على البحر الأدرياتيكي من الشرق، يحده من الشمال إقليم إميليا رومانيا وجمهورية سان مارينو ومن الشمال الغربي توسكانا ومن الغرب إقليم أومبريا ومن الجنوب الغربي لاتسيو ومن الجنوب إقليم أبروتسو؛ عاصمته أنكونا.

إنَّ نِهايَة فَترَة الزِراعَة بالعُموْلَة هِيَ بِدَايَةٌ لمَرحَلَةِ تغَيِيْرٍ سَريْعٍ وخَطيْرٍ بالنِسبَة للعَديْدِ مِن الأُسَرِ التوسكَانيَّة. فَفِي غضوْنِ سنوَاتٍ مَعدوْدَةٍ انتَقلوْا مِن حيَاةِ الزِراعَة التِي تُعَدُّ مَوْرِدَ رِزقهِم إلى حيَاةِ العمَلِ المَأجوْرِ الذِي يُحَدِّدُ المَالُ والسُوْقُ إيقَاعَاتِه. فالعَائِلَاتُ التيِ بدَت ذَاتَ مرَّةٍ كمَجموْعَاتِ عمَلٍ مُتكَامِلَة مُمتَدَّةٍ تقَلَّصَت إلى حَجْمٍ بَالِغِ الصِغَر، كمَا أصْبَحوا "طوالًا" بمَعْنَى أنَّ الأطفَالَ يُولَدوْنَ بوَقْتٍ لَاحقٍ مِن الحيَاة، بمُجرَّد الحصوْلِ على الاستِقلَالِ الاقْتِصَادِي. جِيْلٌ عانَى الفَقْر فِي شبَابِه قَام بتَربِيَةِ أَطفَالٍ اعتَبروْا الوَفْرَة أمْرًا مُسَلَّمًا بِه.

فِي ظِلِّ هذَا التَغيِيْرِ الشَامِلِ، بدَا أنَّ طبَقًا مُتوَاضِعًا كالريبوليتا باتَ يُمَثِّلُ مرحَلةً نَادِرةً مِن الاسْتِقرَار والتكَامُل، بيْدَ أنَّ الريبوليتا بالطَبْعِ لَا يسَعَها إلَّا إدْرَاجُ ثَوْرَات الحداَثَة في الأُسلوْبِ التوسكَانِي. وعلى سَبيْلِ المِثَال تلْكَ "الدوَّامَة العَمِيْقةَ" مِن زيْتِ الزَيتوْن الجَيِّد لوَضْعِ اللَّمْسَة النِهَائيَّة على الطبَق، كانَت ذاتَ مرَّةٍ وفِي أَفضَل أَحوَالِهَا بشَكلِ حرْفِ c قَليْلِ العُمْق. بالنِسبَة للعَديْدِ مِن أُسَرِ المُزَارعِيْن المُستَأجَريْن، يُعَدُّ الزيْتُ موْرِدًا ثَميْنًا، فالطَهْيُ بشَحْمِ الخِنزيْرِ هوَ أَكثَرُ شُيوْعًا. ومِنَ الأُموْرِ الأقَلَّ تَرجيْحًا أَن يَحتَوِي حسَاءُ الخُبزِ المُعَاصِر على رقَائِق جلْدِ الخِنزيْرِ المَقليَّة، والتِي مَا عادَت تتنَاسَبُ معَ "حِميَة البَحْر المُتوَسِّط". بيْدَ أنَّ التَغيِير الأَكبَر مِن بيْنِ كُلِّ ذَلِك هوَ أنَّ الريبوليتا قَد أصْبَح وصْفةً بشَكْلٍ تَدرِيْجِي. بمَعْنًى آخَر، لقَد غَدَا خَيَارًا آخَر ضِمْنَ نِظَامٍ غِذَائِيٍّ يَومِيٍّ مُتنَوِّعٍ غَنِيٍّ باللُّحوْم، والأَسْمَاكِ الطَازجَة والمأَكُوْلَات الأُخرَى التِي كانَت مِن الأشيَاء النَادِرة فِي أيَّامِ الزِراعَة بالعُموْلَة، كمَا أَمْسَت المَطَاعِمُ أَمْرًا مُتاحًا أيْضًا. لَن يبْقَى أَيُّ طبَقٍ على حَالهِ إِذَا مُنِحْتَ اختِيَار إِعدَادِه أَم لَا. إنَّ إِحدَى العلَامَات الجَلِيَّةِ على هذَا التَغيِير فِي المكَانَة هوَ اسْمُ الحسَاء: لَم يتمَكَّن أحَدٌ مِن إيْجَاد كَلِمَة ريبوليتا فِي مَصْدَرٍ مكتوْبٍ تمَّ نَشرُه قبْلَ عَام 1960، عنْدَما ظهَر في روَايَةٍ لـ"فاسكو براتوليني" مِن فلورنسا، وهكذَا دخَل الريبوليتا اللُّغَة الوطَنِيَّة تمَامًا قبْلَ أَن تَتِمَّ إضَافتَهُ إلى قَائِمَة الطعَام.

ومعَ ذَلِك فهُنَاك خيْطٌ آخَرُ هَامٌّ لقِصَّة الريبوليتا؛ فعِندمَا هاجَر الفلَّاحوْنَ المُستَأجروْنَ لأوَّلِ مرَّةٍ إلى فلورنسا فِي الخَمسِينات والسِتينِيات مِن القرْنِ المَاضِي، وجَدوا أنَّ الريبوليتا قَد وصَل إلى هُناكَ قَبْلَهُم. فِي الحَقيْقَة لقَد وصَل عَام 1891، بعْدَ أَن جلَبهُ مِن الخَارجِ رَجلٌ ذُو سالفيْ شَعْرٍ كَثِيفَيْن يتَّصِلَانِ بشَارِبَيْه: إنَّه "آرتوسي".

-----------

\*فاسكو براتوليني: كاتب إيطالي في القرن العشرين. تم ترشيحه لجائزة نوبل في الأدب ثلاث مرات. 287

**حسَاءُ الفلَّاحِيْن التوسكَانِي**

**المُكوِّنَات:**

400 غرَام [حوَالِي الرِطْل] مِن الخُبْزِ الأَسْمَر اليَابِس.

300 غرَام [10½ أُونصَة] مِن حبَّاتِ الفَاصوليَاء البَيْضَاء.

150 غرَام [5¼ أُونصَة] مِن الزَيْت.

2 لِتْر [ 8 ½ كُوْب] مِن المَاء .

نِصْف مَلفوْفَة سافوي مُتوَسِّطَة الحَجْم.

المِقدَار ذَاتُه أَو أكثَر مِن المَلفوْفِ الأَسْوَد.

حِزْمَةٌ مِن السِلْق.

بطَاطَا.

القَلِيل مِن قِطَع جِلْدِ الخِنزيْر المَقليَّة، أَو شرَائِطُ مِن لحْمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد الدُهْنِي.

تُوْضَعُ الفَاصوليَاء فِي المَاء حتَّى تَغْلِي معَ قِطَعِ جِلْدِ الخِنزيْرِ المَقليَّة، ويُضَافُ الَمزيْدُ مِن الَماء إِن كانَت مُعرَّضَة لِخطَر التِجْفَاف. أثنَاء غليَانهِم، يُوضَعُ زيْتٌ فِي المِقلَاة ويُضَاف الباتوتو (الخَليْط الذِي يُقلَى بسُرعَة) المَصنُوعِ مِن المُكَوِّنَات التَالِيَة المَفروْمَة نَاعِمًا: ربْعُ بصَلَةٍ كَبيْرَةٍ، فصَّا ثوْم، قِطعتَا كَرفَس بِطوْلِ رَاحَة اليَد وحَفْنَةٌ مِن البَقدوْنِس، تُطهَى حتَّى يتغيَّر لوْنُ الباتوتو، ثُمَّ تُضَاف الخُضروَاتُ الأُخرَى المَفروْمَة بشَكلٍ خَشِن، يُتبَّلُ بالمِلْح والفُلفُل، ويُضَافُ عَصيْرُ الطمَاطِم، وسَائِلُ طَهْيِ الفَاصوْليَاء إلى الخُضروَات إذَا كانَت نَاشِفَة. عنْدمَا تُطْهَى الفَاصوليَاء وقِطَع جِلْدِ الخِنزيْرِ المَقليَّة، تُضَاف ربْعُ كَميَّتهِمَا إلى الحسَاء، تُهرَس بقيَّة الفَاصوليَاء، وتُمزَج معَ سَائلِ الطَهْيِ ثمَّ تُضَافُ إلى الحسَاء، نقوْمُ بالمَزْجِ والطَهْيِ قليْلًا، ثمَّ يُسْكَب كلُّ شَيءٍ فِي زِبديَّةٍ كَبيْرَة، قَد وُضِعَت فِيْهَا مُسْبقًا شَرَائِحُ الخُبْزِ اليَابِس الرَفِيْعَة، ننتَظِر لعِشريْنَ دَقِيقَة قبْلَ تنَاولِهَا، إنَّهَا تَكفِي لِستَّةِ أشْخَاص. الحسَاءُ جيِّدٌ سَاخِنًا حتَّى إنَّ مذَاقَهُ يبدو ألَذَّ وهوَ بَارِد.

إنَّ أُسلوْبَ الوَصْفَةِ آرتوسِيٌّ بشَكلٍ لَا لبْسَ فِيْه: "يَستحِقُّ هذَا الطبَق أَن يُطلَق عليْهِ اسْمُ الفلاح لِبسَاطَتهِ الشَديْدَة، ومعَ ذَلِك فأنَا مُقتَنِعٌ بأنَّهُ سيَفْتِنُ الجَميْعَ حتَّى النُبلَاءَ إذَا تمَّ إعدَادَهُ بعِنَايَةٍ مُلَائِمَة". لقَد أثبَت التاريْخُ حقًّا بأنَّ "بيلغيرينو أرتوسي" مصيْبٌ بالتَأكِيد؛ فلَم يفْقِد حسَاء الخُبزِ أيًا مِن جَاذبيَّتهِ بعْدَ نَقلهِ مِن القِدْرِ الكَبيْرِ إلى الزِبدِيَّة.

برَغْمِ هَاجسِه بمَنْزِلَةِ البُرجوَازيَّة، غيْرَ أنَّ "أرتوسي" بدَا مُتفَائِلًا ومُنفَتِحَ الذِهْنِ 288 بمَا يَكفِي لِإدرَاجِ أطبَاقٍ فلَّاحِيَّةٍ أُخرَى فِي كِتَاب "عِلمُ المَطبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جَيِّد". فحَتَّى عَصيْدَةُ دَقيْقِ الذُرَة حَاضِرة، وإِن كانَ فِي الإصْدارَات الغَنيَّة مِن كِتَابهِ- قَد تمَّ تَقديْمهَا كمُرَافِقٍ للنقَانِق، أَو صُنعُهَا مِن حليْبٍ دَسِمٍ لتَأخُذَ شَكْلَ الفطَائِر. وكمَا فعَل الطَاهِي السِرِّي لبَابا الفَاتيكَان "بارتولوميو سكابي" قبْلَ قُروْن، حيْثُ منَح الطعَامَ الفلَّاحِي حُريَّة وصوْلٍ مَشروْطَةٍ إلى مَائِدَتهِ الحضَريَّة، فقد بَاتَ بوِسْعهِ أَن يَعوْدَ بتنَوُّعٍ وسِحْرٍ غيْرِ مُتكَلِّف. فِي حالَةِ "أرتوسي"، فإنَّ لمثْلِ هَذهِ الأَطبَاقِ البَسيْطَة أَهَميًّة لسبَبٍ آخَر: فقَد قدَّمَت بيَانًا مُفْعمًا بالحَيَاةِ عَن الطعَامِ الإيطَالِيِّ ميَّزَهُ عَن المَطبَخِ الفَرَنسِي المُنمَّق الرَاقِي.

لذَلِك فَمِن الوَاضِح أَنَّه بعْدَ الرَحيْلِ الكَبيْرِ عَن الأَرْضِ خِلَالَ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة، أَصْبَح الريبوليتا صِلَةَ الوَصْلِ بيْنَ ثقَافتَي طعَامٍ حدَّدَهُمَا القِدْر الكَبِيْر والزِبدِيَّة على التوَالِي. إنَّه يتَنَاسِبُ معَ حَنيْنِ الفلَّاحِين السَابقِين الذِيْنَ انتقَلوا إلى فِئَةٍ اجتِمَاعيَّةٍ أَعْلَى، ومعَ استِعْلَاء الذوَّاقِيْن الحضَريِّين، لَا يُمْكِنُ أَن يُوْجدَ طبَقٌ أكثَر منْهُ دِيمُقرَاطيَّة.

مِن السَهْلِ تَلخِيْصُ الآثَارِ الطَهَويَّة للتحَوُّل الاقتِصَادِي بفَترَةِ مَا بعْدَ الحَرْب بإيطاليا، ولأَفْضَلِ جُزْءٍ مِن الألفِيَّة الجَديْدَة. إنَّ شُرَاكةً ودِّيةً غيْرَ مُتكَافِئَة بيْنَ المَديْنَة والرِيْف شكَّلَت تاَريْخَ تنَاولِ الطعَامِ فِي إيطَاليا. لقَد استغَلَّت المدُنُ مصَادِرَ الطعَامِ التِي أَنتجَتْهَا المنَاطِقُ الرِيِفيَّة المُتنَوِّعة خلْفَ جُدرَانِهَا، فقَايضَت هَذهِ الموَارِد معَ مدُنٍ أو بُلدَانٍ أُخرَى لزِيادَةِ التنَوُّعِ بيْنَ يدَيْهَا مِنذُ زمَانِ بلدَاتِ العُصوْرِ الوسْطَى، أَوجدَت المدُنُ الإيطَاليَّة حضَارًة رَائِعًة للمَائِدَة—غالبًا على حِسَاب الرِيْف. امْتلكَت المدُن أَغنىَ أسَاليْبِ الطَبْخِ وأكثرَها تنَوُّعًا، وأَقْوَى القِصَص التِي تَربِطُ الطعَامَ بالهَوِيَّة. 289

ولَكِن معَ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة، تمَّت إعادَةُ صِيَاغَةِ هَذهِ العَلَاقَة. لقَد أَذِنَت المُعجِزَةُ بتمَدُّنِ النِظَامِ الغِذَائِيِّ للبِلَادِ بأَكمَلِهَا، فأَيْنمَا عَاشُوْا، شَمالًا أَو جَنوْبًا، بمَديْنَةٍ أَو ريْفٍ، فقَد باتَ بوِسْعِ جَميْعِ الإيطَاليِّيْنَ تقريْبًا بعْدَ المُعجِزَةِ، تنَاولُ أنْوَاعِ الوجبَاتِ التِي كانَت ذَاتَ يوْمٍ مُخصَّصةً لسُكَّانِ المَديْنَةِ الأَكثَر ثرَاء، لقَد بَقِيَت قِصَّةُ الطعَامِ الإيطَالِيِّ إلى حَدٍّ كَبيْرٍ قِصَّة مَديْنَة- والسبَبُ يُعْزَى فقَط لانْدِمَاجِ البَلَدَ بأَسْرِه فِي عادَاتِ الأَكْلِ الحَضَريَّة، فحتَّى الريبوليتا أَصْبحَ يُعتبَرُ طعَامَ مَديْنَةٍ الآنْ.

**18**

**بولونيا عَام 1974**

**---------------------------------------------**

**مَعكَروْنَةُ تورتيليني الأُم**

**"كُل مَا ترَاهُ، أُديْنُ بهِ إلى السبَاغِيتِي"**

إنَّ "صوفيا لورين" هيَ صَرْحٌ وطَنِيٌّ في إيطَاليَا، وقَد تمَّ اختِيارَها بشَكلٍ غيْرٍ مُتنَاغمٍ إلى حَدٍ مَا لحَمْلِ الرَايَةِ الأُولمبِيَّة في حفْلِ افتِتَاحِ دوْرَةِ الألعَابِ الشَتويَّة في "تورينو" عَام 2006. ومعَ ذَلِك فإنَّ مَجموْعَة وصَفاَت لورين لعام 1971 "إن كوسينا كون آموف" "كُلْ مَعِي" المنشورة باللغة الإجليزية، تُخبِرُ قَدْرًا كَبيْرًا عَن العَلَاقَةِ المُميَّزة بيْنَ الطعَامِ والنِسَاء فِي إيطَاليَا المُعَاصِرَة. لقَد وضعَت "صوفيا لورين" نموْذجًا لسِلسِلَةٍ مِن الجمَاليَّات المُتنَاسِبَة بشَكلٍ غَنِي، سعَت لتَجسِيْدِ بَعْضِ فضَائلِ المَطبَخِ الإيطَالِي، وقَد قَالَت بتَعليْقٍ سَاخِرٍ ذَاتَ مرَّة: "كُلُّ مَا تَرَاهُ أُدِيْنُ بِه إلى السبَاغِيتِي".

لقَد أصْبحَت "لورين" نجْمةً مِن خِلَال تَجسِيدهَا نُسخةً جَريْئةً عفويَّةً للأُنوْثَة الإيطَاليَّة، وكانَ الطعَامُ جُزْءًا لَا يتجَزَّأُ مِن تلْكَ الصُوْرَة. حَظِيَت بالشُهرَةِ في إيطَاليا للمرَّةِ الأُولَى عَبْرَ قِيامِهَا بتَمثيْلِ مَا وصَفَتهُ بنَفْسِهَا: "فتَاةُ بِيتزَا نابولي المُثيْرَة المُفْتَقِرَةِ لِلأنَاقَة" فِي فِيلْمٍ للمُخرِج فيتوريو دي سيكا "ذَهَبُ نابولي" والذِي تمَّ إنْتَاجهُ بذَاتِ عَامِ فِيْلم "أمرِيكِيٌّ فِي روما". فِي بعْضِ أَدوَارِهَا اللَّاحِقَة استَفادَت مِن النجَاحِ الذِي حقَّقتْهُ بشَخصيَّتِهَا كفتَاةِ بيتزا، وخاصَّةً عنْدمَا لَعِبَت دوْرَ تاجِرَةِ أَسْمَاكٍ أَرملَة فِي فِيْلم "فَضِيحَةٌ في سورينتو" عَام 1955. عنْدمَا أَصبحَت قِصَّة حيَاةِ "لورين" مَعروْفَة، أضافَت نَشأتَهَا الجَائِعَة في فِيْلم "بوتسوولي المُطِلَّة على خَليْجِ نابولي" المَزيْدَ مِن الأصَالَة على هَالَتِهَا.

------------

\*صوفيا لورين: ممثلة إيطالية حائزة على جائزة الأوسكار. كانت تعتبر على نطاق واسع الممثلة الإيطالية الأكثر شعبية في وقتها، كما عدت رمزاً من رموز الإغراء.

\*بوتسوولي: مدينة جنوب إيطاليا في مقاطعة نابولي، ضمن إقليم كامبانيا، المدينة الوحيدة في العالم التي بها حلبتا مصارعة أثرية رومانية، وتشتهر بمطاعمها، وسوقها المختص ببيع الأسماك، توجد على خليج بوتسوولي وميناءها مرتبط بجزيرتي إسكيا وبروتشيدا، مقامة على منطقة بركانية، توجد بها بحيرتان، أسست عام 528 قبل الميلاد.

290 ولَكِن بعْدَ ذهَابِهَا إلى أَمِرِيكَا لأوَّلِ مرَّةٍ عَام 1957، تعَارضَت مكانتُهَا المَشهوْرَة في الوطَن معَ "صوفيا لورين" التِي قدَّمتْهَا "هوليود". بدَت الجمَاهيْرُ الإيطاليَّةُ حسَّاسَةً للغايَة تِجَاه السَلْبِ الأَمرِيكِي لشَخصِيَّاتهِم الثَميْنَة السِينمَائيَّة المُحبَّبة، والصوْرَة النمَطيَّة لبَلَدهِم والتِي غَالبًا مَا يتِمُّ تَنفيْذهَا على نحْوٍ رَديْءٍ في استُودْيو التَصْوِير. ادَّعَى أحَدُ النُقَّاد عَام 1958 أنَّ "هوليود" قَد حوَّلَت "لورين" إلى "صورَةٍ مُبتذلَةٍ لامرَأَةٍ مِن منَاطِق البَحْرِ المُتوسِّط شَبِيْهَةٌ بالغَجَر على نحْوٍ مُبْهَم". لقَد كانَت تلْكَ أَوْقاتًا صَعْبَةً للغَايَة بالنِسبَة لهَا، في عَام 1957 أسَاءَت إلى الأحَاسِيس الأخلَاقيَّة في إيطَاليا عَبْرَ زوَاجِهَا مِن مُستشَارِهَا الخَاص ومُنتِج أفلَامِهَا "كارلو بونتي": إنَّهُ رجلٌ مُطلَّقٌ ووَالِدٌ لطَفلَيْن، وخُتِمَ قِرَانهُ بـ"لورين" غبْرَ تَرتيْبَاتٍ مُستعجَلَة، ونوْع مِن المرَاسِم التَفويضِيَّة البَائِسَة فِي المِكسِيك. صدَر عَن الكَنيْسَة تَهدِيْدٌ ضَعيْفٌ مُبطَّنٌ بحِرمَانِ "لورين" كَنَسِيًا، وواجَهَ الزَوجَانِ اتِّهامَاتٍ بالزِنَا وتعَدُّدِ الزَوْجَات.



"لورين" تَأخذُ وَضعِيَّة أمَامَ آلَةِ التَصويْرِ بفَنِّ الروكوكو لمَجموْعَةٍ من اللُّحوْمِ البَارِدَة، بِبدَايَات السَبعينِيَّات. وعبْرَ حُبِّها للطعَام، تنَاغمَت "لورين" بيْنَ الأَدوَارِ المُتبَايِنَة للفتَاةِ المحَليَّة المُفعمَة بالحَيويَّة، الرَمْز الجِنْسِي الدوَلِي، الطَموْح! الأَيقوْنَة، نَقِيْض الأُم.

--------------

\*الروكوكو: كلمة معناها الصدفة أو المحارة غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية والتي استمدت منها زخارف في تلك الفترة ويعدّ فن التزين الداخلي. ظهر هذا الطراز من الفن في القرن الثامن عشر ويعد امتدادا للباروك ولكن بمقاييس جمالية تتسم بالسلاسة والرقة.

\*حفل زفاف تفويضي: هو حفل زفاف لا يوجد فيه شخص واحد أو كلا الشخصين المقترنين، وعادة ما يتم تمثيلهما بأشخاص آخرين.

291 كانَت التُهمَة الأَخيْرَة خَطِيرَة للغَايةَ، حتَّى إنَّ "بونتي" سيَتعَرَّضُ للاعتِقَال إذَا شوهِدَ علَانيًة في إيطاليا. ومَا زادَ الطِيْنَ بِلًّة، هوَ زوَاجُ أُختِ "لورين" مِن ابْنِ "موسوليني"، وقامَ سَائِقُ النَجمَةِ بدَهْسِ شَابٍّ وقَتلهِ بمَشهَدٍ عمَّت فيْهِ الفَوْضَى أثنَاءَ العُرْس.

وجدَت "لورين" حلًّا في الأُموْمَةِ لمشَاكلِهَا، سوَاءً على الشَاشَةِ أَو خَارِجهَا، خاضَت تَجرُبةَ الأُموْمَة السِينمَائيَّة أوَّلًا، فقدَّمَت عَام 1960 أَفضَل أدَاء بحيَاتِها بفِيلم "امرَأتَيْن" للمُخرِج "فيتوريو دي سيكا"، عَن قِصَّةٍ مُرعِبَةٍ لأُمٍّ وابنتَهَا بإيطَاليَا بفَترَةِ الحَرْب، كانَ مِن المُقرَّر فِي الأَصْلِ أَن تلعَبَ "لورين" دوْرَ الابْنَة بشَكلٍ مَبدَئِي، إلَّا أَنَّهَا أخذَت دوْرَ الأُم، مُعتَمِدَةً على ذِكريَاتِهَا فِي الحَرْب. بدَت شَخصيَّتها فِي أَدوَارِهَا السَابِقَة المُمَيِّزَة لهَا مَزيْجًا بيْنَ الوقَاحَة والشَهوَانيَّة، لكنَّها أضَافَت بُعْدًا حسَّاسًا رَؤوْمًا تجَلَّى جيِّدًا على نحْوٍ خَاصٍّ في الكثيْرِ مِن مشَاهدِ الفِيلم المُتعَلِّقَة بالطعَام. فازَت بجَائِزَة الأوسْكَار كأَفْضَل مُمَثِّلة، بالِإضَافَة إلى العَديْدِ مِن الجوَائزِ الأُخرَى.

خلَالَ تصويْرِ فِيلم "امرأَتَين"، بدأَت اثْنتَان ِمن وكالَاتِ الصحَافةِ الرَائِدَةِ بتَنسِيْقِ حَمْلَةٍ دِعَائيَّة حَذِرَة لرَدِّ اعتِبَارِ "لورين" في إيطَاليَا. شَرَحَت إحَدَاهَا: "كانَ الهدَفُ هو التصَالحُ بيْنَ صوفيا والأُمَّهَات الإيطَاليَّات وفَصْلَها عَن ذَلِك المُصطَلح الرَهِيْب : مُفْسِدَةُ العَائِلَة. تمَّ إصْدَار صُوَرٍ لألعَابِهَا معَ الأطْفَال خلَالَ استِراحَةٍ أثنَاء تصويْرِ فِيْلم.

فِي السنوَات التِي تلَت فوْزهَا بجَائِزَة الأُوسكَار، شرعَتْ "لورين" بكِفَاحِهَا الطَويْل الذِي يفطر الفؤَاد لتُصْبِحَ أُمًّا: بعْدَ أَن حطَّمَتْهَا عمَليَّتَا إجْهَاضٍ سَابِقَتَيْن، تعَاملَت الأخبَارُ معَ حَملِهَا الثَالثِ بعِنَاية. ولتَمْنحَ نفْسهَا أفْضَل فُرصَةٍ مُمكِنَة للحِفَاظِ على الجَنيْنِ حتَّى استِكمَال الحَمْل، أَمْضَت "لورين" شهورًا طِوَالًا في فُندقِ "إنتركونتيننتال" بـ"جنيف"، فكانَت وسَائِلُ الإعلَامِ تلتَهِمُ بلَهْفَةٍ البيانَاتِ المُقتضَبةِ الصَادِرة مِن جنَاحِها في الطَابقِ الثَامنِ عشَر، مُولِّدةً ذَلِك التعَاطُفِ القَوِيِّ لهَا، حتَّى إنَّ الصحَافة الكَاثولِيكيَّة اضْطرَّت للاعْتِرَاف بأنَّها تَستَحِقُّ شيْئًا مِن الشفَقَة. ابْتهجَت البلَادُ بأَسرِهَا عنْدمَا وُلِدَ أوَّلُ ابْنٍ لهَا فِي دِيسَمبَر عَام 1968، وأَرسَل رئيْسُ الجُمهوريَّة بَرقِيَّةً للتَهنِئَة "باسْمِ الشَعبِ الإيطَالِي". وبطَريْقَةٍ مَا نجحَت برَأْبِ الصَدْعِ معَ إيطَاليا المُتنَاقِضَة تقريْبًا بفَترَةِ الستِّينَات: إنَّ "لورين" آلِهَةُ الجِنْسِ والأُمُّ بذَاتِ الوَقْت، وهيَ رؤيَةٌ بعيْدَةُ المنَالِ لمَشَاهيْرِ هوليوود، وفتَاةٌ جَريئَةٌ مِن نابولي. لقَد دخَلَت "صوفيا لورين" بفَترَةٍ مِن الوَلَه الجمَاهِيرِي القَوِي (والذِي امتَدَّ حتَّى عَام 1979، حيْنَ خلقَت لنَفْسِها صوْرَةً سَيِّئةً أَثْنَاء 292 اعتِقَالِهَا بمطَارِ روما بتُهمَة التهَرُّب مِن دفْعِ الضرَائِب، بالإضَافَةِ لمُخالفَاتٍ ماليَّةٍ أُخرَى).

إنَّ كتَاب "كُلْ مَعِي" هوَ نِتَاجُ الفَترَةِ الذَهبيَّة بحيَاةِ "لورين" ومِهنَتِهَا بعْدَ وِلَادَة طِفْلِهَا عَام 1968، فقَد عُرِفَت بأنَّها طبَّاخَةٌ رَائِعَةٌ، وهذَا مَا جعَلَ كِتابَ " كُلْ مَعِي" ليْسَ مُجرَّد خُلَاصَةٍ لمهَارتِهَا فِي المَطْبَخ فقَط، بَل هوَ يجْمَعُ بيْنَ العنَاصِر المُتنَاقِضَة التِي جعَلت منْهَا مَحبوْبةً للغَايَة بقمَّةِ شُهرَتِهَا، فهُناكَ فِتنَةٌ وجَاذبِيَّةٌ جِنسيَّةٌ بالوَجَبات الكَبيْرَة، وخاصَّةً تِلكَ المَوجُوْدَةِ بالصُوَر؛ فَفِي إِحدَى اللَّقطَات تَظْهَرُ مُرتَدِيةً ثوْبًا يابَانيًا فضْفَاضًا صَارِخًا، وتُربِّتُ على ذيْلِ طَاووْسٍ مَحْشِي، يُشَكِّلُ جُزْءًا ممَّا لَا يُمكِنُ وَصْفَه إلَّا بمَجموْعَةٍ مِن اللُّحوْمِ البَارِدَة المُزَيَّنَة بفَنِّ الروكوكو. مِن المُحزِن القوْلُ إنَّها أصْبحَت بصوْرَةٍ أُخْرَى "صُورَةً مُبتذَلَةً بشَكْلٍ مُبْهَمٍ لِامرَأَةٍ مُتوسِّطية تُشبِهُ الغجَر"، بيْنمَا راحَت تَنحَنِي على بعْضِ الفَاكِهَةِ والجَوْزِ، بصِدَارٍ\* يكْشِفُ مفَاتِنهَا، وأَقرَاطٍ كَبيْرَةٍ وشَعرٍ مَنْفوْش.

ومعَ ذَلِكَ فإنَّ كِتَاب " كُلْ مَعِي" هوَ أيْضًا عمَلُ الأُم التِي جاءَت مِن خَلفِيَّةٍ قاسِيَةٍ كأَيٍّ مِن مُعجَبيْهَا. كمَا أوْضحَت "لورين" فِي المُقدِّمَة، فلقَد أتْقنَت مُعظَم وصْفَاتِهَا خلَالَ حَمْلِهَا، عنْدمَا كانَت تُمضِي الوْقَت فِي فُندُقِ "إنتركونتننتال" وهِيَ تَطْهِو:

*إنَّ هذَا الكِتابَ عزيْزٌ عليَّ أكثَر مِن أيِّ فيْلمٍ نَاجِحٍ، لأنَّه أعَادنِي إلى تلْكَ الأيَّامِ العَصِيْبَة التِي وصَلت ذُروتهَا خِلَال وِلَادَة "كارلو"، أعظَمِ فرْحَةٍ في حيَاتِي...*

*لقَد علَّمتْنِي طُفولَتِي الفَقيْرَة أهميَّة إيْجَاد وابْتِكَار طرُقٍ جديْدَةٍ لطَهْيِ وإضْفَاء النكَهَات على نفْسِ الطعَامِ الأسَاسِي الرَخِيْص و الرَتيْبِ خَاصَّة. وفِي هذَا الصَدَد، فَقد تركَت لِي جدَّتِي إرْثًا نَفيْسًا، فالفَضْلُ يَعوْدُ لهَا بأنِّي أَعرِفُ اثنَي عشْرَةَ طريْقَةٍ لطَهيِ البَاذِنجَان على الأقَل، وهوَ أحَد أَرخَصِ الأَطعِمَة وأكثرَها وفْرَةً في إيطَاليا، وبوِسْعِي صُنْعُ المُعجِزَات بقِطْعَةٍ رَديْئَةٍ ليفِيَّةٍ مِن اللَّحْمِ أو مَليْئَةٍ بالعِظَام.*

وهكَذا صُمِّم كِتَابُ " كُلْ مَعِي" ليَربُط أهَمَّ نَجْمٍ في إيطَاليا معَ الصِفَات البَسيْطَة التِي تشَاركتْهَا البِلَادُ معَ طعَامِهَا. تعوْدُ وَصَفَاتُ "لورين" للعَديْدِ مِن المنَاطِق المُختَلِفَة-إنَّهُ مَطبَخٌ وطَنِي مِن أَيقوْنَةٍ وطَنيَّة- يترَاوَحُ بيْنَ الحلَاوَةِ والحُموْضَة لطَبَقِ البَاذِنجَان الصَقَلِي، ويُدْعَى بـ "الكابوناتا"، إلى وَصفَةِ السبَاغيتِي معَ الطَماطِم والتِي "نُقِلَت مِن الأُمِّ لابْنَتِهَا فِي كُلِّ مَنزلٍ نَابولِي"، وبالتقَدُّم صعوْدًا وفي أرجَاءِ شِبْهِ الجزيْرَةِ الإيطَاليَّة، فإنَّنا ننتَقِلُ مِن 293 معكروْنَة البوكاتيني\* معَ صَلصَة الأماتريجانا مِن روما، إلى معكروْنةَ ترينيتيه معَ صَلصَة البيستو من جَنَوَة، ثمَّ إلى الريزوتز من ميلَان، ومعكروْنَة التالياتيلي بصَلصَة الراغو مِن بولونيا. ومَا يُوَحِّد جَميْعَ هَذهِ النَكهَات، هوَ احتِرَام "لورين" وبشَكلٍ غيْرَ مُسْتَغرَبٍ، لكُلِّ مَا هوَ "أَصِيْل"، نَصَحَت قَائِلَة: "يَنبَغِي على جِيلِنَا المُحاربَة مِن أَجْلِ الطعَامِ الأَصِيْل ضِدَّ الحِمْيَة الغِذَائيَّة والطعَامِ الجَاهِز أو المُعلَّب".

----

\*الصدار: قطعة ملابس نسائية تصنع من ثوبٍ سميك بلا كُمَّين وياقة، يُغطَّى به الصَّدر، يمتدّ من الخِصْر وحتَّى الكَتِف، ويُرتدى خاصَّة فوق القميص. كان الصدار شائع الاستخدام في الملابس النسائية التقليدية في أوروبا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

إنَّ كِتَابَ طَهْيِ "صوفيا لورين" هو أيْضًا سِجِلٌّ لفَترَةٍ حَاسِمَةٍ في تاريْخِ المَرأَة الإيطَاليَّة، فَفِي أوَاخِر الستِّينَات وبِدايَة السَبعينَات ظهَرَت التَغيُّرَات الثقَافيَّة والاجْتِمَاعيَّة التِي أَحدثَتْهَا المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة على السَطحِ السِيَاسِي بمَوْسِم الاحْتِجَاج واسْتخدَامِ العُنْف. ومِن بيْنِ أَكثَر الأَعرَاضِ أهَميّةً لهَذا التَغيِير هو إِجازَةُ الطلَاقِ بسنَةِ 1970، وتمَّت المُصادقَة على هذَا القَانوْنِ بشَكلٍ مُدَوٍّ في استِفتَاءِ عَام 1974. فِي السنَةِ التَالِيَة، تمَّ تعديْلُ قانوْنِ الأُسرَة ليتَكيَّف معَ مَبدَأ المُساوَاة بيْنَ المَرأَةِ والرَجُل فِي الزوَاج. لقَد قامَ المُجتمَع الإيطَاليُّ بنَقلَةٍ حَاسِمَة بعيْدًا عَن أخلَاقيَّات الدِيْن التَقليدِيَّة، التِي جعَلت حضوْرَ "صوفيا لورين" على الشاشَةِ مُشَوَّشًا بوَعْدٍ جِنسِيٍّ غيْرِ مَشْروع، بيْنمَا قامَ بنَفْيِهَا في الوَقْت ذَاتِه بسبَبِ عِلَاقتِهَا معَ "كارلو بونتي".

ومعَ ذَلِك فالتنَاقُضَات التِي أَوْجدَت وَحْدَةً سِحريَّة فِي شَخصيَّة "لورين"، والتِي تتَمَاوجُ بيْنَ الفِتنَة والوَاقِع، الرَغْبَة والأُموْمَة، قَد بَقِيَت دوْنَ حَلٍّ بالنِسبَةِ للغاَلبيَّة العُظمَى مِن النِسَاء الإيطَاليَّات. إنَّ للازْدِهَار المُتزَايِد للبِلَاد تَأثيْرًا مُتنَاقِضًا على حيَاتهِم: فمِن جِهَةٍ هوَ يُبعِدهُم عَن القوَّةِ العَامِلَة الريفِيَّة ويُحَوِّلَهنَّ إلى مُستَهلِكَاتٍ وربَّاتِ بُيوْتٍ حضَريَّات، ولَكِن مِن نَاحِيَةٍ أُخرَى، يَعمَلُ على تَثقِيفِهِنَّ وابْعَادهِنَّ عَن المنْزِل، مانِحًا إيَّاهُنَّ أدوَارًا جديْدَةً في سوْقِ العمَل. إنَّ تحَوُّل المَرأَة مِن فلَّاحَة إلى ربَّةِ منْزلٍ وأُمِّ سريْعًا للغَايَة بأَغلَب الأَحيَان، لَم يَدُم عصْرُ الأُمِّ الكلَاسيكِيَّة لفَترَةٍ طويْلَةٍ فِي عدَدٍ كبيْرٍ مِن العائلَاتِ الإيطَاليَّة.

سُرْعَانَ مَا ضخَّمَت التَغيُّرَات فِي وسَائِل الإعلَام الإيطَاليَّة مِن هَذهِ التنَاقُضَات، وهذَا مَا جعَل كتَاب "كُلْ مَعِي" يتَنبَّأ بالقوَّةِ الاستِثنَائيَّة التِي ستَمْتَلِكهَا الأُموْمَة فِي تَسوِيْقِ الطعَامِ الإيطَالِي. فمنْذُ أوَاسِط السَبعينِيَّات، انْهَارَ احْتِكَار التِلفَاز الإيطَالي، وبدأَت القنوَات التجاريَّة الخاصَّة بالظُهوْر. وبفَترةِ الثمَانِينِيَّات، صعَدت هَذهِ القنوَات الغَيْرِ مُنَظَّمَة لتُهَيمِن على موْجَات الأَثِير بمَزيْجٍ مِن المُسَلسَلَات الأمرِيكِيَّة، وعروْضِ الألعَاب، والفتيَات شبْهِ العَاريَات، وكميَّةٍ هائِلَةٍ مِن الِإعلَانَات التِي اتَّسمَت بأنَّها رَعْنَاء إلى حَدٍّ بَعِيد 294 وأكثَر تطَفُّلًا مِن أَيِّ شَيءٍ قَد شَهِدتهُ البِلَاد على الإطلَاق.

----------- \*بوكاتيني: المعروفة أيضا باسم بيرتشوتيلي، هي معكرونة تشبه السباغيتي لكنها أكثر سماكة، مع ثقب مستمر في وسطها. اسمها مأخوذ من كلمة بوكو بالإيطالية وتعني "الثقب" في حين أنَّ **الأسماء الأخرى لها** بيرتشات أو بوكاتو تعنيان "المخروم". هذه المعكرونة، بوكاتيني، مشهورة في جميع أنحاء لاتسيو، وخاصة في روما.

\*صلصة الأماتريجانا: هي صلصة المعكرونة الإيطالية التقليدية القائمة على وجبن بيكورينو، والطماطم، والبصل مع بعض الاختلافات بحسب المنطقة.

\*ترينيته: نوع من المعكرونة المجففة التي تكون ذات شكل مسطح ونحيل وتأتي من من جنوة و ليغوري.

\*تالياتيلي: هي كلمة أشتقت من الكلمة الايطالية بمعنى "القَطْع" و التالياتيلي هي الباستا الكلاسيكية لإقليم إميليا رومانيا في إيطاليا. بشكل منفرد و متميز ظل هذا النوع من المعكرونة لمدة طويلة كأشرطة مستوية مماثلة في الشكلِ إلى معكرونة فيتوتشني، لكن الحجم النموذجي لهذه الباستا حوالي 0.65 سنتيمتر إلى 1 سنتيمترِ عرضًا.

\*راغو: صلصة إيطالية تقدم غالباً مع المعكرونة واللحم، كما يتم أحيانًا اضافة لحم الخيل، تعتبر من أكثر الصلصات المشهورة في شمال إيطاليا كما أنها موجودة أيضاً في منطقة كامبانيا.

فِي عالَمِ الإعلَانَات الإيطَالِي في الثمَانينِيَّات، لَم يكُن بالإمكَانِ تنَاولُ أيِّ شَيءٍ مَا لَم تَسْبَغ عليْهِ القدَاسَةُ أوَّلًا مِن خِلَال مروْرهِ مِن يَدَي الأُم، ممَّا جعَل السِينَاريو الأكثَر شُيوْعًا يتمَثَّلُ بتَقديْمِ أُمٍّ مُبتَسِمَةٍ الطبَقَ لعَائِلَتِهَا على المَائِدَة. توجَّبَ على السُلَعِ الأَجنَبيَّةِ الجَديْدَةِ خَاصَّةً أَن تحْظَى بموَافقَةِ الأُم، تلْكَ الضمَانَة الأسَاسيَّة التِي تُحَدِّدُ إذَا كانَ المُنتَج جيِّدًا وأَصيْلًا. يسأَلُ طفْلٌ بأحَدِ الحَملَات التِجَاريَّة: "مَا هوَ المَايونيْز ياَ أُمِّي؟". يَأتِي الرَد: "لكنَّكَ تَعرِفُ أنَّهَا صَلصَةُ شَرِكَةِ كالفي". لَاتزَالُ الأمُّ تُبَجَّلُ في إعلَانَاتِ الطعَامِ الإيطاليَّة التِي لَا حصْرَ لهَا دَاخِلَ البِلَادِ وخَارجِهَا، بيْدَ أنَّ المُفارقَة هيَ أنَّ الوجوْد التَارِيخِي للأُمِّ كانَ قَصِيْرًا نِسبًّيًا، ومُضطَرِبًا بفِعْلِ الضُغوْطِ المُتنَافِسَة مِن الأَطفَال، العمَل، وتوَقُّعَات النَاس الآخَريْن.

كانَت الضُغوْط على الأُمَّهَاتِ كبيْرَةً، لدرجَةٍ توجَّبَ أَن يُقدَّمَ شَيءٌ مَا، وفِي الثمَانينيَّات تَمَّ الاستِقرَارُ على تَقْدِيمِ مَعكروْنَةِ التورتيليني.

**مَعكروْنَةُ تورتيليني الضِفْدَع**

بحَوزَتِنَا تَوجِيْهٌ هَامٌّ مِن "صوفيا لورين" بأنَّه لَا توجَدُ مديْنَةٌ أو قَريَةٌ فِي وَادِي بو لَم تحْظَ بشرَفِ إطلَاقِ اسمِهَا على تنوُّعٍ خَاصٍّ مِنَ المعكروْنَة المَحشيَّة التِي تُدعَى كابيليتي (القُبَّعاتُ الصَغيْرَة)، التورتيليني، الرافيولي وهَلُمَّ جرًا. فوَصفَتُهَا لحَشْوَة معكروْنَة التورتيليني قَديْمَة الطِرَاز بشَكلٍ رَائِع، إِذ تتضَمَّنُ مُخَّ العِجْل معَ الزُبدَة، ولحْمَ الخِنزيْرِ المَفروْم، المَرتدِيلَّا، جُبنَة البَارمِيزَان، البَيْض، والقَليْلَ جدًا مِن جوْزَةِ الطِيْب. غيْرَ أَنَّهُ بذَات الوَقتِ الذِي ضمَّت فيْهِ "صوفيا لورين" صَوْتهَا إلى الأَخلَاقِيَّات الريفِيَّة المُتوَاضِعَة للمَعكروْنَة المَحشِيَّة، كانَت التورتيليني تَستعِدُّ للهيمَنَةِ على العَالَم.

يعوْدُ تاريْخُ التورتيليني وأنوَاع المعكروْنَة المَحشِيَّة الأُخرَى إلى العصوْرِ الوسْطَى: فقَد انْدرَجَت ضمْنَ المخطوْطَة الفينيسِيَّة "كتابٌ للطَهي" ومْنذُ ذلِكَ الحِيْن راحَت تُكتَبُ في كُلِّ مجموْعَةِ وصَفَاتٍ إيطاليَّةٍ تقريْبًا. وبمروْرِ الوَقْت ،أصْبحَت جزْءًا مِن التقَالِيد الغنيَّة للطعَام الاحتِفَالي فِي العدْيدِ مِن أجزَاءِ الشمَالِ الإيطَالِي. لقَد تضمَّنَت الاحتِفالَات الطعَام الذِي ميَّزَ طقوْسَ عبوْرِ الأروَاحِ (الولَادَة أو المَوْت) حتَّى في العائِلَات المتوَاضِعَة، فالمعكروْنَة الطازَجَة المُحضَّرَة فيِ المَنزِل غالبًا مَا يتِمُّ إِعدادُها في أوقَاتِ الوَفْرَة النَادِرَة المَليْئَة بالشعَائِر. فِي أجزَاءٍ مِن إقليْمِ رومانيا اعتُبرَت الباستيلي (معكروْنَة لهَا شَكلُ الدوْدَة مُعدَّة معَ فُتَات الخُبْز) طبَقَ عيْدِ الفِصْح، أمَّا في الريْفِ قُربَ "رافينا" فقَد جرَت العادَةُ أَن يتِمَّ الاحتِفَالُ بسلَامَةِ وِلَادَة الطِفْلِ الذَكرِ بطبَقِ النوكِي، أمَّا الطِفْلَة فبِطبَقٍ من اللَّازانْيَا.

تنتَمِي معكروْنَة التورتيليني إلى ذَاتِ النوْعِ مِن التخَصُّصَات الاحتِفَاليَّة.

----------- \*عيد الفصح: أو عيد القيامة، هو أعظم الأعياد المسيحية وأكبرها، تستذكر فيه قيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه وموته كما هو مسطور في العهد الجديد، وفيه ينتهي الصوم الكبير الذي يستمر عادة أربعين يوماً؛ كما ينتهي أسبوع الآلام، ويبدأ زمن القيامة المستمر.

295 بالنِسبَة للإيطاليِّين الشمَاليِّين الذيْنَ بوِسعِهِم غالِبًا تحَمُّل نفقَاتِ إعدَادِهَا، فقَد جرَت العادَةُ أَن تُحَضَّرَ التورتيليني كطبَقِ غدَاءِ يَوْمِ الأَحَد. ومَعَ التورتيليني، كانَت العائِلَاتُ تُعيْدُ التَأكيْدَ على أنَّ كلَّ شَيءٍ يسيْرُ على مَا يُرَام، والجميْعُ حَاضِرون، إنَّهَا مُتعَةٌ استِثنَائيَّة. كمَا وفَّرَت الحَشْوَة أيْضًا طريْقَةً لِاستِخدَامِ بقايَا الطعَامِ بشَكلٍ مُناسِب-الاستِعرَاض المِثَالي لسِحْرِ الأُم. وهكذَا فإنَّ فِكرَة وَصفَةٍ وَحِيْدَةٍ تتَّصِفُ بالأصَالةِ لمثْلِ هكَذا طبَق، لَن تَبدو مَنطقيَّةً بالنِسبَةِ للنِسَاء اللَّواتِي أَمضَيْنَ ساعَاتٍ طِوَالًا في صُنعِ التورتيليني، وأَورثْنَ مهَاراتِهُنَّ لبنَاتهِن، وكذَلِك شِرَاء التورتيليني مِن أيِّ أحَدٍ لَا يَعرِفْنَهُ أَو يَثِقْنَ بِه- فَمَن يعَلَمُ مَا هِي القُمامَة التِي قَد تكوْنُ بدَاخلِه؟

ولَكِن فِي الوَقْتِ الذِي يَرَاهَا فيْهِ بعْضُ الناسِ عادةً غِذَائيَّةً تقليدِيَّة، فهُنَاكَ آخَروْنَ يَنظروْنَ إلَيْهَا كفُرصَةٍ تَسويقِيَّة. في عام 1961، وفي ذَرْوَةِ المُعجِزَة الاقتِصَاديَّة، بدأَ ابْنُ خبَّازٍ يبْلغُ مِن العُمرِ أرْبعةً وعشريْنَ عامًا بالقُرْبِ مِن "فيرونا" بمَنطِقَة "فينيتو" شمَال شَرْقِ إيطاليا، بصُنْعِ معكروْنَةٍ طازَجَةٍ في وَرْشَةِ عمَلٍ صَغيْرَةٍ أَقرضَها إيَّاه وَالِد زَوجتَهُ. ترَكَّز عمَلُ "جيوفاني رانا" على التورتيليني باللَّحِم، وقَد تمَّ صُنعهَا يَوْمَي الجُمعَة والسَبت، ليتمَكَّنوا مِن بَيْعِهَا إلى المتَاجِر المَحليَّة جَاهِزَةً لغدَاءِ يوْمِ الأحَد، وقَاموا بصُنْعِ معكروْنَة الفيتوتشيني والنوكي أيْضًا بسَائِرِ أيَّامِ الأُسبوْع لإبْقَاءِ الموظَّفيْنَ والآلَاتِ مَشغوْلِين.

إنَّ الخمْسَة والأربعيْنَ إلى الخمْسَةِ والستِّين رِطْلًا مِن التورتيليني التِي أنتَجهَا "رانا" فِي هَذهِ المَرحلَة لَم تُميِّزه إلى حَدٍّ كبيْرٍ عَن بقيَّةِ المُنتجِيْن المحَليِّين العَديْدِين، ولَكِن إِن كانَت بدايَاتهُ حِرَفِيَّة، فإنَّ غايَاتِهِ صِنَاعيَّة. إنَّ الخِطَّة التجاريَّة لـ"رانا" مبنيَّةً على فهْمِ المُتغيِّرَات التِي تجْرِي على قدَمٍ وسَاق في حيَاةِ النِسَاء. لقَد أصْبحَت طقوْسُ صُنْعِ "التورتيليني" تستَهلِكُ الكثيْرَ مِن الوقْتِ بالنِسبَة للأُمَّهات اللَّواتِي يعمَلْنَ بالإضَافةِ إلى عِبءِ الأطفَالِ ووَاجبَاتهِم المَنزليَّة، ومَع ذَلِك فغدَاءُ يَوْمِ الأحَدِ لَم يفْقِد أيًا مِن رمزيَّته. فِي الوَاقِع، بالوَقتِ الذِي باتَت فيْهِ العائِلَاتُ أكثَر تشَتُّتًا، اكتسَبَ اجتماعُهم حوْلَ المَائِدَة مرَّةً في الأُسبوْعِ قوَّةً عاطِفيَّةً جديْدَة، وإِذَا أمْكَن حَلُّ مُشكِلَةِ قِلَّةِ الثِقَة المُحيْطَةِ بالتورتيليني المُبتَاعَة مِن المتَاجِر، فَمِن شَأْنِ ذَلِك أَن يفْتحَ سوْقًا جديْدَةً ضخْمَةً.

لقَد حلَّ "جيوفاني رانا" مشكِلَة الثِقَة مِن خِلَال عدَمِ الإخْلَالِ أبَدًا بجوْدَةِ المُكوِّنَات في حشَوَاتِه، وعبْرَ بِنَاء علَاقَاتٍ شَخصِيَّةٍ معَ أصْحَابِ المتَاجِر الذيْنَ بَاعوا مَعكرونتَه، وبعْدَ ثلَاثِ سنِيْن على تَأسِيْسِه عَمَلِه، نقَلَهُ إلى مصْنَعٍ أَكبَر بعَشْرة أضْعَاف، وفي عَامِ 1968، أَي السنَة التِي وضَعَت فيْهَا "صوفيا لورين" أوَّلَ طفْلٍ لهَا، أدْخَل "رانا" تِقنيَّة البَسْترَة وذَلِك لإطَالَةِ فَترَةِ حِفْظِ مَعكروْنَتهِ مِن ثلَاثة إلى عَشْرة أيَّام- بالإمْكَانِ الآنَ أَن تُباعَ فِي مكَانٍ أبْعَد بكَثيْرٍ عَن مَوْقعِ صُنْعِهَا، وفِي سنَةِ 1969، بدأَ ببِنَاء مَصْنَعٍ آخَرَ أكبَر بسَبعِيْنَ مرَّةً تقريْبًا مِن ورْشَةِ العمَل الأَصلِيَّة.

---------- \*فيتوتشيني: أحد أنواع الباستا ذات شعبية في المطبخ الروماني. وتكون سميكة مسطحة، وتصنع من البيض و الدقيق، وهي على غرار تالياتيلي الطبق البولوني.

\*البسترة: عملية تسخين ورفع درجة حرارة الأطعمة والأشربة للقضاء على البكتيريا أو الجراثيم الموجودة فيها. تُجرى هذه العملية للأطعمة والأشربة. ومن المعروف أنَّ غلي المواد يتلف بعضها، وخاصة الفيتامينات، وكان لويس باستور أول من توصل لطريقة تبيد أكبر قدر من البكتريا، وتحفظ أكبر قدر من الفيتامينات في الوقت نفسه.

296 يستَذكِرُ أنَّه أصْبحَ أشْبَه بجنرَالٍ أمَامَ خرْيطَةِ إيطَاليا، مُلصِقًا أعلَامًا صَغيْرَةً على المُقاطعَات المُختَلِفَة، ليَتبَيَّن تلْكَ التِي غطَّاها أحَدُ مَندوْبِي مَبيْعَاتِه. وفي نهَايَة السَبعينِيَّات، وصلَت الأعلَامُ إلى أقْصَى الجنوْبِ مثْلَ روما. إنَّ "جيوفاني رانا" لَم يَبْتَكِر عملًا تِجاريًا ناجِحًا فحَسْب، بَل خلَق قطَّاعًا تِجَاريًا جديْدًا بالكَامِل بشَكلٍ فِعْلِي، وذَلِك مِن خِلَال إدرَاجهِ علَامَةً تِجاريَّةً وأسَاليْبَ إنتَاجٍ صِنَاعيَّةً للمعكروْنَة الطَازجَة.

حتَّى غايَة الآنَ في قصَّة معكروْنَة رانا، كانَت تورتيليني الشرِكَة تُبَاعُ عبْرَ متَاجِرَ مُلحقَةٍ بالمَصْنَعِ للعَائِلَات الصَغيْرَة، إلَّا أنَّ شيئًا غريْبًا حدَث لهذَا النوْعِ مِن المتَاجِر في إيطَاليا في فترَةِ السبعينِات. فَفِي مكَانٍ آخَر بأوروبا، تناقصَت أعدَادُ صِغاَر تُجَّار التَجزِئَة بيْنمَا استحوذَت المتَاجِر الكُبرَى على أكثَر فأكثَر مِن سوْقِ الطعَام، بيْنمَا ذهَب التوَجُّهُ السَائِد فِي إيطَاليَا بالاتِّجَاه المُغَاير. وبحُلوْلِ سنَة 1977، بلغَ عدَدُ متَاجِر الموَادِّ الغِذَائيَّة في إيطَاليا أربَعةَ أضعَافٍ مثيْلِه فِي ألمَانيا، ويعوْدُ ذَلِك بشَكلٍ جُزئيٍّ إلى النَزعَةِ المُحَافِظَة على الطعَام في إيطَاليا- فقَد كانَت النِسَاء يُفضِّلنَ الاتِّصَال الشَخصِي بالسوْقِ المحَلِّي أو بمتْجَرٍ صَغِير- وبسبَب نقْصِ المِسَاحة في العديْدِ مِن مرَاكزِ المدُنِ التاريخِيَّة. بيْدَ أنَّ السبَب الرئيسِيَّ سِياسيًا: هوَ صغَارُ التُجَّار وأُسَرُهُم، فَهُم مَن يُعتَبَرُ الاحتِيَاطِي الحَاسِم الدَاعِم للحِزْبِ الديمُقرَاطِي المَسيحِي، ولذَلِك فقَد حَرِصَ ألَّا يُلَاحِقَهُم باندِفاَعٍ عنْدمَا يتعَلَّقُ الأمْرُ بدَفعِ الضرَائِب. لقد مدَّ الحزْبُ الدِيمُقراطِيُّ المُعَارضِ يدَ العوْنِ أيْضًا إلى أصْحَابِ المتَاجِرِ في قَانونِ 1971 والذِي يُحدِّد بدِقَّةٍ الحَدَّ الأَدْنَى مِن المسافَةِ المَسموْحِ بِهَا بيْنَ مَتجَريْنِ مِن ذَاتِ النَوْع، فلَن يتِمَّ منْحُ أيِّ ترخيْصٍ تجَاريٍّ لأيِّ مَتْجَرٍ مُلحَقٍ مُقترَحٍ إِن تجاوَز التجَمُّع التجَارِيَّ للآخَر. وهكذَا فقَد تمَّت حمايَةُ أسبَابِ عيْشِ أصحَابِ المتَاجِر، ولَكِن في الوَقتِ نفْسهِ اكتسَب السِياسيُّونَ سُلطَةً أكبَر عبْرَ التَحيُّزِ بمَنْحِ تَرَاخيْصَ البيْعِ بالتَجزِئَة، كمَا استفَادَ كِبَارُ مُنتجِي الموَادِّ الغِذَائيَّة أيْضًا مثْلَ "جيوفاني رانا"، فقَد فرَضوا أسعَار جُملَةٍ عَالِية على أصْحَاب المتَاجِرِ الصِغَار، الضُعفَاء، والمُنقَسمِين. المُستَهلكوْنَ هُم فقَط مَن عانَى الخسَارة، فقَد توجَّب عليْهِم قضَاءُ المزيْدِ مِن الوقْتِ بالتَنَقُّلِ بيْنَ المتَاجِرِ، ودفْعُ أموَالٍ أكثَر ممَّا دفعَهُ المُستَهلِكوْنَ فِي البُلدَانِ الأُخرَى حيْثُ تُدَارُ المتَاجِر الكُبرَى بحُريَّةٍ أكبَر في السُوْق. لَاتزَالُ علَامَاتُ تَأخيْرِ نشْرِ المتَاجرِ الكُبرَى فِي إيطَاليا ظَاهِرَة: فَفِي مُنتصَفِ التسعِينات، كانَت إيطاليا تمتَلِك عُشْرَ عدَدِ المتَاجرِ الكُبرَى المَوجوْدَة فِي فرَنسا، أَمَّا تكلِفَةُ الطعَامِ الفرَنسِيِّ فَهِيَ أقَلَّ بنِسبَةِ 5 بالمِئَة إلى 15 بالمِئَة.

ومعَ ذَلِك، ففِي الثمَانينَات بدأَت المتَاجرُ الكُبرَى ببَيْعِ حِصَّةٍ أكبَر مِن الطعَام الإيطَالي، فاستجَابَ "رانا" كعَادَتهِ لهذَا التَغيِير بألمَعيَّةٍ كَبيْرَة، فزَادَ مِن فتْرَةِ حفْظِ مَعكروْنَتهِ عبْرَ بيْعِهَا بظروْفٍ مَملوْءَةٍ بمَزيْجٍ مِن ثَانِي أُكسِيد الكَربوْن والنِتروْجِن. 297 ضغَطَت الشرِكَةُ على السياسيِّين بشَكلٍ مُكثَّفٍ حتَّى تمَّ إصدَارُ قانوْنٍ يُتيْحُ استِخدَام مثْلَ هَذهِ الغَازَات، وبمُجرَّد أَن أصْبحَت هَذهِ العُبوَات مُتوَافِرَةً، عَمِلَت فِرَقُ المَبيْعَات عَن قُرْبٍ معَ المُوزِّعيْنَ للتَأكُّدِ مِن أَنَّ مُنتجَاتِ "رانا" هيَ مَن يحتَلُّ مكانَةً بارِزَةً في خزَائِن العَرْضِ المُبرَّدَة.

شَهِدَت ثمانينيَّات القرْنِ المَاضِي أيْضًا تطوُّرَاتٍ هدَفَت إلى مُعالجَة مُشكِلَة الثِقَة القَديْمَة. أَدخَلت شَرِكَة "رانا" تعديْلَاتٍ على تعليْبِ التورتيليني، مُضيْفَةً صُوَرَاً مِن المُكوِّنات، ولُصَاقَة " كلَاسيكِيَّات جيوفاني رانا"، والتَوقِيعَ الخَاصَّ لصَاحبِ المَشروْع. هذا ضمَانٌ شَخصِيٌّ، ورابطٌ مُباشَرٌ مَا بيْنَ صَاحِب المَصنَع والزَبوْن. آمَن "جيوفاني رانا" بأنَّ كِنيتَهُ تُضْفِي لَمْسَةً مِن الصِدْقِ رغْمَ عيوْبِهَا إلى تلْكَ العِلَاقَة؛ فكَلِمَة "رانا" تَعنِي بالإيطاليَّة "الضِفْدَع". لقَد عزَّز إنشَاءُ مُختبَرٍ جَديْدٍ مِن أَجْلِ مُراقبَةِ الجُوْدَةِ وتَطوْيرِ المُنتَج، مِن مَوثوقِيَّةِ العلَامَةِ التِجَاريَّة ومَقدِرَة الشَرِكَة على الابتِكَار.

وبيْنمَا كانَ يَجرِي تحديْثُ شرِكَةِ رانا، فإنَّ الأعدَادَ المُتزايِدَة مِن المحلَّاتِ التِجاريَّة والازدِهَار في الإعلَانِ التِلفَازي قَد ساعَدا إيطاليا على التخَلُّصِ مِن الشعوْرِ بالذَنْبِ الكَاثولِيكِيِّ والشُيوعِي، تِجَاه النَزْعَة الاستِهلَاكيَّة. لقَد اكتشفَت البِلَادُ ملذَّاتِ مَذْهَبِ المُتعَة التِجَارِي غيْرِ المُقيَّد على المَائِدَة. ومرّةً أُخرَى، استفَادَت الأعمَالُ التِجَاريَّة لـ"جيوفاني رانا" في المعكروْنَة الطَازجَة مِن التَغيِير فِي أُسلوْبِ الحيَاة. في الحَقيْقَة، بدَأ "رانا" بتَغييْرِ عادَاتِ تنَاولِ الطعَامِ بفعَاليَّة: إِذ تمَّ تَحويْلُ التورتيليني مِن مُتعَةٍ خاصَّةٍ بيوْمِ الأحَدِ إلى طبَقٍ يَومِي.

فِي النصْفِ الثَانِي مِن فترَةِ الثمَانينيَّات، قفَز النموُّ السنَويُّ لمَعكروْنَة رانا بنَحْوِ 20 بالمِئَة. وبدأَت هَذهِ الأربَاحُ تَجْذِبُ اهتِمَام اللَّاعبِيْنَ الكِبَار فِي صِناعَة الطعَام الإيطَاليَّة، والذيْنَ حَاوَلوا في البِدايَة شِراءَ الشَرِكَة، ثمَّ أَطلَقوا علَامَاتهِم التِجَاريَّة الخاصَّة بالمَعكروْنَة، لكِنَّ "جيوفاني رانا" أَوْقفَهُم جميْعًا، وزَادَ حِصَّتَهُ بشَكلٍ مُطرَدٍ في السُوقِ المُتوَسِّع على نحْوٍ سَريْع، إلى حَدٍّ كبيْرٍ عبْرَ سِلسِلَةٍ مِن الحملَاتِ الدِعَائيَّة الذَكيَّة التي يتخَلَّلهَا الحَنِين، وذَلِك بعَرْضِ عائِلَةٍ إيطاليَّةٍ في مَا يَزعمُ أنَّها الأيَّامُ القَديْمَة: كَانوا يَعيشوْنَ في الرِيْف، ويزرَعوْنَ طعامَهُم، ويأكلوْنَ المعكروْنَة الطازجَة المُعدَّة في المَنْزِل. في بدَايَة التِسعينِات، عمَدَت الشرِكَةُ إلى اسْتِخدَامِ "جيوفاني رانا" ذَاتهِ على الشَاشةِ الصَغيْرَة، لتُصبِح الملَامِحُ الوَدوْدَة لابْنِ الخبَّازِ الخَمسينِيِّ مِن "كولونيا فينيتا"، أحَد أكثَر الوجُوْهِ المَعروْفَة في إيطَاليا، تارِكًا ذَلِك الانطِبَاع كجَدٍّ مَحْبوب: لقَد تضمَّنت هَذهِ الإعلَانَات النَاجِحَة إلى حَدٍّ كَبيْرٍ للغَايَةِ على تعَاقُبٍ مُوجَزٍ مِن قَيلولَتِه، وقَد قُرَّت عَينَاهُ على سبيْلِ المِثَال وهو جَالِسٌ على كُرسِيٍّ بذِرَاعَينِ بعْدَ أَن أَهْدَى لأُمٍّ عُلبَةً مِن المعكروْنَةِ لِأَجْلِ أولَادِهَا.

لقَد استفَادَت هَذهِ الحَمْلَات الدِعَائيَّة مِن مِصدَاقيَّة شَخصِيَّة "جيوفاني رانا" ----------

\*كولينيا فينيتا: هي بلدة في مقاطعة فيرونا في منطقة فينيتو الإيطالية، وتقع على بعد حوالي 70 كم غرب مدينة البندقية وحوالي 35 كم جنوب شرق فيرونا.

298 لتَعريْفِ المُستَهلكيْنَ ببعْضِ المُنتجَات الجديْدَة التِي توصَّلَ إليْهَا علمَاؤه، مثْلَ الحَشْوَة المَوضوْعَة على شَكلِ طبقَاتٍ في صُرَّةِ المَعكروْنَة بحيْثُ يُمكِنُ رُؤيتهَا عنْدَ قَطْعِ التورتيليني بالشَوْكَة. لقَد كانَ السفوغليافيلو إبْداعًا ناجِحًا آخَر: فهوَ مصنوْعٌ مِن غِشَاءِ معكروْنَةٍ أكثَرَ رِقَّة، بحيْثُ يغْدُو بوِسْعِ الأُمَّهَاتِ المَشغولَاتِ ادِّخَارُ اللَّحظَات الثَميْنَة مِن وقْتِ الطَهْي. كانَ "تورتليني السفوغليافيلو" يُبَاعُ أيْضًا فِي عُلَبٍ تَحتَوِي على حِصَّةٍ وَاحِدَةٍ لأجْلِ تلْكَ الأعدَادِ المُتزايِدَةِ من الإيطَاليِّين الذيْنَ يعيشوْنَ لوَحدِهِم، ولكنَّهُم يرغبوْنَ أَن يُشبِعوا رغبَاتهِم بإعَدادِ عشَائهِم الخَاص.

بطَبيْعَةِ الحَال، وبمُجرَّدِ أَن لَاقَت هَذهِ المُنتجَاتُ نجَاحًا كبيْرًا، استمَرَّت إعلَانَاتُ "رانا" لإبْرَازِ فضَائلِ الأُسرَة التَقليدِيَّة للتورتيليني*.* وفِي أحَدِ الإعلَانَات التِجَاريَّة المِثَاليَّة للسفوغليافيلو عَام 2006، قَام "رانا" بزِيَارَةِ عَائِلَةٍ مِن "بيدمونت" في كَرْمِهَا الشَاسِع، فقَام الأَبُ مُتوَرِّدُ الوَجْهِ بالقَفْزِ مِن جَرَّارهِ الزِرَاعِي ليُصَافِح يَد "رانا". فدَاعبَهُ رجُل الأعمَالِ العَجوْزِ بلَهجَةِ سُكَّان "فينيتو": "هَل عُدْتَ مُزَارِعًا مِن جَديْد؟". فأجَابَ باللَّهجَةِ البِيدمونتِيَّة: "أتمنى ذَلِك!". "أنا أَعمَلُ فِي مَصْرَف!". وأَمْضوا يوْمًا مُمتِعًا وهُمَا يَحْضُرَانِ حصَادَ الكُروْم، ثُمَّ قدَّمَت الأُمُّ على العشَاءِ سفوغليافيلو رانا المَحْشِي بالبراساتو - لَحْم البقَر المَطهِي ببُطءٍ وهو أحَدُ الأَطعِمَة الرَئيسِيَّة المِثَاليَّة للمَطْبَخ التوريني. هتفَت الأُمُّ قَائِلَة: "إنَّ البراساتو هو تمَامًا كمَا نُعِدُّه هنَا في بيدمونت".

بعْدَ ثلَاثَةِ عقوْدٍ مِن النُموِّ المُتزَايِد، استقَرَّت مَبيْعَاتُ المعكروْنَة الطَازجَة فِي إيطَاليا حديْثًا، وهكذَا بعْدَ نصْفِ قرْنٍ على وصوْلهِم الذَروَة معَ المعكروْنَة المُجفَّفة، يتناول الإيطاليُّونَ الآنَ قدْرَ مَا يرغَبوْنَ من التورتيليني. لقَد بَقِيَ "جيوفاني رانا" زَعيْمَ هذَا السُوق النَاضِج، معَ حوَالِي ثلُث هَذهِ التِجَارَة، وأَربعَة مصَانِع معكروْنَة في شمَالِ إيطَاليا ووَاحِدٍ في الأَرجَنتِين. تتِمُّ بَستَرَةُ حَشْوَة التورتيليني فِي بيْئَةٍ خالِيَةٍ مِن الجرَاثِيم ومُستويَاتِ حرَارَةٍ ورطوْبَةٍ يَتِمُّ التحَكُّم بهَا بدِقَّة، وتُنفِقُ الشَرِكَةُ 20 مِليوْنَ دولَارٍ كُلَّ عَامٍ على الأبْحَاث والتَطويْر، وهيَ تقوْمُ بتَحسِيْن خَطِّ إنتَاجِهَا بشَكلٍ مُستَمِرٍّ معَ هَذهِ الإبدَاعَات مثل كَنوكِي البطَاطَا المَحشِيَّة بالصَلصَة بشَكلٍ جَاهِز، أَو التورتيليني معَ الجُبنِ والإِجَاص.

لقد توسَّعَت الشَرِكَةُ بنجَاحٍ في البُلدَان الأوروبِيَّة الأُخرَى، والتي طوَّرَت مُؤخَّرًا فقَط مذَاقًا للمعكروْنَة الطَازجَة، فَفِي "لوكسمبورغ" يتِمُّ تنَاولُ التورتيليني مِن قِبَلِ كُلِّ فَرْدٍ مِن السُكَّان أَكثَر مِن أَيِّ مكَانٍ آخَرٍ فِي العَالَم، و 60 بالمِئَة منْهَا نِتَاجُ صِنَاعَةِ شَرِكَةِ رانا.

مِن بيْنِ البُلدَان الأُوروبيَّة القَليْلَة التِي لَا يُعرَفُ فيْهَا وجْهُ "جيوفاني رانا"، هيَ المَملكَة المُتَّحِدَة، حيْثُ أَنَّ سَلَاسِلَ جميْعِ المَتاجِر الكُبْرَى القَويَّة تقوْمُ بَبيْعِ المعكروْنَة المصنوْعَة في شَرِكَة رانا والنُوكِي تحْتَ أسمَائِهَا الخَاصَّة، لكِنَّ شَرِكَة رانا غيْرَ راضِيَةٍ عَن استِبعَادِ الهَويَّةِ المُمَيَّزة للعلَامَةِ التِجَاريَّة مِن قِبَل بريطَانيا.

---------- \*لوكسمبورغ: دوقية لوكسمبورغ الكبرى هي إحدى دول البنلوكس. تقع في غرب أوروبا، بين كل من ألمانيا، وفرنسا وبلجيكا وتُعد إحدى أصغر دول أوروبا مساحةً وسكاناً.

299 تتطلَّعُ الشَرِكَة لتطويْرِ مرَاكزِ بَيْعِ وجبَاتٍ سريعَةٍ معَ منظومَاتِ طهْيٍ آليَّة، والتِي بوِسْعِهَا طَهْوُ للمعكروْنَة المَحشِيَّة بشَكلٍ طازَجٍ، لتُصبِحَ جَاهِزَةً لَك لتتنَاولهَا بعْدَ خمْسٍ وأربعيْنَ ثانِيةً على خروجِكَ مِن البَاب، إذَا وجَدْتَ النجَاحَ فِي هَذهِ المُبادَرة، فستَكوْنُ تورتيليني العُصوْر الوسْطَى طَعْنةً خَاطِفَةً أنيْقَةً مِن إيطَاليا لِقِطَعِ الدجَاج.

تُوَضِّحُ قصَّة "جيوفاني رانا" الكثيْرَ مِن الأشيَاءِ عَن التاريْخِ الإيطَالِيِّ الحَديْث، فأعمَالهُ التجَاريَّة مِثَاليَّة للشَرِكَات العَائِليَّة التِي أصْبحَت مُحرِّكَ الاقِتصَاد الإيطَالِي في الثمَانينِيَّات، وجعلَت منطِقَة "فينيتو" واحِدَةً مِن أكثَر المنَاطقِ غِنىً في أوروبا، ويعوْدُ نجَاحهُ المُذهِل بشَكلٍ أسَاسِيٍّ إلى أَمرَيْن: الطريْقَة التِي استفَاد بهَا مِن التغيُّرَات العَميْقَة على ثقافَةِ طعَامِ العوَائلِ الإيطَاليَّة؛ ومَقدِرتَه على الابتِكَار وهَو يُطْرِي بذَاتِ الوَقْتِ على النَزعَةِ المُحَافِظَة للإيطَاليِّين على المَائِدَة، وعلى هَوَسِهِم بتنَاولِ مَا هوَ جيِّدٌ وأَصِيْل، والفِكرَةُ التِي يَعتَزُّوْنَ بِهَا وهي أَن يكوْنَ الطَعَامُ ريفِيًا وتَقليدِيًا ومِثَاليًا.

سوَاء اعتُبِرَ "جيوفاني رانا" بطلًا أم شَخْصاً شرِّيْراً على حضَارَةِ المَائِدَة الإيطَاليَّة، فذَلِك يعتَمِدُ على وِجْهَةِ نَظَرِك، وعلى مَا تَعنِيْهِ كلمَاتٌ مثْلَ "تَقليدِي" و"أَصِيْل" لَك. قبْلَ ثلَاثِيْنَ عامًا، قدَّمَت "صوفيا لورين" خُلَاصَةً بليْغَةً مِثَاليَّةً ومُتفَائِلَةً لمَا تفعَلَهُ الصِناعَة الغِذَائيَّة الحَديْثَة فِي المطَابِخ بجَميْعِ أنْحَاءِ البِلَاد:

لديْنَا طعَامٌ تحْتَ تصَرُّفِنَا، وهوَ فِي أَغلَبِ الأحيَانِ غِذَاءٌ جيِّدٌ للغَايَة، مِن جميْعِ بِقَاعِ العَالَم، وفي كُلِّ يوْمٍ مِن العَام. لقَد حلَّ لنَا أصحَابُ المصَانعِ مُشكِلَة الوَقْتِ والجُهْدِ عَن طريْقِ الوجبَاتِ الجَاهِزَة. ولكنَّ مَا يُذهِلُنِي أَّنه بمَقدوْرِ نِعمَةِ العِلْمِ والتَسويْقِ الحَديْثِ هَذهِ جَعلنَا كُسَالَى للغَايَة فيعوْدُ ذَلِك بالضَرَرِ عليْنَا... لذَلِك فحيْنَ نتَحدَّثُ عَن الطعَامِ الأصِيْل، فعليْنَا إعَادَةُ اكتِشَافِ مُتعَةِ الطَهي... أو ابتِكَار بعْضِ الأعمَالِ الفَنيَّةِ الصَغِيرَة بأَيدِيْنَا...منْذُ زمَنٍ ليْسَ بِبَعيْدٍ كانَت النِسَاءُ يَنْظُرنَ إلى مَوقِد المَطبَخِ كرَمْزٍ للعُبوديَّة.

انْتهَى الاسْتِرقَاقُ اليَوْم، فلمَاذَا لَا نُحَوِّلُ القيوْدَ إلى أدَاةٍ للبَهْجَة؟

مُعظَم النِسَاء الإيطَاليَّات لَم يَجِدْنَ الأَمْرَ سهْلًا كمَا فعَلت صوفيا لورين ل "تحويْلُ القيوْدِ إلى أدَاةٍ للبَهْجَة"، فقَد أَوْجدَت ضُغوْطَاتُ النَزْعَةِ الاستِهلَاكيَّة القَلقَ بالإضَافَةِ للمُتعَة. في الوَاقِع، إنَّ نهْضَة صِناعَة المَعكروْنَة الطَازجَة التِي تتَحدَّى الوَاقِع، قَد تسبَّبَت بالتأكيْدِ بقَلَقٍ عَميْقٍ لفِئَةٍ مِن النَاس: 300 رَابِطَةُ تعَلُّمِ التورتيليني في بولونيا.

لطَالمَا بَقِيَ مُنتِجو الأَطبَاق المِثاليَّة الإيطَاليَّة تحْتَ تَهْدِيد المُقَلِّديْنَ لَهُم- كمَا كانَت نقَانِقُ المَرتَدِيلَّا الخَاصَّة ببولونيا فِي القرْنِ السَابِع عشَر. في السنوَاتِ الأَخِيرَة، ومعَ قِيَام صِناعَة الطعَامِ باحْتِلَالِ مجالَاتٍ أكبَر مِن أيِّ وقْتٍ مضَى مِن النظَامِ الغِذَائِيِّ الإيطَالي، فقد اضطَرَّ مُنتِجو الطعَام، وأصحَاب المتَاجِر والمطَاعِم، والسِيَاسيُّوْن؛ أَن يَقِفوا مَوْقِف الحَارِس حوْلَ العَديْدِ مِن التخَصُّصَات المَشهوْرَة، بمَا فِي ذَلِك التورتيليني.

التورتيليني مُرتَبِطَة ببولونيا بشَكلٍ وَثيْقٍ أكثَر مِن أيِّ منطقَةٍ أُخرَى في البِلَاد، وقَد أصْبحَت علَامةً مُميَّزةً للمَديْنَة في القَرْنِ الثَامِن عشَر. إنَّ التورتيليني البولونِيَّة مُتقنةً وعُصَاريَّةً بشَكلٍ شَهِي- وخَاصَّةً عنْدمَا تُقدَّمُ بالطَريْقَةِ الصَحيْحَة، في مرَقِ الدِيْك، ولكِنَّ صُنعَها يتطلَّبُ أَيدِي عَاِملَة إلى حَدٍّ كَبِيْر، لصُنْعِ هَذهِ المُكافَآت اللَّذيْذَة.

تتطلَّبُ أقرَاصُ المَعكروْنَة الطَازجَة الشَفَّافَة تَقريْبًا مَزْجًا، ورَاحَةً، ولَفًّا بطَريقَةٍ بَارِعَة. تُوصِي إحدى الوَصَفَات بأنَّ أبعَادهَا يجِبُ أَن تَبلُغَ 3.7 سَنتِيمِترَات مِن جَانِبٍ لآخَر. تستَهلِكُ الحَشْوَة المُقرَّرة ساعَاتٍ مِن التَحْضِير أيْضًا، وهِيَ تشْتَمِلُ على لحْمِ مِتْنِ الخِنزِيْر، البروسسيوتو كرودو (لحْمُ الخِنزيْرِ المُقدَّد النَيء، والذِي يُعرَف عادَةً خَارِج إيطَاليا بلَحْمِ خِنزيرِ بارمَا)، بَيْض، جَوْزَة الطِيْب، جُبنَة البَارمِيزَان، والمَرتديلَّا بالطَبْع. يجِبُ تَرْكُ لحْمِ خاصرة الخِنزيْرِ لمُدَّةِ يَومَيْنِ فِي مَزيْجٍ مِن المِلْح، الفُلفُل، إِكلِيْل الجبَل (الروزماري) والثُوْم، قبْلَ أَن يُطْهَى في الزُبْدَة. بمُجرَّدِ فَرْمِ جَميْعِ المُكوِّنَاتِ بشَكلٍ نَاعِمٍ جدًا، يُترَكُ الخَليْطُ ليَبْقَى لأَرْبَعٍ وعِشريْنَ ساعَةً أُخرَى، ثمُّ يوضَعُ بشَكلٍ مَخروطِيٍّ فوْقَ المَعكروْنَة وبحَجْمِ حبَّةِ الحُمَّص، ثمَّ تُلَفُّ كلُّ قِطعَةِ تورتيليني حوْلَ طَرَفِ إصْبَعِ السَبَّابَة- إلى حَدٍّ مَا، كمَا قَد يَقوْمُ نَادِلٌ بطَيِّ مِندِيْلٍ حوْلَ يَدِه. مِن الوَاضِح أنَّ هَذا الإجْرَاء سيكوْنُ على أفْضَلِ وَجْه، إذَا كانَ قُطْرُ الإصْبَع ذي الصِلَةِ يَبلُغ 18 مِيليمِترًا، والنتيْجَةُ بالنِسبَةِ لأَيِّ شَخْصٍ يتحَلَّى بالصَبْرِ بمَا يَكفِي لإتِّبَاعِ هَذهِ الإرشَادَات حَرفِيًا، هِي تاَجٌ أَصْفَرٌ مُسَطَّحٌ مُمتَلِئٌ وبحَجْمِ قِطَعٍ نقديَّةٍ صَغِيْرَة.

301 هُناكَ قِصَّةٌ ورَاءَ الدِقَّة المُطلقَة لهَذهِ التَوجِيهَات المُتاحَة على نِطَاقٍ كَبيْرٍ لصُنْعِ التورتيليني البولونِيَّة الحَقيقِيَّة. في السَابعِ مِن دِيسَمبَر عَام 1974، توجَّهَ مُمَثِّلو رَابِطَة المدينة لتعَلُّم التورتيليني (المُؤسَّسة سنَة 1965) إلى غُرفَة التِجَارَة المَحليَّة، وأَودَعوا بشَكْلٍ مَهيْبٍ وَثيْقةً قَانونِيَّةً حدَّدَت الوَصْفَة الصَحيْحَة لحَشْوَة التورتيليني الموضَّحة فِي الأَعْلَى. قبْلَ ذَلِك بعَامَيْن، تمَّ تَحديْدُ الحَدِّ الأَقْصَى لعَرْضِ معكروْنَة التالياتيلي (8 مِلمِيتْر) وَوُضِعَت في النَصْبِ التِذكَاري الحُكومِي بذَاتِ الطريْقةَ، وأُتبِعَ ذَلِك بوَصفَة الرَاغو عَام 1982. لقَد نهضَ المُصمِّموْنَ وأَصحَابُ المطَاعِم الذيْنَ شكَّلوا عُضويَّة رَابِطَة تعَلُّم التورتيليني، للدِفَاعِ عَن أطبَاقهِم التَقليدِيَّة، فَقُوبِلوا بموَاجهَةٍ مِن أصحَابِ المصَانِع أمثَالَ "جيوفاني رانا"، فقَامَ صُنَّاعُ المعكروْنَة البولونِيُّونَ بتَغطِيَةِ طبَقِ التورتيليني فِي العَلَمِ القديْمِ للوطَنيَّةِ المَدَنِيَّة.

لقَد كانَ أعضَاءُ رابِطَة تعَلُّمِ التورتيليني روَّادًا، واليوْمَ فإنَّ القضِيَّة التِي تحتَلُّ الصَدَارَة على حضَارَةِ المَائِدَة الإيطَاليَّة هِي المُشِكلَة ذاتُها التِي واجَهَت الرَابِطَة: كيْفَ نُدافِعُ عَن القِيَم الجَوهريَّة للأصَالَة والمِثاليَّة مِن التَهدِيْد المَلموْسِ لصِناعَة الطعَام؟ يكشِفُ أحَدُ الأطبَاقِ المحليَّةِ وهو صَلصَةُ البيستو الجَنَوِيَّة عَن المدَى الذِي بَاتَت فِيْهِ القضِيَّة حَافِلَةً اليَوْمَ وإلى أَيِّ مدًى تَكتَنِفُهَا المخَاطِر. 302

**19**

**مَدِيْنَةُ جَنَوَة 2001-2006**

**------------------------------------------**

**الرَيْحَانُ المُعِيْب**

تُستَخدَم كَلِمَة "الأَسْمَى" كثيْرًا فِي الكِتابَة عَن الطعَام، بيْدَ أنَّ صَلصَة بيستو جيِّدَةً ستُعِيدُ للكَلِمَة أغْنَى معَانِيْهَا. عند تنَاولِ البيستو يتخلَّلُ الحوَاسَّ الشَميَّة عبَقٌ يَجعَلُ الطعَامَ مُمَجَّداً إلى درجَةِ الامتِدَادِ العَابِر للعَالَم الروحِي. ولدَعْمِ هَذهِ التَجرُبَة الرَاقِيَة، تمَّ تشكِيْلُ رَابِطَةِ صَلصَة البيستو فِي جَنَوَة عَام 1992- وذَلِك في الذِكرَى المئويَّة الخامِسَة لاكتِشَاف "كولومبوس" لأَمريكَا. إنَّ المُعَلِّم الأكبَر للرَابِطَة وترَاتُبِيَّتِهَا مِن عِظَامِ الفرُسَانِ والفرُسَان، لَم يلتَزِموا بشَكلٍ حَكيْمٍ بوَصْفَةِ بيستو مُعيَّنة- أَي الكميَّة الدَقِيقَة مِن كُلِّ مُكَوِّنٍ مِن المُكَوِّنَات السَبْعَة التِي تعتَمِدُ إلى حَدٍّ مَا على الذَوْقِ، وعلى مدَى عِطرِيَّة الرَيْحَان. ومعَ ذَلِك فقَد بدَا رئيْسُ الرَابِطَة لطيْفًا كِفايَةً ليُرسِلَ لِي الكميَّاتِ المِعيَاريَّة المُستخدمَة مِن قِبَلِ عَائِلَته، والمُلَاحظاَت التَوضِيحيَّة تعوْدُ إلى:

**صَلصَةُ البيستو الجَنَوِيَّة الحَقِيقِيَّة**

المَقَادِيْر

100 غرَام ( 3 أونْصَات) مِن أورَاق الرَيحَان مِن إقليْمِ ليغوريا (تشتَرِطُ بعْضُ الوَصَفَات ألَّا يَقِلَّ وزْنُ الريْحَان عَن 25 بالمِئَة مِن وَزنِ مكوِّنَات البيستو). 303

إنَّ الرَيحَان اللِّيغورِي مُميَّزُ بعَدَمِ احْتوَاءِ مذَاقهِ على أيٍّ من آثَارِ النَعْنَاعِ المَوجوْدِ فِي أنوَاعٍ أُخرَى.

50 غرَام [1 ¾ أُونصَة] مِن جُبنَة بارميغانو ريغانو مَبشوْرَة.

50 غرَامًا [1 ¾ أُونصَة] من جُبنَة بيكورينو من سردينيا مَبشوْرَة.

30 غرَامًا [1 أُونصَة] مِن حبوْبِ الصَنوْبَر الإيطَاليَّة.

(تقتَرِحُ وَصَفَاتٌ أُخرَى استِخدَام الجَوْزِ بدلًا مِن الصَنوْبَر، ولَكِن يجِبُ أَن يتِمَّ إحْضَارُه مِن منطِقَةِ البَحْرِ المُتوَسِّط حَصْرًا).

1 رَأس كَبِير مِنَ الثُوْم.

رشَّة مِن المِلح غيْرِ المَطحوْن.

كميَّة كافِيَة مِن زيْتِ الزَيتوْنِ المُمْتَاز البِكْر وذَلِك لتَميِيْعِ المَزِيْج.

**المُعِدَّات**

هَاوِنٌ مِن الرُخَام ومِدَقَّةٌ خَشَبِيَّة.

يُشيْرُ بعْضُ أَهلِ الخِبْرَة لضَروْرَةِ غَسْلِ الرَيْحَان برِفْقٍ بالمَاءِ البَارِد، دوْنَ سَحْقِ أَورَاقِه، ثمَّ يُترَك ليَجِفَّ بَشكلٍ طَبيْعِي، ويُوْصَى بِتَرْكِ جميْعِ المُكوِّنَاتِ والمُعِدَّات لتَأخُذَ حرارَة الغُرفَة قبْلَ المُباشَرة بالعَمَل، وأَن تكوْنَ الجُبنَة مَبشوْرَةً وكلُّ شَيءٍ فِي مُتنَاولِ اليَد، وذَلِك لتجَنُّب أَيِّ انتِظَارٍ لَا دَاعِي لَه والذِي قَد يُفسِدُ نَكهَة صَلصَة البيستو مِن خِلَالِ عمَليَّة الأَكسَدَة.

إنَّ حركَةً دورَانِيَّةً مُستمِرَّةً لطيْفَةً للمِدَقَّة في الهَاوَن هِي أَفضَلُ طريْقَةٍ لتَحريْرِ كُلِّ الزيوْتِ العِطريَّة في العروْقِ الصَغيْرَةِ بأوْرَاقِ الرَيْحَان. نبْدَأُ بالرَيْحَانِ ثمَّ الثوْمِ والمِلْح حتَّى تُنتِجَ الأَوْرَاقُ سَائِلًا أخْضَر زَاهِيًا، ثمَّ يُضَافُ الصَنوْبَر، الجُبْن وأخيْرًا الزَيْت.

تنْصَحُ رَابِطَةُ صَلصَة البيستو الجَنَويَّة، والتِي يقَعُ مقرَّهَا في مكَاتبِ حكوْمَةِ إقليْمِ ليغوري، بأَن يحتَوي الشَكلَ النِهائِيَّ لصَلصَة البيستو على مَا مقِدارَهُ 82 بالمِئَة مِن الدُهوْن، وأَن تكوْنَ درجَة الحُموْضَة أَكبَر مِن 4.8. 304 مِن وِجهَةِ نظَرٍ تاَريخِيَّة، فإنَّ هذَا التَطَوُّر بتحويْلِ صَلصَة البيستو إلى فَنٍّ مُتقَنٍ مصقوْلٍ، لَا يُمكِنُ وَصفَهُ إلَّا بأنَّه أَمْرٌ تَقلِيدِي. أثنَاءَ الحرْبِ العَالمِيَّةِ الأُولَى، كمَا قرَأْنَا، كانَ المُلَازِم الثَانِي "جوزيبي شيوني" يتوْقُ لِإعدَادِ صَلصَة البيستو التي تحتَوِي على البقدوْنِس، البصَل، والتوَابِل. وتمامًا كمَا كانَ الحَال معَ التورتيليني البولونيَّة، سيَبْدو الأمْرُ وكأنَّ عُشَّاق الطعَامِ المَحليّينَ قَد لَاذوْا بالمُعتقَد التَقليدِي، عنْدمَا واجَهَهُم تَهدِيْدُ الِإصْدارَاتِ الصِنَاعيَّة الرَخِيصَة لِأطبَاقهِم المِثَاليَّة التَقليدِيَّة.

ولَكِن في المُعتقَد التَقليدِي الجَديْد للبيستو هنَاكَ مُتطَلَّبٌ أسَاسِيٌّ حَتمِيٌّ آخَرُ لصَلصَة البيستو الأَصِيْلَة؛ يَكمَنُ في جَوْهَرِ الأعمَالِ الدْرَاميَّة العَنِيْفَة والتَوجيهيَّة التي أحاطَت بصَلصَة جَنَوة المحبوْبَة منْذُ يوليو عَام 2001. يجِبُ أَن يحْظَى الريْحَانُ المُستَخدم، كمَا هوَ حَالُ الزَيتِ والجُبنِ، بشهادَةِ د.و.ب مُناسِبَة مِن الاتِّحَاد الأوروبِّي، وتَعنِي الحِمايَة بموجِب بلَدِ المُنشَأ، فمنتجَاتُ د.و.ب تستمِدُّ خصَائِصها الفريْدَة مِن بيْئَة مكَانٍ مُعيَّن، ويجِبُ تنفيْذُ جميْعِ مرَاحِل عمليَّة الإنتَاجِ في المَنطِقَة المُحدَّدة في لوَائِح الاتِّحَاد الأوروبِّي.

مثْلَ أيِّ شَيءٍ آخَرٍ يخُصُّ الاتِّحَاد الأوروبِّي، فإنَّ تشريْعَ د.و.ب مُمِلٌّ للغايَة لكنَّه هَامٌّ جِدًا: ببسَاطَةٍ شديْدَة، هُناكَ كميَّةٌ كبيْرَةٌ مِن المَالِ على المِحَك. فِي آخِر إحصَاء، كانَ لدَى إيطَاليا 155 مُنْتَجًا مُؤهَّلًا للحصوْلِ إمَّا على نِظَام د.و.ب أو على الـ آي.ج.ب الأقَلِّ تشَدُّدًا بتَحديْدِه (ويَعنِي الحِمَايَة بموجِب المؤَشِّر الجُغرافِي). كانَت المُنتجَات تترَاوحُ مَا بيْنَ د.و.ب الخَل البَلسَمِي التقليْدِي لمديْنَة "مودينا"، إلى الآي.ج.ب للبُرتقَال الأحْمَر (المَاورْدِي) الصَقَلِي؛ ومِن د.و.ب لَحْمِ الخِنزير المُقدَّد لمديْنَة "سان دانييلي" إلى آي .ج.ب نقَانِق سْلَامِي الأُوَز لمديْنَة "مورتارا"، ومِن د.و.ب جُبنَة غورغونزولا، إلى آي.ج.ب لفاَصوْليَاء سورَانا التوكسَانيَّة، ومِن د.و.ب جُبنَة موتزاريلَا حليْبِ الجَاموْس مِن كامبانيا، إلى آي .ج.ب الكلمنتين (اليوسْفِي) مِن كالَابريا. لَا يوجَد بلَدٌ آخرُ يمكنُه التبَاهِي بأعدَادٍ أكبَر مِن د.و.ب و آي .ج .ب. إنَّ التحرُّكَ الأوربِّي تجَاه مُنتجَاتٍ عالِيَةِ الجوْدَة إنَّمَا يستهْدِفُ مُستَهلِكي النُخبَة والذِي يتَلَاءَمُ بشَكلٍ خَاصٍّ معَ الثقَافَة الإيْطَاليَّة الزِرَاعيَّة المُتنَوِّعة والمُتخَصِّصة والمَرموْقَة تاريْخِيًا. لقَد أفْضَت هَذهِ المُنتجَات الإيطَاليَّة المِثاليَّة مُجتَمِعَة إلى مبيْعَاتٍ سنَويَّةٍ قاربَت ال16 مِليَار دولَار، وفِي عَالمٍ حيْثُ المُستَهلكوْنَ حسَّاسوْنَ أكثَر تِجَاه جوْدَةِ المُنتَج، وحيْثُ تسبَّبَت ظَاهِرةُ العَولمَة بضُغوطَاتٍ أدَّت إلى انْخِفَاضَاتٍ هَائِلَةٍ على سِعْرِ المُكوِّنات مَجهوْلَة المَصْدَر، فإنَّ تِلكَ الشَارَاتِ الصَغيْرَةِ الزَرقَاء والصَفْرَاء التِي تُشِيْرُ إلى شهَادةِ د.و.ب لَا تُقَدَّرُ بثمَن، لقَد جلبَت المُنتجَاتُ المِثاليَّة مُكافَآتٍ استِثنَائيَّة.

بيْدَ أنَّ الطريْقَ إلى مديْنَة الـ د.و.ب الذَهبيَّة مُحَاطٌ بالمخَاطِر. فَفِي عصْرٍ عالَمِيٍّ، يُعَدُّ إنتَاجُ رموْزٍ قابِلَةٍ للأَكْلِ مِن الهَويَّة المحَليَّة صعْبًا ومُرْبِكًا.

------------

\*د.و.ب: هو اسم منطقة جغرافية أو منطقة معينة، معترف بها بموجب قواعد رسمية لإنتاج أطعمة معينة ذات خصائص فريدة لها صلة بالموقع.

\*الخل البلسمي: هو خل داكن للغاية ومركز، ذو نكهة قوية، مصدره إيطاليا. يصنع بشكل كامل أو جزئي من عصير العنب الأبيض المطبوخ.

\*سان دانييلي: بلدة في مقاطعة أوديني في المنطقة الإيطالية فريولي فينيتسيا جوليا، وتقع على بعد حوالي 80 كم شمال غرب تريست وحوالي 20 كم شمال غرب أوديني.

\*جبنة غورغونزولا: هي إحدى أقدم الأنواع الإيطالية للجبنة الزرقاء. اكتسبت اسمها من غورغونزولا إحدى ضواحي مدينة ميلان. تصنع من الحليب البقري أو حليب الماعز كامل الدسم وتخمر من 3-4 أشهر لإعطائها الملمس المطلوب.

305 في يوليو عَام 2001، استضافَت "جَنَوَة" مُؤتمَر مجموْعَة الثمَانِيَة، فكَان وصوْلُ جورج بوش وتوني بلير والقادَة الآخَريْنَ لِأَقوَى دوَلِ العَالمِ اقتِصَاديًا، يُعَدُّ فُرصَةً للمَديْنة كَي تَخْتَالَ أمَام العَالَم- وذلك يعْنِي بوضوْحٍ التبَاهِي بطعَامِها. تمَّ تشكيْلُ كِبَار طُهَاة إقليْمِ ليغوريا السِتَّة عشَر، الحَائزيْن على نجْمَة مِيشلَان ضمْنَ فِرَقٍ مِن أربَعَةِ أشْخَاص لإعدَادِ غدَاءَيْنِ وعشاءَيْنِ لكِبَار الشخصِيَّات الحَاضِرَة. قبْلَ شهْرٍ مِن انعِقَاد المؤتمَر، تمَّ إرسَالُ قوَائمِ الطعَامِ إلى وزَارَةِ الخارجيَّة الإيطاليَّة للموَافقَة عليْهَا، فتَمَّ إلغَاءُ طبقَيْنِ مِن اللَّائِحَة، الأوَّلُ هوَ الأَرانَب، مِن الوَاضحِ أنَّ ذَلِك يعوْدُ للاعتِقَادِ السَائدِ لدَى الشعْبِ البريطَاني والأمريكِي الشَمالي بأنَّ الأرَانِب حيوانَاتٌ منزليَّةٌ كالقِطَط والكِلَاب، مِن المُثيِر للدَهشَة أنَّ الطبَق الثَانِي الذي وقَع في شَركِ المستشَارين الدُبلوماسيِّين هوَ الطبَقُ الذِي تفتَخِر بهِ "جَنَوَة" في المقَامِ الأوَّلِ بجدَاَرة: إنَّها صَلصَة البيستو الجَنَويَّة التِي تمَّ استِبدَالهَا فِي قائِمَة الطعَامِ بـ"صَلصَة الرَيْحَان"، والفرْقُ الحَاسِمُ بيْنَ هذَا الطبَق ووَصفَة البيستو التَقليدِيَّة هوَ عدَمُ احْتِوَائهِ على الثوْم.

بالنسبَةِ لكثيْرٍ مِن النَاس، فإنَّ إخرَاجَ الثوْمِ مِن البيستو قَد قدَّمَ تشبيْهاً جاهِزاً للطريْقَة التِي تمَّ بهَا تَعقِيْمُ المديْنَة صِحيَّاً استِعدَاداً لقِمَّةِ مجموْعَةِ الثمَانِية: فقَد كانَت هُناكَ نِطاقَاتُ عَزلٍ صَارِمَة، وتمَّ توجيْهُ السكَّان لِإزالَةِ الغسيْلِ مِن الحِبَال المُمتدَّة عبْرَ شوارِعهَا الضيِّقَة. أمَّا سبَبُ إصَدارِ الأمْرِ بتَبديْلِ الطبَقِ إلى "صَلصَة الرَيْحَان" فهوَ غيْرُ وَاضِحٍ تمَامًا، لعلَّهُ يعوْدُ لرَائِحَة الثوْمِ النفَّاذَة التِي لَن تُشَجِّع المفوَّضِين على التقارُبِ مِن بعْضِهم، وربَّما لكوْنِ اليابَانيِّين لَا يجدوْنَ الثوْمَ مُستسَاغًا على نحْوٍ خَاص، ولَكِن وفْقَ المنَاخِ السِيَاسي بذَلِك الوَقْت، سُرعَان مَا اكتسَب أحَدُ التَفسيْرَات صَوْتَ اليَقِيْن: لقَد رفَضَ "سيلفيو بيرلسكوني" رمْزَ مَطبَخِ المديْنَة. إنَّ مِغنَاطيْسَ الصَحَافَة، ومِن بعدِهَا رئيْسُ الوزرَاء الإيطَالي، مشهوْرٌ بكُرهِهِ للثوْمِ والبصَل. أمَّا المُتظاهرونَ المُناهضِونَ للعوْلمَة والذيْنَ تمتَّعوا بحِسٍّ قويٍّ مِن الفَخْرِ المحَليِّ، فلَم يَملكُوْا أدْنَى شَكٍّ بذَلِك، فجهَّزوْا أنفُسَهم برؤوْسِ الثوْمِ ليَقذِفوْهَا على "بيرلسكوني" خلَال المُؤتمَر.

بشَكلٍ مأسَاويٍّ، أصْبحَ العنْفُ في الشوَارعِ أثْنَاء قِمَّة الثمَانِيَة فِي "جَنَوَة" أكثَر جَديَّة؛ ففي العشريْنَ مِن يوليو وبسَاحَة اليموندا، قُتِلَ صبِيٌّ محَليٌّ يبلُغ مِن العُمرِ 23 عامًا بإطلَاقِ نَارٍ مِن مُسدَّسِ أحَدِ قوَّاتِ الشُرطَة الوطَنِيَّة عُمرهُ عشرونَ عامًا فقَط، في وقْتٍ لَاحقٍ تمَّت تَبرِئَة الشُرطِي مِن ارتِكَابهِ أيَّ انتِهاكَات. داهمَت الشُرطَة في الليلَةِ التَالِيَة مدرسةً، حيْثُ ينَامُ المزيْدُ مِن النَاشطِين المُناهضِينَ للعوْلمَة، وكنَتيْجَةٍ لِمَا جرَى في تلْكَ المدْرسَة، فهُناكَ 28 مِن أفرَادِ الشُرطَة والطَاقَم الطِبِّي قيْدَ المُحاكمَة حاليًا، تتضَمَّنُ التُهَمُ ادِّعاءَاتٍ بأنَّهم استَخدموا الضرْبَ المُبرِح، ورفَضوا تقديْمَ المُساعدَة الطبيَّة للضَحَايا (الذيْنَ كُسِرَت أطرَافُ بعْضٍ مِنهُم)، وأنَّهم تبوَّلوا على أولَئِك الذيْنَ اعتقَلوْهُم،306 وأنْشَدوا الأغَانِي الفَاشِيَّة، ووضَعوْا أدِلَّةً زَائِفَةً على شكْلِ اثنيْنِ مِن الزجُاجَات الحاَرِقَة (المولوتوف). اعترفَ أحَدُ المُتَّهَمِين بإحْضَارهِ زُجاجَةً حَارِقَةً إلى المدْرسَة.

----------- \*مجموعة الثمانية: تشير إلى مجموعة الدول الثمانية الصناعية الكبرى- فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، بريطانيا، اليابان، الولايات المتحدة وكندا وروسيا- والتي نعقد مؤتمرًا سنويًا لتشجيع الإجماع على القضايا العالمية مثل النمو الاقتصادي وإدارة الأزمات، الأمن العالمي، الطاقة والإرهاب.

\*نجمة ميشلان: هي علامة مميزة تدل على جودة الطعام ومدى رقي المطعم، والمطاعم في جميع أنحاء العالم ترحب بفخر بوضع نجمة ميشلان.

ومِن شبْهِ المؤكَّد أنَّ أولَئِك الذيْنَ يُحاكَموْن سيَنكروْنَ غالبًا التُهَم الأُخرَى، وكمَا علَّق الأديْبُ السَاخِر المُشَاكِس "بيبي غريللو" بمرَارةٍ بذَاك الوَقْت: "بعْدَ مؤتَمَر الثمَانِيَة، لَم تَعُد جَنَوَة هِي نفْسُها تارَةً أُخْرَى، وصَلصَة البيستو الجنوية أصْبحَت الآنَ تعْنِي شيْئًا مُخْتلفًا".

لعَلَّ "بيبي غريللو" هوَ أكثَرُ شَخصٍ جَنَوِيٍّ مَشهوْرٍ على قيْدِ الحيَاة، ولديْهِ بشَكلٍ خَاص طَبِيْعَةٌ إيطَاليَّةٌ مَشهوْرَةٌ عَالمِيَّاً. حُظر مِن المنظوْمَة التِلفَازيَّة الموالِيَة الخَانِقَة الإيطاليَّة لعِدَّة سنوَات، فقَد قامَ "غريللو" المُلتَحِي بجَولةٍ مسرحيَّةٍ بِلَا كَلَلٍ، ويُديْرُ الآنَ أحد أكثَر موَاقِع المُدوَّنَاتِ على الانْتِرنِت شُهرَةً فِي العَالَم. لقد جعَلت مجَلَّةُ التايم مِن "غريللو" أحَد "أبطَالِهَا الأُوروبيِّين" عَام 2005، ودَعَتْهُ بـ"ذَلِكَ المُهرِّج مِن الصِنْفِ النَادِر الذِي يُدْرِكُ مَا يَحْتَاجُ إلى مَعْرِفَتِه". فِي الصيْفِ الذِي تلَا مأسَاةَ مجموْعَةِ الثمَانِيَة، تغيَّر معْنَى صَلصَة البيستو مرَّةً أُخرَى، وقامَ "غريللو" بتدَخُّلٍ بَارِزٍ مِن جَدِيْد.

في يوليو عَام سنة 2002، أعلَن رئيْسُ حكومَةِ إقليْمِ ليغوريا، رائِد الأعمَال بوسَائِط النَقْل "ساندرو بياسوتي"، أنَّه وعائلتَه يُقاطعوْنَ منتَجات شركَة نسْتلَه السويسريَّة متعدِّدة الجِنسيَّات. تمتَلِك نسْتلَه شَرِكَةَ باريلَا، إحْدَى أكبَر الشَرِكَات المُتَّحِدَة للغِذَاء في إيطَاليا: إنَّهم مصَنِّعو بِسكويْت مولينو بيانكو ومعكروْنَة باريلَا. إنَّ مُقاطعَة عائِلَة "بياسوتي" مَا هيَ إلَّا رَدُّ فعْلٍ على إعلَامهِم بأنَّ لشَرِكَة نْستلَه-باريلَا "حقوْقَ مُلكيَّة" لنوعَيْنِ مِن الريْحَان في الاتِّحَاد الأُوروبِّي، وأطلَقوا عليْهِمَا اسْمَ "بيستو" و "سانريمو". كان "بياسوتي" يقوْمُ ببَادِرَةٍ شعبِيَّةٍ مُذهِلَةٍ لِصَالحِ الوَصَفَات المحَليَّة الأَصِيلَة المصنوْعَة مِن مكوِّنَاتٍ محليَّةٍ أَصِيْلَة.

بعْدَ ذَلِك بفترَةٍ وجيْزَة، تمَّ إبلَاغُ الشُرطَة عَن ثمَانِي شَرِكَات، مِن بيْنِهَا نستْلَه-باريلَا، لإنتَاجِهَا صَلصَة البيستو الجَنَويَّة التِي تحتَوِي على مُكوِّنَاتٍ غيْرِ محليَّة، ولَكِن لَم يتِمَّ توجيْهُ أيَّ تُهَمٍ. في هَذهِ المرْحلَة مِن الأحدَاثِ الشَيِّقة، أَجرَى "بيبي غريللو" مُقابلَةً معَ الصَحيْفَة الرَائِدة في المديْنَة لِإلقَاءِ المِثاليَّات وتَسليْطِ الضَوْءِ على بعْضِ مُفارقَات العَوْلمَة:

*إنَّ الرْيَحان الِذي يزعموْنَ أنَّه يَنمو في مُستَنبَتَاتِنَا الزِراعيَّة يَأتيْنَا مِن فيتنام منْذُ عَامَيْن، الريْحَان مِن فيتنام والثوْمُ مِن الصين، لقَد خسرْنَا المعرَكة، وأنَا أرغَبُ بالريْحَان القَادِم من فيتنام—فبتِلكَ الطريْقَة بوسْعِ الفلَّاحيْنَ الفُقرَاء في ذَلِك الجزْءِ مِن العَالَم أَن يكسَبوا شيْئًا أيْضًا. هَذهِ هِي العوْلمَة. لَا يُمكِننَا التفكيْرُ عالميًا والتصرُّف بشَكلٍ محَليٍّ مِن خِلَالِ إنشَاءِ أَنظِمَةِ حِمَايَة.... سأكوْنُ سعيْدًا إذَا قامَ الألمَانُ بصُنع جُبنَة البَارمِيزان، أُرَاهِنُ بأنَّهم سيفعلوْنَ ذَلِك بشَكلٍ أَفضَل.* 307

وصلَت حرْبُ البيستو إلى نِهايَةٍ سِلمِيَّة، وذَلِك في قِمَّةٍ جمَعت حَاكِم الإقليْمِ "بياسوتي" ورئيْسِ شرِكَة نسْتلَه في إيطَاليا، وافقَت نسْتلَه على إعَادَة تسمِيَة ريحَانِهَا، والمُساعدَة على تمهيْدِ الطريْقِ للحصوْلِ على شهادَةِ الاتِّحَادِ الأُوروبِّي د.و.ب لكُلٍّ مِن الرَيحَان اللِّيغوري و صَلصَة البيستو الجَنَويَّة. ومِن جَانبهِم، وافَق "بياسوتي" وأصحَابُ المصَالِح الغِذائيَّة المَحليِّون على مُحاولَة مُساعدَة صَلصَة البيستو المحَليَّة الأصِيلَة لتُصبِح مُنْتجًا يُمكِن نَقلُه حوْلَ العَالَم، عَن طريْقِ السمَاحِ بتعديْلَاتٍ طفيْفَة على طريْقَةِ تَحضيْرِه مِن شَأنِهَا الحِفَاظُ عليْهِ بشَكلٍ أفضْلَ، وأعلَن "بياسوتي" أنَّ بمَقدوْرِ البيستو الآنَ أنْ يَغْدوَ "سفِيرًا لإقليْمِ ليغوريا".

بدَا أنَّ ذَلِك قَد نجَح، فَفِي عَام 2004 أَوضَح خبيْرٌ بأسلوْبِ الحيَاةِ الأمريكيَّة أنَّ معكروْنَة التروفيا معَ صَلصَة البيستو هِيَ معكروْنَة سِيَاتل المُفضَّلة فِي اللَّحظَة الرَاهِنة (هِيَ المعكروْنَة الطازجَة المُجدَّلَة باليَد). لقَد حصَل الريْحَان اللِّيغوري على مَنْزِلَةِ د.و.ب الثَمِيْنَة فِي أكتُوبَر من ذَاتِ العَام، ولَاتزَالُ صَلصَة البيستو بانتِظَار الحصوْلِ على الشهَادَة.

ولَكِن بعْدَ مروْرِ أقَلَّ مِن شَهر ظهَر تهديْدٌ جَديْد، فقَد قامَ العُلمَاء بحَملَاتٍ لدَعْمِ استِخدَام المُتعَضِّيات الحيَّة المُعدَّلة وِرَاثيًا في الزِراعَة، مُستَشهديْنَ بأَبحَاثٍ تقتَرِحُ أنَّ نباتَاتِ الريْحَان التي يَقِلُّ طوْلهَا عَن أَربَعِ إِنشَاتٍ تحتَوِي على مادَّةٍ مُسَرطِنَة، هِي الميتيل إيجينول، فأسْرعَت وسَائِلُ الإعلَامِ بالتَوَصُّلِ إلى أكثَر استِنتَاجٍ مُمكنٍ مثيْرٍ للقَلَق: صَلصَة البِيستو تُسبِّبُ السَرطَان. فانضَمَّ السِياسيُّونَ المُناصِروْنَ للبِيْئَة، والمُنظَّمات الفلَّاحِية وغيْرَهُم مِن قِوَى الضَغْطِ إلى النِزَاع الحَتْمِي.

وكمَا هوَ الحَالُ بكثيْرٍ مِن الأحيَان، كانَ العُلمَاء أقلَّ لفتًا للنظَر مِن معركَة مُقتطفَات اللِّقاءَات والمُقابلَات التِلفَازيَّة، وبدَا أنَّ بعْضَ نباتَاتِ الريْحَان الفَتيَّة تَحتَوي بالفِعْل على الميتيل إيجينول- فهِيَ بحاجَة لهَا لتَحمِي نفْسَها مِن الحشَرَات. وهِي موجودَةٌ أيْضًا في الزَنجَبيل وجوْزَة الطِيْب، بيْدَ أنَّ الريْحَان يتِمُّ حصَادَه بعْدَ زوَالِ الميتيل إيجينول. وعلى أيِّ حَال فإنَّ التأثيْرَات المُسبِّبة للسَرطَان لَم تُسجَّل إلَّا عنْدَ الحيوانَات لِغايَة الآَن، وذلِكَ بعْدَ تعريْضِهَا لجُرعَاتٍ كبيْرةٍ جدًا مِنْه. لقَد صرَّح أخِصَّائي أوْرَام مُهِمٍّ في إيطَاليا بأنَّه قَد أحبَّ صَلصَة البيستو، وسيشْعُر بالسعَادة بتنَاولِهَا حتَّى وإِن تمَّ إعدادُها مِن الأوْرَاق الفتيَّة، إلَّا أنَّ أيًا مِن هذَا لَم يُوقِف نظريَّات التَآمُر عَن الانتِشَار. هَل كانَت صِناعَة الأَطعِمَة المُعدَّلة وراثيًا ورَاء هَذِه القِصَّة المُخيْفَة؟ أَم أنَّها تَخدِم مصَالِح مُنتجِي الريْحَان الصَقليِّين، الذيْنَ يَملِكوْنَ نباتَاتٍ أطْوَل؟ أو لعَلَّ جماعَاتِ الضَغطِ لصَالِح البيستو قَد أخْفَت الحَقيْقَة العِلميَّة؟ لَا يَبْدو مِن الوَاضِح إِن كانَ كلُّ هذَا الارتِبَاك قَد أَضرَّ بمَبِيعَات صَلصَة البيستو.

شَهِد شهْرُ يونيو عَام 2006، تَأسيْسَ جمعيَّةٍ أُخرَى لحِمايَة الصَلصَة الخَضرَاء الشهيَّة، وتُدعَى "حديْقَة ريْحاَن سَهْلِ برا". يُصِرُ العديْدُ مِن أَبنَاء جَنَوَة على أنَّ الريْحَان المُعدَّ مِن أجْلِ صَلصَة البيستو يجِبُ أَن يتِمَّ إحضَارُه مِن مَنْطِقَةِ "برا" حصْرًا، ذَلِك السَهْل الصَغيْر إلى الغَربِ تمامًا مِن "جَنَوَة". إنَّ مُعظَم الريْحَان اللِّيغوري الحَاصِل على شهادَة د.و.ب يَنمُو في المُستَنبتَات الزِراعيَّة في سَهْلِ "برا". لقَد كانَ هدَفُ جمعيَّة حديْقَة الريْحَان تعزيْزُ المَحصولِ المحَلِّي، والدِفَاع عَن مصَالِح مُنتِجيه، وحمْلِ النَاسِ بشَكلٍ عَامٍ على تنَاولِ المزيْدِ من صَلصَة البيستو الأَصِيْلَة، إنَّهم أُنَاسٌ قَد استَثمَروا

-------------

\*سياتل: هي أكبر مدن شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية المطلة على المحيط الهادي، فهي مدينة مهمة في غرب أمريكا بالنسبة إلى التجارة مع الدول الأسيوية بالذات. تقع سياتل في ولاية واشنطن.

308 سنوَاتٍ من حيَاتهِم والكثيْرَ مِن المَالِ للتوَصُّل إلى أَكثَر ريْحَانٍ عَبِقٍ مُمْكِن، لكنَّ عمَلهُم توقَّف فَجأَةً منْذُ البِدايَة: فبعْدَ شهرَيْنِ على تَأسيْسِ جمعيَّة حديْقَة الريْحَان، وَلَّدَت حرارَةُ صيْفٍ غيْرِ مُعتَادَةٍ عاصِفَةً فَظِيْعَة، فحطَّمَت حبَّاتُ بَرَدٍ بحَجْمِ كُرَةِ الغوْلفِ المُستنبتَتات الزِرَاعيَّة بسَهْلِ "برا". لقد دمَّرت العَاصِفَةُ 80 بالمِئَة مِن مَحْصولِ الريْحَان. وصرَّحَت وسَائِل الإعلَامِ العالميَّة بأنَّ صَلصَة البيستو قَد توقَّفَ صُنعَها، والمُتسبِّب بذَلِك هوَ الاحتِبَاس الحرَارِي.

معَ الصَنوْبَر أو الجَوْز، الثُوْم أو دوْنَه، أكانَ الريحَان فيتنَامِيًّا أَم جَنَوِيًا، محَاصيْلُ طبيعِيَّة أو مُعدَّلة وِرَاثيًا. في إيطَاليا اليَوْم، فإنَّ مَسألَة مَا يُعَدُّ طبَقاً أصيْلًا لَه تَأثيْرٌ إيجَابِيٌّ على كُلٍّ مِن السِياسَة المحليَّة والأعمَالِ التِجاريَّة العَالميَّة. في وقْتِ كِتابَةِ هذَا المُؤلَّف، لَا تزَالُ صَلصَة البيستو الجَنَويَّة تنتَظِرُ بشَكلٍ مُتفَائلٍ موَافقَة لـ د.و.ب و آي.ج.ب.

إنَّ صَلصَة البيستو ليْسَت إلَّا طعامًا واحِدًا مِن بيْنِ العَديْد، والتِي تُظهِر كيفِيَّة تمَتُّعِ الإيطالييِّن اليوْمَ بذَات النَوعِ مِن الامتِيازَات، ويُواجِهوْنَ ذاتَ المُعضلَات السِياسيَّة التِي لَم يعرِفهَا سِوَى سُكَّان المدُن الإيطاليَّة في المَاِضي. ففِي يوْمٍ مَا، كانَ الفلَّاحوْنَ، وإِن بدَا ذَلِك بشَكلٍ تَشبِيهِيٍّ على الأقَل، مُحتَجَزيْنَ خَارِج الأَسْوَار. فِي الحَقيْقَة، فإنَّ إيطَاليا إلى جَانِب العَالَم الغَنِي الذِي تُبَاعُ فيْهِ المُنتجَات الإيطَاليَّة الحَاصِلَة على شهادَة د.و.ب أو آي.ج.ب ؛ تَنتَمِي الآنَ إلى المَديْنَة العَالميَّة الشَاسِعَة، ولَكِن لَا حاجَة للنظَر ورَاء الحدوْدِ الإيطاليَّة لرؤيَة النُظرَاء المُعاصِريْن للفلَّاحِيْن المُستَبعَديْنَ منْذُ القِدَم. فِي الوَاقِع، إنَّ كلَّ ما يتطَلَّبهُ الأمْرُ هو النظَرُ للأسْفَل قليْلًا في قَائِمة الطعَام، ونطْلبُ السبَاغيتِي معَ صَلصَة الطمَاطِم بدلًا مِن معكروْنَة التروفيا معَ صَلصَة البيستو.

إنَّ "بوليا" هي كَعْبُ الحِذَاء الإيطَالِي، تلْكَ المَنطِقَة الوَاقِعَة في الجِهَة المُقابِلَة لإقليْمِ ليغوريا، حيْثُ تُزرَع الطمَاطِم قرْبَ "بوليا" بمَديْنَة "فوجيا"، لتذْهَب إلى مصَانعِ نابولي، كاسيرتا، وساليرنو لكَي تُعَلَّب أو يُصْنَع منْهَا باساتا (هَريْس البنَدوْرة المُصفَّى)، ومَعجوْن بنَدوْرَة. وتُبَاع في أَسوَاق روما وميلَان لصُنْعِ الصَلصَات والسَلطَات. خِلَال ذَاتِ الصيْفِ الذِي عانَى فيْهِ ريحَانُ سَهلِ "برا" مِن تأثِيْرِ المُستَنبَت الزِرَاعي .

------------

\*بوليا: هي منطقة في جنوب شرق إيطاليا مطلة على البحر الأدرياتيكي في الشرق و البحر الأيوني إلى الجنوب الشرقي و مضيق أوترانتو و خليج تارانتو في الجنوب. جزءها الجنوبي يعرف باسم سالنتو و هو شبه جزيرة تشكل كعب "الجزمة" الإيطالية.

\*كاسيرتا: مدينة جنوب إيطاليا في إقليم كامبانيا ، مركز زراعي وصناعي وتجاري مهم، الكثير من ضواحيها بنيت إبان الحكم الفاشي .تشتهر بقصرها الملكي الذي كان مخصصا لملك نابولي وكان أكبر قصور أوروبا في القرن الثامن عشر.

\*ساليرنو: مدينة إيطالية، عاصمة مقاطعة ساليرنو جنوبي البلاد، وهي ثاني مدن إقليم كامبانيا سكاناً، حيث يبلغ عدد قاطنيها 140.580 ساكناً.

309 كشَفت صَحِفيةٌ سريَّةٌ شُجاعَةٌ ظروْفَ آلَافِ المُهاجريْنَ الذيْنَ يقطِفوْنَ هَذهِ الطمَاطِم الثَميْنَة، إِذ كانَ رجَالٌ ونِساءٌ من رومانيا، بلغاريا، أوغندا وأريتريا، يمضون أربعَة عشَر ساعَةً مِن العمَل يَومِيًا لقَاء عشرِيْن أو خَمْسٍ وعشرِيْنَ دولَارًا. لقد كابَدوا الحرارَة الخَانِقَة، والإيْذَاءَ العنصُرِي، والانضِبَاط الذِي يُدَارُ بالقبَضَات والقُضبَان الحَديدِيَّة. لقَد توجَّب على هؤلَاءِ البُؤسَاءِ طلَبُ الإذْنِ ليتَكلَّموا، وتعرَّضوا للاغتِصَاب وحتَّى للقَتْل. كانَ بعْضُ رُؤوسَاء العُمَّال على صِلَةٍ بالجريْمَة المُنظَّمة، فقَاموْا باستِغلَالهِم أكثَر عبْرَ فرْضِ غرَامَاتٍ على التَأخِير، وتقَاضوا مبَالِغ ماليَّةٍ باهِظَةٍ لقَاء مِيَاهٍ غيْرِ صالِحَةٍ للشُرب، وطعَامٍ لَا يُؤكَل، ونَقْلٍ غيْرِ آمِن، ومكَانِ مَبيْتٍ لَا يَصْلُح سَكنًا للبَشَر دوْنَ أيِّ مَاءٍ أو كهْربَاء، وعنْدمَا يحيْنُ الوقْتُ أخيْرًا لدَفعِ أُجوْرِ العُمَّال، يقوْمُ رؤسَاءُ العُمَّال غالبًا بإبْلَاغِ الشُرطَة ليَتِمَّ اعتِقَالهُم كمُهاجِريْن غيْرَ شَرعيِّين.

تتوَاجَدُ المُنظَّمةُ الإنسانِيَّة الدوَليَّة (أطبَّاء بِلَا حُدوْد) لتَقديْمِ الإغَاثَة الطبيِّة في المنَاطِق المنكوْبَة بالمجَاعَة، الكَوارِث، والحَرْب. وفِي عَام 2005 و2006، أدَارَت مُستوصفَاتٍ طبيَّةً لعُمَّال المزَارِع المَوسميَّة في بوليا، صقلية، وكالابريا، فوجَدوا "اضطِرابَاتٍ هَضمِيَّةً، وأمْراضًا جِلديَّة وتنفسيَّة وأمراضًا بالجهَاز العضَلي الهَيكَلي"، وجميْعُهَا مُرتَبِطٌ بظروْفِ المَعيْشَة والعمَل القَاسِيَة. إنَّها ذَاتُ الحقوْلِ التِي عانَى فيْهَا قبْلَ جِيلَين أو ثلَاثَة، عُمَّال الأُجْرَة اليَومِيَّة الإيطَاليُّون ذَوو المَظهَر المُتقَزِّم؛ مِن الملَاريا ووحشِيَّة الشُرطَة ليَعمَلوا لقَاء أُجوْرٍ لَا تُسمِن ولَا تُغنِي مِن جُوْع. فِي التقريْرِ الذِي قدَّمتْهُ مُنظَّمة أطبَاء بِلَا حُدوْد، أَطْلقَت على المُزَارِع في الجَنوْبِ الإيطَالِي ثِمَارَ النِفَاق، كانَ بمَقدوْرِهَا تَسمِيتَهُم أيْضًا بثمَارِ النِسيَان. بعْدَ أَلفِ عَام، لَاتزَالُ حضَارَة المَائِدَة الإيطَاليَّة تُلقِي بظِلَالِهَا على البُؤسِ الإنسَانِي. 310

**20**

**مَدِيْنَةُ تورينو عَام 2006**

**--------------------------------------**

**إنْقَاذُ الفَلَّاحِيْن!**

إنَّهُ اليَوْمُ 26 مِن شَهْرِ أكتوبَر عَامَ 2006، اجْتَمَعَ فِيْهِ 4803 شَخْصًا مِن كَافَّةِ أَرْجَاءِ المَعْمورَة، وَجَميعُهم مِنَ الفَلَّاحِيْنَ وصَيَّادِي الأسْمَاكِ وحِرَفِيِّي التَغْذِيَةِ، لحُضُوْرِ مُؤتَمَر "تيرا مادري" الذِي عَقَدَتْهُ مُنظَّمَةُ "سلو فوود" فِي مُنشَأةٍ ضَخْمَةٍ مَبنِيَّةٍ مِنَ الفوْلَاذِ والزُجَاج تمَّ تَشْيِيدهُ لأَجْلِ الأَلعَابِ الأُولمبِيَّة الشَتَوِيَّةِ فِي مَديْنَةِ "تورينو". بدَأَ وجُوْدُ مُنظَّمَةِ "سلو فوود" عَام 1986 فِي مُجْتَمَعٍ مِن ذَوَّاقَةِ طَعَامٍ يَسَارِيِّيْنَ شَعروْا بالغَضَبِ مِن وصُوْلِ مَطْعَم مَاكدونَالدِز للهَمبِرغَر إلى السَاحَةِ التَاريخِيَّة بروما بيازا دي سبانا (لَا تَزَالُ روْحُ مَشْهَدِ المَعكروْنَة للمُمَثِّل ألبرتو سوردي فِيْهَا حَاضِرَةً بِقوَّة). أمَّا اليَوْم وبَعْدَ مروْرِ عِشْرينَ عَامًا، تُعَدُّ مُنظَّمَةُ "سلو فوود" بمَثَابَةِ القَلبِ الدِينَامِيكِي لحَضَارَةِ المَائِدَةِ الإيْطَاليَّة. يقَعُ مقَرُها فِي مَديْنَةِ "برا" بإقلِيْمِ "بييمونتي"، وقَد تطَوَّرَت إلى مَا يَسْمُو لغَايَةٍ إيطَاليَّةٍ مُمَيَّزَةٍ للطَعَامِ الجَيِّدِ لأَجْلِ إنْقَاذِ العَالَم. و "تيرا مادري" تَعْنِي "الأَرْضُ الأُم". وتُطْلِقُ الصَحَافَةُ عليْهَا اسم "الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ للفَلَّاحِيْن". ولَكِن يُوجَدُ إحْسَاسٌ بالمَسؤوْليَّة هُنَا أَكْثَرَ ممَّا يُوْحِي بِهِ العُنْوَانُ الرَافِضُ للقِيَمِ التَقْليدِيَّةِ أَو يَفُوْقُ مَا حَشَدَتْهُ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ على الإطْلَاق. إنَّ هَدَفَ "تيرا مادري" الصَريْح هوَ الإطَاحَةُ باقْتِصَادِ السُوْقِ العَالَمِي، وهذَا وِفْقاً لِمَا أكَّد نُشَطَاءُ مُنظَّمةِ "سلو فوود" عِبارَة عَن ثَوْرَة.

وبِرَغْمِ ذَلِكَ، فَهِيَ مَليْئةٌ بالتَنَاقُضَاتِ أَكْثَرَ مِن أَيِّ ثَوْرَةٍ قَد قَامَت حتَّى الآن، فلَقَد تمَّت رِعَايَةُ مُنَظَّمَةِ "تيرا مادري" مِن قِبَلِ شَرِكَة "لوفتهانزا" للطَيَرَان، وشَرِكَةُ بادجيت لتَأجِيْرِ السَيَّارَات، وكُلُّ مِقْعَدٍ مِنَ الحُكوْمَةِ المَحَليَّةِ لإقْليمِ "بيدمونت"، ومَع اقْتِرَابِ حَفْلِ الافْتِتَاح يُصوِّرُ طاقَمُ التَصويْرِ لقَطَاتٍ لفِيْلمٍ رِوَائِيٍّ طويْلٍ حوْلَ الحَدَث مِن قِبَل أحَدِ كِبَار المُخرجِيْن في إيطاليا. إنَّ المَشْهدَ الذِي يقَوموْنَ بتَوثيقِه لَه طَابِعُ مَنْطِقَةِ المُغَادَرَةِ في المَطَارِ الدُوَلِي،311 باسْتِثنَاءِ أَنَّ النَاسَ على مَا يَبْدو بانْتِظَارِ رُكوْبَ الجَرَّارَات الزِرَاعيَّة وقَوَارِبَ الصَيْدِ والحَمِيْر فَضْلًا عَن طَائِرَات البوينغ 747 ومَرْوَحِيَّات الهِيلوكوبتير.

--------- \*منظمة سلو فوود: هي منظمة تروج للأطعمة المحلية والطبخ التقليدي. أسسها كارلو بيتريني في إيطاليا عام 1986 وانتشرت منذ ذلك الحين في جميع أنحاء العالم. تم الترويج لها كبديل للوجبات السريعة، وهي تسعى للحفاظ على المأكولات التقليدية والإقليمية وتشجع على زراعة النباتات والبذور والثروة الحيوانية المميزة للنظام البيئي المحلي. \*لوفتهانزا الألمانية ش.م.م.: تعرف عادة باسم لوفتهانزا هي أكبر شركة طيران ألمانية، وعند دمجها مع الشركات التابعة لها تكون أكبر شركة طيران في أوروبا من حيث عدد المسافرين وحجم أسطول الطائرات. \*شَرِكَة بادجيت لتَأجِيْرِ السَيَّارَات: هي شركة أمريكية لتأجير السيارات تأسست عام 1958 في لوس أنجلوس، كاليفورنيا على يد موريس ميركين. يقع المقر الرئيسي لعمليات بادجيت في بارسيباني، نيو جيرسي.

إنَّ روَّاد أعْمَال مجَال الأَطعِمَة اللَّندنيِّين الأَذْكِيَاء والسِيَاسيِّين الإيْطَاليِّين شَدِيدِي الأَنَاقَةِ اخْتَلَطوْا معَ رُعَاة اللَّاما في جبَالِ الأَندِيْز، النَحَّالِيْنَ الأَرْمَن الأكثَر أَهميَّة، أَصْحَاب مَصَانِع الجِعَة البَلجِيكِيِّين، مُزَارِعِي القْرِيدِس مِن جافا، ومُزَارِعِي الفَاصوْليَاء مِن جِبَالِ قرغيزستان. سيَغدو مُؤتمَر "تيرا مادري" أَكْثَرَ تَنَوُّعًا إلى حَدٍّ كَبيْرٍ، لَو أنَّ جميْعَ الشَخصِيَّات فِي تَاريْخِ الطَعَامِ الإيْطَالِي كانَت تتَجوَّلُ هُناكَ أيْضًا، لَو كانَ بإمْكَانِ المَرْءِ رُؤيَةَ تَاجِرِ توَابِل مِنَ العُصوْرِ الوسْطَى يَتَحَدَّثُ معَ سَجِيْنٍ مِنَ الحَرْبِ العَالميَّةِ الأُوْلَى، أَو الطَاهِي الخَاص بالبَابَا يتبادَلُ وجْهَاتِ النظَر ِمعَ أحَدِ مُشَرَّدِي نابولي، أَو بَاحِثٍ إنْسَانِيٍّ يَسْتَمِعُ باهْتِمَامٍ إلى مُهَاجِرٍ رَثِّ الثِيَابِ عَابِرٍ للأَطْلَسِي.

تجَمَّعَ المَندوبوْنَ تدريْجيًّا على مِنَصَّةٍ وَاسِعَةٍ مثْلَ مَلعَبٍ لكُرَةِ القدَمِ أَسفَل شَاشتَيْنِ عِملَاقتَيْنِ مُؤطَّرتيْنِ بلَافِتَاتٍ اصْطَبَغَت بأَلوَانِ صَفْرَاء مُحْمَرَّة وقُرمُزيَّة تَحمِلُ شِعَارَ "تيرا مادري"، ويَجْلِسُ أَمَامَهُم مِن بيْنِ مِئَات الضيُوْفِ الحَاضِريْنَ والمَندوْبِين الآخَريْن، العشَرَاتُ مِن الشَخصِيَّات البَارِزَة بمَا في ذَلِكَ رَئيْسُ الدَولَةِ الإيْطَاليَّة، رَئيْسُ الجُمهوْريَّة.

قَامَت جَوْقَةٌ مِنَ السَيِّدَاتِ العَجَائِزِ بافْتِتَاحِ أعمَال المؤتمَر مُرْتَدِياتٍ مِريَلَاتٍ مُزَهَّرَةٍ زَرْقَاءَ وبنَاطِيْلَ ضَيِّقَةٍ حَمْرَاءَ وقُبَّعَاتٍ قِشِيَّةٍ عَرِيْضَةِ الحَوَاف. إنَّ زيَّهُم الغَريْبَ جَلِيٌّ بالنِسْبَةِ لأَيِّ شَخْصٍ إيْطَاليٍّ شَمَالِيٍّ تَعوْدُ ذَاكِرَتُه إلى مَا قَبْلَ المُعْجِزَةِ الاقْتِصَاديَّة. إنَّهُنَّ قَاطِفَاتُ الأعشَابِ الضَارَّة مِن حُقوْلِ الأَرُز. خلال شَهْرِ مايو مِن كُلِّ عَام، وإلى الوَقْتِ الذِي جعَلَت فيْهِ مُبيْدَاتُ الأَعشَابِ بأوَائلِ السِتِّينَيات عمَلهنَّ غَيْرَ ذِي حَاجَةٍ، كانَت النِسَاء مِن أَمثَالهِنَّ يأتِيْنَ في شَاحِنَاتِ المَاشِيَةِ مِن جَمِيْعِ أَنْحَاءِ وَادِي نَهْرِ "بو" لِقَضَاءِ أَربَعِيْنَ يَوْمًا مِنَ العَمَلِ بحُقوْلِ الأَرُزِّ في مَدِينَتَي "فيرتشيلي" و"نوفارا"، فيَتَقَدَّمنَ في صفُوْفٍ مِن ثَمَانِيَة إلى اثْنَي عشَرَ امْرَأَة جَنْبًا إلى جَنْبٍ حافياتٍ في المِيَاهِ النَتِنَةِ، مُتَألِّمِاتٍ مِن لسَعَاتِ البَعُوْضِ والذُبَابِ، تتَحَسَّسُ أَصابِعَهُنَّ الأعشَابَ الضَارَّة. إنَّ الأَغَانِي التِي أَنشَدنهَا هِي ذَاتهَا التِي يُؤدَّينها بَعويْلٍ الآنَ فِي هَذِهِ السَاحَة، فيَرويْنَ فيْهَا عَن رَئِيْسِ العُمَّالِ ذي القَلبِ المُتَحَجِّرِ وأَربَابِ العَمَلِ مَغلُوْلِي الأَيْدِي، وعَن الاسْتِغلَالِ والصُموْد. كانَت رسَالتُهُن وَاضِحَة: ثَوْرَةُ مُنظَّمة "سلو فوود" لهَا جذُوْرٌ فِي مَاضِي إيطَاليَا الرِيْفِي. تنْحَدِرُ جَوْقَةُ العَجَائِزِ هَذِهِ مِن مَدِيْنَةِ "نوفي" القَريْبَةِ مِن مَدِيْنَةِ "مودينا"-في إقْلِيمٍ حَقَّقَ نجَاحًا كَبِيْرًا مِن خِلَالِ الازْدِهَارِ الحَدِيْثِ لخَلِّ بَلسَمِيك فِيْه.

بعْدَ جَوْقَةِ قَاطِفَاتِ الأعشَابِ الضارَّة بحقوْلِ الأَرُزِّ تَنْبَعِثُ موسِيقَا "إلجار. مِنَ الغَريْبِ أَنَّ النَغَمَاتِ تَعوْدُ إلى عَهْدِ الإمْبِرَاطورِيَّة البريْطَانيَّة، للَّحْنِ العَسكَريِّ (العظمَةُ وظرْفُ الحَرْبِ المَجِيْدَة) المَقطوْعَة 39 دي. أمَّا أعلَامُ الدوَلِ ال150 المشَارِكَة فقَد تمَّ حَمْلهَا بتنَاوبٍ مُتلَعثمٍ لأزيَاءَ تَقليدِيَّة، مثْلَ كَأْسِ العَالَم الزِرَاعِي. تَحْتَ رَايَاتِ السِنِغَال وكِينيَا تُوْجَدُ مَسِيْرَةُ الفَلَّاحِيْنَ الأَفَارِقَة المُنَاضِلِيْن، الذِيْنَ تمَّ نَقْلُهُم إلى "تورينو" على حِسَابِ شَرِكَة الطَيَرَان وشَرِكَة تَأجِيْرِ السَيَّارَات.

عِنْدَمَا انْتَهَى العَرْضُ الكَبِيْرُ بدَأَ السِيَاسِيُّوْنَ كرُؤسَاءِ البَلَدِيَّاتِ والوزَرَاء والمُحَافِظينَ بإلقَاءِ الخِطَابَات، وقَد أَعْلَنَ جَمِيْعُهُم الحَمَاسَ إزَاءَ ثَوْرَةِ الفَلَّاحِيْن،312 لكنَّ خِطابَهُم بقَدْرِ مَا كانَ حازِمًا بإيْجَازهِ وغُموْضِه، فإنَّه لَم يَنجُ مِن الترجمَةِ مِن الإيطَاليَّة إلى أَيٍّ مِن اللُّغَاتِ الرَسمِيَّة السَبْع. وعبْرَ القاعَةِ العَظيْمَة، شردَت الأَذهَانُ بيْنمَا راحَت الأَيْدِي تَعْبَثُ بسَمَّاعَاتِ الأُذُن، ليَتحَوَّلَ الترَقُّب إلى تمَلمُلٍ حَائِر.

----------- \*طائرة بوينغ 747: والمعروفة شعبيا باسم جمبو جت هي واحدة من أكثر الطائرات النفاثة شهرة. طارت لأول مرة رسميا في عام 1970. كانت ولأكثر من 35 عاما صاحبة الرقم القياسي من ناحية الحجم. لكن تم الاستيلاء على ذلك الرقم من قبل الإيه 380.

\*نوفارا: مدينة شمال إيطاليا، عاصمة مقاطعة نوفارا. وبعدد سكانها البالغ 102.595 نسمة تعد ثانية أكبر مدن إقليم بييمونتي بعد مدينة تورينو. تعد المدينة مفترق طرق تجارية هامة من بينها الطريق الرابط بين ميلانو وتورينو، وذلك الذي يربط جنوا بسويسرا. رمز المدينة قبة كنيسة سان غاودنسيو، التي يصل ارتفاعها إلى 122 متراً.

\*فيرتشيلي: مدينة شمال غرب إيطاليا في إقليم بييمونتي وعاصمة مقاطعة فرشيلي عدد سكانها 44.967 نسمة، من أقدم المواقع الحضرية في شمال إيطاليا، وتأسست وفقا لمعظم المؤرخين حوالي عام 600 قبل الميلاد. و تقع في وادي بو بين ميلانو وتورينو. وهي مركز هام لزراعة الأرز، حيث تحيط بها حقول الأرز، التي تغدق بالمياه في الصيف.

\*خل بلسميك: توابل مصدرها إيطاليا. يصنع خل البلسميك من عصير العنب الأبيض المطبوخ.

\*السير إدوارد ويليام إلجار: البارونيت الأول، حصل على وسام الاستحقاق، والوسام الفيكتوري الأمريكي. كان مؤلفًا موسيقيًا بريطانيًا، دخلت الكثير من أعمالهِ ضمن حفلات الموسيقى الكلاسيكية البريطانية والعالمية.

ثمَّ أخيْرًا، وعلى وَقعِ الهُتافَات العَالِيَة والتَصفِيْقِ الحَاد، يتقدَّمُ مُؤسِّس حرَكَة "سلو فوود" نحْوَ المِيكرفوْن ليَشْرَح مَا تتمَحوَرُ حوْلَه كُلٌ مِن حركَة "سلو فوود" و"تيرا مادري". أصْلعَ مَسفوْعًا بالشَمْس، معَ خدَّيْنِ غَائِرَين، لتُظهِرَه أضْوَاءُ المَسْرَحِ قَاسِي المَلَامِح، بدَا "كارلو بيتريني" بلِحيَتهِ المُشذَّبة، مُرتَدياً نظَّارتَه على طَرَف أَنفِه الطَويْل، كانَت نَظْرتُهُ قِيَادِيَّة، وتَأثيْرهَا سَاحِرٌ بلَا رَيْب، ومثْلَ جَمِيْعِ القادَةِ ذَوِي الشَخصيَّات البَرَّاقة، تحدَّث "بيتريني" بِعبَارَاتٍ مُتقَطِّعَةٍ عنَّا إِزَاءَهُم، وعَن آمَالٍ مُشرِقَةٍ مُهَدِّدَة بمَخاطِرٍ جَسِيْمَة للَّحظَاتِ الحَاسِمَة والخِيَارَات التَعويضِيَّة:

*إننَّا نُنتِجُ مِن الطعَامِ مَا يَكفِي لحوَالِي 12 مِليَار نَفْسٍ حيَّة، وهنَاك فقَط 6 مِليارَات و300 أَلفَ شَخْصٍ منَّا على الأَرْض، يُعَانِي 800 مِليوْن شَخْص سوْءَ التَغذِيَة والجُوْع، ومِليَارٍ و700 مِليوْن شَخْص يُعَانوْنَ البدَانَة، إنَّ ذَلِك ضَرْبٌ مِن الجُنوْن! مِن الحمَاقَة أَن نَستَمِرَّ بطَلبِ المَزيْدِ مِن الأَرْض، فاستِنزَافُ الموَارِد والامتِثَال للمَنْطِق القَائِل بأنَّ كلَّ الاسْتِهلَاك يجِبُ أن يَتَّصِفَ بالسُرعَةِ، الوَفْرَةِ والإِسْرَاف: إنَّ كُلَّ شَيءٍ لَه نِهَاية، أَمَّا مَا يَبعُدُ عَنِ الوضُوْحِ فَهو مدَى توَاطُئِنَا، ومِقْدَار المَسؤولِيَّة الوَاقِعَة على كَاهِلنَا كمُستَهلكيْن فَردِيِّيْن فِي هذَا العَالمَ الذِي يَزعُم أنَّه مُتقَدِّم... نحْنُ شُركَاءٌ بالجَريْمَة، إنَّنا مُتوَرِّطوْن، ولِذَلِك أنْتُم يا فلَّاحي العَالَمِ المُتَقدِّم المَزعوْم، عليْكُم أَن تُبَيِّنوا لنَا الطَريْقَ نحْوَ الاقتِصَاد الذِي بوِسْعِه جَعْلَ الاستِهلَاكِ والزِراعَة وَافِرَيْنِ مرَّةً أُخْرَى...*

*أَنْتُم أيُّهَا المَندوبوْنَ الأَمريكِيُّونَ مِن وِلَاية كاليفورنيا الخَضْرَاء، تَقوموْنَ بِبنَاء الاقتِصَاد المَحلِّي عَن طريْقِ إقامَة أَسوَاقِ المُزَارعِين\* وتُقَاربوْنَ بيْنَ المُستَهلكِين والمُنتِجيْن. أَمَّا أَنْتُم يا فلَّاحي الهِنْد، فتُنشِؤوْنَ اقتِصادًا محَليًا مِن خِلَال الهَيمنَة* *مُتعَدِّدة الجِنسيَّات على أَنوَاعِ البُذوْر... لقَد اختارت إيطَاليا بحَدِّ ذَاتِهَا*313 *دَعْمِ المُنتاجَات المِثَاليَّة، لقَد اختَارَت دَعمَها كجُزءٍ مِن نِظَامٍ يُعزِّز أيْضًا النَسيْجَ القَوِيَّ للهويَّاتِ المَحليَّة التِي تَجذِبُ السُيَّاح إلى بلَدِنَا الجَمِيل. ومِن خِلَال القِيَام بهَذهِ الأشْيَاء سوَاء بوَعيٍ أو دوْنَ ذَلِك، فإنَّ إيطَاليا تعْمَل على إنعَاشِ الاقتِصَاد المَحلِّي. إنَّ الاقتِصَاد المَحلِّي قَوِيٌّ لدرجَةِ أنَّ اقتِصَاد السُوْق يَأتِي ليَنْسخَ الأفْكَار الجَيِّدة مِن مُنتجَاتِنَا المِثاليَّة، مُحاوِلًا حتَّى أَن يَأخُذهَا بعيْدًا عنَّا.*

*-----------*  \*تيرا مادري: هي شبكة مجتمعات غذائية، تم إطلاقها من منظمة سلو فوود، والهدف منها هو توفير مزارعين، مربين، صيادي أسماك وحرفي طعام، الذين يتبعون نهجًا بإنتاج الطعام يحمي البيئة والمجتمعات.

\*أسواق المزارعين: هي سوق للمواد الغذائية يقوم فيها المزارعون المحليون ببيع الفاكهة والخضروات وغالبًا اللحم، الجبن، مباشرة إلى المستهلكين.

*عليْنَا امْتِلَاكُ القوَّة لإعَادَةِ هذَا الاقتِصَاد إلى الفلَّاحِين، لأنَّ الطعَام يجِبُ أَن يكوْنَ جيِّدًا، نَقِيَّاً ومُنصِفًا.*

*فهوَ جيِّدٌ، جيِّدٌ بِلَا رَيْبٍ: مَن قالَ إننا محكوْمٌ عليْنَا بتنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ سَيِّء؟... عادةً مَا امتلكَت ذاكِرَةُ فَنِّ تذَوُّقِ الطعَامِ وطَهْيِه الإيطَاليَّة اسْمًا: الجُوْع.*

*ولَكِن حتَّى معَ ذَلِك، فقَد قامَت حِكمَةُ أعدَادٍ لَا حصْرَ لهَا مِن النِسَاء بتَشكِيل تلْكَ الذَاكِرة. ومعَ اقتِصَاد الكفَاف، ابتكرَت هَؤلَاءِ النِسَاء تُحَفًا مِن الطعَامِ بدَت بسيْطَةً، غيْرَ أنَّها جيِّدَة.*

*ونقِيَّاً: لأنَّه لَا يُمكِن إنتَاجُ الطعَامِ عبْرَ استِنزَاف الأَنظِمَة البِيئِيَّة، وتدميْرِ البِيئةَ، والقضَاء على التنَوُّع الحَيَوِي.*

*ومُنصِفًا: حيْثُ يتوجَّبُ أَن يتلقَّى الفلَّاحوْنَ أُجورَهم، فإذَا أردْنَا أَن يبْقَى الشَبَابُ فِي أرَاضيْهِم، ويَعودوْا إليْهَا- هنَا في بُلدَانِنا- فحِينهَا يتوجَّبُ أَن نَمنَحهُم الكرامَة والمُكافَآت، يجِبُ أَن يُصبِحوْا مَوضِعَ تقديْرٍ، فلَا توجَدُ دوْلَةٌ مُتحَضِّرَةٌ تَستَعبِدُ العُمَّال الأجَانِب لأَجْلِ إنتَاجِ الطمَاطِم، ومَا مِن دولَةٍ مُتحَضِّرَةٍ تُطوِّر الزرَاعَة العُضويَّة كمَا تفْعَل كاليفورنيا، عبْرَ استِعبَادِهَا الكَثِيْر مِن المُزَارعيْنَ المَكسِيكيِّين...*

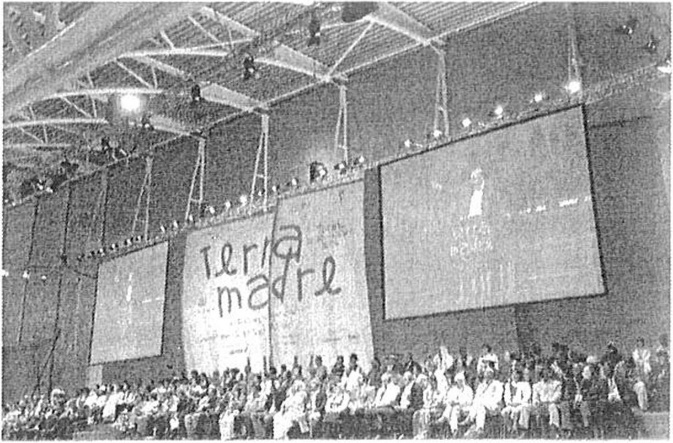
*أيُّها الموفَدوْنَ مِن جَمِيْعِ أرجَاءِ العَالَم، اسمَحوا لِي أَن أُشِيْدَ بِكُم عبْرَ إعادَةِ صِياغَة قَصيْدَةٍ بِيدمونتِيَّةٍ رَائِعَة، يَقوْلُ الشَاعِر:*

*إذَا كانَ بِوسْعِ العَالَمِ الصُموْدُ، فحِيْنهَا سيَغدو العَالَم مُدانًا لأشْخَاصٍ مِثلَكُم...أُنَاسٌ مُستقبَل الأَرضِ بيْنَ أَيدِيهِم.*

*استَمتِعوا جميْعًا بمُؤتمَرِ بتِيرا مادري.*

انتشَت قاعَةُ الاحتِفالَات، وبدَت الرِسَالَة صَائِبةً بشَكلٍ يُثيْرُ الخَدَر في الأَعصَاب، لقَد تحَدَّثَ "بيتريني" عَن هَذهِ الأموْرِ عدَّة مرَّاتٍ فِي السَابِق، ومعَ ذَلِك وبِرَغم كلِّ تناقُضَات "تيرا مادري" وإلمَامِهَا برسَالَتِه، فَقد أوْصَل إِحَساسًا مُلِحًا بإمْكَانيَّةٍ يَصعُب مُقاومتَها، إنَّ "سلو فوود" هِيَ حرَكةٌ مُتَّصِلةٌ بشَكلٍ مُباشَرٍ بأكثَرِ قضَاَيا عصْرِنَا حسَاسِيَّة.

وفي قَلْبِ مِثَاليَّة "سلو فوود"، هُنَاكَ يَكمَنُ مَا دعَاهُ "بيتريني" بفَنِّ التذَوُّقِ والطَهْيِ الجَديْد، فالمذَاقُ الجَيِّد، كمَا جادَلَ، لَا يَنبَغِي أَن يَبْقَى مُتَعَلِّقًا أكثَر بمَذْهَبِ المُتعَة. 314 لقَد سعَى فَنُّ التذَوُّقِ والطَهْيِ القَدِيْم وبشَكلٍ مُستَمرٍّ لتَحفِيْزِ برَاعِم التذَوُّقِ لدَيْنَا بإبْدَاعَاتٍ لَا حصْرَ لهَا.



جيِّد، نَظِيف ومُنصِف. المُؤسِّس والشَخصيَّة السَاحِرة لحرَكةِ سلو فوود "كارلو بيتريني" وهوَ يشْرَح قِيَمَ فَنِّ التذَوُّقِ والطَهْيِ الحَدِيْث، فِي حَفْلِ افتِتَاح مُؤتمَرِ تيرا مادري في مَا يُدعَى " الأُمَم المُتَّحِدَة الفلَّاحِية" بـ"تورين" عَام 2006

وكانَ يتمَحوَرُ حوْلَ الاستِهلَاكِ البَاهِظ والمَسَرَّة الآنِيَّة. لقَد تطلَّبَ المزيْدَ والمزيْدَ والمَزيْد. بدَا فنُّ التذَوُّق والطَهْيِ القَدِيم مُتطَوِّرًا ببَعْضِ الأَحْيَان، غيْرَ أنَّه دَائِمًا مَا كانَ أَعْمَى. وكحَالِ الضِيوْفِ في مَأدُبة فيرارا التِي أقَامتْهَا عائِلَة "إيستي" عَام 1529، فقَد تجَاهلُوْا المُعانَاة الدَائِرةَ خَارِج أسْوَار المَديْنَة. يُعْتَبَرُ فَنَّ التَذوُّق والطَهْيِ شَديْدِ القِدَمِ نَوْعًا مِن النَهَم.

وفي عصْرٍ حيْثُ النَهَمُ وفْقِ مِقيَاسِ دوْقٍ مِن عصوْرِ النهْضَة، مُتَاحٌ لكُلِّ العَالَم الغَربِي تقريْبًا، فإنَّ فنَّ التذَوُّق والطَهْوِ القَديْمِ لَا يُمكِن أَن يَدوْم. يُجَادِل بيتريني قَائِلًا " إنَّ الطعَام على صِلَةٍ بكُلِّ شَيء، مِن الاقتِصَاد إلى البِيئَة". وفِي عصْرِنَا الذِي يتَّسِمُ بالعَولمَة، فإنَّ مَا نَأكُله لَه انعِكاسَاتٌ فِي جميْعِ أرجَاءِ الكَوكَب- تدَاعِياتٌ نَعْجَزُ الادِّعَاءَ بعَدَمِ رؤيتَها، وذلِكَ لِأنَّ الاتِّصالَات الحَديْثَة قَد جعلَتْهَا تجْتَازُ أسوَارَ المَديْنَة، لتَصِل إلى بُيوتِنَا وأَيدِينَا، فالنَاسُ يعَانوْنَ الفَقْر، والكوْكَبُ يُدَمَّرُ، لدَعْمِ أَساليْبِ حيَاتِنَا النَهِمَة، لقَد حاَن الوَقْتُ لفَنِّ تذَوُّقٍ وطَهْيٍ جَدِيْد.

بالنِسبة لمُنَاصرِي مُنظَّمةِ سلو فوود، فإنَّ امتِلَاك مذَاقٍ جيِّدٍ لَايزَالُ يَعنِي صقْلَ حِسِّ التذَوُّقِ لديْنَا. في الحَقيْقَة، إنَّ المَلذَّات المُتاحَة لخُبرَاء الطعَام المُميَّزينَ بِحَق قَد باتَت الآنَ أعْظمَ مِن أيِّ وقْتٍ مضَى، غيْرَ أنَّ فنَّ التَذوُّقِ والطهْيِ الجَديْدِ ينْبَغِي أَن يشْتَمِل أيْضًا على تعزيْزِ قدُرَاتِنَا للتعَاطُفِ والتفَاهُم. 315 عليْنَا أَن نُتَبِّل مُتعَة تنَاولِنَا الطعَامَ بفَرْحَةِ فَهْمِنَا للعَالَمِ وجَعلِه مَكانًا أَفْضَل.

إنَّ طُموْحَات فَنِّ التذَوُّقِ والطَهْيِ الجَديْدَة أصْبحَت أمْرًا عالمِيًا، لكِنَّ ذَلِك يبْدَأُ ببوَادرَ بسيْطَةٍ ربطَتْنَا دائِمًا معَ بعْضِنَا أَثْنَاءَ تنَاولِنَا الطعَام: مِن حُسْنِ الضِيافَة، الغِذَاء الصِحِّي، الخِصَال الحَميْدَة، وقبْلَ كُلِّ شَيءٍ، الوَقْت. إنَّ حركَة "سلو فوود" تُعنَى بمَنْحِنَا كُلَّ الوقْتِ لتحويْلِ القَضيَّةِ الأحيَائِيَّة للتَغذِيَة، والأعمَال التِجاريَّة الرَأسمَاليَّة للاستِهلَاك، إلى شَيءٍ أبْطَأ وأكثَر إنسَانِيَّة.

فِي الوَاقعِ، إنَّ ذَلِك الشَيء ليْسَ لَه تَسمِيَةٌ باللُّغَة الإنكِليزيَّة، والكَلِمة الإيطَاليَّة لذَلِك هِي كومينساليتا وتعْنِي "جَمْعَةُ الأَصْحَابِ على المَائِدَة"، وتمَّ استِخدامَها مِن قِبَلِ حركَةِ سلو فوود، وهِي تُشِيْرُ إلى أنَّ تنَاولَ الطعَام هوَ تَذكِرَةٌ عَظيْمَةٌ لِإنسَانِيَّتِنَا المُشترَكة، لكِنَّ ما تُلَمِّحُ لَه "كومينساليتا" أيْضًا هوَ عَجْزُ أيِّ بلدٍ آخَرٍ باستثنَاءِ إيطَاليا على إنْتَاجِ مثْلَ هَذهِ الفَلسَفة الطعَامِيَّة بعيْدَة المنَال. هناكَ الكثيْرُ مِنَ الأموْرِ المُتعلِّقَةِ بحركَة "سلو فوود"، لهَا جذوْرهَا فِي إيطَاليا: تشديْدهَا على مَا هوَ بسيْطٌ وأَصيْلٌ، وسعادتُها بالأَطعِمَة المِثاليَّة والتِي تُعبِّر عَن حِسِّ المكَانِ والهَويَّة؛ وذَاكِرتهَا التَاريخِيَّة عَن الكثيْرِ مِن الوَفْرَة والتِي تضَعهَا بشَكلٍ قَاسِي جنْبًا إلى جنْبٍ معَ الجوْعِ بشَكلٍ مُتنَاقضٍ، وإيمَانُهَا الضِمْنِي بالأهميَّة المُطلقَة للأَكْل. ومِن خِلَال مِثاليَّات حركَةِ سلو فوود، سيَتبيَّنُ لنَا أنَّ حضَارَة المَائِدَة الإيطاليَّة تمدُّ يدَها لاحتِضَان العَالَم.

ولَكِن معَ أُفُوْلِ التَصفِيْقِ لخِطَاب "بيتريني"، ترتَسِمُ في الذهْنِ تارَةً أُخرَى صورَةٌ لتنَاقُضَات تيرا مادره: ذَلِك التبَايُن بيْنَ أهدَافِهَا العِملَاقَة ووسَائِلهَا المُتوَاضِعَة، ومُحاولَة ربْطِ الاتِّصالَات العَصريَّة بمَصِيْرِ الزِراعَة الحديْثَة، والحُلمِ الذِي يبْدو بعيْدَ المنَال لقَضيَّةٍ مُشتركَةٍ مِن شَأنِهَا أَن توَحِّد مُستَهلكِي العَالَم الأوَّل المُطاردِيْنَ للمُتَع معَ مُنتجِي العَالَم الثَالِث المُرهَقيْنَ للغَايَة. يُلِحُّ هذَا الإحسَاسُ بالتنَاقُضَات الغَريْبَة لدَى مُغادرَة القاعَةِ الكَبيْرَةِ لمُؤتمَر تيرا مادري، والتجَوُّلُ لبِضْعِ ياردَاتٍ تحْتَ أشِعَّةِ شمْسِ الخَريْفِ الدَافِئَة الاستِثنَائيَّة نحْوَ – "مَعْرَضِ التذَوُّقِ" لحرَكة سلو فوود.

يُعَدُّ مصْنَع سيَّارَات الفيات في لينغوتو رمْزًا إيطَاليًا عظيْمًا لعَصْرِ الصِناعَة الحَديْثَة، كانَ ذاتَ مرَّةٍ مَعْمَلًا صِنَاعيًا كبِيْرًا للغَايَة لدرجَةِ أنَّه بدَا كمَديْنَةٍ بحَدِّ ذَاتِه- فوَاجِهَتُهُ تمتَدُّ على طوْلِ جَانبِ الطريْقِ لأكثَرِ مِن مِيْل، فِي عَام 1982 تمَّ تحويْلهُ إلى جَامِعَة، ومركَزِ تسَوُّق، وسِلسِلَةٍ مِن أَمَاكِنِ العَرْض الوَاسِعَة. لقَد شغَل مَعرْضُ التذَوُّقِ لحركَةِ سلو فوود على مَا لَا يقِلُّ عَن أَربَعة مِن أَمَاكنِ العَرْضِ هَذِه وملَأتْهَا بأَكشَاكِ الطعَام والمطَاعِم الصَغِيْرَة. إنَّه أكبَرُ سوْقِ طعَامٍ حضَريٍّ فِي العَالَم. 316 تُخبِركَ اللَّافتَاتُ بالطريْقِ إلى "شَارعِ الحبوْبِ" و"شَارعِ الخضروَاتِ والفَاكِهَة والتوَابِل".

إنَّ الانطِباعَ الأَوليَّ هوَ عَن أسْوأ أنوَاعِ هِستيْريَا التَنزيْلَات، هنَاكَ ضَجيْجٌ مُرْهِقٌ مُوَاظِبٌ مِن عشرَاتِ آلَافِ الزوَّار، الذيْنَ دَفَعَ كُلٌّ مِنهُم سبعَةً وعشريْنَ دوْلَارًا، مُتدَافعِيْنَ لِأجْلِ أعوَادِ أسنَانٍ بآخرِهَا قِطعَةٌ صغيْرَةٌ مِن السمَكِ المُدخَّن، أو البَاذِنجَان المُخلَّل، أو الخُبْز المَغموْسِ بزَيتِ الزَيتوْن. تُقَدِّمُ لكَ جوْلَةٌ مِن عشريْنَ دقيْقَة فِي "مَعْرضِ التذَوُّق" مَنشوْرَاتٍ تَسويقِيَّةً تَكفِي لمِلءِ عربَةٍ تجرُّهَا الثِيرَان. تشكَّلت طوابيْرُ طويْلَةٌ مُتلهِّفةٌ خَارِج أَجْنِحَةِ عَرْضِ الشَرِكَة المُتلَألِئَة، بيْنمَا راحَ موَظَّفو المَبيعَات يُوزِّعوْنَ عُلبًا مِن صَلصَة المعكروْنَة أو شَرائِحَ مِن لحْمِ الخِنزيْرِ المُقدَّد أو قِطَعًا مِن جُبنَة البَارمِيزَان. شُغِلَت مِساحَةُ المَعْرَضِ الرَابِعَة بأَكمَلِهَا مِن قِبَل "ورشَاتِ التذَوُّق" الشَهيْرَة على نحْوٍ كبيْرٍ لحَركَة سلو فوود، وهنَا بوِسْعِ أيِّ شَخْصٍ، أو على الأقَل أيِّ أَحَدٍ يمتَلِكُ بصيْرَةً كافِيَةً قامَ بالحَجْزِ مُقدَّمًا ، أَن يستَمِعَ إلى شَرْحِ خُبرَاءٍ مَشهوريْنَ عَالمِيًا حوْلَ النِقَاط الأسَاسيَّة لكُلِّ شَيءٍ بِدءًا مِن الخَيْزرَان الصِينِي إلى لحْمِ البقَر الأسكُتلَندِي.

يوجَدُ تاريْخٌ هُنَا أيْضًا، ولَكِن وسْطَ كُلِّ الضَجِيج والألوَان، ليْسَ مِن الوَاضِح تمَامًا أَيَّهم هوَ التَقليْدُ الأَصِيْلُ وأَيَّهم هوَ الذَوْقُ الرَديءُ للطَاحوْنَة البيْضَاء.

تشكَّلَت الحشوْدُ الأَكبَرُ قبالَة كِشْكٍ يديْرُه أحَدُ أفْضَلِ متَاجرِ المُعجَّنات في باليرمو، حيْثُ تتلَاشَى مُنتجَاتهُ بقَدْرِ مَا يُنتَجُ مِنْهَا: قطعَةُ حَلوَى كانولي صَغيْرَة، حَلوَى اللَّوْز والسُكَّر بالطمَاطِم واللَّيموْن، شرَائِح مِن الكاساتا- وهِي التَحلِيَة التِي "يعوْدُ تاريْخَها لأكثَرِ مِن عشْرِ قُروْن" بحَسْبِ صُنَّاعِهَا.

أتَى مَجْلِسُ إقليْمِ "فيرارا "بمَطعَمٍ عصْريٍّ للغايَة إلى مَعرَضِ التذَوُّق، وهنَا تَعرِضُ شاشَة بلَازما صُوَرًا لمَشْهَدِ وَادِي "بو" الضبَابِي، بيْنمَا يُلقِي كبيْرُ طُهَاةٍ مُحاضرًة على مسَامعِ مُتنَاولِي العشَاء مِن خِلَال المِيكروفُوْن، عَن الأطبَاق المَوضوْعَة أمَامهُم على صحوْنٍ بلَاستيكِيَّة. تشْتمل قائِمَة الطعَامِ على ثُعبَانِ البَحرِ المُتبَّل على طريْقَة مديْنَة كوماكيو، شرَائِح مُدخَّنة لصَدرِ الأُوَز، وطبَقٍ رائِعٍ مِن الروزيتو بالقَرْع حيْثُ تمَّت موَازنَة قوَامهِ الكرِيمِي بشَكلٍ فاَتنٍ بمِقدَار مِلءِ مِلعقَة مِن "تَابِل كريستوفورو دا ميسيسبوغو العَرِيْق" وهوَ نوْعٌ قريْبٌ مِن الخَلِّ البَلسَمِي. لقَد تمَّ ابتِكَارُ التَابلِ المَعنِيِّ عَام 2000، وأُطلِق عليْهِ اسْمُ المُضِيف المُخلِص لعَائِلة "إيستي" الملَكيَّة، مِن قِبَلِ مالِكَةٍ مُغَامِرَةٍ لمنَازل عُطَلٍ ريفِيَّة. إنَّ هدفَها، كمَا هوَ مُوَضَّحٌ في مَنشوْرٍ قُدِّمَ بطَريْقَةٍ جَميْلَة، هوَ الذَوْقُ الذِي يَستَحْضِرُ "تاريْخَ الفلَّاحيْنَ الذيْنَ أحَبُّوا، وعَاشوا وعَمِلوْا بأَرضِنَا". كانَ "ميسسيسبوغو" سيَشعرُ بالإِطرَاء، لكنَّه ربَّمَا سيُخَالِجهُ إحْسَاسٌ بالحَيْرَةِ أيْضًا.

---------- \*حلوى الكانولي: معجنات صقليه، الكانولي لها شهرة كبيرة في المجتمع الإيطالي الأمريكي, أصل الكانولى يعود إلى مدينة باليرمو الصقلية حيث كان يقدم كحلوى في الكرنفالات، وهو عبارة عن معجنات مقلية و محشوة بجبن الريكوتا.

\*كوماكيو: هي بلدة في مقاطعة فيرارا في إقليم إميليا رومانيا الإيطالي.

317 وعنْدَ كِشْكِ المَرتديلَّا، أخَذ الزوَّارُ يمرُّوْنَ بشَكٍل مُتكَرِّر، غيْرَ قادريْنَ على مُقاومَة غَرْزِ أَعوَادهِم الصَغيْرَة فِي مُكعَّبَات من اللَّحْم الوَردِيِّ الضَئيْلَة. وفِي هَذهِ الأثْنَاء، يُومِئ صَاحِبُ مَصْنَعٍ بولونِيٍّ شَهِيْرٍ بِثِقَة، بيْنمَا يقوْمُ بمُقابَلةٍ معَ محَطَّةٍ تلفازيَّةٍ محليَّة. وسْطَ أشجَارِ الكروْمِ والعِنَب البلَاستِيكِيَّة للزَخْرفَة المُحيْطَةِ بهِ، وضِعَت نقَانِقُ رَائِعَةٌ يَربِطُها خيْطٌ ببَعضِهَا جنْبًا إلى جَنْبٍ معَ نُسَخٍ مُؤطَّرَةٍ مِن إعلَانِ الكَاردِينَال ليغيت عَام 1661 ضِدّ الجَزَّاريْن الذِيْنَ يُزَيِّفوْنَ المَرتديْلَّا.

في صَالَةِ عَرْضٍ مُنفَصِلة، بأحَدِ أركَانِ مَعرَضِ التذَوُّق، يُعرَضُ فِيلمٌ وثَائقِيٌّ يُقدِّمهُ "ماريو سولداتي" عَامَ 1957، واسْمهُ "البحْثُ عَن الطعَامِ الأَصِيْل" للجُمهوْرِ الجَدِيد. وفِي الرُكنِ المُقَابِل، يقوْمُ كِشْكٌ مَبنيٌّ مِن الخشَب بشَكلٍ خَاص، بتَوزيْعِ تِلكَ الأطبَاق الرومَانيَّة المِثاليَّة، مثْلَ الكَستنَاء المَشويَّة، وسمَك القَد المُملَّح المَقلِي، والسوبلي (كُرَات الأَرُز معَ غِلَافٍ مُقرمَشٍ ودَاخِلهَا جُبنَة الموزاريلَّا الذَائِبَة)، وقَد كُتِبَ بالطَبَاشِيْرِ طعَامُ شَارعٍ باللُّغَةِ الإنكليزيَّة أَسفَل جوَانبِ الكِشْك.

إنَّ المطعَم الذِي تُديْرهُ حكوْمَة إقليْمِ "إميليا" رومانيا يُقدِّمُ فقَط الأطبَاق المُقتبسَة مِن كِتَاب "علمُ المَطبَخِ وفَنِّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جيِّد"، وإلى جَانبِ مُلصَقٍ عِملَاقٍ لـ"بيلغرينو أرتوسي" بسالِفَيْهِ الكَبِيْرَين المُتَّصليْنِ بشَاربِه، يَقِفُ سِيَاسيٌّ بارِزٌ بتكَلُّفٍ لتُلتقَط لَهُ الصوْرَ، لقَد كَرِهَ "أرتوسي" السِيَاسيِّينَ بقَدْرِ كُرهِه للكَهَنَة.

ومعَ ذَلِك، ووَسْطَ كُلِّ هَذهِ الجَلبَة التَرويجِيَّة، لَاتزَالُ عقيْدَة حركَة "سلو فوود" للطعَام الجيِّد، النَظِيف، المُنصِف، قَادِرَةً على جَعْلِ صدَى صَوتهَا مَسموْعًا. إنَّ أحَد أكثَر المخَاوفِ المُلِحَّةِ للحَرَكَة، هوَ الطرْيقَة التِي تُرَوِّج بهَا الزِراعَة الصِناعيَّة بِلَا هوَادَة لبَعْضِ المحَاصِيل التِي يتِمَّ إنتَاجهَا بكميَّاتٍ هَائِلَة، مثْلَ الذُرَة وفوْلِ الصُويَا، على حِسَاب كُلٍ مِن التنَوُّع البِيولوجِي وتنَوُّع فَنِّ التَذَوُّق وطَهْيِه. أطلقَت الحركَةُ سَفِينَة نَجَاةِ التَذوُّقِ عَام 1997 لتَصنيْفِ آلَافٍ مِن الأنوَاعِ القَابِلَة للأَكْلِ والمُنتجَات التَقليدِيَّة المُعرَّضَة لخَطَر الانْقِرَاض. لقَد احتَلَّت البريسيديا مكانَ الصدَارَة مِن بيْنِ أكشَاكِ مَعرَضِ التسَوُّق، تلْكَ الهَيئَاتُ الصَغيْرَة التِي تمَّ تَأسيْسُها لضماَنِ مُستقبَلٍ وَاعِدٍ للأَطعِمَة والأَنوَاعِ المُدرجَة فِي فَلَكَ التَذوُّقِ- سوَاًء أكانَ ذَلِك عَن طريْقِ جَلبِ خِبرَاتٍ تسويقِيَّةٍ جديْدَة، أو المُساعدَة في تحَسيْنِ معَايِير التَصنِيع. أمَّا تَعليْلِ حرَكَة "سلو فوود" لذَلِك فَهو إذَا أعدْنَا اكتِشَاف مذَاق هَذهِ النكهَات غيْرِ الحَصيْنَة، فإنَّنا سنَعمَلُ على رِعايَتِهَا وكذَلِك الأسَاليْب البشَريَّة للحيَاةِ التِي تتشَابكُ معَها.

هنَاكَ 195 لُجنَة تنفيذيَّة إيطاليَّة، ومِن بيْنِ المذَاقَات التِي تَحميْهَا نَكهَةُ البُندُق المُحمَّص الزِبديَّة المُميَّزة للجُبنَة الصَلبَة لحَليْبِ الأغْنَام أو جُبنَة البيكورينو التِي تُنتَجُ بالقُربِ مِن "أوسيلو" في "سردينينا" فقَط، واللُّحوْمُ المُقدَّدة العِطريَّة ونقَانِق السْلَامِي المَصنوْعَة مِن الخِنزيْرِ الأَسْوَد الصَغِير شِبْهِ الوَحْشِي الذِي يكسوْهُ الشَعْرُ مِن جِبَال "نيبرودي" في الجَانبِ الشَرقيِّ مِن "صَقَليَة"، وفَاصوليَاء زوفلينو الصَغيْرَة الصَفْرَاء والخَضْرَاء. إنَّ هذَا المُنتَج المُستوْرَد الحَديْث مِن الأَمريكِيَّتيْن قَد اختفَى تقريْبًا318 مِن أسوَاقِ وموَائِد توسكاني، حيْثُ كانَ يُزيَّنُ بزيْتِ الزَيتوْنِ الجَيِّد وتُرافِقَه شَريْحَةٌ مِن اللَّحْم، والزَيتوْنِ الأَسْوَدِ المَشْوِيِّ فِي الفُرْنِ مِن إقليْمِ "باسيليكاتا"، حيْثُ يُزيَّنُ بالثوْمِ واللَّيموْنِ أو قشوْرِ البُرتقَال.

----------- \*فاصولياء زولفينو: فاصولياء صغيرة مستديرة ذات لون أصفر شاحب مع قشرة رقيقة للغاية وهي سهلة الطهي. تنتج في فالدارنو- بمنطقة أريتسو.

هُناكَ واحِدٌ وتسعوْنَ لُجنَةً تنفيذيَّةً (بريسيديا) فِي سَائِر أنحَاءِ العَالَم. فَفِي الولَايَات المُتَّحدة، على سبيْلِ المِثَال، توجَدُ خمْسُ مجموْعَاتٍ مِن هذَا القَبيْلِ تُعنَى بالأَطعِمَة مثْلَ محَّار مديْنَة "كيب ماي"، والأرُز البَرِّي (مانومين) الذِي يقوْمُ بجَمعهِ شعْبُ أنيشينابه الأَمريكِي الأَصْلِي- وصَفَ ذوَّاقةُ طعَامِ حرَكَةِ سلو فوود مذَاقَهُ بـ"مُركَّبٍ غَنِيٍّ مع نَكهَاتٍ تُرابيَّةٍ رقيْقَةٍ مِن الفِطْرِ والخشَب المُدخَّن". أمَّا فِي الجُزرِ البريطانيَّة، فجُبْنُ الحليْبِ الخَام الإيرلَندِي، وسمَكُ الرنْكَة الضَارِب للصُفرَة، وجُبنَة الشِيدَر التِي صنعَها حِرَفيُّو مُقاطعَة "سمرسيت" المَهَرَة، عليْهَا قَيِّمِانَ مُعَيَّنِان مِن حَرَكَةِ "سلو فوود". ومِن بيْنِ مصَاطِب جِبَال الهَمالَايا شَديْدَة الانحِدَار لولَايَة "أوتار بارديش" الهِنديَّة، هُنَاكَ أربعَةُ أنوَاعٍ مِن الأَرُز البَسمَتِي المُعرَّضَة للانقِرَاض، مِن ضِمنِهَا أَرزُّ دهرادون الفَاخِر معَ آثَارٍ مِن خشَب الصَنْدَل، وقَد تمَّ حِمايتَهُ مِن لُجنَةٍ تَنفيذِيَّةٍ دَائِمَةٍ تضُمُّ أكثَر مِن 60000 فلَّاح. أدارَت اللُّجنَة التَنفيذيَّة لأَرُز البَسمَتِي بنوْكَ البُذوْر، ودعمَت الزِراعَة العُضويَّة، وتعهَّدَت الأَرُزَّ في السُوقِ العَالَمِي، وقَامَت مُنظَّمة "سلو فوود" للتنَوُّع الحَيَوِي عَام 2005 بتَمويْلِ شِرَاء آلَات تَخلِيَة الهوَاءِ للمُزَارعِيْن.

إنَّ معرَضَ التذَوُّق لحَركَة "سلو فوود" هوَ كالَآتِي: فقَط عنْدمَا بدَا أنَّه مِن السَهْلِ استِبعَادُ كُلِّ ذَلِك كعمَليَّةٍ تَسويقِيَّةٍ وَاسِعَة النِطَاق، صادفَتْكَ مُبادَرَةٌ جذَّابةٌ للغايَة في مَزيْجِهَا مِن المِثاليَّة والدِرَايَة العَمليَّة والتِي يَستَحِيْلُ ألَّا تَقتَنِعَ بِهَا.

وفْقًا لمَعايِير النَكهَة وهَذهِ المُبادرَات المَحليَّة، فإنَّ حركَة "سلو فوود" قَد حقَّقت نجَاحًا كبيْرًا، لكنَّ تَحليْلهَا الأَوْسَع وأَهدافَها النِهَائيَّة تَستَحِقُّ المزيْدَ مِن التَدقيْقِ النَقدِي. فهَل ثَورَةُ "سلو فوود" المُغَالِيَة هِي حقًا الطريْقَ أخيرًا لنَزْعِ الهمَجيَّة مِن حضَارَة طعَامِنَا- سيكوْنُ الاقتِصَاديُّونَ مُرتَابين بأخلَاقيَّات الحَركَة المُعادِيَة للسُوْقِ العَالميَّة. وقَد يُجادِلوْنَ بأنَّ العديْدَ مِن مشَاكلِ الغِذَاء فِي العَالَم لَم تُنْتَج بشَكلٍ كَبيْرٍ بسبَبِ الصَرَامَةِ في السُوْقِ، ولَكِن بفِعْلِ القَليْلِ مِن ذَلِك: إنَّ أكثَر القضَايا الفَاضِحَة هِي تلْكَ الإِعانَات الماليَّة التي تدفَعُها الحكوْمَات الغَربِيَّة لمُزارِعيْهَا آنذَاك، ومَا نتَج مِن إِغرَاقِ السُوْقِ بالبضَائِع مُخفَّضَةِ الأسْعَارِ مِن العَالمِ الثَالِث، إنَّها القَضِيَّةُ ذَاتُ الصِلَة التِي أثَارَهَا الأَديْبُ السَاخِرُ "بيبي غريللو" عَن مُزَارعِي الرَيْحَان الفِيتنَامِي.

---------- \*باسيليكاتا: أو لوكانيا هو إقليم في جنوب إيطاليا. يحده من الغرب إقليم كامبانيا وبوليا إلى الشمال والشرق وكالابريا من الجنوب، ويمتلك ساحلًا قصيرًا في الجنوب الغربي على البحر التيراني بين كامبانيا في الشمال الغربي وكالابريا في الجنوب الغربي، وساحلًا أطول إلى الجنوب الشرقي على خليج تارانتو في البحر الأيوني

\*كيب ماي: هي مدينة في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة كيب ماي، في ولاية نيوجرسي ، حيث يلتقي خليج ديلاوير مع المحيط الأطلسي. واحدة من أقدم وجهات العطلات في البلاد، وهي جزء من منطقة أوشن سيتي متروبوليتان.

\*أنيشينابه: اسم محلي يطلق على مجموعة من السكان الأصليون لكندا والولايات المتحدة ذات العلاقة الثقافية وتشمل أوداوا، أجيبوي، بوتاواتومي، أوجي-كري، ميسيسوغس، وقبيلة ألغونكين.. تحدث الأنيشينابغ لغة أنيشينابموين، أو لغات أنيشينابه التي تنتمي إلى عائلة اللغات الألغونكينية

\*جبنة الشيدر: جبنة صلبة القوام نسبياً، ذات لون أصفر شاحب يميل إلى البياض أو أصفر برتقالي إن أضيفت لها البهارات كالأناتو. ويكون الطعم حاداً أحياناً (حمضي). ويعود أصل هذا الجبن إلى قرية شيدر في مقاطعة سومرست, يتم إنتاج هذا النوع من الأجبان خارج المنطقة وفي العديد من دول العالم

\*سَمَرْسِت: مقاطعة إنجليزية في جنوب غرب إنجلترا. تحدها مقاطعة بريستول وغلوسترشير إلى الشمال و ويلتشير إلى الشرق، ودورست إلى الجنوب الشرقي، وديفون في الجنوب الغربي. ويحدها إلى الشمال الساحل الغربي لقناة بريستول ومصب نهر سيفيرن.

\*أُوتاربرديش: هي إحدى ولايات الهند. عاصمتها ومن أكبر مدنها "لكنو" هي عاصمة ولاية أتر برديش الهندية. يبلغ عدد سكانها 4875858 نسمة. تقع لكنو في منطقة تاريخية كانت تعرف في السابق باسم "أوده"، وهي اليوم مدينة متعددة الثقافات. تلقب "مدينة النواب" نسبة للنواب المسلمين الذين حكموا الهند في الماضي.

319 هَل يُعَدُّ انتِقاَلُ أوروبا إلى السُلَع التي تحْظَى بمكَانَةِ تَشريْعَات الـ د.و.ب و آي.ج.ب، ليْسَ سِوَى طريْقَةٍ أُخرَى فقَط لحِرمَان العَالَم الثَالِث النَامِي مِن فوَائِد التِجَارة؟ ثمَّ هُناكَ عُلمَاء الأَغذِيَة الذيْنَ يُجَادلوْنَ بأنَّ الزِراعَة العُضويَّة تَستَخْدِمُ مِساحةً أكبَر بكثيْرٍ مِن الزِراعَة التَقليْدِيَّة- وتَستَهْلِكُ المَزيْدَ مِن الطاقَة للحِراثَة.

يُؤيِّد "بيتريني" في أغلَبِ الأحيَانِ وِجهَة النظَرِ القَائِلة بأنَّ تاريْخَ الطعَامِ الإيطَاليِّ يتجَسَّدُ بشَكلٍ أفْضَل مِن خِلَال الفلَّاحِيْن، فإنَّ هذَا الوَصْفَ انتِقَائِيٌّ للغايَة وعَاطِفِيٌّ إلى حَدٍّ مَا، فنَادِرًا مَا كانَ الطعَامُ الجَيِّدُ بكفَّة الفَقْر، وإنَّ الكثيْرَ مِن التنَوُّعِ الذِي تسْعَى حرَكَة "سلو فوود" لحِمايَتهِ هوَ بحَدِّ ذَاتهِ نِتَاجُ التخَصُّصِ الغِذَائِي في الأَسوَاقِ الحضَريَّة. يَزدَرِي "بيتريني" أيْضًا أُسلوْبَ الطَهيِ المُدمَج، وهو مُتحَفِّظٌ إلى حَدٍّ مَا تِجَاهَ الأَطعِمَة العِرقِيَّة التي تُشَكِّل ميِّزَةً مُثيرَةً للطَريْقَة التي يتِمُّ بهَا تنَاولُ الطعَامِ الآنَ فِي العديْدِ مِن المدُنِ الغَربيَّة، وبالتَالِي فهوَ يتْركُ السُؤالَ عَن كيفيَّة مُلَاءمَة "الاقتِصَاد المحَلِّي" لحَركَة "سلو فوود" لمطَاعِم الكُسكُس المَغربِي فِي أحيَاءِ "سان سالافيرو" في "تورين"، أو أكشَاكِ التوَابلِ السِريلَانكيَّة في سوْقِ سَاحَة "فيتوريو" بروما؛ دوْنمَا إِجابَةٍ عَليْه، ولعَلَّه نَسِيَ أنَّ ثقافَة الطَهْيِ الإيطَاليَّة ستَغْدُو مُستحيْلَة التعَرُّف عليْهَا ببسَاطةٍ لوْلَا التَأثيْرُ الطويْلُ المدَى للعالَمِ العرَبيِّ، الأمريكيَّتيْنِ وفرَنْسَا، ولولَا الهِجرَة بيْنَ منَاطِقها، فكلُّ الطعَامِ فِي نهَايةِ المطَاف هو طعَامٌ هَجِيْن.

مِن غيْرِ المُنْصِف قيَامنَا بالتَلمِيْحِ إلى أنَّ بعْضًا مِن هَذهِ الاعتِراضَات لَم تَظْهَر في "سلو فووديستاس": وهِيَ أدَبُ الحركَةِ الذِي يَنتَقِدُ الِإعانَاتِ غيْرِ العَادِلَة على سبيْلِ المِثَال، ولَم يتمكَّن أَيُّ شَخصٍ فِي "تيرا مادري" مِن اسْتِبعَادِ فِكرَة أَنَّ المُنظَّمَة مُضادَّة للتِكنولوجْيَا أو مُناهِضَة للعِلْم. رُبَّمَا تكوْنُ لـ"سلو فوود" تنَاقُضَاتهَا باختِصَار، بيْدَ أنَّ العديْدَ منْهَا هِيَ ببسَاطةٍ تنَاقُضَاتُ عصْرِنَا. لَقد قدَّمَت حرَكَة "سلو فوود" مِثالًا جيِّدًا لحِوَار الطعَامِ فِي العَالَم، إلَّا أنَّنا نحْتَاجُ بشِدَّةٍ إلى المزيْدِ مِن الأمَاكنِ التِي تَسْمَحُ للنَاسِ مِن مُختَلفِ أنْحَاءِ العَالَمِ بالمُشَاركَةِ بذَلِك الحِوَار وبذَاتِ الطريْقَة التِي يَقوموْنَ بِهَا فِي مُؤتمَر تيرا مادري، وعبْرَ شبكَةِ سلو فوود، إنَّنا بِحاجَةٍ إلى أَن يستَنِدَ ذَلِك الحِوَار على معلومَاتٍ أَفْضَل، نحْتَاجُ عددًا أقَلَّ مِن التقَاليْدِ الشَعبيَّة، واعتِبارَاتٍ أكثَر وضوْحًا، يجِبُ أَن يَروِي لنَا الطعَامُ الذِي نتنَاولهُ الآنَ قِصَصًا أفْضَل عَن تاريْخِنَا. مَا مَصدَرهُ، والبرَاعَة والجُهْد التِي أدَّت إلى صُنعِه، ومَا كانَت تَكلِفتَه مِن النَاحِيَة الإنسَانيَّة والبِيئِيَّة. قَد تَعتَبِرُ حرَكَة "سلو فوود" نفْسَها ثوْرَةً فلاحيَّةً، ولكِنَّها ومِن نوَاحٍ عديْدَةٍ تُعَدُّ تعبيْرًا عَن تقليْدِ إيطَاليَا الطويْلِ بتنَاولِ الطعَامِ فِي المدُن، 320 وعَن حضَارتِهَا على المَائِدَة، فمَا فعَلهُ الإيطاليُّونَ الحضَريُّونَ مِرارًا وتِكرارًا على مَرِّ الألْفِ عَامٍ المَاضِيَة ،هوَ استِخدَام الطعَام لجَعلِ هَويَّاتهِم لَائِقَةً بالنِسبَة لهُم، كمَا يليْقُ بِورثَةِ هذَا التَقليْد. يُحَاوِلُ "بيتريني" وأتبَاعَه تمْهِيدَ الطَريْقِ لِهَويَّةٍ جَديْدَة، شَكلًا مِن الجِنسيَّة العَالميَّة والتِي تَأخُذ السِياسَة والطعَام على مَحْمَلِ الجَد كَصِفَةٍ مُميَّزةٍ لهَا. 321

-----------------

**شُكْرٌ وتَقْدِير**

كانَ مِن المُستَحيْلِ كتَابَة هذَا الكِتَاب دوْنَ القَدْرِ الهَائِل مِن المُساعَدة، فِي الحَقيْقَة لقَد قَامَ الكثيْرُ مِن النَاسِ بمَدِّ يَدِ العَوْنِ لِي لدرجَةِ أَنِّي نسيْتُ ذِكْرَ بَعضِهم هُنَا، أَتمنَّى أَن يَقبَلوا اعتِذَاري مُقدمًّا.

إنِّي محظوْظٌ للغايَة لوجوْدِ زَميلَيْنِ لِي فِي القِسْمِ الإيطَالِي بجَامِعَة لَندُن، حيْثُ لَا تُثمَّنُ خِبرتَهُما إلَّا بالكَرَمِ الذِي شَاركوْنِي بِه: كاثرين كين و ديلوين نوكس. كمَا أنَّ مايكل برويرز، هيلين ديكسون، إيدا فاديو، دونا جاباسيا، وجوليو ولورا ديبشي، دانكان مكونيل، جوناثان موريس، وستوارت أوجليثورب، بريان ريتشاردسون، مارتن توم، ستوارت وولف، قَد قدَّموا لِي أيْضًا مَعلومَاتٍ ونصَائِحَ لَا تُقَدَّرُ بثَمَن. لقَد تعلَّمْتُ الكَثيْرَ مِن بعْضِ الأشخَاصِ المُطَّلعين جيِّدًا والذيْنَ تجمَّلوا بالصَبر بمَا يَكفِي للسمَاحِ لِي بعَرضِ أَفكَارِي عَليْهِم: ماثيو فورت الذِي لَامثيْلَ لَه، جورجيو لوكاتيلي، فيونا ريتمشوند، جين ستيوارت سميث. وبنديتا فيتالي مِن مِصَاطِب الزَبيْبِ المُدهِشَة في فلورنسا. قامَ كُلٌ مِن بول جينسيبورغ وآيس سارغيل، جيوفاني كونتيني، وجوزيبيبنا كابوتو بتَوفيْرِ طعَامٍ لَا حصْرَ لَه، للتَفكيْرِ خِلَالَ عشَاءٍ لَا يُنْسَى فِي فلورنسا، كمَا مرَّرَت لِي جوزيبينا مَجموْعَة وصَفَاتِ جَدِّهَا الرَائِعَة خِلَال الحَرْبِ العَالميَّة الأُولَى.

زملَائِي في القِسْم الإيطَالي بجَامِعة لندُن، جنْبًا إلى جَنْبٍ معَ مَجْلسِ أَبحَاث الفُنونِ والعلوْمِ الإنسَانيَّة، والذيْنَ يَستحقُّوْنَ أَن أُقَدِّم لَهُم آيَاتِ الامْتِنَان لتَوفِيْرِ الوَقْتِ اللَّازمِ لإكمَالِ بَحْثِي ومُؤَلَّفِي.

كانَت روبيرتا شيوني لطيْفةً كِفايَة لتسْمَح لِي بالاطِّلَاع على كِتَاب الطَهْيِ الرَائِع لجَدِّها منْذُ الحرْبِ العالميَّة الأوْلَى- حيْثُ استَحوذَت عليَّ قضيَّةُ نَشرهِ بشَكلٍ عَارِم. لَا يُمكِن أَن يحْظَى ضَيْفٌ بوَجبَةٍ ألذَّ أو تَثقيفِيَّة تاريْخيًا أكثَر مِن غدَاءٍ لأرتوسي يتكوَّنُ مِن معكروْنَة الباتشيلي، التورتيليني، الأَرَانِب المُحمَّرة 323 التِي أعدَّتهَا لِي إيان أنتوني ماكلويد ومارينا أرديتو فِي فلورنسا. لقَد قامَت مارينا وأُختهَا بإرشَادِي إلى المَطبَخِ البولوني، حيْثُ سمَح لِي طاقَم مطعَمِ ديانا الشَهيْر بالدخوْلِ إلى المطبَخِ لرؤيَةِ صُنْعِ معكروْنَة التورتيليني ، أمَّا لورا بوناميتشي، فيديريكا فورناسير، دوناتيلا تروتي ونيكولا سيباني فقَد أَعرَبوا عَن اشمِئزَازهِم. يستَحِقُّ سام بارنيش وآني الويس منِّي الشُكرَ لتَرجمَتهِمَا على التوالي لكاسيودوروس (أميْنُ المَكتبَة) والنقوْشُ الموجوْدَة على أرضيَّة حُجرَة عشَاءِ ثيودوريك. أوْضحَت لِي سيزارينا بيروني وألفريدو روبينو و نينو روسوليا بعْضًا مِن عجَائِب المطبَخِ الصَقَلي فِي مارسالا. كانَت ميشيل ناني وماركو بولترونيري دَليلَيْنِ خَبيرَيْنِ ومُسلِّيَيْنِ لفيرارا وطعَامِهَا-قدَّم لِي وَالِدَا ميشيل نقَانِق سلَامِي السوغو وغيْرهَا مِن الملذَّات المحَليَّة. بدَت لايلا تينتوني مفيْدةً للغايَة لِي خلَال زيارَتِي إلى فورليمبوبولي، وأظْهَرَ فابيو كافارينا كرمًا بالغًا مَعِي بالأرشِيْف الليغوري الشَعبِي في جَنَوَة وقدَّم لِي العديْدَ مِن الأفكَار النفيْسَة، وأَشكرُ ماريلا كونسولي على كرَمِ الضِيافَة في تورين. إنَّ جون إيرفينج منَارةٌ في عاصِفَة مَعرَضِ التذَوُّق، كمَا عرَّفنِي بالسِلسِلَة الوثائقيَّة الاستثنائيَّة لماريو سولداتي، معَ جيف أندروز الذِي أنارَ أفُقَ فِكرِي بشَأنِ حركَةِ سلو فوود، أمَّا بيترو أتيليو أوسلينجو، مُستشَار رَابِطَة صَلصَة البيستو، فقَد قدَّم لِي وصْفَة البيستو الخَاصَّة بعَائِلَتِه.

لقَد اعتمدْتُ بشَكلٍ كبيْرٍ على العديْدِ مِن الأشخَاصِ الذيْنَ كَانوا صبوريْنَ ومُتفهِّميْن بدرجَةٍ كافيَةٍ لقِراءَة والتعليْقِ على مقَاطِعَ طويْلَةٍ مطبوْعَةٍ على الآلَةِ الكاتِبَة: أندرو كاريك، روبرت جوردون، رادويكا ميلجيفيتش، دوغ تايلور، روب وديف ويب. هُناكَ شخصَانِ ليْسَا أقلَّ مِن بطَليْنِ بتفَانيْهِمَا لمسألَةِ تحسِيْنِ مَضموْنِي وأُسلوْبِي هُمَا جون فوت وبرو جيمس. كان آندرو جيمس قارِئًا مُميَّزًا، ورفيْقًا مِثَاليًا للسفَرِ برِحلَةٍ استكشَافيَّة للطعَامِ عبْرَ جِبَال الأبينين، يستحِقُّ فريْقُ آندي فِي باسيس الشُكرَ على مَجموعَتهِم المُنتقَاة بشَكلٍ اعتِبَاطِي على غِلَاف الكِتَاب.

لقَد ساعدَنِي أُنَاسٌ عديْدونَ بتقَصِّي المصَادِر: مولي سيغان مِن نيويورك، إدي زينغي في روما، مايكل مكديرموت في لندن، سيليفا أليساندري في فلورنسا، وميلاني بالدو في ميلان. لقَد مكَّنَتني جيامبيرا أريغوني وليليانا بيكسيوتو مِن وضَع يدَيَّ على أعمَالِ فيرناندا موميليانو بغضوْنِ فترَةٍ وَجيْزَة. أمَّا توني والترز نَهِمُ أمريْكَا الجنوبيَّة الرَاِئد فقَد أَذهلَنِي بمدَى معَرفَتِه وساعَد بإقنَاعِي أنَّ مُحاولَة كِتابَة التاريْخِ العالَمِيِّ للطعَامِ الإيطَالِيِّ هوَ مُجَّرد حمَاقَة،324 وإنَّ تأليْفَ كِتَاب "اللذَّة!" سيكوْنُ أصْعبَ بكثيْرٍ لَو لَم تُسَلِّم إليزابيث دافيد إِرثهَا مِن مجموْعَةِ كتُبِ الطَهْيِ إلى معْهَد واربورغ، ومعَ ذَلِك فالموظَّفوْنَ فِي المَكتبَة البريطَانيَّة، وخاصَّةً قِسْمَ العلوْمِ الإنسَانيَّة، يستحقوْنَ زِيادَةً كبيْرَةً في روَاتبهِم. أوجِّهُ خالِصَ شُكرِي إلى مُعينَتِي في الكِيميَاء، كاثرين كلارك، ولِجَارَتِي في المسَاكِن القَديْمَة الدَرَجُ رقَم 16، جوسين ماير لمُساعدَتِهَا في الرسوْمِ التَوضيحِيَّة، وإلى الأشخَاصِ في دَارِ نشْرِ هودر، والصحافَةِ الحُرَّة، وخاصَّةً المُحرِّريْنَ روبرت لَانكستر وليزلي ميريديث الذيْنَ كَانا مُرشديْنَ مُتبصِّرين ومُبهجِيْنَ خلَال العمليَّة برِمَّتِهَا. خلَالَ كِتابَتِي تمكَّنَت سارا بيني مِن إِيلَاء الجُزءِ الأكبَر مِن الرِعايَة لابْنِنَا الصَغِيْر، إيليوت، بيْنمَا كانَت تعْمَل بذَاتِ الوَقْتِ بدوَامٍ كَاملٍ وتُعيْدُ صِياغَة كِتَابٍ أَفضَل بكَثيْرٍ مِن هذَا، إنَّها تُلهِمُني بالحُب والجُحوْدِ بآنٍ وَاحِد، وكِتَابُ "اللذَّة!" مُهْدَى لهَا ولإليوت، ولأَخيْهِ المُرتقَب. 325

**مُلَاحظَاتٌ على المَصَادِر**

لقَد تمَّ بذْلُ كُلَّ جهْدٍ مُمكنٍ للاعتِرَاف بمُلكيَّة الموَادِّ المَحميَّة بحُقوْقِ الطَبْع والنَشْر والمُضْمنَة فِي هذَا المُجلَّد، أيَّ أخطَاءٍ قَد حدثَت غيْرَ مَقصوْدَة، وسيتِمُّ تَصحِيحهَا في الإصدارَاتِ القَادِمَة بشَرْطِ إِرسَالِ الإشْعَار إلى المُؤَلِّف، جميْعُ الترجمَاتِ هِي مِن حَقِّ المُؤَلِّف، مَالَم يُذكَر خِلَافُ ذَلِك.

1. توسكانا: لَا تُخبِر الفلَّاحِيْن...

"كانَت هُنَاك مَوَاكِبُ حَقيْقِيَّة، فقَد حضَر مئَاتُ الأشخَاصِ لزيارَةِ الطاحوْنَة في عُطَلِ نِهايَة الأُسبوْع": تمَّت ترجمتَهَا مِن ت.بيانكولاتي بمُقابلَةٍ معَ أندريا بورشيناتي.

www.kataweb.it/spec/articolo\_speciale.jsp?ids=684850id=684691

2- باليرمو، عَام 1154، المعكروْنَة ومُجسَّم الكُرَة الأرضِيَّة.

لقَد أخذَت ترجَمَتِي لعُنوَان كِتَاب الإدريسي مِن كِتَاب أ.ميتاكالفي "المُسلِموْنَ والمَسيحِيُّوْنَ في صَقَليَة النورماندية" لندُن 2003، ص 101.

"بوليا وكالابريا، صَقَليَا وإفريقيا كُلَّها تَخدِمُنِي". مِن كِتَاب هـ.ت.هوبن" روجر الثَانِي مَلِك صَقَليَة: الحَاكِم بيْنَ الشَرقِ والغَرب "كامبريدج،2002، ص 83.

3- ميلَان عَام 1288: السُلطَة، العِنايَة الِإلهيَّة، والجزَرُ الأَبْيَض

"هُناكَ جَبَل": ديكاميرون، VIII

"لمَ يُكلِّف أحَدٌ نَفسَهُ عنَاء أَخذِ اعتِبَارٍ لحروْبِ ميلَان خِلَال الرُبعِ الثَالِث مِن القرْنِ الثَالثِ عشَر" مِن كِتَاب ل.مارلينز "القوَّة والخيَال: مديْنَة الدُوَل فِي إيطَاليا بعَصْر النَهْضَة" لندن،2002، ص96.

4- البُندقيَّة، عَام 1300:هَمَسَاتٌ صِينِيَّة

جميْعُ الاقتِباسَات مِن كِتَابٌ للطَهي مُترجمَة مِن نَص ي.فاكشيولي "فَنُّ الطَهْيِ مِن القَرنِ الرَابِع عشَر إلى القَرنِ التَاسِع عشَر" ميلَان 1966، الجُزءُ الأوَّل. ص 61-105 327

5- روما عَام 1468: مُتعَةٌ لَائِقَة

63."هُناكَ أَجزَاءٌ تَبْدو كالغابَاتِ الكثيْفَة، والحيوانَاتِ المُتوحِّشَة، الأرَانِب البريَّة، والثعَالِب والغُزلَان وحتَّى حيوانَاتُ الشَيْهَم قِيْلَ بأنَّها تتوَالَدُ في الكُهوْف" مِن كِتَاب ب.بارتنر" روما بعصْرِ النَهْضَة،1300-1593: لَوحَةُ المُجتمَع" مديْنَة بيركيلي،1976.

67. لقَد تتبَّعْتُ تاريْخَ ماري ايلا ميلهام فِي كِتاَب بلاتينا مُتعَةٌ لَائِقَة، ورِوايَتهَا لعلَاقَة النَص بمارتينو

68. "لَا يوْجَد سبَبٌ لتَفضيْلِنَا ذوْقَ أَجدَادِنَا على ذَوْقِنَا". إنَّ هَذهِ التَرجمَة لبلَاتينا، كحاَلِ الأُخريَات في المَقطَعِ مَأخوْذَةً مِن م.ي.ميلهام في كِتَاب بلاتينا: مُتعَةٌ لَائِقَة وصِحَّة جَيِّدة " مديْنَة تيمبي، أريز،1998.

75. " لقَد أحبَّ البابا بولس الثَانِي أَن يمْتلِكَ تنوُّعًا بالأَطبَاق على مَائِدَته"، والتَرجمَة مُعدَّلة قليْلًا، مِن كِتاَب بلاتينا "حيَاةُ البابوَات: مِن عهْدِ المَسيْحِ عليْهِ السلَام إلى عهْدِ البَابا سيكستوس الرَابِع" التًرجَمة للسِيْر ب.ريكوت، لندن،1688،ص.416.

6. فيرارا: سُلَالةٌ ملكيَّةٌ على المَائِدَة عَام 1529

96. "الأسمَاك، الطيُوْر، البهَائِم ذوَاتُ الأرْبَع، وغيْرهَا مِن حيوانَاتِ الحَظيْرَة" مُترجمَة مِن كِتَاب أ.فريزي "ذِكريَاتُ تاريْخِ فيرارا" الجُزْء 4، فيرارا 1848، ص.310

97. المُؤرِّخ الذِي أشَار إلى بِطانَة المَلِك رينيه على أنَّها "مَافيَا عَديْمَة الضَمِيْر" هوَ ي.لانزوري في كِتَابِه "فيرارا: مديْنَةٌ مِن التَارِيخ" فيرارا 1984،ص.315

7. روما: 1549-1550: الخُبز والمَاء لنِيَافَتهِم

111." الكَرَادِلَة الآنَ يتَّبعوْنَ نِظَام الطبَقِ الوَاحِد" تُرجِمَت مِن ف.بيتروسيلي ديلا غاتينا، الاجتِمَاع المُغلَق التَاريْخِي، باريس: 1864-1865، الجُزْء 2، ص.40.

118. "السُخرِيَة الأَكبَر فِي العَالم" مُقتبسَة عَن كِتَاب باستور "تاريْخُ البَابوَات" الجُزْء 13، ص.480.

118. لقَد اعتمَدْتُ بوَصْفِي لتَاريْخِ أطبَاقِ الأحشَاءِ الرومَانيَّة على كِتَاب ج.سيامبي " الطعَامُ الشَعبِي في روما والزِراعَة الرومَانيَّة" عَن كاباتي وآخَروْنَ بكِتَاب "الغِذَاء"

8.بولونيا، القَرن السَابع عشَر: لُعبَة أَرضِ الوَفْرَة

139." اعتمَدْتُ بسَردِي لتاريْخِ كَلِمَة المرتديلَّا على كِتَاب ف.فالنتي "مرتديلَّا فلورنسا" مديْنَة لينغوا نوسترا، الجُزء 49. 1988

141. إنَّ الـ 1644 وَصفَة للمَرتديلَّا هِي مِن كِتَاب ف.تانارا "اقتِصَاد الموَاطِن في القَريَة"، بولونيا 1644.

143. الاقتِباسَات عَن لَابات هِي مِن "رِحلَات لَابات لأَجْلِ الطعَامِ الفرَنسِي، الدُعَاة في إسبانيا وإيطاليا" باريس 1730، الجُزء 2، ص.284

143. إنَّ ال 1588 قانوْنًا ضِدَّ اللَّعِب مُقتبسَة مِن "العادَات والمُجتمَع لِألعَاب الورَق جوزيبي دي ماريا ميتيلي "بيروجيا 1988، ب.63. 328

9.نابولي، أوَاخِر القرْنِ الثَامِن عشَر: آكِلو المعكروْنَة

146. يستَنِد هذَا الفَصْل بشَكلٍ خَاصٍّ على مقَالِ إميليو سيريني الشَهِير "ملَاحظَاتٌ عَن تاريْخِ التَغذِيَة في الجَنوْب: النَابولِيُّون مِن "آَكِلِي الأَوْرَاق إلى آَكِلِي المعكروْنَة" في مجموْعَة مقالَاتِه: الأرْضُ الجديْدَة والثِيرَان الحمْرَاء، تورين 1981، وكذَلِك على الأبحَاث الجديْدَة الرَائِعة التِي أجْراهَا فرانكو بينينو على تاريْخِ المُشرَّدين والتِي بدأَها في "مرَايَا الثَوْرَة :الصِرَاع على الهويَّة الِسياسيَّة في أوروبَّا المُعَاصِرة" روما 1999، وتطوَّرَت إلى حَدٍّ أَبعَد في كِتَاب ف.بينينو:" التحَوُّلَات المَنطقيَّة والهَويَّة الاجتِمَاعيَّة لدَى مُشرَّدِي نابولي" تاَريخِي، الجُزء 30. 2005

146. وَصْفُ موَاقِف السُيَّاح النُبلَاء تِجَاه الطعَام الإيطَالي مُستمَدٌّ ومُقتبَسٌ مِن كِتَاب س.تشارد: "المُتعَة والذَنْب فِي الرِحلَة الكُبرَى" مانشيستر، 1999. ولقَد اقتبَسْتُ أيْضًا مِن كِتَاب أ.ميلر: "رسائِلُ مِن إيطَاليا" والتِي تَصِف الخِصَال، العادَات، الآثَار، اللَّوحَات لذَلِك البلَد فِي سَنَوَات 1771،1776، مديْنَة دوبلن، الجُزء الثَانِي, ص.89

147. استندْتُ في وَصفِي لتطَوُّر الطعَام البريطَانِي على كِتَاب ستيفين مينتيل: "كلُّ أسَاليْبِ الطعَام: تنَاولُ الطعَامِ وتذَوُّقَه فِي إنكلترا وفرنسا مِن العصوْرِ الوسْطَى إلى الوَقتِ الحَاضِر" مديْنَة شيكاغو،1996. كمَا استَقَيْتُ مِن هَذهِ الدِراسَة الرَائِعَة فَقْرَتِي عَن الطعَام الفَرَنْسِي فِي الفَصْل التَالِي.

148 إنَّ الاقتِبَاس عَن بوسويل مَصدرَهُ كِتَاب ج.بوسويل: "بوسويل في الرِحلَة الكُبرَى" إيطاليا، كورسيكا، وفرنسا 1765-1766، نيويورك 1955.ص.5.

148. الاقتِبَاسَات المُتنَوِّعة عَن غوته جميْعهَا مِن نُسخَة بينجوين لرِحلَتهِ الإيطاليَّة

150. "عنْدمَا كانَ المُشرَّدوْن يَكسِبْونَ أرْبَع أو خمْسَ عُملَاتٍ مَعدنيَّة في اليَوْمِ للحصوْلِ على بعْضِ المعكروْنَة" هِي عَن جوزيف توماس ، د إيسبنشال ، دي إيمغريتيون ، باريس 1912،ص.83.

155. "لَا أَعرِفُ إِذَا كانَت نابولي تتفوَّقُ على لندن بإِهانَة النَاس":و.أ. موزارت مِن كِتَاب "رسَائِل موزارت وعَائِلَتِه" لـ ي.أندرسون، لندن 1989.

161. "كانَ يَقبِض عليْهَا بأصَابعِه، فيَلُفَّها ويَسحبهَا، ويَحشُرهَا فِي فَمِه" مِن كِتَاب م.كيلي "عصْرُ النَهْضَة"، لندن، 1975.

166. "المُشرَّدوْن هؤلَاءِ الرِجَال المُذهِلوْن، هُم أبطَال" تمَّت ترجمتَهُ مِن كِتَاب أ.كونسيجيلو "مُشرَّدو نابولي والقدِّيس فيدي" ميلَان 1936،ص.172.

10.تورين: عَام 1846تَحيَا إيطَاليَا!

171.الاقتِبَاس عَن نَخْبِ فاليريو مَصْدرَه ل.فاليريو، كارتيجو (1825-1865)،الجُزْء الثَانِي (1842-1847) تورين 1994.

174. جميْعُ الاقتِبَاسَات عَن تشابوسوت، بمَا فيْهَا قَائِمَة طعَام المَأدُبَة، مصْدرهَا كِتَاب ف.تشابوسوت "أسلوْبُ طَهْيٍ صِحِّي، واقتِصَادي وأَنِيْق" بولونيا 1990، تورين 1846.

178."إنَّ للمَطَبخ البولوني سُمعَةً طيِّبةً بيْنَ الذَوَّاقَة وخُبرَاء فَنِّ الطَهي" مِن كِتَاب ب.باريكو "تورينو" تورين 1869، ص.42. 329

179. الجماعَاتُ المُناقِشَة لموَاقِف السُيَّاح الإيطاليِّين مِن حانَات لندُن والتِي قادَها المُؤلِّف نِيابَة عن باسيس

11.نابولي: بينوكيو يَكرَه البِيتزَا

186.تمَّ الاقِتبَاس عَن دوماس مِن كِتَاب لي كوريكولو " إن أويوفريس" الجُزْء السَادِس، بروكسل، 1843.ص.561-562

187.بالإمْكَان الاطِّلَاع على الرِسالَة مِن الأُسرَة المَلكيَّة بخُصوْصِ البِيتزَا على مَوْقِع [www.brandi.it/index3.html](http://www.brandi.it/index3.html).

189 رِوايَتِي لجَائِحَة الكوليرا سنَة 1884، وتَأثيْرَات الكوليرا على المَرْضَى مُستمدَّة مِن كِتَاب ف.م.سنودين "نابولي بزَمَنِ الكوليرا" 1884-1911، كامبريدج، المَملَكَة المُتَّحِدَة،1995.

191. "انظُر إلى نابولي ولَاقِي مَنيَّتك، حسنًا أنا لَا أعرِفُ إِن كانَ المرْءُ سيموْتُ بالضَروْرَة بعْدَ رُؤيَتِهَا فقَط" مِن كِتَاب م.توين " الأَبرِيَاء خَارِج البِلَاد، أو مَسِير الحُجَّاج الجَدِيد" هارفارد، كون 1869.

192. إنَّ السَائِح الذِي دخَلَ إلى أحيَاءِ نابولي الوَضِيعَة هو ريناتو فوسيني، والاقتِبَاس مَصدرَهُ ر.فوسيني "نابولي بالعَيْنِ المُجرَّدة" تورين، 1976.ص.29.

192."شعْبٌ غارِقٌ في الجَهْلِ والخُرافَات، وغمَرهُ الحُزْنُ والخَوف" صَحيْفَة التايمز "جنوْبُ إيطاليا" 16 سِبتَمْبَر 1884.

193"مجَانِين تقريْبًا تَملؤهُم الحمَاسَة للمَلِك" مِن صَحيْفَة نيويورك تايمز "مشَاهِد الطَاعوْن فِي نابولي " 14 أيلول 1884.

194. السِيرَة الذاتيَّة النابوليَّة للمَلِكَة مارغريتا هِي مِن كِتَاب ف.دي نابولي "الجمَالُ الأبَدِيُّ للمَلِكَة مارغريتا سافوي" نابولي1894. مُقتبَسٌ مِن الصَفْحَة 69.

12.فلورنسا:1891، بيلغرينو أرتوسي

196.جميْعُ الاقتِباسَات عَن بيلغرينو أرتوسي، وكِتَاب "عِلمُ المَطْبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جيِّد" مَصدرهَا الإصْدَار الذِي نُشِرَ مِن الكِتَاب عَام 1974 مِن قِبَلِ دَارِ النَشْر إيناودي، تورين.

201. وَصْفُ وَجبَة حَفْلِ المرَاكبِي مُقتبَس مِن كِتَاب لـ ر.راغازيني، م.كاساليني، ر.كاساليني، باستور: "مآثِرُ قَاطِع الطَريْقِ ستيفانو بيلوني بإِقليْمِ رومانيا القَرْن التَاسِع عشَر" مديْنَة سيسينا 1998، ص.175

202 الاقتِباسَات عَن أرتوسي والتِي تُعَلِّقُ على أحدَاثٍ بحيَاتِه الشَخصيَّة مَصدرَها سِيرتَه الذَاتيَّة، ميلَان 1993.

211. "إنَّنا عَالقوْنَ أمَامَ هَذهِ الأَفْرَان طِوَال اليَوْمِ تقريْبًا" مصدَرُهُ دومينيكو أمادوتشي، الذِي أكلَ معَ أرتوسي عنْدمَا كانَت حياتَهُ تُشارِفُ على النِهايَة وكتَبَ عَن تَجرُبتَهُ تلك في كِتَاب "لِقَاءٌ معَ بيلغرينو أرتوسي" مُنتدَى بوبيلي،1961.ص.41

13. جَنَوَة:1884-1918: المُهاجِروْنَ والسُجنَاء

226. إنَّ مَصدَر وَصْفَة السباغيتي معَ كُرَات اللَّحم هو كِتَاب س.غيبس كامبيل "السباغِيتِي لِلأمريكيِّين" والذِي قامَت مَجلَّةُ المَعكروْنَة بإِعادَة إِنتَاجِه فِي 15 أكتُوبَر 1929 بموافقَةٍ كَريمَةٍ مِن رَابِطَة المَعكروْنَة العَالميَّة. 330

227. جميْعُ الاقتِباسَات عَن قِصَّة مُرَافِق ماركو بولو برِحلَتهِ البَحريَّة هِي مِن آنون "القِصَّة المَلحميَّة لكاثي" وقامَت مَجلَّة المعكروْنَة بإِعاَدة إِنتَاجِه في الخَامِس عشَرَ من أكتوْبَر 1929 بمُوافقَةٍ عطوْفَةٍ مِن رَابِطة المَعكروْنَة العَالميَّة.

230. "الاستِهلَاك بتزَايُد، والفلَّاحوْنَ أقَلَّ قَنَاعَة" مُقتبَس عَن ف.تيتي " الهِجرَة، الغِذَاء، والثقَافَات الشَعبيَّة" مِن كِتَاب "تاريْخُ الهِجرَة الإيطَاليَّة" لـ ب.بيفيلاكوا، أ.كليمنتي. الجُزْء الأوَّل، روما،2001، ص 581.

233. "اليَأْس، الجُوْع، الشجَاعَة المُعذَّبَة مِن الجُوْع: الهُزَال المُستَمِر" للكَاتِب غادا، فِي مجلَّة الحَرْبُ والسِجْن، ضِمْنَ مقالَات الخُرافَات وكِتابَات أُخْرَى.س.فيلا وآخَروْن. ميلَان 1992، ص.746. أمَّا الاقِتباسَان الآخرَان عَن أَسْرَى حرْبٍ جَائعِين فمَصدرَهُمَا كِتَاب جيوفانا بروكاتشي "الجنوْدُ والسُجنَاءُ الإيطاليُّوْنَ في الحَربِ العُظْمَى".

234. كلُّ الاقتِباسَات مِن كِتَاب وَصَفَات شيوني قَد أُعِيدَ إِصدارَها بموَافقَةٍ كريْمَةٍ مِن روبيرتا شيوني، صاحِبَة المَخطوْطَة.

234. "توجَدُ نِزاعَاتٌ مُستمِرَّةٌ على الأُموْرِ التَافِهَة: فهُناكَ صرَخَاتٌ ضِدَّ الظُلمِ عنْدمَا تَسقُط قِطعَةٌ إضافيَّةٌ مِن البطَاطَا فِي وِعَاء شَخْصٍ آخَر "هِي للكَاتِب بروكاتشي "الجنوْدُ والسُجنَاءُ الإيطاليُّوْنَ في الحَربِ العُظْمَى".ص.307.

14.روما: 1925-1938: قَريَة موسوليني الريفِيَّة.

244. "تُعلِنُ الفاشِيَّة أنَّ المَفهوْمَ المَادِّي" مُقتبَسٌ مِن كِتَاب موسيليني "عَقيْدَةُ الفَاشِيَّة" مِن كِتابَات وخُطَب بينيتو موسوليني. الجُزْء 8، ميلَان 1934.ص 79.

15.تورين،1931: حانَةُ حِسِّ التذَوُّق المُقدَّس.

252. جميْعُ وَصَفَات الأطْبَاق المُستقبليَّة مُقتبسَة مِن كِتَاب مارينيتي وفيليا "أسلوْبُ الطَهيِ المُستقبَلِي" ميلان، طَبْعَة عَام 1986.

16. ميلَان، 1936: ربَّاتُ المنَازِل والذوَّاقَة.

256. "دوْنَ أَن يُغَادِرْنَ المَنزِل والمَوقِد فَأيدِيهِنَّ تعمَلُ وقلوبَهُنَّ تنبِضُ لأَجْلِ الأُمَّة" مُقتبَس من ب.ر.ويلسون: "طَهيُ العُجَّة الوطنيَّة: النِسَاء وحَمْلَة التَريِيْفِ الفَاشيَّة الإيطاليَّة" في مجَلَّة التاريْخِ الأوروبِّي التِي تَصْدُر دوريًا. الجُزْء 27، العدَد4 .1997.

258. "أيَّتُها الفتيَات! أيَّتُها الأُمَّهات الحَنوْنَات! يا نِسَاء إيطَاليا!". مِن كِتَاب ف.موميليانو "العيْشُ في الأَوقَاتِ الصَعْبَة: كيْفَ تُوَاجِهُ المَرْأَة الأزمَات الاقتِصَاديَّة"

ميلَان،1933.ص.7-8.جميْعُ الاقِتباسَات الأُخرَى لموميليانو فِي هذَا القِسْم مِن الفَصْل هِي مِن المَصْدَر ذَاتِه.

263."الريزوتو اليهَودِي أَكلَة رَائِعَة، ويُمكِن أَن تَحْظَى بتَقديْرِ الجَمِيع، أيًا كانَ الإيمَانُ الذِي يعتَنقوْنَه!" هذَا الاقتِبَاس وغَيْرَه عَن ف.موميليانو هو مِن كِتاَب "تنَاولُ الطعَامِ على الطريْقَة الإيطَاليَّة" ميلَان 1936.

263. إنَّ سَردِي لتاريْخِ المَطبَخ اليَهودِي فِي إيطاليا مُستمَدٌّ مِن كِتَاب أ.تواف "الطعَامُ اليَهودِي: المَطبَخ اليَهودِي فِي إيطاليَا مِن عصْرِ النَهْضَة إلى عصْرِنَا الحَالِي" بولونيا،2000. 331

265. "منْذُ أربعيْنَ عامًا أو نَحوَها، كانَ مِن النَادِر رؤيَةُ البَاذِنجَان والشَمر" مُقتبَسٌ مِن بيلغرينو أرتوسي فِي كِتَابهِ "عِلمُ المَطبَخ وفنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جيِّد" تورين 1974.ص.363

17. روما،1954: مُعجِزَة الطعَام.

280. "هوَ جَوْهَر مَا نَعتَبِرَه الآنَ بحِميَة البَحْرِ المُتوَسِّط" عَن أ.كيز بمقَالِه "حِميَة البَحْرِ المُتوَسِّط والصِحَّة العامَّة: تأمُّلَات شَخصيَّة" في المجَلَّة الأَمريكِيَّة للتَغذِيَة السَريرِيَّة، العَدَد61،1995، ص396.

288. وَصْفَة حسَاء أرتوسي فِي هذَا القِسْم مَصدرهَا كِتابُه "عِلمُ المَطْبَخ"، أمَّا وَصَفَات الريبوليتا الأُخرَى فَهِي مِن مصَادِرٍ عَديْدَة قُمْتُ بتَجمِيعِهَا، سوَاءً أكانَت شفهيَّة أم مَطبوْعَة.

18.بولونيا،1974: معكروْنَة تورتيليني الأُم.

290. أَود أَن أَشكُر بشَكلٍ خَاص ستيفن جوندل على نَصيحَتهِ فِي هذَا الفَصْل، والتِي تعتَمِد على مقَالتِه الرَائِعَة لصوفيا لورين بسَردِهَا لتطَوُّر شَخصيَّتها.

293. "إنَّ هذَا الكِتَاب عزيْزٌ عِندِي أكثَر مِن أَيِّ فِيلمٍ نَاجِح" صوفيا لورين مِن كِتَابِهَا "كُلْ مَعِي" لندن 1972،ص.7.

297. "كجِنرَال أمَامَ خريْطَة إيطَاليا" مُقتبَس عن ي.إنفيرنيزي فِي كِتَابِه "المعكروْنَة والحُب والخيَال: وَصفَةُ النجَاح بمَعامِل معكروْنَة رانا" ميلَان 2006.ص 31.

300. "لديْنَا طعَامٌ تحْتَ تصَرُّفِنَا، وغالِبًا مَا يكوْنُ طعامًا جيِّدًا للغايَة، مِن أيِّ جُزءٍ بالعَالَم، وطِوَال أيَّام السَنةَ". صوفيا لورين مِن كِتَابِهَا "ُكُلْ مَعِي" ص62.

19. جَنَوَة،2001-2006:الرَيْحَان المُعَاب

307. " الرَيْحَان الذِي يَزعموْنَ أنَّه يُزرَع فِي مُستَنبتَاتِنَا الزُجاجِيَّة" مُقتبَسٌ عَن "بيبي غريللو: إنَّها معركَةٌ خَاسِرَة" فِي مُقابلَة أَجراهَا معَهُ رينزو بارودي في 24 يوليو 2002.

20. تورين، 2006: إنقَاذُ الفلَّاحِين.

313. "إنَّنا نُنتِجُ مِن الطعَام مَا يَكفِي لـ12 مِليَار مِن الأَروَاح الحَيَّة، وهنَاك 6 مِليارَات و 300أَلف فقَط منَّا على الأَرْض" مِن خِطَاب بيتريني المُترجَم مِن البيَان الصحَفِي الذِي تمَّ تَوزيْعَه فِي مُؤتمَر تيرا مادري، 2006، واقتبسْتُ عنْهُ بإذْنٍ عطوْفٍ مِن حرَكَة سلو فوود بمَنطِقَة برا. 332

**قائِمَةُ المَرَاجِع**

منْذُ اليوْمِ الذِي ذهبْتُ فيْهِ إلى الطَاحوْنَة البيْضَاء، فإنَّ أعظَم سعَادَةٍ عادَ عليَّ بهَا هذَا الكِتَاب هِي ببسَاطَة الحَديْث، فالإيطاليُّوْنَ يُحبُّونَ أَن يتكَلَّموا عَن الطعَام، وهُم يتحدَّثوْنَ عنْهُ بشَكلٍ مُسهَب، حتَّى أنَّ ذَلِك يَبدو للأجَانِب في البِدايَة يبْعَث على الذُهوْل، لقَد بدأَت هَذهِ الأحَاديْث فِي المدُن الإيطَاليَّة في العصوْرِ الوسْطَى، وهِي تَجْرِي الآنَ في الكتُبِ والصُحفِ والتِلفَاز وعبْرَ الإنتِرنِت. وبدوْنِ دَعْمِ ذَلِك الجِدَال المُتوَاصِل، فإنَّ حضارَةَ المَائِدَة الإيطَاليَّة ستكوْنُ بطَريقِهَا للزوَال بسُرعَة، لذَلِك فإنَّ تقديْمَ معَابِرِهَا الأشَدَّ وضوْحًا واستِنارَةً هِي أحَدُ اكثر أهدَافِي أهميَّةً فِي كِتَاب "اللَّذة!" ولهذَا فأنَا مَديْنٌ بقَدْرٍ كبيْرٍ للمُؤرِّخيْن الرَائدِيْن للطعَامِ الإيطَالِي.

هناكَ العديْدُ مِن المؤرِّخين الذيْنَ أشَرْتُ إلى أعمَالهِم باستِمرَارٍ أثنَاء بَحْثِي وكِتابَتِي "اللَّذة!"، مِن أَبرَزهِم ألدو كاباتي وماسيمو مونتاناري، واللذَانِ يَستَحِقَّا أيْضًا شُكرِي الخَاص لكَوْنهمِا رِفقَةً جيِّدَةً على مَائِدَة الطعَام. كان عمَلُ بيرو كامبوريسي وبرونو لوريو مصْدرًا دائمًا للتَحفِيْز، وكمَا سيَعرِفُ القُرَّاء المُطَّلعوْنَ على أعمَالِ البَاحثِين المَذكورِين فِي الأَعلَى، فإنَّ فِكرَة أنَّ المُدُنَ تُقدِّمُ أفْضَل وِجهَة نظَرٍ عَن تاريْخِ الطعَامِ الإيطَالي ليْسَ مِن اكتِشَافِي؛ برَغْمِ أنَّ كِتَاب "اللَّذة!" يَمْضِي بهَذِه الفَرضِيَّة أبعَد ممَّا وصَل إليْهِ أيُّ شَخصٍ مِن قَبْل، تمَّ اكتِشَاف بعْضِ المصَادرِ التِي استَخدمْتُهَا مِن قِبَلِ آخَريْن، كمَا أنَّ بعْضًا مِن حُجَجِي تَعكِسُ نتَائِج البَحثِ الشَامِل الحَالِي لتَاريْخِ الطعَام الإيْطَالي.

تُعتبَرُ الكتُبُ التَالِيَة نُقطَة انطِلَاقٍ أساسِيَّةٍ لأيِّ شَخصٍ يسْعَى لمَعرِفَة المَزيْدِ عَن تاريْخِ الطعَامِ الإيطَالي، بِرغْمِ أنَّ أسمَاء المُؤلِّفيْن لَا تظْهَر في نصوْصِ كِتَاب "اللَّذة!"، فإنَّنِي قَد تعلَّمْتُ الكثيْرَ مِن خِلَالهِم.

ب.كامبوريسي، "الغذَاء، التقَاليْد والمُجتمَع" مديْنَة بارما،1980.

ب.كامبوريسي، "مُقَدِّمة" عَن كِتَاب ب.أرتوسي "عِلْمُ المَطْبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطعَامِ بشَكلٍ جيِّد" تورين 1974. 333

أ.كاباتي، أ.دي.بيرناردي، أ.فارني، " تاريْخُ إيطاليا. السِجلَّات السنَويَّة ال13.الغَذَاء" تورين 1998. ( إنَّ المقالَات الفرديَّة المُشَار إليْهَا في الأسْفَل مَصدرهَا كاباتي وآخَروْن، في "الغِذَاء").

أ.كاباتي و م.مونتاناري، " المَطبَخ الإيطَالي: تاريْخُ الثقَافَة" مديْنَة لاتيرزا 1999.

ي.فاتشولي، "فَنُّ الطَهِي: مِن القرْنِ الرَابِع عشَر إلى القرْنِ التَاسِع عشَر" جُزآن، ميلَان 1966.

ج.ل.فلاندرين وم.مونتاناري، "تاريْخُ الغِذَاء" روما، باري 1997 (إنَّ المقالَات الفردِيَّة المُشَار إليْهَا في الأسْفَل مصْدرهَا فلاندرين ومونتاناري بكِتَاب "تاريْخُ الغِذَاء).

ب.مالديني، "على الطاوِلَة وفي المَطبَخ"،ب.ميلوغراني (تَنقِيح) لكِتَاب "الأُسرَة الإيطَاليَّة مِن القرْنِ التَاسِع عشَر إلى اليَوْم" روما-باري 1988

م.مونتاناري، "الجوْعُ والوَفْرَة: تاريْخُ الطعَام في أوروبا" روما-باري 1997

م.مونتاناري، "الطعَام والثقافَة" روما-باري 2005

س.سيرفينتي و ف.سابان، "المعكروْنَة: تاريْخُ وثقافَةُ الطعَام العَالَمِي" روما-باري 2000

ب.سورسينيلي، "الإيطَاليُّون والطعَام: مِن عصيْدَة الذُرَة إلى البِسكوِيْت المُملَّح" ميلان 1999.

هُناكَ عمَلٌ مَرجِعيٌّ وَاحِدٌ يستَحِقُّ الذِكْرَ هُنَا لأنَّه يشَكِّل أيْضًا مصْدرًا لَا يُقدَّر بثمَن للعَديْدِ مِن الجوَانبِ الغَامِضَة فِي تاريْخِ الطعَام الإيطَالِي، هو "القاموْسُ الشَامِل للُّغَة الإيطَاليَّة" للمؤَلِّف س.باتاغليا.تورين 1961-2002.

**1.توسكانا: لَا تُخْبِر الفلَّاحِيْن...**

ت.بيانكولاتي "كانَت البِدايَة هِي الطَاحوْنَة: البَيْضَاء" بمُقابلَةٍ معَ أندريا بوريشانتي [www.kataweb.it/spec/articolo\_speciale.jsp?ids=6848506Cid=684691](http://www.kataweb.it/spec/articolo_speciale.jsp?ids=6848506Cid=684691).

و.بينجامين "هَذهِ الفرضيَّات عَن فلسَفَة التَاريْخ" في برنَامِج إضاءَات، لندن 1973.

ج.غيوستي وج.كابوني، "قاموْسُ الأمْثَال الإيطاليَّة".

أ.إيفاردي غانابيني وج.غونيزي، "باريلا: مِئَة عَام مِن الإعلَانَات والتوَاصُل" ميلَان 1994.

د.ميريليني في كِتَاب "مقَالُ البَحْثِ في هِجَاء الشِرِّيْر" تورين 1894.

ج.بيتانو، "عِبَارَاتٌ مِن الرَأْس: مُعجَم الأمْثَال والمُصطَلحَات والعِبَارَات" بولونيا 1996.

"نُقطَة تحَوُّل الطاحوْنَة البيْضَاء" صَحيْفَة لاريبابليكا .16 أكتوبر 2005

ل.فيرجيلوني " الطعَامُ العَصرِي" عَن كاباتي وآخَروْن فِي كِتَاب "الغذَاء"

الطاحوْنَة البيْضَاء: www.ilmulinobianco.it

لامولينو ديلي بايل: [www.agriturismoilmulino.com](http://www.agriturismoilmulino.com).

**2.باليرمو،1154: المعكروْنَة ومُجسَّم الكُرَة الأرضِيَّة**

د.أبو العافية "نِهايَة مُسلِمِي صَقَليَة" في كِتَابِه " التِجارَة والفُتوحَات في البَحْرِ المُتوسِّط 1100-1300" مديْنَة ألديرشوت،1993.

د.أبو العَافِيَة "مملكَةُ صَقَليَة تحْتَ حُكمِ عائِلَة هونيستوفن والأنجويون" مِن كِتَابِه "تاريْخُ كامبريدج الجَديْد في العصوْرِ الوسْطَى" الجُزء5، 1198-1300. كامبريدج، المَملكَة المُتَّحِدَة،1999.

أ. أحمد، "تاريْخُ صَقَليَة الإسلَاميَّة" إدنبره، 1975. 334

م.عماري وصْفٌ لإيطاليا، "المَلِك روجر" روما 1883.

م.عماري، "تاريْخُ المُسلمِين في صَقَليَة" كاتانيا 1933-1939.المُجلَّد 3، الجُزْء 3

ب.أميدي جوبيرت، "جُغرَافيَّة الإدريسي: مُترجم مِن العربيَّة إلى الفرنسيَّة" باريس 1836(المُجلَّد1) و1840 (المُجلَّد2)

س.باتيستي وج.أليسيو، "قاموْسُ اللُّغَة الإيطاليَّة" فلورنسا 1951.

ج.ب.كاردونا ، "حَلوَى اللَّوْز والسُكَّر" لينغوا نوسترا،1969

ج.كوريا، " روَائِح صَقَليَة: كِتَاب "مطْبَخ صَقَليَة" باليرمو 1981

م.كورتيلازو وب.زولي في كِتَاب "القاموْسُ الأصليُّ للغَةِ الإيطَاليَّة" بولونيا 1983.

ن.ناديل بكِتَابِه "العرَبُ وأوربا العصوْرِ الوسْطَى" لندن 1979.

أ.دينتي دي بيراجنو، "تعَلُّمُ فَنِّ الطَهي" مديْنَة فيتشينزا 1964.

ف.دي جيوفاني، " تضَاريْسُ باليرمو القَديْمَة مِن القرْنِ العَاشِر إلى القرْنِ الخَامِس عشَر" مُجلَّدَان، باليرمو 1889 و1890.

أَبو القَاسِم محمد بِن حوقل، كِتَاب "المسَالِك والممَالِك" مِن نُسخَة مُعدِّلة لـ م.عماري، "مكتبَةُ صَقَليَة العَربيَّة" المُجلَّد 1، تورين 1880.

س.د.غويتين، "صَقَليَة وجنوْبُ إيطاليا في وثَائِق القاهرة" الأَرشِيْف التَاريْخِي لصَقَليَة الشَرْق. المُجَلَّد الأَوَّل 1971.

هـ.ت.هوبين، "روجر الثاني مَلِك صَقَليَة: الحَاكِم بيْنَ الشَرْقِ والغَرْب" كامبريدج، المملكة المتحدة 2002. وكِتَاب "الإدريسي: أوَّل جُغرافيَة للغَرْب" باريس 1999. وكِتَاب "جُغرافيَّة الإدريسي: أطلَسُ العَالَم في القرْنِ الثَانِي عَشر" باريس ،2000.

د.كيني، "المدُن ونمُو التِجَارة" تمَّ تَنقيْحَه مِن قِبَل د.لوسكومب وج.ريلاي سميث بكِتَاب "التاريْخُ الحَديْث لكامبريدج في العُصوْرِ الوسْطَى" المُجلَّد 4. 1024. 1198، كامبريدج، المملكة المتحدة.

هـ.كينيدي، " صَقَليَة والأندلس في ظِلِّ حُكمِ المُسلمِين" ضمْنَ كِتَاب مُنقَّح لـ.ت.رويتر "التَاريْخُ الحَديْث لكامبريدج في العُصوْرِ الوسْطَى" المُجلَّد 3 ،900. 1024. كامبريدج ، المملكة المتحدة 1999.

كراتشكوفسكي، "الجُغرافيُّون العَرَب في القَرنَيْن الحَادِي عشَر والثَانِي عشَر في الغَرْب" السِجِل السَنَوي لمَعْهَد الدِراسَات الشَرقيَّة.1960-1961.

ر.س.لوبيز، "الثوْرَة التِجاريَّة في العُصوْرِ الوسْطَى" 950-1350، كامبريدج، المملكة المتحدة .1976.

م.لوريا وس.كوادروباني في كِتَاب "سبْعُ قِصَصٍ وخمسون وصْفَة صَقَليَة مِن رائِحَة الجَزيْرَة العربيَّة" ميلان 2004.

أ.لود في كِتَاب "جنوْبُ إيطاليا في القرْنِ الحَادِي عشَر" وكِتَاب "صَقَليَة النورمَانديَّة في القرْنِ الثَانِي عشَر" كلَاهُما قامَ بتَنقيحِه في كِتَاب جَديْدِ، كلٌ مِن د.لوسكومب وج.ريلاي سميث " التاريْخُ الحَديْث لكامبريدج في العُصوْرِ الوسْطَى" المُجلَّد 4، 1024. 1198، الجُزء 2. كامبريدج ، المملكة المتحدة.2004.

أ.ميتكالف،"المُسلِموْن والمَسيحِيُّون في صَقَليَة النورمَانديَّة" لندن ،2003.

ج.عمان "الإدريسي"، "المَوسوْعَة الإسلَاميَّة"، المُجلَّد 3، لندن.1971.

ج.باليرمو باتيرا، "باليرمو العَربيَّة" باليرمو،1991.

ج.باردي، "وَصْفُ إيطاليا في القرْنِ الثَانِي عشَر مِن جُغرَافِي عَرَبِي" في المُذكَّرات الجُغرافيَّة، تَكمِلَة للمَجلَّة الجُغرافيَّة الإيطَاليَّة. المُجلَّد 13. 1919.

ف.ب.بيغولوتي، "مُمارسَة التِجَارة" كامبريدج، مارس،1970.

ج.ب.بيليغريني "مارتبانا-مارزبانا" لينغوا نوسترا 1976،ص.3-4.

ت.بيترسون، "التأثيْرُ العرَبِيُّ على الطَهيِ الأوروبِّي الغَرْبِي" مجلَّة تاريْخُ العصوْرِ الوسْطَى، المُجلَّد 6، العَدَد3،11980.

ج.بيتريه، "العروْضُ والمهرجانَاتُ الصَقَليَّة العَربيَّة" باليرمو 1881.

أ.براتي، "المُفردَاتُ اللغويَّة الإيطَاليَّة" ميلَان 1951. 335

و.ريدون و ب.لاوريوكس "ظهوْرُ وانتِشَارُ المعكروْنَة المُجفَّفة فِي إيطَاليا مِن القرْنِ الثَالثِ عشَر إلى السَادسِ عشَر" فِي كِتَابٍ تمَّ تَجميْعُ مصَادرهِ مِن قِبَل د.غارسيا ود.ميكس " التِقنيَّات والاقتِصَاد القَديْم والعصوْرِ الوسْطَى" باريس 1997.

و.ريدون و ب.لاوريوكس، مقَالَة "دُستوْرُ فِئَة الطَهيِ المُعَاصِر؟ المعكروْنَة فِي كُتُب الطَهْيِ الإيطَاليَّة بأوَاخِر العصوْرِ الوسْطَى" مِن كِتَاب "العُصوْرُ الوسْطَى" الجُزْء 16-17. 1989.

ب.روزنبرغر، "المَطبَخُ العرَبيُّ وإِسهامَهُ في المَطبَخِ الأوروبِّي" فِي كِتَابٍ تمَّ تجميْعُ مصَادرهِ مِن قِبَل فلاندرين ومونتاناري "تاريْخُ الطعَام".

ب.روزنبرغر، مَقالَة "المعكروْنَة في العالَم الِإسلَامِي" مِن كِتَاب "العصوْرُ الوسْطَى" الجُزْء 16-17. 1989.

ل.سادا، "السبَاغيتِي والرِفْقَة" باري،1982.

ن.سابيو بارتيليتي، "المطبَخُ الصقَليُّ النَبيْلُ والشَعْبِي" ميلَان،1980.

ج.شاكت و ي.بوسورث، "إرْثُ الإسْلَام" أوكسفورد،1974.

ي.فاللي، " المطبَخُ الصقَليُّ" بولونيا، 1997.

ا.فارفارو، "المُفردَاتُ اللغويَّة الصقَليَّة" المُجلَّد الأوَّل، باليرمو 1986.

ل.زاوالي، "الإسْلَام على المَائِدَة: مِن العُصوْرِ الوسْطَى حتَّى اليَوْم" روما-باري. 2002.

1. **ميلَان، 1288: السَلَطَة، العِنايَة الإلهِيَّة، والجزَرُ الأَبْيَض.**

دأ.س.آفالي مقَالَة "بونفيسين دا لا ريفا"، "قاموْسُ السِيرَة الذَاتيَّة للِإيطَاليِّين" المُجلَّد 12، روما،1970.

ج.بوكاتشيو، "ديكاميرون.ف.برانكا" فلورنسا 1976

كِتَاب بونفيسين دا لا ريفا في كِتَابٍ تمَّ تجميْعُ مصَادرهِ مِن قِبَل ج.كونتيني "الأَعمَالُ المُبتذلَة" روما 1941.

كِتَاب بونفيسين دا لا ريفا في كِتَابٍ تمَّ تجميْعُ مصَادرهِ بواسطة ب.ديهيل و ر.ستيفانيني "المُختَار الشَائِع" نيويورك 1987.

بونفيسين دا لا ريفا في كِتَابه "ميلَان الشَاسِعَة: عجَائِبُ ميلَان" ميلَان 1998.

أ.بوسيسيو في مقَالَة "ميلَان ووَعْيُ الموَاطِن في القرْنِ الثَالثِ عشَر" فِي كِتَاب "وعْيُ الموَاطِن في المدُنِ الإيطاليَّة بالقرْنِ الثَالثِ عشَر" مديْنَة بيروغيا 1972.

"الاستِهلَاك: اتِّحَاد المُزارعِيْن، وجُبنَة البَارمِيزَان التِي تُسْرَقُ في محلَّات السوبِر مَاركِت" أخبَارُ اتِّحَاد المُزَارعِيْن الوَطَنِي. العدَد624، 15 أكتوبر، 2006.

http://www.coldiretti.it/docindex/cncd/ informazioni/624\_06.html.

ج.كونتيني، " شُعرَاءُ القرْنِ الثَالثِ عشَر" المُجلَّد 1، ميلَان-نابولي،1960.

ت.ديان، "صُعوْدُ اللُّوردَات" فِي كِتَابٍ تمَّ تجميْعُ مصَادرهِ مِن قِبَل د.أبو. العَافِيَة "إيطَاليَا فِي العُصوْرِ الوسْطَى" أوكسفورد،2004.

ج.فاسولي بِمقَالة "الوَعْيُ المدنِيُّ في ثقافَةِ الفَنِّ والعُلوْم" مِن كِتَاب "وَعْيُ الموَاطِن في البلديَّات الإيطاليَّة في القرْنِ الثَالِث عشَر" مديْنَة بيروغيا،1972.

أ.فروغوني وس.فروغوني، "تاريْخُ يوْمٍ في مديْنَةٍ بالعصوْرِ الوسْطَى" روما-باري 1997.

ي.غويدوني بمقَالَة "الذُل والثقافَة الحَضَريَّة للومباردي" في كِتَاب "المَدَنِيَّة: مِن العصوْرِ الوسْطَى إلى عصْرِ النهْضَة" باري 1981.

ب.ج.جونز، "الدَولَة المَدَنِيَّة الإيطَاليَّة: من نِظَام البلديَّات إلى سُلطَة حُكْم اللُّوردَات" أوكسفور 1997.

ل.مارتينز، " السُلطَة والخيَال: الدوْلَة المَدَنِيَّة في إيطاليا بعَصْرِ النَهْضَة" لندن 2002.

ف.نوفاتي في مقَالَة "كِتَاب عظَمَة ميلَان لبونفيسين دا ريفا" مِن مَعهَد لومباردي المَلَكِي للعلوْمِ والآدَاب: تقَاريْر. المُجلَّد 28. 1895. 336

ف.نوفاتي، "عجَائِبُ ميلَان" نشْرَةُ المَعْهَد التَاريخِي الإيطَالِي المُجلَّد 20. 1898.

ي.أوكوبينتي فِي كتَابِه "ريْفُ ميلَان في القرْنِ الثَالثِ عشَر" بولونيا 1982.

د.رومانولي في مَقالَة "مُجاملَةٌ في المَدَنِيَّة: نَموْذَجٌ مُعقَّد: مُلَاحظَاتٌ عَن أخلَاقيَّات العُصوْر الوسْطَى مِن الأخلَاقِ الحَميْدَة" وذَلِك فِي كِتَابٍ قامَ رومانولي بتَجميْعِ مصَادرِه " المَدَنِيَّة في المَحْكمَة: السُلوكيَّات الجَيِّدة والسَيِّئة بيْنَ العُصوْرِ الوسْطَى والعَصْرِ الحَديْث" ميلَان 1991.

ف.ساكيتي، "ثلَاثُ مِئَة رِوَايَة" تورين 1970

"تاريْخُ ميلَان" المُجلَّد الرَابِع، مِن الصِراعَات معَ بارباروسه إلى السَيِّد الأَوَّل (1152- 1310) ميلَان، 1954.

**4.البُندقيَّة: عَام 1300، همسَاتٌ صِينِيَّة**

أ.دالبي بكِتَابهِ "المذَاقَاتُ الخَطِرَة: قصَّةُ التوَابِل" لندن 2000

ج.ل.فلاندرين، "التوَابِلُ وأسلوْبُ الطَهيِ وعِلمُ التَغذِيَة بيْنَ القَرنَينِ الرَابِع عشَر والسَادِس عشَر" فِي كِتَابٍ قامَ فلاندرين ومونتاناري بتَجميْعِ مصَادرِه "تاريْخُ الطعَام".

ج.ل.فلاندرين و و.ريدون "كتُبُ الطبْخِ الإيطاليَّة في القَرنَيْن الرَابِع عشَر والخَامسِ عشَر" مِن كِتَاب "علْمُ الآثَارِ في العُصوْرِ الوسْطَى" المُجلَّد 8. 1981. وكِتَاب "مشَاكِلُ التَاريْخِ الغِذَائِي في إيطَاليا العُصوْرِ الوسْطَى"

ل.فراتي، "كِتَابُ طَهيٍ مِن القرْنِ الرَابِع عشَر" ليفورنو 1899.

س.فروغوني، "حَوْلَ العُصوْرِ الوسْطَى: النظَّارَات والأَزْرَار والاختِراعَات الأُخرَى في العُصوْرِ الوسْطَى" روما-باري2001.

ج.غيرارديني، "مِئَةُ وَصْفَةٍ قَديْمَةٍ لمَطبَخِ البُندقيَّة" البُندقيَّة 1970.

هـ.هـ.هارت، "ماركو بولو: المُغَامِر الفينيسي" مديْنَة نورمان، أوكلا 1967.

ج.لارنر، " ماركو بولو واكتِشَافُ العَالَم" لندن 1999.

ب.لاوريوكس، "استِخدَام التوَابِل في النِظَام الغِذَائِي بالعُصوْرِ الوسْطَى" فِي كِتَاب "العُصوْرُ الوسْطَى" المُجلَّد 5. 1983.

ب.لاوريوكس " تغيُّرَات الطَعْمِ والذَوْق بأوَاخِر العُصوْرِ الوسْطَى" فِي كِتَاب "العلوْمُ التَطبيقِيَّة في أوروبا العُصوْر الوسْطَى" بروكسل، 1989

ب.لاوريوكس "مَطبَخُ القروْنِ الوسْطَى القرنَيْن الرَابِع عشَر والخَامِس عَشر" في كِتَاب لـ فلاندرين ومونتاناري "تاريْخُ الطعَام".

ب.لاوريوكس، "الهِويَات الوَطنيَّة، والخصَائِص الإقليمِيَّة والأطبَاقُ الأوروبيَّة في مطبَخِ القروْنِ الوسْطَى" في كِتَاب مونتاناري "العَالَم في المَطبَخ: التَاريْخ، الهَويَّة، التبادُلَات التِجَاريَّة" روما-باري 2002.

ف.س.لان، "البُندقيَّة: الجُمهوريَّة المُجَاوِرَة للبَحْر" بالتيمور 1973.

ف.س.لان، "دِراسَاتٌ في تاريْخِ البُندقيَّة الاجتِمَاعِي والاقتِصَادِي" لندن 1987.

ج.لوزاتو، "التاريْخُ الاقتِصَاديُّ للبُندقيَّة مِن القرْنِ الحَادِي عشَر إلى السَادسِ عشَر" البُندقيَّة 1961.

ج.مافيولي، "مطبَخُ البُندقيَّة" بادوا 1982.

ج.مافيولي، "أسلوْبُ الطَهي الفينيسي "بادوا 1995

ر.لوبيز وي.رايموند (مُترجَم) "تِجارَةُ العصوْرِ الوسْطَى بمَنطِقَة البحْرِ المُتوَسِّط" نيويورك 2001.

ب.ج.مولمينتي، "تاريْخُ الحيَاةِ الخَاصَّة للبُندقيَّة" تورين 1880.

ل.أولتشيكي، "آسيا عبر ماركو بولو" البُندقيَّة 1957

ج.بينتو، " أوَائِل المصَادِر الوثائقيَّة عَن القروْنِ الوسْطَى" في كِتَاب "عِلْمُ الآثَارِ في القروْنِ الوسْطَى" المُجلَّد 8، 1981. في كِتَاب قَامَ م.بولو و ي.مازالي بجَمْعِ مصَادرِه "مشَاكِلٌ بتاريْخِ الطعَامِ في إيطَاليا العصوْرِ الوسْطَى" ميلَان 1982. 337

ج.ريبورا،" المطبَخُ الإيطَاليُّ في العُصوْرِ الوسْطَى بيْنَ الشَرقِ والغَرْب" جَنَوَة 1996.

و.ريدون و ب.سابان و س.سكرفينتي، "على المَائِدَة في العُصوْرِ الوسْطَى" روما – باري 2005.

س.روجيني وآخَروْنَ، "البُندقيَّة: من النَشْأَة إلى سُقوْطِ الجُمهوريَّة" المُجَّلد الأوَّل. مِن كِتَاب "أُصوْلُ الدوقيَّة " روما 1992.

م.سالفاتوري دي زولياني، " مطبَخُ البُندقيَّة" ميلَان 1986

أ.تينينتي و س.فيفانتي، "نهايَةُ نِظَام مِلَاحَة رَائِع: معَارِضُ البُندقيَّة التِجاريَّة، القرْنُ الرَابِعُ عشَر-القرْنُ السَادِسُ عشَر" السِجلَّات السَنويَّة. 1961.

**5.روما، 1468: مُتعَةٌ لَائِقَة**

س.بينبورات، "المطبَخُ الإيطَاليُّ في القرْنِ الخَامسِ عشَر" فلورنسا 1996.

س.بينبورات، " المِهرجانَاتُ والمَآدُب: العيْشُ المُشترَك الإيطَالِي بيْنَ القَرنَيْنِ الرَابِع عشَر والخَامسِ عَشر. فلورنسا 2001.

د.كاكامو، "فيليبو بوناكورسي، تجَارِبُ كاليماخوس" قاموْسُ السِيرَة الذَاتِيَّة للإيطَاليِّين، المُجلَّد 15 روما 1972

أ.كامبانا وب.ميديولي ماسوتي، "بارتولوميو ساكشي: بلَاتينا (بيادينا 1421-روما 1481) بادوا 1986.

ج.تشيتوليني، "الدوَلُ الإقليميَّة والمؤسَّسات الكَنَسِيَّة بشَمَالِ إيطاليَا في القرْنِ الخَامسِ عشَر" في كِتَابٍ قَامَ ج.تشيتوليني وج.ميكولي بجَمْعِ مصَادرهِ "تاريْخُ إيطَاليا: السِجلَّات السنويَّة" المُجلَّد 9. و"الكَنيْسَةُ والسُلطَةُ السِيَاسيَّة" تورين 1986.

ن.كلارك، "ميلوزو دا فورلي: رسَّامُ البابا" لندن 1990.

ج.ف.دي أميكو، "إنسانيَّةُ عَصرِ النَهضَة في روما البَابويَّة: الإنسانيُّوْنَ والكَنَسيُّونَ عَشِيَّة الإصلَاح "بالتيمور 1983.

ج.ب.دي روسي، "أَكاديمِيَّة بومبينو ليتو ومُذكَّراتِه المُدوَّنَة على جُدرَان سرَاديْبِ المَوْتَى الرومَانيِّين" نشْرَةُ الآثَارِ المَسيحِيَّة المُجلَّد 1. 1890.

ي.دوفي، "القِديسِونَ والآثِموْن: تاريْخُ الباَبوَات" نيوهيفن، كون 1997.

ج.دونستون، "البَابَا بولس الثَانِي والإنسَانيُّون" مجَلَّةُ التَاريْخِ الدِينِي. المُجلَّد 4. 1973.

ي.غارين، "كِتَابُ النَثْرِ باللَّاتينِية في القرْنِ الخَامسِ عشَر" ميلَان 1952.

ر.لانشاني، "رومَا القديْمَة في ضوْءِ الاكتِشافَات الحَديْثَة" لندن 1888.

ب.لاوريكس، "أسلوْبُ الطَهيِ القَدِيْم: وصَفَاتُ روما القَديْمَة في العُصوْرِ الوسْطَى" من كِتَاب "العصوْرُ الوسْطَى" المُجلَّد 26 .1994.

"مارتينو كومو، فَنُّ الطَهي: أوَّلُ كِتَاب طَهْيٍ حَديْث" قامَ بجَمْعِ مصَادرِه ل.باليريني. مديْنَة بيركلي 2005.

ب.ميديولي ماسوتي، "الأكاديمِيَّة الرومانيَّة ومؤامَرَة 1468" من كِتَاب "إيطاليا الإنسَانيَّة في العُصوْرِ الوسْطَى" المُجلَّد 25،1982

ب.ميديولي ماسوتي، "كاليماخوس، الأكاديمِيَّة الرومانيَّة ومؤَامرَة 1468" في كِتَابٍ قَامَ ج.س.غارفاغنيني بجَمْعِ مصَادرِه "تجرُبَةُ كاليماخوس الِسياسيَّة في القرْنِ الخَامسِ عشَر" فلورنسا 1987.

ي.غارين، "الأكاديميَّة الرومانيَّة، بومبونيو ليتو والمؤَامرَة" في كِتَاب "تاريْخُ الأدَبِ الإيطَالِي" المُجلَّد 3. مديْنَة غارزانتي ،1966.

ر.ج.باليررينو، "الأَكاديمِيَّة الرومَانيَّة، سرَاديْبُ المَوْتَى، ومؤامَرَة 1468" أَرشِيْفِ تَاريْخِ البَابويَّة المُجلَّد 18، 1980.

ب.بارتنر، "روما بعَصْرِ النَهضَة،1300-1559: لوحَةُ المُجتمَع" بيركلي 1976.

ل.باستور، "تاريْخُ البَابوَات" المُجلَّد 3،4. لندن.1949.

بلَاتينا، "حيَاةُ البَابوَات، مِن زمَنِ المَسيْحِ عليْهِ السلَام إلى عهْدِ البَابَا سيكتوس الرَابِع" قامَ بتَرجمَتهِ السِيْر ب. رايكوت .لندن 1688.

بلاتينا، "حيَاةُ البَابوَات، مِن زمَنِ المَسيْحِ عليْهِ السلَام إلى زمَنِ تسَلُّم البابا غريغوري السَابِع عَرْشَه" مُجلَّدان. قامَ بتَرجمَتهِ و.بينهام. لندن 1888. 338

بلاتينا، "مُتعَةٌ لَائِقَة وصِحَّةٌ جيِّدة" تورين، 1985 بمُقدِّمَةٍ قامَ بكِتابَتِهَا ي.فاكشيولي

بلاتينا، "مُتعَةٌ لَائِقَة وصِحَّةٌ جيِّدة" قامَ بتَرجمَتِهَا وتَنقِيحِهَا م.ي.ميلهام .مديْنَة تيمبي، أريز 1998.

ف.زابوغين، "جوليو بومبونيو ليتو: مقَالَةٌ نَقديَّة" روما 1909-1910.

**6.فيرارا،1529: عائِلَةٌ ملكيَّةٌ على المَائِدَة**

ن.سابينو "الشَاعِر لودوفيكو أريوستو"، "السِيْرَةُ الذَاتيَّة للإيطَاليِّين" المُجلَّد 4، روما 1962.

لودوفيكو أريوستو، "لاكاساريا" في الكوميديا تورين 1975.

"تنَاولُ الطعَامِ معَ الأَميْر: أطبَاقٌ لعَرْضِ القوَّة مِن خِلَالِ الطعَام والثقَافَة في فيرارا لعَائِلَةِ إيستي المَلكيَّة". فيرارا 1988.

ج.بويرو، "قاموْسُ اللَّهجَة الفينيسِيَّة" البندقية 1829.

ب.كامبوريسي، "الطعَامُ وفَنُّ الطَهي" فِي كِتَابٍ قامَ أ.بيرسيلي بتَجمِيْعِ مصَادرِه "تاريْخُ إليم إميليا رومانيا" المُجلَّد 2، بولونيا 1977.

م.كاتالانو، "حياةُ لودوفيكو أريوستو" مُجلَّدان، جَنَوَة 1930.

ف.كازولا " المَديْنَة والخُبز: الإنتَاجُ الزِرَاعي واستِهلَاكُ الأَغذِيةَ في فيرارا بيْنَ العصوْرِ الوسْطَى والعَصْرِ الحَديْث" فِي كِتَاب "تنَاولُ الطعَامِ معَ الأَميْرِ: أطبَاقٌ لعَرضِ القوَّة مِن خلَالِ الطعَامِ والثقَافةِ في فيرارا لعَائِلَة إيستي المَلكيَّة" فيرارا 1988.

ف.كازولا، "المَديْنَة، الأَمِير، الفلَّاحوْن: بحْثٌ عَن اقتِصَاد فيرارا بعَصْرِ النهْضَة 1450-1630" فيرارا 2003.

ل.تشيابيني، "عائِلَة إيستي المَلكيَّة" فاريزي،1967

ل.تشيابيني، "بِلَاطُ عائِلَة إستي في القرْنِ السَادسِ عشَر: خُلَاصَاتُ كريستوفر ميسيسبوغو" فيرارا 1984

ل.تشيابيني " وَكيْلُ المَآدب المِثَالي: كريستوفر ميسيسبوغو"، " تنَاولُ الطعَامِ معَ الأَمِيْر: أطبَاقٌ لعَرضِ القوَّة مِن خِلَال الطعَام والثقَافَة في فيرارا لعَائِلَة إيستي المَلكيَّة" فيرارا 1988.

ف.فاكشيولي "مشْهَدُ مَأدُبَةِ عَائِلَة إيستي المَلكيَّة" في كِتَاب "عصْرُ النهْضَةِ في بِلَاطِ باداني" بولونيا 1977.

ب.فونتانا، "الوِلَادَة الجَديْدَة الفَرنسِيَّة" روما 1889.

أ.فريزي، "ذِكريَاتٌ مِن تاريْخِ فيرارا" المُجلَّد 4، فيرارا 1884.

و.ل. غونديرشيمر، "فيرارا: أسلوْبُ الطُغيَان بعَصْرِ النَهْضَة" برينستون 1973.

ر.لوتي، "عائِلَةُ إستي: بِلَاطُ فيرارا" مودينا 1997.

ي.لانزوني، "فيرارا: مديْنَةٌ مِن التَاريْخ" فيرارا 1984.

ج.مانتوفانو "وَليْمَةُ عَصْرِ النَهْضَة: الفَنُّ، الرَوْعَة ، القُوَّة"، "تنَاولُ الطعَامِ معَ الأَمِير: أطبَاقٌ لعَرْضِ القوَّة مِن خِلاَل الطعَام والثقَافَة في فيرارا لعَائِلَة إيستي المَلَكيَّة" فيرارا 1988.

ل.مارتينز، " القوَّةُ والخَيَال: مَديْنَة الدوَلِ في إيطَاليا بعَصْرِ النَهْضَة" لندن 2002.

ك.ميسيسبوغو، " المَآدِب: مُكوِّنَاتُ الطعَامِ والأدوَاتُ العَامَّة" فيرارا 1549

ك.ميسيسبوغو، " المَآدِب: مُكوِّنَاتُ الطعَامِ والأدوَاتُ العَامَّة" مَديْنَة فيتشنزا 1960. 339

ج.باغانو وأ.كوندام، "البِلَاطُ والنُفوْذ: فيرارا بعَهْدِ أُسْرَةِ إيستي" ثلَاثَةُ أَجزَاء، روما،1982.

د.بيزالي، "سَيِّدةُ النَهْضَة" ميلَان 2002.

ب.برودي، "الحِبْرُ الأَعْظَم" فِي كِتَابٍ قَامَ ج.تشيتوليني و ج.ميكولي بتَجميْعِ مصَادرِه "تاريْخُ إيطاليا: السِجلَّات السَنويَّة" المُجلَّد 9، سِجلَّاتُ الكَنيْسَة السَنويَّة، تورين 1986.

أ.بروسبيري كِتَاب "تاريْخُ فيرارا" المُجلَّد 6، و"عَصْرُ النَهْضَة: موَاقِفٌ وشَخصيَّات" فيرارا2000.

س.م.روزنبرغ، "أثَارُ عاِئلَة إيستي والتطَوُّر الحضَرِي بفيرارا عصْرُ النهْضَة" فيرارا، كامبريدج 1997.

أ.سوليرتي، "فيرارا وبِلَاطُ عائِلَةِ إيستي في النِصْفِ الثَانِي من القرْنِ السَادسِ عشَر" مديْنَة كاستيللو 1900.

ج.فاساري "الحيَاةُ الرَائِعَةُ للنحَّاتِيْن والمُهندِسِين المِعمَاريِّين" فلورنسا 1984. "المُفردَاتُ الفينيسِيَّة والمُصطلحَاتُ البادوفيَّة، ومَا يُقابِلهَا باللَّهجَةِ التوسكَانيَّة" بادوا 1975.

ب.زيفي، "بياجو روسيتي: أوَّلُ مُخطَّطٍ حضَريٍّ أُوربيٍّ حَديْث" تورين 1960.

**7. روما،1549-1550: الخُبْزُ والمَاءُ لنِيَافَتهِم**

ف.باومغارت وب.بياغيتي، "اللَّوحَاتُ الجِداريَّة لمايكل أنجلو في كَنيْسَة بولين في الفاتيكان" مديْنَة الفاتيكان 1934

ف.بارتوشيتي، "الاجتِمَاعُ المُغْلَق" في "المَوسوْعَة الكَاثوليكيَّة" المُجَّلد 4، الفَاتِيكَان 1950

ج.سيامبي، "الطعَامُ الشَعبِيُّ في روما" في كِتَاب لكاباتي وآخَروْن " الغِذَاء"

أ.دولينغ "الاجتِمَاعُ المُغْلَق" في "المَوسوْعَة الكَاثوليكيَّة". نيويورك 1908

د.هاي، "إيطَاليا بعَصْرِ النَهْضَة" لندن 1989

م.هيم "مُقدِّمَة عَن تاريْخِ الكَنيْسَة" تورين 2002

ل.ليكتور "الاجتِمَاعُ المُغْلَق" باريس 1894

م.مونتاناري: أسلوْبُ الطَهْيِ المَكتوْبُ كمَصْدَرٍ لدِراسَة أُسلوْبِ الطَهْيِ الشَفَوي" "تاريْخُ الطعَام" المُجلَّد، 2003

ب.بارتنر "روما بعصْرِ النَهضَة،1500-1559: لوْحَةُ المُجتمَع" بيركلي 1976

ل.باستور، "تاريْخُ البَابوَات" الجُزْء 13-17. لندن 1951

ب.بيتروتشيلي ديلا غاتينا، "التاريْخُ السِيَاسيُّ للاجتِمَاع المُغلَق" باريس 1864-1865.المُجلَّد 2. 1864

ب.بريشانيسي، "مِن بِلَاط حكوْمَة الرَب في روما" مديْنَة كاستيللو 1883 (1543)

ج.ريلاي "مايكل أنجلو الذوَّاق" لكِتَابٍ قامَ ج.مارس و ف.مارس بجَمْعِ مصَادرهِ "الطعَام، الثقَافَة والتَاريْخ" المُجلَّد 1، 1993.

ب.سكابي "أعمَالُ بارتولوميو سكابي الفَنيَّة، الطَاهِي السِرِّي للبابا بيو كوينتو" البندقية 1570

ج.دي سشينو وف.لوتشيكينتي، "بارتولوميو سكابي يَطهُو في روما بالقَرْنِ السَادسِ عَشر" روما 2004.

**8.بولونيا، القرْنِ السَابعِ عشَر: لُعبَة أَرْضِ الوَفْرَة**

م.أوريلي، "قاموْسُ الجَيْبِ الجَديْد للَّهجَة البولونيَّة" بولونيا 1851.

ب.بيليتيني وآخَروْنَ بكِتَابٍ قَاموا بتَجميْعِ مصَادرهِ "ساحَةُ مديْنَة: التوَاصُل والحيَاة اليوميَّة في بولونيا بيْنَ القَرنيْنِ السَادسِ عشَر والسَابعِ عشَر" بولونيا 2000. 340

أ.بيناردي، "ريف إميليا بعَصْرِ النهْضَة والعصْرِ البَاروكِي" بولونيا 1978

ب.بورك "الثقافَة الشَعبيَّة ببِدايَات أوروبا الحَديْثَة" لندن 1978

ب.كامبوريسي "قِناعُ بيرتولودو:ج.س.كروتش وأَدبُ الكَرنفَال" تورين 1976

ب.كامبوريسي، "الريفِي والجَاموْس" تورين 1991

ج.بينتيني وم.بوريلا بكِتَابٍ قَامَا بجَمْعِ مصَادرهِ "قَلعَةُ إستي" فيرارا 2002.

ج.كوكيارا "أرْضُ الوَفْرَة : الهروْبُ مِن الوَاقِع في الخيَال الشَعبِي" في كِتَاب "أرْضُ الوَفْرَة وغيْرهَا مِن الدِراسَات الفولكلورِيَّة" تورين 1980

ب.كوليفا، "بولونيا مِن القرْنِ الرَابعِ عشَر إلى القرْنِ الثَامِن عشَر: الحكوْمَةُ المُشتركَة أو مجلِسُ الشُيوْخ" فِي كِتَابٍ قامَ أ.بيرسيلي بجَمْعِ مصَادرهِ "تاريْخُ إميليا رومانيا" إيمولا 1977

"العادَاتُ والمُجتمَع في ألعَابِ الطَاوِلَة لجوزيبي ماريا ميتيلي " بيروغيا 1988

ج.س.كروتش، "حفلَةُ لحْمِ الخِنزيْر" (1957) في كِتَاب و.غويريني " حيَاةٌ وأعمَال جوليو سيزار كروتش" بولونيا 1879.

ج.س.كروتش، "حِوَارٌ مُمتِعٌ للغايَة على وَفْرَة البِطِّيخ بيْنَ الثُنَائِي المُبدِع م.آسينو و م.بوريو" بولونيا (لَا يوْجَدُ تَاريْخ)

ج.س.كروتش " الامتِيَاز وانتِصَارُ لحْمِ الخِنزيْر" البُندقيَّة 1905

ج.س.كروتش "مَأدُبَة العِجَاف، مَهزلَةٌ أَكاديمِيَّة فروستو التِي روَاهَا الجُوْع في المديْنَة المَنكوْبَة في الـ15 مِن شَهرِ الفَقْر المُدْقِع، وسنَة الاحتِياجَات القاسِيَة التي لَا تُطَاق" البُندقيَّة 1608.

ج.س.كروتش "أبجَديَّة المُؤديِّن حسْبَ القَافِيَة الثَامِنَة: الأوبرا الأخلَاقيَّة" بولونيا 1961

ج.س كروتش "أُغنيَة الخِنزيْر الرَضِيْع الذي يتَدلَّى مِن قَصْرِ بولونيا الشَهِيْر في عيْدِ القدِّيْس بارثولوميو" بولونيا

ج.س.كروتش " سَلَطَةُ شَهْرِ أيَّار التي تدخُل العديْدَ مِن الأعشَابِ بإِعدَادِهَا" بولونيا 1622

ج.س.كروش "القَاعِدة الأسَاسيَّة للبقَاء نحيْفًا بالقَليْل مِن النُقوْد" بولونيا 1622

ج.س.كروتش "المَأدُبَة المُبهِجَة والصِحيَّة لحَفْلِ زِفَافٍ فَاخِر مِن الرافانو و اللِّفْت" بولونيا 1637

ج.س.كروتش "حِيَلُ بيرتولدو الخَفيَّة: بسَاطةُ بيرتولدينو اللَّطيْفَة والمُضحِكَة" تورين 1978

ج.س.كروتش "بيرتولدو و بيرتولدينو" ميلَان 1994

يو.دالاري " عُرْفٌ بولونيٌّ قَدِيْم /عيْدُ القِدِّيس بارثولوميو أو الخِنزيْرِ الرَضِيْع" الأعمَالُ والذِكريَات التِي تُمثِّل التاريْخَ الوطَنِيَّ لمُقاطعَة رومانيا، السِلسِلَة الثَالِثَة، المُجلَّد 13، 1894-1895.

ل.إنتيو "انتِصَارُ الخِنزيْرِ الرَضِيْع معَ دَعوَةٍ لكُلِّ شَخْصٍ لحُضوْرِ هذَا الانتِصَار الجَمِيْل: معَ وَصْفٍ لكُلِّ شَيءٍ تمَّ إعدَادهُ السَنة الماضِيَة 1627" بولونيا 1628

ل.فراتي " الحيَاةُ الخاصَّةُ في بولونيا مِن القرْنِ الثَالِث عشَر إلى القرْنِ السَابعِ عشَر" روما 1968

و.غويريني، "حيَاةُ وأعمَالُ جوليو سيزار كروتش" بولونيا 1879

ج.ب.لابات"، رحلَاتُ ب.لابات مِن أجْلِ الطعَامِ الفرَنْسِي. الدُعَاةُ في إسبانيا وإيطاليا"

د.مانشيني، " عمليَّاتُ الإعدَامِ في ساحَةِ ماجوري في بولونيا خلَالَ العصْرِ الحَديْث" الكاروبيو 1985

ي.ماولي، "وليْمَةُ الخِنزيْرِ الرَضِيْع ببولونيا في القرْنِ السَابعِ عشَر: تحقيقَاتٌ حوْلَ الوَليْمَة البَاروكيَّة" الكاروبيو 1980.

ج.م.ميتيلي " 133 لُعبَةُ طَاوِلَة مِن ابتِكَار ميتيلي" بيرغامو 1976. 341

م.مونتاناري، "المدْينَةُ البَديْنَة" بكِتَابٍ قامَ ب.بيلتيني وآخَروْنَ بجَمْعِ مصَادرِه" ساحَةُ مَديْنَة: التوَاصُل والحيَاة اليَوميَّة في بولونيا بيْنَ القَرنَيْن السَادسِ عشَر والسَابعِ عشَر" بولونيا 2000.

م.مونتاناري، "بولونيا البَديْنَة: بِنَاءُ الأسطوْرَة" في كِتَابٍ قامَ م.مونتاري بجَمْعِ مصَادرِه "العالَمُ في المَطبَخ: التَاريْخ، الهَويَّة، التَبادُلَات التِجَاريَّة" روما-باري 2002.

م.مونتاناري، "بولونيا البَديْنَة: بِنَاءُ الأُسطوْرَة" بولونيا 2004

س.بينوتي، "المجَاعاتُ والأَوبِئَة" بكِتَابٍ قامَ أ.بيرسيلي بجَمْعِ مصَادرِه" تاريْخُ إميليا رومانيا" إيمولا 1977

س.بيبيس دياري، ر.لاثام و ن.ماثيوس ، بكِتَابٍ قَامُوا بجَمْعِ مصَادرِه. المجلد 7. 1666، لندن 1972

ب.بيتروني، "كِتَابُ المَطبَخ البولونِي الحَقِيقِي" فورنسا 1978

ج.ريتشي، "بولونيا" روما-باري 1980

ج.روفيرسي، "خِنزيْرُ العَهْد: مُلَاحظَاتٌ عَن تاريْخِ تذَوُّقِ الطعَامِ في بولونيا" هديَّةُ بولونيا التَاريخيَّة 1969

م.س.سارتوني وأ. موليناري براديللي، "أُسلوْبُ الطَهيِ البولونِي" روما 1966

ب.سوستينو، "ورَاءُ كوَاليْسِ مَهرجَانِ الخِنزيْرِ الرَضِيْع: الآثارُ الاقتِصَاديَّة والتَنظيمِيَّة" الكاروبيو 1985

هـ.ستيل، "جان بابتيست لابات (1663-1738)" في كِتَاب "الرِجَالُ والأَقْدَار: قاموْسُ السِيْرَة الذَاتيَّة لِمَا ورَاء البِحَار" المُجَلَّد 2. باريس 1977

ف.تانارا "اقتِصَادُ الموَاطِن في القُرَى" بولونيا 1644

أ.تروزي، "بولونيا في أعمَالِ ج.كروتش " مِن كِتَاب "الأعمَالُ والذِكريَاتُ التي تُمَثِّل التَاريْخَ الوطَنِيَّ لمُقاطعَة رومانيا"، السِلسِلَة الثَالِثَة، المُجَلَّد 13، 1894-1895.

ف.فالينتي، "مَرتدِيلَّا فلورنسا" مِن كِتَاب "لُغَتُنَا" المُجَلَّد 49، 1988

**9.نابولي، أوَاخِر القرْنِ الثَامِن عشَر: آكِلوْا المَعكروْنَة**

هـ.آكتون، "عائِلَةُ بوربون الملكيَّة الحَاكِمَة لنابولي (1734-1825)" لندن 1956

ل.بارليتا، " كرنفَالُ 1764 في نابولي: الاحتِجَاجُ والتكَامُل في فضَاءٍ حَضَري" نابولي 1981.

ف.بينينو، "مرَايَا الثَوْرَة: الصِرَاعُ والهويَّة السِياسيَّة في أوروبا الحَديْثَة" روما 1999

ف.بينينو، "التحَوُّلَاتُ الخَطيَّة والهِويَاتُ الاجتِماعيَّة: قضيَّةُ مُشرَّدِي نابولي" تَاريْخ، الجُزْء 31، 2005

ج.بلَاك، "إيطَاليا والرِحلَة السِيَاحيَّة الكُبْرَى" نيوهيفن،كون 2003

ج.بوسويل، "بوسويل في الرِحلَة الكُبْرَى: إيطاليا، كورسيكا وفرنسا (1765-1766) نيويورك 1955

م.كالاريسو، " البحْثُ عَن ضَريْحِ فيرجيل: نِهايَةُ الجَوْلَة الكُبرَى والمِثاليَّة العَالميَّة في أوروبا" في كِتاَبٍ قامَ ج.إيسنر و ج.ب.روبيز بجَمْعِ مصَادرِه "الرحَلَاتُ والرؤَى: نحْوَ ومِن أجْلِ التَاريْخِ الثقَافِي للتِرحَال" لندن 1999.

ج.كارولا فرانسيسكوني، " المَطْبَخُ النَابولي" نابولي 1977

ي.كافالكانتي، "المَطْبَخُ النَظَريُّ والعمَلِي" نابولي 1844

ي.تشاني، "تطور الرحلات الكبرى"لندن 1998

س.تشارد، "تكثيْفُ إيطاليا: الطعَام، النَبِيْذ، والعُنصُر الأَجنَبِي في مُؤلَّفَات السَفَر بالقرْنِ السَابِع عشَر" بكِتَابٍ قامَ ج.مارس و ف.مارس بجَمْعِ مصَادرِه" الطعَام، الثقَافة والتَاريْخ "لندن 1993

س.تشارد، "المُتعَة والذَنْب في الرحلَات الكُبْرَى" مانشيستر 1999

أ.كونسيليو، "مُشرَّدو نابولي والولَاءُ المُقدَّس" ميلَان 1936

ف.كورادو، "الطَاهِي الشُجَاع" نابولي 1773. 342

ف.كورادو، "ثلَاثَةُ أعمَالٍ مِن فَنِّ الطَهِي" قامَ بتَنقيحِه ل.سادا .باري 1976

ف.كورادو "الطعاَمُ الفِيثَاغوْرِي أو العُشْبِي: تَليْهَا أُطروْحَةٌ عَن حسِّ التذَوُّق" روما 2001

ب.كروتش، "المشَرَّدوْن" مَحفوظَاتُ دِراسَةِ التقَاليْدِ الشَعبيَّة المُجلَّد 14، 1985.

ب.كروتش، "الحِكايَات عَن المَلِك فريدناند الرَابِع مَلِكُ نابولي" قِصَصٌ مِن الأدَبِ المُتنَوِّع . المُجلَّد 3. نابولي 1942

ن.ي.كونيننغهام "في سَعْيٍ للسبَب: حيَاُة توماس جيفيرسون، باتون روغ 1987

م.دوغلاس "العقامَةُ والخطَر: تحليْلٌ لمفَاهِيْمِ التلَوُّث والعَزْل" لندن 1978

ت.ج.د إسبينشال، مجَلَّةُ الهِجْرَة. باريس 1912

ي.فازيو، "الأَسْوَاقُ المُنظَّمة وأَزمَةُ القَرنِ الثَامِن عشَر بنِظَام الحِصَص الغِذَائِي الإيطَالِي" مِن كِتَاب "الدِراسَات التَاريخِيَّة" المُجلَّد 3. 1990.

ي.غيرافي ماسانيللو، "ثوْرَةُ نابولي عَام 1647" بروكسل 1844

ج.ف. فون غوته "الرِحلَةُ الإيطاليَّة" لندن 1982

ج.غوراني "المُذكَّرات السِريَّة والنَقديَّة للأَجنَاس والحُكوْمَات، وعادَاتُ الأَقالِيم الرَئيسِيَّة في إيطاليا" المُجلَّد 1، باريس 1793

ج.غرين شاكلفورد، "رِحلَاتُ توماس جيفيرسون في أوروبا" بالتيمور 1995

س.هيبرت "الرِحلَةُ الكُبْرَى" لندن 1987

ر.هودسون "الجَوْلَةُ السِيَاحيَّة الكُبْرَى 1592-1796" لندن 1993

ت.جيفرسون "أورَاقُ توماس جيفرسون" ب.بويد، برينستون 1950. المُجلَّد 10،11،14

م.كيلي "ذكِريَاتُ المَاضِي" لندن 1975

أ.لاتيني " النمَطُ الحَديْث، أَو فَنُّ التصَرُّف بشَكلٍ جيِّد. الجُزْءُ الأوَّلُ حيْثُ يتعَلَّقُ الأَمْرُ بالدُهوْن" نابولي 1692

ا.لاتيني " النمَطُ الحَديْثُ أو فَنُّ التصَرُّف بشَكلٍ جيِّد، الجُزْءُ الثَانِي: يتعَلَّقُ الأَمْرُ بالطعَامِ الذِي لَا يُؤدِّي للسُمْنَة" نابولي 1694

ا.لاتيني "السِيْرَة الذَاتيَّة (1642-1696):حيَاةُ نحَّات" روما 1992

لينش بيوزي "مُلَاحظَاتٌ وتأَمُّلَات خِلَال رِحلَةٍ عبْرَ فرنسا وإيطاليا وألمانيا "آن آربور 1967 (1789)

ب.ماكري "السوْقُ والمُجتمَعُ في مَملكَةِ نابولي: تِجارَةُ القَمْحِ والسِياسَة الاقتِصَاديَّة في القرْنِ الثَامِن عشَر" نابولي 1974

ب.ج.مالوني "وَصْفُ وتفَاصيْلُ فنوْنِ الطَحْنِ وصُنعِ الشعيريَّة والخُبْز" باريس 1767

أ.ميلر "رسَائِلٌ من إيطاليا والتِي تصِفُ الخِصَال، العادَات، الآثَار، اللَّوحَات لذَلِك البلَد في سَنَوَات 1771، 1776، مديْنَةُ دوبلن .

ص.أ موزارت "رسَائِلُ موزارت وعائِلتَه" قامَ بجَمْعِ مصَادِر هذَا الكِتَاب ي.أندرسون .لندن 1989.

أ.موزيللو "المُروْرُ بالجَنوْب: نابولي والجَنوْب في الخيَاِل البَاروكِي والتَنويْر الأُوروبِّي" ميلَان 1993

س.بيتراكون "نابولي مِن القرْنِ السَادسِ عشَر إلى القرْنِ التَاسِع عشَر: مشَاريْعُ التاريْخِ الدِيمُوغرَافِي والاجتِمَاعِي" نابولي 1974

د.سكافوليو "قِنَاعُ أرْضِ الوَفْرَة: الهَدْر، التمَرُّد والتَضحِيَة في كرنفَالِ نابولي 1764" نابولي 1994

ي.سيريني. "مُلَاحظَاتٌ حوْلَ تاريْخِ الطعَامِ في الجَنوْب: النَابوليُّوْن مِن آكِلِي الأَوْرَاق إلى آكِلِي المَعكروْنَة" في "الأَرْضِ الجديْدَة والثَوْر الأَحْمَر"، تورين 1981. 343

س.شارب "رسائِلٌ مِن إيطاليا والتي تَصِفُ الخِصَال، العادَات، الآثَار، اللَّوْحَات لذَلِك البلَد في سَنَوَات 1771، 1776" لندن 1766

أ.سبانوليتي "تاريْخُ مملكَةِ الصَقليَّتَين" بولونيا 1997

ف.فينتوري "1764: سنَةُ المجَاعَة في نابولي" مِن المجَلَّة التاريخِيَّة الإيطاليَّة. المُجَلَّد 85، العَدَد2. 1973

ي.زانيبوني "الفنَادِقُ الإيطَاليَّة والسُيَّاح الأجَانِب: القَرنَان الثَانِي عشَر والثَامِن عشَر" نابولي 1921

"الدَليْلُ العَالمِيُّ لأشكَالِ المعكروْنَة "

http://www.professionalpasta.it/dir\_1/go \_1(1).htm.

**10.تورين، 1846: تَحْيَا إيطَاليا!**

ر.بالازاني، "المَأدُبَةُ الوطَنيَّة " في كِتَابٍ قامَ ف.تاروزي و أ.فارني بجَمْعِ مصَادرِه " زمَنُ الحُريَّة في إيطَاليا المُتَّحِدَة" بولونيا 1992

ب.باريكو، "تورين" تورين 1869

ف.بيرسيزو، "مملكَةُ فيكتور إيمانويل الثَانِي: ثلَاثوْنَ عامًا مِن الحيَاة الإيطاليَّة" تورين، 1978. الكِتَاب 2.

ب.كامبوريسي، "الخَمْرَة الغَريْبَة: فَنُّ العَيْشِ في عَصْرِ التَنوِيْر" كامبريدج، المَملكَة المتَّحِدة، 1994 (تمَّت ترجمتَهُ مِن كِتَاب "المرَقُ الهِندِي" ميلَان 1994)

ف.تشابوستو، "أُسلوْبُ الطَهيِ الصِحِّي والاقتِصَادي والأَنِيْق" بولونيا 1990 (تورين1846)

لقَد قامَ الطَاهِي البيدمونتي بتَكثيْفِ المذَاق الأَخِيْر، وبوِسعِه أَن يُعَلِّمكَ كيْفَ تَطهُو أيَّ نوْعٍ مِن الطعَامِ في الدُهْن وبشَكلٍ لَا يُؤدِّي للسُمْنَة، كمَا أنَّه يُرشِدُكَ إلى الخِيَارِ الصَائِب وجوْدَةِ كلِّ شَيءٍ ينتَمِي للمَطبَخ عبْرَ تَوضيحِه لكُلِّ الأدوَاتِ الضَروريَّة لهذَا الفَن، ويُعَلِّم الطَريْقَة الصَحِيحَة لطَاهِي المُعجَّنات والمُختَص بالحُلويَّات، ووَاجِبَات ربَّة المَنْزِل، وطريْقَة تَقطيْعِ جَميْعِ أنوَاعِ الأَطعِمَة. فلورنسا 1983

"الطَاهِي البِيدمونتِي المِثَالي في باريس" برا 1995 (تورين 1766)

ج.أ.دافيز " ثقافَاتُ الحَظْر: سِياسَاتُ الرَقَابَة في إيطاليا مِن "نابوليون" إلى الوِلَادَة الجَديْدَة" بكِتَابٍ قامَ د.لافين ول.ريال بجَمْعِ مصَادرِه "تُرَاثُ نابوليون: مشَاكِلُ الحكوْمَة بإِحيَاءِ أوروبا" أوكسفورد 2000.

أ.غالَانتي غاروني "جريْدَةُ الوِلَادَة الجَديْدَة 1815-1847" في كِتَابٍ قامَ أ.غالانتي غاروني و ف.ديلا بيروتا بجَمْعِ مصَادرِه "الصحَافَةُ الإيطاليَّة و الوِلَادَة الجَديْدَة" روما-باري 1979

ف.لا تشابيلي "الطَاهِي العَصْرِي، وتعَلُّم تقديْمِ كُلِّ أنوَاعِ الأَطعِمَة، معَ ...الرُسوْمَات على المَائِدَة...النُقوْش" الطَبْعَة الثَانِيَة، مديْنَةُ هاجو 1742

ف.لافارينييه "الطَاهِي الفرَنسِي" باريس 1651

يو.ليفرا بكِتَاب "تاريْخُ تورينو، مديْنَة الوِلَادَة الجَديْدَة (1798-1864) تورين 2000

د.ماكسميث "الكافور" لندن 1985

ف.مارين " هدَايَا ومسَرَّات آلِهَة الاحِتفَالَات على المَائِدَة" باريس 1775

ف.ماروني و ل.برانغي، "الوَليْمَة السِيَاسيَّة: فُتَاتُ التَارِيْخ" نابولي 1888

ف.ماسيالوت "طَاهِي العَائِلَة المَلكيَّة والطبقَة البُرجوَازيَّة: والذِي يتعَلَّمُ إعدَادَ جميْعِ أنوَاعِ الوجبَات، وأفضَلُ الطرُقِ لأكَثرِ أطبَاقِ الحسَاء عَصريَّة، وأكثَرِ الطِرازَات الرَائِجَة رَوْعَة، إنَّه عمَلٌ مُفيْدٌ للغايَة للعَائِلَات، وضَرورِيٌّ للغايَة لجَميْعِ كِبَارِ النُدُلِ في الفنَادِق، ومُديْرِي المَطْبَخ. باريس 1968

ب.مالديني بكِتَاب "المَائِدَة وأسلوْبُ الطَهي" في كِتَاب قامٍ ب.ميلوغراني بجَمْعِ مصَادرهِ "الأُسرَةُ الإيطاليَّة مِن القرْنِ التَاسِع عشَر إلى اليَوْم". 344

س.مينيل، "جميْعُ آدَابِ الطعَام: تنَاولُ الطعَامِ والتذَوُّق في إنكلترا وفرنسا من القروْنِ الوسْطَى إلى الوقْتِ الحَاضِر" شيكاغو 1996

مينون "طَاهِي الطبقَة الوسْطَى" بروكسل 1975

و.ميلر، "تشريْحُ الاشمِئزَاز" لندن 1997

أ.موليناري برادلي "المطبَخُ البيدمونتي" روما 1998

ف.بريداري "أُولَى صرخَاتُ الحُريَّة الإيطاليَّة في بيدمونت" ميلَان 1861

ف.ريزي " الورْدَةُ والنَاقوْس: المُجتمعَاتُ الريفيَّة والجُمهوريَّة الروَمانيَّة في مديْنَة لَاتسيو (1848-1849)" ميلَان 1988

ت.سبادتشينو، "صَقَليَة المَاركِيز والسَيِّد" باليرمو 1992

م.توم "لَا سَمَكَ ولَا طَيْر؟ مُراسلَاتُ لورينزو فاليريو 1825-1849" مِن مجَلَّة إيطاليا الحَديْثَة، المُجلَّد 11، العَدَد3، 2006

ل.تيبوني "ملذَّاتُ الطَاوِلَة: مِئَةُ قَائِمَة طعَام تَسردُ قِصَّة بيدمونت" تورين 1993

ل.فاليريو "مُراسلَة (1823-1863) المُجلَّد 2 (1842-1847) تورين 1994

ج.فيلاردي بكِتَاب "على الطَاوِلَة معَ المَلِك: مُعاهدَةُ فَنِّ الطَهْي" تورين 2000

**11.نابولي 1884:بينوكيو يَكرَهُ البِيتزَا**

أ.بانتي، "الروائيَّة ماتيلدي سيراو" تورين 1965

س.باتيستي و ج.أليسيو "قاموْسُ اللُّغَةِ الإيطاليَّة" المُجلَّد 4، فلورنسا 1954

س.بريس "المَلِكُ كانَ شاحِبًا: الملَكيَّة الشَعبيَّة الوطنيَّة لِإيطاليَا وإِحدَاث الكوَارثِ 1882-1885" في كِتَاب قامٍ ج.ديكي وج.فووت وف.سنودين بجَمْعِ مصَادرِه "الكوَارِثُ في إيطاليا منْذُ عَام 1860: الثقافَةُ، السِياسَة، المُجتمَع" نيويورك 220

د.ل.كاليوتي "المكسَبُ الصَعْب: التُجَّار النَابوليُّون في النِصْفِ الثَانِي مِن القَرْنِ التَاسِع عشَر" بولونيا 1994

س.كارابا بكِتَابٍ قامَ بجَمْعِ مصَادرِه "نابولي في ذَلِكَ الوَقْت: شهادَاتُ ماتيلدي سيراو و إدواردو سكارفوليو" ميلَان 1976

ي.كافالكانتي " يَحتَوي المَطبَخُ النظَريُّ العمَليُّ على غدَاءٍ دَورِيٍّ مُكوَّنٍ مِن ثمانِيَةِ أطبَاقٍ يوميًا بشَكلٍ ترَاكُميٍّ معَ تَخزينِه المُمَاثِل، والتفَاصِيْل التَقريبِيَّة للنفقَات اليومِيَّة، ومُمارسَةُ الإقصَاء، وأخيْرًا تقديْمُ الأطبَاقِ على المَائِدَة لأربعَةِ أسَابيْع وفْقًا لموَاسِم المَطبَخ المحَلِّي باللَّهجَة النَابوليَّة" المُجلَّد 4، نابولي 1844

س.كولودي "رِحلَةُ جيانيتينو إلى إيطاليا" المُجلَّد 3، جنوْبُ إيطَاليا، فلورنسا 1886

س.ديل بلَازو "نابولي والنَابوليُّون" ميلان 1885

ف.د.نابولي، "الجمَالُ الأبَدِي للمَلِكَة مارغريتا سافوي" نابولي 1894

س.دوغان "فرانشيسكو كريسبي 1818-1901: مِن الأُمَّة إلى القَوميَّة" أوكسفورد 2002

أ.دوماس "المقبِّلَات" المُجلَّد6، بروكسل 1843

ر.فوسيني " نابولي بالعَيْنِ المُجرَّدة" تورين 1976

ج.جارجانو "المُفردَاتُ الإيطَاليَّة النَابوليَّة" نابولي 1841

"الدليْلُ العمَليُّ لِلَهجَةِ نابولي" نابولي 1877

س.هيلستوسكي "الثوْمُ والزَيْت: الطعَامُ والسِياسَة في إيطاليا" أوكسفورد 2004

ي.ليمونون "نابولي: ملَاحظَاتٌ تاريخِيَّةٌ واجتِماعيَّة" باريس 1911

ر.مينيرفيني "تاريْخُ البِيتزَا" نابولي 1973

ب.بوتي "المُفردَاتُ المَحليَّة لنابولي وتوسكانا" نابولي 1841. 345

و.روكس " أوَّلُ مَلِكَةٍ إيطَاليَّة" ميلَان 1901

م.سيراو "أحشَاءُ نابولي" (1884) بيزا 1995

ف.م.سنودن "نابولي بزمَنِ الكولِيَرا 1884-1911" كامبريدج، المملكة المتحدة 1995

م.توين "الأَبريَاءُ في الخَارِج، أو مَسِيْرُ الحُجَّاج الجَدِيْد" هارفارد، كون 1869

ج.وايت ماريو "الفَقْرُ في نابولي" مِن كِتَاب "الفَقْرُ في المدُنِ الكُبْرَى" لندن 1869

"هضبَةُ نابولي" مجلَّةُ لانازوني 16 يونيو 1889

ج.فيتوري "مارغريتا سافوي" نابولي 1891

"مفردَاتُ كلمَاتِ اللَّهجَة النابوليَّة والتي تنحَرِفُ أكثَر عَن لهْجَة توسكانا" نابولي 1789

مطعَمُ بِيتزَا براندي [www.brandi.it/index3.html](http://www.brandi.it/index3.html).

**12.فلورنسا،1891: بيلغرينو أرتوسي**

ك.أنتونيلي "وصَفَاتُ النِسَاء" و"الشخْصُ الأوَّل :مسارَاتُ السِيرَة الذَاتيَّة" المُجلَّد 16 ،2006

ب.أرتوسي، "علمُ المطْبَخ وفَنُّ تنَاولِ الطعَام بشَكلٍ جيِّد" تورين 1974

ب.أرتوسي، " تعليقَاتٌ في مُلحَقٍ من ثلَاثِيْن رِسالَة كتبَها جوزيبي جوستي" فلورنسا 1881

ب.أرتوسي، "نُسخَةٌ من شهَادَة بيلغرينو أرتوسي" مديْنَة فوريمبوبيلي المُجلَّد 1، 1961

ب.أرتوسي "السِيرَة الذاتيَّة" ميلان 1993

ك.بايديكر، "إيطاليا: دليْلُ المُسَافريْن، جنوْبُ إيطاليا وصَقَليَة" لندُن 1896

ي.بوتريغاري "سِجلاَّت بولونيا" بولونيا المُجلَّد 2،1960

س.كاميراني " من تورينو إلى فلورنسا" مُراجعَةٌ لتَاريْخِ توسكانا، 1966 المُجلَّد 1."العَاصِمَة فلورنسا".

م.كاتيني " الانطِباعَاتُ الزِراعيَّة بزَمَنِ الوَحْدَة" بكِتَابٍ قامَ ر.فينزي بجَمعِ مصَادرِه "تاريْخُ إيطاليا: مناطِقُ من زَمَنِ الوَحْدَة حتَّى يَوْمِنَا الحَاضِر: إميليا رومانيا" تورين 1997

ج.كونتي، " فلورنسا القَديْمَة" فلورنسا 1899.

ر.كريمانتي " نوتيريلا أرتوسياني" في "دِراسَاتُ ومشَاكِلُ النَقْدِ النَصِّي" المجلد4، العدد4، 1972.

دي أميسيس، "ألبيرتو" في "السرد". ميلان .1879

ج.أ.ديكس، "الشِتَاء في ماديرا والصَيْفُ في إسبانيا وفلورنسا" نيويورك 1851.

س.فاي، "وِلَادَةُ وتطَوُّر مديْنَة فلورنسا البُرجوَازيَّة" فلورنسا 1971

"فلورنسا اليَوْم" فلورنسا 1896

إس.س. هيوز، "الجَريْمَة، الفَوْضَى والوِلَادَة الجَديْدَة: سِياسَةُ حِفْظِ النِظَام في بولونيا" كامبريدج 1994.

ب.مانتيغازا، "النظافَةُ الصِحيَّة للحُب" فلورنسا 1896

ب.مانتيغازا، "النظافَةُ الصِحيَّة للجَمَال" ميلَان 1912

ب.مانتيغازا، "النَشْوَةُ البشريَّة" فلورنسا 1939

ج.مانزوني، "قُطَّاعُ طُرُقٍ في إِقليْمِ رومانيا 1851-1833" إيمولَا 1976

ج.موري، "مِن زَمَنِ الوَحْدَة إلى الحَرْب: التجَمُّع والتفَكُّك لمنطِقَة الإِقلِيم" في كِتَابٍ قامَ ج.موري بجَمْعِ مصَادرِه "تاريْخُ إيطاليا: مناطِقُ مِن زَمَنِ الوَحدَةِ حتَّى يَوْمِنَا الحَاضِر: توسكانا" تورين 1986

أ.بولاريني " المطبَخُ الوَضِيع 1891-1991: بيليغرينو أرتوسي وفَنُّ تنَاولِ الطعَام بشَكلٍ جيِّدٍ بعْدَ مِئَةِ عَام" بولونيا 1991.

ر.راغازيني، م.كاساليني، ر.كاساليني، "القواربي: مآثِرُ التقَزُّم لستيفانو بيلوني في رومانيا في القرْنِ التَاسِع عشَر" سيسينا 1998. 346

ل.روسي نيسيم "الحيَاةُ في فلورنسا" مُراجعَةٌ لتَاريْخِ توسكانا ،1966 المُجلَّد 1."العَاصِمَة فلورنسا"

ف.سيرانتيني "حقَائِقُ لَا تُنسَى عَن مجموْعَةِ القواربي في رومانيا " رافينا 1973 (1929)

م.شارمان كراوفورد "الحيَاةُ في توسكانا" لندن 1859

م.فانوتشي " فلورنسا القرْنِ التَاسِع عشَر" روما 1992.

ر.زاما "بيلغرينو أرتوسي" قاموْسُ السِيرَة الذَاتيَّة الإيطاليَّة، المُجلَّد4، 1962.

**13.جَنَوَة،1884-1918: المُهَاجِروْنَ والسُجنَاء.**

ف.أغنيتي، "المطبَخُ العَصريُّ للتخَصُّصَات الإقليمِيَّة" ميلَان 1909

المُؤلِّف مَجهُول "القِصَّة الملحميَّة لكاثي" مجَلَّةُ المَعكروْنَة، 15 أكتوبر 1929

ل.أفاليانو، "الهِجرَةُ الإيطَاليَّة" نابولي 1976

ب.بيفيلاكو، "الهِجْرَةُ عبْرَ المُحيطَات، والتَغيُّرَات في النِظَام الغِذَائي لفلَّاحِي كالابريا بيْنَ القَرنَيْن التَاسِع عشَر والعِشريْن" مِن الكُرَّاسَات التاريخيَّة، المُجلَّد 47، 1981

ج.بيرتوني، " الوطن في سفينة بخارية: رحلة إدموند دي أميسيس" بكتاب لـ ي.دي أميسيس "في المحيط" إقليم إميليا 2005

م.ي.بيانشي، "صِناعَةُ السُكَّر في إيطاليا عَشِيَّة الحَرْبِ العُظمَى (1807-1914) السِجلَّات السنَويَّة لتَاريْخِ الشَرِكَة، المُجلَّد 4، 1988

س.بيانكو، "الهِجْرَة والتوَسُّع الحَضَرِي للثقَافَة التَقليدِيَّة: "التَجرُبَة الإيطَاليَّة" بكِتَابٍ قامَ ر.م .دورسون بجَمْعِ مصَادرِه " التقَاليْدُ الشَعبيَّة في العَالَم الحَدِيْث" مَديْنَة هاغو .1978

ف.كافارينا، "أَسْرَى الخُرافَة" حركَةُ سلو فوود، المُجلَّد 4، 2004

ف.كافارينا بكِتَاب "الجوْع في المَنزِل، مذَاقُ الحَرْب" مِن كِتَاب "الشَخصيَّة الأُولَى: مسَارَاتُ السِيرَة الذَاتيَّة" المُجلَّد 16، 2006

ف.م.أ.كاسيودوروس، "فاريا" حيْثُ قامَ س.ج.ب.بارنيش بتَرجمَتهِ وتَنقيحِه ليفربول،1992

ج.كاساتشا، "المُفردَاتُ الإيطاليَّة الجَنَويَّة" جَنَوَة 1851

ج.شيوني مع ل.مارازا، "فنُّ الطَهي" يناير - فبراير مِن عَام 1918. المَخطوْطَة الأصليَّة محفوْظَة في الأَرشِيف اللِّيغورِي للكِتَاب الشَعبِي. جَنَوَة.

ز.تشيوفليتي و م.ديغل إنوسينتي، "الهِجرَةُ في تاريْخِ إيطاليا، 1868-1975:التاريْخُ والوثَائِق" فلورنسا 1978

ب.كورتي، "الهِجرَةُ والعادَاتُ الِغذائيَّة: خِبرَاتُ سلَاسِل الهِجْرَة" فِي كِتَاب لكاباتي وآخَروْن "الطعَام".

ي.دي أميسيس، "في المُحِيط" مديْنَة كومو بافيا 1991

هـ.ر.دينر، "التَوْقُ لأمريكا: الطعَامُ الإيطَالِي والإيرلندي واليَهودِي في عصْرِ الهِجْرَة" كامبريدج، ماس 2001

ج.فيورينتينو، ب98،30 نوفمبر 1917، المَخطوْطَة مَكتوْبَة ومَشروْحَة بوَاسِطَة أناريتا كابوتو، وقَد تمَّ تزويْدُ المؤَلِّف بِهَا بكَرَمٍ مِن جوزيبينا كابوتو.

ج.فيورينتينو "وَصفتَان لجوليك" جَنَوَة 1918. المَخطوْطَة مَكتوْبَة ومَشروْحَة بوَاسِطَة أناريتا كابوتو، وقَد تمَّ تزويْدُ المؤَلِّف بِهَا بكَرَمٍ مِن جوزيبينا كابوتو.

ي.فرانزينا، "الهِجرَةُ الكُبْرَى: صُوَرُ الهِجرَة مِن فينيتو خلَالَ القرْنِ التَاسِع عشَر". 347

ي.فرانزينا، "أمريكا! أمريكا! الهِجرَةُ والاستِيطَان في رسَائلِ الفلَّاحِين الفِينيسِيِّين في أمريكا اللَّاتينِية 1876-1902" ميلَان 1979

ج.فيرسوني "القاموْسُ الحديْثُ إيطَالي-جَنَوِي وجَنَوِي –إيطالي الذِي تمَّ إِثرَاؤهُ بمجموْعَةٍ من آلَافِ الأمثَالِ الليغوريَّة" جنوة 1910.

د.غاباتشيا "إنَّنا نعرِفُ بمَا نَأكلُه: الطعَامُ العِرقِي ونِتَاجُ الأمريكيِّين" كامبريدج، مارس 1998.

س.ي. غادا "مجلَّةُ الحَربِ والسِجْن: الخُرافَاتُ في مقالَاتِ الصحُف والأعمَال الأُخرَى" المُجلَّد 2، ميلَان 1992

الجمعيَّة العامَّة لبنسلفانيا، قرَارُ مَجلسِ الشِيوْخ رقَم 64، 1989 (بحَقِّ جيرولامو جوريسي)

الجمعيَّة العامَّة لبنسلفانيا، قرَارُ مَجلسِ النوَّاب رقَم 98 ،1989 (بحَقِّ جيرولامو جوريسي)

ج.جيرارديني، "الحَفريَّات في قَصْرِ ثيودوريك في رافينا" الآثَارُ القَديْمَة المُجلَّد 24، 1918.

ي.غيبون، "تاريْخُ ترَاجُعِ وسقوْطِ الإمبرَاطوريَّة الرومَانيَّة" المُجلَّد 4، لندن 1997(تمَّ إعادَةُ تَنقيحِه وجَمْعِ مصَادرهِ مِن نُسخَةِ عَام 1788).

س.غيبز كامبل، "السبَاغيتِي للأَمريكيِّين" مجَلَّةُ المعَكروْنَة، 15 أكتوبر 1929.

أ.غيبللي و ب.روغافيوري بكِتَاب "إقليم ليغوريا" تورين 1994

أ.غيبللي، "مِن المِينَاء إلى العَالَم معَ دي أميسيس" في كِتَاب لدي أميسيس" في المُحِيط" إقليم إميليا 2005

أ.جيسموندي "المُفردَات الإيطاليَّة الجنويَّة الجَديْدة معَ التَهجِئَة والنُطق وبعْضِ الخصَائِص النحويَّة" جنوة 1955.

ي.هيثير "الإمبراطوريَّة الغربيَّة 425-476" في كِتَاب لـ أ.كاميرون و ب.وارد بيكنز وم.ويتبي "التاريْخُ القديْمُ لكامبريدج" المُجلَّد 14. "أوَاخِر العصوْرِ القديْمَة: الإمبراطوريَّة والوَرَثَة 425-600" كامبريدج ، المملكة المتحدة .2000

ب.هيثير "ثيودوريك، مَلِكُ القوط" أوَائِل العُصوْرِ الوسْطَى بأوروبا. المُجلَّد4، 1995

س.هيلستوسكي "الثوْمُ والزَيْت: الطعَامُ والسِياسَة في إيطاليا" أوكسفورد 2004

م.ج.جونسون بكِتَاب "نحْوَ تاريْخِ خُطَطِ البِنَاء لثيودوريك" صحيْفَة دومبارتون أواكس بيبرز المُجَّلد 42، 1988.

ج.م.لابوليا بكِتَاب "الطبْخُ الإيطَالِي مِن أجْلِ المَطبَخ الأمريكِي" نيويورك 1953.

ن.مالنات بكِتَاب " مِن تاريْخِ مِينَاء جَنَوَة: مِن بدايَة العَام 1892" جَنَوَة 1892.

س.مارتيللي بكِتَاب "مِن العَالَم القَديْم إلى الحُلمِ الأَمريكِي" بكِتَابٍ قامَ ب.بيفيلاكو و أ.دي كليمينتي وي.فرانزينا بجَمْعِ مصَادرِه "تاريْخُ الهِجرَة الإيطاليَّة " المُجلَّد 1، "المُغَادِروْن" روما 2001.

ج.ماسولو " اقتِصَاد التَحويلَات المَاليَّة" بكِتَابٍ قامَ ب.بيفيلاكو و أ.دي كليمينتي وي.فرانزينا بجَمْعِ مصَادرِه "تاريْخُ الهِجرَة الإيطاليَّة " المُجلَّد الأَوَّل، المُغَادِروْن، روما 2001

"وِزارَة الخارجيَّة والهِجرَة والمُستوطنَات: تقاريْرُ العُملَاء الدِبلومَاسيِّين و القُنصُليِّين" روما 1893.

"وزارَة الخارجيَّة، مفوضيَّة الهِجرَة، الهِجرَة والمُستعمرَات: مجموْعَةٌ مِن تقَاريْرِ العُملاَء الدبلومَاسيين والقُنصلِيين . المُجلَّد 3. أمريكا.

ج.أوليفيري "قاموْسٌ جَنَوِي-إيطالي" جَنَوَة 1851

ن.أورينغو، "صَلصَة البيستو" في مايكروميغا "الغِذَاءُ والالتِزَامُ تكمِلَةٌ للقضِيَّة" 4. 2004.

ي.بوليغي وج.تيموسي، "مينَاءُ جَنَوَة: التاريْخُ والأحدَاثُ الجَارِيَة" جنوة 1977

ج.بروكاتشي "كارِثَةُ الكابوريتو" في كِتَابٍ قامَ ج.ديكي وج.فووت و ف.سنودن بجَمعِ مصَادرهِ "الكوارِثُ في إيطاليا منْذُ عَام 1860: الثقافَة، السِياسَة والمُجتمَع" نيويورك 2002. 348

ج.بروكاتشي، "الجنوْدُ والسُجنَاء الإيطَاليُّون في الحَربِ العُظمَى" 2000

كِتَابُ الطَهيِ لفيورينتينو كابوتو: مديْنَة بالما دي مونتيكارو :القرْنِ العِشريْن. المَخطوْطَة مكتوْبَة ومَشروْحَة مِن قِبَل أناريتا كابوتو، وقَد تمَّ تزويْدُ المُؤلِّف بِهَا بتكَرُّمٍ مِن جوزيبينا كابوتو.

ف.تيتي، "أسلوْبُ الطَهيِ الكالَابري أم الأَمريكِي المُبتكَر؟" مِن "رِحلَات هيرودوت" المُجلَّد 12، 1991

ف.تيتي، "الهِجرَةُ والغِذَاء والثقَافَة الشَعبيَّة" بكِتَابٍ قامَ ب.بيفيلاكو و أ.دي كليمينتي وي.فرانزينا بجَمعِ مصَادرهِ "تاريْخُ الهِجرَة الإيطاليَّة" المُجلَّد الأَوَّل، المُغَادِروْن، روما 2001.

م.تيراباسي، "الرِجَال البُرجوَازيِّون والنِسَاء الفلَّاحَات: إعادَةُ النظَرِ بالعمَل المَنزلِي والأخلَاق في إيطاليا" بكِتَابٍ قامَ د.غاباشيا وف.لَاكوفيتا بجَمعِ مصَادرهِ "النِسَاء، نوْعُ الجِنْس، والحيَاةُ العَابِرَة للحُدوْد الوطنيَّة: العُمَّال الإيطاليُّون في العَالَم"

"الطريْقُ إلى الأمريكيَّتَين: هِجرَة ليغوري بيْنَ الحدَثِ والقِصَّة" جنوة 1989

و.ج.سيمسون، "القلعَةُ المُقدَّسة: الفَنُّ البِيزَنطِي والكفَاءَةُ السِياسِيَّة في رافينا" شيكاغو 1948

"مُغامرَاتُ ماركو بولو" قامَ أ.مايو بتَحريْرِه.1938.الولَايات المتَّحدة.

**14.روما،1925-1938: قريَةُ موسوليني الريفِيَّة**

أ.كابيتي في كِتاَب "اللَّغو والأقَاليْمُ وفنُّ التذَوُّق والطَهِي مِن زَمَنِ الوحَدَةِ حتَّى الحَرْب العالميَّة الثَانِيَة" في كِتَاب لكابيتي وآخَروْن "الطعَام"

ج.س.كوهين بكِتَاب "الفاشيَّة والزِراعَة في إيطاليا: السِياسَات والنتَائِج" مُراجعَة للتَاريْخ الاقتِصَادي، المُجلَّد 1، 1979

"الزَعِيْم يفتَتِح أوَّل عرْضٍ وطنِيٍّ للنَادِي الفَاشِي التَرفيهِي في سِيْرك ماكسيموس بيْنَ المُظاهرَات الحَاشِدَة للشَعْب" صَحيْفَة لاتريبونا ،25 مايو 1938.

ر.جيانيتي وأ.روستيكيني، "استِهلَاك العُمَّال وأُجورَهُم في العِشرينات في إيطاليا" الحركَةُ العُماليَّة الاشتِراكيَّة 1978

د.ماك سميث، "موسوليني" لندن 1983

أ.مارسيكالتشي، "تاريْخُ الطعَامِ وأدوَاتُ المَائِدَة" ميلَان 1942

ب.موسوليني "عَقيدَةُ الفاشيَّة" كِتابَاتُ وخُطَبُ بينيتو موسوليني .المُجلَّد 8، ميلَان 1934

ب.موسوليني "خِطَاب الصُعوْد" 26 مايو 1927، في أوبرا أومنيا. المُجلَّد 23، فلورنسا 1957

ف.سيتشي "الحانَاتُ المِثاليَّة والمَأكولَات الإقليمِيَّة في مَعرَضِ النَادِي الوطَنِي الفَاشِي التَرفيهِي" فندُق إيطاليا، يوليو- أغسطس 1938

ب.سورتشينيلي "عمليَّةُ تحديْدِ الهويَّةِ أثنَاءَ العمَل: فضَائِلُ النِظَام الغِذَائي للطبقَة العامِلَة الإيطالي في النِصفِ الأوَّل مِن القرْنِ العِشريْن في كِتَابٍ قامَ ب.سكوليرز بجَمْعِ مصَادرِه "الطَهي، الأَكلُ والشُرْب في أوروبا منْذُ العُصوْرِ الوسْطَى" أوكسفورد 2001"

**15.تورين،1931: حانَةُ حسِّ التذوُّق المُقدَّس**

ي.كريسبولتي، "المُستقبَل الثَانِي: تورين 1923-1938" تورين 1961

ل.دي ماريا، "الأَديْبُ مارينيتي والمُستقبليُّون" ميلَان 1994

م.غاتا، "على المَائِدَة معَ مارينيتي دي كو"

www.mensamagazine.it/articolo .asp?id=652.349

م.غاتا، "حانَةُ حِسِّ التذَوُّق المُقدَّس: أو التَمثِيْلُ الحَقيقِي الفَريْد لفَنِّ التذَوُّقِ والطَهيِ المُستقبَلِي"

[www.mensamagazine.it/articolo.asp?id=710](http://www.mensamagazine.it/articolo.asp?id=710).

ف.ت.مارينيتي و فيليا "المَطبَخُ المُستقبَلِي" ميلَان 1986

س.سالاريس، "تاريْخُ الحركَةِ المُستقبليَّة" روما 1985

س.سالاريس، "الطعَامُ المُستقبَلِي: مِن أُسلوْبِ الطَهيِ والفَنِّ إلى الفَنِّ في أُسلوْبِ الطَهي"

**16.ميلَان،1936: ربَّاتُ المنَازِل والذوَّاقَة**

ر.أناو و ي.لوينثال، "المَطبَخُ اليَهوْدِي" ميلان 2000

م.بيلغراد باسيلي، "وَصَفَاتٌ مَنزليَّة: أُسلوْبُ الطَهيِ وفْقَ الشَريْعَة اليَهوديَّة في عائِلَةٍ يهوديَّة" فلورنسا 1993

ر.ج.ب.بوسورث، "نَادِي السِياحَة الإيطَالي وتَجنِيس الطبَقَة البُرجوازيَّة" مجَلَّةُ التَاريْخِ الأُوروبِّي الدَوريَّة. المُجلَّد 27، 1997

أ.فولكو تيديشي "مِئةُ شمْعَة للسَيِّدة فيرناندا" نشْرَةُ الجَالِيَة اليَهوديَّة في ميلانو، نوفمبر 1989.

أ.دي ليون ليوني، "اليَهوْدُ في فيرارا بالقرْنِ السَادسِ عشَر" في كِتَابٍ قامَ أ.بروسبيري بجَمْعِ مصَادرهِ "تاريْخُ فيرارا" المُجلَّد 6. "عصْرُ النَهْضَة: موَاقِفُ وشَخصيَّات" فيرارا 2000

ل.ليفي، "الشِعْرُ المَخفِي: ستُّمائة وصْفَة للمَطبَخِ اليَهوْدِي في إيطاليا" فلورنسا 1931

د.ليمنتاني بافونتشيللو، "مِن عَام 1880 إلى يوْمِنَا الحَاضِر: المطبَخُ اليَهودِي لعَائِلَتي" روما 1982

ي.موميليانو، "العاصِفَة المَأساويَّة والغَريْبَة للفاشِيَّة العُنصريَّة" ميلَان 1946

ف.موميليانو، "العيْشُ بشَكلٍ جيِّد في الأوْقَاتِ الصَعبَة: كيْفَ تتغلَّبُ المَرأَةُ على الأزمَةِ الاقتصَاديَّة" ميلان 1933

ف.موميليانو، "آل سافوي: السِيرَة الذاتيَّة، روايَاتٌ لمُعلِّمي المدَارِس الابتدائيَّة" ميلان 1933

ف.موميليانو "تنَاولُ الطعَامِ على الطريقَةِ الإيطاليَّة: مِئةُ طريقَةٍ لطَهيِ السمَك، مِئةُ طبَقِ حسَاءٍ جيِّدٍ ومُغذِّي، مِئةُ طبَقٍ مِن الخُضروَاتِ والبُقوْل، مِئتَا وصْفَة مُتنوِّعَة للدوَاجِن، لحوْمُ الطَرائِد، البَيْض، والصَلصَاتُ والحُلويَّات، بالإِضَافَةِ إلى العديْدِ من الوَصَفَات الاستِثنَائيَّة". ميلَان 1936

ب.مونيلي، "النَهَمُ الجوَّال: رحلَةُ تذَوُّق الطعَام عبْرَ إيطاليا" ميلَان 2005

م.ب.موروني سالفاتوري "نَظرَةٌ عامَّةٌ بيلوغرافية على كتُبِ وَصَفَاتِ أوَائلِ القرْنِ العِشريْن" في كِتَابٍ لكابيتي وآخَروْن "الغِذَاء".

م.سارفاتي، "اليَهوْدُ في سنوَاتِ الفَاشيَّة: الأحدَاثُ، الهويَّة، الاضْطِهَاد" في كِتَابٍ قامَ س.فيفانتي بجَمْعِ مصَادرِه" تاريْخُ إيطَاليا: السِجلَّات السَنويَّة 11، المُجلَّد 2. مِن التحَرُّر إلى اليَوْم .تورين 1997

ل.تاسكا، "ربَّةُ المَنزلِ العَاديَّة في إيطاليا ما بعْدَ الحَربِ العَالميَّة الثَانِيَة" مجلَّةُ تاريْخِ النِسَاء .المُجلَّد 16، العدَد 2، 2004

أ.تواف، "تنَاولُ الطعَامِ في الدِيانَة اليَهوديَّة: المطبَخُ اليَهودِي في إيطاليا مِن عصْرِ النَهضَة إلى العَصرِ الحَديْث" بولونيا 2000

"نَادِي السِياحَة الإيطَالِي، دَليْلُ تذَوُّق الطعَامِ في إيطاليا" ميلَان 1931

ب.ر.ويلسون، "طَهيُ العِجَّة الوَطنيَّة: النِسَاءُ وحَمْلَةُ التَريِيْفِ الفَاشيَّة لإيطاليا" نَشرَةُ التَاريْخِ الأوروبِّي الدَوريَّة .المُجلَّد 27، العدَد4،1997

ب.ر. ويلسون، "الفلَّاحَاتُ والسِياسيُّونَ في إيطاليا الفَاشيَّة: ربَّاتُ المنَازلِ الرِيفيَّات" لندن 2002

ف.زاماغني، "تطوُّرُ الاستِهلَاك بيْنَ التَقليْدِ والابتِكَار" فِي كِتَابٍ لكاباتي وآخَروْن "الغِذَاء". 350 س.زوكوتي، "الإيطَاليُّوْنَ والهولوكوست: الاضِطهَادُ والإنقَاذُ والبقَاءُ على قيْدِ الحيَاة" لندن 1987

**17.روما،1954: مُعجِزَةُ الطعَام**

س.أفيل بارزيني، "لذَلِك أكَلْنَا: خمسوْنَ عامًا مِن تاريْخِ إيطاليا بيْنَ الطعَامِ والعَادَات"

ف.تشيكاريللي، "أحشَاءُ الجُمهوريَّة: الطعَامُ والسَلطَةُ في إيطاليا مِن 1945 إلى 2000" ميلَان 2000

س.م.كونيهان، "حوْلَ المَائِدَة التوسكَانيَّة: الطعَام، المَائِدَة والجِنْس في فلورنسا بالقرْنِ العِشريْن" نيويورك 2004

ج.كراينز، "المُعجِزَة الإيطاليَّة: الثقافَةُ والهويَّة والتحَوُّلَات بيْنَ الخَمسينِات والستينِات مِن القرْنِ العِشريْن" روما 2003

ب.جينسبورغ، "تاريْخُ إيطاليا المُعاصِرة: المُجتمَع والسِياسَة 1943-1988" لندن 1990

أ.غراسو "تاريْخُ التِلفَازِ الإيطَالي : 150 عامًا على التِلفَاز" ميلَان 2004

س.غوندلي بكِتَاب "أَمْرَكَةُ الصَحِيفَة: التِلفَاز والاستِهلَاك في أمريكا بفَترَةِ الخَمسينِات" السِجلَّات التاريخيَّة المُجلَّد 62، العدَد2، 1986

ج.ايرفينغ "جنوْدٌ برَأسِ مَال" حركَةُ سلو فوود؟ المُجلَّد 22،2006

أ.كيز، "الدراسَاتُ المِيدَانيَّة في إيطاليا 1954" في كِتَابٍ قامَ أ.كيز وب.د وايت بجَمعِ مصَادرهِ "عِلمُ الأَوبِئَة القلبيَّة الوِعَائيَّة" نيويورك 1956

أ.كيز وم.كيز، "كُلْ جيِّدًا وابْقَ بصِحَّة جيِّدَة" لندن 1960

أ.كيز وم.كيز، "كيْفَ تتنَاولُ الطعَام بشَكلٍ جيِّد وتُحَافِظُ على صِحَّةٍ سَليْمَةٍ بطريْقَةِ حِميَةِ البَحرِ المُتوسِّط" نيويورك 1975

أ.كيز "البُلدَانُ السَبْعَة: تَحليْلٌ متعدِّدُ المُتغيِّرَات للوفَاةِ وأمْرَاضِ القَلب التَاجيَّة" كامبريدج، مارس 1980

أ.كيز "حِميَةِ البَحرِ المُتوسِّط والصِحَّة العَامّة: تأمُّلَاتٌ شَخصيَّة" المَجلَّة الأمريكِيَّة للتَغذِيَة السَريرِيَّة، المُجلَّد 61، 1995

ج.بيدروكو، "الحِفَاظُ على الغِذَاء: مِن المِلح إلى صِناعَة المَوادِّ الغِذَائيَّة" في كِتَابٍ لكابيتي وآخَروْن "الغِذَاء"

ف.براتوليني، "الإسْرَاف: قِصَّةٌ إيطاليَّة" ميلَان 1960.

ب.كويرينو، "الاستِهلَاكُ في إيطاليا منْذُ زمَنِ الوَحْدَة حتَّى اليَوْم" في كِتَابٍ قامَ ر.رومانو بجَمْعِ مصَادرهِ "تاريْخُ الاقتِصَاد الإيطَالي" المُجلَّد 3، و"الحِقبَةُ الجَديْدَة: بلَدٌ عَصْرِي" تورين 1991

ف.م.سنودن، "الثَورَةُ الفَاشيَّة فِي إقِليْمِ توسكانا 1919-1922" كامبريدج، المملكة المتحدة 1989

م.سولداتي ببَرنَامجٍ تِلفَازِي "البحْثُ عَن الأَطعِمَة الأَصيْلَة: رحلَةٌ إلى وَادِي بو" شَرِكَة راي. تمَّ بثُّهُ لأوَّلِ مرَّة 1957-1958

م.سولداتي "مصَبُّ المِيَاه: رِحلَاتٌ لَا تُنسَى في إيطاليا لاكتِشَافِ الطعَامِ والنَبِيْذ الأَصْلِي" روما 2005

ف.تادي، "الخُبزُ والزَيْت: قُوْتُ المُزَارعِيْن في توسكانا" في "الوِلَادَة الحَديْثَة" المُجلَّد 44، العَدَد2، 1992 . "الطعَامُ والتحَوُّلَاتُ الاجتِمَاعيَّة بيْنَ القرْنِ التَاسِع عشَر والقرْنِ العِشريْن".

ف.تادي "طعَامُ الفلَّاحِيْن المُستَأجَريْن في إيطاليا بيْنَ القَرنَيْنِ التَاسِع عشَر والعِشريْن" في كِتَابٍ لكاباتي وآخَروْن "الغِذَاء".

ل.فيرتشيلوني، "حداثَةُ الطعَامِ" في كِتَابٍ لكاباتي وآخَرين "الغِذَاء".

ب.د.وايت "الدِراسَاتُ السَريرِيَّة في إيطاليا عَام 1954" في كِتَابٍ قامَ أ.كيز وب.د.وايت بجَمْعِ مصَادرِه "عِلمُ الأَوبِئَة القلبيَّة الوِعَائيَّة" نيويورك 1956

فِيلم (أَمريكِي في روما) (إِخرَاج ستينو) 1954، إيطاليا. 351

**18.بولونيا،1974: معكروْنَةُ تورتيليني الأُمَّهَات**

ب.كامبوريسي، "الخبْزُ والمَوْت" و "مطبَخُ المديْنَة والمَأكولَات الريفِيَّة" و"الطعَامُ والطقوْسُ الزِرَاعيَّة" و"كلُّ مَا فِي الغِذَاء، التقَاليْدُ الشَعبيَّة، والمُجتمَع" بارما 1980

س.غوندلي، "بريْقُ هوليوود والاستِهلَاكُ الجمَاعِي في إيطاليا ما بعْدَ الحَرْب" مجلَّةُ دِراسَات الحَرْبِ البَارِدَة المُجلَّد 4، العدَد3، 2002

س.غوندلي، "الأيقوْنَةُ الإيطاليَّة: صوفيا لورين" المجلَّة التاريخيَّة للسِينمَا والإِذاعَة والتِلفَاز، المجلَّد15، العدَد3، 1995.

أ.ي.هوتشنر، "صوفيا: الحيَاةُ والحُب: قِصَّتها الشَخصيَّة" لندن 1979

ي.إنفيرنيزي، "المعكروْنَة والحُب والخيَال: وَصْفَةُ نجَاحِ مَعْمَلِ مكروْنَة رانا" ميلَان 2006

صوفيا لورين، "أُسلوْبُ الطَهيِ معَ الحُب" ميلَان 1971

صوفيا لورين، "كُلْ مَعِي" لندن 1972

ف.مونتيليون "تاريْخُ الإذَاعَة والتِلفَاز في إيطاليا: المُجتمَع والسِياسَة والاستراتيجِيَّات والبرَامِج" 1922-1992.البندقية 1992.

ل.فيرتشيلوني، "الطعَامُ العَصرِي" في كِتَابٍ لكاباتي وآخَرين "الغِذَاء"

فِيلم (ذهبَ نابولي) مِن إِخرَاج دي سيكا، 1954 إيطاليا

الخُبز، الحُب و... (فَضيْحَةٌ في سورينتو) مِن إِخرَاج د.ريسي.1956،فرنسا/إيطاليا.

فِيلم (امرأتَان) مِن إِخرَاج ف.دي سيكا .1960.إيطاليا/فرنسا

Giovanni Rana, <http://www.rana.it/it/storia.php>.

**19.جنوة،2001-2006: الرَيْحَانُ المُعَاب**

د.أتكينسون، د.غيبز وس.ريمر، "جوْدَةُ الغِذَاء، الإنتَاجُ الأَصِيل، والتَنمِيَة الريفِيَّة في كامبانيا" أورَاقُ عمَل، جامِعَة هال، فبراير 2066.

س.برامبيلا، "الأطعِمَةُ المُعدَّلة الوِراثيَّة، آمِنَة ولَا مخَاطِر منْهَا" صحيْفَةُ لا ريبابليكا،4 نوفمبر 2004

ي.كارلوني، "النوْعُ الوَحيْدُ مِن صَلصَة البيستو" صحيْفَةُ مُرَاسِل المسَاء، 19 سبتمبر 2002

ب.كريتشي "صَلصَة البيستو، علَامَةُ السلَام" صحيْفَةُ القرْنِ التَاسِع عشَر،30 أغسطس 2002

ف.غاتي، "كنْتُ في إقليْمِ بوليا" صحيْفَةُ لي سيبريسو ، سبتمبر 2006

"بيبي غريللو: إنَّها معركَةٌ خَاسِرَة" بمُقابلَةٍ معَ ر.بارودي في صحيْفَةِ القَرْنِ التَاسِع عشَر، 24 يوليو 2002.

د.ماكدونيل، "مجموْعَةُ الثمَانِيَة في جَنَوَة، وموْتُ كارلو جولياني" في كِتَابٍ قامَ س.غوندلي ول.رينالدي بجَمْعِ مصَادرِه "اغتِيالَات، جرَائِم قَتْل وأَسرَارٌ في إيطاليا المُعَاصِرَة: نيويورك، يَصدُر قريْبًا.

"استِطلَاعَاتُ المَطْبَخ: أصْلُ وتطَوُّرُ الأطبَاِق الليغوريَّة النموذجيَّة" أخبَارُ س.د.ب. سبتمبر 2006

"هَل يَتِم الاعتِرَاف بصَلصَة بيستو جَنَوَة على المُستوَى الأُوروبِّي؟ تَحديْثَاتٌ على تطَوُّر المُمارسَة المُقدَّمة إلى المَجلِس الأُوروبِّي" أخبَارُ س.د.ب مارس 2006

ف.باراسكولي، "ثقافَةُ الطعَامِ في إيطاليا" لندن 2004

م.ريفا "صَلصَة البيستو والتَحيَّة" رسَالةٌ شَخصيَّةٌ من ماركو ريفا من جامِعَة علوْمِ فنِّ الطَهي والتذَوُّق في بولينزو-برا

"حركَةُ سلو فوود تردُّ على العُلمَاء: عصيْدَةُ الذُرَة وصَلصَة البيستو ضِدَّ الأطعِمَة المُعدَّلة وراثيًا " صَحيْفَةُ لا ريبوبليكا، 5 نوفمبر، 2004. 352

ب.أ.أوسلينغو "صَلصَة بِيسْتو جَنَوَة" بمُحادثَة شخصيَّة مِن بيترو أتيليو أوسلينغو، مُستشَار رَابِطَة البيستو.

"فيرونيسي: مُستَعِدٌّ لتنَاول صَلصَة البيستو حتَّى لَو كانَت مصنوْعَةً مِن أوْرَاقِ الرَيْحَان الفتيَّة" صَحيْفَةُ كوريري ديلا سيرا، 4 أكتوبر، 2004.

الحِمايَة بموجَب تَسمِيَة المَصْدَر "ريْحَانُ جَنَوَة" واكتِشَافُ نَكهَةِ التمَيُّز في صِناعَة الأَغذِيَة الزِراعيَّة الجَنَويَّة. غُرفَة تِجارَة جَنَوَة.

[www.ge.camcom.it/servizi/agricola\_basilico\_dop.asp](http://www.ge.camcom.it/servizi/agricola_basilico_dop.asp).

الطعامُ في ليغوريا www.mangiareinliguria.it/consorziopestogenovese/ pestogenovesedop.php.

حديْقَةُ الرَيحَان الجَنَوِي بسَهْلِ برا

http: / /parco-basilico.provincia.genova.it.

إنَّ المعلومَات المُتوافِرَة عَن مُنظَّمة أطبَّاء بِلَا حُدوْد العَامِلَة في إيطاليا هِيَ على المَوْقِع [www.msf.org](http://www.msf.org).

**20.تورين، 2006: إنقَاذُ الفلَّاحِيْن**

و.باركينز و ج.كريغ، "العَيْشُ البَطِيء" أوكسفورد 2006

س.بيتريني "بيَانٌ حوْلَ مُستقبَل البُذوْر" صَحيْفَةُ لاستامبا، 29 نوفمبر، 2006

س.بيتريني، "حركَةُ سلو فوود: أسبَابُ المذَاق" روما-باري 2003

س.بيتريني بكِتَاب "ثورَةُ سلو فوود: مِن أرسيجولا إلى مُؤتمَر تيرا مادري: الثقافَةُ الحَديْثَة للطعَامِ والحيَاة" ميلَان 2005

س.بيتريني "جيِّدٌ ونَظِيفٌ ومُنصِف: مبَادِئُ فَنِّ الطَهيِ الجَديْد" تورين 2005

ر.ريزو بمقَالَة "الفلَّاحوْنَ يُحاولوْنَ إنقَاذَ العالَم" صَحيْفَةُ لاستيمبا، 27 نوفمبر 2006

"معرَضُ التذَوُّق: تورينو، مَصْنَعُ لينغوتو، الأُمَمُ المتَّحِدَة للفلَّاحِيْن" صَحيْفَةُ لاستامبا ،27 نوفمبر، 2006

أ.س.سارتيراني "التَابِلُ القَديْم لكريستوفرو ميسيسبوغو، مزرعَةُ الوَاحَةِ الطبيعيَّة في خَليجِ ميرابيللو".

"قضَايَا مُؤتمَر تيرا مادري 2006" "تيرا مادري، فِيلمٌ وثائقيٌّ لإرمانو أولمي :تورينو، تصويْرٌ أثناءَ مُؤتمَر تيرا مادري" النَشَرَاتُ الصَحفيَّة لحركَةِ سلو فوود، مُؤتمَر تيرا مادري/ معرَضُ التذَوُّق.

مُؤتمَر تيرا مادري:1600 مُجتمَعٌ غِذَائي، منطِقَةُ سَهْلِ برا، 2006

**المصَادرُ التي تمَّ الرجوْعُ إليْهَا للحصوْلِ على شَرحٍ للرسوْمِ التَوضيحِيَّة**

د.بيناتي وي.روكوميني، "الرسَّام أنيبيل كاراتشي" ميلَان 2006

ج.بويتوني "تاريْخُ أصحَابِ المشَاريْع" ميلَان 1972

ج.غالو بكِتَابٍ قامَ بجَمْعِ مصَادرهِ "على كُلِّ لسَان" كانَ كتَابًا لـ بويتوني و بيروغينا "لمحَةٌ تاريخيَّةٌ عَن شركَةِ بيروجينا " مديْنَةُ بيروجيا 1990

نيزا و موربيلي، الفُرسَانُ الأربعَة. الرسوْمُ التَوضيحِيَّة للفنَّان أنجيلو بيوليتو. بيروجيا 1935

د.بوسنير"الرسَّامُ أنيبيل كاراتشي" دِراسَةٌ تتناوَلُ تقويْمَ فنِّ الرسْمِ الإيطَالِي بحوَالِي عَام 1590، مُجلَّدَان. لندن 1970. 353

**نَبْذَةٌ عَن المُؤلِّف**

يُحَاضِرُ "جون ديكي" بقِسْمِ الدِراسَات الإيطاليَّة بجامِعَة لندن، حيْثُ يُدرِّسَ موَادَ تتناوَلُ جميْعَ جوَانبِ اللُّغَةِ والثقَافَةِ الإيطاليَّة. فازَ بالعديْدِ مِن المِنَح والجَوائِز، ولَاسِيمَا بلقَبِ فَارسِ وِسَامِ نجْمَةِ التضَامُن الإيطَالِي الذِي منحَهُ إيَّاهُ رئيْسُ الجُمهوريَّة الإيطاليَّة. حقَّق كِتابَهُ السَابِق الشَهِيْر "مافيا صَقَليّة" مَبيعَاتٍ تزيْدُ عَن 200000 نُسخَة في المَملكَة المُتَّحِدَة وحْدَها، و تُرجِمَ إلى عشريْنَ لُغَة. يعيْشُ الآنَ في لندن مع عَائلتِه.

............................

صُنِعَ في الولَايَاتِ المُتَّحِدَة الأمريكيَّة،

ليكسينغتون ك.ي

28 مارس عَام 2019

.................

تَرجَمَةُ الغِلَاف الخلفي للكتاب

**مِن اللذَّة!**

"لمَّا كانَ فَنُّ الطَهيِ والتذوُّقِ الإيطَالي قويًا، توجَّبَ على الإيطاليِّين حيْنهَا أَن يتمَتَّعوا بحسَاسِيَةٍ مُرهفَةٍ لكُلِّ مَا هوَ كَريْه، وأَن يُعبِّروا بشَكلٍ رَاق عَن قانوْنِ الآدَاب، بيْدَ أنَّ قوَاعِد النُفوْرِ قَد تغيَّرَت معَ تقَادُم الزمَن، فَفِي العصوْرِ الوسْطَى وعصْرِ النَهْضَة، أخذَ الثوْمُ ينفُثُ الرَائِحَة الكريْهَة للفَقْر. ومعَ ذَلِك، فالعديْدُ مِن الأطبَاقِ العَصريَّة، بِدْءًا من صَلصَة بيستو جَنَوَة إلى السباغيتي معَ المحَّار، لَا يُمكِنُ تخيُّلهَا بدوْنِه. لقَد قامَ كِبَارُ الطُهَاةِ في العُصوْرِ الوسْطَى وعصْرِ النَهْضَة بغَليِ مَعكرونَتهِم حتَّى تُصبِحَ طريَّة للغايَة، لكنَّ السبَاغيتِي المُبَالَغُ بطَهيِه يُوْقِعُ الاشمِئزَازَ في نفْوس إيطَاليي أيَّامِنَا هَذِه، وبشَكلٍ أكثَر شِدَّةً مِن أيِّ مُخالفَةٍ مَطبخيَّةٍ أُخرَى، لذَلِك فاكتِشَافنَا أنَّ البِيتزَا في وقْتٍ باكرٍ من تاريْخِهَا، بأوَاخِر القرْنِ التَاسِع عشَر، كانَت مُثيرةً للاشمِئزَازِ، ليْسَ بالأَمْرِ المُسْتَغرَب. أمَّا اليَوْم، فمِن شِبْهِ المُؤكَّد أنَّ البِيتزَا هِيَ أكثَرُ الأطعِمَةِ التِي يتِمُّ تنَاولهَا على نِطَاقٍ وَاسِعٍ على وَجْهِ الأَرْض، إنَّها وسَامُ الهَويَّة الإيطَاليَّة، غيْرَ أنَّه قبْلَ مَا يزيْدُ قليْلًا على القرْنِ مِن الزمَان، وفي المديْنَةِ التِي شَهِدَت وِلَادتهَا، يُحتمَل أنَّ البِيتزَا قَد أثارَت اشمِئزَاز أحَدهِم كَما أثارَت شَهيَّة آخَر".

**الإِشادَة بكِتَاب اللذَّة!**

"إنَّه التاريْخُ الذِي يُميْطُ اللِّثَام عَن إيطاليا الذوَّاقَة مِن العصوْرِ القديْمَة إلى اليَوْم... عَن تلْكَ الحَكَايَا النَهِمَة الصَاخِبَة- والتِي يبْلغُ بعضُهَا حدَّ الشَهوانيَّة- لتتوازَنَ من خلَالِ رِوايَاتٍ عَن العَوَز فِي هَذهِ النَظْرَة إلى التَاريْخِ الإيطَالِي وأَطعِمَتهِ"- مجلَّةُ بابليشرز ويكلي الأَمريكِيَّة.

"كِتَابٌ يُوْصَفُ بأَنَّهُ وَليْمَةٌ مِن الأهوَالِ إلَّا أنَّ المُتَعَ المَذكوْرَةُ فيْهِ تُضَاهِي ذَلِك... مِن الصَعْبِ انتِقَادُ كِتَابِ ديكي: فالبَحْثُ فيْهِ مُكثَّفٌ مُستَفيْضٌ، مُنيْرٌ للعُقوْل، و دائمًا ما يجعلَكَ تطْلبُ المَزيْد"- صَحيْفَةُ الصنداي تايمز البريطَانيَّة.

"إنَّ قراءَتهُ شَهيَّة حرفيًا، فهِيَ تُناقِضُ المَفهوْمَ الخَاطِئ عَن المطبَخِ الإيطَالِي، وكذَلِك الخُرافَة التِي ولِدَت بيْنَ الفلَّاحِين" -- صَحيْفَةُ ذا هيرالد الاسكتلنديَّة.

"إنَّهُ وصْفٌ مُثيْرٌ ومُتَّسِمٌ بالذكَاء عَن تاريْخِ إيطاليا... فهوَ يُعلِّمُنَا وكذَلِك يُنِيْرُ عقوْلنَا"— صَحيْفَةُ الغارديان البريطَانيَّة.

"هُناكَ الكثيْرُ مِن الكتُبِ التِي أُلِّفَت بشغَفٍ حوْلَ الطعَامِ الإيطَالِي، وقِلَّةٌ نَفيْسَةٌ مِنْهَا قَد دُعِمَت بخَلفِيَّةٍ تاريخيَّةٍ عميقَةٍ كالمُقدِّمَة هُنَا بأُسلوْبٍ ألمَعِيٍّ مِن قِبَلِ مُؤرِّخٍ ثَاقِبِ البَصِيْرَة، والذِي تجاهَل بعْضًا مِن الأسَاطيْرِ المُستَفْحِلَة واستبْدلهَا بقِصَصٍ وَاقعِيَّةٍ لَا تقِلُّ سِحْرًا. يُوضِّحُ الكَاتِبُ ديكي كيْفَ تطوَّرَت أسَاليْبُ الطَهيِ الإقليميَّة الإيطاليَّة حتَّى أنَّ بعْضَ الأطبَاقِ قَد أصبحَت أَيقونَاتٍ عالميَّة. إِن كُنَّا نُمثِّلُ مَا نتَناولَهُ، فمَن لَا يرغَبُ أَن يُصْبِحَ إيطاليًّا؟" – صَحيْفَةُ التايمز (لندن).